

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن كثير البصري
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

المجلد الرابع

[قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية]
ومصحفها نخبه من العلماء

طبع بدار إحياء الكتب العربية
مكتبة البابي الحسني وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(تفسير سورة الصفات وهي مكية)

قال النسائي أخبرنا إسماعيل بن مسعود حدثنا خالد - يعني ابن الحارث - عن ابن أبي ذئب قال أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات ، تفرد به النسائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّغِيْرَاتُ ذَاتَ الْجُثُلِ * فَأَلْقَتْهُمُ الصَّغِيْرَاتُ عَلَى الْقَدْحِ * إِنَّ إِلَٰهَهُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾

قال سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي الغضائى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال (والصفات صفا) وهى الملائكة (فالأجرات زجراً) هى الملائكة (فالتاليات ذكراً) هى الملائكة ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدى وقتادة والربيع بن أنس قال قتادة : الملائكة صفوف فى السماء . وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبي مالك الأشجعي عن ربيعة عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلنا على الناس ثلاث . جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت لنا تبرها طهوراً إذا لم نجد الماء » وقد روى مسلم أيضاً وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الأعمش عن المسيب بن رافع عن عيم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟ » قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم « يتعبدون الصفوف المقدمة ويتراصون فى الصف » وقال السدى وغيره معنى قوله تعالى (فالأجرات زجراً) أنها تزجر السحاب ، وقال الربيع بن أنس (فالأجرات زجراً) ما زجر الله تعالى عنه فى القرآن ، وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم (فالتاليات ذكراً) قال السدى الملائكة يحيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس وهذه الآية كقوله تعالى (فالملقىات ذكراً * عذرا أو نذرا) . وقوله عز وجل (إن إلهكم لواحده رب السموات والأرض) هذا هو المقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض (وما بينهما) أى من الخافات (ورب المشارق) أى هو المالك المتصرف فى الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب وثواب وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب . واكتفى بذكر المشارق عن المغرب لدلائلها عليه وقد صرح بذلك فى قوله عز وجل (فلا أقسم برب المشارق والمغرب إنا لقادرون) وقال تعالى فى الآية الأخرى (رب المشرقين ورب المغربين) يعنى فى الشتاء والصفى للشمس والقمر

﴿ إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ وَيُقَذِّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ * دُخْرًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾

يُخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا بالنظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب ، قرئ بالإضافة وبالبدل وكلاهما

يَجِدُ تَعَالَى أَنَّهُ زِينِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِلنَّظَّارِينَ إِلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ بَرْنِيَّةَ السَّكْوَاكِبِ ، قَرَىٰ بِالْإِضَافَةِ وَالْبَدَلِ وَكُلَاهُمَا

بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت يقبض ضوءها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض كما قال تبارك وتعالى (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين * وأعتدنا لهم عذاب السعير) وقال عز وجل (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) فقوله جل وعلا ههنا (وحفظاً) تقديره وحفظناها حفظاً (من كل شيطان مارد) يعنى المتمرد العاتى إذا أراد أن يسترق السمع ألقاه شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) أى لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى وهى السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بما يوحى الله تعالى مما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك فى الأحاديث التى أوردناها عند قوله تبارك وتعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير) ولهذا قال تعالى (ويذفون) أى يرمون (من كل جانب) أى من كل جهة يقصدون السماء منها (دحوراً) أى رجماً يدحرون به ويذرون ويمنون من الوصول إلى ذلك ويرجمون (ولهم عذاب واصب) أى فى الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجه مستمر كما قال جل جلالته (وأعتدنا لهم عذاب السعير) وقوله تبارك وتعالى (إلا من خطف الخطفة) أى إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهى الكلمة يسمعونها من السماء فيلقها إلى الذى تحته ويلقها الآخر إلى الذى تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى السكاهن كما تقدم فى الحديث ولهذا قال (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) أى مستنير . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان للشياطين مقاعد فى السماء قال فكانوا يستمعون الوحي قال وكانت النجوم لا تجرى وكانت الشياطين لا ترمى قال فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض فزادوا فى الكلمة تسعاً قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قدم مقعده جاءه شهاب فلم يحطه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله فقال ما هو إلا من أمر حدث قال فبعث جنوده فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى بين جبلين نخلة قال وكيع يعنى بطن نخلة قال فرجموا إلى إبليس فأخبروه فقال هذا الذى حدث ، وستأتى إن شاء الله تعالى الأحاديث الواردة مع الآثار فى هذا المعنى عند قوله تعالى إخباراً عن الجن أنهم قالوا (وأنا لمسننا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهاباً *) وأنا كنا نعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً * وأنا لا تدرى أشد أريد بمن فى الأرض أم أراد ربهم رشداً)

(فَاسْتَعْتِمَهُمْ أَهْمُ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ * وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * أَءَءَا مِتْمًا وَكُنَّا ثَرْبًا وَعِظْمًا أَمْ نَأْتَا لَمَبْعُوثُونَ * أَوْ ءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ كَاخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ) يقول تعالى : فسل هؤلاء المنكرين للبعث أيما أشد خلقاً هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والشياطين والخلوقات العظيمة ؟ وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أم من عددنا فانهم يقولون أن هذه المخلوقات أشد خلقاً منهم ، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينسكرون البعث ؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل (خلقت السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم بين أنهم خلقوا من شئ ضعيف فقال (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ) قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك : هو الجيد الذى يلتصق ببعضه ببعض ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد ، وقال قتادة هو الذى يلتصق باليد ، وقوله عز وجل (بل عجبتم ويسخرون) أى بل عجبتم يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فناءها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك

قال قتادة: عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بني آدم (وإذ أروا آية) أى دلالة واضحة على ذلك (يستسخرون) قال مجاهد وقتادة يستهزئون (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين) أى إن هذا الذى جئت به إلا سحر مبين (أفدأمتنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * أو آباءنا الأولون) يستبعدون ذلك ويكذبون به (قل نعم وأنتم داخرون) أى قل لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون ترابا وعظاما وأنتم داخرون أى حثيرون تحت القدرة العظيمة كما قال تبارك تعالى (وكل أتوه داخرين) وقال (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) ثم قال جلست عظمته (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) أى فأنما هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم .

﴿ وَقَالُوا يَوْمَئِذٍ هَذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمْ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيمة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث لا ينفعهم الندم (وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) فتقول لهم الملائكة والمؤمنون (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين في الموقف في محشرهم ومنشرهم ولهذا قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال النعمان بن بشير رضى الله عنه يعنى بأزواجهم أشباههم وأمثالهم ، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والسدى وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم ، وقال سفيان الثوري عن سماك عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال إخوانهم . وقال شريك عن سماك عن النعمان قال : سمعت عمر يقول (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال أشباههم . قال يحيى وأصحاب الزنا مع أصحاب الربا ، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر ، وقال خصيف عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما أزواجهم نساءهم وهذا غريب والمعروف عنه الأول كما رواه مجاهد وسعيد بن جبيرة عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أى من الأصنام والأنداد تحشر معهم فى أما كنهم . وقوله تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى أرشدوهم إلى طريق جهنم وهذا كقولهم تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم غماضا وبكأوصافهم) أى جهنم كلما خبت زنادهم سمعوا) وقوله تعالى (وقفوههم إنهم مسئولون) أى قفوههم حتى يستلوا عن أعمالهم وأقوالهم التى صدرت عنهم فى الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعنى احبسوهم إنهم محاسبون . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا النخعي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبا بصير يحدث عن بشر بن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «أما دلج دعا إلى شئ كان موقوفا معه إلى يوم يوم القيامة لا يغادره ولا يفارقه وإن دعا رجل رجلا» ثم قرأ (وقفوههم إنهم مسئولون) ورواه الترمذى من حديث أبي بصير ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن معتمر عن أبي بصير عن رجل عن أنس رضى الله عنه مرفوعا . وقال عبد الله بن المبارك سمعت عثمان بن زائدة يقول إن أول ما يسئل عنه الرجل بناسأه ، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ (ما لكم لا تناصرون ؟) أى كما زعمتم أنكم جميع منقسمين (بل هم اليوم مستسلمون) أى متقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يجادلون عنه والله أعلم

﴿ وَأَقْبِلْ بِهَهُمْ عَلَىٰ بَعْضِ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُوا بَلْ لَمْ تَسْكُونُوا ﴾

مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰئِقُونَ *
فَأَعْوَيْتَنَّا * إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا
إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَنِنَا لِتَكْرِهُاءِ الْهَيْتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ
وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿

يذكر تعالى أن الكفار يتلادون في عرصات القيامة كما يتخاصمون في دركات النار (فيقول الضملاء للذين استكبروا
إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد)
وقال تعالى (ولو ترى إذا الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين
استكبروا لو لا أنتم لكانا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم
بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجمل له
اندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يحزون إلا ما كانوا بهماون)
وهكذا قالوا لهم ههنا (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) قال الضحاك عن ابن عباس يقولون كنتم تقهرونا بالقدرة منكم
علينا لأننا كنا أذلاء وكنتم أعزاء ، وقال مجاهد يعني عن الحق والكفار تقول له للشياطين . وقال قتادة قالت الإنس
للجن إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فنهوا عنه وتبطئوا عنه ، وقال السدي تأتوننا من قبل الحق وتزينوا
لنا الباطل وتصدونا عن الحق وقال الحسن في قوله تعالى (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي والله يأتيه عند كل خير
يريده فيصد عنه ، وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير ورددتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذي
أمرنا به ، وقال يزيد الرمثي (1) من قبل لا إله إلا الله وقال خفيف يعنون من قبل ميامنهم ، وقال عكرمة (إنكم
كنتم تأتوننا عن اليمين) قال من حيث تأمنكم .

وقوله تعالى (فقلوا بل لم تكونوا مؤمنين) تقول القادة من الجن والإنس لا اتباع ما الأمر كما تزعمون بل كانت
قوا بكم منكرا للإيمان قابلة للكفر والعصيان (وما كان لنا عليكم من سلطان) أي من حجة على صفة مادعونكم إليه (بل كنتم
قوما طاعين) أي بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلم هذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءكم به الأنبياء وأقاموا لكم الحجج
على صحة ما جاءكم به فخالفتهم (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون * فأعويناهم * إنا كنا غاوين) يقول الكبراء للمستضعفين حققت
علينا كلمة الله إنا من الأشقياء الناقضين للعذاب يوم القيامة (فأعويناهم) أي دعوناكم إلى الضلالة (إنا كنا غاوين) أي
فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا ، قال الله تبارك وتعالى (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون) أي الجميع في النار كل
بحسبه (إنا كذلك نفعل بالجrimين * إنهم كانوا) أي في الدار الدنيا (إذ أقبل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أي يستكبرون
أن يقولوها كما يقولها المؤمنون قال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا الليث عن ابن
مسافر يعني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه
إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » وأما الله تعالى في كتابه وذكر قوما استكبروا فقال تعالى (إنهم كانوا
إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا
حماد عن سعيد الجريري عن أبي العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله
وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال
لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون

ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال . قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير . قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم ، فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعم أنه لا عدل له . قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجي الله المؤمنين (ويقولون أننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) أى أنحن ترك عرادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى تسكبديا لهم وردا عليهم (بل جاء بالحق) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق فى جميع شرعة الله تعالى له من الاخبار والطلب (وصدق المرسلين) أى صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة ، والمناهج السيئة ، وأخبر عن الله تعالى فى شرعه وأمره كما أخبروا (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) الآية

(إِنَّكُمْ لَذَاقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمَ * وَمَا تَجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْأَخْلَاصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ * فَوَاكِهٌ وَهُمْ مُكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * وَعِنْدَهُمْ قَصْرَاتُ الْطَّرْفِ عَيْنٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّسْكُونٌ)

يقول تعالى مخاطبا للناس إنكم لذاقوا العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون (ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى (والمصر إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال عز وجل (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم نجى الذين آمنوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وقال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) ولهذا قال جل وعلا ههنا (إلا عباد الله المخلصين) أى ليسوا يندوقون العذاب الأليم ولا يناقشون فى الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التمتع . وقوله جل وعلا (أولئك لهم رزق معلوم) قال قتادة والسدى يعنى الجنة ثم فسره بقوله تعالى (فواكه) أى متنوعة (وهم مكرمون) أى يخدمون ويرفون ويممرون (فى جنات النعيم * على سرر متقابلين) قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض . وقال ابن أبى حاتم حدثنا يحيى بن عبدك التزويى حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرظى عن سعيد بن شريح عن زيد بن أبى أوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية (على سرر متقابلين) ينظر بعضهم إلى بعض حديث شريف . وقوله تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين * بياض لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) كما قال عز وجل فى الآية الأخرى (يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون) نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التى فى خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقل تعالى هاهنا (يطاف عليهم بكأس من معين) أى بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم : خمر جارية بياض أى لونها مشرق حسن بهى لا كخمر الدنيا فى منظرها البشع الردى من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفّر الطبع السليم . وقوله عز وجل (لذة للشاربين) أى طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا فى جميع ذلك وقوله تعالى (لا فيها غول) يعنى لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما نقله شمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مايتها ، وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروى هكذا عن

ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدي لا تغتال عقولهم كما قال الشاعر :
فما زالت الشكاس تغتالنا * وتذهب بالأول الأول

وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى ، والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن ، وقوله تعالى (ولا هم عنها يزفون) قال مجاهد لا تذهب عقولهم وهكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبي مسلم الخراساني والسدي وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس في الحجر أربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فذكر الله تعالى حُر الجنة فزهرها عن هذه الخصال كذا ذكر في سورة الصافات وقوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أي عفيفات لا ينظرون إلى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقاتدة والسدي وغيرهم . وقوله تبارك وتعالى (عين) أي حسان العين وقيل ضحان العين وهو يرجع إلى الأول وهي النجلاء العيلاء فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا في يوسف عليه الصلاة والسلام حين حملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمته وأكبرته وظن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت (فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي هو مع هذا الجمال عفيف تقى تقى وهكذا الحور العين (خيرات حسان) ولهذا قال عز وجل (وعندهم قاصرات الطرف عين) وقوله جل جلاله (كأنهن بيض مكنون) وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان قال علي بن أبي طاحه عن ابن عباس رضي الله عنهما (كأنهن بيض مكنون) يقول الأوّل المكنون وينشدهم نابت أي دهبل الشاعر وهو قوله في قصيدة له وهي زهراء مثل لؤلؤة القو * أص ميزت من جوهر مكنون

وقال الحسن (كأنهن بيض مكنون) يعني محصون لم تمسه الأبدى ، وقال السدي : البيض في عشه مكنون وقال سعيد بن جبير (كأنهن بيض مكنون) يعني بطن البيض وقال عطاء الخراساني هو السجاء الذي يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة ، وقال السدي (كأنهن بيض مكنون) يقول يباح البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتناولها الأيدي بخلاف داخلها والله أعلم . وقال ابن جرير حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفي الدمشقي عن عمرو بن هاشم عن ابن أبي كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سامة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل (حور عين) قال « العين الضحان العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) قال « رقهن كرقعة الجملدة التي رأسها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي العرق » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أي حدثنا أبو غسان النهدي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا حزنوا ، وأنا ناشيهم إذا حبسوا لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا فخر ، يطوف على ألف خادم كأنهن البيض المكنون - أو الأوّل المكنون - ، والله تعالى أعلم بالصواب .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۖ يَقُولُ أَأُنْكَاحُ لِّمَنِ الْمَصْدُوقُ ۖ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنْتَا لَمَدِينُونَ ۖ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّطَاعُونَ ۖ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ۖ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتُرْدِينِ ۖ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتَ مِنَ الْمُخْسِرِينَ ۖ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ۖ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۖ ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي عن أحوالهم وكيف كانوا في الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شراهم واجتماعهم في تنادهم ومناشرتهم في مجالسهم وهم جاوس على السرر والخدم

بين أيديهم يسعون ويحيثون بكل خير عظيم من مأكل ومشرب وملابس وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قال قائل منهم إني كان لي قرين) قال مجاهد يعني شيطاناً . وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل المشرک يكون له صاحب من أهل الإيمان في الدنيا ، ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس رضى الله عنهما فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان وكلاماً يتعاونان قال الله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكل منهما يوسوس كما قال الله عز وجل (من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) ولهذا (قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أأنك لمن المصدقين) أي أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعني يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد (أنذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أننا لمدنيون) قال مجاهد والسدى لمحابسون ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومحمد بن كعب القرظي لمجزيون بأعمالنا وكلامنا صحيح قال تعالى (قال هل أأنتم مظلومون) أي مشرفون يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وخليد العصري وقنادة والسدى وعطاء الخراساني يعني في وسط الجحيم ، وقال الحسن البصري في وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد ، وقال قتادة ذكر لنا أنه اطلع فرأى حجاجهم القوم تنلى ، وذكر لنا أن كعب الأحبار قال في الجنة كوى إذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فيها فازداد شكراً (قال تالله إن كدت لتردين) يقول المؤمن مخاطباً للكافر والله إن كدت لتهلكني لو أطعته (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) أي ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت محضر معك في العذاب ولكنه تفضل علي ورحمي فهداني للإيمان وأرشدني إلى توحيد (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) . وقوله تعالى (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدين) هذا من كلام المؤمن مغتبطاً نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة في دار السكرام بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل (إن هذا هو الفوز العظيم) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطهراني حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) قال ابن عباس رضى الله عنهما قوله عز وجل (هنيئاً) أي لا يموتون فيها فعندها قالوا (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدين) وقال الحسن البصري : علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه فقالوا (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعدين) قيل لا (قالوا إن هذا هو الفوز العظيم) وقوله جل جلاله (لمثل هذا فليعمل العاملون) قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة ، وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصبروا إليه في الآخرة وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين في بنى إسرائيل تدخل في ضمن عموم هذه الآية الكريمة ، قال أبو جعفر بن جرير حدثني إسحاق بن إبراهيم ابن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خفيف عن فرات بن ثعلبة الهرازي في قوله (إني كان لي قرين) قال إن رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة ، فقال الذي له حرفة للآخر ليس عندك حرفة ما أراني إلا مفارقتك ومقامك فقاسمه وفارقه ثم إن الرجل اشترى داراً بألف دينار كانت للملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار ؟ قال ما أحسنها ، فلما خرج قال اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإني أسألك داراً من دور الجنة فتصدق بألف دينار ، ثم مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ، ثم إنه تزوج بامرأة بألف دينار فدعا وصيه له طعاماً فلما أتاه قال إني تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انفرد قال يارب إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار وإني أسألك امرأة من الخور العين فتصدق بألف دينار ، ثم إنه مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفي دينار ثم دعا فأراه فقال إني ابتعت هذين البستانين بألفي دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب إن صاحبي قد اشترى بستانين بألفي دينار وأنا أسألك بستانين في الجنة فتصدق بألفي دينار ، ثم إن الملك أتاهما فتوقاهما ثم انطلق

بهذا المصدق فأدخله داراً تعجبه وإذا بامرأة تطلع بضيء ما تحتها من حسناتها ثم أدخله بستانين وشيئاً الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة قال فانه كان لي صاحب يقول أثبتك لمن المصدقين قيل له فانه في الجحيم قال هل أتم مطلعون ؟ فاطلع قرآه في شواء الجحيم فقال عند ذلك (تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربي لسكنة من المحضرين) الآيات قال ابن جرير وهذا يقوى قراءة من قرأ (أثبتك لمن المصدقين) بالتشديد ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الأبار أخبرنا أبو حفص قال سألت إسماعيل السدي عن هذه الآية (قال قائل منهم إني كان لي قرين * يقول أثبتك لمن المصدقين) قال فقال لي ما ذكره هذا قلت قرأته آنفاً فحبيت أن أمألك عنه فقال : أما فاحفظ ، كان شريكاً في بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ثم افترقا فمكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك ؟ أضربت به شيئاً أتجرت به في شيء ؟ فقال له المؤمن لا فإما صنعت أنت ؟ فقال اشتريت به أرضاً ونخلًا وتمرًا وأنهاراً بألف دينار - قال - فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم ، قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعهما بين يديه ثم قال : اللهم إني أشتري منك هذه الألف دينار أرضاً ونخلًا وتمرًا وأنهاراً في الجنة - بألف دينار ثم يموت غداً ويتركها ، اللهم إني أشتري منك هذه الألف دينار أرضاً ونخلًا وتمرًا وأنهاراً في الجنة - قال : ثم أصبح فقسمها في المساكين - قال - ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شيء ؟ أتجرت به في شيء ؟ فقال له المؤمن لا فإما صنعت أنت ؟ قال كانت ضيقت قد اشتد علي مؤنتها فاشتريت رقيقاً بألف دينار يقومون لي فيها ويعملون لي فيها فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم - قال - فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعهما بين يديه ثم قال اللهم إني أشتري منك هذه الألف دينار أرضاً ونخلًا وتمرًا وأنهاراً في الجنة - بألف دينار ثم يموت غداً فيتركها أو يموتون فيتركها ، اللهم إني أشتري منك هذه الألف دينار رقيقاً في الجنة - قال - ثم أصبح فقسمها في المساكين - قال - ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت في مالك أضربت به في شيء ؟ أتجرت به في شيء ؟ قال لا فإما صنعت أنت ؟ قال كان أمري كله قد تم إلا شيئاً واحداً فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقته ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلي فلما انصرف أخذ الألف دينار الباقية فوضعهما بين يديه وقال اللهم إني أشتري منك هذه الألف دينار أرضاً ونخلًا وتمرًا وأنهاراً في الجنة - بألف دينار ثم يموت غداً فيتركها أو يموتون فيتركها ، اللهم إني أشتري منك هذه الألف دينار حوراء عتقاء في الجنة - قال - ثم أصبح فقسمها بين المساكين - قال - فبقي المؤمن ليس عنده شيء . قال فلبس قميصاً من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مراً فجعله على رقبة يسهل الشيء ويخفف الشيء بقوته . قال فجاءه رجل فقال له يا عبد الله أتواجرنى نفسك مشاهرة شهراً بشهر تقوم على دواب لي تملأها وتنكس سرقينها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة شهراً بشهر يقوم على دوابه ، قال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه فإذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرقت شحير هذه البارحة قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لأتينا شريكى الكافر فلأعملن في أرضه فليطعمني هذه الكسرة يوم ما يوم ويكسوني هذين الثوبين إذا بليا ، قال فانطلق يريد فالتقى إلى باب وهو محبس فإذا قصر مشيد في السماء وإذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لي على صاحب هذا القصر فانكم إذا فعلتم سره ذلك ، فقالوا له انطلق إن كنت صادقاً فتم في ناحية فإذا أصبحت فتمرض له . قال فانطلق المؤمن فألقى نصف كسائه تحتة ونصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتمرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقه عليه وسلم عليه وصافحه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت ؟ قال بلى قال وهذه حالي وهذه حالك ؟ قال بلى قال أخبرني ما صنعت في مالك ؟ قال لا تسألني

عنه ، قال فما جاء بك ؟ قال جئت أعمل في أرضك هذه فتطعمني هذه الكسرة يوما ويوم وتكسوني هذين الثوبين إذا بلبسا ، قال لا ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك قال أقرضته قال من ؟ قال الملىء الوفى قال من ؟ قال الله ربى قال وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قال (أثبتك لمن المصدقين * أثبتنا متنا وكنا ترابا وعظاما أثبتنا لمدينون) قال السدى محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه ، قال فلما رآه المؤمن وليس يلوى عليه رجع وتركه يعيش ، للمؤمن في شدة من الزمان ويعيش الكافر في رخاء من الزمان قال فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول لمن هذا ؟ فيقال هذا لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملى أن أتاب بمنل هذا ؟ قال ثم يمر فإذا هو برقيق لا يخصى عدهم فيقول لمن هذا ؟ فيقال هؤلاء لك ، فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملى أن أتاب بمنل هذا قال ثم يمر فإذا هو بقبة من يا قوته حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضلى عملى أن أتاب بمنل هذا ، قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول (إني كان لى قرين * يقول أثبتك لمن المصدقين * أثبتنا متنا وكنا ترابا وعظاما أثبتنا لمدينون) قال فالجنة عالية والنار هاوية قال فيريه الله تعالى شريكه في وسط الجحيم من بين أهل النار فإذا رآه المؤمن عرفه فيقول (تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربى لسكنت من الحضرين * أفما نحن بميتين إلا مو تبتنا الأولى وما نحن بمعدين * إن هذا لمو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العامون) بمنل ما قدم من عليه ، قال فيتنهكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت

(أذلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّمَا شَجَرَةُ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَانْهَمُّهُمْ لَّا يَكُونُوا مِنْهَا فَمَا لُتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ يُرْعَوْنَ)

يقول الله تعالى لهذا الذى ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من اللذخير ضيافة وعطاء (أم شجرة الزقوم) أى التى فى جهنم وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم إنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار فى الجنة إلا وفيها منها غصن ، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للأكلىين) يعنى الزيتون ويؤيد ذلك قوله تعالى (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لا تكونون من شجر من زقوم) وقوله عز وجل (إنا جعلناها فتنه للظالمين) قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فافتن بها أهل الضلالة وقالوا صاحبكم ينبسكم أن فى النار شجرة والنار تأكل الشجر فأمر الله تعالى (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) غذيت من النار ومنها خلقت . وقال مجاهد (إنا جعلناها فتنه للظالمين) قال أبو جهل لعنه الله إنما الزقوم البحر والزبد أتزقه قلت ومعنى الآية إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبأوا نخبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب كقوله تبارك وتعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة المأمونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) . وقوله تعالى (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى أصل منبتها فى قرار النار (طالعها كأنه رؤوس الشياطين تبشيع لها وتكرهه لله كرها . قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة إلى السماء ، وإنما شبهها برؤوس الشياطين) وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر فى النفوس أن الشياطين قبيحة النظر ، وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات رؤوسها بشعة ، وقيل جنس من النبات طلعها فى غاية الفحاشة وفى هذين الاحتمالين نظر ، وقد ذكرها ابن جرير والأول أقوى وأولى والله أعلم . وقوله تعالى (فانهم لا يكونون منها فمالئون منها البطون) ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التى لا أشبع منها ولا أقبح من منظرها مع ما هى عليه من سوء الطعم والريح

والطبع فانهم ليضطرون إلى الأكل منها لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو في معناها كما قال تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريح * لا يسمعون ولا يغنى من جوع) وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال « اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معاشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟ » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذي حسن صحيح وقوله تعالى (ثم إن لهم عليها شوباً من حميم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني شرب الحميم على الزقوم ، وقال في رواية عنه شوباً من حميم ، مزجاً من حميم ، وقال غيره يعني مزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروعهم وعيونهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي حدثنا بقة بن الوليد عن صفوان بن عمرو وأخبرني عبيد بن بشير عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول « يقرب - يعني إلى أهل النار - ما في تكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن رافع حدثنا يعقوب ابن عبد الله عن جعفر وهار بن عنترة عن سعيد بن جبير قال إذا جاع أهل النار استغنوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن ماراً مر بهم يعرفهم لعرفهم بوجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمل وهو الذي قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي سقطت عنها الجلود ويسهر ما في بطونهم فيمشون تسيل أمعاؤهم وتنساق جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حiale يدعون بالبور وقوله عز وجل (ثم إن مرجعهم ل إلى الجحيم) أي ثم إن مرجعهم بعد هذا الفصل إلى نار تتأجج وجحيم تتوقد وسعير تتوهج فتارة في هذا وتارة في هذا كما قال تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) هكذا تلاقدة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوى ، وقال السدي في قراءة عبد الله رضي الله عنه (ثم إن مقيليهم إلى الجحيم) وكان عبد الله رضي الله عنه يقول والذي نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار ، ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) وروى الثوري عن ميسرة عن النبال بن عمرو عن أبي عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه قال : لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل هؤلاء ويقبل هؤلاء قال سفيان أراه ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً) ثم إن مقيليهم إلى الجحيم قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة لحبر على خبر وقوله تعالى (إنهم ألغوا آباءهم ضالين) أي إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ، ولهذا قال (فهم على آثارهم يرجعون) قال مجاهد شبهة بالمرولة ، وقال سعيد بن جبير يسفون

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿

يجز تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجهلون مع الله آلهة أخرى ، وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذر ينذرون بأس الله ويحذرونهم سطوته وقمته من كفر به وعبد غيره وأنهم تبادوا على مخالفة رسالهم وتكذيبهم فأهلك الكذابين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين)

﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَمَّعَ الْمُجِيبُونَ ﴾ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَمَامِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع بين ذلك مفصلاً فذكر نوحاً عليه الصلاة والسلام وما لقي من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول العدة لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه أنى مغاوب فالتضرع ، فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ، ولهذا قال عز وجل (ولقد نادانا نوح فلنعم المحييون) أى فلنعم المحييون له (ونجيناه وأهله من السركب العظيم) وهو التكذيب والأذى (وجعلنا ذرية هم الباقين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما يقول : لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تبارك وتعالى (وجعلنا ذرية هم الباقين) قال الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام ، وقد روى الترمذى وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وجعلنا ذرية هم الباقين) قال سام وحام ويافث وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضى الله عنه أن نبي الله ﷺ قال « سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم » ورواه الترمذى عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة به ، قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر ، وقد روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، والمراد بالروم ههنا هم الروم الأول وهم اليونان المنتسبون إلى رومي بن ليطى بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : ولد نوح عليه السلام ثلاثة : سام ويافث وحام ، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة وأجوج ومأجوج ، وولد حام القبط والسودان والبربر وروى عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم . وقوله تبارك وتعالى (وتركناه عليه في الآخرين) قال ابن عباس رضى الله عنهما يذكر خير ، وقال مجاهد يعنى إسان صدق للأنبياء كلهم ، وقال قتادة والسدى أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين . قال الضحاك السلام والثناء الحسن ، وقوله تعالى (سلام على نوح في العالمين) مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجليل والثناء الحسن أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم (إنا كذلك نجزي المحسنين) أى هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله تعالى نجعل له إسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته في ذلك ثم قال تعالى (إنه من عبادنا المؤمنين) أى المصدقين الموحدين الموقنين (ثم أغرقنا الآخرين) أى أهلكتناهم فلم تبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لَأِبراهيمَ ﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴾ أُنْفُسَكَ ءَالِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (وإن من شيعته لإبراهيم) يقول من أهل دينه ، وقال مجاهد على منهجه وسنته (إذ جاء ربه بقلب سليم) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى شهادة أن لا إله إلا الله . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت لحمد بن سيرين ما القلب السليم ؟ قال يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، وقال الحسن : سليم من الشرك وقال عروة لا يكون لمانا وقوله تعالى (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ولهذا قال عز وجل أنفسكا آلهة دون الله تريدون ﴿ فما ظنكم برب العالمين ﴾ قال قتادة يعنى ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عبدتموه غيره

﴿ فَتَقَارَظُوا فِي النُّجُومِ ﴾ فَقَالَ إِنِّي سَمِيعٌ ﴿ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴾ وَفَرَّغَ إِلَى ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ

مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ * قَرَأَ عَلَيْهِمْ مَرَبًّا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا أَبْنِئْنَا قَالَتْ قُوَّةُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ)

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم في البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم فانه كان قد أزعج خروجهم إلى عيدهم فأحب أن يخجل بأهلهم ليكسرهما فقال لهم كلاما هو حق في نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه (فتولوا عنه مدبرين) قال قتادة والعرب تقول لمن تمسك بنظر في النجوم ، يعني قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يابهم به فقال (إني سقيم) أى ضيف ، فأما الحديث الذى رواه ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثني هشام عن محمد عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين في ذات الله تعالى ، قوله إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله في سارة هى أختي » فهو حديث مخرج في الصحيح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله حاشا وكلا ولما ، وإنما أطلق الكذب على هذا تجاوزا وإنما هو من المعارض في الكلام لمقصد شرعى ديني كما جاء في الحديث « إن في المعارض لمدحوعة عن الكذب » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن علي بن زيد بن جندعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في كلمات إبراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التى قال ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى (فقال إني سقيم) وقال (بل فعله كبيرهم هذا) وقال الملك حين أراد امرأته هى أختي . قال سفيان في قوله (إني سقيم) يعنى طمأنين وكانوا يفرون من المظنون فأراد أن يخجل بأهلهم ، وكذا قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (فنظر نظرا في النجوم فقال إني سقيم) فقالوا له وهو في بيت آلهتهم : أخرج فقال إني مبطون فتركوه مخافة الطاعون . وقال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجما طلع فقال (إني سقيم) كابد نبي الله عن دينه (فقال إني سقيم) . وقال آخرون (فقال إني سقيم) بالنسبة إلى ما يستقبل يعنى مرض الموت ، وقيل أراد (إني سقيم) أى مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى ، وقال الحسن البصري : خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال (إني سقيم) وجعل ينظر في السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها ، رواه ابن أبي حاتم ، ولهذا قال تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أى ذهب إليها بعد ما خرجوا في سرعة واختفاء (فقال ألا تأكلون ؟) وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبرك لهم فيه . قال السدي : دخل إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة فإذا هم في بهو عظيم وإذا مستقبل باب الهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب الهو وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدي الآلهة وقالوا إذا كان حين نرجع وقد بركت الآلهة في طعامنا أكلناه ، فلما نظر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال (ألا تأكلون * ما لكم لا تَنْطِقُونَ) وقوله تعالى (قَرَأَ عَلَيْهِمْ ضَرَبًا بِالْيَمِينِ) قال الفراء معناه مال عليهم ضربا باليمين . وقال قتادة والجوهري فأقبل عليهم ضربا باليمين . وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأكسى ولهذا تركهم جذازا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون كما تقدم في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك وقوله تعالى ههنا (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) قال مجاهد وغير واحد أى يسرعون ، وهذه القصة ههنا مختصرة وفي سورة الأنبياء مبسطة فانهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستملوا فعرفوا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذى فعل ذلك . فلما جاءوا ليما تبرؤه أخذ في تأنيبهم وعيهم فقال (أتعبدون ما تَنْحِتُونَ) أى تعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تَنْحِتُونَهَا وتعملونها بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) يستدل أن تكون ما مصدرية فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم ، ويحتمل أن تكون بمعنى الذى تقديره والله خلقكم والذى تعملونه وكلا القولين متلازم والأول أظهر لما رواه البخارى في كتاب أفعال العباد عن علي بن المديني عن مروان بن معاوية عن أبي مالك عن ربهى بن حراش عن حذيفة رضى الله عنه مرفوعا قال « إن الله تعالى يصنع كل حائج وصنعه »

وقرأ بعضهم (والله خلقكم وما تعملون) فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليدوا القهر فقالوا (ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم) وكان من أمرهم ما تقدم بيانه في سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاة الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها ولهذا قال تعالى (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين)

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴾ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُنِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَاسَبْتُ أَفْعَلُ مَا تَأْمُرُ سَيِّدِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم عليه السلام إنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعد ما شاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال (إنني ذاهب إلى ربِّي سيِّدين * رب هب لي من الصالحين) يعني أولادا مطيعين يكونون عوضا من قومه وعشيرته الذين فارقه ، قال الله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فإنه أول ولد بشره إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل في نص كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن الله تبارك وتعالى أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيدته وفي نسخة أخرى بكره فأقبحوا ههنا كذبا وبهتاننا إسحاق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم وإيماننا وإسحاق لأنه أبوه وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذي ليس عندك غيره فإن إسماعيل كان ذهاب به وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فإنه لا يقال وحيدك إلا لمن ليس له غيره ، وأيضا فإن أول ولد له معزة مالم يس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار . وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذي يسح هو إسحاق وحكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أيضا وليس ذلك في كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلما من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فإنه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذي يسح ثم قال بعد ذلك (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا (إنا نبشرك بغلام عليم) . وقال تعالى (فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) أى يولد له في حياتهما ولد يسحى يعقوب فيكون من ذريته يعقوب ونسل وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد ههنا أن يؤمر بذبحه وهو صغير لأن الله تعالى قد وعدهما بأنه سيحب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا وإسماعيل وصف ههنا بالحليم لأنه مناسب لمكان المقام . وقوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) أى كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشى معه ولقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب في كل وقت يتفقد ولده وأم ولده يلاذ فاران وينظر في أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعا إلى هناك والله أعلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراساني وزيد بن أسلم وغيرهم (فلما بلغ معه السعى) بمعنى شب وارتحل وأطلق ما يفعله أبوه من السعى والعمل (فلما بلغ معه السعى) قال يابن أنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى (قال عبيد بن عمير رؤيا الأنبياء وحى ثم تلا هذه الآية) (قال يابن أنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) . وقد

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو عبد الملك السكندر بن حذافا بن عيينة عن إسرائيل بن يونس عن سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رؤيا الأنبياء في المنام وحى » ليس هو في شيء من الكتب البتة من هذا الوجه وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى امض لما أمرك الله من ذبحي (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) أى سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عز وجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ولهذا قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) . قال تعالى (فلما أسأما وتله للجبين) أى فلما تشهدا وذكر الله تعالى إبراهيم عليهما السلام والولد شهادة الموت وقيل أسما يعنى استسما وانقادا ، إبراهيم امتثل أمر الله تعالى وإسماعيل طاعة لله ولأبيه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى وابن إسحاق وغيرهم ، ومعنى تله للجبين أى صرعه على وجهه ليندبجه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة (وتله للجبين) أكبه على وجهه . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم النبوى عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعى فسأله فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ثم عرض له عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات ثم عرض له على إسماعيل عليه الصلاة والسلام فقبض أبيض فقال له يا أبت إنه ليس لى ثوب تسكفنى فيه غيره فآخذه حتى تسكفنى فيه فماله ليخلعه فنودى من خلفه (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا أن نتبع ذلك الضرب من الكباش ، وذكر هشام الحديث في المناسك بطوله . ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره إلا أنه قال إسحاق فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تسمية النبي صلى الله عليه وسلم وإسماعيل لما سبأى بيانه إن شاء الله تعالى . وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن جعفر بن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال خرج عليه كبش من الجنة قدرعى قبل ذلك أربعين خريفاً فأرسل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه واتبع الكبش فأخرجه إلى الجرة الأولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فجعأ إلى الجرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فألقى به المنحر من مقي فذبحه فوالله نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعنى يبس . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرنا القاسم قال اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبي دعوة مستجابة وإنى قد خبات دعوتى شفاعاً لأمتى يوم القيامة » فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم قال فذاك أبى وأمى - أو فداه أبى وأمى - أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟ إنه لما أرى ذبح ابنه إسحاق قال الشيطان إن لم أقتن هؤلاء عند هذه لم أقتنهم أبداً فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليندبجه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب إبراهيم بابنك ؟ قالت غدا به لبعض حاجته قال فإنه لم يعد به حاجة إنما ذهب به ليندبجه قالت ولم يندبجه ! قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب الشيطان في أثرهما فقال لا علم أين يذهب بك أبوك ، قال لبعض حاجته قال فإنه لا يذهب بك حاجة ولكنه يذهب بك ليندبجك قال ولم يندبجنى ؟ قال يزعم أن ربه أمره بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره بذلك ليقول قال فيس منه فتركه وحلق إبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال أين غدوت بابنك ، قال الحاجة قال فانك لم تندبه بالحاجة وإنما غدوت به لندبته قال

ولم أذبحه ؟ قال تزعم أن ربك أمرك بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمرني بذلك لأفعلن قال فتركه وبش أن يطاع
وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال إن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن
جارية الثقفي أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة فذكره بطوله وقال في آخره وأوحى الله تعالى إلى إسحاق أني أعطيتك
دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق اللهم إني أدعوك أن تستجيب لي أيما عبد لفيك من الأولين والآخرين لا يشرك
بك شيئاً فأدخله الجنة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الوزير الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « إن الله تبارك وتعالى خيرني بين أن يغفر لي نصف أمي وبين أن يجيب شفاعتي فأخترت شفاعتي ورجوت أن تكفر
ألحم لأمتي ولولا الذي سبقني إليه العبد الصالح لتمجعت فيها دعوتي إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبيح
قيل له يا إسحاق سل تعط فقال أما والذي نفسي بيده لأتمجعتها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئاً
فاغفر له وأدخله الجنة » هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشي أن يكون
في الحديث زيادة مدرجة وهي قوله إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق إلى آخره والله أعلم فهذا إن كان محفوظاً
فالأشبه أن السياق إنما هو عن إسماعيل وإنما حرفوه بإسحاق حسداً منهم كما تقدم وإلا فالمناسك والذبايح إنما
محلهما من أرض مكة حيث كان إسماعيل لا إسحاق فإنه إنما كان ببلاد كنعان من أرض الشام . وقوله تعالى
(وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أي قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح وذكر السدي
 وغيره أنه أمر السكينة على رقبته فلم تقطع شيئاً بل حال بينهما وبينه صفحة من نحاس ونودي إبراهيم عليه الصلاة والسلام
 عند ذلك (قد صدقت الرؤيا) . وقوله تعالى (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره
 والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً كقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل الله له مخرجاً ويرزقه من حيث
 لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) وقد استدل بهذه الآية
 والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التحكم من الفعل خلافاً لطائفة من المعتزلة والدلالة من هذه
 ظاهرة لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبيح ولده ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفساد وإنما كان
 المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبيح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى (إن هذا لهو البلاء
 المبين) أي الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبيح ولده فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله تعالى متقاداً لطاعته
 ولهذا قال تعالى (وإبراهيم الذي وفى) . وقوله تعالى (وفديناه بذبيح عظيم) قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي
 عن أبي الطفيل عن علي رضي الله عنه (وفديناه بذبيح عظيم) قال بكبش أبيض أعين أقرون قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل
 وجدوه مربوطاً بسمرة في ثبير ، وقال الثوري أيضاً عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس
 رضي الله عنهما قال كبش قد رعى في الجنة أربعين خريفاً . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن يعقوب
 الصنار حدثنا داود الطمار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الصخرة التي بعث بأصل
 ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم فداءً لإسحاق ابنه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرون له ثناء فذبحه وهو الكبش الذي قرب
 ابن آدم فتقبل منه فسكان مخزونا حتى فدى به إسحاق ، وروى أيضاً عن سعيد بن جبيرة أنه قال كان الكبش يرتع في الجنة
 حتى شفق عنه ثبير وكان عليه عهن أسحر ، وعن الحسن البصري أنه كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير
 وقال ابن جرير قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام ، وقال مجاهد ذبحه بمى عند النحر . وقال هشيم عن ميار عن عكرمة عن
 ابن عباس رضي الله عنهما كان أفعى الذي جعل عليه نذراً أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل . ثم قال بعد ذلك لو كنت
 أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشاً فإن الله تعالى قال في كتابه (وفديناه بذبيح عظيم) والصحيح الذي عليه الأكثر
 أنه فدى بكبش وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى (وفديناه بذبيح عظيم) قال وعل وقال محمد بن إسحاق
 بن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدى إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير .

وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه ، وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي ﷺ ؟ قال : قال لي رسول الله ﷺ « إني كنت رأيت قرني السكبش حين دخلت البيت فليست أن أمرك أن تخمرهما فخرهما فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي » قال سفيان لم يزل قرنا السكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فان قرشا توارثوا قرني السكبش الذي فدى به إبراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم

﴿ فصل في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الديبج من هو ﴾

﴿ ذكر من قال هو إسحاق عليه الصلاة والسلام ﴾ قال حمزة الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال : قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملك في وجهه ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب بن الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله ، وقال الثوري عن أي سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب يقولون يا لله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فبم قالوا ذلك ؟ قال « إن إبراهيم لم يبدل في شيء قط إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جاد لي بالديبج وهو خير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زدت به بلاد زادتني حسن ظن » . وقال شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ذلك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله . وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق ، وعن أبيه العباس وعلى ابن أبي طالب مثل ذلك ، وكذا قال عكرمة ومسيب بن جبير ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهرى والقاسم بن أبي برزة ومكحول وعثمان بن أبي حنيفة والسندي والحسن وقائدة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير ، وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق ، وهكذا روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهرى عن أبي سفيان عن العلاء بن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فانه لما أسلم في الدولة العمورية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده وتداول ما عنده عنه عنها وسميتها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرق واحد مما عنده وقد حكى البغوي القول بأنه إسحاق عن عمر وعلى وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار ومسيب بن جبير وقائدة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهرى والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث أو ثبت لقنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح منه . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال هو إسحاق في إسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث . وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سامة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ، ثم قال قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم

﴿ ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح المقطوع به ﴾ قد تقدمت

الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال مسعود بن جبير وعاصم الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال المفدى إسماعيل

عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود ، وقال إسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
الذبيح إسماعيل وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد هو إسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهزيان وقال الشعبي هو إسماعيل
عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكعبش في الكعبة . وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن
الحسن البصري أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل عليه السلام قال ابن إسحاق وسمعت
محمد بن كعب القرظي وهو يقول ان الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنيه إسماعيل وإسماعيل ذلك في كتاب الله
تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة الذبوح من ابني إبراهيم قال تعالى (وبشرناه بإسحاق
نبيا من الصالحين) ويقول الله تعالى (فبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) يقول ابن أبي نجيح فلم يكن
ليأمره بذبح إسحاق وله فيه من الوعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه إلا إسماعيل قال ابن إسحاق سمعته يقول ذلك
كثيرا ، وقال ابن إسحاق عن بريدة بن سفيان الأسدي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه وهو خليفة أذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا شيء ما كنت أنظر فيه واني لأراه كما
قلت ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن
عبد العزيز رضي الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أي ابني إبراهيم أمر بذبحه
فقال إسماعيل والله يأمر المؤمنين وإن يهود تعلم بذلك ولست بهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبائكم الذي كان
من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يحسدون ذلك ويؤمنون أنه إسحاق لأن إسحاق
أبوم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله
سألت أبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد . وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي
يقول الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام قال وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد
ابن المسيب وسعيد بن جبيرة والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح
رضي الله عنهم أنهم قالوا الذبيح إسماعيل . وقال البغوي في تفسيره واليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب
والسدي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والسكفي وهو رواية عن ابن عباس
وحسبك أيضا عن أبي عمرو بن السلاء . وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار
الرازقي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبد الله بن محمد العتيبي من
ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح
إسماعيل أو إسحاق فقال علي الحنظلي سقطتم كنا عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فقال يا رسول الله عبد علي
بما آفأ الله عليك يا ابن النبي فضحك رسول الله ﷺ فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان ؟ فقال إن
عبد المطلب لما أمر بخبر زعم نذرته إن سهل الله له أمرها عليه لينبئ أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه
أخواله وقالوا أفد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني إسماعيل . وهذا حديث غريب جدا وقد رواه
الأدوي في معانيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي
حدثنا عبيد الله بن محمد العتيبي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية
رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره ، كذا كتبه من نسخة مغاولة وإنما عول ابن جرير في اختياره
أن الذبيح إسحاق على قوله تعالى (فبشرناه بإسحاق) فجعل هذه البشارة هي البشارة بإسحاق في قوله تعالى (وبشره
بإسلام عام) وأجاب عن البشارة بيقين بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ، ومن الممكن أنه قد كان ولده أولاد
مع يعقوب أيضا قال وأما القرآن اللذان كانا مملكين بالسكبة فمن الجائز أنها نكلا من بلاد كنعان قال وقد تقدم أن
من الناس من ذهب إلى أنه ذبيح إسحاق هناك ، هذا ما استدل عليه في تفسيره وليس ما ذهب إليه مذهب ولا لازم بل هو بعيد
جدا والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم وقوله تعالى (وبشرناه

باسحق نبياً من الصالحين) لما تقدمت البشارة بالديسح وهو إسماعيل عطف بذكر البشارة بأخيه إسحق وقد ذكرت في سورتي هود والحجر، وقوله تعالى (نبيا) حال مقدرة أى سبب من نبي صالح . وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما الديسح إسحق قال وقوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال بشر بنوته قال وقوله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته . وحدثنا ابن عبد الأهل حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال إنما بشر به نبياً من الصالحين قال إنما بشر به نبياً حين فداء الله عز وجل من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان الثوري عن داود عن عكرمة عن ابن عباس (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال بشر به حين ولد وحين نبيء وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال بعد ما كان من أمره لما جاد الله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل (وباركنا عليه وعلى إسحاق) وقوله تعالى (وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) كقوله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب ألیم)

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْبَرُوا هُمُ الْفَٰلِغِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ * وَهَدَّيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهم من قهر فرعون وقومه وما كان يعتد في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الأبناء واستحياء النساء واستعذابهم في أخس الأشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فقبلوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جموع طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء) وقال عز وجل ههنا (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) أى في الأقوال والأفعال (وتركنا عليهما في الآخرين) أى أبقينا لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنًا ثم فسره بقوله تعالى (سلام على موسى وهارون) إنا كذلك نجزي المحسنين إنيهم من عبادنا المؤمنين

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ * اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَسَكَدَ بُعْدُهُ فَاثْنُمُ لَمُحَضَّرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال قتادة وسعد بن إسحق يقال إلياس هو إدريس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبيدة بن مسعود رضى الله عنه قال : إلياس هو إدريس ، وكذا قال البخاري وقال وهب بن منبه هو إلياس بن نسي بن فتاح بن الميرار بن هارون بن عمران بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل عليهم السلام وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه ، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتدوا واستبدوا على ضلالهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطار ثلاث سنين ثم سألوهم أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه الإيمان به إن هم أصابهم المطر ، فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث فاستمروا

على أخت ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله أن يقبضه إليه ، وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهما الصلاة والسلام فأمر الياس أن يذهب إلى مكان كذا وكذا فلهما جاءه فليركبه ولا ينهبه فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش ، وكان يطير مع اللائكة ملكا إنسيا سماويا أرضيا هكذا يحكه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته (إذا قال لقومه ألا تتقون) أى ألا تخافون الله عز وجل في عبادتكم غيره (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى بعلا يعنى ربا . قال عكرمة وقتادة وهى لغة أهل اليمن ، وفى رواية عن قتادة قال : وهى لغة أزد شنوءة . وقال ابن إسحق أخبرنى بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعلا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبد به أهل مدينة يقال لها بعلبك غربى دمشق ، وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه . وقوله تعالى (أتدعون بعلا ؟) أى أنعبدون صنما (وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين) أى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له . قال الله تعالى (فكذبوه فانهم لمحضرون) أى للعذاب يوم الحساب (إلا عباد الله الخاصين) أى الواحد من منهم وهذا استثناء منقطع من مثبت . وقوله تعالى (وتركنا عليه فى الآخرين) أى ثناء جميلا (سلام على إلياسين) كما يقال فى إسماعيل إسماعين وهى لغة بنى أسد ، وأنشد بعض بنى تميم فى ضب صاده

يقول رب السوق لما جينا * هذا ورب البيت اسرائينا

وقال ميكال وميكائيل وميسكائن وإبراهيم وإبراهيم وإسرائيل وإسرايين وطور سيناء وطور سينين وهو موضع واحد وكل هذا سائغ وقرا آخرون (سلام على إدراسين) وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ، وآخرون (سلام على آل ياسين) يعنى آل محمد عليه السلام ، وقوله تعالى (إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين) قد تقدم تفسيره والله أعلم

﴿ وَإِنْ لَوْطًا لَّيْمَنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ * وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه بعثه إلى قومه فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فانها هلكت مع من هلك من قومها فان الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل عذابهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح وجعلها بسيل مقيم يمر بها المسافرين ليلا ونهارا ولهذا قال تعالى (وإنكم لتمررون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون) أى أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها .

﴿ وَإِنْ يُوسُفَ لَيَمَنَّ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَّيْمَتْ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَتَأَمَّنُوا فَمَزَّجْنَاهُمُ إِلَى حِينٍ ﴾

قد تقدمت قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فى سورة الأنبياء ، وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « ما ينهى لبيد أن يقول أنا خير من يوسف بن مرق » ونسبه إلى أمه وفى رواية إلى أبيه . وقوله تعالى (إذ أبق إلى الفلك المشحون) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الموقر أى الممارء بالأمثلة (فساهم) أى قارع (فكان من المدحضين) أى المغاوين ، وذلك أن السفينة تلعب بها الأمواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى فى البحر لتخفف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام ثلاث

مرات وهم يظنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقى نفسه وهم يأبون عليه ذلك ، وأمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها . ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي فقام فصلى في بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب اخرجني من هذا مكانك مسجدا في موضع لم يلفه أحد من الناس ، واختلفوا في مقدار ما لبث في بطن الحوت قليل ثلاثة أيام قاله قتادة ، وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضي الله عنه ، وقيل أربعين يوما قاله أبو مالك ، وقال مجاهد عن الشعبي : التقمه ضحي ولنظفه عشية ، والله تعالى أعلم بمقدار ذلك ، وفي شهر أُمّية بن أبي الصلت

وأنت بفضل منك نجيت يونساً وقد بات في أضفاف حوت ليلال

وقوله تعالى (فاولا أنه كان من المسبحين) * لبث في بطنه إلى يوم يبعثون) قيل لولما تقدم له من العمل في الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو المالية ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقد ورد في الحديث الذي سنورده إن شاء الله تعالى ما يدل على ذلك إن صح الخبر ، وفي حديث عن ابن عباس « تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة » . وقال ابن عباس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدي والحداد وقتادة (فاولا أنه كان من المسبحين) يعني المصلين ، وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك ، وقال بعضهم كان من المسبحين في جوف أبيه ، وقيل المراد (فاولا أنه كان من المسبحين) هو قوله عز وجل (فتأدى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) * فاستجبت له ونجّيته من الغم وكذلك نجّيت المؤمنين) قاله سعيد بن جبير وغيره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو بصير أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه - ولا أعلم أنسا إلا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ « ان يونس النبي عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت فقال اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة نحن بالعرش ، قالت الملائكة يارب هذا صوت ضيف معروف من بلاد بعيدة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك ؟ قالوا يارب ومن هو ! قال عز وجل عبد يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة ، قالوا يارب أولا ترحم ما كان يصنع في الرخاء فتجبه في البلاء ، قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالراء » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به ، زاد ابن أبي حاتم قال أبو بصير حميد بن زيد فأخبرني ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : طرح بالراء وأثبت الله عز وجل عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة ، قال شجرة الباء . قال أبو هريرة رضي الله عنه : وهى الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض - أو قال هشاش الأرض - قال فتشبع عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أُمّية بن أبي الصلت في ذلك بيتا من شعره وهو :

فأنبت يقطيناً عليه برحمة من الله لولا الله ألقى ضاحيا

وقد تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسندا مرفوعا في تفسير سورة الأنبياء ، ولهذا قال تعالى (فنبدناه) أى ألقيناه (بالراء) قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره وهى الأرض التي ليس بها نبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن فأنه أعلم (وهو سقيم) أى ضعيف البدن ، قال ابن مسعود رضي الله عنه كهيئة القرح ليس عليه ريش ، وقال السدي كهيئة الصبي حين يولد وهو للنفوس . وقاله ابن عباس رضي الله عنهما وابن زيد أيضا (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله بن طاوس والسدي وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغير واحد قالوا كلهم يقطين هو القرح . وقال هشيم عن القاسم بن أبي أيوب عن سعيد بن جبير وكل شجرة لاساق لها فهي من اليقطين وفي رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها فهي من اليقطين ، وذكر بعضهم في القرح فوائده منها سرعة نباته وتظليل ورقه لشجرة

ونعمته وأنه لا يقربها الدباب وجودة تغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئاً ومطبوخاً بلبه وقشره أيضاً وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء ويتبعه من حواشي الصحفة . وقوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إنما كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام بعد ما نبذته الحوت ، رواه ابن جرير حدثني الحارث حدثنا أبو هلال عن شهر به ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد أرسل إليهم قبل أن يلتقمه الحوت ﴿ قلت ﴾ ولما منع أن يكون الذين أرسل إليهم أولاً أمر بالعود إليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم وآمنوا به ، وحكى البغوي أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيدون وقوله تعالى (أو يزيدون) قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عنه : بل يزيدون وكانوا مائة وثلاثين ألفاً وعنه مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفاً وعنه مائة ألف وبضعة وأربعين ألفاً والله أعلم وقال سعيد بن جبير يزيدون سبعين ألفاً وقال مكحول كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيراً يحدث عمن سمع أبا العالية يقول حدثني أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) قال يزيدون عشرين ألفاً ورواه الترمذي عن علي بن حجر عن الوليد بن مسلم عن زهير عن رجل عن أبي العالية عن أبي بن كعب به وقال غريب . ورواه ابن أبي حاتم من حديث زهير به . قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول في ذلك معناه إلى المائة الألف أو كانوا يزيدون عندهم يقول كذلك كانوا عندهم ، ولهذا سلك ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) وقوله تعالى (إذا فريق منهم يمشي كالناس كخشية الله أو أشد خشية) وقوله تعالى (فسكان قاب قوسين أو أدنى) المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد . وقوله تعالى (فآمنوا) أي فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل إليهم يونس عليه السلام جميعهم (فآمنوا إلى حين) أي إلى وقت آجالهم كقوله جلّت عظمتهم (فأولاً كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتناهم إلى حين)

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْسَهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتُ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَاسَتْ الْجَنَّةُ لَكُمْ لَمَحْضَرُونَ * سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿

يقول تعالى منكرًا على هؤلاء المشركين في جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أي من الذكور أي يودون لأنفسهم الجيد (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) أي يسوؤه ذلك ولا يختار لنفسه إلا البنين ، يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذي لا يختارونه لأنفسهم ولهذا قال تعالى (فاستفتهم) أي سلهم على سبيل الإنكار عليهم (أرباك البنات ولهم البنون) كقوله عز وجل (ألكم الذكر وله الأنثى ، * تلك إذا قسمة ضيزى) . وقوله تبارك وتعالى (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) أي كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث ، وما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إِنَاثًا) شاهدوا خلقهم مستكتبين شهادتهم ويستأثرون أي يستأثرون عن ذلك يوم القيامة . وقوله جلّت عظمتهم (أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْسَهِمْ) أي من كذبهم (لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهِ) أي صدر منه الولد (وإنهم لكاذبون) فذكر الله تعالى عنهم في الملائكة ثلاثة أقوال في غاية الكفر والسكذب ، فأولاً جعلوا لله بنات الله فجعلوا لله ولداً تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوه من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف

في التخليد في نار جهنم . ثم قال تعالى : منكرهم عليهم (أصطفى البنات على البنين) أى أى شيء يحمله عن أن يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل (أفأصفاكم ربكم بالبنين) واتخذ من الملائكة إناثا ؟ إنكم لتقولون قولا عظيما) ولهذا قال تبارك وتعالى (ما لكم كيف تحكمون) أى ما لكم عقول تتدبرون بها ما تقولون (أفلا تدكرون) أم لكم سلطان مبين) أى حجة على ما تقولونه ، (فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين) أى هاتوا برهاننا على ذلك يكون مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه فإن ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل بل لا يجوز العقل بالحكمة . وقوله تعالى (وجهاوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد : قال المشركون للملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضى الله عنه فمن أمهاتهن ، قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد علمت الجنة) أى الذين نسبوا إليهم ذلك (إنهم لمحضرون) أى إن الذين قالوا ذلك لمحضرون في العذاب يوم الحساب لكنهم في ذلك وافترائهم وقولهم الباطل بلا علم ، وقال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (وجهاوا بينه وبين الجنة نسبا) قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، حكاه ابن جرير وقوله جلست عظمته (سبحانه الله عما يصفون) أى تعالى وتقدس وتزده عن أن يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون المحدثون علوا كبيرا . وقوله تعالى (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع وهو من مثبت إلا أن يكون الضمير في قوله تعالى (عما يصفون) عائد إلى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبي مرسل ، وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى (إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين) وفي هذا الذى قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاهِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ قَتَامٌ مَعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ * وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُوا * لَوْ أَنَّا عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا للمشركين (فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاهين إلا من هو صال الجحيم) أى إنما يتقاد لقاتلكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرى للنار (لهم قلوب لا يفقهون بها) ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) فهذا الضرب من الناس هو الذى يتقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى (إنكم لفي قول مختلف يؤفك عنه من أفك) أى إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل ، ثم قال تبارك وتعالى منزلها للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله (وما منا إلا له مقام معلوم) أى له موضع مخصوص في السموات ومقامات العبادات لا يتجاوز ولا يتعداه وقال ابن عساكر في ترجمته لمحمد بن خالد بسنده إلى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله ﷺ قال يوما لجلسائه « أطبت السماء وحق لها أن تثط ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكم أو ساجد » ثم قرأ ﷺ (وما منا إلا له مقام معلوم) وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) وقال الضحاك في تفسيره (وما منا إلا له مقام معلوم) قال كان مسروق يروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك شاجد أو قائم » فذلك قوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) .

وقال الأعمش عن أبي إسحق عن مسروق عن ابن عباس رضى الله عنه قال : إن في السموات أسماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جهة ملك أو قدماء ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه (وما منا إلا له مقام معلوم) وكذا قال سعيد بن جبير وقال قتادة كانوا يهلون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت (وما منا إلا له مقام معلوم) فقدم الرجال وتأخر النساء

(وإنا لنحن الصافون) أى تقف صفوفًا في الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى (والصافات صفًا) قال ابن جرير عن الوليد بن عبد الله بن أبي مغيث قال كانوا لا يصفون في الصلاة حتى نزلت (وإنا لنحن الصافون) فصفوا وقال أبو نضرة كان عمر رضى الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قالوا أقيموا صفوفكم استووا قياما يريد الله تعالى بكم هدى الملائكة ثم يقول (وإنا لنحن الصافون) تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيسكب . رواه ابن أبي حاتم وابن جرير ، وفي صحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « فضلنا على الناس ثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجدا ، وتربتها طهورا » الحديث (وإنا لنحن المسبحون) أى لمصطفى فنسبح الرب ونمجده ونقدس ونزهره عن النقائص فنحن عبيد له فقراء إليه خاضعون لديه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد (وما منا إلا له مقام معلوم) الملائكة (وإنا لنحن الصافون) الملائكة (وإنا لنحن المسبحون) الملائكة نسبح الله عز وجل . وقال قتادة (وإنا لنحن المسبحون) يعنى المصابون يشيتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم أنى آله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) . وقوله جل وعلا (وان كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكننا عباد الله المخلصين) أى قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكركهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الأولى ويأتهم بكتاب الله كما قال جل جلاله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا) وقال تعالى (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكننا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فن أنظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها مستعزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) ولهذا قال تعالى هاهنا (فكفروا به فسوف يعلمون) وعيد أكيد ونهيد شديد على كفرهم بربهم عز وجل وتكذيبهم رسولهم ﷺ

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَعِندَآ يَتَسَوَّجُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أى تقدم في الكتاب الأول أن العاقبة للرسول وأتباعهم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ولهذا قال جل جلاله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون) أى في الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونهى عباده المؤمنين (وان جندنا لهم الغالبون) أى تكون لهم العاقبة . وقوله جل وعلا (فتول عنهم حتى حين) أى اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فانا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ، ولهذا قال بعضهم غيا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضا في معناها ، وقوله جلت عظمتها (وأبصرهم فسوف يبصرون) أى انظرهم وارقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد (فسوف يبصرون) ثم قال عز وجل (أفعبادنا يستعجلون) أى هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فان الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويهمل لهم العقوبة ومع هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة . قال الله تبارك وتعالى (فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المندرين) أى فإذا نزل العذاب بمحلتهم قبئس ذلك اليوم يومهم

بأهلاكم ودمارهم ، وقال السدي (فإذا نزل بساحتهم) يعني بدارهم (فساء صباح المنذرين) أى قبئس ما يصبحون أى بئس الصباح صباحهم . ولهذا ثبت في الصحيحين من حديث إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال : صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخميس فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ورواه البخاري من حديث مالك عن حميد عن أنس رضى الله عنه . وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي طلحة رضى الله عنه قال : لما صبح رسول الله ﷺ خيبر وقد أخذوا مساحيم وغدوا إلى حروثهم وأرضيهم ، فلما رأوا النبي ﷺ نكصوا مدبرين فقال نبي الله ﷺ « إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » لم يخرجوه من هذه الوجه وهو صحيح على شرط الشيخين . وقوله تعالى (وتول عنهم حتى حين) وأبصر فسوف يبصرون) تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبَّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدها ويرفعها عما يقول الظالمون المكذبون المعتدون تعالى وتنزهه وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة) أى ذى العزة التى لا ترام (عما يصفون) أى عن قول هؤلاء المعتدين القترين (وسلام على المرسلين) أى سلام الله عليهم فى الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه فى ربهم وصحته وحقيقته (والحمد لله رب العالمين) أى له الحمد فى الأولى والآخرة فى كل حال ، ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثبات الكمال كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما فى هذا للوضع وفى مواضع كثيرة من القرآن ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ، وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم على المرسلين فإنا أنا رسول من المرسلين هكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سعيد عنه كذلك ، وقد أسنده ابن أبي حاتم رحمه الله فقال حدثنا على بن الحسين بن الجعيد حدثنا أبو بكر الأعمش ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قال حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم على المرسلين » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا نوح (١) حدثنا أبو هارون عن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يسلم قال « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » ثم يسلم إسناده ضعيف . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطي حدثنا شاذان عن يونس ابن أبي إسحاق عن الشعبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) وسلام على المرسلين » والحمد لله رب العالمين () وروى من وجه آخر متصل موقوف على علي رضى الله عنه قال أبو محمد البغوى فى تفسيره أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم . الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهاويه حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن ثابت بن أبي صفية عن الأصبغ بن نباتة عن علي رضى الله عنه قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه فى مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وروى الطبراني من طريق عبد الله ابن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال دبر كل صلاة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد أكتال

(١) فى النسخة المكية : فرج .

بالجرب الأولى من الأجر » وقد وردت أحاديث في كفارة المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . وقد أفردت لها جزءا على حدة فلتكتب ها هنا إن شاء الله تعالى . آخر تفسير سورة الصافات والله أعلم

﴿ تفسير سورة ص وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَعَلَىٰ حِينٍ مِّنَاصٍ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته هنا . وقوله تعالى (والقرآن ذى الذكر) أى والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للهدى ونفع لهم فى المعاش والمعاد قال الضحاك فى قوله تعالى (ذى الذكر) كقوله تعالى (لقد أنزلنا إليك كتابا فيه ذكركم) أى تذكريكم وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير . وقال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبيرة وإسماعيل بن أبى خالد وابن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدى (ذى الذكر) ذى الشرف أى ذى الشأن والمسكنة ، ولا منافاة بين القولين فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والاعتذار والإنذار واختلفوا فى جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) وقيل قوله تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) حكاهما ابن جرير وهذا الثانى فيه بعد كبير وضيقه ابن جرير ، وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا فى عزة وشقاق (واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه (ص) بمعنى صدق حق (والقرآن ذى الذكر) وقيل جوابه ما تضمنه سياق السورة بكلماتها والله أعلم ، وقوله تبارك وتعالى (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) أى إن فى هذا القرآن لكى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر ، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم (فى عزة) أى استكبار عنه وحمية (وشقاق) أى ومخالفة له ومماندة ومفارقة ، ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزلة من السماء ، فقال تعالى (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أى من أمة مكذبة (فنادوا) أى حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك بمجد عنهم شيئا كما قال عز وجل (فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون) أى يهربون (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أنترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) قال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن التميمى قال ؟ سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى (فنادوا ولات حين مناص) قال ليس بحين نداء ولا نزول ولا فرار : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس بحين مناص وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد * تذكر لى لات حين تذكر * وقال محمد بن كعب فى قوله تعالى (فنادوا ولات حين مناص) يقول نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستنصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم ، وقال قتادة لما رأوا العذاب أرادوا التوبة فى غير حين النداء ، وقال مجاهد (فنادوا ولات حين مناص) ليس بحين فرار ولا إجابة وقد روى نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبيرة وأبى مالك والضحاك وزيد بن أسلم والحسن وقتادة ، وعن مالك عن زيد بن أسلم (ولات حين مناص) ولا نداء فى غير حين النداء ، وهذه الكلمة وهى لات هى لا التى للنفى زيدت معها التاء كما تزدق ثم فيقولون ثم تروى فىقولون ربت وهى مفصولة والوقف عليها ، ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيأذ كره ابن جرير أنها متعالة بيمين ولا تحين مناص والمشهور الأول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز التعصب بها وأنشد

تذكر سب لى لات حينا * وأنصحنى الشيب قد قطعت القرينا

ومنهم من جوز الجربا وأنشد

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجينا أن ليس حين بقاء

وأنشد بعضهم أيضا * ولات ساعة مندم *
بخفض الساعة وأهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولات حين مناص)
أي ليس الحين حين فرار ولا ذهاب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلْ آلَ اللَّهِ إِلَهًا وَإِلَهًُا وَاحِدًا إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ * وَأَنْطَلِقَ الْأَسَلَاءُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهِتِكُمْ إِنَّا هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلِئَةِ إِلَّا خَيْرَةً إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ * أَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ * أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَانْزِقُوا فِي الْأَسْبَابِ * جُنْدٌ مِمَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الشركين في تعجبهم من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا كما قال عز وجل
(أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) وقال جل وعلا ههنا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أي بشر مشاهيرهم وقال الكافرون
(هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحداً) أي أزعهم أن للعبود واحد لا إله إلا هو ۝ أنكر المشركون ذلك فبعثهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فانهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب * وانطلق للأسلأ منهم) وهم ساداتهم وقادتهم ورؤسائهم وكبرائهم قائلين (امشوا) أي استمروا على دينكم (واصبروا على آلهتكم) ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه شتم من التوحيد ، وقوله تعالى (إن هذا لشيء يراد) قال ابن جرير إن هذا الذي يدعوننا إليه شتم صلى الله عليه وسلم من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم أتباع ولنا نجييه إليه . (ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريعات) قال السدي إن ناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والحاص بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى أبي طالب فلنكلمه فيه فليضعفنا منه فليكشف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذي يعبده فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا إليه شيء فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأضعفنا من ابن أخيك فمره فليكشف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه ، قال فبعث إليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك أن تكشف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإهلك قال صلى الله عليه وسلم « يا أبا طالب ادعهم إلى ما هو خير لهم ، » قال وإلام تدعوهم ، قال صلى الله عليه وسلم « ادعهم أن يسلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويسلموا بها العجم » فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ما هي وأياك لنعطيكها وعشر أمثالها قال صلى الله عليه وسلم « تقولون لا إله إلا الله » فنهروا وقالوا مثلنا غيرها قال صلى الله عليه وسلم « لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ماسألتكم غيرها » فقاموا من عنده غضاباً وقالوا والله لنشتمنك وإهلك الذي أمرك بهذا (وانطلق للأسلأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد) ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه إلى قول لا إله إلا الله فأبى وقال بل على دين الأشياخ ونزلت (إنك لا تهدي من أحببت) . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالوا حدثنا أبو أسامة

حدثنا الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من فريش فيهم أبو جهل فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت إليه فيه فبعث إليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قد رجع رجل قال فخشى أبو جهل لعنه الله إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلسا قرب عنه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أي ابن أخي ما بال قومك يشكوكك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ قال وأكثروا عليه من القول وتشكروا رسول الله ﷺ فقال « يا عم إنني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى إليهم بها العجم الجزية » فزعروا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأيكم عسرا فقالوا وما هي ، وقال أبو طالب وأي كلمة هي يا ابن أخي ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله » فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون (أجعل الآلهة لها واحدا إن هذا شيء عجاب) قال ونزلت من هذا الوضع إلى قوله (بل لا يذوقوا عذاب) لفظ أبي كريب وهكذا رواه الإمام أحمد والنسائي من حديث محمد بن عبد الله بن نعيم كلاهما عن أبي أسامة عن الأعمش عن عباد غير منسوب به نحوه ، ورواه الترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير أيضا كلهم في تفاسيرهم من حديث سفيان الثوري عن الأعمش عن يحيى بن عمار الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر نحوه . وقال الترمذي حسن وقولهم (ماسمعنا بهذا في ليلة الآخرة) أي ماسمعنا بهذا الذي يدعوننا إليه محمد من التوحيد في الليلة الآخرة . قال مجاهد وقتادة وأبو زيد يعنون دين قريش وقال غيرهم يعنون النصرانية قاله محمد بن كعب واللسدي وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما ماسمعنا بهذا في الليلة الآخرة يعني النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن حقا لأخبرتنا به النصارى (إن هذا إلا اختلاق) قال مجاهد وقتادة كذب وقال ابن عباس تخرص وقولهم (أ أنزل عليه الذكر من بيننا) يعني أنهم يستبعدون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قال في الآية الأخرى (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) قال الله تعالى (أم هم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ولهذا لما قالوا هذا الذي دل على جهلهم وقلة عقولهم في استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم . قال الله تعالى (بل لا يذوقوا عذاب) أي إنا يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا إلى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى وقمته سيعلمون غيب ما قالوا وما كذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . نعم قال تعالى مبينا أنه المتصرف في ملكه الفعال لما يشاء الذي يعطي من يشاء ما يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدي من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله ، وإن العباد لا يملكون شيئا من الأمر وليس لهم من التصرف في الملك ولا مثقال ذرة وما يملكون من قطمير . ولهذا قال تعالى منكرا عليهم (أم عندهم خزان رحمة ربك العزيز الوهاب) أي العزيز الذي لا يرام جنبه الوهاب الذي يعطي ما يريد لمن يريد ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نفيرا) أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سميرا) وقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكنكم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا) وذلك بعد الحساية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشرية صلى الله عليه وسلم وكما أخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا (أ ألقى الذكر عليه من بيننا ، بل هو كذاب أشمر) سيملكون غدا من الكذاب الأشمر) وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليزقنوا في الأسباب) أي إن كان لهم ذلك فليصدوا في الأسباب . قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم يعني طرق السماء ، وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصدوا إلى السماء السابعة ثم قال عز وجل (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) أي هؤلاء الجند المكذبون الذين هم في عزة وشقاق مهزومون وينلبون ويكبتون كما كتبت الذين من قبلهم من الأحزاب الكذابين وهذه الآية كقولها جللت عظمتها (أم يقولون

نحن جميع منتصرين يوم بدر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)
 ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَارِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْمَيْمَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ * إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ * وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا مِنْ فَوْقِ * وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ * أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وما حل بهم من العذاب والنكال والفتن في مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد تقدمت قصصهم مبسوطه في أماكن متعددة وقوله تعالى (أولئك الأحزاب) أى كانوا أكثر منك وأشد قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فلما دفع ذلك عنهم من عذاب الله من شيء لما جاء أمر ربك ولهذا قال عز وجل (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر . وقوله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالمها من فوق) قال مالك عن زيد بن أسلم أى ليس لها مثوية أى ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون أى قد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هى نفخة الفزع التى يأمر الله تعالى إسرافيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عز وجل . وقوله جل جلاله (قالوا ربنا عجل لنا قطناً قبل يوم الحساب) هذا إنكار من الله تعالى على المشركين فى دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فان القطن هو الكتان وقيل هو الخط والنسيج قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألوا تعجيل العذاب ، زاد قتادة كما قالوا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقيل سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة ليلقوا ذاك فى الدنيا وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . وقال ابن جرير سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر فى الدنيا وهذا الذى قاله جليل عليه يدور كلام الضحاك وإسماعيل بن أبى خالد والله أعلم ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد . قال الله تعالى لرسوله ﷺ أمراً له بالصبر على أذاهم ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر

﴿ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيدى والأيدى القوة فى العلم والعمل . قال ابن عباس رضى الله عنهما والسدى وابن زيد الأيدى القوة ، قرأ ابن زيد (والسماء بنيانها بأيدى الإناملوسمون) وقال مجاهد الأيدى القوة فى الطاعة . وقال قتادة أعطى داود عليه الصلاة والسلام قوة فى العبادة وفقها فى الإسلام ، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويعصم نصف الدهر ، وهذا ثابت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى وانه كان أواباً » وهو الرجوع إلى الله عز وجل فى جميع أموره وشؤونه . وقوله تعالى (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ) أى أنه تعالى سخر الجبال تسبيح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل (يا جبال أوبي معه والطير) وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيحه إذا مر به الطير وهو ساجد فى أطواء فسبحه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف فى الهواء ويسبح معه ونحيبه الجبال الشاعرات ترجع معه وتسبح تبعاً له . قال ابن

جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بلغه أن أم هانئ رضي الله عنها ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل (يسبحن بالعشي والإشراق) ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي التوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاة عبد الله بن الحارث ابن نوفل أن ابن عباس رضي الله عنهما كان لا يصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانئ رضي الله عنها فقلت أخبرني هذا ما أخبرني فقالت : دخل على رسول الله ﷺ يوم الفتح في بيتي ثم أمر بقاء صب في قصبة ثم أمر بثوب فأخذ بيدي وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجالسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول لقد قرأت ما بين الأوحين ما عرفت صلاة الضحى إلا الآن (يسبحن بالعشي والإشراق) وكنت أقول أين صلاة الإشراق وكان بعد يقول صلاة الإشراق ولهذا قال عز وجل (والطير عشورة) أي عبوسة في الهواء (كل له أواب) أي مطيع يسبح تبعاً له ، قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (كل له أواب) أي مطيع ، وقوله تعالى (وشددنا ملكه) أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه الملوك ، قال ابن أبي نجيع عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطاناً ، وقال السدي كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف ، وقال بعض السلف بلغني أنه كان يحرسه في كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً لا تدور عليهم النوبة إلى مثلها من العام القابل ، وقال غيره أربعون ألفاً مشتملون بالسلاح وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علي بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نقرين من بني إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود عليه الصلاة والسلام أنه اغتصبه بقرأ فأنكر الآخر ولم يكن للمدعى بينة فأرجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام في المنام بقتل المدعى ، فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعى فقال يابني الله علام تقتلني وقد اغتصبني هذا بقري ؟ فقال له إن الله تعالى أمرني بقتلك فأنا قاتلك لا محالة ، فقال والله يابني الله إن الله لم يأمر بك بقتلي لأجل هذا الذي ادعيت عليه وإنني لصادق فيما ادعيت ولكن كنت قد اغتلت أباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل ، قال ابن عباس رضي الله عنهما فاشتدت هيئته في بني إسرائيل وهو الذي يقول الله عز وجل (وشددنا ملكه)

وقوله جل وعلا (وآتيناها الحكمة) قال مجاهد يعني الفهم والعقل والفلطنة ، وقال مرة : الحكمة والعدل ، وقال مرة : الصواب ، وقال قتادة كتاب الله واتباع ما فيه ، وقال السدي (الحكمة) النبوة وقوله جل جلاله (وفصل الخطاب) قال شريح القاضي والشعبي : فصل الخطاب الشهود والأيمان وقال قتادة شاهدان على المدعى أو يمين المدعى عليه هو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذا الأمة إلى يوم القيامة ، وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمي وقال مجاهد والسدي هو إصابة القضاء وفهم ذلك ، وقال مجاهد أيضاً هو الفصل في الكلام وفي الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة النخعي حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال : أول من قال أما بعد : داود عليه السلام وهو فصل الخطاب ، وكذا قال الشعبي فصل الخطاب : أما بعد

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبُوءُ الْكَافِرِينَ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَهْمَانِ بِغِيٍّ عَلَيْنَا بَيْنَنَا بِلَاقٍ وَلَا تَسْطِطُ عَلَيْنَا وَوَدَّعَا إِلَى سَوَاءِ الْمَصْرَاطِ ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِيجَةً وَلِي نَعِيجَةٌ وَاحِدَةٌ قَالُوا كَيْفَ لِي بِهَا وَعِزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِيجَتِكَ إِلَى

نِعَاجِهِ وَإِنْ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَفَعَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَآبٍ ﴿١٠٠﴾

قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضى الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد عليها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى (فنزع منهم) إنما كان ذلك لأنه كان في عرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أى احتاطا به يسألانه عن شأنهما وقوله عز وجل (وعزنى فى الخطاب) أى غلبنى يقال عز يعز إذا قهر وغلب وقوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أى اختبرناه . وقوله تعالى (وخر راكعا) أى ساجدا (وأناب) ويحتمل أنه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك ، وقد ذكر أنه استمر ساجدا أربعين صباحا (ففعرنا له ذلك) أى ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين

وقد اختلفت الأئمة في سجدة من هل هي من عزائم السجود ؟ على قوانين الجديد من مذهب الشافعي رضى الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل هو ابن علي عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال السجدة في ص ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها . ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال النسائي أيضا عند تفسير هذه الآية أخبرني إبراهيم ابن الحسن هو المسمى حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ، إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال : « سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا » ثم دروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات . وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج الزبيدي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو إسحاق المدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفى حدثنا زاهر بن أبي طاهر الشحامى أخبرنا أبو سعيد الكنجى وذى أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد ابن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال : قال لي ابن جريج يا حسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم كأنى أصلى خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت فسجدت الشجرة بسجودى فسمعتها تقول وهى ساجدة : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وضع بها عني وزرا ، واقبلها منى كما قبلتها من عبدك داود . قال ابن عباس رضى الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعتها تقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة ، رواه الترمذي عن قتبية وابن ماجه عن أبي بكر بن خالد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذي غريب لا نرفقه إلا من هذا الوجه . وقال البخاري عند تفسيرها أيضا حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى عن الموام قال سألت مجاهدا عن سجدة من فقال : سألت ابن عباس رضى الله عنهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان) (أولئك الذين هدى الله فبهم أقام القصد) فكان داود عليه الصلاة والسلام من أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن جابر عن ابن عبد الله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضى الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب من فلان بلغ إلى الآية التي يسجد

بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرة انقلب ساجدا قال فقصصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد ، تفرد به أحمد ، وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الجدرى رضى الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال ﷺ « إنما هي توبة نبي ولكني رأيتم تشزنتم » فزله وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح وقوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لتوبته وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا » وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطية عن أبي سعيد الجدرى قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر » ورواه الترمذى من حديث فضيل وهو ابن مرزوق الأغبر عن عطية به ، وقال لا تعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدى اليوم بذلك الصوت الحسن الرحيم الذى كنت تعبدنى به فى الدنيا فيقول وكيف وقد سلمت؟ فيقول الله عز وجل إني أردت عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان

﴿ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فضاوا عن سبيل الله ، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثني ابراهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب أن الوليد بن عبد الملك قال له أيحاسب الخليفة فانك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفتحت فقلت يا أمير المؤمنين أقول : قال قل في أمان الله ، قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ، إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعد في كتابه فقال تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية وقال عكرمة (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا من القدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا ، وقال السدى لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا يوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَنَهَلُوا الصَّلَاحَ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ * كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِّيَذَّبُوا عَنْ يَدَيْهِ وَيَتَذَكَّرُوا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحده ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المذنب ويهذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) أى الذين لا يرون بهما ولا معادا وإنما يستقنون هذه النار فقط (فويل للذين كفروا من النار) أى ويل ليوم معادهم ونشورهم من النار

المعدة لهم ، ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوى بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض * أم نجعل المتقين كالفجار) أى لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فانا نرى الظالم الباغى يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمد فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذى لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا ، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة . ولما كان القرآن يرشد إلى المقام السديد الصحيحة والمآخذ العقلية الصحيحة قال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) أى ذوو العقول وهى الألباب جمع لب وهو العقل ، قال الحسن البصرى والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل . رواه ابن أبي حاتم

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعِشَى الصَّافِيَةِ الْجَبَّادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوَهَا عَلَيَّ فَنَنْفِقَ بِهَا بِسُوقٍ وَالْأَعْنَاقِ ﴾

يقول تعالى محبراً أنه وهب لداود سليمان أى نبيا كما قال عز وجل (وورث سليمان داود) أى في النبوة والإفاد كان له بنون غيره فانه قد كان عنده مائة امرأة حرائر وقوله تعالى (نعم العبد إنه أواب) ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والانابة إلى الله عز وجل . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال ليا بنى ما أحسن؟ قال مكينة الله والإيمان قال فما أقيج؟ قال كفر بعد إيمان قال فما أحلى؟ قال روح الله بين عباده قال فما أبرد؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبى . وقوله تعالى (إذ عرض عليه بالعشى الصافات الجباد) أى إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام في حال مملكته وسلطانه الخيل الصافات قال مجاهد وهى التى تقف على ثلاث وطرף حافر الرابعة والجباد السراع وكذا قال غير واحد من السلف ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشر حدثنا مؤمل حدثنا مفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي في قوله عز وجل (إذ عرض عليه بالعشى الصافات الجباد) قال كانت عشرين فرسا ذات أجنحة كذا رواه ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمي قال كانت الخيل التى شملت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها وهذا أشبه والله أعلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثني عمارة بن غزبة أن محمد بن إبراهيم حدثه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر فبهت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضى الله عنها لمب فقال صلى الله عليه وسلم « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت رضى الله عنها بناتى ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال ﷺ « ما هذا الذى أرى وسطهن ؟ » قالت رضى الله عنها فرس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرس له جناحان ؟ » قالت رضى الله عنها جناحان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرس له جناحان ؟ » قالت رضى الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضى الله عنها فتعجبت صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجزه . وقوله تبارك وتعالى (فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بمرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذى يقطع به أنه لم يتركها عهداً بل نسياناً كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضى الله عنه قال جاء عمر رضى الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فبعل بسب كفار قريش ويقول

يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال قمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . ويحتمل أنه كان سائفا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والحيل تراء للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسافة والمضايقة حيث لا تمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب لأنه قال بعده (ردوها على فطلق مسحا بالسوق والأعناق) قال الحسن البصري لا قال : والله لا تشغلني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعمرت وكذا قال قتادة وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقيها بالسيف ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يسبح أعراف الخيل وعراقيها حبالها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعقوبة وبهلك ما لا من ماله بلا مسبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الرمح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدهماء وكنا يكران السفر نحو البيت قال أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني مما علمه الله عز وجل وقال « إنك لا تدع شيئا انقضاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرا منه »

﴿ وَآتَيْنَا سُلَيْمَانَ وَآلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَخِيذٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُهَرِّجِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْن مَآبٍ ﴿

يقول تعالى (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه بأن سلطنا له الملك (وآلقينا على كرسيه جسدا) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا (ثم أناب) أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأمهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صغرا قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل أصروا قاله مجاهد أيضا وقيل حقيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسولة ومختصرة ، وقد قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له إن شيطاننا في البحر يقال له مسخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين يردّها في كل سبعة أيام مرة فنزع ماءها وجعل فيها خمرًا فجاء يوم ورده فإذا هو بالمرء فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصيبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ، قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصيبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ، قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الحاتم أو ختم به بين كتفيه فقال ، قال وكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمع فيه صوت حديد قال فأتى بيض المدهد فجعل عليه زجاجة فجاء المدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعهما به حتى أفضى إلى بيضة فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يدخل الحلاء أو الحمام لم يدخل بالحاتم فانطلق يوما إلى الحمام ، وذلك الشيطان صغرا منه وذلك

عند مقارفة قارف فيها بعض نساءه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتصمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقعد على كرسیه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نساءه قال فجعل يقضى بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبي الله وكان فيهم رجل يشبهونه بمعر بن الخطاب رضي الله عنه في القوة فقال والله لأجربنه قال: فقال يابني الله وهو لا يرى إلا أنه نبي الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال: لا فبينما هو كذلك أربعين ليلة إذ وجد نبي الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله حتى ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم (وألقينا على كرسیه جسدا) قال هو الشيطان صخر وقال السدي (ولقد فتننا سليمان) أي ابتلينا سليمان (وألقينا على كرسیه جسدا) قال شيطاننا جلس على كرسیه أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهم يقال لها جرادة وهي أثر نساءه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاهها يوما خاتمه ودخل الحلاء ، فخرج الشيطان في صورته فقال هاتي الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذني قبل؟ قال لا وخرج كأنه تائه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماءهم فجاءوا حتى دخلوا على نساءه فقالوا لمن إنا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوق الخاتم منه في البحر فابتاعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو بجائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إني أنا سليمان فقام إليه بعضهم فضربه بعض فشجبه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبه الذي ضربه فقالوا بش ما صنعت حيث ضربته قال إنه زعم أنه سليمان ، قال فأعطوه سمكتين فمأقدهم عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن إحدىهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يمشون فمأقدهم فقال ما أحمذك على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الأمر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجاء به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه بقل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حقيق قال وسخر له الريح ولم تكن مسخرته قبل ذلك وهو قوله (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب)

وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى (وألقينا على كرسیه جسدا) قال شيطاننا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس؟ قال أرني خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقد آصف على كرسیه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولا يقربنه وأنكرته قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفوني؟ أطعموني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع إليه ملكه وفر آصف فدخل البحر . وهنئته كل من الإسرائيليات ، ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وألقينا على كرسیه جسدا ثم أناب) قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الحلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأة وكانت أحب نساءه إليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاتي الخاتم فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الحلاء قال لها هاتي خاتمي قالت قد أعطيتك سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتي أحدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل السليمان يرونه بالحجارة فلما

يا رسول الله والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال فقمتنا إلى بطهان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . ويحتمل أنه كان سائعا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والحيل تراء للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايقة والمضايقة حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرها والأول أقرب لأنه قال بعده (ردوها على فطرق مسحا بالسوق والأعناق) قال الحسن البصري لا قال : والله لا تشغلني عن عبادة ربي آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعمرت وكذا قال قتادة ، وقال السدي : ضرب أعناقها وعراقيها بالسيوف ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيها حبالها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويملك ما لا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظرا لأنه قد يكون في ذرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا ما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التي تجري بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبي قتادة وأبي الدماء وكنا يكثران السفر نحو البيت قال آتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوي أخذ بيدي رسول الله ﷺ فجعل يعلمني بما علمه الله عز وجل وقال « إنك لا تدع شيئا اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرا منه »

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْفِي لِي أَحَدٌ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ * وَءَاخِرِينَ مُهَرَّجِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنْ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنُ مَّآبٍ ﴾

يقول تعالى (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه بأن سلطنا الملك (وألقينا على كرسيه جسدا) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد ومعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعني شيطانا (ثم أناب) أي رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخرا قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل أصروا قاله مجاهد أيضا وقيل حبيق قاله السدي وقد ذكروا هذه القصة مبسطة ومختصرة ، وقد قال معيد بن أبي عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقبل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقبل له إن شيطانا في البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت في البحر عين يردها في كل سبعة أيام مرة فتزج مائها وجعل فيها خمر فجاء يوم ورده فإذا هو بالبحر فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الخمر وتزيدن الجاهل جهلا ، قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاه فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الخمر وتزيدن الجاهل جهلا ، قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه فدل ، قال وكان ملكه في خاتمه فأتى به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعون فيه صوت حديد قال فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى إلى بيضة فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يدخل الحلاء أو الحمام لم يدخل بالحاتم فانطلق يوما إلى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه وذلك

عند مقارفة قارف فيها بعض نساءه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه في البحر فالتصمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقام على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نساءه قال فجعل يقضى بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد قتل نبى الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضى الله عنه في القوة فقال والله لأجربنه قال: فقال يابى الله وهو لا يرى إلا أنه نبى الله أحدنا تصيبه الجنابة في الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال: لا فيينا هو كذلك أربعين ليلة إذ وجد نبى الله خاتمه في بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله حتى ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم (وألقينا على كرسيه جسدا) قال هو الشيطان صخر وقال السدى (ولقد فتنا سليمان) أى ابتلينا سليمان (وألقينا على كرسيه جسدا) قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهم يقال لها جرادة وهى أثر نساءه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاه يوما خاتمه ودخل الحلاء ، فخرج الشيطان في صورته فقال هاى الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال لا وخرج كأنه تائه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلمائهم فجاءوا حتى دخلوا على نساءه فقالوا لمن إنا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم ثشروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوق الخاتم منه في البحر فابتاعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام في حاله التى كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادى البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إني أنا سليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعض فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه فقالوا بش ما صنعت حيث ضربته قال إنه زعم أنه سليمان ، قال فأعطوه سمكتين مما قدمنر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه في بطن إحدىاهما فأخذه فلبسه فرداه عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الأمر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجىء به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى في البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حقيق قال وسخره الريح ولم تكن سخرته قبل ذلك وهو قوله (وهبلى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب)

وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تبارك وتعالى (وألقينا على كرسيه جسدا) قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تقتنون الناس ؟ قال أرئى خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف في البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنه قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفونى ؟ أطمعوني أنا سليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه في بطنه فرجع اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر - وهنذه كاما من الإسرائيليات ، ومن أنكرها ما قاله ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبي شيبة وعلي بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الحلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نساءه إليه فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها هاى خاتمى فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الحلاء قال لها هاى خاتمى قالت قد أعطيتك سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لا يأتى أحدا يقول له أنا سليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما

رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان سلطانته ألقى في قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: أتتكرن من سليمان شيئا ، قلن نعم إنه يأتينا ونحن حيزى وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن أن أمره قد انقطع فكتبوا كتباً فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم أثاروها وقرءوها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالحاتم فطرحه في البحر فتلقته سمكة فأخذته ، وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكة فيه تلك السمكة التي في بطنها الحاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لي هذا السمك ؟ فقال نعم قال بك ؟ قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التي في بطنها الحاتم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فإذا الحاتم في جوفها فأخذه فلبسه ، قال فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بحزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام في طلبه وكان شيطاناً مريداً فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوماً نائماً فجاءوا فبنوا عليه بنياناً من رصاص فامتدق فوثب فجعل لا يثب في مكان من البيت إلا اعطاه معه من الرصاص ، قال فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقر له تحت من رخام ثم أدخل في جوفه ثم سد بالتحاس ثم أمر به فطرح في البحر فذلك قوله تبارك وتعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) يعني الشيطان الذي كان سيطر عليه ، إسناداه إلى ابن عباس رضى الله عنهما قوى ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه ثم ينادون بتكرماً لديه عليه السلام . وقد رويت هذه القصة معطولة عن جماعة من السلف رضى الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكأما متلفاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . وقال يحيى بن أبي عروبة الشيباني : وجد سليمان خاتمه بمسقلان فحشى في حرقه إلى بيت المقدس تواضعا لله عز وجل ، رواه ابن أبي حاتم . وقد روى ابن أبي حاتم عن كعب الأحبار في صفة كرسى سليمان عليه الصلاة والسلام خبراً عجيباً فقال حدثنا أبي رحمه الله حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرني أبو إسحاق المصري عن كعب الأحبار أنه لما فرغ من حديث إرم ذات العماد قال له معاوية يا أبا إسحاق أخبرني عن كرسى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أى شيء هو ، فقال كان كرسى سليمان من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، وقد جعل له درجة منها مفصصا بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكبرى فحفر من جانبيه بالنخل نخل من ذهب شباريهم من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وجعل على رؤوس النخل التي عن يمين الكرى طواويس من ذهب ثم جعل على رؤوس النخل التي على يسار الكرى نسورا من ذهب مقابلة الطواويس ، وجعل على يمين الدرجة الأولى شجرتى صنوبر من ذهب وعن يسارها أسدان من ذهب وعلى رؤوس الأسدين عمودان من زبرجد ، وجعل من جانبي الكرى شجرتى كرم من ذهب قد أدخلنا الكرى وجعل عناقيدهما درا وياقوتا أحمر ، ثم جعل فوق درج الكرى أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرا ، فإذا أراد سليمان عليه السلام أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة ثم يقفان فيضحيان مافي أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسى سليمان عليه الصلاة والسلام ثم يوضع منبران من ذهب واحد خلفه والآخر لرئيس أخبار بني إسرائيل ذلك الزمان ، ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبراً من ذهب يقعد عليها سبعون قاضياً من بني إسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبراً من ذهب ليس عليها أحد فإذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة المنبلى فاستدار الكرى كلها بجاهه وما عليه وييسر له الأمد يده اليمنى ويشر اليسرى جناحه

الأيسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فيبسط الأسديده اليسرى وينشر النسر جناحه الأيمن فإذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فإذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحى السرعة ، فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يديره يا أبا إسحق ؟ قال تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجنى فإذا أحست بدورانه دارت تلك الأسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي دون التي أعلاه فإذا وقف وقمن كلهن منكسات رءوسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينضجن جميعا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام . ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرؤها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس . وذكر تمام الخبر وهو غريب جدا (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) قال بعضهم معناه لا ينبغي لأحد من بعدي أى لا يصلح لأحد أن يسلبني بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقى على كرسيه لا أنه يحجر على من بعده من الناس والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن عندي من الجن تفلت على البارحة - أو كلمة نحوها - لقطع على الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخى سليمان عليه الصلاة والسلام (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) » قال روح فرده خاسئا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن سلمة الماردي حدثنا عبد الله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعه يقول « أعوذ بالله منك - ثم قال - ألعنك بلعنة الله » ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ﷺ « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليحمله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن آخذه والله لولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقا يلعب به صبيان أهل المدينة » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد ثنا مسرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه ققرأ فاتحته عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لورايتموني وإبليس فأهويت يدي فمازلت أخنقه حتى وجدت برد لابه بين أصبعي هاتين - الأبهام والتي تليها - ولولا دعوت أخى سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » وقد روى أبو داود منه « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » عن أحمد بن أبي سريح عن أبي أحمد الزبيري به . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهد وهو محاصر فتي من قريش يزني ويشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث أنه « من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحا ، وإن الشقي من شقي في بطن أمه ، وأنه من أتى بيت المقدس لا تنزهه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه » فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما إنى لا أحل لأحد أن يقول على ما لم أقول ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرب من الخمر شربة لا تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب

تاب الله عليه - قال فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال - فإن عاد كان حقاً على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة » قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل » وسمعت رسول الله ﷺ يقول « إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثاً فأعطاه اثنتين ونحن نرجوا أن تكون لنا الثالثة ، سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فأعطاه إياه وسأله أن لا يخرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد يخرج من خطبته كيوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطانا إياه » وقد روى هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائي وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلافاً ثلاثاً » وذكره وقد روى من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه بإسناد وسياق غريبين . فقال الطبراني حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلاني حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي الزاهرية عن رافع بن خديج قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لي بيتاً في الأرض فبنى داود بيتاً لنفسه قبل البيت الذي أمر به فأوحى الله إليه يا داود نصبت بيتك قبل بيتي قال يا رب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ في بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثاً فشكا ذلك إلى الله عز وجل فقال يا داود إنك لا تصاح أن تبني لي بيتاً قال ولم يا رب ؟ قال لما جرى على يديك من الدماء ، قال يا رب أو ما كان ذلك في هوائك ومحبتك ؟ قال بلى ولكنهم عبادي وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه لا تحزن فاني سأقضي بناءه على يدي ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان في بناءه ولما تم قرب الترابين وذبح الذبائح وجمع بني إسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى سرورك بيني وبينك فسألني أعطك قال أسألك ثلاث خصال حكماً يصادف حكمك ومالكاً لا ينبغي لأحد من بعدى ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه - قال رسول الله ﷺ - أما الثنتان فقد أعطيتهما وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد الجهامي حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه رضي الله عنه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلا استفتح به « سبحان الله ربّي العلي الأعلى الوهاب » وقد قال أبو عبيد حدثنا علي بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن مسبار قال لما مات نبي الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى إلى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام أن سألني حاجتك قال أسألك أن تجعل لي قلباً يخشاك كما كان قلب أبي وأن تجعل قلبي يحبك كما كان قلب أبي فقال الله عز وجل : أرسلت إلى عبدی وسألته حاجته فكانت حاجته أن أجعل قلبه يخشاني وأن أجعل قلبه يحبني ، لأهين له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده . قال الله جل جلاله عظمت (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) والتي بعدها قال فأعطاه ما أعطاه وفي الآخرة لا حساب عليه هكذا أورده أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام في تاريخه ، وروى عن بعض السلف أنه قال بلغني عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال إلهي كن لسليمان كما كنت لي فأوحى الله عز وجل إليه : أن قل لسليمان أن يكون لي كما كنت لي أكن له كما كنت لك . وقوله تبارك وتعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) قال الحسن البصري رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الحيل غنمها لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التي غدوها شهر ورواحها شهر . وقوله جل وعلا (حيث أصاب) أي حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله (والشياطين كل بناء وغواص) أي منهم ما هو مستعمل في الأبنية المسائلة من محاريب وتماثيل وجنان كالجواب وقدور راميات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار يستخرجون ما فيها من اللآلئ والجواهر والأشياء النفيسة التي لا توجد إلا فيها (وآخرين مقرنين في الأصفاد) أي موثوقون في الأغلال والأسكال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء في صنيعه واعتدى . وقوله عز وجل

(هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أى هذا الذى أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فأعط من شئت واحرم من شئت لاحساب عليك أى مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب وقد ثبت في الصحيحين أن رسول صلى الله عليه وسلم لما خير بين أن يكون عبداً رسولاً - وهو الذى يفعل ما يؤمر به وإنما هو قاسم يقسم بين الناس كما أمره الله تعالى به - وبين أن يكون نبياً مسلماً يعطى من يشاء ويمنع من يشاء بالاحساب ولا جناح : اختار المنزلة الأولى بعده استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فاختر المنزلة الأولى لأنها أرفع قدراً عند الله عز وجل وأعلى منزلة في العباد وإن كانت المنزلة الثانية وهى النبوة مع الملك عظمة أيضاً في الدنيا والآخرة ، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً فقال تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى فى الدار الآخرة

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر في جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليماً سوى قلبه ، ولم يبق له من الدنيا شيء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه غنموا من ثمانى عشرة سنة ، وقد كان قبل ذلك فى مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكاملها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضى الله عنها فانها كانت لا تفارقه صباحاً ومساءً إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود إليه قريباً ، فلما طال اللطال ، واشتد الحال ، وانتهى القدر ، وتم الأجل المقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال (إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) وفى هذه الآية الكريمة قال (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسني الشيطان بنصب وعذاب) قيل بنصب في بدني وعذاب في مالي وولدي فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله ففعل فأنبع الله تعالى عيناً وأمره أن يغتسل منها فأذهب جميع ما كان فيه بدنه من الأذى ، ثم أمره فضرِب الأرض في مكان آخر فأنبع له عيناً أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهب جميع ما كان في باطنه من السوء وتكاملت العافية تظاهراً وباطناً ، ولهذا قال تبارك وتعالى (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) قال ابن جرير وابن أبي حاتم جميعاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إن نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان إليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك ؟ قال منذ ثمانى عشرة سنة لم رحمه الله تعالى فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدري ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعا فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا في حق ، قال وكان يخرج إلى حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رآته قالت أى بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى ، فوالله التقدير على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك

إذ كان صحيحاً قال فاني أنا هو قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير حتى فاض هذا لفظ ابن جرير رحمه الله وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بيننا أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحو في ثوبه فتداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يارب ولكن لا غنى بي عن بركتك » انفرد بإخراجه البخاري من حديث عبد الرزاق به ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكري لأولي الألباب) قال الحسن وقتادة أحياء الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم ، وقوله عز وجل (رحمة منا) أي به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكاثته (وذكري لأولي الألباب) أي لأدنى العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والخروج والراحة . وقوله جلت عظمتي (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحث) وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها في أمر فعلته قيل باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربها مائة جلدة ، وقيل لغير ذلك من الأسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حثته ووفى بندره ، وهذا من الفرج والخروج لمن اتقى الله تعالى وأتاب إليه ولهذا قال جل وعلا (إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) أثني الله تعالى عليه ومدحه بأنه (نعم العبد إنه أواب) أي رجاع منيب ؛ ولهذا قال جل جلاله (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل في الإيمان وغيرها . وقد أخذوها بمقتضاها والله أعلم بالصواب

(وَإِذْ كَرَّمْنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * وَإِذْ كَرَّمْنَا إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرُنَا)

يقول تبارك وتعالى مخبراً عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين (واذ كرمنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدي والأبصار) يعني بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة في العبادة والبصيرة النافذة . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (أولى الأيدي) يقول أولى القوة (والأبصار) يقول الفقه في الدين . وقال مجاهد (أولى الأيدي) يعني القوة في طاعة الله تعالى والأبصار يعني البصر في الحق وقال قتادة والسدي أعطوا قوة في العبادة وبصراً في الدين . وقوله تبارك وتعالى (إنا أخلصناهم بخالصة ذكري الدار) قال مجاهد أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدي ذكرهم للآخرة وعملهم لها . وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكريها وأخلصهم بحب الآخرة وذكريها ، وكذا قال عطاء الخراساني . وقال سعيد بن جبير يعني بالدار الجنة يقول أخلصناها لهم بذكريها لها ، وقال في رواية أخرى ذكرى الدار عني الدار ، وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها ؛ وقال ابن زيد جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة ، وقوله تعالى (وإنهم عندنا من المصطفين الأخيار) أي من المختارين المحبوبين الأخيار فهم أخيار مختارون . وقوله تعالى (واذ كرمنا إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة في سورة الأنبياء عليهم

البصالة والسلام بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله عز وجل (هذا ذكر) أى هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر ، وقال السدي
يعنى القرآن العظيم :

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَعَةٍ لَّهُمْ الْأَبْوَابُ * مُتَسَكِّنِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ
كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا
مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾

نحبر تعالى عن عبادته المؤمنين السعداء أن لهم في الدار الآخرة لحسن مآب وهو الرجوع والنقل ثم فسره بقوله
تعالى (جنات عدن) أى جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب والآلف واللام ههنا بمعنى الإضافة كأنه يقول مفتحة لهم
أبوابها أى إذا جاءوها فتحت لهم أبوابها ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن ثواب الهباري حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا
عبد الله بن مسلم يعنى ابن هرمز عن ابن سابط عن عبد الله بن عمرو رضى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ
« إن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والبروج له خمسة آلاف باب عند كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله
سأولا يسكنه - إلا نبي أو صديق أو شهيد أو إمام عدل » وقد ورد في ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه
عديدة . وقوله عز وجل (متسكنين فيها) قيل متربعين على سرر تحت الحجال (يدعون فيها بفاكهة كثيرة) أى مهما
طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا (وشراب) أى من أى أنواعه شاءوا أنهم به الخدام (بأكواب وأباريق وكأس
من معين) (وعندهم قاصرات الطرف) أى عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غيرهن (أتراب) أى متساويات في السن
والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسدي (هذا ما توعدون
ليوم الحساب) أى هذا الذى ذكرنا من صفة الجنة هى التى وعد بها العباد المتقين التى يعيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم
من قبورهم وسلامتهم من النار . ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء
فقال تعالى (إن هذا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) كقوله عز وجل (ما عندكم ينفذ وما عند الله باق) وكقوله جل وعلا (عطاء
غير مجذوذ) وكقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع وكقوله عز وجل (أكلها دائم وظلها تلك عقي
الذين اتقوا وعقي الكافرين النار) والآيات في هذا كثيرة جدا .

﴿ هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَسْأَلُونَ لِمَ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخِرُ
مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَضٍ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ أَنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ
أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسْأَلُ الْقَرَارُ * قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ * وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى
رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * أَتَخَذُونَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء أتى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم في دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل
(هذا وإن للطاغين) وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم (شر مآب) أى لسوء
منقلب ومرجع . ثم فسره بقوله جل وعلا (جهنم يصلونها) أى يدخلونها افتنهم من جميع جوانبهم (فيسألونهم لِمَ هَذَا
فلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ) أما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره ، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذى لا يستطيع
من شدة برده المؤلم ولهذا قال عز وجل (وآخرون من شكله أزواج) أى وأشياء من هذا القبيل : الشئ وضده يعاقبون
بها قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه عن

رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن دلوا من غساق يهراق في الدنيا لأتت أهل الدنيا » ورواه الترمذي عن سويد ابن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به ثم قال لا تعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ، ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث به وقال كعب الأجار : غساق عين في جهنم يسيل إليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمي فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه في كعبيه وعقبه ويجرح لحمه كله كما يجرح الرجل ثوبه ، ورواه ابن أبي حاتم . وقال الحسن البصري في قوله تعالى (وآخر من شكله أزواج) أولان من العذاب ، وقال غيره كالزمهرير والسموم وشرب الخمر وأكل الزقوم والصمود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه وقوله عز وجل (هذا فوج مقتحم معكم لا مرحب بهم إنهم صالوا النار) هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى (كلما دخلت أمة لعنت أختها) يعني بدل السلام يتلاعنون ويتكذبون ويكفرون بعضهم ببعض فتقول الطائفة التي تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التي بعدها مع الحزنة من الزبانية (هذا فوج مقتحم) أي داخل (معكم لا مرحب بهم إنهم صالوا النار) أي لأنهم من أهل جهنم (قالوا بل أنتم لا مرحب بكم) أي فيقول لهم الداخلون (بل أنتم لا مرحب بكم أنتم قدمتموه لنا) أي أنتم دعوتونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير (فبئس القرار) أي فبئس المنزل والمستقر والمصير (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار) كما قال عز وجل (قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار * قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) أي لكل منكم عذاب بحسبه (وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار * اتخذناهم سخريا أم زاجت عنهم الأبصار ؟) هذا إخبار عن الكفار في النار أنهم يعتقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون في زعمهم قالوا مالنا لا نراهم معنا في النار ؟ قال مجاهد هذا قول أبي جهل يقول مالي لا أرى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار * اتخذناهم سخريا) أي في الدار الدنيا (أم زاجت عنهم الأبصار ؟) يسألون أنفسهم بالحال يقولون أولاهم معنا في جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم ، فمعد ذلك يعرفون أنهم في الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين — إلى قوله — ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقوله تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) أي إن هذا الذي أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم في بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ * أَنَسَمُ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِي مِن عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله إنما أنا منذر لست كما تزعمون (وما من إله إلا الله الواحد القهار) أي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه (رب السموات والأرض وما بينهما) أي هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه (العزيز القهار) أي غفار مع عظمته وعزته (قل هو نبأ عظيم) أي خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله تعالى إليي اليك (أنتم عنه معرضون) أي غافلون ، قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله عز وجل (قل هو نبأ عظيم) يعني القرآن . وقوله تعالى (ما كان لي من علم بالملاء الأعلى إذ يختصمون) أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملاء الأعلى ؟ يعني في شأن آدم عليه الصلاة والسلام وامتناع إبليس

من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه . فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا جهضم الجبامي عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن أبي سلام عن أبي سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رضى الله عنه قال احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نترأى قرن الشمس فخرج ﷺ سريعا فثوب بالصلاة فصلى وتجاوز في صلاته فلما سلم قال ﷺ « كما أنتم » ثم أقبل إلينا فقال « إني قتت من الليل فضليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد أتدري فيم يختصم الملائكة الأعلى ، قلت لا أدري يا رب — أعادها ثلاثا — فرأيت في وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدرى فتجلجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملائكة الأعلى : قلت في الكفارات . قال وما الكفارات ، قلت ثقل الأقدام إلى الجماعات والجالوس في المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند السكريات . قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام ، قال سل ، قلت اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفني غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك — وقال رسول الله ﷺ — إنها حق فادرسوها وتعلموها » فهو حديث النام المشهور ، ومن جملة يقطعة فقد غلط وهو في السنن من طرق ، وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذي من حديث جهضم بن عبد الله الجبامي به ، وقال الحسن صحيح وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن فان هذا قد فسر ، وأما الاختصاص الذي في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَتَمَّ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّا خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِّن طِينٍ * قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لعَذَابَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ * لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة وفي أول سورة الأعراف وفي سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهى أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما وإعظاما واحتراما وامتنالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنسا . كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أخرج ما كان إليه فاستكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فانه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين في زعمه ، وقد أخطأ في ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبده الله عز وجل وأرغم الله وطرده عن باب رحمة ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وسماه إبليس إعلاما له بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الخليم الذي لا يعجل على من عصاه . فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطفى وقال (فبِعِزَّتِكَ لَا أَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * الإِعْبَادُ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ) كما قال عز وجل (أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرِهْتَ عَلَى * لئن أخرجتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) وهؤلاء هم المستثنون

في الآية الأخرى وهي قوله تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) وقوله تبارك وتعالى (قال فالحق والحق أقول * لأملئن جهنم منك ويمن تبعك منهم أجمعين) قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحلق الأول وفسره مجاهد بأن معناه أنا الحق والحق أقول وفي رواية عنه . الحق مني وأقول الحق ، وقرأ آخرون بنصبهما قال السدي هو قسم أقسم الله به ﴿ قلت ﴾ وهذه الآية كبقوله تعالى (ولكن حق القول مني لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكقوله عز وجل (قال اذهب فن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا)

﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (إن هو إلا ذكرٌ للعالمين * ولتعلمن نبأه بعد حين) يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء الشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونه من عرض الحياة الدنيا (وما أنا من المتكلفين) أي وما أريد على ما أرسلني الله تعالى به ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لأزيد عليه ولا أقص منه ، وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، قال سفيان الثوري عن الأعمش ومنصور عن أبي الضحى عن مسروق قال : أتينا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقال يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أخرجه من حديث الأعمش به ، وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) يعنى القرآن ذكر لجميع المتكفين من الإنس والجن ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، وروى ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (للعالمين) قال الجن والإنس ، وهذه الآية كقوله تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) وكقوله عز وجل (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقوله تعالى (ولتعلمن نبأه) أي خبره وصدقه (بعد حين) أي عن قريب قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعنى يوم القيامة ، ولا منافاة بين القولين فان من مات فقد دخل في حكم القيامة ، وقال قتادة في قوله تعالى (ولتعلمن نبأه بعد حين) قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين آخر تفسير سورة ص والله الحمد والمنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الزمر وهي مكية ﴾

قال النسائي حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبي لبابة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى تقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى تقول ما يريد أن يصوم ، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة بنى إسرائيل والزمر .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ بِالْحَقِّ فَاَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

يعبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك كما قال عز وجل (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين) وقال تبارك وتعالى (وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال جل وعلا هاهنا (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أي النبي الجناب (الحكيم) أي في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فأعبد الله محمداً له الدين) أى فاعبد الله وحده لا شريك له وأدع الخلق إلى ذلك وأعبدهم أنه لا تصلح العبادة إلا لله وحده وأنه ليس له شريك ولا عدل ولا نديد ولهذا قال تعالى (ألا الله الدين الخالص) أى لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له

وقال قتادة في قوله تبارك وتعالى (ألا الله الدين الخالص) شهادة أن لا إله إلا الله ثم أخبر عز وجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد إلا ليقربونا إلى الله زلفى أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزلة ولهذا كانوا يقولون في تليتهم إذا حجوا في جاهليتهم لييك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهي عنها والدعوة إلى أفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وأخبر أن الملائكة التي في السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ماوكم يشفعون عندهم بغير إذنه فيما أحبه الملوكة وأبوه (فلا تضربوا لله الأمثال) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وقوله عز وجل (إن الله يحكم بينهم) أى يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) أى سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزى كل عامل بعمله (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقوله عز وجل (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) أى لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه ، ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة والمعادنون من اليهود والنصارى في العزيز وعيسى فقال تبارك وتعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصبح له من كل صفة ما يشاء) أى لكان الأمر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عز وجل (لو أردنا أن نتخذ لهم ولاءً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) (قل إن كان للرحمن ولد فأول العالمين) كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم وقوله تعالى (سبحانه هو الله الواحد القهار) أى تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد فإنه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي كل شيء عبد لديه فقير إليه وهو الذي عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْثَمِ ثَمَنِيَّةَ أَرْوَاحٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانْصَرِفُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه الخالق لما في السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقبل ليله ونهاره (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أى يسخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً كقوله تبارك وتعالى (ينشى الليل النهار يطلبه حثيثاً) هذا معنى ما روى عن ابن عباس رضى الله

عنهما ومجاهد وقتادة والسدى وغيرهم . وقوله عز وجل (وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى) أى إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينتهى يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) أى مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه وقوله جلّت عظمته (خلقكم من نفس واحدة) أى خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام (ثم جعل منها زوجها) وهى حواء عليها السلام كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) أى وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهى المذكورة فى سورة الأنعام ، ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وقوله عز وجل (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) أى قدركم فى بطون أمهاتكم (خلقا من بعد خلق) يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فى بطن أمهاتكم (خلقا من بعد خلق) يكون خلقا آخر (فبارك الله أحسن الخالقين) . وقوله جل وعلا (فى ظلمات ثلاث) يعنى فى ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التى هى كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدى وابن زيد . وقوله جل جلاله (ذلكم الله ربكم) أى هذا الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آبائكم هو الرب له الملك والتصرف فى جميع ذلك (لا إله إلا هو) أى الذى لا تنبغى العبادة إلا له وحده لا شريك له (فأتى تصرفون) أى فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يذهب بقولكم ؟

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضَرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغنى عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فإن الله لغنى حميد) وفى صحيح مسلم « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا » . وقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) أى لا يحبه ولا يأمر به (وإن تشكروا يرضه لكم) أى يحبه لكم ويزدكم من فضله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس عن نفس شيئا بل كل مطالب بأمر نفسه (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور) أى فلا تخفى عليه خافية . وقوله عز وجل (وإذا مس الإنسان ضرر دعا ربه منيبا إليه) أى عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) ولهذا قال تبارك وتعالى (ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا إليه من قبل) أى فى حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضرره مر كأن لم يدعنا إلى ضرر مسه) وقوله تعالى (وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله) أى فى حال العافية يشرك بالله ويجعل له أندادا (قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) أى قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلا وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار) وقوله تعالى (نعمتهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ)

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَاتِلُ عِائَةِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾

يقول عز وجل آمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا ، لا يستون عند الله كما قال تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) وقال تبارك وتعالى همنا (آمن هو قاتل عاتاء الليل ساجدا وقائما) أى فى حال سجوده وفى حال قيامه ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع فى الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب إليه آخرون . قال الثورى عن فراس عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : القاتل المطيع لله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن والسدى وابن زيد آناء الليل جوف الليل . وقال الثورى عن منصور بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء ، وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره وقوله تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أى فى حال عبادته خائف راج ولا بد فى العبادة من هذا وهذا وأن يكون الخوف فى مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فإذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الامام عبد بن حميد فى مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو فى الموت فقال له « كيف تجدك ؟ » فقال أرجو وأخاف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الذى يرجو وأمنه الذى يخافه » . ورواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذى غريب ، وقدرناه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ مرسل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن أبي شيبه عن عبيدة الحميري حدثنا أبو خالف بن عبد الله بن عيسى الحراز حدثنا يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر رضى الله عنهما يقرأ (آمن هو قاتل آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قال ابن عمر ذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه وإنما قال ابن عمر رضى الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه بالليل وقراءته حتى إنه ربما قرأ القرآن فى ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضى الله تعالى عنه ، وقال الشاعر ،

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال الامام أحمد كتب إلى الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير ابن مرة عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بمائة آية فى ليلة كتب له قنوت ليلة » وكذا رواه النسائى فى اليوم والليلة عن إبراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به . وقوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) أى هل يستوى هذا والذى قبله ممن جعل لله أندادا ليضل عن سبيله (إنما يتذكر أولو الْأَلْبَاب) أى إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل والله أعلم .

﴿ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * قُلْ إِنِّ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى أمرا عباده المؤمنين بالامستمرار على طاعته وتقواه (قل يا عباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة فى دنياهم وأخرهم ، وقوله (وأرض الله واسعة) قال مجاهد

فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان ، وقال شريك عن منصور عن عطاء في قوله تبارك وتعالى (وأرض الله واسعة) قال إذا دعيت إلى معصيته فاهربوا ثم قرأ (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وقوله وتعالى (وإنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) قال الأوزاعي ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يشرف لهم غرفا ، وقال ابن جريج بأنه أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن يزدون على ذلك ، وقال السدي (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) يعني في الجنة . وقوله (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أي إنما أمرت بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) قال السدي يعني من أمته ﷺ

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبادِ فَاتَّقُونِ ﴿

يقول تعالى قل يا محمد وأنت رسول الله (إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة وهذا شرط ومعناه التريض بغيره بطريق الأولى والأخرى (قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه) وهذا أيضا تهديد وتبر منهم (قل إن الخاسرين) أي إنما الخاسرون كل الخسران (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أي تفارقوا فلا التقاء لهم أبدا وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبواهم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لا اجتماع لهم ولا سرور (ألا ذلك هو الخسران المبين) أي هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم في النار فقال (لهم من فوقهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال) كما قال عز وجل (لهم من جهنم مهاد ، ومن فوقهم غواش وكذلك تجزي الظالمين)

وقال تعالى (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) وقوله جل جلاله (ذلك يخوف الله به عباده) أي إنما يقص خبر هذا السكائن لا محالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم . وقوله تعالى (يا عباد فاتقون) أي اخشوا بأسى وسطونى وعذابى وتقمق

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضى الله تعالى عنهم والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهو لاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم قال عز وجل (فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أي يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة (فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) (أولئك الذين هداهم الله) أي للتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله في الدنيا والآخرة (وأولئك هم أولوا الألباب) أي ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة

﴿ أَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿

يقول تعالى أَمَنْ كَتَبَ الله أنه شقي تقدر تنفذه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أى لا يهديه أحد من بعد الله لأنه

من يضل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضل له . ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا في الجنة وهي القصور أى الشاهقة (من فوقها غرفا مبنية) طباق فوق طباق مبنيات محكمات منخرفات عاليات . قال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثنا عباد بن يعقوب الأمدى ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها » فقال أعرابي لمن هي يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » ورواه الترمذى من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقال حسن غريب . وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن يحيى بن أبي كثير عن ابن معانق أو أبى معانق عن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى بالناس نيام » تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الأشعري عن أبي مالك الأشعري رضى الله عنه به وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة ليتراءون العرفة في الجنة كما تراءون الكوكب في أفق السماء » قال فحدثت بذلك النعمان بن أبي عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول « كما تراءون الكوكب الذى في الأفق الشرقى أو الغربى » أخرجه في الصحيحين من حديث أبي حازم وأخرجه أيضا في الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا فزارة أخبرني فليح عن هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الذى في الأفق الطالع في تفاضل أهل الدرجات - فقالوا يا رسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ - « بلى والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل » ورواه الترمذى عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قال ثنا زهير ثنا سعد الطائى ثنا أبو المدلة مولى أم المؤمنين رضى الله عنها أنها سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قلنا يا رسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقتك أعجبتنا الدنيا وشممتنا النساء والأولاد قال ﷺ « لو أنكم تسكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأ كفهم ولزارتكم في بيوتكم ، ولو لم تذبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كي يفتر لهم » قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ! قال ﷺ « لبنه ذهب ولبنه فضة وملأها المسك الأذفر وحسبائها الأولؤ والياقوت وتراها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على النعمان وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزى لأنصرك ولو بعد حين » وروى الترمذى وابن ماجه بعضه من حديث سعد بن أبي مجاهد الطائى وكان ثقة عن أبي المدلة وكان ثقة به وقوله تعالى (تجرى من تحته الأنهار) أى تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاءوا وأين أرادوا (وعد الله) أى هذا الذى ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين (إن الله لا يخلف الميعاد)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبُيْعٌ فِي الْأَرْضِ مُمٌّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِ الْفَاسِقَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَتْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿

يخبر تعالى أن أصل الماء في الأرض من السماء كما قال عز وجل (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) فإذا أنزل السماء من

السما كمن في الأرض ثم يصرفه تعالى في أجزاء الأرض كما يشاء وينبعه عيوننا ما بين صغار وكبار بحسب الحاجة إليها ولهذا قال تبارك وتعالى (فسلكه ينابيع في الأرض) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا عمرو بن علي ثنا أبو قتبية عتبة بن اليقظان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض) قال ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ولكن عزوق في الأرض تغيره فذلك قوله تعالى (فسلكه ينابيع في الأرض) فمن سره أن يعود للملح عذبا فليضعده ، وكذا قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي أن كل ماء في الأرض فأصله من السماء ، وقال سعيد بن جبير أصله من الثلج يعني أن الثلج يتراكم على الجبال فيسكن في قرارها فتنبع العيون من أسافلها وقوله تعالى (ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه) أي ثم يخرج بالماء النازل من السماء والنابع من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه أي أشكاله وطعمه وروائح ومنافعه (ثم يهيج) أي بعد نضارته وشبابه بكنهل فتراه مصفراً قد خالطه اليس (ثم يجعله حطاماً) أي ثم يعود يابساً يتحطم (إن في ذلك للذكرى لأولى الأبواب) أي الذين يتذكرون بهذا فيعتبرون إلى أن الدنيا هكذا تكون خضرة نضرة حسناء ثم تعود عجوزاً شوهاء والشاب يعود شيخاً هرماً كبيراً ضعيفاً وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا بما ينزل الله من السماء من ماء وينبت به زرعاً وثمراً ثم يكون بعد ذلك حطاماً كما قال تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقبلاً) وقوله تبارك وتعالى أفن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه (أي هل يستوى هذا ومن هو قاسى القلب بعيد من الحق كقوله عز وجل (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) ولهذا قال تعالى (فويل للفاسية قلوبهم من ذكر الله) أي فلا تلين عند ذكره ولا تخشع ولا تعنى ولا تفهم (أولئك في ضلال مبين)

﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْكِتَابِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾

هذا مدح من الله عز وجل لكتابه القرآن العظيم المنزل على رسوله الكريم . قال الله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني) قال مجاهد يعني القرآن كله متشابهاً مثاني ، وقال قتادة : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف . وقال الضحاك : مثاني ترديد القول ليفهموا عن ربهم تبارك وتعالى وقال عكرمة والحسن مثنى الله فيسه القضاء زاد الحسن تكون السورة فيها آية وفي السورة الأخرى آية تشبهها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : مثاني مردد ردد موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في أمكنة كثيرة . وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما مثاني قال القرآن يشبه بعضه بعضاً ويرد بعضه على بعض ، وقال بعض العلماء يروى عن سفيان ابن عيينة معنى قوله تعالى (متشابهاً مثاني) إن سياقات القرآن تارة تكون في معنى واحد فهذان من التشابه وتارة تكون بذكر الشيء وضده كذكر المؤمنين ثم الكافرين وكصفة الجنة ثم صفة النار وما أشبه هذا فهذا من المثاني كقوله تعالى (إن الأبرار لفي نعيم) وإن الفجار لفي جحيم) وكقوله عز وجل (كلا إن كتاب الفجار لفي سجين) - إلى أن قال - كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) (هذا ذكر وإن للمتقين لحسن مآب - إلى أن قال - هذا وإن للطاغين لشر مآب) ونحو هذا من السياقات فهذا كله من المثاني أي في معنيين اثنين وأما إذا كان السياق كله في معنى واحد يشبه بعضه بعضاً فهو التشابه وليس هذا من التشابه المذكور في قوله تعالى (منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات) ذاك معنى آخر وقوله تعالى (تقشعرونه جلودهم) ثم تلين جلودهم وقولهم إلى ذكر الله (أي هذه صفة الأبرار ، عند سماع كلام الجبار ، المهين العزيز الغفار ، المايعهمون منه من الوعد والوعيد ، والتخويف والتهديد تقشعرونه جلودهم

من الحشية والخوف (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه ﴿ أحدها ﴾ أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نعمات الآيات من أصوات القينات ﴿ الثاني ﴾ أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تبارك وتعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم) وقال تعالى (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) أى لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لا حين عنها بل مصغين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهمنا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم ﴿ الثالث ﴾ أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رضى الله عنهم عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله . لم يكونوا يتصارخون ولا يتكفون ما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والحشية مالا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة . قال عبد الرزاق حدثنا معمر قال تلا قنادة رحمه الله (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) قال هذا نعت أولياء الله ، نعمتهم الله عز وجل بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعمهم بنهاب عقولهم والنشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع ، وهذا من الشيطان ، وقال السدي (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أى إلى وعد الله ، وقوله (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) أى هذه صفة من هداه الله ومن كان على خلاف ذلك فهو ممن أضله الله (ومن يضل الله فمأله من هاد)

﴿ أَفَمَنْ يَتَّقِ بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاتَّهِمُوا الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخُرْقَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿

يقول تعالى (أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة) ويقرّع فيقال له ولأمثاله من الظالمين (ذوقوا ما كنتم تكسبون) (كن يأتي آمنا يوم القيامة كما قال عز وجل (أفمن عصى مكبا على وجهه أهدي أمن يمشى سويا على صراط مستقيم ؟) وقال جل وعلا (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) وقال تبارك وتعالى (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) واكتفى في هذه الآية بأحد القسمين عن الآخر . كقول الشاعر :

فما أدرى إذا يمت أرضا * أريد الخير أيتها يلقى

يعنى الخير أو الشر . وقوله جلت عظمتها (كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) يعنى القرون الماضية المكذبة للرسول أهلكتهم الله بنوهم وما كان لهم من الله من واق ، وقوله جل وعلا (فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا) أى بما أنزل بهم من العذاب والنكال وتشقى المؤمنين منهم ، فليحذر الخاطبون من ذلك فانهم قد كذبوا أشرف الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ والذي أعده الله جل جلاله لهم في الآخرة من العذاب الشديد أعظم مما أصابهم في الدنيا ولهذا قال عز وجل (وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون)

﴿ وَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَامًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿

يقول تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أى بينا للناس فيه بضرب الأمثال (لعلمهم يتذكرون) فان المثل يقرب المعنى إلى الأذهان كقَالَ تبارك وتعالى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أى تعلمونه من أنفسكم ، وقال عز وجل (وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) وقوله جل وعلا (قرأنا عريضا غير ذي عوج) أى هو قرآن بلسان عربى مبين لا اغوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس بل هو بيان ووضوح وبرهان ، وإنما جعله الله تعالى كذلك ، وأنزله بذلك (لعلمهم يتقون) أى يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد . ثم قال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) أى يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم (ورجلا سلبا) أى سالما (لرجل) أى خالصا لا يملكه أحد غيره (هل يستويان مثلا ؟) أى لا يستوي هذا وهذا . كذلك لا يستوى المشرك الذى يعبد آلهة مع الله والؤمن بالخالص الذى لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ؟ فأين هذا من هذا ؟ قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلا للمشرك والخالص ، ولما كان هذا المثل ظاهرا بينا جليا قال (الحمد لله) أى على إقامة الحجة عليهم (بل أكثرهم لا يعلمون) أى فلماذا يشركون بالله وقوله تبارك وتعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) هذه الآية من الآيات التى استشهد بها الصديق رضى الله عنه عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته مع قوله عز وجل (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) ومعنى هذه الآية أنكم ستقلعون من هذه الدار لا محالة وستجتمعون عند الله تعالى في الدار الآخرة وتختصمون فيما أتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله عز وجل فيفصل بينكم ويفتح بالحق وهو الفتح العليم ، فينجي المؤمنين المخلصين الموحدين ، ويعذب الكافرين الجاحدين المشركين المكذبين . ثم إن هذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة فانها شاملة لكل متنازعين في الدنيا فانه تعاد عليهم الخصومة في الدار الآخرة

قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ ثنا سفيان عن عمرو بن محمد بن حاطب - يعنى يحيى بن عبد الرحمن - عن ابن الزبير رضى الله عنهما قال لما نزلت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضى الله عنه يا رسول الله : أتكرر علينا الخصومة ، قال ﷺ « نعم » قال رضى الله عنه : إن الأمر إذا لشديد . وكذا رواه الإمام أحمد عن سفيان وعنده زيادة ! ولما نزلت (ثم لتستأن يومئذ عن النعم) قال الزبير رضى الله عنه : أى رسول الله أى نعم نسئل عنه وإنما نعيمنا الأسودان . البحر والمساء ؟ قال ﷺ « أما إن ذلك سيكون » وقد روى هذه الزيادة الترمذى وابن ماجه من حديث سفيان به وقال الترمذى حسن وقال أحمد أيضا حدثنا ابن نمير ثنا محمد - يعنى ابن عمرو - عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ (إنك ميت وإنهم ميتون) ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال الزبير رضى الله عنه . أى رسول الله أى تكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب ؟ قال ﷺ « نعم ليس كركن عليكم حتى يودى إلى كل ذى حق حقه » قال الزبير رضى الله عنه : والله إن الأمر لشديد ، رواه الترمذى من حديث محمد بن عمرو به وقال حسن صحيح وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبي عياش عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول الخصمين يوم القيامة جاران » تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « والذى نفسى بيده إنه ليختصم حتى الشاتات فما انتطعتا » تفرد به أحمد رحمه الله . وفي المسند عن أبي ذر رضى الله عنه أنه قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم شاتين يتطحان فقال « أتدرى فيم يتطحان يا أبا ذر ، » قلت لا قال ﷺ « لكن الله يدرى وسيحكم بينهما » وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا سهل بن محمد ثنا حيان بن أغلب ثنا أبي ثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يحاء بالإمام الجائر الخائن يوم القيامة فتحاسمه الرعية فيلجئون

عليه فيقال له سيد ركننا من أركان جهنم» ثم قال الأغلب بن تميم ليس بالحافظ. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) يقول يخاصم الصادق الكاذب، والمظلوم الظالم، والمهتدي الضال، والضعيف المستكبر، وقد روى ابن منده في كتاب الروح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: يختصم الناس يوم القيامة حتى تختصم الروح مع الجسد فتقول الروح للجسد أنت فعلت ويقول الجسد للروح أنت أمرت وأنت سولت فبيعت الله تعالى ثم لك يفصل بينهما فيقول لهما إن مثلكما كمثل رجل مقعد بصير والآخر ضرير دخلا بستانا فقال المقعد للضرير إني أرى ههنا ثماراً ولكن لا أصل إليها فقال له الضرير اركبني فتناولها فركبه فتناولها فأيهما المعتدى؟ فيقولان كلاهما فيقول لهما الملك فأنكما قد حكمتما على أنفسكما، يعني أن الجسد للروح كالمطية وهو رآكه وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن أحمد بن عوسجة حدثنا ضرار حدثنا أبو سلمة الخزازي حدثنا منصور بن سلمة حدثنا القمي - يعني يعقوب ابن عبد الله - عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية وما نعلم في أي شيء نزلت (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال قلنا من نخاصم؟ ليس بيننا وبين أهل الكتاب خصومة فمن نخاصم؟ حتى وقعت الفتنة فقال ابن عمر رضي الله عنهما: هذا الذي وعدنا ربنا عز وجل تختصم فيه، ورواه النسائي عن محمد بن عامر عن منصور بن سلمة به، وقال أبو العالية في قوله تبارك وتعالى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) قال يعني أهل القبلة؟ وقال ابن زيد: يعني أهل الإسلام وأهل الكفر، وقد قدمنا أن الصحيح العموم والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ إِلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ الْبَيِّنَاتُ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۖ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۚ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۚ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

يقول عز وجل مخاطباً للمشركين الذين افتروا على الله وجعلوا معه آلهة أخرى وادعوا أن الملائكة بنات الله وجعلوا لله ولداً تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على السنة رسول الله صلات الله وسلامه عليهم أجمعين ولهذا قال عز وجل (فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه) أي لا أحد أظلم من هذا لأنه جمع بين طرفي الباطل كذب على الله وكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا الباطل وردوا الحق ولهذا قال جلت عظمتهم متوعدا لهم (أليس في جهنم مثوى للكافرين؟) وهم الجاحدون المكذبون. ثم قال جل وعلا (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: الذي جاء بالصدق هو الرسول صلى الله عليه وسلم وقال السدي: هو جبريل عليه السلام (وصدق به) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (والذي جاء بالصدق) قال من جاء بلا إله إلا الله (وصدق به) يعني رسول الله ﷺ وقرأ الربيع بن أنس (والذين جاءوا بالصدق) يعني الأنبياء (وصدقوا به) يعني الأتباع. وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (والذي جاء بالصدق وصدق به) قال أصحاب القرآن المؤمنون يجيئون يوم القيامة فيقولون هذا ما أعطيتونا فعملنا فيه بما أمرتمونا. وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين فإن المؤمنين يقولون الحق ويعملون به والرسول صلى الله عليه وسلم أولى الناس بالدخول في هذه الآية على هذا التفسير فإنه جاء بالصدق وصدق الرسلين وآمن بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (والذي جاء بالصدق) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (وصدق به) قال المسلمون (أولئك هم المؤمنون) قال ابن عباس رضي الله عنهما: اتقوا الشرك (لهم ما يشاءون عند ربهم) يعني في الجنة مهما طلبوا وجدوا (ذلك جزاء المحسنين) ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون) كما قال عز وجل في الآية الأخرى

(أولئك الذين تقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون)

(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزير ذي انتقام * ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضربه هل هن كاشفت ضرره أو أرادني برحمته هل هن ممسكت رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون * قل يقوم أعمالوا على مكانتكم إني عمل فسوف تعلمون * من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم)

يقول تعالى (أليس الله بكاف عبده) وقرأ بعضهم (عباده) يعني أنه تعالى يكفي من عبده وتوكل عليه وقال ابن أبي حاتم ههنا حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا أبو هانيء عن أبي علي عمرو بن مالك الجني عن فضالة بن عبيد الأنصار رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أفلح من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » ورواه الترمذي والنسائي من حديث حيوة بن شريح عن أبي هانيء الخولاني به وقال الترمذي صحيح (ويخوفونك بالذين من دونه) يعني المشركين يخوفون الرسول صلى الله عليه وسلم ويتوعدونه بأصنامهم وآلهتهم التي يدعونها من دون الله جهلا منهم وضلالا ولهذا قال عز وجل (ومن يضلل الله فما له من هاد * ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزير ذي انتقام ؟) أي منيع الجنب لا يضام من استند إلى جنبه ولجأ إلى بابه فانه العزيز الذي لا أعز منه ولا أشد انتقاما منه من كفر به وأشرك وعاند رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) يعني المشركين كانوا يعترفون بأن الله عز وجل هو الخالق للأشياء كلها ومع هذا يعبدون معه غيره بما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولهذا قال تبارك وتعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضربه هل هن كاشفات ضرره ؟ أو أرادني برحمته هل هن ممسكات رحمته ؟) أي لا نستطيع شيئا من الأمر ، وذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث قيس بن الحجاج عن حنشل الصنعاني عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ورفعت الأقلام واعمل لله بالشكر في اليقين . واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا . وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا » (قل حسبي الله) أي الله كافي (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) كما قال هود عليه الصلاة والسلام حين قال قومه (إن تقول إلا اعتراك بعض آلنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري ثنا عبد الله بن بكر السهمي ثنا محمد بن حاتم عن أبي القدام مولى آل عثمان عن محمد بن كعب القرظي ثنا ابن عباس رضي الله عنهما رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عز وجل أوثق منه بما في يديه ، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليثق بالله عز وجل » ، وقوله تعالى (قل يا قوم أعمالوا على مكانتكم) أي على طريقتهم وهذا تهديد ووعيد (إني عامل) أي على طريقي ومنهجي (فسوف تعلمون) أي ستعلمون غيب ذلك ووباله (من يأتيه عذاب يخزيه) أي في الدنيا (ويحل عليه عذاب مقيم)

أى دائم مستمر لا يحيدله عنه وذلك يوم القيامة ، أعادنا الله منها .

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ * اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم (إنا أنزلنا عليك الكتاب) يعنى القرآن (للناس بالحق) أى لجميع الخلق من الإنس والجن لتنذرهم به (فمن اهتدى فلنفسه) أى فاما يعود نفع ذلك إلى نفسه (ومن ضل فاما يضل عليها) أى إنما يرجع وبال ذلك على نفسه (وما أنت عليهم بوكيل) أى بموكل أن يهتدوا (إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل) (إنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) . ثم قال تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة بأنه المتصرف في الوجود بما يشاء وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الحفظة الذين يقبضونها من الأبدان والوفاة الصغرى عند المنام كما قال تبارك وتعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يجمعكم فيه ليقتضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون * وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) فذكر الوفاة الصغرى ثم الكبرى وفى هذه الآية ذكر الكبرى ثم الصغرى ولهذا قال تبارك وتعالى (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى) فيه دلالة على أنها تجتمع فى الملاء الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذى رواه ابن منده وغيره . وفى صحيح البخارى ومسلم من حديث عبيد الله بن عمر عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم ليقل باسمك ربى وضعت جنى وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » . وقال بعض السلف يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا فتتعارف ما شاء الله تعالى أن تتعارف (فيمسك التى قضى عليها الموت) التى قد ماتت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى . قال السدى إلى بقية أجلها ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما يمسك أنفس الأموات ويرسل أنفس الأحياء ولا يخلط (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

﴿ أَمْ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَآ يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ * قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾

يقول تعالى ذاما للمشركين فى اتخاذهم شفعاء من دون الله وهم الأصنام والأنداد التى اتخذوها من تلقاء أنفسهم بلا دليل ولا برهان خدامهم على ذلك وهى لا تملك شيئا من الأمر بل وليس لها عقل تعقل به ولا تسمع تسمع به ولا تبصر تبصر به بل هى جمادات أسوأ حالا من الحيوان بكثير ، ثم قال قل أى يا محمد لهؤلاء الزاعمين أن ما اتخذوه شفعاء لهم عند الله تعالى أخبرهم أن الشفاعة لا تنفع عند الله إلا لمن ارتضاه وأذن له فرجها كلها إليه (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) (له ملك السموات والأرض) أى هو المتصرف فى جميع ذلك (ثم إليه ترجعون) أى يوم القيامة فيحكم بينكم بعدله ويجزى كلا بعمله ، ثم قال تعالى ذاما للمشركين أيضا (وإذا ذكر الله وحده) أى إذا قيل لا إله إلا الله وحده (اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) قال مجاهد اشمازت اشبهت وقال السدى نفرت وقال قتادة

كفرت واستكبرت وقال مالك عن زيد بن أسلم استكبرت كما قال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أي عن المتابعة والانتقاد لها فقلوبهم لا تقبل الخير ومن لم يقبل الخير يقبل الشر ولذلك قال تبارك وتعالى (وإذا ذكر الدين من دونه) أي من الأصنام والأنداد قاله مجاهد (إذا هم يستكبرون) أي يفرحون ويسرون .

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِّمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ * وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَالٌ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿

يقول تبارك وتعالى بعد ما ذكر عن المشركين ما ذكر من المذمة لهم في حبهم الشرك ونفرتهم عن التوحيد (قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة) أي ادع أنت الله وحده لا شريك له الذي خلق السموات والأرض وفطرها أي جعلها على غير مثال سبق (عالم الغيب والشهادة) أي السر والعلانية (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أي في دينهم ستفصل بينهم يوم معادهم ونشورهم وقيامهم من قبورهم . قال مسلم في صحيحه : حدثنا عبد بن حميد حدثنا عمر بن يونس ثنا عكرمة بن عمار ثنا يحيى بن أبي كثير حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : سألت عائشة رضي الله عنها بأى شيء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل ، قالت رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أن أناسهيل عن أبي صالح وعبد الله بن عثمان بن خثيم عن عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « من قال اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة إني أعهد اليك في هذه الدنيا أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك فانك ان تكفى إلى نفسي تقرى من الشر وتباعدني من الخير ، وإني لأتق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً توفي به يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ، إلا قال الله عز وجل للملائكة يوم القيامة إن عبدى قد عهد إلى عهداً فوفوه إياه فيدخله الله الجنة » قال سهيل فأخبرت القاسم بن عبد الرحمن أن عوناً أخبر بكذا وكذا فقال ما فيها جارية إلا وهى تقول هذا في خدرها انفرد به الإمام أحمد . وقال الامام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لميعة حدثني حيي بن عبد الله أن أبا عبد الرحمن حدثه قال أخرج لنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قرطاساً وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا تقول : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شيء ، وإله كل شيء أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك والملائكة يشهدون ، أعوذ بك من الشيطان وشركه ، وأعوذ بك أن أقترف على نفسي إيماً أو أجرحه إلى مسلم . قال أبو عبد الرحمن رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يعلمه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يقول ذلك حين يريد أن ينام ، تفرد به أحمد أيضاً .

وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن محمد بن زياد الألهاني عن أبي راشد الخبراني قال : أتيت عبيد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت له : حدثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ فألقى بين يدي صحيفة فقال هذا ما كتب لي رسول الله ﷺ فنظرت فيها فإذا فيها أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : يا رسول الله علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه أو أقترف على نفسي سوءاً أو أجرحه إلى مسلم » ورواه الترمذي عن الحسن بن عرفة عن إسماعيل بن عياش به وقال حسن

غريب من هذا الوجه وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سيار عن إيث عن مجاهد قال : قال أبو بكر الصديق أمرني رسول الله ﷺ أن أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعي من الليل : اللهم فاطر السموات والأرض الخ . وقوله عز وجل (ولو أن للذين ظلموا) وهم المشركون (ما في الأرض جميعا ومثله معه) أى ولو أن جميع ما في الأرض وضعفه معه (لا تقدر) به من سوء العذاب (أى الذى أوجبه الله تعالى لهم يوم القيامة ومع هذا لا يقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهباً كما قال فى الآية الأخرى (وبدلهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) أى وظهر لهم من الله من العذاب والنكال بهم ما لم يكن فى بالهم ولا فى حسابهم (وبدلهم سيئات ما كسبوا) أى وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا فى الدار الدنيا من المحارم والمآثم (وحق بهم ما كانوا به يستهزئون) أى وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به فى الدار الدنيا

﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِن أَنَا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿

يقول تبارك وتعالى يخبرنا عن الإنسان أنه فى حال الضراء يتضرع إلى الله عز وجل وينيب إليه ويدعوه وإذا خوله نعمة م م بنى وطغى وقال (إنما أوتيته على علم) أى لما يعلم الله تعالى من استحقاقى له ولولا أنى عند الله خصيص لما خولنى هذا قال قتادة على علم عندى على خبر عندى قال الله عز وجل (بل هى فتنة) أى ليس الأمر كما زعم بل إنما أنعمنا عليه بهذه النعمة لنتخبره فيما أنعمنا عليه أيطيع أم يعصى مع علمنا المتقدم بذلك فهى فتنة أى اختبار (ولكن أكرههم لا يعلمون) فلهذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون (قد قالها الذين من قبلهم) أى قد قال هذه المقالة وزعم هذا الزعم وادعى هذه الدعوى كثير من سلف من الأمم (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أى فما صح قولهم ولا نعمهم جمعهم وما كانوا يكسبون (فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء) أى من المخاطبين (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) أى كما أصاب أولئك (وما هم بمُعْجِزِينَ) كما قال تبارك وتعالى يخبرنا عن قارون أنه قال له قومه (لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين * وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين * قال إنما أوتيته على علم عندى أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وقال تعالى (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعجزين) وقوله تبارك وتعالى (أو لم يعلموا أن الله يبدسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على قوم ويضيقه على آخرين (إن فى ذلك لآيات لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) أى لعبرا وحججا

﴿ قُلْ يُعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ * وَأَتَيْتُمَا أَحْسَنَ مَا نَزَّلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَفْتَةٍ وَأنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يٰمُسْرَىٰ أَهَلَّاكَ مَا أَفْرَطْتَ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * أَوْ تَقُولَ

حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَأَنْ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَ نَكَ، أَيَّتِي فَكَّدَتْ بِهَا وَأَسْتَكْبَرَتْ
وَكُنْتُ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿

هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والالاباة وإخبار بأن الله تبارك وتعالى يغفر
الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهمما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ، ولا يصح حمل هذه
على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه . قال البخارى حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن
ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد
قتلوا فأكثروا ، وزنوا فأكثروا ، فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا إن الذى تقول وتدعو إليه
الحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا
بالحق ولا يزنون) ونزل (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وهكذا رواه
مسلم وأبو داود والنسائى من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المسكى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى
عنهما به . والمراد من الآية الأولى قوله تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) الآية . وقال الإمام أحمد
حدثنا حسن ثنا ابن لميعة ثنا أبو قبيل قال : سمعت أبا عبد الرحمن المزنى يقول سمعت ثوبان مولى رسول الله ﷺ
يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) إلى
آخر الآية فقال رجل يا رسول الله فمن أشرك ؟ فسكت النبي ﷺ ثم قال « ألا ومن أشرك » ثلاث مرات تفرد
به الإمام أحمد . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا شريح بن النعمان ثنا نوح بن قيس عن أشعث بن جابر الحداني
عن مكحول عن عمرو بن عتبة رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ كبير يدعم على
عصاه فقال : يا رسول الله إن لى غدرات وفجرات فهل يغفر لى ؟ فقال ﷺ « أأنت تشهد أن لا إله إلا الله ؟ »
قال بلى وأشهد أنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « قد غفر لك غدراتك وفجراتك » تفرد به
أحمد . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت
زيد رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (إنه عمل غير صالح) وسمعت
صلى الله عليه وسلم يقول (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر
الذنوب جميعا ولا يبالى إنه الغفور الرحيم) ورواه أبو داود والترمذى من حديث ثابت به . فهذه الأحاديث
كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة الله وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن
باب الرحمة والتوبة واسع قال الله تعالى (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) وقال عز وجل (ومن يعمل سوءا
أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحما) وقال جل وعلا فى حق المنافقين (إن المنافقين فى الدرك الأسفل
من النار ولن تجد لهم نصيرا * إلا الذين تابوا وأصلحو) وقال جل جلاله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة
وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) ثم قال جل جلالته (أفلا
يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) وقال تبارك وتعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا)
قال الحسن البصرى رحمة الله عليه انظروا إلى هذا السكرم والوجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والغفرة
والآيات فى هذا كثيرة جدا . وفى الصحيحين عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ حديث
الذى قتل تسعا وتسعين نفسا ثم ندم ومسأل عابدا من عباد بنى إسرائيل هل له من توبة ، فقال لا فقلته وأكمل
به مائة ثم سأل علما من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد
الله فيها فقصدتها فأتاه الموت فى أثناء الطريق فاخصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر الله عز وجل أن

يقيسوا ما بين الأرضين فيألي أهمما كان أقرب فهو منها فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها بشبر فقبضته ملائكة الرحمة ، وذكر أنه نأى بصدرة عند الموت وأن الله تبارك وتعالى أمر البلدة الحيرة أن تقترب وأمر تلك البلدة أن تتباعد ، هذا معنى الحديث وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا) إلى آخر الآية قال قد دعا الله تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو الله ومن زعم أن المسيح هو ابن الله ومن زعم أن عزير ابن الله ومن زعم أن الله فقير ومن زعم أن يد الله مغاولة ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة يقول الله تعالى لهؤلاء (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم) ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء ، من قال أنا ربكم الأعلى وقال (ما علمت لكم من إله غيري) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل ، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سفيان ابن شريك أنه قال سمعت ابن مسعود يقول إن أعظم آية في كتاب الله (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وإن أكثر آية في القرآن فرحا في سورة العنكبوت (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) وإن أشد آية في كتاب الله تفويضا (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) فقال له مسروق صدقت . وقال الأعمش عن أبي سعيد عن أبي الكناد قال مر عبد الله بن عباس رضي الله عنه على قاص وهو يذكر الناس فقال يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة الله ؟ ثم قرأ (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله) رواه ابن أبي حاتم رحمه الله

﴿ ذكر أحاديث فيها نفى القنوط ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان ثنا أبو عبيدة عبيد الله السدي حدثني حسن السدوسي قال دخلت على أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله تعالى لغفر لكم ، والذي نفس محمد صلى الله عليه وسلم بيده لو لم تخطئوا لجاؤ الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم » تفرد به أحمد . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني الليث حدثني محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن أبي صرمة عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتبت منكم شيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول « لو لا أنكم تذبذبون لخلق الله عز وجل قوما يذبذبون فيغفر لهم » هكذا رواه الإمام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد به ، ورواه مسلم من وجه آخر به عن محمد بن كعب القرظي عن أبي صرمة وهو الأنصاري صحابي عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنهما به . وقال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني ثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « كفارة الذنب الندامة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو لم تذبذبو لجاؤ الله تعالى بقوم يذبذبون فيغفر لهم » تفرد به أحمد . وقال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثني عبد الأعلى بن حماد القرشي ثنا داود ابن عبد الرحمن ثنا أبو عبد الله مسلمة بن عبد الله الرازي عن أبي عمرو البجلي عن عبد الملك بن سفيان الثقفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى يحب العبد اللين التواب » ولم يخرجوه من هذا الوجه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن إسماعيل ثنا حماد ثنا ثابت وحديد عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : إن إبليس لعنه الله تعالى قال يا رب إنك أخرجتني من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا بسطائك قال فأنت مسلط ، قال يارب زدني ، قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله ، قال يارب زدني قال أجعل صدورهم مساكين لكم وتجرون منهم مجرى الدم قال يا رب زدني قال أجلب عليهم بخليلك ورجالك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان

إلا غرورا ، فقال آدم عليه الصلاة والسلام يارب قد سلطته على واني لا أمتنع إلا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء ، قال يارب زدني ، قال الحسنه عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها قال يارب زدني قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد قال يارب زدني قال (يا عبدي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وقال محمد بن إسحاق قال نافع عن عبد الله ابن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال وكنا نقول ما الله بقابل لمن افتتن صرفا ولا عملا ولا توبة ، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم (يا عبدي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) قال عمر رضي الله عنه فكتبتهما يدي في صحيفة وبعث بها إلى هشام بن العاص رضي الله عنه قال : فقال هشام لما أتتني جعلت أقرأها بندي طوي أصعد بها فيه وأصوت ولا أفهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها قال فألقى الله عز وجل في قلبي أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا فرجعت إلى بعري فجلست عليه فلدقت برسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ثم استحثت تبارك وتعالى عبادي إلى السارعة إلى التوبة فقال (وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له) الخ : أي ارجعوا إلى الله واستسلموا له (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتصرون) أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول العقوبة (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) وهو القرآن العظيم (من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون) أي من حيث لاتعلمون ولا تشعرون ثم قال عز وجل (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله) أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من الحسنين المخلصين للطيعين لله عز وجل ، وقوله تبارك وتعالى (وإن كنت من الساخرين) أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزئ غير موقن مصدق (أوتقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أوتقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من الحسنين) أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أخبر الله سبحانه وتعالى ما العباد فاقولون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعماوه . وقال تعالى (ولا ينبئك مثل خبير) (أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين * أوتقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين * أوتقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من الحسنين) فأخبر الله عز وجل أن لو ردوا لما قدروا على الهدى فقال (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقد قال الإمام أحمد حدثنا أسود ثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هداني لفتكون عليه حشرة ، قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن الله هداني قال فيكون له الشكر » ورواه النسائي من حديث أبي بكر بن عياش به ، ولما تمني أهل الجرائم العود إلى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسوله قال الله سبحانه وتعالى (بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين) أي قد جاءتك آياتها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا وقامت حججى عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها .

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ * وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِغَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه وتبيض فيه وجوه ، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف ، وتبيض

وجوه أهل السنة والجماعة قال تعالى ههنا (ويوم ترى الدين كذبوا على الله) أى فى دعواهم له شريكا ولداً (وجوههم مسودة) أى بكذبهم وافتراءهم وقوله تعالى (أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ؟) أى أليست جهنم كافية لها سجنا وموتلا لهم فيها الحزى والهوان بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق : قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب ثنا عيسى بن أبي عيسى الخياط عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن المتكبرين يخشرون يوم القيامة أشباه النار فى صور الناس يملوهم كل شىء من الصغار حتى يدخلوا سجنا من النار فى واد يقال له بولس من نار الأنيار ويسقون من عصارة أهل النار ومن ظينة الجبال » ، وقوله تبارك وتعالى (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) أى بما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله (لا يمسهم سوء) أى يوم القيامة (ولا هم يحزنون) أى ولا يحزنهم الفزع الأكبر بل هم آمنون من كل فرع من حزن حون عن كل شر نائلون كل خير

﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِثَابِتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَمَرَّضُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ أَيْهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ فَاعِلٌ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

خبر تعالى أنه خالق الأشياء كلها وربها ومليكمها والمتصرف فيها وكل تحت تدبيره وقهره وكلايته وقوله عز وجل (له مقاليد السموات والأرض) قال مجاهد : المقاليد هى المفاتيح بالفارسية ، وكذا قال قتادة وابن زيد وسفيان بن عيينة ، وقال السدى (له مقاليد السموات والأرض) أى خزائن السموات والأرض ، والمعنى على كلا القولين أن أزمة الأمور بيده تبارك وتعالى له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ولهذا قال جل وعلا (والذين كفروا بآيات الله) أى حججه وبراهينه (أولئك هم الخاسرون) وقدرى ابن أبى حاتم ههنا حديثا غريبا جداً وفى صحته نظر ولكن نحن نذكره كما ذكره فإنه قال حدثنا يزيد بن سنان البصرى بمصر ثنا يحيى بن حماد ثنا الأغلب بن تميم عن محمد بن هذيل العبدى عن عبد الرحمن المدنى عن عبد الله بن عمر عن عثمان بن عفان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى (له مقاليد السموات والأرض) فقال « ما سألنى عنها أحد قبلك يا عثمان » قال صلى الله عليه وسلم « تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ، أستغفر الله ولا قوة إلا بالله ، الأول والآخرة والظاهر والباطن ، بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير . من قالها يا عثمان إذا أصبح عشر مرار أعطى خصلاً مستاً : أما أولاهن فيحرس من إبليس وجنوده وأما الثانية فيعطى قنطاراً من الأجر ، وأما الثالثة فترفع له درجة فى الجنة ، وأما الرابعة فيتزوج من الخور العين ، وأما الخامسة فيحضره اثنا عشر ملكاً ، وأما السادسة فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور ، وله مع هذا يا عثمان من الأجر ، كمن حج وتقبل حجته واعتمر فتقبل عمرته فإن مات من يومه طبع عليه بطابع الشهداء » ورواه أبو يعلى الموصلى من حديث يحيى بن حماد به مثله وهو غريب وفيه نكارة شديدة والله أعلم . وقوله تبارك وتعالى (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ؟) ذكروا فى سبب نزولها ما رواه ابن أبى حاتم وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المشركين من جاهلهم دعوا رسول الله ﷺ إلى عبادة آلهتهم ويعبدوا معه إلهه فنزلت (قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ؟ * ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) وهذه كقوله تعالى (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) . وقوله عز وجل (بل الله فاعبد وكن من الشَّاكِرِينَ) أى أخلص العبادة لله وحده لا شريك له أنت ومن اتبعك وصدقك

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

يقول تبارك وتعالى (وما قدروا الله حق قدره) أى ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره وهو العظيم الذى لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء تحت قدره وقدرته ، قال مجاهد نزلت فى قریش ، وقال السدى ما عظموه حق تعظيمه ، وقال محمد بن كعب لو قدروه حق قدره ما كذبوا . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (وما قدروا الله حق قدره) هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدره الله عليهم . فمن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفى أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكليف ولا تحريف . قال البخارى قوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره) حدثنا آدم ثنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على اصبع والأرضين على اصبع ، والشجر على اصبع ، والماء والثرى على اصبع ، وسائر الخلق على اصبع فيقول أنا الملك ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) الآية ورواه البخارى أيضا فى غير هذا الموضع من صحيحه والإمام أحمد ومسلم والترمذى والنسائى فى التفسير من سننهما كلهم من حديث سلمان بن مهران الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن ابن مسعود رضى الله عنه بنحوه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والأرضين على اصبع والشجر على اصبع والماء والثرى على اصبع ، قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه قال وأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) إلى آخر الآية ، وهكذا رواه البخارى ومسلم والنسائى من طرق عن الأعمش به وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن حسن الأشقر ثنا أبو كدينة عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال مر يهودى برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال : كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه - وأشار بالسبابة - والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه - كل ذلك يشير بأصابعه - قال فأنزل الله عز وجل (وما قدروا الله حق قدره) الآية وكذا رواه الترمذى فى التفسير عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن محمد بن الصلت عن أبي جعفر عن أبي كدينة يحيى بن الملقب عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح به وقال الحسن ضحيع غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . ثم قال البخارى حدثنا سعيد بن عفيرة ثنا الليث ثنا عبد الرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يقبض الله تعالى الأرض وينطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض » تفرد به من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر . وقال البخارى فى موضع آخر حدثنا مقدم بن محمد حدثنا عمى القاسم بن يحيى عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على اصبع وتسكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك » تفرد به أيضا من هذا الوجه ورواه مسلم من وجه آخر ، وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر أبسط من هذا السياق وأطول فقال حدثنا عفان ثنا حماد بن سلمة أنا إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات

بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر «يجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم» فرجف برسول صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضى الله عنهما به نحوه ، ولفظ مسلم عن عبيد الله بن مقسم في هذا الحديث أنه نظر إلى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما كيف يحكى النبي ﷺ قال يأخذ الله تبارك وتعالى سمواته وأرضيه بيده ويقول أنا الملك ويقبض أصابعه ويبسطها أنا الملك حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إنى لأقول أساقطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال البزار حدثنا سليمان بن سيف ثنا أبو علي الحنفي ثنا عباد النخعي حدثني محمد بن المنكدر قال ثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر (وما قدروا الله حتى قدره - حتى بلغ - سبحانه وتعالى عما يشركون) فقال المنبر هكذا فجاء وذهب ثلاث مرات والله أعلم ، ورواه الإمام الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وقال صحيح . وقال الطبراني في المعجم الكبير حدثنا عبد الرحمن بن معاوية المتنبى ثنا حسان بن نافع عن صخر بن جويرية ثنا سعيد بن سالم القداح عن معمر بن الحسمن عن بكر بن خنيس عن أبي شيبة عن عبد الملك بن عمير عن جرير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه رضى الله عنهم « إني قارىء عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة » فقرأها صلى الله عليه وسلم من عند (وما قدروا الله حتى قدره) إلى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الله بن لم يبكوا يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكى فلم نبك فقال صلى الله عليه وسلم « إني سأقرأها عليكم فمن لم يبك فليتبأك » هذا حديث غريب جداً وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضاً حدثنا هاشم بن زيد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتن عن عبادى لو رآهن رجل ما عمل بسوء أبداً : لو كشفت غطائى فرآنى حتى استيقن ويعلم كيف أفعل بخلقى إذا أتيتهم وقبضت السموات بيدي ثم قبضت الأرضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذى له الملك دونى فأرهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها وأرهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمدا غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم » وهذا إسناد متقارب وهى نسخة تروى بها أحاديث حجة والله أعلم

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن هول يوم القيامة وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة فقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) هذه النفخة هى الثانية وهى نفخة الصعق وهى التى يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض إلا من شاء الله كما جاء مصرحاً به مفسراً في حديث الصور المشهور ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت وينفرد الحى القيوم الذى كان أولاً وهو الباقي آخراً بالديمومة والبقاء ويقول (لمن الملك اليوم) ثلاث مرات ثم يحيب نفسه بنفسه فيقول (لله الواحد القهار) أنا الذى كنت وحدى وقد قهرت كل شيء وحكمت بالقضاء على كل شيء ، ثم يحيى أول من يحيى إسماعيل ويأمره أن ينفخ في الصور أخرى وهى النفخة الثالثة نفخة البعث قال الله عز وجل (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) أى أحياء بعد ما كانوا عظاماً وبرفاتاً صاروا أحياء ينظرون إلى أهوال يوم القيامة كما قال تعالى (فأنما هى زجرة واحدة

فإذا هم بالشاهرة) . وقال عز وجل (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وقال جل وعلا (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن النعمان بن سالم قال سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت رجلا قال لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما إنك تقول الساعة تقوم إلى كذا وكذا قال لقد هممت أن لا أحدثكم شيئا إنما قلت سترون بعد قليل أمرا عظيما ثم قال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يخرج الدجال في أمي فيمكث فيهم أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما أو أربعين ليلة فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي فيظهر فيهلكه الله تعالى ثم يلبث الناس بعده سنين سبعا ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله تعالى ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى ان لو كان أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه » قال سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفها ولا ينكرون منكرها قال فيمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيأمرهم بعبادة الأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا وأول من يسمعه رجل يلوط خوضه فيصعق ثم لا يبقى أحد إلا صعق ، ثم يرسل الله تعالى أو ينزل الله عز وجل مطرا كأنه الظل - أو الظل شك نعمان - فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ، ثم يقال أيها الناس هلموا إلى ربكم (وقومهم إنهم مسؤولون) - قال - ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال كم ؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فيومئذ تبعث الولدان شيئا ويومئذ يكشف عن ساق » انفراد بإخراجه مسلم في صحيحه

(حديث أبي هريرة رضى الله عنه) وقال البخارى حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال سمعت أبا صالح قال سمعت أبا هريرة رضى الله تعالى عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما بين الفختين أربعون » قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال رضى الله تعالى عنه أبيت ، قالوا أربعون سنة ؟ قال أبيت ، قالوا أربعون شهرا ؟ قال أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الحلق

وقال أبو يعلى حدثنا يحيى بن معين حدثنا أبو الهيثم حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمر بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « سألت جبريل عليه الصلاة والسلام عن هذه الآية (ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) من الدين لم يشأ الله تعالى أن يصعقهم ؟ قال هم الشهداء يتقدمون أسياهم حول عرشه تتلقاهم ملائكة يوم القيامة إلى المحشر بنجائب من يا قوت نمارها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسرون في الجنة يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا إلى ربنا لننظر كيف يقضى بين خلقه يضحك إليهم إلهي وإذا ضحكك إلى عبد في موطن فلا حساب عليه » رجاله كلهم ثقات إلا الشيخ إسماعيل بن عياش فإنه غير معروف والله سبحانه وتعالى أعلم . وقوله تبارك وتعالى (وأشرق الأرض بنور ربها) أى أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق جل وعلا للخالق الفصل القضاء (وضع الكتاب) قال قتادة كتاب الأعمال (وجىء بالنبيين) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم (والشهداء) أى الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر (وقضى بينهم بالحق) أى بالعدل (وهم لا يظلمون) قال الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) وقال جل وعلا (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) ولهذا قال عز وجل (ووفيت كل نفس ما عملت) أى من خير أو شر (وهو أعلم بما يفعلون)

وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ هَٰذَا جَاءَهَا ۖ فَذُكِّرُوا ۖ أَبُوبُهَا ۖ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ ۖ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ

عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٠٠﴾

يخبر تعالى عن حال الأشقياء الكفار كيف يساقون إلى النار وإنما يساقون سوقا عنيفا بزجر وتهديد ووعيد كما قال عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أى يدفعون إليها دفعا ، وهذا وهم عطاش ظمأ كما قال جل وعلا في الآية الآخر (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا * ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) وهم في تلك الحال صم وبكم وعمى منهم من يمشى على وجهه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكيا وصما مأواهم جهنم كلما خبت زادهم سعيرا) وقوله تبارك وتعالى (حتى إذا جاءوها ففتحت أبوابها) أى بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعا لتعجل لهم العقوبة ثم يقول لهم خزنتها من الزبانية الذين هم غلاظ الأخلاق شداد القوى على وجه التقريع والتوبيخ والتشكيل (ألم يأتكم رسل منكم ؟) أى من جنسكم تتمكنون من مخاطبتهم والأخذ عنهم (يتلون عليكم آيات ربكم) أى يقيمون عليكم الحجج والبراهين على صحة مادعوكم إليه (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) أى ويحذرونكم من شر هذا اليوم ، فيقول الكفار لهم (بلى) أى قد جاءونا وأنذرونا وأقاموا علينا الحجج والبراهين (ولكن حققت كلمات العذاب على الكافرين) أى ولكن كذبناهم وظالمناهم لما سبق لنا من الشقوة التي كنا نستحقها حيث عدلنا عن الحق إلى الباطل كما قال عز وجل مخبرا عنهم في الآية الأخرى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) أى رجعوا على أنفسهم باللاملة والندامة (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير) أى بعدا لهم وخسارا

وقوله تبارك وتعالى ههنا (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أى كل من رآهم وعلم حالهم يشهد عليهم بأنهم مستحقون للعذاب ولهذا لم يسند هذا القول إلى قائل معين بل أطلقه ليدل على أن السكون شاهد عليهم بأنهم يستحقون ما هم فيه بما حكم العدل الحبير عليهم به ولهذا قال جل وعلا (قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها) أى ما كنتم فيها لا خروج لكم منها ولا زوال لكم عنها (فبئس مثوى المتكبرين) أى فبئس المصير وبئس القيل لكم بسبب تكبركم في الدنيا وإبائكم عن اتباع الحق فهو الذي صيركم إلى ما أنتم فيه فبئس الحال وبئس المآل

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ * وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدُهُ وَأَوْزَنَا الْأَرْضَ تَتْبَوْنَا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٠١﴾

وهذا إخبار عن حال السعداء المؤمنين حين يساقون على النجائب وفدا إلى الجنة زمرا أى جماعة بعد جماعة : المقربون ثم الأبرار ثم الدين ياونهم ثم الدين ياونهم كل طائفة مع من يناسبهم : الأنبياء مع الأنبياء والصديقون مع أشكائهم ، والشهداء مع أضربهم ، والعلماء مع أقرانهم وكل صنف مع صنف كل زمرة تناسب بعضها بعضا (حتى إذا جاءوها) أى وصالوا إلى أبواب الجنة بعد مجاوزة الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فاقصص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا وثقوا أذن لهم في دخول الجنة وقد ورد في حديث الصور أن المؤمنين إذا انتهوا إلى أبواب الجنة تشاوروا فيمن يستأذن لهم في الدخول فيقصدون آدم ثم نوحا ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمدا صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين كما فعلوا في العرصات عند استشفاعهم إلى الله عز وجل أن يأذن لهم لفصل القضاء ليظهر شرف محمد صلى الله عليه وسلم على سائر البشر في المواطن كلها وقد ثبت في صحيح مسلم عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول شفيع في الجنة » وفي لفظ لمسلم « وأنا أول من يقرع باب الجنة » وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم « آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد - قال - فيقول بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » ورواه مسلم عن عمرو بن محمد الناقد وزهير بن حرب كلاهما عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن سليمان وهو ابن المغيرة القيسي عن ثابت عن أنس رضى الله عنه به . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر بن همام بن منبه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصفقون فيها ولا يمتخطون فيها ولا يتعوطون فيها ، آتيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك ولسكل واحد منهم زوجتان يرى مخرج ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا » ورواه البخارى عن محمد بن مقاتل عن ابن المبارك . ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق كلاهما عن معمر بإسناده نحوه وكذا رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن عمار بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والدين يوفونهم على ضوء أشد كوكب درى في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء » وأخرجه أيضا من حديث جرير وقال الزهرى عن سعيد عن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر » فقال عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « اللهم أجعله منهم » ثم قام رجل من الأنصار فقال يا رسول الله ادع الله تعالى أن يجعلني منهم فقال ﷺ « سبقك بها عكاشة » أخرجه وقد روى هذا الحديث في السبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب - البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وجابر بن عبد الله وعمران بن حصين وابن مسعود ورفاعة بن عرابة الجهمي وأم قيس بنت محصن رضى الله عنهم ولها عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر » . وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلى رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « وعدنى ربى عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا مع كل ألف سبعون ألفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حشيات من حشيات ربى عز وجل » وكذا رواه الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حكيم بن عامر عن أبي النعمان عامر بن عبد الله بن يحيى عن أبي أمامة ورواه الطبرانى عن عيينة (١) بن عبد السلام « ثم مع كل ألف سبعين ألفا » ويروى مثله عن ثوبان وأبي سعيد الأنصارى وله شواهد من وجوه كثيرة وقوله تعالى (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبم فادخلوها خالدين) لم يذكر الجواب ههنا ، وتقديره حتى إذا جاءوها وكانت ههنا الأمور من فتح الأبواب لهم إكراما وتعظيما وتلقاهم الملائكة الحزنة بالبخارة والسلام والثناء كما تلقى الزبانية الكفرة بالثريب والتأنيب فتقديره إذا كان هذا سعدوا وطابوا وسروا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيه نعيم ، وإذا حذفت الجواب ههنا ذهب الذهن كل مذهبه في الرجاء والأمل ، ومن زعم أن الواو في قوله تبارك وتعالى (وفتحت أبوابها) واو الثمانية واستدل به على أن أبواب الجنة ثمانية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزاع ، وإنما يستفاد كون أبواب الجنة ثمانية من الأحاديث الصحيحة . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أشق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دعى من أبواب الجنة وللجنة أبواب ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان » فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يا رسول الله

(١) في نسخة عن عتبة . وقوله ثم مع كل ألف الخ . في نسخة ثم يشفع كل ألف في سبعين ألفا .

ما على أحد من ضرورة دعى من أيها دعى فهل يدعى منها كلها أحد يارسل الله ؟ قال ﷺ « نعم وأرجو أن تكون منهم » رواه البخاري ومسلم من حديث الزهري بنحوه وفيهما من حديث أبي حازم سلمة بن دينار عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون » . وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » وقال الحسن بن عرفة حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن معاذ رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مفتاح الجنة لا إله إلا الله »

﴿ ذكر سبعة أبواب الجنة - نسأل الله من فضله العظيم أن يجعلنا من أهلها ﴾

في الصحيحين من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة رضى الله عنه في حديث الشفاعة الطويل « فيقول الله تعالى يا محمد أدخل من لا حساب عليه من أمتك من الباب الأيمن وهم شركاء الناس في الأبواب الآخر والذي نفس محمد بيده إن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة ما بين عنادى الباب لهما بين مكة أو هجر - وهجر ومكة - وفي رواية - مكة وبصرى » . وفي صحيح مسلم عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم خطبة فقال فيها ولقد ذكر لنا أن ما بين مصرعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وفي المسند عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله ، وقال عبد بن حميد ثنا الحسن بن موسى ثنا بن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « إن ما بين مصرعين في الجنة مسيرة أربعين سنة » . وقوله تبارك وتعالى (وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم) أى طابت أعمالكم وأقوالكم وطاب مسيركم وطاب جزاؤكم كما أمر رسول الله ﷺ أن ينادى بين المسلمين في بعض النزوات « إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة - وفي رواية - مؤمنة » وقوله (فادخلوها خالدين) أى ما كثر فيها أبدا لا ينفون عنها حولا (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى يقول المؤمنون إذا عاينوا في الجنة ذلك الثواب الوافر والمطاء العظيم والنعيم القيم والملك الكبير يقولون عند ذلك (الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى الذى كان وعدنا على السنة رساله الكرام كادعوا في الدنيا (ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد) (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور » الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسن فيها نصيب ولا يمسن فيها لغوب) وقولهم (وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) . قال أبو العالية وأبو صالح وقتادة والسدى وابن زيد أى أرض الجنة فهذه الآية كقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) ولهذا قالوا (نتبوا من الجنة حيث نشاء) أى أين شئنا حللنا فنعم الأجر أجرنا على عملنا وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس رضى الله عنه في قصة المعراج قال النبي صلى الله عليه وسلم « أدخلت الجنة فإذا فيها جنازة لا أولؤ وإذا تراها المسك » . وقال عبد بن حميد حدثنا روح بن عبادة ثنا حماد بن سامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق » وكذا رواه مسلم من حديث أبي سامة عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه به ورواه مسلم أيضا عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضى الله عنه قال إن ابن صائد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تربة الجنة فقال « درمكة بيضاء مسك خالص » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه في قوله تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) قال سيقوا حتى انتهوا إلى باب من أبواب الجنة فوجدوا عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عيران فمعدوا

إلى إحداها فظفروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تغير أبشارهم بعدها أبدا ولم تشعث أشعارهم أبدا بعدها كأعما دهتوا بالدهان ثم عمدوا إلى الأخرى كأعما أمروا بها فشرىوا منها فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى أو قسدى وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة (سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين) وتلقى كل غلام صاحبهم بطوفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة أبشر قد أعد الله لك من السكرامة كذا وكذا قد أعد الله لك من السكرامة كذا وكذا، قال وينطلق غلام من غلامه إلى أزواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه في الدنيا فيقلن أنت رأيت فيقول نعم فيستخفنهم الفرح حتى تخرج إلى أسكفة الباب قال فيجىء فإذا هو بنارق مصفوفة وأكواب موضوعة وزراى مشوثة قال ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه فإذا هو قد أسس على جندل الأول أو بين أحمر وأخضر وأصفر وأبيض ومن كل لون ثم يرفع طرفه إلى سقفه فلو أن الله تعالى قدره له لألم أن يذهب بصره إنه لمثل البرق ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين ثم يشكى على أريكته من أرائكه ثم يقول (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله)

ثم قال حدثنا أبى ثنا أبو غسان مالك بن إسماعيل النهدي ثنا مسلمة بن جعفر البجلي قال : سمعت أبا معاذ البصرى يقول إن عليا رضى الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الذى صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أو يؤتون - بنوق لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرارك نعلهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فيتنبهون إلى شجرة ينبع من أصلها عيمان فيشربون من إحداها فتغسل ماني بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدا وتجري عليهم نضرة النعيم فيتنبهون - أو فيأتون - باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفيحة فيسمع لها طنين ياعلى فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فإذا رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجداً - فيقول ارفع رأسك فأما أنا قيمك وكنت بأمرك فيتبعه ويقفوا أثره فتستخف الحوراء العجالة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتقه ثم تقول أنت حبي وأنا الحالدة التى لا أموت وأنا الناعمة التى لا أبأس وأنا الراضية التى لا أسخط ، وأنا المقيمة التى لا أظمن فيدخل بيتاً من أسفه إلى أسقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل الأول أو طرائق أصفر وأخضر وأحمر ليس منها طريقة تشاكل صاحبها في البيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون حشوية على كل حشوية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الحلل يقضى جماعها في مقدار ليلة من لياليك هذه ، الأنهار من تحتهم تترد أنهار من ماء غير آسن - قال صاف لا كدر فيه - وأنهار من لبن لم يتغير طعمه - قال لم يخرج من ضروع الماشية - وأنهار من خمر لذة للشاربين - قال لم تعصرها الرجال بأقدامهم - وأنهار من عسل مصفى - قال لم يخرج من بطون النحل ، يستجنى الثمار فإن شاء قائما وإن شاء قاعدا وإن شاء متكئا - ثم تلا (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا) - فيشربى الطعام فيأنيه طير أبيض - قال وربما قال أخضر قال - فترفع أجنحتها فياكل من جنوبها أى الألوان شاء ثم يطير فيذهب فيدخل الملك فيقول : سلام عليكم تسلمكم الجنة أو رثتموها بما كنتم تعملون . ولو أن شجرة من شجر الحوراء وقعت في الأرض لأضاءت الشمس معها سوادا في نور « هذا حديث غريب وكأنه مرسل والله أعلم

﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

لما ذكر تعالى حكمه في أهل الجنة والنار وأنه نزل كلا في الحلل الذى يليق به ويصالح له وهو العادل في ذلك الذى لا يحور ، أخبر عن ملائكته أنهم محمّدون من حول العرش الحميد يسبحون بحمد ربهم ويعبدونه ويعظمونه ويقدمونه وينزهونه عن النقائص والجور وقد فصل القضية وقضى الأمر وحكم بالعدل ولهذا قال عز وجل (وقضى

بينهم) أى بين الخلائق (بالحق) . ثم قال (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى نطق الكون أجمع ناطقه وهم يحمده لله رب العالمين بالحمد فى حكمه وعدله ولهذا لم يسند القول إلى قائل بل أطلقه فدل على أن جميع مخلوقات شهدت له بالحمد قال قتاده افتتح الخلق بالحمد فى قوله (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض) واختتم بالحمد فى قوله تبارك وتعالى (وقفى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) .

﴿ تفسير سورة المؤمن وهى مكية ﴾

قد ذكره بعض السلف منهم محمد بن سيرين أن يقال الحواميم وإنما يقال آل حم قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه آل حم ديباج القرآن وقال ابن عباس رضى الله عنهما إن لكل شىء لباباً وللباب القرآن آل حم أو قال الحواميم وقال مسعر بن كدام كان يقال لمن العرائس روى ذلك كله الإمام العالم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى فى كتاب فضائل القرآن . وقال حميد بن زنجويه حدثنا عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضى الله عنه قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال عجب من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب فقيل له إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن ، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم فى القرآن أورده البغوى . وقال ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لكل شىء لباب وللباب القرآن الحواميم ، وقال ابن مسعود رضى الله عنه إذا وقعت فى آل حم فقد وقعت فى روضات أنانق فيهن . وقال أبو عبيد ثنا الأشجعي حدثنا مسعر هو ابن كدام عمن حدثه أن رجلاً رأى أبا الدرداء رضى الله عنه يبنى مسجداً فقال له ما هذا ؟ فقال أبنيه من أجل آل حم وقد يكون هذا المسجد الذى بناه أبو الدرداء رضى الله عنه هو المسجد المنسوب إليه داخل قلعة دمشق ، وقد يكون صيانتها وحفظها ببركة ما وضع له فإن هذا الكلام يدل على النصر على الأعداء كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه فى بعض الغزوات « إن يتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون - وفى رواية - لا تنصرون » وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن الحنبل بن ظبيان بن خلف المازني ومحمد بن الليث الهمداني قالوا حدثنا موسى بن مسعود حدثنا عبد الرحمن بن أبي بكر المكي عن زرارة بن مصعب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ آية الكرسي وأول حم المؤمن عصم ذلك اليوم من كل سوء » ثم قال لانهلم يروى إلا بهذا الاسناد ورواه الترمذى من حديث المكي وقال تسكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حم * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الْقَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِي الْمَصِيرُ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا وقد قيل إن (حم) اسم من أسماء الله عز وجل وأنشدوا فى ذلك بيتاً

يذكرنى حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

وقد ورد فى الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى من حديث الثورى عن أبي إسحاق عن المهلب بن أبي صفرة قال : حدثنى من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن يتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون » وهذا إسناد صحيح ، واختار أبو عبيد أن يروى فقولوا حم لا ينصروا أى إن قلتم ذلك لا ينصروا جملة جزاء أقول فقولوا وقوله تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) أى تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن من الله ذى العزة والعلم فلا يرام جنابه ولا يخفى عليه الدبر وإن تكاثف حجابيه . وقوله عز وجل (غافر الذنب وقابل التوب) أى يغفر ما سلف

من الذنب ويقبل التوبة في المستقبل لمن تاب اليه وخضع لديه وقوله جل وعلا (شديد العقاب) أى لمن تمرد وطنى وأثر الحياة الدنيا وعنا عن أوامر الله تعالى وبني وهذه كقوله (نبي عبادى أتى أنا الغفور الرحيم * وأن عذابى هو العذاب الأليم) يقرن هذين الوصفين كثيراً في مواضع متعددة من القرآن ليبقى العبد بين الرجاء والخوف ، وقوله تعالى (ذى الطول) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى السعة والمعنى ، وهكذا قال مجاهد وقناة ، وقال يزيد بن الأصم ذى الطول يعنى الخير الكثير . وقال عكرمة (ذى الطول) ذى المن ، وقال قناة ذى النعم والفواصل ، والمعنى أنه المفضل على عباده المتطول عليهم بما هم فيه من المن والانعام التي لا يطيقون القيام بشكر واحدة منها (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) الآية . وقوله جلّت عظمتة (لا إله إلا هو) أى لا نظير له في جميع صفاته فلا إله غيره ولا رب سواه (إليه المصير) أى الرجوع والمآب فيجازى كل عامل بعمله (وهو سريع الحساب) وقال أبو بكر بن عباس سمعت أبا إسحاق السبيعي يقول : جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين إني قتلت فهل لي من توبة فقرأ عمر رضى الله عنه (حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم * غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب) وقال عمل ولا تيأس . رواه ابن أبي حاتم واللفظه وابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا موسى بن مروان الرقي ثنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ففقد عمر فقال ما فعل فلان بن فلان ، فقالوا يا أمير المؤمنين تتابع في هذا الشراب . قال فدعا عمر كاتبه فقال اكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان بن فلان سلام عليك فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير . ثم قال لأصحابه ادعوا الله لأخيم أن يقبل بقلبه ويتوب الله عليه ، فلما بلغ الرجل كتاب عمر رضى الله عنه جعل يقرؤه ويردده ويقول غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، قد حذرني عقوبته ووعدني أن يغفر لي . ورواه الحافظ أبو نعيم من حديث جعفر بن برقان وزاد فلم يزل يرددها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع ، فلما بلغ عمر خبره قال هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أحداً لكم زل زلة فسدوده ووثقه وادعوا الله له أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة ثنا حماد بن واقد ثنا أبو عمر الصغار ثنا ثابت البناني قال كنت مع مصعب بن الزبير رضى الله عنه في سواد الكوفة فدخلت حائطا أصلى ركعتين فافتتحت حم المؤمن حتى بلغت لا إله إلا هو إليه المصير فإذا رجل خافي على بغلة شهاء عليه مقطعات يمنية فقال إذا قلت غافر الذنب فقل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي ، وإذا قلت وقابل التوب فقل يا قابل التوب اقبل توبتي ، وإذا قلت شديد العقاب فقل يا شديد العقاب لا تتعاقبني ، قال فالتفت فلم أر أحداً فخرجت إلى الباب فقلت مربيكم رجل عليه مقطعات يمنية ، قالوا ما رأينا أحداً فسكانوا يرون أنه إلياس ، ثم رواه من طريق أخرى عن ثابت بنحوه وليس فيه ذكر إلياس والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ مَا يُجَدِّلُ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَنْفِرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُمُ وَجَدُّوهُمُ بِالْبِطْلِ لِيُدْخِلُوهُمُ فِي الْاَلْحَقِّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ * وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿

يقول تعالى ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان (إلا الذين كفروا) أى الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه (فلا ينفرك تقابلهم في البلاد) أى في أموالها ونعيمها وزهرتها كما قال جل وعلا (لا يغيرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) وقال عز وجل (نمتهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) ثم قال تعالى مسلماً لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه بأن له أسوة من سلف من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فانه قد كذبهم أنهمم وخالفوهم وما آمن بهم منهم إلا قليل فقال (كذبت

قبلهم قوم نوح) وهو أول رسول بعثه الله ينهى عن عبادة الأوثان (والأحزاب من بعدهم) أى من كل أمة (وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه) أى حرصوا على قتله بكل ممكن ومنهم من قتل رسوله (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق) أى ما حاولوا بالشبهة ليردوا الحق الواضح الجلى

وقد قال أبو القاسم الطبراني ثنا طي بن عبد العزيز ثنا عارم أبو الزمان ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت أبي يحدث عن حنشل عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أعان باطلا ليدحض به حقا فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم » وقوله جلت عظمتهم (فأخذتهم) أى أهلكتهم على ما صنعوا من هذه الآثام والذنوب العظام (فكيف كان عقاب) أى فكيف بلغك عذابهم لهم ونكالي بهم قد كان شديدا موجعا مؤلما . قال قتادة كان شديدا والله . وقوله جل جلاله (وكذلك حققت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) أى كما حققت كلمة العذاب على الذين كفروا من الأمم السالفة كذلك حققت على المكذبين من هؤلاء الذين كذبوك وخالفوك يا محمد بطريق الأولى والأخرى لأن من كذبك فلا وثوق له بتصديق غيرك والله أعلم .

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن الملائكة المقرين من حملة العرش الأربعة ومن حوله من الملائكة السكرويين بأنهم يسبحون بحمد ربهم أى يقرنون بين التسبيح الدال على نفي القائص والتحميد المقضى لإثبات صفات المدح (ويؤمنون به) أى خاشعون له أدلاء بين يديه وأنهم (يستغفرون للذين آمنوا) أى من أهل الأرض ممن آمن بالغيب فقيض الله تعالى ملائكته المقرين أن يدعوا للمؤمنين بظهور الغيب ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهور الغيب كما ثبت في صحيح مسلم « إذا دعا المسلم لأخيه بظهور الغيب قال الملك آمين ولك بمثله » . وقد قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد هو ابن أبي شيبة ثنا عبيدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ « صدق أمية بن أبي الصلت في شيء من شعره » فقال

زحل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

فقال رسول الله ﷺ « صدق » فقال

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد

تأبى فما تطلع لنا في رسالها إلا مهذبة وإلا تجملها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدق » وهذا إسناد جيد وهو يقتضى أن حملة العرش اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية كما قال تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) وهنا سؤال وهو أن يقال ما الجمع بين المفهوم من هذه الآية ودلالة هذا الحديث ؟ وبين الحديث الذى رواه أبو داود ثنا محمد بن الصباح البزار ثنا الوليد ابن أبي ثور عن سماك عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : كنت بالبطحاء في عصاية فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم مسحابة فنظر إليها فقال « ما تسمون هذه ؟ » قالوا

السحاب ، قال « والزن قال « والعنان قالوا والعنان ، قال أبو داود ولم أقف العنان جيدا ، قال « هل تدرؤن بعدما بين السماء والأرض ؟ » قالوا لا ندري ، قال « بعدما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السماء السابعة بحر ما بين أسفله وأعله مثل بين السماء إلى السماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين السماء إلى السماء ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعله مثل ما بين السماء إلى السماء ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك » . ثم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث مالك ابن حرب به وقال الترمذي حسن غريب وهذا يقتضى أن حملة العرش ثمانية كما قال شهر بن حوش رضى الله عنه : حملة العرش ثمانية أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حملك بعد علمك ، وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك ولهذا يقولون إذا استغفروا للذين آمنوا (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) أى رحمتك تسع ذنوبهم وخطاياهم وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم (فاعف عن الذين تابوا واتبعوا سبيلك) أى فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنبأوا وأقلعوا عما كانوا فيه واتبعوا ما أمرتهم به من فعل الحيرات وترك المنكرات (وقهم عذاب الجحيم) أى وزحزحهم عن عذاب الجحيم وهو العذاب الموضع الألم (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) أى اجمع بينهم وبينهم لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع فى منازل متجاورة كما قال تبارك وتعالى (والذين آمنوا واتبعهم ذرياتهم بإيمان الحقنا بهم ذرياتهم وما ألتهم من عملهم من شيء) أى ساوينا بين الكل فى المنزلة لتقر أعينهم وما نقصنا العالى حتى يساوى الدانى بل رفعا ناقص العمل فساوينا به بكثير العمل فضلا منا ومنة . وقال سعيد بن جبير إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم ؟ فيقال إنهم لم يبلغوا طبقتك فى العمل فيقول إني إنما عملت لى ولهم فليحقون به فى الدرجة ثم تلا سعيد ابن جبير هذه الآية (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم) قال مطرف بن عبد الله بن الشخير : أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة ثم تلا هذه الآية (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) الآية وأغش عباده للمؤمنين الشياطين . وقوله تبارك وتعالى (إنك أنت العزيز الحكيم) أى الذى لا يمانع ولا يعالب وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن الحكيم فى أقوالك وأفعالك من شرعك وقدرك (وقهم السيئات) أى فعلها أو وبالها ممن وقعت منه (ومن تق السيئات يومئذ) أى يوم القيامة (فقد رحمته) أى لطفته به ونجته من العقوبة (وذلك هو الفوز العظيم)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾
 قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ * ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحِسُّمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ * هُوَ الَّذِي يُرِيكُم ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ * فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن الكفار أنهم ينادون يوم القيامة وهم فى غمرات النيران يتلغللون وذلك عندما باشر وامن عذاب الله تعالى مالا قبل لأحد به فمقتوا عند ذلك أنفسهم وأبغضوها غاية البغض بسبب ما أسلفوا من الأعمال السيئة التى كانت سبب دخولهم إلى النار فأخبرتهم الملائكة عند ذلك إخبارا عاليا نادوهم نداء بأن مقت الله تعالى لهم فى الدنيا حين كان يعرض عليهم الإيمان فيكفرون أشد من مقتكم أيها المعبودون أنفسكم اليوم فى هذه الحالة . قال قتادة فى قوله تعالى (لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون) يقول لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان فى الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوه أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عابوا عذاب الله يوم

القيامة ، وهكذا قال الحسن البصري ومجاهد والسدي وذو بن عبيد الله الجعفي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير الطبري رحمته الله عليهم أجمعين . وقوله (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) قال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه هذه الآية كقوله تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون) وكذا قال ابن عباس والضحاك وقتادة وأبو مالك وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية . وقال السدي أمتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا ، ثم أمتوا ثم أحيوا يوم القيامة ، وقال ابن زيد : أحيوا حين أخذ عليهم الميثاق من صلب آدم عليه السلام ثم خلقهم في الأرحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة ، وهذان القولان من السدي وابن زيد ضعيفان لأنه يلزمهما على ما قلنا ثلاث إحياءات وإماتات ، والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما ، والمقصود من هذا كله أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله عز وجل في عرصات القيامة كما قال عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) فلا يجابون ثم إذا رأوا النار وعانقوها ووقفوا عليها ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة فلا يجابون قال الله تعالى (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونسكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسيسها ومقامها وأغلظها كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم (وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا مما كنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل ، أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ؟ فذوقوا ثما للظالمين من نصير) (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون * قال اخسأ فيها ولا تكلمون) وفي هذه الآية الكريمة تطفئوا في السؤال وقدموا بين يدي كلامهم مقدمة وهي قولهم (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) أي قدرتك عظيمة فانك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا ثم أمتنا ثم أحييتنا فأنت قادر على ما تشاء ، وقد اعترفنا بذنوبنا وإنا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا (فهل إلى خروج من سبيل) أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا فانك قادر على ذلك لنعمل غير الذي كنا نعمل فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون ، فأجيبوا أن لا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا ، ثم علل المنع من ذلك بأن سبجياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تمجه وتنفيه ، ولهذا قال تعالى (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن يشرركم به مؤمنوا) أي أتمم هكذا تكونون وإن رددتم إلى الدار الدنيا كما قال عز وجل (ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقوله جل وعلا (فالحكم لله العلي الكبير) أي هو الخالق في خلقه العادل الذي لا يحور فيهدى من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويمدب من يشاء لا إله إلا هو ، وقوله جل جلاله (هو الذي يريك آياته) أي يظهر قدرته لخلقها بما يشاهدونه في خلقه العساوي والسفلى من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها (وينزل لكم من السماء رزقا) وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس من اختلاف ألوانه وطموحه وروائحه وأشكاله وألوانه وهو ماء واحد فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء (وما يتذكر) أي يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها (إلا من شيب) أي من هو بصير منيب إلى الله تبارك وتعالى وقوله عز وجل (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) أي فأخلصوا الله وحده العبادة والدعاء وخالفوا المشركين في مسلكتهم ومذهبهم . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا هشام يعني بن عروة بن الزبير عن أبي الزبير محمد بن مسلم بن مدرس السكي قال : كان عبد الله بن الزبير يقول في ذب كل صلاة حين يسلم لا إله إلا الله وحده شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهل بهن ذب كل صلاة . ورواه مسلم وأبو داود والترمذي من طريق عن هشام بن عروة وحجاج بن أبي عثمان وموسى بن عقبة ثلاثهم عن أبي الزبير عن عبد الله بن الزبير قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في ذب كل صلاة « لا إله إلا الله وحده لا شريك له »

وذكر تمامه . وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عقب الصلوات المكتوبات « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع حدثنا الحبيب بن ناصح حدثنا صالح يعني المروى عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « ادعوا الله تبارك وتعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله تعالى لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه »

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالى على جميع مخلوقاته كالسقف لها كما قال تعالى (من الله ذى المارج تخرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) وسيأتى إن شاء الله تعالى بيان أن هذه مسافة ما بين العرش إلى الأرض السابعة في قول جماعة من السلف والخلف وهو الأرجح إن شاء الله وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة . وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وقد تقدم في حديث الأوعال ما يدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم . وقوله تعالى (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) كقوله جلّت عظمته (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون) وكقوله تعالى (وإنا لننزل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) ولهذا قال عز وجل (لينذر يوم التلاق) قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس يوم التلاق اسم من أسماء يوم القيامة حذر الله منه عباده ، وقال ابن جريج قال ابن عباس رضى الله عنهما يلتقى فيه آدم وآخر ولده وقال ابن زيد يلتقى فيه العباد . وقال قتادة والسدى وبلال بن سعد ومسيان بن عبيدة يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض والحائق والخلاق ، وقال ميمون بن مهران يلتقى الظالم والمظلوم ، وقد يقال إن يوم التلاق يشمل هذا كله ويشمل أن كل عامل سيقى ما عمله من خير وشر كما قاله آخرون

وقوله جل جلاله (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) أى ظاهرون بادون كلهم لاشيء يكنهم ولا يظلمهم ولا يسترهم ولهذا قال (يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء) أى الجميع في علمه على السواء . وقوله تبارك وتعالى (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) قد تقدم في حديث ابن عمر رضى الله عنهما أنه تعالى يطوى السموات والأرض بيده ثم يقول أنا الملك أنا الجبار أنا التكبر ، أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ؟ أين التكبرون ؟ وفي حديث الصور أنه عز وجل إذا قبض أرواح جميع خلقه فلم يبق سواه وحده لا شريك له حينئذ يقول لمن الملك اليوم ؟ ثلاث مرات ثم يجيب نفسه قائلا (لله الواحد القهار) أى الذى هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن غالب الدقاق حدثنا عبيد بن عبيدة حدثنا معتمر عن أبيه حدثنا أبو نضرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ينادى مناد بين يدي الساعة يا أيها الناس أتنسك الساعة فيسمعها الأحياء والأموات قال وينزل الله عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول (لمن الملك اليوم ، لله الواحد القهار) . وقوله جلّت عظمته (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب) يخبر تعالى عن عدله في حكمه بين خلقه أنه لا يظلم مثقال ذرة من خير ولا من شر بل يجزى بالحسنة عشر أمثالها وبالسيئة واحدة ولهذا قال تبارك وتعالى (لا ظلم اليوم) كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل أنه قال « بأعبادى إني حرمت الظلم

على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظلموا — إلى أن قال — يا عبادى إتمامى أعمالكم أحصوها عليكم ثم أوفىكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله تبارك وتعالى ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » وقوله عز وجل (إن الله سريع الحساب) أى يحاسب الخلاق كلهم كما يحاسب نفساً واحدة كما قال جل وعلا (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وقال جل جلاله (وما أمرنا إلا واحدة فكلح بالبصر)

﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَسِيمٍ وَلَا شَفِيعٌ بِطَاعٍ * يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ * وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنْ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

يوم الأرزاق اسم من أسماء يوم القيامة وصحبت بذلك لاقتها كما قال تعالى (أرقت الآرقة * ليس لها من دون الله كاشفة) وقال عز وجل (اقتربت الساعة وانشق القمر) وقال جل وعلا (اقترب للناس حسابهم) وقال (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال جل جلاله (فلما رأوا مهلكة سيئت وجوه الذين كفروا) الآية . وقوله تبارك وتعالى (إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين) قال قتادة وقفت القلوب فى الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها ، وكذا قال عكرمة والسدى وغير واحد ، ومعنى كاظمين أى سكاكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتسكمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وقال ابن جرير (كاظمين) أى باكين . وقوله سبحانه وتعالى (ما للظالمين من حسيم ولا شفيع بطاع) أى ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم ولا شفيع يشفع فيهم بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير . وقوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) يخبر عز وجل عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء جليها وحقيها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ليحذر الناس علمه فيستحيوا من الله تعالى حق الحياء ويتقوه حق تفواه ، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه فإنه عز وجل يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة ويعلم ما تنطوى عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر . قال ابن عباس رضى الله عنهم فى قوله تعالى (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) هو الرجل يدخل على أهل البيت بينهم وفيهم المرأة الحسنة أو تمر به وبهم المرأة الحسنة فإذا غفلوا لحظ إليها فإذا فطنوا غص بصره عنها فإذا غفلوا لحظ فإذا فطنوا غص ، وقد اطلع الله تعالى من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها . رواه ابن أبى حاتم ، وقال الضحاك (خائنة الأعين) هو العزم وقول الرجل رأيت ولم ير . أو لم أر وقد رأى . وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعلم الله تعالى من العين فى نظرها هل تريد الحيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وما تخفى الصدور) يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تنزى بها أم لا ؟ وقال السدى (وما تخفى الصدور) أى من الوسوسة

وقوله عز وجل (والله يقضى بالحق) أن يحكم بالعدل ، قال الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (والله يقضى بالحق) قادر على أن يحزى بالحسنة الحسنة وبالسئنة السئنة (إن الله هو السميع البصير) وهذا الذى فسر به ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآية كقوله تبارك وتعالى (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) وقوله جل وعلا (والذين يدعون من دونه) أى من الأصنام والأوثان والأنداد (لا يقضون شىء) أى لا يملكون شيئا ولا يحكمون شىء (إن الله هو السميع البصير) أى سميع لأقوال خلقه بصير بهم فبهدى من يشاء ويضل من يشاء وهو الحاكم العادل فى جميع ذلك

﴿وَأَوَّلَ يُسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا

فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ
فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى (أو لم يسيروا) هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد (في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) أي من الأمم المكذبة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما حل بهم من العذاب والعقاب مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة (وأناروا في الأرض) أي أثروا في الأرض من البنيات والعالم والديارات مالا يقدر هؤلاء عليه كما قال عز وجل (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه) وقال تعالى (وأناروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها) أي مع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد أخذهم الله بذنوبهم وهى كفرهم برسلمهم (وما كان لهم من الله من واق) أي ومادفع عنهم عذاب الله أحد ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واق ، ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها فقال تعالى (ذلك بأنهم كانت تأتيتهم رسلهم بالبينات) أي بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات (فكفروا) أي مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا (فأخذهم الله) تعالى أي أهلستهم ودمر عليهم وللكافرين أمثالها (إنه قوي شديد العقاب) أي ذو قوة عظيمة وبطش شديد (وهو شديد العقاب) أي عقابه أليم شديد وجيع ، أعاذنا الله تبارك وتعالى منه

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ * وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِّنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾

يقول تعالى مسلماً لنبى محمد ﷺ في تكذيب من كذبه من قومه ومبشراً له بأن العاقبة والنصرة له في الدنيا والآخرة كما جرى لموسى بن عمران عليه السلام فإن الله تعالى أرسله بالآيات البينات ، والدلائل الواضحات ولهذا قال تعالى (بآياتنا وسلطان مبين) والسلطان هو الحججة والبرهان (إلى فرعون) وهو ملك القبط بالديار المصرية (وهامان) وهو وزيره في مملكته (وقارون) وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة (فقالوا ساحر كذاب) أي كذبوه وجعلوه ساحراً مجنوناً مموها كذاباً في أن الله أرسله وهذه كقولته تعالى (كذلك ما أتى الدين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به؟ بل هم قوم طاغون) (فما جاءهم بالحق من عندنا) أي بالبرهان القاطع الدال على أن الله عز وجل أرسله إليهم (قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) وهذا أمر ثان من فرعون يقتل ذكور بني إسرائيل . أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم أو لمجموع الأمرين ، وأما الأمر الثاني فللملامة الثانية ولاهاته هذا الشعب ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام ولهذا قالوا (أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون) قال قتادة هذا أمر بعد أمر ، قال الله عز وجل (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) أي وما مكبرهم وقصدتهم الذى هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا يعصروا عليهم إلا ذاهب وهالك في ضلال (وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه) وهذا عزم من فرعون لعنه الله تعالى على قتل موسى عليه الصلاة والسلام أي قال لقومه دعوني حتى أقتل لكم هذا (وليدع ربه) أي لا أبالي منه ، وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعدا ، وقوله قبحه الله (إنى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) يعنى موسى ، يخشى فرعون أن يضل موسى الناس ويغير رسومهم

وعاداتهم ، وهذا كما يقال في المثل : صار فرعون مذكراً ، يعني واعظاً يشفق على الناس من موسى عليه السلام . وقرأ الآكثرون (أن يبدل دينكم وأن يظهر في الأرض الفساد) وقرأ الآخرون (أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) وقرأ بعضهم (يظهر في الأرض الفساد) بالضم (وقال موسى إني عدت إلى ربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) أي لما بلغه قول فرعون (ذروني أقتل موسى) قال موسى عليه السلام استجرت بالله وعدت به من شره وشر أمثاله ولهذا قال (إني عدت إلى ربكم) أيها المخاطبون (من كل متكبر) أي عن الحق مجرم لا يؤمن بيوم الحساب) ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال « اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندأ بك في نحورهم »

﴿ وَقَالَ رَبُّ لِّمُؤْمِنٍ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَبْدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ * يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصَرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنِ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾

المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطياً من آل فرعون ، قال السدي : كان ابن عم فرعون ويقال إنه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام ، واختاره ابن جرير ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيلياً لأن فرعون لن يفعل لكلامه واستمعه وكف عن قتل موسى عليه السلام ، ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يهاجل بالعقوبة لأنه منهم وقال ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذي قال (باموسى إن الملأ يأتون بك ليقتلوك) رواه ابن أبي حاتم وقد كان هذا الرجل يكتُم إيمانه عن قومه القبط فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون (ذروني أقتل موسى) فأخذت الرجل غصبة لله عز وجل ، وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر كما ثبت بذلك الحديث ، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهى قوله (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) اللهم إلا ما رواه البخارى في صحيحه حيث قال حدثنا علي بن عبد الله حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني يحيى بن أبي كثير حدثني محمد بن إبراهيم التيمي حدثني عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله) وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟) انفرد به البخارى من حديث الأوزاعي قال وتابعه محمد بن إسحاق عن إبراهيم بن عروة عن أبيه به : وقال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني حدثنا عبدة عن هشام يعني ابن عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سئل ما أشد ما رأيت قريشاً ينفون من رسول الله ﷺ ؟ قال من ﷺ ذات يوم فقالوا له أنت تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا ؟ فقال « أنا ذاك » فقاموا إليه فأخذوا بمجامع ثيابه فرأيت أبا بكر رضي الله عنه محتضنه من ورائه وهو يصيح بأعلى صوته وإن عينيه ليسيلان وهو يقول يا قوم (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم) حتى فرغ من الآية كلها وهكذا رواه النسائي من حديث عبدة فجعله من مسند عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وقوله تعالى (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ربي الله وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق ثم نزل معهم في المخاطبة فقال (وإن ياك كاذباً فعليه كذبه وإن ياك صادقاً يصيبكم بعض الذي يعدكم) يعني إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل

والرأى التام والحزم أن تتركوه ونفسه فلا تؤذوه فإن يك كاذبا فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة فمن الجائز عندهم أن يكون صادقا فينبغي على هذا أن لا تعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه . وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه السلام أنه طلب من فرعون وقومه المواعدة في قوله (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إلى عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعالوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين * وإني عدت بربي وربكم أن ترحموني * وإن لم تؤمنوا إلى قاعترلون) وهكذا قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله تعالى عباد الله ولا يمسوه بسوء ويصاوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته قال الله عز وجل (قل لا أسألكم عليه أحرا إلا المودة في القربى) أى أن لا تؤذوني فيما بينى وبينكم من القرابة فلا تؤذوني وتتركوا بينى وبين الناس ، وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية وكان فتحا مبينا ، وقوله جل وعلا (إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) أى لو كان هذا الذي يزعم أن الله تعالى أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون لكان أمره بيننا يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله فكانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما ، ولو كان من السرفين الكذابين لما هداه الله وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله ، ثم قال المؤمن محذرا قوم زوال نعمة الله عنهم وحاول نعمة الله بهم (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض) أى قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالحاكمة النافذة والجاه العريض فراعوا هذه النعمة بشكر الله تعالى وتصديق رسوله ﷺ واحذروا نعمة الله إن كذبتم رسوله (فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا) أى لا تنفى عنكم هذه الجزود وهذه العساكر ولا ترد عنا شيئا من بأس الله إن أردنا بسوء (قال فرعون) لقومه راداً على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار بالراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون (ما أرىكم إلا ما أرى) أى ما أقوالكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسى وقد كذب فرعون فإنه كان يتحقق صدق موسى عليه السلام فيما جاء به من الرسالة (قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) وقال الله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) فقولاه (ما أرىكم إلا ما أرى) كذب فيه وافترى وخان الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ورعيته فغشهم وما نصحهم وكذا قوله (وما أهديك إلا سبيل الرشاد) أى وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا في ذلك وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه قال الله تبارك وتعالى (فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد) وقال جللت عظمتة (وأضل فرعون قومه وما هدى) وفي الحديث « ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيتة إلا لم يرح راحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام » والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ * وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مَذْبِرَيْنَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ * الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِمَنِّرِ سُلْطَانٍ أَنَّهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون أنه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا

والآخرة فقال (يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) أى الذين كذبوا رسل الله فى قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف حل بهم بأس الله ومارده عنهم راد ولا صده عنهم صاد (وما الله يريد ظلاما للعباد) أى إنما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم ورسوله ومخالفتهم أمره فأنفذ فيهم قدره ثم قال (يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) يعنى يوم القيامة وسمى بذلك قال بعضهم لما جاء فى حديث الصور إن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هاربين ينادى بعضهم بعضا وقال آخرون منهم الضحك بل ذلك إذا جىء بهجهم ذهب الناس هربا منهم فقتلناهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر وهو قوله تعالى (والملك على أرجائها) وقوله (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه والحسن والضحاك أنهم قرأوا يوم التناد بتشديد الدال من ند البعير إذا تردى وذهب وقيل لأن الميزان عنده ملك إذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان بن فلان سعد فلا يشقى بعدها أبدا ، وإن خف عمله نادى ألا قد شقى فلان بن فلان وقال قتادة ينادى كل قوم بأعمالهم ، ينادى أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار ، وقيل سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم) ومناداة أهل النار أهل الجنة (أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين) ومناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور فى سورة الأعراف ، واختار البغوى وغيره أنه سمي بذلك لمجوع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم . وقوله تعالى (يوم تولون مدبرين) أى ذاهبين هاربين (كاللا ولا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) ولهذا قال عز وجل (ما لكم من الله من عاصم) أى لا مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه (ومن يضلل الله فلا هادى له) أى من أضله الله فلا هادى له غيره . وقوله تبارك وتعالى (ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات) يعنى أهل مصر قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى عليه الصلاة والسلام وهو يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط ظاهرا وطاهرا تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوى ولهذا قال تعالى (فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) أى يئستم فقتلتم طامعين (ان يبعث الله من بعده رسولا) وذلك لكفرهم وتكذيبهم (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) أى كحالكم هذا يكون حال من يضل الله لاسرافه فى أفعاله وارتباب قلبه ، ثم قال عز وجل (الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم) أى الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون بالحجج بغير دليل وحجة معهم من الله تعالى فإن الله عز وجل يعقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى (كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا) أى والمؤمنون أيضا يغيضون من تكون هذه صفته فإن من كانت هذه صفته يطبع الله على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ولهذا قال تبارك وتعالى (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر) أى على اتباع الحق (جبار) وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة وحكى عن الشعبي أنهما قال لا يكون الإنسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال أبو عمران الجوني وقتادة : آية الجبارة القتل بغير حق والله تعالى أعلم

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا * وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سُوهُ عَمَلِهِ * وَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ * وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَاتٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وعتوه وتمرده واقترائه فى تكذيبه موسى عليه الصلاة والسلام أنه أمر وزيره هامان أن يبنى له صرحا وهو القصر العالى المنيف الشاهق وكان اتخاذه من الآجر المضروب من الطين المشوى كما قال تعالى (فأوفد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا) ولهذا قال إبراهيم النخعي كانوا يكرهون البناء بالآجر وأن يعمروا فى

قبورهم رواه ابن أبي حاتم ، وقوله (لعل أبلغ الأسباب أسباب السموات) الخ قال سعيد بن جبير وأبو صالح أبواب السموات وقيل طرق السموات (فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً) وهذا من كفره وتمرده أنه كذب موسى عليه الصلاة والسلام في أن الله عز وجل أرسله إليه قال الله تعالى (وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) أى بصنعه هذا الذى أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى تكذيب موسى عليه الصلاة والسلام ولهذا قال تعالى (وما كيد فرعون إلا فى تباب) قال ابن عباس ومجاهد يعنى إلا فى خسار

﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنبَأَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ونسى الجبار الأعلى فقال لهم (يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد) لا كما كذب فرعون فى قوله (وما أهدىكم إلا سبيل الرشاد) ثم زهدهم فى الدنيا التى قد آثروها على الآخرة وصديهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام فقال (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع) أى قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل (وإن الآخرة هى دار القرار) أى الدار التى لا زوال لها ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غير هابل إما نعم وإما جحيم ولهذا قال جلت عظمته (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلاً) أى واحدة مثلاً (ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أى لا يتقدر بجزاء بل يثيبه الله عز وجل ثواباً كثيراً لا انقضاء له ولا نقاد والله تعالى الموفق للصواب

﴿ وَيَقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤُصُّ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَسْكُرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾

يقول لهم المؤمن ما بالى أَدْعُوكُمْ إلى النجاة وهى عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم الذى بعثه (وتدعوننى إلى النار) تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم (أى على جهل بلا دليل) وأنا أَدْعُوكُمْ إلى العزيز الغفار (أى هو فى عزته وكبريائه يغفر ذنوب من تاب إليه) لا جرم أنما تدعوننى إليه (يقول حقاً؟ قال السدى وابن جرير معنى قوله (لا جرم) حقاً وقال الضحاك (لا جرم) لا كذب وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (لا جرم) يقول بلى إن الذى تدعوننى إليه من الأصنام والأنداد (ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة) قال مجاهد : الوثن ليس له شئ ، وقال قتادة يعنى الوثن لا ينفع ولا يضر ، وقال السدى : لا يجيب داعيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وهذا كقوله تبارك وتعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون؟) وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم) وقوله (وأن مردنا إلى الله) أى فى الدار الآخرة فيجازى كلا بعمله ولهذا قال (وأن المسرفين هم أصحاب النار) أى

خالدين فيها باسرافهم وهو شركهم بالله عز وجل (فستذكرون ما أقول لكم) أى سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتمكم عنه ونصحتكم ووضحت لكم وتذكرونه وتندمون حيث لا ينفعكم الندم (وأفوض أمري إلى الله) أى وأتوكل على الله وأستعينه وأقاطعكم وأباعدكم (إن الله بصير بالعباد) أى هو بصير بهم تعالى وتقدس فيهدى من يستحق الهداية ويضل من يستحق الاضلال وله الحجة البالغة والحكمة التامة والقدر النافذ . وقوله تبارك وتعالى (فوقه الله سيئات ما مكروا) أى فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام وأما فى الآخرة فبالجنة (وحاق بآل فرعون سوء العذاب) وهو العرق فى اليم ثم النقلة منه إلى الجحيم ، فان أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة فاذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم فى النار ولهذا قال (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) أى أشده ألما وأعظمه نكالا ، وهذه الآية أصل كبير فى استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ فى القبور وهى قوله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشيا)

ولسكن هنا سؤال وهو أنه لاشك أن هذه الآية مكية وقد استدلوا بها على عذاب القبر فى البرزخ وقد قال الإمام أحمد ثنا هاشم هو ابن القاسم أبو النضر ثنا إسحاق بن سعيد هو ابن عمرو بن سعيد بن العاص ثنا سعيد بنى أباه عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية كانت تحمدها فلا تصنع عائشة رضى الله عنها إليها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية وقال الله عذاب القبر قالت عائشة رضى الله عنها فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على فقالت يا رسول الله هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا ، من زعم ذلك ؟ » قالت هذه اليهودية لا أصنع أليها شيئا من المعروف إلا قالت وقال الله عذاب القبر قال ﷺ « كذبت يهود وهم على الله أ كذب لا عذاب دون يوم القيامة » ثم مكث بعد ذلك ماشاء الله أن يمكث فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه محمرا عيناه وهو ينادى بأعلى صوته « القبر كقطع الليل المظلم ، أيها الناس لو تعلمون ما أعلم بكيتكم كثيرا وضجكنم قليلا ، أيها الناس استعينوا بالله من عذاب القبر فان عذاب القبر حق » وهذا إسناد صحيح على شرط البخارى ومسلم ولم يخرجاه وروى أحمد ثنا يزيد ثنا سفيان عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت سألتها امرأة يهودية فأعطتها فقالت لها وقال الله من عذاب القبر فأنسكت عائشة رضى الله عنها ذلك فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم قالت له فقال ﷺ « لا » قالت عائشة رضى الله عنها ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك « وإنه أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم » وهذا أيضا على شرطهما . فيقال فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدواً وعشيا فى البرزخ وليس فيها دلالة على اتصال نالها بأجسادها فى القبور إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح فأما حصول ذلك للجسد فى البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة فى الأحاديث المرضية الآتى ذكرها . وقد يقال إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار فى البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن فى قبره بدين . ومما يدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد ثنا عثمان بن عمر ثنا يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها امرأة من اليهود وهى تقول أشعرت أنكم تفتنون فى قبوركم ؟ فارتاع رسول الله ﷺ وقال « إنما يفتن يهود » قالت عائشة رضى الله عنها فابتننا لىالى ثم قال رسول الله ﷺ « ألا إنكم تفتنون فى القبور » وقالت عائشة رضى الله عنها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعين من عذاب القبر ، وهكذا رواه مسلم عن هارون بن سعيد وحرملة كلاهما عن ابن وهب عن يونس بن يزيد الإيلي عن الزهرى به

وقد يقال إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح فى البرزخ ولا يلزم من ذلك أن يتصل فى الأجساد فى قبورها فلما أوحى إلى النبي ﷺ فى ذلك بخصوصه استعاذ منه والله سبحانه وتعالى أعلم . وقد روى البخارى من حديث شعبة عن أشعث عن ابن أبي الشعثاء عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها فقالت نودى بالله من عذاب القبر فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر

فقال صلى عليه وسلم « نعم عذاب القبر حق » قالت عائشة رضي الله عنها : لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر . فهذا يدل على أنه بادر صلى الله عليه وسلم إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر وقرر عليه ، وفي الأخبار للتقدمة أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي فلهما قضيتان والله سبحانه أعلم وأحاديث عذاب القبر كثيرة جداً وقال قتادة في قوله تعالى (غدوا وعشيا) صباحاً ومساءً ما بقيت الدنيا يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم تؤيخا ونقمة وصغاراً لهم ، وقال ابن زيد هم فيها اليوم يغدى بهم ويراح إلى أن تقوم الساعة . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا الحارثي ثنا ليث عن عبد الرحمن بن ثروان عن هذيل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : إن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا ، وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوى إلى قناديل معلقة في العرش ، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها ، وقد رواه الثوري عن أبي قيس عن أبي الهذيل ابن شرحبيل من كلامه في أرواح آل فرعون وكذلك قال السدي . وفي حديث الإسراء عن رواية أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه « ثم انطلق بي إلى خلق كثير من خلق الله رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سبالة آل فرعون وآل فرعون يعضون على النار غدواً وعشيا (ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وآل فرعون كالإبل المسومة يخطبون الحجارة والشجر ولا يعقلون » وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا زيد بن أكرم ثنا عامر بن مدرك الحارثي ثنا عتبة - يعني ابن يقظان - عن قيس بن مسلم عن طارق عن شهاب عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا أثابه الله تعالى » قال قلنا يارسول الله ما إجابة الله للكافر؟ فقال « إن كان قد وصل رحماً أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله تبارك وتعالى المال والولد والصحة وأشبه ذلك » قلنا فما إجابته في الآخرة؟ قال صلى الله عليه وسلم « عذابا دون العذاب » وقرأ (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) ورواه البزار في مسنده عن زيد بن أكرم ثم قال : لا نعلم له إسناداً غير هذا . وقال ابن جرير ثنا عبد الكريم بن أبي عمير ثنا حماد بن محمد الفزاري البلخي قال سمعت الأوزاعي وسأله رجل فقال رحمك الله رأيت طيوراً تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا فوجاً فوجاً لا يعلم عددها إلا الله عز وجل فإذا كان العشي رجع مثلها سوداً قال وفطمتهم إلى ذلك ! قال نعم ، قال إن ذلك الطير في حواصلها أرواح آل فرعون يعضون على النار غدواً وعشيا فترجع إلى وكورها وقد احترقت أرياشها وصارت سوداً فينبت عليها من الليل ريش أبيض ويتناثر الأسود ثم تغدو على النار غدواً وعشيا ثم ترجع إلى وكورها ، فذلك دأبهم في الدنيا فإذا كان يوم القيامة قال الله تعالى (أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) قال وكانوا يقولون إنهم ستمائة ألف مقاتل ، وقال الإمام أحمد ثنا إسحاق ثنا مالك عن عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحذكم إذامات عرض عليه مقدمه بالعداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقدمك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة » أخرجاه في الصحيحين من حديث مالك به

﴿ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزَانَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَأْتِيَكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا لَنَلِيَّ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾

يخبر تعالى عن تهاج أهل النار في النار وخصمهم وفرعون وقومه من جملتهم فيقول الضعفاء وهم الأتباع للذين استكبروا وهم القادة والسادة والكبراء (إنا كنا لكم تبعاً) أى أطعناكم فيما دعوتونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال (فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار) أى قسطاً تتحملونه عنا (قال الذين استكبروا إنا كل فيها) أى لا تتحمل عنهم شيئاً كفى بنا ما عندنا وما حملنا من العذاب والنكال (إن الله قد حكم بين العباد) أى قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا كما قال تعالى (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) وقال الذين في النار لحزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب) لما علموا أن الله عز وجل لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم بل قد قال (اخشوا فيها ولا تكلمون) سألوها الحزنة وهم كالسجانين لأهل النار أن يدعوا لهم الله تعالى في أن يخفف عن الكافرين ولو يوماً واحداً من العذاب فقالت لهم الحزنة رادين عليهم (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟) أى أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على السنة الرسل (قالوا بلى قالوا فادعوا) أى أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ونحن منكم برآء ثم تخبركم أنه سواء دعوتهم أولم تدعوا لاستجاب لكم ولا يخفف عنكم ولهذا قالوا (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) أى إلا في ذهاب لا يقبل ولا يستجاب

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يُقُومُ الشَّهَادَةُ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ * فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ * إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِتَغْيِيرِ سُطُلَانِ أَتَاهُمْ إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا مَاهُمْ بِبَلَّغِيهِ فَاسْتَمِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿

قد أورد أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى عند قوله تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا) سؤالاً فقال قد علم أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قتله قومه بالسكية كيحيى وزكريا وشعيا ومنهم من خرج من بين أظهرهم إما مهاجراً كإبراهيم ، وإما إلى السماء كعيسى فأين النصرة في الدنيا ثم أجاب عن ذلك بجوابين (أحدهما) أن يكون الخبر خرج عاماً والمراد به البعض قال وهذا سائغ في اللغة (الثاني) أن يكون المراد بالنصر الانتصار لهم ممن آذاهم وسواء كان ذلك بحضرتهم أو في غيبتهم أو بعد موتهم كما فعل بقتلة يحيى وزكريا وشعيا ساطع عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم وقد ذكر أن النمرود أخذ الله تعالى أخذه عزير مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح عليه السلام من اليهود فسلط الله تعالى عليهم الروم فأهانوهم وأذلواهم وأظهرهم الله تعالى عليهم ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ويقتل الخنزير ويسكر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام وهذه نصرة عظيمة وهذه سنة الله تعالى في خاتمه في قديم الدهر وحديثه أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ويقر أعينهم ممن آذاهم ففي صحيح البخارى عن أنى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تبارك وتعالى من عادى لى ولما فقد بارزنى بالحرب » وفي الحديث الآخر « إني لأنار لأوليائى كما يثار الاليت الحرب » ولهذا أهلك الله عز وجل قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب الرس وقوم لوط وأهل مدين وأشباهم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق . وأنجى الله تعالى من بينهم المؤمنين فلم يهلك منهم أحداً وعذب الكافرين فلم يقات منهم أحداً ، قال السدى لم يبعث الله عز وجل رسولا قط إلى قوم فيقتلونه أو قوماً من المؤمنين يدعون

إلى الحق فيقتلون فيذهب ذلك القرن حتى يبعث الله تبارك وتعالى لهم من ينصرهم فيطلب بدعائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا قال فكانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون فيها . وهكذا نصر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفه وناوأه وكذبه وعاداه فجعل كلمته هي العليا ودينه هو الظاهر على سائر الأديان ، وأمره بالحجرة من بين ظهرائي قومه إلى المدينة النبوية وجعل له فيها أنصاراً وأعواناً ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر فصره عليهم وخذلهم وقتل صناديدهم ، وأسر سرائرهم فاستاقهم مقرنين في الأصفاد ، ثم من عليهم بأخذه الفداء منهم ثم بعد مدة قرية فتح عليه مكة فمرت عينه ببلده وهو البلد الحرام المشرف العظيم فأثقه الله تعالى به مما كان فيه من الكفر والشرك وفتح له الجن ودانت له جزيرة العرب بكاملها ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ثم قبضه الله تعالى إليه لئلا يله عنه من الكرامة العظيمة فأقام الله تبارك وتعالى أصحابه خلفاء بعده فبلغوا عنه دين الله عز وجل ودعوا عباد الله تعالى إلى الله جل وعلا ، وفتحوا البلاد والرساتيق والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومفارجها . ثم لا يزال هذا الدين قائماً منصوراً ظاهراً إلى قيام الساعة ولهذا قال تعالى (إنا لننصر رسالنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) أي يوم القيامة تكون النصره أعظم وأكبر وأجل ، قال مجاهد : الأشهاد الملائكة . وقوله تعالى (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) بدل من قوله (ويوم يقوم الأشهاد) وقرأ آخرون يوم بالرفع كأنه فسر به (يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين) وهم المشركون (معذرتهم) أي لا يقبل منهم عذر ولا فدية (ولهم اللعنة) أي الأبعاد والطرده من الرحمة (ولهم سوء الدار) وهي النار قاله السدي بئس المنزل والمقيل ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ولهم سوء الدار) أي سوء العاقبة وقوله تعالى (ولقد آتينا موسى الهدى) وهو ما بعثه الله عز وجل به من الهدى والنور (وأورثنا بني إسرائيل الكتاب) أي جعلنا لهم العاقبة وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه بمصبروا على طاعة الله تبارك وتعالى واتباع رسوله موسى عليه الصلاة والسلام وفي الكتاب الذي أورثوه وهو التوراة (هدى وذكري لأولى الألباب) وهي العقول الصحيحة السليمة . وقوله عز وجل (فاصبر) أي يا محمد (إن وعد الله حق) أي وعدناك أنا سنعلي كلمتك ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك والله لا يخلف اليعاد وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك وقوله تبارك وتعالى (واستغفر لذنوبك) هذا تهنيج للامة على الاستغفار (وسبح بحمد ربك بالعمى) أي في أواخر النهار وأوائل الليل (والابكار) وهي أوائل النهار وأواخر الليل . وقوله تعالى (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم) أي يدفعون الحق بالباطل ويردون الحجة الصحيحة بالشبه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله (إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) أي ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق واحتقار لمن جاءهم به وليس ما يرومونه من إجماع الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم بل الحق هو المرفوع وقولهم وقصدتهم هو الموضوع (فاستعذ بالله) أي من حال مثل هؤلاء (إنه هو السميع البصير) أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان هذا تفسير ابن جرير وقال كعب وأبو العالية نزلت هذه الآية في اليهود (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه) قال أبو العالية وذلك أنهم ادعوا أن الدجال منهم وأنهم يملكون به الأرض فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم آمراً له أن يستعبد من فتنة الدجال ولهذا قال عز وجل (فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) وهذا قول غريب وفيه تمسك بعيد وإن كان قد رواه ابن أبي حاتم في كتابه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ اَخْلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى منها على أنه يعيد الحساب يوم القيامة وأن ذلك سهل عليه يسير لديه بأنه خلق السموات والأرض وخلقهما أكبر من خلق الناس بدءاً وإعادة فمن قدر على ذلك فهو قادر على مادونه بطريق الأولى والأحرى كما قال تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهم قادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شيء قدير) وقال ههنا (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله تعالى خلق السموات والأرض وينكرون المعاد استبعاداً وكفراً وعناداً وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا ثم قال تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلاً ما تتذكرون) أى كما لا يستوى الأعمى الذى لا يبصر شيئاً والبصير الذى يرى ما انتهى إليه بصره ، بل بينهما فرق عظيم كذلك لا يستوى المؤمنون الأبرار والسكفرة الفجار (قليلاً ما تتذكرون) أى ما أقل ما يتذكر كثير من الناس ثم قال تعالى (إن الساعة لآتية) أى لكائنة وواقعة (لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أى لا يصدقون بها بل يكذبون بوجودها . قال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أشهب حدثنا مالك عن شيخ قديم من أهل اليمن قدم من ثم قال سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس واشتد حر الشمس والله أعلم ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه وتكفل لهم بالإجابة كما كان سفيان الثوري يقول يامن أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله ، ويامن أبغض عباده إليه من لم يسأله وليس أحد كذلك غيرك يا رب . رواه ابن أبي حاتم وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حيث يسأل يغضب

وقال قتادة : قال كتب الأخبار أعطيت هذه الأمة ثلاثاً لم تعطن أمة قبلها لا نبى : كان إذا أرسل الله نبياً قال له أنت شاهد على أمتك وجعلك شهيداً على الناس ، وكان يقال له ليس عليك في الدين من حرج وقال لمسند الأمة (وما جعل عليكم في الدين من حرج) وكان يقال له ادعنى أستجب لك وقال لهذه الأمة (ادعوني أستجب لكم) رواه ابن أبي حاتم . وقال الإمام الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن الحسن الموصلى في مسنده حدثنا أبو إبراهيم الترمذى حدثنا صالح المدنى قال سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال « أربع خصال واحدة منهن لى واحدة لك وواحدة فى يدي وبينك ووحدة فيما بينك وبين عبادى ، فأما التى لى فتعبدنى لا تشرك بى شيئاً وأما التى لك على فما عملت من خير جزيتك به وأما التى بيني وبينك فترك الدعاء وعلى الإجابة وأما التى بينك وبين عبادى فأرض لهم ما ترضى لنفسك » . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زر عن يسع الكندى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ (ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وهكنا رواه أصحاح السنن الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير كلهم من حديث الأعمش به وقال الترمذى حسن صحيح ورواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير أيضاً من حديث شعبة عن منصور والأعمش كلاهما عن زر به وكنا رواه ابن يونس عن أسيد بن عاصم بن مهران حدثنا النعمان بن عبد السلام ثنا سفيان الثوري عن منصور عن زر به ، ورواه ابن حبان والحاكم فى صحيحهما وقال الحاکم صحيح الاسناد وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أبو صالح المدنى شيخ من أهل المدينة سمعه عن أبي صالح وقال مرة سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يدع الله عز وجل غضب عليه » تفرد به أحمد وهذا إسناد لا بأس به وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا مروان الفزاري حدثنا صبيح أبو المليح سمعت أبا صالح يحدث عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لا يسأله يغضب عليه » قال ابن معين أبو المليح هذا اسمه صحيح كذا قيده بالضم

عبد الغنى بن سعيد وأما أبو صالح هذا فهو الخوزى سكن شعب الخوز ، قاله البزار فى مسنده ، وكذا وقع فى روايته أبو المليح الفارسى عن أبي صالح الخوزى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من لم يسأل الله يغضب عليه » . وقال الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي حدثنا همام حدثنا إبراهيم ابن الحسن حدثنا نائل بن نجیح حدثنى عائذ بن حبيب عن محمد بن سعيد قال لما مات محمد بن مسلمة الأنصارى وجدنا فى ذؤابة سيفه كتابا بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لربكم فى بقية أيام دهركم نفحات فعضوا له لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبدا » وقوله عز وجل (إن الذين يستكبرون عن عبادتى) أى عن دعائى وتوحيدي سيدخلون جهنم داخرين أى صاغرين حقيرين كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صور الناس يعلمون كل شىء من الصغار حتى يدخلوا سجننا فى جهنم يقال له بولس تعاوهم نار الأنيار يسقون من طينة الجبال عصارة أهل النار » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو بكر بن محمد بن يزيد بن خنيس قال سمعت أبى يحدث عن وهيب بن الورد حدثنى رجل قال كنت أسير ذات يوم فى أرض الروم فسمعت هاتفا من فوق رأس جبل وهو يقول : يارب عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحدا غيرك يارب عجبت لمن عرفك كيف يطالب حوائجه إلى أحد غيرك . قال ثم ذهبت ثم جاءت الطامة الكبرى قال ثم عاد الثانية فقال يارب عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك يرضى غيرك قال وهيب وهذه الطامة الكبرى قال فناديته أجنى أنت أم إنسى ؟ قال بل إنسى اشغل نفسك بما يعينك عما لا يعينك

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَلْيَلٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ * ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تَوْفَكُونَ * كَذَلِكَ يُؤْتِيكَ الَّذِينَ كَانُوا بِثَابِتِ اللَّهِ يُجَاهِدُونَ * اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ * هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى ممثنا على خلقه بما جعل لهم من الليل الذى يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم فى المعاش بالنهار وجعل النهار مبصرا أى مضيا ليتصرفوا فيه بالأسفار وقطع الأقطار والتمسك من الصناعات (إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) أى لا يقومون بشكر نعم الله عليهم ثم قال عز وجل (ذلكم الله ربكم خالق كل شىء لا إله إلا هو) أى الذى فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد خالق الأشياء الذى لا إله غيره ولا رب سواه (فأتى توفكون) أى فكيف تعبدون غيره من الأصنام التى لا تخلق شيئا بل هى مخلوقة منجوتة

وقوله عز وجل (كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون) أى كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله كذلك أفك الذين من قبلهم فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى . وجحدوا حجج الله وآياته ، وقوله تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا) أى جعلها لكم مستقرا بساطا مهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون فى مناكبها وأرسلها بالجبال لئلا تميد بكم (والسما بناء) أى سقفا للعالم محفوظا (وصوركم فأحسن صوركم) أى فخلقكم فى أحسن الأشكال ومنحكم أكمل الصور فى أحسن تقويم (ورزقكم من الطيبات) أى من الماء كل والمشرب فى الدنيا فذكر أنه خلق الدار والسكان والأرزاق فهو الخالق الرازق كما قال تعالى فى سورة البقرة (يأتىها الناس

ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهَا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ * ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِبَيْتِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ * ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله ويجادلون في الحق بالباطل كيف تصرف عقولهم عن الهدى إلى الضلال (الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا) أى من الهدى والبيان (فسوف يعلمون) هذا تهديد شديد ، ووعد أكيد ، من الرب جل جلاله لهؤلاء كما قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) وقوله عز وجل (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل) أى متصلة بالأغلال بأيدي الزبانية يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم ولهذا قال تعالى (يسحبون ، في الحميم ثم في النار يسجرون) كما قال تبارك وتعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن) وقال تعالى بعد ذكر أكلهم الزقوم وشربهم الحميم (ثم إن مرجعهم إلى الجحيم) وقال عز وجل (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال * في سموم وحميم * وظل من يحموم * لا بارد ولا كريم - إلى أن قال - ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لا تكون من شجر من زقوم * فالثون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الحميم ، هذا نزلهم يوم الدين) وقال عز وجل (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم ، خذوه فأعنواهم إلى سواء الجحيم ، ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ، ذق إنك أنت العزيز الكريم ، إن هذا ما كنتم به تمترون) أى يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ والتحقيق والتضعيف والتهمك والاستهزاء بهم قال ابن حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن منيع حدثنا منصور بن عمار حدثنا بشير بن طلحة الخزاعي عن خاله بن دريك عن يعلى بن منبه رفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ينشئ الله عز وجل سجاية لأهل النار سوداء مظلمة ويقال يا أهل النار أى شئ تطلبون ؟ فيذكرون بها أصحاب الدنيا فيقول نسال باردا الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم وسلاسل تزيد في سلاسلهم وجمرا يلهب النار عليهم » وهذا حديث غريب وقوله تعالى (ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله؟) أى قيل لهم أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله هل ينصرونكم اليوم (قالوا ضلوا عنا) أى ذهبوا فلم ينفهمونا (بل لم تكن ندعوا من قبل شيئا) أى جحدوا عبادتهم كقولهم جلست عظمتهم (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) ولهذا قال عز وجل (كذلك يضل الله الكافرين) . وقوله (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض ببغير الحق وبما كنتم تمرحون) أى تقول لهم الثلاثكة هذا الذي أتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا ببغير الحق وفرحكم وأشركم وبطركم (ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين) أى فبئس المنزل والمقبل الذي فيه الهوان والعذاب الشديد لمن استكبر عن آيات الله واتباع دلائله وحججه والله أعلم

﴿١٠١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّيكَ بِمَعْزِلِ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى أمرا رسوله ﷺ بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه فان الله تعالى سينجز لك ما وعده من النصر والظفر على قومك وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة (فإما نربيك بمعض الذي نعدهم) أى في الدنيا وكذلك وقع فان الله تعالى أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم أييدوا في يوم بدر ثم فتح الله عليه مكة وسائر

جزيرة العرب في حياته ﷺ وقوله عز وجل (أو توفينك فإلينا يرجعون) أي فنديقهم العذاب الشديد في الآخرة ، ثم قال تعالى مسليا له (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك كما قال جل وعلا في سورة النساء مسوا أي منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة) ومنهم من لم نقصص عليك) وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف كما تقدم التنبيه على ذلك في سورة النساء والله الحمد والمثني . وقوله تعالى (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله) أي ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات إلا أن يأذن الله له في ذلك فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به (فإذا جاء أمر الله) وهو عذابه ونكاله المحيط بالكافرين (قضى بالحق) فينجي المؤمنين ، ويهلك الكافرين ولهذا قال عز وجل (وخسر هنالك المبطلون)

﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفَلَاحِ تَحْمَلُونَ * وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴾

يقول تعالى ممثنا على عباده بما خلق لهم من الأنعام وهي الأبل والبقر والغنم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، فالأبل تركب وتؤكل وتحلب ويحمل عليها الأثقال في الأسفار والرحال إلى البلاد النائية ، والأقطار الشاسعة ، والبقر تؤكل ويشرب لبنها وتحث عليها الأرض ، والغنم تؤكل ويشرب لبنها والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها فيصنع منها الأثاث والثياب والأمتعة كما فصل وبين في أما كن تقدم ذكرها في سورة الأنعام وسورة النحل وغير ذلك ولذا قال عز وجل ههنا (لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبأثروا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون) وقوله جل وعلا (ويرى آياته) أي حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم (فأى آيات الله تنكرون) أي لا تقدرون على إنكار شيء من آياته إلا أن تماندوا وتسكابروا

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءِثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر وماذا حل بهم من العذاب الشديد مع شدة قواهم وما أثروا في الأرض وجموعهم من الأموال فما أغنى عنهم ذلك شيئا ولا رد عنهم ذرة من بأس الله وذلك لأنهم لما جاءتهم الرسل بالبينات ، والحجج القاطعات . والبراهين الدامغات ، لم ينفقوا إليهم ولا أقبلوا عليهم واستنقوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل قال مجاهد قالوا نحن أعلم منهم لن نبعث وإن نعذب وقال السدي فرحوا بما عندهم من العلم بحججهم فأتاهم من بأس الله تعالى ما لا قبل لهم به (وحاق بهم) أي أحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) أي يكدبون ويستبعدون وقوعه (فلما رأوا بأسنا) أي عاينوا وقوع العذاب بهم (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) أي وحدوا الله عز وجل وكفروا بالطاغوت ولكن حيث لا تقال العثرات ولا تنفع المذرة وهذا كما قال فرعون حين أدركه العرق (آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين) قال الله تبارك وتعالى (آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) أي فلم يقبل الله منه لأنه قد استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام دعاءه عليه حين قال (واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وهكذا قال تعالى ههنا (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده) أي هذا حكم الله في جميع من تاب عند معارضة العذاب أنه لا يقبل ولهذا جاء في الحديث

« إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغفر » أى فإذا غفر وبغيت الروح الحجره وعابن الملك فلا توبة حينئذ ولهذا قال تعالى (وخسر هنالك الكافرون)

﴿ تفسير سورة فصلت وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حم * نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴾

يقول تعالى (حم تنزيل من الرحمن الرحيم) يعنى القرآن منزل من الرحمن الرحيم كقوله (قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقوله (وإنا لننزل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتسكون من المنذرين) وقوله تبارك وتعالى (كتاب فصلت آياته) أى بينت معانيه وأحكمت أحكامه (قرآنا عربيا) أى فى حال كونه قرآنا عربيا بينا واضحا فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مشككة كقوله تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) أى هو معجز من حيث لفظه ومعناه (لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله تعالى (لقوم يعلمون) أى إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماء الراسخون (بشيرا أو نذيرا) أى تارة يبشر المؤمنين وتارة ينذر الكافرين (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون) أى أكثر قريش فهم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه (وقالوا قلوبنا فى أكِنَّةٍ) أى فى غلف مغطاة (مما تدعوننا إليه وفى آذاننا وقْر) أى صمم عما جئنا به (ومن بيننا وبينك حجاب) فلا يصل إلينا شيء مما تقول (فأعمل إننا عاملون) أى اعمل أنت على طريقتك ونحن على طريقتنا لا نتابعك ، قال الإمام العالم عبد بن حميد فى مسنده حدثني ابن أبي شيبة حدثنا علي بن مسهر عن الأجلح عن الزيال ابن حرملة الأسدى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : اجتمعت قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذى قد فرق جماعتنا وشئت أمرنا وعاب ديننا فليحكمه ولينظر ماذا يرد عليه فقالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة ، فقالوا أنت يا أبا الوليد فأتاه عتبة فقال : يا محمد أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنت خير أم عبد المطلب ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التى عبت وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سخلة قط أشأم على قومك منك ، فرقت جماعتنا وشئت أمرنا ، وعبت ديننا وفضحتنا فى العرب ، حتى لقد طار فيهم أن فى قريش ساحرا وأن فى قريش كاهنا والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الجبل أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف حتى نقتل ، أيها الرجل إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا واحداً ، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أى نساء قريش شئت فلنزوجك عشراً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرغت » قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم -- حتى بلغ -- فان أعرضوا قل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا » فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك ، قال ما تركت شيئا أرى أنكم تسلكون به إلا كلمته ، قالوا فهل أجابك ، قال نعم لا والذى نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ، قالوا وملك يكلمك الرجل بالمرية لا تدري ما قال ، قال لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة . وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن أبي بكر بن أبي شيبة بإسناده مثله سواء ، وقد ساقه البغوى فى تفسيره بسنده عن محمد بن فضيل عن الأجلح وهو ابن عبد الله الكندى الكوفى وقد ضعف بعض

الشيء عن الزبال بن حرملة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه فذكر الحديث إلى قوله (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم ، فقال أبو جهل يامعشر قريش والله ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فانطلقوا اليه فقال أبو جهل : يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبت إلى محمد وأعجبك طعامه فان كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد ، ففضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيت عتبة وقصصت عليه القصة فأجاني بشيء والله ما هو بشيء ولا كرامة ولا سحر وقرأ السورة إلى قوله تعالى (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخشيت أن ينزل بك العذاب ، وهذا السياق أشبه من سياق البرار وأبي يعلى والله تعالى أعلم ، وقد أورد هذه القصة الإمام محمد بن إسحاق بن يسار في كتاب السيرة على خلاف هذا النمط فقال حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدي قال يوما وهو جالس في نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكله وأعرض عليه أمورا لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة رضى الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون ، فقاتلوا بلي يا أبا الوليد فقم إليه فكله ، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقته به جماعتهم وسفقت به أحلامهم وعبت به آلتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال له رسول الله ﷺ « قل يا أبا الوليد أسمع » قال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما نجئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا تقطع أمدادناك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك ريثا ترأه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أهوالنا حتى نبترئك منه فانه بما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قاله ، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال « أفرغت يا أبا الوليد ؟ » قال نعم . قال « فاستمع مني » قال أفعل . قال (بسم الله الرحمن الرحيم ، حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثر ثم فهم لا يسمعون) ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرأها عليه . فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خاف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى المسجد منها فسجد ثم قال « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذلك » فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نكف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فاجلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورأى أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة ، يامعشر قريش أطيعوني واجعلوا هالي خاوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكون لقوله الذي سمعت نبي ، فان نصبه العرب فقد كفيتهم بغيركم وإن يظهر على العرب فملككم ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به . قالوا سترك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال هذا رأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم . وهذا السياق أشبه من الذي قبله والله أعلم .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاَسْتَعِينُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين (إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) لا كما

تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين إنما الله إله واحد (فاستقيموا إليه) أى أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على السنة الرسل (واستغفروه) أى لسالف الذنوب (وويل للمشركين) أى دمار لهم وهلاك عليهم (الذين لا يؤتون الزكاة) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس يعنى الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة وهذا كقوله تبارك وتعالى (قدأفلح من زكاه ، وقد خاب من دساها) وكقوله جلّت عظمتة (قدأفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى) وقوله عز وجل (فقل هل لك إلى أن تزكى ؟) والمراد بالزكاة ههنا طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك ، وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام وتسكون سبباً لزيادته وبركته وكثرة نفعه وتوفيقاً إلى استعماله فى الطاعات ، وقال السدى (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة) أى لا يؤدون الزكاة ، وقال معاوية بن قرة ليس هم من أهل الزكاة وقال قتادة ينعون زكاة أموالهم وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين واختاره ابن جرير وفيه نظر لأن إيجاب الزكاة إنما كان فى السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية اللهم إلا أن يقال لا يبعد أن يكون أصل الصدقة والزكاة كان مأموراً به فى ابتداء البعثة كقوله تبارك وتعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بين أمرها بالمدينة ويكون هذا جمعاً بين القولين كما أن أصل الصلاة كان واجباً قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فى ابتداء البعثة فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف فرض الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك شيئاً فشيئاً والله أعلم . ثم قال جل جلاله بعد ذلك (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) قال مجاهد وغيره : غير مقطوع ولا محبوب كقوله تعالى (ما كسبن فيها أبداً) وكقوله عز وجل (عطاء غير مجدود) وقال السدى غير ممنون عليهم وقد رد عليه هذا التفسير بعض الأئمة فإن المنّة لله تعالى على أهل الجنة قال الله تبارك وتعالى (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) وقال أهل الجنة فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ، وقال رسول الله ﷺ « إلا أن يتعبدنى الله برحمة منه وفضل » .

﴿ قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيٍّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۖ فَفَضَّلَهُنَّ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾

هذا إنكار من الله تعالى على المشركين الذين عبدوا معه غيره وهو الخالق لكل شيء القاهر لكل شيء المقتدر على كل شيء فقال (قل أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أنداداً) أى نظراء وأمثالا تعبّدونها معه (ذلك رب العالمين) أى الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم . وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى (خلق السموات والأرض فى ستة أيام) ففصل ههنا ما يختص بالأرض مما يختص بالسما فذكر أنه خالق الأرض أولاً لأنها كالأساس والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف كما قال عز وجل (هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) الآية فأما قوله تعالى (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها) رفع سمكها فسواها * وأغطش ليها وأخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * أخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال أرساها * متاعاً لكم ولأنعامكم) فى هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء فالدحو هو مفسر بقوله (أخرج منها ماءها ومرعاها) وكان هذا بعد خلق السماء ، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء بالنص وبهذا أجاب ابن عباس رضى الله عنه فيما ذكره البخارى عند تفسير هذه الآية من صحيحه فانه قال : وقال المنهال عن سعيد بن جبیر قال : قال رجل لابن عباس

رضي الله عنهما إني لأجسد في القرآن أشياء تختلف على ، قال (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (ولا يكتُمون الله حديثاً) (والله ربنا ما كنا مشركين) فقد كتموا في هذه الآية ، وقال تعالى (أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها - إلى قوله - والأرض بعد ذلك دحاها) فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال تعالى (قل أنبيكم لتكفرون بالله خلق الأرض في يومين - إلى قوله - طائعين) فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء قال (وكان الله غفوراً رحيماً) (عزيزاً حكيماً) (سميعاً بصيراً) فسكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس رضي الله عنهما (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) في النفخة الأولى (ثم ينفخ في الصور) فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله (فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون بينهم في النفخة الأخيرة) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (وأما قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) (ولا يكتُمون الله حديثاً) فإن الله تعالى يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم فيقول للمشركون تعالوا تقول لم نسكن مشركين فيختم على أفواههم فينتطق أيديهم فعند ذلك يعرف أن الله تعالى لا يكتُم حديثاً ، وعنده (يود الذين كفروا) الآية ، وخلق الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحى الأرض ودحيا أن أخرج منها الماء والرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى دحاها وقوله (خلق الأرض في يومين) فخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السموات في يومين (وكان الله غفوراً رحيماً) سمى نفسه بذلك وذلك قوله أي لم يزل كذلك فإن الله تعالى لم يرد شيئاً إلا أصاب به الذي أراد فلا يختلفن عليك القرآن فإن كلا من عند الله عز وجل . قال البخاري حديثه يوسف بن عدي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو الحديث . وقوله (خلق الأرض في يومين) يعني يوم الأحد ويوم الاثنين (وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها) أي جعلها مباركة قابلة للخير والبر والنعيم وقدر فيها أوقاتها وهو ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس يعني يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين أربعة ولها قال (في أربعة أيام سواء للسائلين) أي لمن أراد السؤال عن ذلك ليعلمه وقال عكرمة ومجاهد في قوله عز وجل (وقدر فيها أوقاتها) جعل في كل أرض ما لا يصاح في غيرها ومنه العصب بالين والسابوري بساوير والطالسة بالري وقال ابن عباس وقتادة والسدي في قوله تعالى (سواء للسائلين) أي لمن أراد السؤال عن ذلك وقال ابن زيد معناه وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام سواء للسائلين أي على وفق مراده من له حاجة إلى رزق أو حاجة فإن الله تعالى قدر له ما هو محتاج إليه وهذا القول يشبه ما ذكره في قوله تعالى (وآتاكم من كل ما سألتموه) والله أعلم وقوله تبارك وتعالى (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) وهو بخار الماء المتصاعد منه حين خلقت الأرض (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً) أي استجيبا لأمرى وانضما لفعلي طائعتين أو مكرهتين قال الثوري عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً) قال : قال الله تبارك وتعالى للسموات أطعني شمسي وقمرى ونجومى وقال للأرض شققي أنهارك وأخرجي ثارك (قلنا أئينا طائعتين) واختاره ابن جرير رحمه الله قلنا أئينا طائعتين أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا مما تريد خلقه من الملائكة والجن والانس جميعاً مطيعين لك ، حكاه ابن جرير عن بعض أهل العربية قال وقيل تنزيلاً لمن مملكة من يعقل بكلاميهما وقيل إن التكلم من الأرض بذلك هو مكان الكعبة ومن السماء ما يسامته منها والله أعلم وقال الحسن البصري لو أنبأ عليه أمره لعذبهما عذاباً يجدان ألمه رواه ابن أبي حاتم (فتضاهن سبع سموات في يومين) أي ففرغ من تسويتهم سبع سموات في يومين أي آخرين وهما يوم الخميس ويوم الجمعة (وأوحى في كل سماء أمرها) أي ورتب مقرر في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) وهي السكاكب النيرة المشرقة على أهل الأرض (وحفظاً) أي حرساً من الشياطين أن تستمع إلى الملائكة الأعلى (ذلك تقدير العزيز العليم) أي العزيز الذي قد عز كل شيء فحماه وقهره العليم بجميع حركات الخلق وسكناتهم قال ابن جرير حدثنا هناد بن السمرى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هناد :

قرأت سائر الحديث أن اليهود أثمت النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن خلق السموات الأرض فقال صلى الله عليه وسلم « خلق الله تعالى الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيه من منافع وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والدائن والعمران والحراب فهذه أربعة (قل أثمتكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداد ذلك رب العالمين » وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين) لمن سأله قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر إبليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة » ثم قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال « ثم استوى على العرش » قالوا قد أصبت لو أتممت : قالوا ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب » فاصبر على ما يقولون) هذا الحديث فيه غرابة فأما حديث ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال « خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فبينما هم العصر إلى الليل » فقد رواه مسلم والنسائي في كتابيهما من حديث ابن جريج به وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال رواه بعضهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار وهو الأصح

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لَنَنْزِلَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ لَهُمْ لَا يَنْصَرُونَ * وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجِّنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق إن أعرضتم عما جئكم به من عند الله تعالى فإنني أنذركم بحاول نقمة الله بكم كما حلت بالأمم الماضية من المكذبين بالرسائل (صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) أي ومن مثلكم ممن فعل كفعليها (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) كقوله تعالى (واذا كرأخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) أي في القرى المجاورة لبلادهم بعث الله إليهم الرسل يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له ومبشرين ومنذرين ، أو ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أوليائه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا بل كذبوا وجحدوا وقالوا (لو شاء ربنا لأنزل ملائكة) أي لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده (فإنا بما أُرسلتم به) أي أيها البشر (كافرون) أي لا تتبعكم وأتم بشر مثلنا قال الله تعالى (فأما عاد فاستكبروا في الأرض) أي بغوا وعصوا (وقالوا من أشد منا قوة ؟) أي منوا بشدة تركيهم وقواهم واعتقدوا أنهم يمتنعون بها من بأس الله (أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أي أنما يتفكرون فيمن يبارزون بالمداوة فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحائلة لها وأن بطشه

شديد كما قال عز وجل (والسما بينناها بأيد وإنا لموسعون) فبارزوا الجبار بالعداوة وجحدوا بآياته وعصوا رساله فلهمذا قال (فأرسلنا عليهم ريحا صرصراً) قال بعضهم وهى شديدة الهبوب ، وقيل الباردة . وقيل هى التى لها صوت والحق أنها متصفة بجميع ذلك فانها كانت ريحا شديدة قوية لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم وكانت باردة شديدة البرد جدا كقوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أى باردة شديدة وكانت ذات صوت مزعج ، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد الشرق صرصرأ لقوة صوت جريه . وقوله تعالى (فى أيام نحسات) أى متتابعات (سبع ليل وثمانية أيام حسوما) وكقوله (فى يوم نحس مستمر) أى ابتدئوا بهذا العذاب فى يوم نحس عليهم واستمر بهم هذا النحس (سبع ليل وثمانية أيام حسوما) حتى أبادهم عن آخرهم واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة ولهذا قال (لنذيقهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة أخزى) أشد خزيا لهم (وهم لا ينصرون) أى فى الأخرى كما لم ينصروا فى الدنيا وما كان لهم من الله من واق يقهم العذاب ويدراً عنهم النكال . وقوله عز وجل (وأما ثمود فهديناهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما وأبو العالية ومعيد بن جبير وقتادة والسدى وابن زيد : بيناهم ، وقال الثورى دعوناهم (فاستجبوا العى على الهدى) أى بصرناهم وبيناهم ووضعناهم الحق على لسان نبهم صالح عليه الصلاة والسلام فخالقوه وكذبوه وعقروا ناقة الله تعالى التى جعلها آية وعلامة على صدق نبهم (فأخذتهم صاعقة العذاب الموتى) أى بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا (بما كانوا يكسبون) أى من التكذيب والجحود (ونجينا الذين آمنوا) أى من بين أظهرهم لم يمسهم سوء ولا نالهم من ذلك ضرر بل نجاهم الله تعالى مع نبهم صالح عليه الصلاة والسلام بإيمانهم بتقواهم لله عز وجل

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجَاوُدُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ أَجَاوِدُكُمْ لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جَاوُدُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ * وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾

يقول تعالى (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون) أى اذ كر لهؤلاء الشركين يوم يحشرون إلى النار يوزعون أى تجمع الزبانية أولهم على آخرهم كما قال تبارك وتعالى (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أى عطاشا . وقوله عز وجل (حتى إذا ما جاءوها) أى وقفوا عليها (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجاودهم بما كانوا يعملون) أى بأعمالهم مما قدموه وأخروه لا يكتم منه حرف (وقالوا لجاودهم لم شهدتم علينا) أى لاهوا أعضاءهم وجاودهم حين شهدوا عليهم فبعد ذلك أجابهم الأعضاء (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خالقكم أول مرة) أى فهو لا يخالف ولا يمانع وإليه ترجعون . قال الحافظ أبو بكر البراز حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا علي بن قادم حدثنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبي عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم وتبسم فقال صلى الله عليه وسلم « ألا تسألونى عن أى شىء ضحكتم » قالوا يا رسول الله من أى شىء ضحكتم ، قال ﷺ « عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة يقول أى ربى أليس وعدتنى أن لا تظلمنى ، قال بلى فيقول فأنى لأقبل على شاهد إلا من نفسى فيقول الله تبارك وتعالى أوليس كهى بنى شهيدا وبلا لائكة السكرام السكابين - قال - فيردد هذا الكلام مرارا - قال - فيحتم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول بهذا لكن وسعقا ، عنسكن كنت

أجادل» ثم رواه هو وابن أبي حاتم من حديث أبي عامر الأسدي عن الثوري عن عبيد المصنف عن فضيل بن عمرو عن الشعبي ثم قال لا نعلم رواه عن أنس رضي الله عنه غير الشعبي وقد أخرجه مسلم والنسائي جميعا عن أبي بكر ابن أبي النضر عن أبي النضر عن عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن الثوري به، ثم قال النسائي لا أعلم أحدا رواه عن الثوري غير الأشجعي وليس كما قال كما رأيت والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا إسماعيل بن علية عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال : قال أبو بردة قال أبو موسى : ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عز وجل عمله فيجحد ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا ؟ فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته قال فإذا فعل ذلك ختم عليه فيه . قال الأشعري رضي الله عنه فإني لأحسب أول ما ينطق منه فخذنه اليماني . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا الحسن بن ابن لمية قال دراج عن أبي الليث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخصم فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك فيقول كذبوا فيقول أهللك عشيرتك فيقول كذبوا فيقول أحلفوا فيحلفون ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال سمعت أبي يقول حدثنا علي بن زيد عن مسلم بن صبيح أبي الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يمتدرون ولا يشككون حتى يؤذن لهم ثم يؤذن لهم فيخصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم جاودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتتخاصم الجوارح فتقول (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) فتقر الألسنة بعد الجحود . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي . عن رافع أبي الحسن قال وصف رجلا جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة ثم يقول لأرأيه كما تكلمني واشهدني عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه صنعنا عملنا فعلنا . وقد تقدم أحاديث كثيرة وآثار عند قوله تعالى في سورة يس (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) بما أغنى عن إعادته ههنا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مويذ بن سعيد حدثنا يحيى بن سليم الطائفي عن أبي خيثم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال « ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟ » فقال فتية منهم بلى يا رسول الله بينما نحن جالس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهايينهم تحمل على رأسها قلة من ماء فمرت بفق منهم فجعل إحدى يدي بين كتفيها ثم دفعها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غدر إذا وضع الله الكرسي وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدا ؟ قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « صدقت صدقت كيف يقدر الله قوما لا يؤخذ لضعفهم من شديدهم » هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأحوال حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن سليم به وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) أي تقول لهم الأعضاء والجلود حين يأمرونها على الشهادة عليهم ما كنتم تكتمون منا الذي كنتم تفترونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ولا تبالون منه في زعمكم لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم ولهذا قال تعالى (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) أي هذا الظن الفاسد وهو اعتقادكم أن الله تعالى لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذي أهلككم وأرداكم عند ربكم (فأصبحتم من الخاسرين) أي في مواقف القيامة خسرتهم أنفسهم وأهلبيكم . قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمار عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مستترا بأستار الكعبة

فجاء ثلاثة نفر قرشي وخثناه ثقفيان - أو ثقي وخثناه قرشيان - كثير شحم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم فتكلموا بكلام لم أسمعه ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع كلامنا هذا ، فقال الآخر إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفعه لم يسمعه فقال الآخر إن سمع منه شيئا سمعه كله - قال - فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم - إلى قوله - من الخاسرين) وهكذا رواه الترمذي عن هناد عن أبي معاوية بإسناده نحوه ، وأخرجه أحمد ومسلم والترمذي أيضا من حديث سفيان الثوري عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود بنحوه ، ورواه البخاري ومسلم أيضا من حديث السفيانيين كلاهما عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عبد الله بن سبخرة عن ابن مسعود رضى الله عنه به وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) قال « إنكم تدعون يوم القيامة مفدما على أفواهكم بالهدام فأول شيء يبين عن أحدكم فعضه وكفه » قال معمر : وثلا الحسن (وذلك ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم) ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى أنا مع عبدي عند ظنه بي وأنا معه إذا دعاني » ثم اقتر الحسن ينظر في هذا فقال : ألا إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن الظن بربه فأحسن العمل ، وأما الكافر والمنافق فأساء الظن بالله فأساء العمل ثم قال : قال الله تبارك وتعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم - إلى قوله - وظنكم ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا النضر بن إسماعيل القاص وهو أبو المغيرة حدثنا ابن أبي ليلى عن ابن الزبير عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يموتن أحد منكم إلا وهو يحسن بالله الظن فان قوما قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال الله تعالى (وذلك ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم فأنتم فأنتم من الخاسرين) وقوله تعالى (فان يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعقبوا فما هم من المقيمين) أى سواء عليهم صبروا أم لم يصبروا هم في النار لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ، وإن طلبوا أن يستعقبوا ويبدوا أعدارا فما لهم أعدار ولا تقال لهم عثرات . قال ابن جرير : ومعنى قوله تعالى (وإن يستعقبوا) أى يسألوا الرجعة إلى الدنيا فلا جواب لهم قال وهذا كقوله تعالى إخبارا عنهم (قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين * ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون * قال اخسئوا فيها ولا تكلمون)

﴿ وَفِيضْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّهِمْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ * فَلَمَّا بَقِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَتَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأُ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ جَزَاءُ عَادَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَسْأَتِنَا يَسْخَدُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْمَلَهُمْ تَحْتِ أَقْدَامِنَا لِيَكُونُوا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿

يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته وهو الحكيم في أنما له بما قبض لهم من القرآن من شياطين الإنس والجن (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) أى حسنوا لهم أممهم في الماضي والنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين كما قال تعالى (ومن يمش عن ذكر الرحمن يقبض له شيطاننا فهو له قرين * وإنيهم ليعدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون) . وقوله تعالى (وحق عليهم القول) أى كلمة العذاب كما حق على أمم قد ضللت من قبلهم ممن فعل كفعلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين أى استمروا هم وإياهم في الخسار والدمار . وقوله تعالى

(وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن) أى تواصلوا فيما بينهم أن لا يطيعوا للقرآن ولا يتقادوا لأوامره (والنفوا فيه) أى إذا تلى لا تسمعوا له كما قال مجاهد والنفا فيه يعنى بالمسكاء والصغير والتخليط في المطلق على رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن قرئش تفعله ، وقال الضحاك عن ابن عباس (والنفوا فيه) عيبوه ، وقال قتادة اجحدوا به وأنكروه وعادوه (لعلمكم تغلبون) هذا حال هؤلاء الجبهة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند مماع القرآن وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) ثم قال عز وجل منتصر للقرآن ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران (فنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) أى في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه (ولنجزيهم أسوأ الذي كانوا يعملون) أى بشر أعمالهم وسوء أفعالهم (ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون * وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين) قال سفيان الثوري عن سامة بن كهيل عن مالك بن الحصين الفزاري عن أبيه عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى (الذين أضلنا) قال إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه . وهكذا روى العوفي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك . وقال السدي عن علي رضي الله عنه فإبليس يدعو به كل صاحب شرك وابن آدم يدعو به كل صاحب كبيرة فإبليس الداعى إلى كل شر من شرك فما دونه وابن آدم الأول كما ثبت في الحديث « ما قلت نفس ظمما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل » . وقولهم (نجعلهما تحت أقدامنا) أى أسفل منافي العذاب ليكونا أشد عذابا منا ولهذا قالوا (ليكونا من الأسفلين) أى في الدرك الأسفل من النار كما تقدم في الأعراف في سؤال الأتباع من الله تعالى أن يعذب قاداتهم أضعاف عذابهم (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) أى أنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال بحسب عمله وإفساده كما قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

﴿ إِنَّا الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾

يقول تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أى أخلصوا العمل لله وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم قال الحافظ أبو يعلى الوصلى حدثنا الجراح حدثنا مسلم بن قتيبة أبو قتيبة الشعيري ثنا سهيل بن أبي حازم حدثنا ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قد قالها ناس ثم كفروا كثيرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها ، وكذا رواه النسائي في تفسيره والبخاري وابن جرير عن عمرو بن علي الفلاس عن مسلم بن قتيبة به . وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن الفلاس به . ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي إسحق عن عامر بن سعيد عن سعيد بن عمران قال : قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال هم الذين لم يشركوا بالله شيئا ثم روى من حديث الأسود بن هلال قال : قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ما تقولون في هذه الآية (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال فقالوا (ربنا الله ثم استقاموا) من ذنب فقال لقد حملتموه على غير الحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره . وكذا قال مجاهد وعكرمة والسدي وغير واحد ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهري أخبرنا حفص بن عمر العقدي عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال سئل ابن عباس رضي الله عنهما أى آية في كتاب الله تبارك وتعالى أرخص ؟ قال قوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على شهادة أن لا إله إلا الله . وقال الزهري : تلاعمر رضي الله عنه هذه الآية على المنبر ثم قال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا وروغان الثعالب

وقال علي بن أبي طحمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (قالوا ربنا الله ثم استقاموا) على أداء فرائضه ، وكذا قال قتادة قال وكان الحسن يقول اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة ، وقال أبو العالية (ثم استقاموا) أخلصوا له الدين والعمل

وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم حدثنا يعلى بن عطاء عن عبد الله بن سفيان الثقفي عن أبيه أن رجلا قال يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال صلى الله عليه وسلم « قل آمنت بالله ثم استقم » قلت فما أتقى ؟ أوماً إلى لسانه . ورواه النسائي من حديث شعبة عن يعلى بن عطاء . ثم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا إبراهيم بن سعد حدثني ابن شهاب عن عبد الرحمن بن ماعز الغامدي عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به قال صلى الله عليه وسلم « قل ربي الله ثم استقم » قلت يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي ؟ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرف لسان نفسه ثم قال « هذا » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذي حسن صحيح . وقد أخرجه مسلم في صحيحه والنسائي من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال ﷺ « قل آمنت بالله ثم استقم » وذكر تمام الحديث . وقوله تعالى (تنزل عليهم الملائكة) قال مجاهد والسدي وزيد بن أسلم وابنه يعني عند الموت قائلين (أن لا تخافوا) قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أي مما تقدمون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال أودين فانا ننهلهم فيه (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) فيبشرونهم بذهب الشرب وحصول الخير : وهذا كما جاء في حديث البراء رضي الله عنه قال « إن الملائكة تقول لروح المؤمن اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تهمرينه اخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان » وقيل إن الملائكة تنزل عليهم يوم خروجهم من قبورهم يحكاه ابن جرير عن ابن عباس والسدي . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد السلام بن مطهر حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت ثابتاً قرأ سورة حم السجدة حتى بلغ (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة) فوقف فقال بلغنا أن العبد المؤمن حسين يبعثه الله تعالى من قبره يلتقيه الملاك اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له لا تخف ولا تحزن (وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) قال فيؤمن بالله تعالى خوفاً وطمعاً فاعطيه الله عظمته يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل في الدنيا وقال زيد بن أسلم يبشرونه عند موته وفي قبره وحين يبعث . رواه ابن أبي حاتم ، وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع . وقوله تبارك وتعالى (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار نحن كننا أولياءكم أي قرناءكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور وعند النفخة في الصور ونؤمنكم يوم البعث والنشور ونجاوز بكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون (ولكم فيها ما تدعون) أي مما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم (نزلاً من غفور رحيم) أي ضيافة وعطاء وإنعاما من غفور لذنبكم رحيم بكم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديث سوق الجنة عند قوله تعالى (ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم) ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم) فقال حدثنا أبي ثنا هشام بن عمار ثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أبي سعيد حدثنا الأوزاعي حدثني حسان بن عطية عن سعيد ابن المسيب أنه ألقى أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أوفيهما سوق ؟ فقال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة إذا دخلوا فيها نزلوا بشغل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورن الله عز وجل ويبرز لهم عرشه ويتبدي لهم في روضة من رياض الجنة ويوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أديانهم وما فيهم دنى على كتابان السك والكافور ما يرون أن أساطيب الكرامى

بأفضل منهم مجلسا . قال أبو هريرة رضى الله عنه قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا ، قال صلى الله عليه وسلم « نعم ، هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر » ، قلنا لا ، قال صلى الله عليه وسلم « فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم تعالى ولا يبقئ في ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة حتى إنه ليقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم عملت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا - فيقول أى رب أفلم تغفر لى ، فيقول بلى ، فبسمه مغفرتى بلغت منزلتك هذه - قال - فينبأهم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه شيئا قط - قال - ثم يقول ربنا عز وجل قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة وخذوا ما اشتئتم ، قال فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة ، فيها ما لم تنظر العين إلى مثله ولم تسمع الأذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتئنا ليس يباع فيه شيء ولا يشتري وفي ذلك السوق يلقي أهل الجنة بعضهم بعضا . قال فيقبل الرجل ذو المنزلة الرفيعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دنى فيروعه ما يرى عليه من اللباس فما يقضى آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها ثم تنصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا بحبيبتنا لقد جئت وإن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار تبارك وتعالى وبحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا به ، وقد رواه الترمذى في صفة الجنة من جامعه عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار به نحوه ثم قال الترمذى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدى عن حميد عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاء الله » قلنا يا رسول الله : كلنا نذكر الموت قال ﷺ « ليس ذلك كراهية الموت ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه فليس شيء أحب إليه من أن يكون قدلقى الله تعالى فأحب الله لقاءه - قال - وإن الفاجر - أو الكافر - إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقى من الشر فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » وهذا حديث صحيح وقد ورد في الصحيح من غير هذا الوجه

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

يقول عز وجل (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين) أى دعا عباد الله إليه (وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين) أى وهو فى نفسه مهتد بما يقوله فنفعه نفسه ولغيره لازم ومتعد وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه بل يأمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى وهذه عامة فى كل من دعا إلى خير وهو فى نفسه مهتد ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك كما قال محمد بن سيرين والسدى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقيل المراد بها المؤذنون الصلحاء كما ثبت فى صحيح مسلم « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة » وفى السنن مرفوعاً « الإمام ضامن والمؤذن مؤتمن فأرشد الله الأئمة وغفر للمؤذنين » وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن عروة الهروى حدثنا غسان قاضى هراة وقال أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن بن سعيد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه قال « سهام المؤذنين عند الله تعالى يوم القيامة كسهام المجاهدين وهو بين الأذان والإقامة كالمشحط فى سبيل الله تعالى فى دمه » قال : وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو كنت مؤذناً ما باليت أن لا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد قال : وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو كنت مؤذناً لأكمل أمرى وما باليت أن لا أتصحب لقيام الليل ولا لصيام النهار سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم اغفر للمؤذنين » ثلاثاً ، قال : فقلت يا رسول الله تركتكم ونحن نجتهد على الأذان بالسيف قال صلى الله عليه وسلم « كلا يا عمر إنه سيأتى على

الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم وتلك لحوم حرمها الله عز وجل على النار لحوم المؤذنين » قال وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ولهم هذه الآية (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) قالت فهو المؤذن إذا قال حي على الصلاة فقد دعا إلى الله وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما وعكرمة إنما نزلت في المؤذنين وقد ذكر البغوي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أنه قال في قوله عز وجل وعمل صالحاً يعني صلاة ركعتين بين الأذان والاقامة . ثم أورد البغوي حديث عبد الله بن المغفل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بين كل أذانين صلاة - ثم قال في الثالثة - لمن شاء » وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من حديث عبد الله بن بريدة عنه وحديث الثوري عن زيد العمي عن أبي إياس معاوية بن قرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال الثوري لا أراه إلا قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم « الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة » ورواه أبو داود والترمذي والنسائي في اليوم والليلة كلهم من حديث الثوري به وقال الترمذي هذا حديث حسن ، ورواه النسائي أيضاً من حديث سليمان التيمي عن قتادة عن أنس به ، والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعاً بالكيفية لأنها مكية والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة حين أريه عبد الله بن عبد ربه الأنصاري رضي الله عنه في منامه فقصه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره أن يلقيه على بلال رضي الله عنه فإنه أندى صوتاً كما هو مقرر في موضعه فالصحيح إذاً أنها عامة كما قال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن البصري أنه تلا هذه الآية (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) فقال هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب أهل الأرض إلى الله أجاب الله في دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال إنني من المسلمين هذا خليفة الله ، وقوله تعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) أي فرق عظيم بين هذه وهذه (ادفع بالتي هي أحسن) أي من أساء إليك فادفعه عنك بالاحسان إليه كما قال عمر رضي الله عنه : ما عاقبت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه . وقوله عز وجل (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وهو الصديق أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادتة تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك ، ثم قال عز وجل (وما يلقاها إلا الذين صبروا) أي وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك فإنه يشق على النفوس (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) أي ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والرفق عند الإساءة فإذا فاموا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم . وقوله تعالى (وإما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعد بالله) أي أن شيطان الإنس ربما ينخدع بالاحسان إليه فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك فإذا استعذت بالله والتجأت إليه كفه عنك ورد كيده ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وقد قدمنا أن هذا المقام لا نظير له في القرآن إلا في سورة الأعراف عند قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهل) وإما ينزغتك من الشيطان نزع فاستعد بالله إنه سميع عليم) وفي سورة المؤمنين عند قوله (ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بما يصفون » وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين » وأعوذ بك أن يحضرون)

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خُشْعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُتِّحٍ الْمَوْتِ

إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٢﴾

يقول تعالى منها خلقه على قدرته العظيمة وأنه الذي لا نظير له وأنه على ما يشاء قادر (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر) أي أنه خلق الليل بظلامه والنهار بضياءه وهما متعاقبان لا يفتران ، والشمس ونورها وإشراقها والقمر وضياءه وتقدير منازلها في فلكه واختلاف سيره في سماءه ليعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار والجمع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حواصل الحقوق وأوقات العبادات والمعاملات . ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) أي ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره فإنه لا يغفر أن يشرك به ولهذا قال تعالى (فإن استكبروا) أي عن أفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره (فالذين عند ربك) يعني الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) كقوله عز وجل (فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان يعني ابن وكيع حدثنا أبي عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الرياح فانها ترسل رحمة لقوم وعذابا لقوم » . وقوله (ومن آياته) أي على قدرته على إعادة الموتى (أنك ترى الأرض خاشعة) أي هامة لانبات فيها بل هي ميتة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) أي أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار (إن الذي أحيها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقِي فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالَّذِ كَرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرَّسُولِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿

قوله تبارك وتعالى (إن الذين يلحدون في آياتنا) قال ابن عباس : الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه . وقال قتادة وغيره هو الكفر والمناد ، وقوله عز وجل (لا يخفون علينا) فيه تهديد شديد ووعد أكيد أي أنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنتكال ولهذا قال تعالى (أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمنا يوم القيامة) ؟ أي أيستوى هذا وهذا ؟ لا يستويان . ثم قال عز وجل تهديدا للسكفرة (اعملوا ما شئتم) قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراساني (اعملوا ما شئتم) وعيد أي من خير أو شر إنه عالم بكم وبصير بأعمالكم ولهذا قال (إنه بما تعملون بصير) ثم قال جل جلاله (إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) قال الضحاك والسدي وقاتدة وهو القرآن (وإنه لكتاب عزيز) أي منيع الجنب لا يرام أن يأتي أحد بمثله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أي ليس للباطل إليه سبيل لأنه منزل من رب العالمين ولهذا قال (تنزيل من حكيم حميد) أي حكيم في أقواله وأفعاله حميد بمعنى محمود أي في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته . ثم قال عز وجل (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) قال قتادة والسدي وغيرهما ما يقال لك من التكذيب إلا كما قد قيل للرسل من قبلك فكما كذبت كذبوا وكما صبروا على أذى قومهم لم يصبر أنت على أذى قومك لك . وهذا اختيار ابن جرير ولم يحك هو ولا ابن أبي حاتم غيره وقوله تعالى (إن ربك لذو مغفرة) أي لمن تاب إليه (وذو عقاب أليم) أي لمن استمر على كفره وطغيانه وعناده وبغائه ومخالفته ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن علي بن زيد عن سعيد بن

السبب قال نزلت هذه الآية (إن ربك لدو مغفرة) قال رسول الله ﷺ « لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا أحد العيش ، ولولا وعيده وعقابه لا تسلك كل أحد » .

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا مَّجْمُوعًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِي قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾

لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته وأحكامه في لفظه ومعناه ومع هذا لم يؤمن به المشركون نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتمعت كما قال عز وجل (ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم لقالوا على وجه التعت والتعناد (لولا فصلت آياته أعجمي وعربي) أي لقالوا هلا أنزل مفصلاً بلغة العرب ولأنسكروا ذلك فقالوا أعجمي وعربي أي كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه هكذا روى هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم ؟ وقيل المراد بقولهم لولا فصلت آياته أعجمي وعربي أي هل أنزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي ؟ هذا قول الحسن البصري وكان يشرها كذلك بلا استفهام في قوله أعجمي وهو رواية عن سعيد بن جبير وهو في التعت والتعناد أبغ ثم قال عز وجل (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) أي قل يا محمد هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) أي لا يفهمون ما فيه (وهو عليهم عَمًى) أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كقوله سبحانه وتعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) (أولئك ينادون من مكان بعيد) قال مجاهد يعني بعيد من قلوبهم قال ابن جرير معناه كأن من يخاطبهم يناديهم من مكان بعيد لا يسمعهم ما يقول ، قلت وهذا كقوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بهم عَمًى فهم لا يسمعون) وقال الضحاك ينادون يوم القيامة بأشنع أسمائهم . وقال السدي كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا عند رجل من المسلمين يقضى إذ قال : يا ليكاه فقال له عمر رضى الله عنه لم تأبى ، هل رأيت أحدا أو دعاك أحد ؟ فقال دعاني داع من وراء البحر فقال عمر رضى الله عنه أولئك ينادون من مكان بعيد رواه ابن أبي حاتم . وقوله تبارك وتعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) أي كذب وأوذى (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) بتأخير الحساب إلى يوم العاد (لتفضى بينهم) أي ليعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موثلاً (وإنهم لفي شك منه مريب) أي وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا بل كانوا شاكين فيما قالوه غير محققين لشيء كانوا فيه ، هكذا وجهه ابن جرير وهو محتمل والله أعلم

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ * إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامٍ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ * وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَلَمُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيٍّ ﴾

يقول تعالى (من عمل صالحا فلنفسه) أي إنما يعود شفع ذلك على نفسه (ومن أساء فعليها) أي إنما يرجع وبال ذلك عليه (وما ربك بظلام للعبيد) أي لا يعاقب أحدا إلا بذنبه ولا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه ثم قال جل وعلا (إليه يرد علم الساعة) أي لا يعلم ذلك أحد سواه كما قال محمد صلى الله عليه وسلم وهو سيد

البشر لجبريل عليه الصلاة والسلام وهو من سادات الملائكة حين سأله عن الساعة فقال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وكما قال عز وجل (إلى ربك منتهاها) وقال جل جلاله (لا يحاطها لوقتها إلا هو) وقوله تبارك وتعالى (وما تخرج من ثمرات من أكامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) أى الجميع بعلمه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وقد قال سبحانه وتعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) وقال جل جلت عظمته (يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرض وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار) وقال تعالى (وما يعمره من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب إن ذلك على الله يسير) وقوله جل وعلا (ويوم يناديهم أين شركائى ؟) أى يوم القيامة ينادى الله الشركين على رؤوس الخلائق أين شركائى الذين عبدتموهم معى (قالوا آذناك) أى أعلمناك (ما منا من شهيد) أى ليس أحد منا يشهد اليوم أن معك شريكا (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) أى ذهبوا فلم ينفهوهم (وظنوا ما لهم من محيص) أى وظن المشركون يوم القيامة وهذا بمعنى اليقين (ما لهم من محيص) أى لا محيد لهم عن عذاب الله كقوله تعالى (و أى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا)

﴿ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ * وَإِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّاهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَاحْسَنِيَ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ * وَإِذْ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَىٰ بِنِعْمَتِنَا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذَلِذَا دُعَاءُ عَرِيضٍ ﴾

يقول تعالى لا يعلم الإنسان من دعاء ربه بالخير وهو المال وصحة الجسم وغير ذلك وإن مسه الشر وهو البلاء أو الفقر (فيئوس قنوط) أى يقع في ذهنه أنه لا يتهىأ له بعد هذا خير (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لى) أى إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن هذا لى إلى كنى استحققه عند ربى (وما أظن الساعة قائمة) أى يكفر بقيام الساعة أى لأجل أنه خول نعمة يبطر ويفخر ويكفر كما قال تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) (ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى) أى ولئن كان ثم معاد فليحسنن إلى ربى كما أحسن إلى فى هذه الدار ، يتمنى على الله عز وجل مع إساءته العمل وعدم اليقين قال الله تبارك وتعالى (فلننبتن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ) يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال ثم قال تعالى (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) أى أعرض عن الطاعة واستكبر عن الاقياد لأوامر الله عز وجل كقوله جل جلاله (فتولى بركته) (وإذا مسه الشر) أى الشدة (فذو دعاء عريض) أى يطيل المسئلة فى الشيء الواحد فالكلام العريض ما طال لفظه وقيل معناه والوجيز عكسه وهو ما قل ودل وقد قال تعالى (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره) الآية

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * سَتَرْنَاهُمْ عَنْ بَيْنَاتِ الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ لَيَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَلْخَىٰ أَوَّلَمَ يَكْفُرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن (أرايتم إن كان) هذا القرآن (من عند الله ثم كفرت به) أى كيف ترون حالكم عند الذى أنزل على رسوله ؟ ولهذا قال عز وجل (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى فى كفر

وعناد ومشاقة للحق ومسلك بعيد من الهدى ثم قال جل جلاله (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم) أى سنظهر لهم دلائلنا وحججنا على كون القرآن حقاً منزلاً من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية (في الآفاق) من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان قال مجاهد والحسن والسدى ودلائل في أنفسهم قالوا : وقعة بدر وفتح مكة ونحو ذلك من الوقائع التي حلت بهم نصر الله فيها محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه وخلائ فيها الباطل وحزبه ويحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأختلاط والهيات العجيبة كما هو مبسوط في علم التشریح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة من حسن وقبح وغير ذلك وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله وقونه وحيله وحذره أن يحوزها ولا يتعدها كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه التفكير والاعتبار عن شيخه أبي جعفر القرشي حيث قال وأحسن المقال

وإذا نظرت تريد معتبرا فانظر اليك ففك معتبرا أنت الذي تمسى وتصبح في الدنيا وكل أموره عبر أنت المصروف كان في صغر ثم استقل بشخصك الكبير أنت الذي تنعاه خلقتة ينعاه منه الشعر والبشر أنت الذي تعطى وتسلب لا ينجي من أن يسلب الحذر أنت الذي لا شيء منه له وأحق منه بماله القدر

وقوله تعالى (حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) أى كفى بالله شهيدا على أفعال عباده وأقوالهم وهو يشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق فيما أخبر به عنه كما قال (لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنه بآياته) الآية . وقوله تعالى (ألا إنهم في ممرية من لقاء ربهم) أى في شك من قيام الساعة ولهذا لا يتفكرون فيه ولا يعملون به ولا يحذرون منه بل هو عندهم هدر لا يعملون به وهو كائن لا محالة وواقع لا ريب فيه قال ابن أبي الدنيا حدثنا أحمد بن إبراهيم حدثنا خلف بن تميم حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سعيد الأنصاري قال : إن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس فاني لم أجمعكم لأمر أجدته فيكم ، ولكن فكركم في هذا الأمر الذي أتم اليه صائرون فاعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحق والمكذب به هالك ، ثم نزل . ومعنى قوله رضى الله عنه أن المصدق به أحق أى لأنه لا يعمل له عمل مثله ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله وهو مع ذلك مصدق به موثق بوقوعه وهو مع ذلك يتجاذى في لعبه وغفلة وشهوته وذنوبه فهو أحق بهذا الاعتبار والأحق في اللغة ضعيف العقل ، وقوله والمكذب به هالك هذا واضح والله أعلم . ثم قال تعالى مقررأ أنه على كل شيء قدير وبكل شيء محيط وإقامة الساعة لديه يسير سهل عليه تبارك وتعالى (ألا إنه بكل شيء محيط) أى الخلقات كلها تحت قهره وفي قبضته وتحت طي علمه وهو المتصرف فيها كلها بحكمه فإشأ كان وما يشأ لم يكن لا إله إلا هو . آخر تفسير سورة حم السجدة والله الحمد والمنة .

((تفسير سورة الشورى وهي مكية))

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَمَّ * عَسَقَ * كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ * تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْمُعْتَرُ الرَّحِيمُ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة . وقد روى ابن جرير ههنا أثران غريبان عجيبان منكران فقال أخبرنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الخوطيني حدثنا أبو المنيرة عبد القدوس بن الحجاج عن أرطاة بن المنذر قال : جاء رجل

إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال له وعنده حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أخبرني عن تفسير قول الله تعالى (حم عسق) قال فأتى ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض عنه فلم يجبه بشيء وكره مقالته ، ثم كررها الثالثة فلم يجز إليه شيئا فقال له حذيفة رضى الله عنه أنا أنبئك بها قد عرفت لم كرهها نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الله وعبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق تنبى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فإذا أذن الله تبارك وتعالى في زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدمتهم بعث الله عز وجل على إحداها نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة وقد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبها متعجبة كيف أفلتت ؟ فما هو إلا يابض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله تعالى (حم عسق) يعنى عزيمة من الله تعالى وقتنة وقضاء حم عين يعنى عدلا منه سين يعنى سيكون ق يعنى واقع بهاتين المدينتين وأغرب منه ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى في الجزء الثانى من مسند ابن عباس رضى الله عنه عن أبي ذر رضى الله عنه عن النبي ﷺ في ذلك ولكن إسناده ضعيف جدا ومنقطع فانه قال حدثنا أبو طالب عبد الجبار بن عاصم حدثنا أبو عبد الله الحسن بن يحيى الحشنى الدمشقى عن أبي معاوية قال : سعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه المنبر فقال : أيها الناس هل سمع منكم أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر (حم عسق) فوثب ابن عباس رضى الله عنه فقال أنا ، قال حم امم من أسماء الله تعالى ، قال فمين ؟ قال عاين المولون عذاب يوم بدر ، قال فسين ؟ قال سيعلم الدين ظموا أى متقلب يتقلبون ، قال فقاف ؟ فسكت فقام أبو ذر ففسر كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وقال قاف قارعة من السماء تعنى الناس . وقوله عز وجل (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) أى كما أنزل إليك هذا القرآن كذلك أنزل الكتب والصحف على الأنبياء قبلك. وقوله تعالى (الله العزيز) أى فى انتقامه (الحكيم) فى أقواله وأفعاله

قال الإمام مالك رحمه الله عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يأتينى الملك رجلا فيكلمنى فأعنى ما يقول » قالت عائشة رضى الله عنها فلقد رأيته ينزل عليه الوحي فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه صلى الله عليه وسلم ليتفصد عرقا . أخرجه فى الصحيحين ولفظه للبخارى . وقد رواه الطبرانى عن عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه عن عامر بن صالح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها عن الحارث بن هشام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف ينزل عليك الوحي ؟ فقال ﷺ « فى مثل صلصلة الجرس فيفصم عنى وقد وعيت ما قال - وقال - وهو أشده على - قال - وأحيانا يأتينى الملك فيتمثل لى فيكلمنى فأعنى ما يقول » . وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تقبض » تفرد به أحمد ، وقد ذكرنا كيفية إتيان الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول شرح البخارى بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة . وقوله تبارك وتعالى (له ما فى السموات وما فى الأرض) أى الجميع عبيده وملكه تحت قهره وتصريفه (وهو العلى العظيم) كقوله تعالى (وهو الكبير المتعال) (وهو العلى الكبير) والآيات فى هذا كثيرة . وقوله عز وجل (تسكاد السموات يتفطرن من فوقهن) وقال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك وقتادة والسدى وكعب الأبحار أى فرقا من العظمة (والملائكة يسبحون بحمدهم ويستغفرون لمن فى الأرض) كقوله جل وعلا (الذين يحمداون العرش ومن حوله حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) وقوله جل جلاله (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) إعلام بذلك وتوبيه به ، وقوله سبحانه وتعالى (والذين اتخذوا من دونه أوليا) يعنى المشركين (الله حفيظ عليهم) أى شهيد على أعمالهم يحصيها ويهدا عدا ، وسيعزيهم بها أوفر الجزاء (وما أنت عليهم

بوكيل (أى إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾

يقول تعالى وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك (أو حينا إليك قرآنا عربيا) أى واضحا جليا بينا (لتنذر أُمَّ القري) وهى مكة (ومن حولها) أى من سائر البلاد شرقا وغربا ، ومسميت مكة أُمَّ القري لأنها أشرف من سائر البلاد لأدلة كثيرة المذكورة فى مواضعها ، ومن أوجز ذلك وأدله ما قال الإمام أحمد حدثنا أبو اليان حدثنا شعيب عن الزهري حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن قال : إن عبد الله بن عدى بن الحمراء الزهري أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو واقف بالحزرة فى سوق مكة « والله إنك لحير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت » هكذا رواية الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث الزهري به وقال الترمذى حسن صحيح ، وقوله عز وجل (وتنذر يوم الجمع) وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد وقوله تعالى (لا ريب فيه) أى لا شك فى وقوعه وأنه كائن لا محالة ، وقوله جل وعلا (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) كقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) أى يفتن أهل الجنة أهل النار ، وكقوله عز وجل (إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما تؤخره الا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس الا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) قال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثنى أبو قبيل المافرى عن شفى الأصبحى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان فقال « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ » قلنا لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم للذى فى يمينه « هذا كتاب من رب العالمين باسماء أهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم - ثم أجهل على آخرهم - لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا - ثم قال صلى الله عليه وسلم للذى فى يساره - هذا كتاب أهل النار باسماءهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجهل على آخرهم لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبدا » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فإلى شئ نعمل أن كان هذا أمر قد فرغ منه قال رسول الله ﷺ « - سدوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أى عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل » ثم قال صلى الله عليه وسلم بيده فقبضها ثم قال « فرغ ربكم عز وجل من العباد - ثم قال باليمى فقبذ بها فقال - فريق فى الجنة - ونبت باليسرى وقال - فريق فى السعير » وهكذا رواه الترمذى والنسائى جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد وبكر بن مضر كلاهما عن أبى قبيل عن شفى بن مانع الأصبحى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما به ، وقال الترمذى حسن صحيح غريب وساقه البغوى فى تفسيره من طريق بشر بن بكر عن سعيد بن عثمان عن أبى الزاهرية عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره بنحوه وعنده زيادات منها - ثم فريق فى الجنة وفريق فى السعير عدل من الله عز وجل - ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عن الليث به ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبى قبيل عن شفى عن رجل من الصحابة رضى الله عنهم فذكره

ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث وحياة بن شريح عن يحيى بن أبى أسيد أن أبافراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يقول : إن الله تعالى لما خلق آدم نفثه نفث الرود وأخرج منه كل ذريرة فخرج أمثال النصف فقبضهم قبضتين ثم قال شقى وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق فى الجنة وفريق فى السعير

وهذا الموقف أشبه بالصواب والله سبحانه وتعالى أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد يعني ابن سلمة أخبرنا الجريري عن أبي نضرة قال: إن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أبو عبد الله دخل عليه أصحابه يعني يزورونه فوجدوه يسكن ، فقالوا له ما يبسك ، ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم خذ من شاربك ثم أفره حتى تلقاني ، قال بلى ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله تعالى قبض يمينه قبضة وأخرى باليد الأخرى قال هذه لهذه وهذه لهذه ولا أبالي » فلا أدري في أي القبضتين أنا وأحاديث القدر في الصحاح والسنن والمسانيد كثيرة جدا منها حديث علي وابن مسعود وعائشة وجماعة حجة رضي الله عنهم أجمعين . وقوله تبارك وتعالى (ولو شاء الله لجهلهم أمة واحدة) أي إما على الهداية أو على الضلالة ولكن الله تعالى فوات بينهم فهدى من يشاء إلى الحق وأضل من يشاء عنه وله الحكمة والحجة البالغة ولهذا قال عز وجل (ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير) . وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا وهيب أخبرني الحارس عن عمرو بن أبي سويد أنه حدث عن ابن حجرية أنه بلغه أن موسى عليه الصلاة والسلام قال : يارب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا في الجنة وفريقا في النار لوما أدخلتهم كلهم الجنة فقال يا موسى ارفع درعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرقع فلم يترك شيئا قال يارب قدر فت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لا خير فيه قال كذلك أدخل خلقهم الجنة إلا ما لا خير فيه .

﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكِّمُوهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ * فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله ومخيرًا أنه هو الولي الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده فإنه هو القادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير . ثم قال عز وجل (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) أي مهما اختلفتم فيه من الأمور وهذا عام في جميع الأشياء (فحكمه إلى الله) أي هو الحاكم فيه بكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا (فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ذلكم الله ربى) أي الحاكم في كل شيء (عليه توكلت وإليه أنيب) أي أرجع في جميع الأمور ، وقوله جل جلاله (فاطر السموات والأرض) أي خالقهما وما بينهما (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي من جنسكم وشكلكم منة عليكم وتفضلا جعل من جنسكم ذكرا وأنثى (ومن الأنعام أزواجا) أي وخلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج . وقوله تبارك وتعالى (يذُرُّكُمْ فِيهِ) أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذُرُّكم فيه ذكورا وإناثا خلقا من بعد خالق وجيلا بعد جيل ونسلا بعد نسل من الناس والأنعام وقال البنوي يذُرُّكم فيه أي في الرحم وقيل في البطن وقيل في هذا الوجه من الحلقة . قال مجاهد نسلا بعد نسل من الناس والأنعام ، وقيل في معنى الباء أي يذُرُّكم به (ليس كمثله شيء) أي ليس كخالق الأزواج كلها شيء لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له (وهو السميع البصير) : وقوله تعالى (له مقاليد السموات والأرض) تقدم تفسيره في سورة الزمر وحاصل ذلك أنه المتصرف الحاكم فيهما (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وله الحكمة والعدل التام (إنه بكل شيء عليم) .

﴿ مَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ

يُنِيبُ * وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِّىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَقَبِيَ شُكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى لهذه الأمة (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك) فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو نوح عليه السلام وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم . ثم ذكر من بين ذلك من أولى العزم وهو إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) الآية والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) . وفي الحديث « نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد » أى القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) ولهذا قال تعالى ههنا (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) أى وصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالاتلاف والجماعة ونهاهم عن الافتراق والاختلاف ، وقوله عز وجل (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) أى شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد . ثم قال جل جلاله (الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب) أى هو الذى يقدر الهداية لمن يستحقها ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد ، ولهذا قال تبارك وتعالى (وما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أى إنما كان مخالفتهم للحق بعد ما وعه إليهم وقيام الحجة عليهم وما حملهم على ذلك إلا البغى والعناد والمشاقة ثم قال عز وجل (ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى) أى لولا الحكمة السابقة من الله تعالى بانظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد لمعجل عليهم العقوبة فى الدنيا سريعا . وقوله جل جلالته (وإن الذين أوتوا الكتاب من بعدهم) يعنى الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق (لئن شك منه مريب) أى ليسوا على يقين من أمرهم وإيمانهم وانما هم مقلدون لأبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا براهان وهم فى حيرة من أمرهم وشك مريب وشقاق بعيد

﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قَادَحُ وَأَسْتَقَمُ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حِجَةَ بَيْنُنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنُنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة على عشر كلمات مستقلة كل منها منفصلة عن التى قبلها حكم برأسها قالوا ولا نظير لها سوى آية الكرسي فانها أيضا عشرة فصول كهذه . وقوله (فالذلك قادح) أى فللذى أوحينا إليك من الدين الذى وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولى العزم وغيرهم قادح الناس إليه . وقوله عز وجل (واستقم كما أمرت) أى واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله تعالى كما أمركم الله عز وجل وقوله تعالى (ولا تتبع أهواءهم) يعنى المشركين فيما اختلفوه فيه وكذبوه واقتروه من عبادة الأوثان . وقوله جل وعلا (وقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ) أى صدقت بجميع الكتب للنزلة من السماء على الأنبياء لا تفرق بين أحد منهم وقوله (وأمرت لأعدل بينكم) أى فى الحكم كما أمرنى الله وقوله جل جلالته (الله ربنا وربكم) أى هو المعبود لا إله غيره فتحزن نحر بذلك اختيارا وأنتم وإن لم تفعلوا اختيارا فله يسجد من فى العالمين طوعا واجبارا . وقوله تبارك وتعالى (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) أى نحن برآء منكم كما قال سبحانه وتعالى (وإن كنذبوك قل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) وقوله تعالى (لا حجة بيننا وبينكم) قال مجاهد أى لا خصومة قال السدى وذلك قبل نزول آية السيف وهذا متجه لأن هذه الآية مكية وآية السيف بعد الهجرة . وقوله عز وجل (الله يجمع بيننا) أى يوم القيامة كقوله (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم) وقوله جل وعلا (وإليه المصير) أى المرجع والمآب يوم الحساب

﴿ وَالَّذِينَ يَحْجُونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ * اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿

يقول تعالى متوعدا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به (والذين يحاجون في الله من بعدما استجيب له) أي يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى (حجتهم داحضة عند ربهم) أي باطلة عند الله (وعليهم غضب) أي منه (ولهم عذاب شديد) أي يوم القيامة قال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد جادلوا المؤمنين بعدما استجابوا لله ولرسوله ليصدوهم عن الهدى وطعموا أن تعود الجاهلية ، وقال قتادة هم اليهود والنصارى قالوا لهم ديننا خير من دينكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالله منكم وقد كذبوا في ذلك . ثم قال تعالى (اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) يعني الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه (والميزان) وهو العدل والانصاف قاله مجاهد وقتادة وهذه كقوله تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقوله (والسما رغبنا ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) . وقوله تبارك وتعالى (وما يدريك لعل الساعة قريب) فيه ترغيب فيها وترهيب منها وترهيد في الدنيا وقوله عز وجل (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) أي يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين وإنما يقولون ذلك تسكديا واستبعادا وكفرا وعنادا (والذين آمنوا مشفقون منها) أي خائفون وجاؤون من وقوعها (ويعلمون أنها الحق) أي كائنة لا محالة فهم مستعدون لها عاملون من أجلها . وقد روى من طرق تبلغ درجة التواتر في الصحاح والحسان والسنان والمسانيد وفي بعض ألفاظه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوت جهورى وهو في بعض أسفاره فناداه فقال يا محمد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من صوته « هاؤم » فقال له متى الساعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنت مع من أحببت » فقوله في « ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ » فقال حب الله ورسوله فقال صلى الله عليه وسلم « أنت مع من أحببت » فقوله في الحديث « المرء مع من أحب » هذا متواتر لا محالة والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها . وقوله تعالى (ألا إن الذين يمارون في الساعة) أي يجادلون في وجودها ويدفعون وقوعها (لفي ضلال بعيد) أي في جهل بين لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأخرى كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه)

﴿ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُمْ وَقَعُ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْحَةٍ أَلْجَأَتْ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقته في رزقه إياهم عن آخرهم لا ينسى أحدا منهم سواء في رزقة البر والفاجر كقوله عز وجل (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) ولها نظائر كثيرة وقوله جل وعلا (يرزق

من يشاء) أى يوسع على من يشاء (وهو القوى العزيز) أى لا يعجزه شيء ثم قال عز وجل (من كان يريد حرث الآخرة
أى عمل الآخرة (نزدله في حرثه) أى تقويه ونعينه على ما هو بصدده ونكثر ثمائه ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة
ضعف إلى ما يشاء الله (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب) أى ومن كان إيمانه ليحصل له
شيء من الدنيا وليس له إلى الآخرة هم البتة بالكلية حرمة الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها وإن لم يشأ لم يحصل
لا هذه ولا هذه ، وفاز الساعى بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة ، والدليل على هذا أن هذه الآية ههنا
مقيدة بالآية التي في سبحان وهي قوله تبارك وتعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له
جهنم يصلها ما هو مادحورا * ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا *
كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا * انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة
أكبر درجات وأكبر تفضيلا) وقال الثوري عن معمر عن أبي العالقة عن أبي بن كعب رضى الله عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم « بشر هذه الأمة بالسوء والرفعة والنصر والتسكين في الأرض فمن عمل منهم عمل
الآخرة لا الدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب » وقوله جل وعلا (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله)
أى هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس من تحريم ما حرموا
عليهم من البجيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل أكل الميتة والدم والقيار إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة
الباطلة التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم من التحليل والتحرير والعبادات الباطلة والأموال الفاسدة . وقد ثبت في
الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « رأيت عمرو بن لحي بن قعدة يجر قصبة في النار » لأنه أول
من سب السواب ، وكان هذا الرجل أحد ماوك خزاعة وهو أول من فعل هذه الأشياء وهو الذي حمل قريشا على
عبادة الأصنام لعنه الله وقبحه ولهذا قال تعالى (ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم) أى لعولجوا بالعقوبة لولا ما تقدم من
الانظار إلى يوم العاد (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) أى شديد موجه في جهنم وبئس المصير ، ثم قال تعالى (ترى
الظالمين مشفقين مما كسبوا) أى في عرصات القيامة (وهو واقع بهم) أى الذي يخافون منه واقع بهم لا محالة هذا
حالهم يوم معادهم وهم في هذا الخوف والوجل (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون
عند ربهم) فإين هذا من هذا ؟ أى أين من هو في العرصات في الدل والهوان والخوف المحقق عليه بظلمه ممن هو في
روضات الجنات فيما يشاء من مأكل ومشرب وملابس ومساكن ومناظر ومناكح وملذات مما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر . قال الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن الأبار حدثنا محمد بن سعد الأنصاري
عن أبي طيبة قال إن الشرب من أهل الجنة لتظامهم السحابة فتقول ما أمطركم ؟ قال فما يدعو داع من القوم بشيء إلا
أمطرهم حتى إن القائل منهم ليقول أمطرينا كواعب أترابا . رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة به ، ولهذا قال
تعالى (ذلك هو الفضل الكبير) أى الفوز العظيم والنعمة الثمة السائغة الشاملة العامة

﴿ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ
فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ * أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُزِّلُ عَلَى اللَّهِ كِتَابًا قَبْلَ
مَا يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْخَلْقَ بِكَالِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنات ، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين
آمنوا وعملوا الصالحات) أى هذا حاصل لهم كائن لا محالة ببيشارة الله تعالى لهم به . وقوله عز وجل (قل لا أسألكم
عليه أجرا إلا المودة في القربى) أى قل يا محمد لهؤلاء الشركين من كفار قريش لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح
لكم مالا تعطونه وإعسا أطلب منكم أن تكفوا شرككم عني وتذروني أباغ رسالات ربي إن لم تصروني فلا تؤذوني

بما بيني وبينكم من القرابة . قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت طاوسا يحدث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى إلا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قري آل محمد فقال ابن عباس عجلت (١) إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة ، انقرد به البخاري ، ورواه الإمام أحمد عن يحيى القطان عن شعبة به ، وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وطلح بن أبي طلحة والموقي ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وأبو مالك وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن القاسم بن زيد الطبراني وجعفر القلانسي قالا حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شريك عن خضيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني في نفسي لقربا بيني وبينكم » وتفظوا القرابة بيني وبينكم » وروى الإمام أحمد عن حسن بن موسى حدثنا قزعة يعني ابن سويد وابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن قزعة ابن سويد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجرا إلا أن توادوا الله تعالى وأن تهتدوا به بطاعته » وهكذا روى قتادة عن الحسن البصري مثله وهذا كأنه تفسير بقول ثان كأنه يقول إلا المودة في القربى أي إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقرّبكم عند الله زلفى . وقول ثالث وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير مامعناه أنه قال معنى ذلك أن تودوني في قربا بيني وبينكم . وقال السدي عن أبي الدليم قال : لما جاء بعلي بن الحسين رضي الله عنه أسيرا فلقيهم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه أقرأت القرآن ؟ قال نعم : قال أقرأت آل حم ؟ قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) ؟ قال وإنكم لأنتم هم ؟ قال نعم وقال أبو إسحاق السبيعي سألت عمرو بن شعيب عن قوله تبارك وتعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقال قريبي النبي ﷺ رواها ابن جرير . ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا عبد السلام حدثني زيد بن أبي زياد عن مقيم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قالت الأنصار فعلنا وفعلنا وكأنتهم فخرنا فقال ابن عباس وأبو العباس رضي الله عنهما - شك عبد السلام - لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال « يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله في ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال ﷺ « ألم تكونوا ضاللا فهداكم الله بي » قالوا بلى يا رسول الله قال « أفلا تحبوني » قالوا ما نقول يا رسول الله قال « ألا تقولون ألم يخرجكم قومك فآويناكم أولم يكذبوك فصدقناكم أولم يخذلوك فنصرناكم » قال فما زال صلى الله عليه وسلم يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا أموالنا في أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين عن عبد المؤمن بن علي عن عبد السلام عن زيد بن أبي زياد وهو ضعيف بأسناده مثله أو قريبا منه . وفي الصحيحين في قسم غنائم حنين قريب من هذا السياق ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية ، وذكر نزولها في المدينة فيه نظر لأن السورة مكية وليس يظهر بين هذه الآية وهذا السياق مناسبة والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا رجل سمعنا حدثنا حسين الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمر الله بمودتهم ؟ قال « فاطمة وولدها رضي الله عنهما » وهذا إسناد ضعيف فيه مهم لا يعرف عن شيخ شيعي محقق وهو حسين الأشقر ولا يقبل خبره في هذا المثل ، وذكر نزول الآية في المدينة بعيد فأنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالسكينة فإنها لم تزوج بعلي رضي الله عنه إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة والحق تفسير هذه الآية بما فسرنا به خبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري

ولا تنكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالاحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فانهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وهلى وأهل بيته وذريته رضى الله عنهم أجمعين .

وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال في خطبته بغدير خم « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى وإني ما أكون بمثل ما كانوا من قبلي » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أنا إسماعيل بن أبي خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن وإذا لقوهم لقوهم بوجوه لا تعرفها ، قال فغضب النبي ﷺ غضبا شديدا وقال « والذى نفسى بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله » ثم قال أحمد حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث عن عبد المطلب بن ربيعة قال دخل العباس رضى الله عنه على رسول الله ﷺ فقال إنا لنخرج فترى قريشا تحدث فإذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله ﷺ ودر عرق بين عينيه ثم قال ﷺ « والله لا يدخل قلب امرئ مسلم إيمان حتى يحبكم لله ولعراقى » وقال البخارى حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا خالد حدثنا شعبه عن واقد قال سمعت أبى يحدث عن ابن عمر رضى الله عنهما عن أبى بكر — هو الصديق — رضى الله عنه قال ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته . وفي الصحيح أن الصديق رضى الله عنه قال لعلى رضى الله عنه : والله لقراءة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرأتى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنهما والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب . فجال الشيخين رضى الله عنهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضى الله عنهما وعن سائر الصحابة أجمعين وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبى حيان التميمي حدثنى يزيد بن حيان قال انطلقت أنا وحصين بن ميسرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم رضى الله عنه فلما جلسنا إليه قال حصين لقد ليت يا زيد خيرا كثيرا : رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه ، لقد رأيت يا زيد خيرا كثيرا حدثنا يزيد ما سمعت من رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخى لقد كبر سنى وقدم عهدي ونسيت بعض الذى كنت أعمى من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفوني ، ثم قال رضى الله عنه : قام رسول الله ﷺ يوما خطيبا فبنا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال ﷺ « أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتب الله واستمسكوا به » فحث على كتاب الله ورغب فيه وقال ﷺ « وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي » فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نسأله من أهل بيته ؟ قال إن نساء لمن أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليه الصدقة بعده قال ومن هم ؟ قال هم آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضى الله عنهم ، قال كل هؤلاء ، حرم عليه الصدقة ؟ قال نعم ، وهكذا رواه مسلم والنسائي من طرق يزيد بن حبان به وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا علي بن المنذر السكوني حدثنا محمد بن فضيل حدثنا الأعمش عن عطية عن أبى سعيد والأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تنالوا بهدى . أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والآخر عترتى أهل بيتي وإن يفرقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » تفرد بروايته ثم قال هذا حديث حسن غريب وقال الترمذى أيضا حدثنا نصر بن عبد الرحمن السكوني حدثنا زيد بن الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن بن أبيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال . رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القمصاء يخاطب فسمته يقول « يا أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تنالوا كتاب الله وعترتى أهل بيتي » تفرد به الترمذى أيضا وقال حسن غريب .

وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم . ثم قال الترمذي أيضاً أبو داود سليمان الأشعث حدثنا يحيى بن معين حدثنا هشام بن يوسف عن عبد الله بن سليمان الذوفلي عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أحبوا الله تعالى لما يغدوكم من نعمه ، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي » ثم قال حسن غريب إنما تعرفه من هذا الوجه وقد أوردنا أحاديث أخر عند قوله تعالى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً) بما أغنى عن إعادتها ههنا والله الحمد والمنة . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مفضل بن عبد الله عن أبي إسحاق عن حنش قال سمعت أبا ذر رضي الله عنه وهو آخذ بحلقة الباب يقول : يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنأ أبو ذر سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح عليه الصلاة والسلام من دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » هذا بهذا الإسناد ضعيف . وقوله عز وجل (ومن يقترب حسنة نزدله فيها حسناً) أي ومن يعمل حسنة نزدله فيها حسناً أي أجراً وثواباً كقوله تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) وقال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها . ومن جزاء السيئة السيئة بعدها . وقوله تعالى (إن الله غفور شكور) أي يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر وقوله جل وعلا (أم يقولون افتري على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك) أي لو افتريت عليه كذباً كما يزعم هؤلاء الجاهلون (يختم على قلبك) أي يطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله جل جلاله (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) أي لا تقمنا منه أشد الانتقام وما قدر أحد من الناس أن يحجز عنه . وقوله جلعت عظمتي (ويحي الله الباطل) ليس معطوفاً على قوله (يختم) فيكون محزوماً بل هو مرفوع على الابتداء . قاله ابن جرير قال وحذف من كتابته الواو في رسم مصحف الإمام كما حذف في قوله (سندع الزبانية) وقوله تعالى (ويدع الإنسان بالشر دعاء بالخير) . وقوله عز وجل (ويحق الحق بكلماته) معطوف على (ويحي الله الباطل) ويحق الحق (أي يحققه ويثبتته ويبينه ويوضحه بكلماته أي بحججه وبراهينه) (إنه علم بذات الصدور) أي بما تكنه الضمائر وتنطوي عليه السرائر

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقُدْرِ مَا يُشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ * وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

يقول تعالى تمتنا على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا إليه انه من كرمه وحلمه انه يعفو ويصفح ويستتر ويغفر كقوله عز وجل (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) وقد ثبت في صحيح مسلم رحمة الله عليه حيث قال حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قال : حدثنا عمر بن يونس حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا إسحاق بن أبي طلحة حدثني أنس بن مالك وهو عمه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله تعالى أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كانت راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح . » وقد ثبت أيضاً في الصحيح من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه نحوه ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري في قوله تعالى (وهو الذي يقبل التوبة عن

عباده) إن أبا هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الله أشد فرحا بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله فيه العطش » . وقال همام بن الحارث سئل ابن مسعود رضى الله عنه عن الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها ؟ قال لا بأس به وقرأ (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) الآية رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شريح القاضي عن إبراهيم بن مهاجر عن إبراهيم النخعي عن همام فذكره وقوله عز وجل (ويعفو عن السيئات) أى يقبل التوبة في المستقبل ويعفو عن السيئات في الماضي (ويعلم ما تعملون) أى هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقتلتم ومع هذا يتوب على من تاب إليه . وقوله تعالى (ويستجيب الذين آمنوا وعموا الصالحات) قال السدي يعنى يستجيب لهم وكذا قال ابن جرير معناه يستجيب لهم الدعاء لأنفسهم ولأصحابهم وإخوانهم . وحكاه عن بعض النحاة وأنه جعلها كقوله عز وجل (فاستجاب لهم ربهم) ثم روى هو وابن أبي حاتم من حديث الأعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة ابن سبرة قال خطبنا معاذ رضى الله عنه بالشام فقال أتم المؤمنون وأتم أهل الجنة والله إنى لأرجو أن يدخل الله تعالى من تسبون من فارس والروم الجنة وذلك بأن أحدكم إذا عمل له يعنى أحدهم عملا قال أحسنت رحمك الله أحسنت بارك الله فيك ثم قرأ (ويستجيب الذين آمنوا وعموا الصالحات ويزيدهم من فضله)

وحكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه جعل قوله (الذين يستمعون القول) أى هم الذين يستجيبون للحق ويتبعونه كقوله تبارك وتعالى (إنما يستجيب الذين يسمعون ، والوأنى يسمعهم الله) والمعنى الأول أظهر لقوله تعالى (ويزيدهم من فضله) أى يستجيب دعاءهم ويزيدهم فوق ذلك . ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن المصنف حدثنا بقية حدثنا إسماعيل بن عبد الله الكندي حدثنا الأعمش عن شقيق عن عبد الله رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (ويزيدهم من فضله) قال « الشناعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليهم معروفًا في الدنيا » وقال قتادة عن إبراهيم النخعي في قوله عز وجل (ويستجيب الذين آمنوا وعموا الصالحات) قال يشفعون في إخوانهم (ويزيدهم من فضله) قال يشفعون في إخوان إخوانهم . وقوله عز وجل (والكافرون لهم عذاب شديد) لما ذكر المؤمنين وما لهم من الثواب الجزيل ذكر الكافرين وما لهم عنده يوم القيامة من العذاب الشديد الموجه المؤلم يوم معادهم وحسابهم . وقوله تعالى (ولو بسط الله الرزق أعماده لبغوا في الأرض) أى لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق لحملهم ذلك على البغي والظلماني من بعضهم على بعض أثرا وبطرا وقال قتادة كان يقال خير العيش مالا يملك ولا يظلمك وذكر قتادة حديث « إنما أخاف عليكم ما يخرج الله تعالى من زهرة الحياة الدنيا » وسؤال السائل أي الخير بالشر ؟ الحديث وقوله عز وجل (ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير) أى ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره بما فيه صلاحهم وهو أعلم بذلك فيغنى من يستحق الغنى ويفقر من يستحق الفقر كما جاء في الحديث الروى « إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه وإن من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه » . وقوله تعالى (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا) أى من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه كقوله عز وجل (وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين) وقوله جل جلاله (وينشر رحمته) أى يعم بها الوجود على أهل ذلك القطار وتلك الناحية قال قتادة ذكر لنا أن رجلا قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط الناس فقال عمر رضى الله عنه مطرتم ثم قرأ (وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد) أى هو المتصرف في حاجاته بما ينفعهم في دنياهم وآخراتهم وهو الحمود العاقبة في جميع ما قدره ويفعله

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ۖ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ تُدِيرُكُمْ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ۚ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ

دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

يقول تعالى (ومن آياته) الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر (خلق السموات والأرض وما بث فيهما) أى ذرا فيهما أى فى السموات والأرض (من دابة) وهذا يشمل الملائكة والإنس والجن وسائر الحيوانات على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم وطباعهم وأجناسهم وأنواعهم وقد فرقهم فى أرجاء أقطار السموات والأرض (وهو) مع هذا كله (على جمعهم إذا يشاء قدير) أى يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق فى صيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق . وقوله عز وجل (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) أى مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فأنما هى عن سيئات تقدمت لكم (ويعفو عن كثير) أى من السيئات فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وفى الحديث الصحيح «والذى نفى بيده ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن إلا كفر الله عنه بها من خطاياهم حتى الشوكة يشاكها» . وقال ابن جرير ثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب قال : قرأت فى كتاب أبى قلابة قال نزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وأبو بكر رضى الله عنه يأكل فأمسك وقال : يا رسول الله إني أرى ما عملت من خير وشرا ، فقال «أرأيت ما رأيت مما تكرهه ، فهو من مثاقيل ذر الكثر وتدخل مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة» قال : قال أبو إدريس فاني أرى مصداقها فى كتاب الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم رواه من وجه آخر عن أبى قلابة عن أنس رضى الله عنه قال ولأول أصح : وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا الأزهر بن راشد السكاهلي عن الحضرمي بن القواس البجلي عن أبى سخيصة عن أبى رضى الله عنه قال ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله عز وجل وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال «ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير ، وسأفسرها لك يا على : ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء فى الدنيا فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يثني عليه العقوبة فى الآخرة وما عفا الله عنه فى الدنيا فأن الله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفو» وكذا رواه الإمام أحمد عن مروان بن معاوية وعبد بن عبد الله عن أبى سخيصة قال : قال على رضى الله عنه فذكر نحوه مرفوعا ثم روى ابن أبى حاتم نحوه من وجه آخر موقوفا فقال : حدثنا أبى حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا أبو سعيد بن أبى الوضاح عن أبى الحسن عن أبى جحيفة قال دخلت على طي بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يعيه ؟ قال فسأله فتلاه هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال فاعاقب الله تعالى به فى الدنيا فأن الله أحلم من أن يثني عليه العقوبة يوم القيامة وما عفا الله عنه فى الدنيا فأن الله أكرم من أن يعود فى عفو يوم القيامة وقال الإمام أحمد حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا طلحة يعنى ابن يحيى عن أبى بردة عن معاوية هو ابن أبى سفيان رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «ما من شيء يصيب المؤمن فى جسده يؤذيه إلا كفر الله تعالى عنه به من سيئاته» وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن عن زائدة عن ليث عن مجاهد عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله تعالى بالحنن ليكفرها» . وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودى حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن هو البصري قال فى قوله تبارك وتعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) قال لما نزلت قال رسول الله ﷺ «والذى نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر» . وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا عمر بن على حدثنا هشيم عن منصور عن الحسن عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلى فى جسده فقال له بعضهم إنا لنبأس لك لما نرى فيك ، قال فلا تبأس بما نرى فان ماترى بذنب وما يعفو الله عنه أكثر ثم تلا هذه الآية (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم

ويعفو عن كثير) وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا جرير عن أبي البلاد قال: قلت للعلاء بن بدر (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقد ذهب بعري وأنا غلام؟ قال فبذنوب والديك. وحدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع عن عبد العزيز بن أبي داود عن الضحاك قال ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) ثم يقول الضحاك وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ * إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَمَنَّ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوقِنَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ * وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّخِصٍ﴾

يقول تعالى ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسائطه تسخيره البحر لتجرى فيه الفلك بأمره وهى الجوارى فى البحر كالأعلام أى كالجبال قاله مجاهد والحسن والسدى والضحاك أى هذه فى البحر كالجبال فى البر (إن يشأ يسكن الريح) أى التى تسير فى البحر بالسفن لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن بل تبقى راكدة لا تحيى ولا تنهض بل واقفة على ظهره أى على وجه الماء (إن فى ذلك لآيات لكل صبار) أى فى الشدائد (شكور) أى إن فى تسخيره البحر وإجرائه فى الموى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم لدلالات على نعمه تعالى على خلقه لكل صبار أى فى الشدائد شكور فى الرضا وقوله عز وجل (أو يوقنن بما كسبوا) أى ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون فيها (ويعف عن كثير) أى من ذنوبهم ولو أخذتم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر، وقال بعض علماء التفسير معنى قوله تعالى (أو يوقنن بما كسبوا) أى أو شاء لأرسل الريح قوية عاتية فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم فصرقتها ذات الممين أو ذات الشمال آبهة لا تسير على طريق ولا إلى جهة مقصد، وهذا القول هو يتضمن هلاكها وهو مناسب للأول وهو أنه تعالى أو شاء لسكن الريح فوقفت أو لاهوا فشردت وأبقت وهلكت، ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة كما يرسل المطر بقدر الكفاية ولو أنزله كثيرا جدا لهدم البنيان أو قليلا لما أنبت الزرع والثمار حتى إنه يرسل إلى مثل بلاد مصر سيجاً من أرض أخرى غيرها لأنهم لا يحتاجون إلى مطر ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم وأسقط جدرانهم، وقوله تعالى (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا ما لهم من محيص) أى لا مخيد لهم عن بأسنا ونعمتنا فانهم مقهورون بقدرتنا

﴿فَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِنْتِمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَيَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾

يقول تعالى محقرا لشأن الحياة الدنيا وزينتها وما فيها من الزهرة والنعم الثانى بقوله تعالى (فما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا) أى مهما حصلتم وجمعتم فلا تغفروا به فإنما هو متاع الحياة الدنيا وهى دار دينة فانية زائلة لا محالة (وما عند الله خير وأبقى) أى وثواب الله تعالى خير من الدنيا وهو باق سرمدى فلا تقدموا الثانى على الباقي ولهذا قال تعالى (للذين آمنوا) أى للذين صبروا على ترك الملاذ فى الدنيا (وعلى ربهم يتوكلون) أى ليعينهم على الصبر فى أداء الواجبات وترك المحرمات ثم قال تعالى (والذين يجتنبون كبائر الإنتم والفواحش) وقد قدمنا الكلام على الإنتم

والفواحش في سورة الأعراف (وإذا ما غضبوا هم يغفرون) أي سيجتنبهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ليس سيجتنبهم الانتقام من الناس . وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله وفي حديث آخر كان يقول لأحدنا عند المعتبة « ماله تربت يمينه » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن زائدة عن منصور عن إبراهيم قال كان للمؤمنون يكرهون أن يستذلوا وكانوا إذا قدروا عفوا . وقوله عز وجل (والذين استجابوا لربهم) أي اتبعوا رسوله وأطاعوا أمره واجتنبوا زجره (وأقاموا الصلاة) وهي أعظم العبادات لله عز وجل (وأمرهم شورى بينهم) أي لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها كما قال تبارك وتعالى (وشاورهم في الأمر) الآية ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يشاورهم في الحروب ونحوها لطيب بذلك قلوبهم وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر وهم عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنهم فاجتمع رأي الصحابة كلهم رضي الله عنهم على تقديم عثمان عليهم رضي الله عنهم (ومما رزقناهم ينفقون) وذلك بالإحسان إلى خلق الله الأقرب إليهم منهم فالأقرب

وقوله عز وجل (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) أي فهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ليسوا بالعاجزين ولا الأذليين بل يقدرون على الانتقام ممن بنى عليهم وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا كما قال يوسف عليه الصلاة والسلام لاختوته (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه وكما عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ونزلوا من جبل التنعيم فلما قدر عليهم من عليهم مع قدرته على الانتقام وكذلك عفو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غورث بن الحارث الذي أراد الفتك به حين اختلط سيفه وهو نائم فاستيقظ صلى الله عليه وسلم وهو في يده مصلتا فأنهز يده وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف في يده ودعا أصحابه ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل وعفا عنه وكذلك عفا صلى الله عليه وسلم عن لبيد بن الأعصم الذي سحره عليه السلام ومع هذا لم يمرض له ولا عاتبه مع قدرته عليه وكذلك عفو صلى الله عليه وسلم عن المرأة اليهودية - وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيري الذي قتله محمود بن مسلمة - التي صمت الذراع يوم خيبر - فأخبره الذراع بذلك فدعاها فاعترفت فقال صلى الله عليه وسلم « ما حملك على ذلك ؟ » قالت أردت إن كنت نبيا لم يضرك وإن لم تكن نبيا استرحنا منك فأطلقها عليه الصلاة والسلام ولكن لما مات منه بشر بن البراء رضي الله عنها قتلتها به والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظِلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ * أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

قوله تبارك وتعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) كقوله تعالى (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) وكقوله (وإن عاقبتم فاعقبوا بمثل ما عوقبتم به) الآية فسر العادل وهو القصاص وندب إلى الفضل وهو العفو كقوله جل وعلا (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) ولهذا قال ههنا (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) أي لا يضيع ذلك عند الله كما صح ذلك في الحديث « وما زاد الله تعالى عبدا بعفو إلا عزا » وقوله تعالى (إنه لا يحب الظالمين) أي المعتدين وهو المبتدئ بالسيئة ثم قال جل وعلا (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) أي ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيغ حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار في قوله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) فحدثني علي بن زيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال

ابن عون : زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : قالت أم المؤمنين رضي الله عنها دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش رضي الله عنها فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصنع بيده شيئا فلم يقطن لها فقلت يسده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب رضي الله عنها تفهم لعائشة رضي الله عنها فنهاها فأبت أن تنهي ، فقال لعائشة رضي الله عنها « سبها » فسبها فغلبتها وانطلقت زينب رضي الله عنها فأنت عليا رضي الله عنه فقالت إن عائشة تقع بكم وتعمل بكم فجاءت فاطمة رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم لها « إنها حبة أبيضك ورب الكعبة » فأنصرفت وقالت لعلي رضي الله عنه إني قلت له صلى الله عليه وسلم كذا وكذا فقال لي كذا وكذا قال وجاء علي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه في ذلك هكذا أورده هذا السياق ، وعلى بن زيد بن جعدان يأتي في رواياته بالمنكرات غالبا وهذا فيه نكارة ، والصحيح خلاف هذا السياق كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث خالد بن سلمة الفأفاء عن عبد الله بن أبي عروة قال : قالت عائشة رضي الله عنها ما علمت حتى دخلت على زينب بغير إذن وهي غصبي ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : حسبك إذا قلت لك ابنة أبي بكر درعها ثم أقبلت على فأعرضت عنها حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم « دونك فانتصري » فأقبلت عليها حتى رأيت ريشها قد يابس في فمها ما ترد على شيئا فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتهم وجهه وهذا لفظ النسائي . وقال البراز حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو غسان حدثنا أبو الأحوص عن أبي حمزة عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من دعا علي من ظلمه فقد انتصر » ورواه الترمذي من حديث أبي الأحوص عن أبي حمزة واسمه ميمون ثم قال لا تعرفه إلا من حديثه ، وقد تسكلم فيه من قبل حفظه . وقوله عز وجل (إنما السبيل) أي إنما الحرج والعنت (على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق) أي يبدؤون الناس بالظلم كما جاء في الحديث الصحيح « المستبأن ماقالا ، فعلى البادئ مالم يند المظالم » (أولئك لهم عذاب أليم) أي شديد موجع . قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد حدثنا عثمان الشحام حدثنا محمد بن واسع قال قدمت مكة فإذا على الخندق قطرة فأخذت فانطلقت بي إلى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة فقال ما حاجتك يا أبا عبد الله ، قلت حاجتي ان استطعت أن تكون كما كان أخو بني عدى ، قال ومن أخو بني عدى ، قال العلاء بن زياد استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب إليه أما بعد فإن استطعت أن لا تبني إلا وظهرك خفيف وبطنك خميص وكفك ثقية من دماء المسلمين وأموالهم فانك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل (إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبيغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم) فقال مروان صدق والله ونصح ثم قال ما حاجتك يا أبا عبد الله ، قلت حاجتي أن تلحقني بأهلي قال نعم . رواه ابن أبي حاتم ، ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص قال ناديا إلى العفو والصفح (ولمن صبر وغفر) أي صبر على الأذى وستر السيئة (إن ذلك لمن عزم الأمور) قال سعيد بن جبير يعني لمن حق الأمور التي أمر الله تعالى بها أي لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمران بن موسى الطرسوسي حدثنا مصد بن يزيد خادم الفضيل بن عياض قال سمعت الفضيل بن عياض يقول إذا أتاك رجل يشكوا إليك رجلا فقل يا أخى اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى فإن قال لا أعفم قلبى العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل فقل له إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب واسع فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله وصاحب العفو ينال على فراشه بالليل وصاحب الانتصار يقلب الأمور . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن عجلان حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن رجلا ستم أبا بكر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فجعل النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يعجب ويتبسم قلنا أكره رد عليه بعض قوله فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقام فلعقه أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله إنه كان يشتمني وأنت جالس فلما رددت عليه بعض قوله غضبت وقت قال « إنه كان معك ملك يرد عنك فلما رددت عليه بعض قوله حضر الشيطان فلم أكن لأقدم مع الشيطان » ثم قال ... يا أبا بكر ثلاث كل من حق ما من عبد ظلم بمظلمة فيغضى عنها

لله إلا أعزه الله تعالى بها ونصره ، وما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده الله بها كثرة ، وما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله عز وجل بها قلة » وكذا رواه أبو داود عن عبد الأعلى بن حماد عن سفيان بن عيينة قال ورواه صفوان بن عيسى كلاهما عن محمد بن عجلان ورواه من طريق الليث عن سعيد المقبري عن بشير بن الحر عن سعيد بن المسيب مرسل وهذا الحديث في غاية الحسن في المعنى وهو مناسب للصديق رضي الله عنه

﴿ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ * وَتَرَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ * وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة أنه ما شاء كان ولا رادله ومالم يشأ لم يكن فلما وجد له وأنه من هداه فلا مضل له ومن يضل الله فلا هادي له كما قال عز وجل (ومن يضل فلن تجد له وليا مرشدا) ثم قال عز وجل مخبرا عن الظالمين وهم المشركون بالله (لما رأوا العذاب) أى يوم القيامة تمنوا الرجعة إلى الدنيا (يقولون هل إلى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ) كما قال جل وعلا (ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدلهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وقوله عز وجل (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار (خاشعين من الدل) أى الذى قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله تعالى (ينظرون من طرف خفي) قال مجاهد يعنى ذليل أى ينظرون إليها مسارقة خوفا منها والذى يحذرون منه واقع بهم لا محالة وما هو أعظم مما فى نفوسهم أجازنا الله من ذلك (وقال الذين آمنوا) أى يقولون يوم القيامة (إن الخاسرين) أى الخسار الأكبر (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أى ذهب بهم إلى النار فسدوا لأنفسهم فى دار الأبد وخسروا أنفسهم وفرق بينهم وبين أحبابهم وأصحابهم وأهاليهم وقراباتهم فخسروهم (ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) أى دائم سرمدى أبدى لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها وقوله تعالى (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دُونِ اللَّهِ) أى ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والهلاك (ومن يضل الله فما له من سبيل) أى ليس له خلاص

﴿ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ * فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا أَلْبَغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فََرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴾

لما ذكر تعالى ما يكون فى يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام المائلة حذر منه وأمر بالاستعداد له فقال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) أى إذا أمر بكونه فإنه كلمع البصر يكون وليس له دافع ولا مانع . وقوله عز وجل (ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير) أى ليس لكم حصن تحصنون فيه ولا مكان يستركم وتتسكرون فيه فتغيبون عن بصره تبارك وتعالى بل هو محيط بكم بملكه وبصره وقدرته فلا ملجأ منه إلا إليه (يقول الإنسان يومئذ أين الممر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر) وقوله تعالى (فإن أعرضوا) يعنى المشركين (فما أرسلناك عليهم حفيظا) أى لست عليهم بمسيطر ، وقال عز وجل (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) وقال تعالى (فأما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقال جل وعلا ههنا (إن عليك إلا البلاغ) أى إنما

كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم ثم قال تبارك وتعالى (وإنا إذا أذقنا الإنسان منارحة فرح بها) أى إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك (وإن تصبهم) يعنى بالناس (سيئة) أى جذب ونقمة وبلاء وشدة (فإن الإنسان كفور) أى يجحد ما تقدم من النعم ولا يعرف إلا الساعة الراهنة فإن أصابته نعمة أشمر وبطر وإن أصابته محنة يئس وقنط كما قال رسول الله ﷺ للنساء « يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار » فقالت امرأة ولم يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لأنكن تكثرن الشكاية وتكفرن العشير ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم ركت يوما قالت ما رأيت منك خيرا قط » وهذا حال أكثر النساء إلا من هداه الله تعالى وألهمه رشده وكان من الدين آمنوا وعملوا الصالحات فاثبتوا كما قال ﷺ « إن أصابته سرء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا لمؤمن »

﴿ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ كُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾

يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والتصرف فيهما وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ولا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأنه يخلق ما يشاء (يهب لمن يشاء إناثا) أى يرزقه البنات فقط قال البغوى ومنهم لوط عليه الصلاة والسلام (ويهب لمن يشاء الذكور) أى يرزقه البنين فقط قال البغوى كإبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام لم يولد له أنثى (أو يزوجهم ذكرا وإناثا) أى يعطى لمن يشاء من الناس الزوجين الذكور والأنثى أى من هذا وهذا ، قال البغوى كمحمد صلى الله عليه وسلم (ويجعل من يشاء عقيم) أى لا يولد له قال البغوى كعيسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ، فجعل الناس أربعة أقسام منهم من يعطيه البنات ومنهم من يعطيه البنين ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا وإناثا ومنهم من يمنه هذا وهذا فيجعله عقيم لا نسل له ولا ولد له (إنه عليم) أى بمن يستحق كل قسم من هذه الأقسام (قدير) أى على من يشاء من تفاوت الناس في ذلك ، وهذا المقام شبهه بقوله تبارك وتعالى عن عيسى عليه الصلاة والسلام (ولنجعله آية للناس) أى دلالة لهم على قدرته تعالى وتقدس حيث خلق الخلق على أربعة أقسام فآدم عليه الصلاة والسلام مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى ، وحواء عليها السلام مخلوقة من ذكر بلا أنثى ، ومائير الخلق سوى عيسى عليه السلام من ذكر وأنثى ، وعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر ، فتمت الدلالة بخلق عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام . ولهذا قال تعالى (ولنجعله آية للناس) فهذا المقام فى الآباء والمقام الأول فى الأبناء وكل منهما أربعة أقسام فسيحان العليم القدير

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ * وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في روع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا لا يتارى فيه أنه من الله عز وجل كما جاء فى صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » وقوله تعالى (أو من وراء حجاب) كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام فإنه سأل الرؤية بعد التكليم فحجب عنها

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله رضي الله عنهما « ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب وإنه كلم أباك كفاحا » كذا جاء في الحديث وكان قد قتل يوم أحد ولكن هذا في عالم البرزخ والآية إنما هي في الدار الدنيا وقوله عز وجل (أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء) كما ينزل جبريل عليه الصلاة والسلام وغيره من الملائكة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (إنه على حكيم) فهو على علم خبير حكيم وقوله عز وجل (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) يعني القرآن (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) أي على التفصيل الذي شرع لك في القرآن (ولكن جعلناه) أي القرآن (نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) كقوله تعالى (قل هو الذي آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) الآية وقوله تعالى (وإنك) أي يا محمد (لتهدى إلى صراط مستقيم) وهو الخلق القويم ثم فسره بقوله تعالى (صراط الله) أي شرعه الذي أمر به الله (الذي له ما في السموات وما في الأرض) أي ربهما ومالكهما والمتصرف فيهما والحاكم الذي لا معقب لحكمه (ألا إلى الله تصير الأمور) أي ترجع الأمور فيفصلها ويحكم فيها سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا

﴿ تفسير سورة الزخرف وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حَمْ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ * أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ * وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَنْعَى الْأَوَّلِينَ ﴾

يقول تعالى (حم والكتاب المبين) أي البين الواضح الجلي المعاني والألفاظ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس ولهذا قال تعالى (إننا جعلناه) أي أنزلناه (قرآنا عربيا) أي بلغة العرب فصيحاً واضحاً (لعلكم تعقلون) أي تفهمونه وتتدبرونه كما قال عز وجل (بلسان عربي مبين) وقوله تعالى (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) بين شرفه في الملأ الأعلى ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض فقال تعالى (وإنه) أي القرآن (في أم الكتاب) أي اللوح المحفوظ قاله ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد (لدينا) أي عندنا قاله قتادة وغيره (لعلي) أي ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل قاله قتادة (حكيم) أي محكم برىء من اللبس والزيغ. وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله كما قال تبارك وتعالى (إنه لقرآن كريم) في كتاب مكنون لا يمسسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين) وقال تعالى (كلا إنها تذكرة * فمن شاء ذكره * في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي مفرة * كرام برة) ولهذا استنبط العلماء رضي الله عنهم من هاتين الآيتين أن الحديث لا يمس المصحف كما ورد به الحديث إن صح لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى، لأنه نزل عليهم، وخطابه متوجه إليهم، فهم أحق أن يقابلوه بالأكرام والتعظيم، والالتفات له بالقبول والتسليم، لقوله تعالى (وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) وقوله عز وجل (أفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ؟) (اختلف المفسرون في معناها فقليل معناها أن يحسبون أن نصفح عنكم فلا نذهبكم ولم تفعلوا ما أمرتم به قاله ابن عباس رضي الله عنهما وأبو صالح ومجاهد والسدي واختاره ابن جرير، وقال قتادة في قوله تعالى (أفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا؟) والله لو أن هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا ولكن الله تعالى عاد بمائدته ورحمته فسكره عليهم ودعاهم إليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك وقول قتادة لطيف المعنى جدا وحاصله أنه يقول في معناه أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير وإلى الذكرك الحكيم وهو القرآن وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدى به من قدر هدايته وتقوم الحجة على من كتب شقاوته ثم قال جل وعلا مسلما لنبيه صلى الله عليه وسلم في

تكذيب من كذبه من قومه وآمر له بالصبر عليهم (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) أى في شيع الأولين (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون) أى يكذبونه ويسخرون به . وقوله تبارك وتعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أى فأهلكنا المكذبين بالرسل وقد كانوا أشد بطشا من هؤلاء المكذبين لك يا محمد كقوله عز وجل (أفلم يسيرا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة) والآيات في ذلك كثيرة جدا . وقوله جل جلاله (ومضى مثل الأولين) قال مجاهد: سنتهم . وقال قتادة: عقوبتهم . وقال غيرهما: عبرتهم أى جعلناهم عبرة لمن بعدهم من المكذبين أن يصيبهم ما أصابهم كقوله تعالى في آخر هذه السورة (فجعلناهم سلفا ومثالا لآخرين) وكقوله جات عظمتة (سنة الله التي قد خلت في عباده) وقال عز وجل (وان تجد لسنة الله تبديلا)

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْثَى وَالْأُنثَى مَا تَرْضَوْنَ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾

يقول تعالى ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله العابدين معه غيره (من خلق السموات والأرض؟ ليقولن خلقهن العزيز العليم) أى ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله وحده لا شريك له وهم مع هذا يبدون معه غيره من الأصنام والأنداد ثم قال تعالى (الذي جعل لكم الأرض مهذا) أى فراشا قرارا ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتصرفون مع أنها مخلوقة على تيار الماء لكنه أرساها بالجبال لئلا تعيد هكندا ولا هكندا (وجعل لكم فيها سبلا) أى طرقا بين الجبال والأودية (لعلكم تهتدون) أى في سيركم من بلد إلى بلد ، وقطر إلى قطر ، وإقليم إلى إقليم (والذي نزل من السماء ماء بقدر) أى بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم لأنفسكم ولأنعامكم . وقوله تبارك وتعالى (فأنشرننا به بلدة ميتة) أى أرضا ميتة فلما جاءها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ثم فيه تعالى بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها فقال (كذلك تخرجون) . ثم قال عز وجل (والذي خلق الأزواج كلها) أى مما تنبت الأرض من سائر الأصناف من نبات وزروع وثمار وأزاهير وغير ذلك . ومن الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها (وجعل لكم من الأنثى) أى السفن (والأنعام ما تركبون) أى ذلالها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها ولهذا قال جل وعلا (لتستووا على ظهوره) أى لتستووا متمكنين مرتفقين (على ظهوره) أى على ظهور هذا الجنس (ثم تذكروا نعمة ربكم) أى فيما سخر لكم (إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) أى مقاومين ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه . قال ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والسدى وابن زيد : مقرنين أى أمطيين (وإننا إلى ربنا لمقلبون) أى لصائرون إليه بعد ثمانتنا وإليه سيرنا الأكبر وهذا من باب التنبيه بسير الله تعالى سيرا الآخرة كما نبه بالزاد النبوي على الزاد الأخرى في قوله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) وباللباس النبوي على الأخرى في قوله تعالى (وريشا ولباس التقوى ذلك خير)

﴿ ذكر الأحاديث الواردة عند ركوب اللهابه ﴾

﴿ حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال الإمام جعفر بن محمد بن زيد حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق

عن علي بن ربيعة قال رأيت عليا رضي الله عنه أتى بدابة فلما وضع رجله في الركاب قال باسم الله فلما استوى عليها قال الحمد لله (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون) ثم حمد الله تعالى ثلاثا وكبر ثلاثا ثم قال سبحانك لا إله إلا أنت قد ظلمت نفسي فاغفر لي ثم ضحك فقلت له مم ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال رضي الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل ما فعلت ثم ضحك فقلت مم ضحكت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم « يعجب الرب تبارك وتعالى من عبده إذا قال رب اغفر لي ويقول علم عبدي أنه لا يغفر الله نوب غیری » وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي الأحوص زاد النسائي ومنصور عن أبي إسحاق السبيعي عن علي بن ربيعة الأسدي الوالي به وقال الترمذي : حسن صحيح ، وقد قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة قلت لأبي إسحاق السبيعي ممن سمعت هذا الحديث ؟ قال : من يونس بن خباب فلقبت يونس بن خباب فقلت ممن سمعته ؟ فقال من رجل سمعه من علي بن ربيعة ورواه بعضهم عن يونس بن خباب عن شقيق بن عقبة الأسدي عن علي بن ربيعة الوالي به (حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا أبو بكر بن عبد الله عن علي بن أبي طلحة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ أُرِدَّه على دابته فلما استوى عليها كبر رسول الله ﷺ ثلاثا وحمد ثلاثا وسبح ثلاثا وهلل الله واحدة ثم استلقى عليه وضحك ثم أقبل عليه فقال « ما من امرئ مسلم يركب دابة فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عز وجل عليه فضحك إليه كما ضحكت إليك » تفرد به أحمد (حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال الإمام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد بن سلمة عن أبي الزبير عن علي بن عبد الله البارق عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن النبي ﷺ كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال « سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون » ثم يقول — اللهم إني أسألك في سفرى هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هون علينا السفر واطولنا البعيد ، اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا » وكان صلى الله عليه وسلم إذا رجع إلى أهله قال « آيئون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون » وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج والترمذي من حديث حماد بن سلمة كلاهما عن أبي الزبير به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم عن عمرو بن الحكم بن ثوبان عن أبي لاس الخزاعي قال حملنا رسول الله ﷺ على إبل من إبل الصدقة إلى الحج فقلنا يا رسول الله ما نرى أن تحملنا هذه فقال صلى الله عليه وسلم « مامن بعير إلا في ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما أمركم ثم امتهنوها لأنفسكم فاعلموا يحمل الله عز وجل » أبو لاس اسمه محمد بن الأسود بن خلف (حديث آخر) في معناه قال أحمد حدثنا عتاب أخبرنا عبد الله بن علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا أسامة بن زيد أخبرني محمد بن حمزة أنه سمع أباة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « على ظهر كل بعير شيطان فإذا ركبتموها فسموا الله عز وجل ثم لا تقصروا عن حاجاتكم »

﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴾ * أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَانَكُمْ بِالْبَنِينَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * أَوْ مِنْ يُنْشَوْنَ فِي الْحُلِيِّ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ * وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنْنَا شَاهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ * وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما افتروه وكذبوه في جعلهم بعض الأنعام لطواغيتهم وبعضها لله تعالى كما ذكر

الله عز وجل عنهم في سورة الأنعام في قوله تبارك وتعالى (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون) وكذلك جعلوا له من قسمي البنات والبنين أحسهما وأردأهما وهو البنات كما قال تعالى (ألكم الله كره ولهم الأثني * تلك إذا قسمة ضيزى) وقال جل وعلا هينا (وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين) ثم قال جل وعلا (أم اتخذ مما خلق بنات وأصفاكم بالبنين ؟) وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار . ثم ذكر تمام الإنكار فقال جل وعلا (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أى إذا بشر أحد هؤلاء بما جعلوه لله من البنات بأنفس من ذلك غاية الأنفة وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به ويتوارى من القوم من خجله من ذلك يقول تبارك وتعالى فكيف تأتقون أتم من ذلك وتنسبونوه إلى الله عز وجل ، ثم قال سبحانه وتعالى (أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين) أى المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلى منذ تكون طفلة وإذا خاصمت فلا عبارة لها بل هى عاجزة عيبة أو من يكون هكذا ينسب إلى جناب الله العظيم ، فالأثني ناقصة الظاهر والباطن في الصورة والمعنى فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلى وما فى معناه ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض شعراء العرب

وما الحلى إلا زينة من نقصة * يتمم من حسن إذا الحسن قصرا

وأما إذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتاج إلى أن يزورا

وأما نقص معناها فانها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار لا عبارة لها ولا أهمية كما قال بعض العرب وقد بشر بنت ماهي بنعم الولد نصرها بكاء ، وبرها سرقة ، وقوله تبارك وتعالى (وجعلوا لللائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا) أى اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال (أشهدوا خالقهم) أى شاهدوه وقد خلقهم الله إناثا (مكتوب شهادتهم) أى بذلك (ويستأون) عن ذلك يوم القيامة وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى أو أراد الله لحال بيننا وبين عبادة هذه الأصنام التى هى على صور اللاتكة التى هى بنات الله فانه عالم بذلك وهو يقررنا عليه فجمعوا بين أنواع كثيرة من الخطأ (أحدها) جعلهم لله تعالى ولدا ، تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علوا كبيرا (الثانى) دعواهم أنه اصطفى البنات على البنين فجعلوا لللائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا (الثالث) عبادتهم لهم مع ذلك كله بالادليل ولا برهان ولا إذن من الله عز وجل بل بمجرد الآراء والأهواء والتقليد للأسلاف والكبراء والآباء والخطب في الجاهلية الجهلاء (الرابع) احتجاجهم بتقديرهم على ذلك قدرا وقد جهلوا في هذا الاحتجاج جهلا كبيرا فانه تعالى قد أنكر ذلك عليهم أشد الإنكار فانه منذ بعث الرسل وأنزل الكتب يأمر بعبادته وحده لا شريك له وينهى عن عبادة ما سواه قال تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقال عز وجل (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال جل وعلا فى هذه الآية بعد أن ذكر حججهم هذه (ما لهم بذلك من علم) أى بصحة ما قالوه واحتجوا به (إن هم إلا يخرون) أى يكذبون ويتقولون ، وقال مجاهد فى قوله تعالى (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرون) يعنى ما يعلمون قدرة الله تبارك وتعالى على ذلك

﴿ أَمْ أَتَيْنَهُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ * بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ * وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾ * قُلْ أُولَٰئِكَ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِمْ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ * فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِيبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين في عبادتهم غير الله بلا برهان ولا دليل ولا حجة (أم آتيناهم كتابا من قبله) أي من قبل شركهم (فهم به مستمسكون) أي فيما هم فيه أي ليس الأمر كذلك كقوله عز وجل (أم أنزلنا عليهم سلطانا نفوسهم يتكلم بما كانوا به يشركون) أي لم يكن ذلك. ثم قال تعالى (بل قالوا وجدنا آبائنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) أي ليس لهم مستند فيما هم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة والمراد بها الدين ههنا وفي قوله تبارك وتعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة) وقولهم (وانا على آثارهم) أي وراءهم (مهتدون) دعوى منهم بلا دليل. ثم بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقهم إليها أشباههم ونظراؤهم من الأمم السالفة المكذبة للرسول تشابهت قلوبهم فقالوا مثل مقالته (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون) وهكذا قال ههنا (وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) ثم قال عز وجل (قل) أي يا محمد لهؤلاء المشركين (أو لو جئتم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) أي ولو علموا وتيقنوا صحة ما جئتهم به لما انقادوا لذلك لسوء قصدهم ومكابرتهم للحق وأهله. قال الله تعالى (فانتقمنا منهم) أي من الأمم المكذبة بأنواع من العذاب كما فصله تبارك وتعالى في قصصهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) أي كيف بادوا وهلكوا وكيف نجى الله المؤمنين

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ * أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ سُلْخًا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَوْلَا أَن يَسْكَوْنَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُفْهًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَسَكَّرُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا خِرَةَ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله وخليفه إمام الحنفاء ووالد من بعث بعده من الأنبياء الذي تنتسب إليه قریش في نسبها ومذهبها أنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال (إنني براء مما تعبدون) إلا الذي فطرنى فإنه سيهديني * وجعلها كلمة باقية في عقبه (أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهي لا إله إلا الله أي جعلها دأمة في ذريته يقتدى به فيها من هداية الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة والسلام (لعلهم يرجعون) أي إليها قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله عز وجل (وجعلها كلمة باقية في عقبه) يعني لا إله إلا الله لا يزال في ذريته من يقولها. وروى نحوه عن ابن عباس رضى الله عنهما. وقال ابن زيد كلمة الإسلام وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة ثم قال جل وعلا (بل ممتعت هؤلاء) يعني للمشركين (وآباءهم) أي فتطاول عليهم المعرف في ضلالهم (حتى جاءهم الحق ورسول مبين) أي بين الرسالة والندارة (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) أي كابدوه وعاندوه ودفنوا بالصدور والراح كفرا وحسدا وبغيا (وقالوا) أي كالمترضين على الذي أنزله تعالى وتقدس (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) أي هلا كان إنزال هذا القرآن على رجل عظيم كبير في أعينهم من القريتين؟ يبنون مكة والطائف قاله ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة وشهد بن كعب القرظي وقتادة والسدي وابن زيد وقد ذكر

غيروا حد منهم أنهم أرادوا بذلك الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي . وقال مالك عن زيد بن أسلم والضحاك
والسدي يعنون الوليد بن المغيرة ومسعود بن عمرو الثقفي . وعن مجاهد يعنون عمير بن عمرو بن مسعود الثقفي وعنه أيضا
أنهم يعنون عتبة بن ربيعة . وعن ابن عباس رضي الله عنهما جبارا من جبابرة قريش وعنه رضي الله عنهما أنهم يعنون
الوليد بن المغيرة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي وعن مجاهد يعنون عتبة بن ربيعة بمكة وابن عبد الليل بالطائف وقال السدي
عنوا بذلك الوليد بن المغيرة وكنانة بن عمرو بن عمير الثقفي والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدين كان .
قال الله تبارك وتعالى راداً عليهم في هذا الاعتراض (أمهم يقسمون رحمة ربك ؟) أي ليس الأمر مردوداً إليهم بل إلى الله عز
وجل والله أعلم حيث يجعل رسالته فإنه لا ينزلها إلا على أذكى الخلق قلباً ونفساً وأشرفهم بيتاً وأطهرهم أصلاً
ثم قال عز وجل مبيناً أنه قد فaut بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والأرزاق والعقول والفهوم وغير ذلك
من القوى الظاهرة والباطنة فقال (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا) الآية . وقوله جات عظمتها (ليتخذ بعضهم
بعضاً سخرياً) قيل سناه ليسخر بعضهم بعضاً في الأعمال لا حثاج هذا إلى هذا وهذا إلى هذا قاله السدي وغيره وقال
قتادة والضحاك ليلك بعضهم بعضاً وهو راجع إلى الأولى . ثم قال عز وجل (ورحمة بك خير مما يجمعون) أي رحمة الله بخلقهم
خير لهم مما يبيدهم من الأموال ومتاع الحياة الدنيا ثم قال سبحانه وتعالى (ولو لا أن يكون الناس أمة واحدة) أي لولا
أن يعتقد كثير من الناس الجهلة أن إعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه فيجتمعوا على السكفر لأجل المال . هذا معني
قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وغيرهم (لعلنا لمن يكثر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج) أي سلام
ودرجاً من فضة . قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم (عليهم يظهرن) أي يصعدون لبيوتهم أبواباً
أي أغلاقاً على أبوابهم (وسررا عليهم يتكئون) أي جميع ذلك يكون فضة (وزخرفاً) أي ذهباً . قاله ابن عباس وقتادة
والسدي وابن زيد . ثم قال تبارك وتعالى (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أي إنما ذلك من الدنيا القانية الزائلة الحائرة
عند الله تعالى أي يجعل لهم بحسانهم التي يعملونها في الدنيا ما كل ومشارب ليوافوا الآخرة وليس لهم عند الله تبارك
وتعالى حسنة يجزيهم بها كما ورد به الحديث الصحيح . وورد في حديث آخر « لو أن الدنيا زن عند الله جناح بعوضة
ما سقى منها كافراً شربة ماء » أسنده البغوي من رواية زكريا بن منظور عن أبي حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ورواه الطبراني من طريق زمة بن صالح عن أبي حازم عن سهل بن سعد عن
النبي صلى الله عليه وسلم « لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافراً منها شيئاً » ثم قال سبحانه وتعالى (والآخرة عند
ربك للمتقين) أي هي لهم خاصة لا يشاركون فيها أحد غيرهم ولهذا لما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين صعد إليه في تلك المشربة لما آلى صلى الله عليه وسلم من نسائه فراه على رمال حصير قد أثر
بجنبه فابتدرت عيناه بالبكاء وقال يا رسول الله هذا كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متكئاً فجلس وقال « أوفى شك أنت يا ابن الخطاب » ثم قال صلى الله عليه وسلم « أولئك قوم عجبت لهم
طبيبتهم في حياتهم الدنيا » وفي رواية « أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة » . وفي الصحيحين أيضاً
وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها فإنها لهم
في الدنيا ولنا في الآخرة » وإنما خولهم الله تعالى في الدنيا لحقارتها كما روى الترمذي وابن ماجه من طريق أبي حازم
عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو كانت الدنيا زن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً شربة ماء أبداً »
قال الترمذي حسن صحيح

﴿ وَمَنْ يَمْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْعَلُنَا فَهَوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَقْعُدُونَهُمْ فِي السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ نَاقَالُ يَلَيْتُ بَدْنِي وَبَدْنِكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيُفْسِدُ الْقَرِينُ ﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ

ظَلَمْتُمْ أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَمَا نَذَرْنَاهُ يَدُوكَ فِإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ * فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَإِنَّهُ لَدَرُّ كَرِّ لَكَ وَلَقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ * وَسُئِلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿

يقول تعالى (ومن يشأ) أى يتعاضى ويتغافل ويعرض (عن ذكر الرحمن) والعشا فى العين ضعف بصرها والمراد ههنا عشا البصيرة (نقيض له شيطانا فهو له قرين كقوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى) الآية وكقوله (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) وكقوله جل جلاله (وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) الآية ولهذا قال تبارك وتعالى ههنا (وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون * حتى إذا جاءنا) أى هذا الذى تغافل عن الهدى نقيض له من الشياطين من يضله ويهديه إلى صراط الجحيم . فإذا وافى الله عز وجل يوم القيامة يتبرم بالشیطان الذى وكل به (قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) وقرأ بعضهم (حتى إذا جاءنا) يعنى القرين والمقارن . قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن سعيد الجريرى قال : بلغنا أن السكافر إذا بعث من قبره يوم القيامة شفع بيده شيطان فلم يفارقه حتى يصيرها الله تبارك وتعالى إلى النار فذلك حين يقول (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين) والمراد بالمشرقين هاهنا هو ما بين المشرق والمغرب . وإنما استعمل هاهنا تقليدا كما يقال : القمران والعمران والأبوان . قاله ابن جرير وغيره . ثم قال تعالى (ولن ينفعكم اليوم إذ ظننتم أنكم فى العذاب مشتركون) أى لا ينفى عنكم اجتماعكم فى النار واشتراكم فى العذاب الأليم وقوله جل عظمته (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين .) أى ليس ذلك إليك إنما عليك البلاغ وليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وهو الحكم العدل فى ذلك . ثم قال تعالى (فأما نذبهن بك فأنا منهم منتقمون) أى لا بد أن تنتقم منهم ونعاقبهم ولو ذهب أنت (أو نرينك الذى وعدناهم فأنا عليهم مقتدرون) أى نحن قادرون على هذا وعلى هذا ولم يقبض الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم حتى أقر عينه من أعدائه وحكمه فى نواصيهم . وماله ما تضمنته صياصيمهم هذا معنى قول السدى واختاره ابن جرير وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر قال تلا فتادة (فأما نذبهن بك فأنا منهم منتقمون) فقال ذهب النبی ﷺ وبقيت النعمة ولن يرى الله تبارك وتعالى نبیه صلى الله عليه وسلم فى أمته شيئا يكرهه حتى مضى ولم يكن نبى قط إلا وقد رأى العقوبة فى أمته إلا نبيكم ﷺ . قال وذكر لنا أن رسول الله ﷺ أرى ما يصيب أمته من بعده فإرثى ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله عز وجل وذكر من رواية سعيد بن أبى عروبة عن فتادة نحوه ثم روى ابن جرير عن الحسن نحوه ذلك أيضا وفى الحديث «النجوم أمانة للسما فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما تعد وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يعدون» ثم قال عز وجل (فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على صراط مستقيم) أى خذ بالقرآن المنزل على قلبك فإنه هو الحق وما يهدي إليه هو الحق المفضى إلى صراط الله المستقيم الموصل إلى جنات النعيم والخير الدائم المقيم . ثم قال جل جلاله (وإنه لك كذلك ولقومك) قيل معناه لشرف لك وقومك قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ومجاهد وفتادة والسدى وابن زيد واختاره ابن جرير ولم يحك سواه وأورد الترمذى ههنا حديث الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن معاوية رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن هذا الأمر فى قرين لا ينازعهم فيه أحد إلا أكبه الله تعالى على وجهه ما أقاموا الدين» رواه البخارى ومعناه أنه شرف لهم من حيث أنه أنزل بلغتهم فهم أفهم الناس له فينبى أن يكونوا أقوم الناس به واعلمهم بمقتضاه وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخالص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم وقيل معناه (وإنه

لذكر لك ولقومك) أى لتذكير لك ولقومك ، وتخصيصهم بالذكر لا ينفى من سواهم كقوله تعالى (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) وكقوله تبارك وتعالى (وأنذر عشيرتلك الأقرين) (وسوف تستأثرون) أى عن هذا القرآن وكيف كنتم فى العمل به والاستجابة له . وقوله سبحانه وتعالى (واسئلكم من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آتمة يعبدون) أى جميع الرسل دعوا إلى مადعوت الناس اليه من عبادة الله وحده لا شريك له ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد كقوله جلّت عظمتة (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) قال مجاهد فى قراءة عبد الله بن مسعود رضى الله عنه واسئلكم الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا . وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدى عن ابن مسعود رضى الله عنه . وهذا كأنه تفسير لاتلاوة والله أعلم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واسئلكم ليلة الإسراء فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جمعوا له ، واختار ابن جرير الأول والله أعلم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذْ هُمْ يَمْشَحْكُونَ * وَمَنْزِيلِهِمْ * آيَةٌ الْآلَاءِ أَكْبَرُ مِنْ أَخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَكْبَهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَمِدَ عِنْدَكَ إِنَّا آمَنُ بِكَ وَنُحَدِّثُكَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذْ هُمْ يُنْسَكُونَ ﴾
يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام أنه ابتعث إلى فرعون وماله من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع والرعايا من القبط وبنى إسرائيل ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ويأمرهم عن عبادة ماسواه وأنه بهت معه آيات عظيمة كيد وعصاه ، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، ومن نقص الزروع والأنفس والثمرات ، ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها وكذبوها وسخروا منها وضحكوا بمن جاءهم بها (وما تأتيهم من آية إلا هي أكبر من أختها) ومع هذا ما رجعوا عن غيرهم وضللتهم ، وجعلهم وخيلهم . وكلما جاءهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه الصلاة والسلام ويتلطفون له فى العبارة بقولهم (يا أيها الساحر) أى العالم قاله ابن جرير وكان علماء زمانهم هم السحرة . ولم يكن السحر فى زمانهم مذموما عندهم فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منهم لأن الحال حال ضرورة منهم اليه لاتناسب ذلك وإنما هو تعظيم فى زعمهم ففى كل مرة يعبدون موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا به ويرسلوا معه بنى إسرائيل . وفى كل مرة ينسكثون ما علموا عليه وهذا كقوله تبارك وتعالى (فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين * ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولترسلن معك بنى إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالقره إذ هم ينسكثون)

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَومُ الْيَسَّىٰ لِي مُصْرٌ وَهَٰذَا الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ * فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ سَبَّأُ مَخَسَةٌ أَلَمْ تَكُنْ لَهُ مُّقَرَّرِينَ * فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا عَسَوْا وَآتَتْهُمُ الْمَائِدَةُ فَذَلَّلُوا فَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَمًا وَنَلَّاءَ لِّلْآخِرِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وتمرده وعتوه وكفره وعناده أنه جمع قومه فنادى فيهم متعجبا مستغفرا ياتلك مصر وتصرف فيها (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ؟) قال قتادة قد كانت لهم جنات وأنهار ماء (أفلا تبصرون) أى أفلا ترون ما أنافيه من العظمة والملك يعنى وموسى وأتباعه فقراء ضعفاء وهذا كقوله تعالى (فبشر فنادى) فقال

أنا ربكم الأعلى * فأخذهم الله نكال الآخرة والأولى (وقوله) أم أنا خير من هذا الذي هو مهين (قال السدي يقول بل أنا خير من هذا الذي هو مهين وهكذا قال بعض نحاة البصرة : إن أم هانئ بمعنى بل ، ويؤيد هذا ما حكاه الفراء عن بعض القراء أنه قرأها (أما أنا خير من هذا الذي هو مهين) قال ابن جرير ولو صححت هذه القراءة لكان معناها صحيحا واضحا ولكنها خلاف قراءة الأمصار فانهم قرأوا (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين) على الاستفهام [قلت] وعلى كل تقدير فاعما يعني فرعون لعنه الله بذلك أنه خير من موسى عليه الصلاة والسلام وقد كذب في قوله هذا كذبا بينا واضحا فعليه لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة . ويعني بقوله مهين كما قال سفيان حقير وقال قتادة والسدي يعني ضعيف وقال ابن جرير يعني لا ملك له ولا سلطان ولا مال (ولا يكاد يبين) يعني لا يكاد يفصح عن كلامه فهو عبي حصر قال السدي (لا يكاد يبين) أي لا يكاد يفهم وقال قتادة والسدي وابن جرير يعني عبي اللسان وقال سفيان يعني في لسانه شيء من الجرة حين وضعها في فمه وهو صغير ، وهذا الذي قاله فرعون لعنه الله كذب واختلاق وإنما حماله على هذا الكفر والعناد وهو ما ينظر إلى موسى عليه الصلاة والسلام بعين كافرة شقية وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة والبهاء في صورة يهر أبصار ذوى الأبواب ، وقوله (مهين) كذب بل هو المبهين الحقير خلقة وخلقا ودينا ، وموسى هو الشريف الرئيس الصادق البار الراشد ، وقوله (ولا يكاد يبين) افتراء أيضا فانه وإن كان قد أصاب لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجرة فقد سأل الله عز وجل أن يخل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله وقد استجاب الله تبارك وتعالى له ذلك في قوله (قد أوتيت سؤالك يا موسى) وبتقدير أن يكون قد بقي شيء لم يسأل إزالته كما قاله الحسن البصري وإنما سأل زوال ما يحصل معه الإلباغ والإفهام ، فالأشياء الخلقية التي ليست من فعل العبد لا ياب بها ولا يذم عليها ، وفرعون وإن كان يفهم وله عقل فهو يدرى هذا وإنما أراد الترويج على رعيته فانهم كانوا جهلة أغبياء وهكذا قوله (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) وهي ما يجعل في الأيدي من الحلي قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة وغير واحد (أو جاء معه الملائكة مقترنين) أي يكتفونه خدمة له ويشهدون بتصديقه ، نظر إلى الشكل الظاهر ولم يفهم السر المعنوي الذي هو أظهر مما نظر إليه لو كان يفهم ولهذا قال تعالى (فاستخف قومه فأطاعوه) أي استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له (إنهم كانوا قوما فاسقين) قال الله تعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما آسفونا أسخطونا ، وقال الضحاك عنه أغضبونا وهكذا قال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والسدي وغيرهم من المفسرين وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثنا عمي حدثنا ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم التميمي عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأيت الله تبارك وتعالى يعطي العبد ما يشاء وهو مقيم على معاصيه فاعلموا ذلك امتدراج منه له » ثم تلا ﷺ (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني حدثنا قيس بن الربيع عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال كنت عند عبد الله رضى الله عنه فذكر عنده موت النجدة فقال تخفيف على المؤمن وحسرة على الكافر ثم قرأ رضى الله عنه (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وجدت النعمة مع العفلة يعني قوله تبارك وتعالى (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) وقوله سبحانه وتعالى (فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين) قال أبو مجاز سلفا لمثل من عمل بهم لهم وقال هو ومجاهد ومثلا أي عبرة لمن بعدهم والله سبحانه وتعالى الوفاق للصواب واليه المرجع والمآب

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا آءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ * وَلَوْ نَشَاءُ لَجَمَعْنَاهُمْ مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلْآسَافَةِ فَلَا تَمُوتُنَّ فِيهَا وَاتَّبِعُونْ بِهِ ذَوِّ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَلَا يَصُدُّكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَفَتِ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ﴿١﴾

يقول تعالى مخبرا عن تغت قريش في كفرهم وتعبدهم العناد والجحدل (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قال غير واحد عن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة والسدي والضحاك يضحكون أى أعجبوا بذلك ، وقال قتادة يهزعون ويضحكون . وقال إبراهيم النخعي يعرضون وكأن السبب في ذلك ما ذكره محمد بن إسحاق في السيرة حيث قال : وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني يوم مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر ابن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفجحه ثم تلا عليه وعليهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) الآيات : ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبيد الله بن الزبيري التميمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة له : والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب وما قعد ، وقد زعم محمد أنا وما نعبده من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبيري أما والله لو وجدته لحصمته ، سلوا محمدا أكل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده ، فتحن نعيد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح عيسى بن مريم . فحجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن الزبيري ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده فانهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » فأُنزل الله عز وجل (إن الذين سبق لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) أى عيسى وعزير ومن عبد معهما من الأخبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله عز وجل فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكر من أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) الآيات ونزل فيما يذكر من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) أى يصدون عن أمرك بذلك من قوله . ثم ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام فقال (إن هو إلا عبد أئمننا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل * ولونشاء لجهنمنا منكم ملائكة في الأرض يخفون * وإنه لأم لسانة) أى ما وضع على يديه من الآيات من إحياء الموتى وإبراء الأمام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول (فلا تعترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) وذكر ابن جرير من رواية العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما قوله (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قال يعنى قريشا لما قيل لهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) إلى آخر الآيات فقالت له قريش فما ابن مريم ؟ قال « ذاك عبد الله ورسوله » فقالوا والله ما يريد هذا إلا أن تتخذوه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فقال الله عز وجل (ماض بوهلك إلا جدلا بل هم قوم خصمون)

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا شيبان عن عاصم بن أبي رزين عن أبي يحيى مولى ابن عقيل الأنصاري قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما : لقد علمت آية من القرآن ما سألتني عنها رجل قط ولا أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها أم لم يفتنوا لها فيسألوا عنها . قال ثم طفق يحدثنا فلما قام تلاونا أن لا نكون سألناه عنها فقالت أنا لها إذا راح غدا فلما راح الغد قلت يا ابن عباس ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط فلا تدري أعلمها الناس أم لم يفتنوا لها فقالت أخبرني عنها وعن اللاتي قرأت قبامها ، قال رضى الله عنه نعم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش « يامشر قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام وما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ألسنت تزعم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان

نبيا وعبدا من عباد الله صالحا فان كنت صادقا كان آلهتهم كل يقولون قال فأنزل الله عز وجل (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قلت ما يصدون ؟ قال يضحكون (وإنه لعلم للساعة) قال هو خروج عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قبل يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يعقوب المشقي حدثنا آدم حدثنا شيبان عن عاصم ابن أبي النجود عن أبي أحمد مولى الأنصار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ميمون قريش إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير » فقالوا له ألسنت تزعم أن عيسى كان نبيا وعبدا من عباد الله صالحا فقد كان يعبد من دون الله ؟ فأنزل الله عز وجل (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) وقال مجاهد في قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون) قالت قريش إنما يريد محمدان نعبد كما عبد قوم عيسى عليه السلام ، ونحو هذا قال قتادة . وقوله (وقالوا آلهتنا خير أم هذا يعنون محمدا ﷺ) وقوله تبارك وتعالى (ماض بوه لك إلا جدلا) أي مرأ وهم يعلمون أنه ليس بوارد على الآية لأنها لما لا يقتل وهي قوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) ثم هي خطاب لقريش وهم إنما كانوا يعبدون الأصنام والأنداد ولم يكونوا يعبدون المسيح حتى يوردوه فتعين أن مقاتلتهم إنما كانت جدلا منهم ليسوا يعتقدون صحتها ، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى حدثنا ابن عمير حدثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماض قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ماض بوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وقدرناه الترمذي وابن ماجه وابن جرير من حديث حجاج بن دينار به ، ثم قال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديثه كذا قال . وقد روى من وجه آخر عن أبي أمامة رضي الله عنه زيادة فقال ابن أبي حاتم حدثنا حميد بن عياش الرمي حدثنا مؤمل حدثنا حماد أخبرنا ابن مغزوم عن القاسم بن أبي عبد الرحمن السامي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال حماد لا أدري رفعه أم لا ؟ قال : ما ضلت أمة بعد نبيا إلا كان أول ضلالها التكذيب بالقدر ، وما ضلت أمة بعد نبيا إلا أعطوا الجدل ، ثم قرأ (ماض بوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عباد بن عباد عن جعفر عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن فغضب غضبا شديدا حتى كأنما صب على وجهه الحبل ثم قال صلى الله عليه وسلم « لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فانه ماض قوم قط إلا أوتوا الجدل » ثم تلا صلى الله عليه وسلم (ماض بوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون) . وقوله تعالى (إن هو إلا عبد أئمننا عليه) يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ما هو إلا عبد من عباد الله عز وجل أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة (وجعلناه مثلا لبني إسرائيل) أي دلالة وحجة وبرهانا على قدرتنا على ما نشاء ، وقوله عز وجل (ولو نشاء لجعلنا منكم) أي بدلهم (ملائكة في الأرض يخفون) قال السدي يخفونكم فيها ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقاتلة يخلف بعضهم بعضا كما يخلف بعضهم بعضا وهذا القول يستلزم الأول ، وقال مجاهد يسمرون الأرض بدلهم وقوله سبحانه وتعالى (وإنه لعلم للساعة) تقدم تفسير ابن إسحاق أن المراد من ذلك ما بعث به عيسى عليه الصلاة والسلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك من الأستقام وفي هذا نظر . وأبعد منه ما حكاه قتادة عن الحسن البصري وسعيد بن جبير أن الضمير في وإنه عائد على القرآن بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تبارك وتعالى (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته) أي قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى (وإنه لعلم للساعة) أي أمانة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد (وإنه لعلم للساعة) أي آية للساعة خروج عيسى بن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روى عن أبي هريرة وابن عباس وأبي المالية وأبي مالك وعكرمة والحسن وقاتلة والضحاك وغيرهم وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أخبر بنزول عيسى

عليه السلام قبل يوم القيامة إماما عادلا وحكما مقسطا . وقوله تعالى (فلا تترن بها) أى لا تشكوا فيها لأنها واقعة وكائنه لا محالة (واتبعون) أى فيما أخبركم به (هذا صراط مستقيم * ولا يصدنكم الشيطان) أى عن اتباع الحق (إنه لكم عدو مبين *) ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة (أى بالنبوة) ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه) قال ابن جرير يعنى من الأمور الدينية لا الدنيوية وهذا الذى قاله حسن جيد ثم رد قول من زعم أن بعض ههنا يعنى كل واستشهد بقول لبيد الشاعر حيث قال :

تزال أمكنة إذا لم أرضها * أو يتعلق بعض النفوس حمامها

وأولوه على أنه أراد جميع النفوس . قال ابن جرير وإنما أراد نفسه فقط وعبر بالبعث عنها وهذا الذى قاله محتمل وقوله عز وجل (فاتقوا الله) أى فيما أمركم به (وأطيعوا) فيما جئتكم به (إن الله هو ربكم) فاعبدوه هذا صراط مستقيم (أى أنا وأتم عبيد له فقراء إليه مشتركون فى عبادته وحده لا شريك له) هذا صراط مستقيم (أى هذا الذى جئتكم به هو الصراط المستقيم وهو عبادة الرب جل وعلا وحده . وقوله سبحانه وتعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلف الفرق وصاروا شيعا فيه ، منهم من يقر بأنه عبد الله ورسوله وهو الحق ، ومنهم من يدعى أنه ولد الله ، ومنهم من يقول إنه الله . تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . ولهذا قال تعالى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم)

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ * يَعْجِدُونَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِتِلْكَ الْآيَاتِ وَأَنُؤَسِّلِينَ * أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مِمَّا تَشْتَهُ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾

يقول تعالى هل ينظرون هؤلاء المشركون المنكرون للساعة أن تأتيتهم بغتة وهم لا يشعرون (أى فأنها كائنة لا محالة وواقعة وهؤلاء غافلون عنها غير مستعدين . فإذا جاءت إنما تجيء وهم لا يشعرون بها فحينئذ يندمون كل الندم حيث لا ينفعهم ولا يدفع عنهم . وقوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) أى كل صداقة وصحابة لغير الله فانها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل فانه دائم بدوامه وهذا كما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)

وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن أبي إسحق عن الحارث عن علي رضى الله عنه (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فتوفى أحد المؤمنين وبشر بالجنة فذكر خليله فقال اللهم إن فلانا خليلي كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولاك ويأمرنى بالخير وينهاى عن الشر وينبئنى أنى ملائكتك اللهم فلا تنله بعدى حتى تريبه مثل ما أريتنى . وترضى عنه كما رضى عنى فيقال له : اذهب فلو تعلم ماله عندى لضحك كثيرا وبكى قليلا . قال ثم يموت الآخر فتجتمع أرواحهما فيقال ليئن أسد كما على صاحب فيقول كل واحد منهما لصاحبه نعم الأخ ونعم الصاحب ونعم الخليل . وإذا مات أحد الكافرين وبشر بالنار فذكر خليله فيقول اللهم إن خليلي فلانا كان يأمرنى بمعصيتك ومعصية رسولاك . ويأمرنى بالشر وينهاى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملائكتك اللهم فلا تهده بعدى حتى تريبه مثل ما أريتنى وتسخط عليه كما مسخت على قال فيموت الكافر الآخر فيجتمع بين أرواحهما . فيقال ليئن كل واحد

منكبا على صاحبه فيقول كل واحد منهما لصاحبه بئس الآخ وبئس الصاحب وبئس الحليل رواه ابن أبي حاتم .
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقادة صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين ، وروى الحافظ ابن عساكر
في ترجمة هشام بن أحمد عن هشام بن عبد الله بن كثير حدثنا أبو جعفر محمد بن الحضر بالرقعة عن معاذي حدثنا حكيم
ابن نافع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن
رجلين تحابا في الله أحدهما بالشرق والآخر بالمغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول هذا الذي أحببته في » وقوله
تبارك وتعالى (يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) ثم بشرهم فقال (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين)
أي آمنت قلوبهم وبواطنهم وانقادوا لشرع الله جوارحهم وظواهرهم . قال العتمر بن سليمان عن أبيه إذا كان يوم
القيامة فإن الناس حين يبعثون لا يبقى أحد منهم إلا فرح فينادي مناد (يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)
فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها (الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين) قال فيأبى الناس منها غير المؤمنين (ادخلوا
الجنة) أي يقال لهم ادخلوا الجنة (أنتم وأزواجكم) أي نظرائكم (تحبرون) أي تتنعمون وتسعدون وقد تقدم تفسيرها
في سورة الروم (يطاف عليهم بضخف من ذهب) أي زيادي آتية الطعام (وأكواب) وهي آتية الشراب أي من
ذهب لا خراطيم لها ولا عرى (وفيها ما تشتهي الأنفس) وقرأ بعضهم تشتهي الأنفس (وتلذ الأعين) أي طيب الطعام
والريح وحسن المنظر ، قال عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني إسماعيل بن أبي سعيد قال : إن عكرمة مولى ابن عباس
رضي الله عنهما أخبره أن رسول الله ﷺ قال « إن أدنى أهل الجنة منزلة وأسفلهم درجة لرجل لا يدخل
الجنة بعده أحد يفسح له في بصره مسيرة مائة عام في قصور من ذهب وخيام من لؤلؤ ليس فيها موضع
شبر إلا معمور ينفذ عليه ويراح بسبعين ألف صحيفة من ذهب ليس فيها صحيفة إلا فيها لون ليس في الأخرى مثله
شهوته في آخرها كشهوته في أولها أنزل به جميع أهل الأرض لوسع عليهم مما أعطى لا ينقص ذلك مما أوتي شيئا »
وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا عمرو بن سواد السرحي حدثني عبد الله بن وهب عن ابن
لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن بن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا أمامة رضي الله عنه حدث أن رسول الله ﷺ
حدثهم وذكر الجنة فقال « والذي نفس محمد بيده ليأخذن أحدكم اللقمة فيجعلها في فيه ثم يخطر على باله
طعام آخر فيتحوّل الطعام الذي في فيه على الذي اشتى » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (وفيه ما تشتهي
الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون) وقال الإمام أحمد حدثنا عيسى بن موسى حدثنا مسكين بن عبد العزيز
حدثنا أبو الأشعث الضريير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إن أدنى أهل الجنة منزلة من له سبع درجات وهو على السادسة وفوقه السابعة وإن له ثلثمائة خادم وينفذ عليه ويراح
كل يوم ثلثمائة صحيفة ... ولا أعلمه إلا قال من ذهب في كل صحيفة لون ليس في الأخرى وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره ، ومن
الأشربة ثلثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وإنه ليقول يا رب لو أذنت لي لأطعمت
أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء وإن له من الخمر العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا
وإن الواحدة منهن لتأخذ مئة منها قدر ميل من الأرض » وقوله تعالى (وأنتم فيها) أي في الجنة (خالدون) أي لا تخرجون
منها ولا تبغون عنها حولا . ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان (وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون) أي
أعمالكم الصالحة كانت سببا لشمول رحمة الله إليكم فإنه لا يدخل أحد أعماله الجنة ولكن برحمة الله وفضله وإنما الدرجات
ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات قال ابن أبي حاتم حدثنا الفضل بن شاذان المقرئ حدثنا يوسف بن يعقوب
يعني الصفار حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله
ﷺ « كل أهل النار يرى منزله من الجنة حسرة فيقول لو أن الله همداني لسكنت من المتقين (وكل أهل
الجنة يرى منزله من النار فيقول (وما كنا لننتدى لولا أن هدانا الله) فيسكون له شكرا » قال : وقال رسول الله
ﷺ « ما من أحد إلا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فالسافر يرث المؤمن منزله من النار . والمؤمن يرث

الكافر منزله من الجنة وذلك قوله تعالى (وتلك الجنة التي أوردتموها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (لكم فيها كل شيء كثيرة) أي من جميع الأنواع (منها تأكلون) أي منها اخترتم وأردتم . ولما ذكر الطعام والشراب ذكر بعده الفاكية لتتم النعمة والعبطة والله تعالى أعلم

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ خَالِدُونَ * لَا يُغْتَرَبُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُونَ * وَظَالِمَتُهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ * وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ * لَقَدْ جِئْتُمْكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كِرْهُونَ * أَمْ أُبْرِمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرَهُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلَانَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال السعداء أتى بذكر الأشقياء فقال (إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون * لا يغتر عنهم * وهم فيه مبسئون) أي آيسون من كل خير (وما ظالمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) أي بأعمالهم السيئة بعد قيام الحجة عليهم وارسال الرسل إليهم فكذبوا وعصوا فجوزوا بذلك جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد (ونادوا يا مالك) وهو خازن النار . قال البخاري حدثنا حجاج بن منهال حدثنا صفيان بن عيينة عن عمر بن عطاء عن صفوان ابن يحيى عن أبيه رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ على المنبر (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك) أي يقبض أرواحنا فيرجعنا مما نحن فيه فانهم كما قال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال عز وجل (ويتجنبها الأشقياء الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيا) فلما سألو أن يموتوا أجابهم مالك (قال إنكم ما كنون) قال ابن عباس : مكث ألف سنة ثم قال إنكم ما كنون رواه ابن أبي حاتم أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها . ثم ذكر سبب شقوتهم وهو مخالفتهم للحق ومعادنتهم له فقال (لقد جئناكم بالحق) أي بيناء لكم ووضعتنا وفسرناه (ولكن أكثركم للحق كارهون) أي ولكن كانت سجاياكم لا تقبل عليه وإيمانكم لا تقبل للباطل وتعظمه وتسد عن الحق وتأباه وتبغض أهله فهو دوا على أنفسكم بالآلة واندهوا حيث لا تنفعكم الندامة ثم قال تبارك وتعالى (أَمْ أُبْرِمُوا أَمْرًا مَبْرُمُونَ) قال مجاهد أرادوا كيد شرفكذبناهم وهذا الذي قاله مجاهد قال تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) وذلك لأن المشركين كانوا يتحايون في رد الحق بالباطل بحيل ومكر يسلكونه فكادهم الله تعالى ورد وبال ذلك عليهم ولهذا قال (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ) أي سرهم وعلايتهم (بلى ورسلنا لدهم يكتبون) أي نحن نعلم ما هم عليه والملائكة أيضا يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَسِيدِينَ * سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبُّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * فَلَذَرْهُمْ يُخَوْضُوا وَيُحِبُّوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُهُمْ الَّذِي يُوعَدُونَ * وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شِئَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ * وَقِيلَ لَهُ رَبِّ إِنْ هُوَ إِلَّا قَوْمٌ لَا يُوْمِنُونَ * فَأَنصَفْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد (إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) أى لو فرض هذا لعبده على ذلك لأنى عبد من عبده مطيع لجميع ما أمرنى به ليس عندى استكبار ولا إباء عن عبادته فلو فرض هذا لكان هذا ولكن هذا ممتنع فى حقه تعالى والشرط لا يلزم منه الوقوع ولا الجواز أيضا كما قال عز وجل (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى (فأنا أول العابدين) أى الآنفين ومنهم سفيان الثورى والبخارى حكاه فقال ويقال أول العابدين الجاحدين من عبد يعبد ، وذكر ابن جرير لهذا القول من الشواهد ما رواه عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب حدثنى ابن أبى ذئب عن أبى قسيطة عن بعة بن بدر الجهنى أن امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم أيضا فولدت له فى ستة أشهر فذكر ذلك زوجها لعثمان بن عفان رضى الله عنه فأمر بها أن ترجع فدخل عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : إن الله تعالى يقول فى كتابه (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وقال عز وجل (وفصاله فى عامين) قال فوالله ما عبد عثمان رضى الله عنه أن بعث إليهم فداى يونس قال ابن وهب : عبد : استكف . وقال الشاعر .

مقى ما يشأ ذو الود يصرم خليله ويعبد عليه لا محالة ظالما

وهذا القول فيه نظر لأنه كيف يلتزم مع الشرط فيكون تقديره إن كان هذا فأنا ممتنع منه ؟ هذا فيه نظر فليتأمل اللهم إلا أن يقال إن إن ليست شرطا وإنما هى نافية كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (قل إن كان للرحمن ولد) يقول لم يكن للرحمن ولد فأنا أول الشاهدين وقال قتادة : هى كلمة من كلام العرب (إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) أى إن ذلك لم يكن فلا ينبغي ، وقال أبو صخر (قل إن كان للرحمن ولدا فأنا أول العابدين) أى فأنا أول من عبده بأن لا ولد له ، وأول من وحده ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال مجاهد (فأنا أول العابدين) أى أول من عبده ووحده ، وقال البخارى (فأنا أول العابدين) الآنفين وهما لقنان رجل عابد وعبد والأول أقرب على أنه شرط وجزاء ولكن هو ممتنع ، وقال السدى (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) يقول لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له وهو اختيار ابن جرير ورد قول من زعم أن إن نافية . ولهذا قال تعالى (سبحانه رب السموات والأرض رب العرش عما يصفون) أى تعالى وتقدس وتنزه خالق الأشياء عن أن يكون له ولد فإنه فرد أحد صمد لا نظير له ولا كفء له فلا ولد له . وقوله تعالى (فذرهم يخوضوا) أى فى جهلهم وضلالهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يعدون) وهو يوم القيامة أى فسوف يعلمون كيف يكون مصيرهم وما لهم وحالهم فى ذلك اليوم . وقوله تبارك وتعالى (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله) أى هو إله من فى السماء وإله من فى الأرض يعبدونه أهلها وكلهم خاضعون له أذلاء بين يديه (وهو الحكيم العليم) وهذه الآية كقوله سبحانه وتعالى (وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون أى هو المدعو الله فى السموات والأرض (وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما) أى هو خالقهما وما لهما والمتصرف فيهما بلا مدافعة ولا ممانعة فسبحانه وتعالى عن الولد وتبارك أى استقر له السلامة من العيوب والنقائص لأنه الرب العلى العظيم المالك للأشياء الذى بيده أزمة الأمور تقضا وإبراما (وعنده علم الساعة) أى لا يحيطها وقتها إلا هو (وإليه ترجعون) أى فيجازى كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ثم قال تعالى (ولا يملك الذى يدعون من دونه) أى من الأصنام والأوثان (الشفاعة) أى لا يقدرون على الشفاعة لهم (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) هذا استثناء منقطع أى لكان من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له . ثم قال عز وجل (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون) أى ولئن سألت هؤلاء المشركين بالله العابدين منه غيره (من خلقهم ليقولن الله) أى هم يستفرون أنه الخالق للأشياء جميعها وحده لا شريك له فى ذلك ومع هذا يبدون منه غيره بمن لا يملك شيئا ولا يقدر على شيء فهم فى ذلك فى غاية الجهل والسفاهة وسخافة العقل . ولهذا قال تعالى (فأنى يؤفكون) . وقوله جل وعلا (وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) أى وقال محمد صلى الله عليه وسلم قيله أى شكوا إلى ربه شكوا من قومه الذين كذبوه فقال يا رب

إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، كما أخبر تعالى في الآية الأخرى (وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا) وهذا الذي قلناه هو قول ابن مسعود رضي الله عنه ومجاهد وقادة وعليه فسر ابن جرير، قال البخاري وقرأ عبد الله يعني ابن مسعود رضي الله عنه (وقال الرسول يا رب) وقال مجاهد في قوله (وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال يؤثر الله عز وجل قول محمد ﷺ وقال قتادة: هو قول نبيكم صلى الله عليه وسلم يشكو قومه إلى ربه عز وجل. ثم حكى ابن جرير في قوله تعالى (وقيله يا رب) قراءتين إحداهما النصب ولها توجه إن أحدهما أنه معطوف على قوله تبارك وتعالى (نسمع سرهم ونجواهم) والثاني أن يقدر فعل وقال قيله، والثانية والخفض وقيله عطفا على قوله (وعنده علم الساعة) وتقديره وعلم قيله وقوله تعالى (فاصبر عنهم) أي المشركين (وقل سلام) أي لا تخافوهم بمثل ما مخاطبوك به من الكلام السيئ ولكن تألفهم واصبر عنهم فعلا وقولا (فسوف يعلمون) هذا تهديد من الله تعالى لهم ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يرد وأعطى دينه وكلته وسرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وانتشر الإسلام في المشارق والمغرب والله أعلم. آخر تفسير سورة الزخرف

﴿تفسير سورة الدخان وهي مكية﴾

قال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا زيد بن الحباب عن عمرو بن أبي خثعم عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك» ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمرو بن أبي خثعم يضعف قال البخاري: منكر الحديث ثم قال حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي حدثنا زيد بن الحباب عن هشام أبي القدام عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قرأ حم الدخان في ليلة الجمعة غفر له» ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وهشام أبو القدام يضعف والحسن لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه كذا قال أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد رحمة الله عليهم أجمعين. وفي مسند البرار من رواية أبي الطفيل عامر بن واثلة عن زيد ابن حارثة أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد «إني قد خبأت خبا فها هو؟» وخبأه رسول الله ﷺ سورة الدخان فقال هو الدخ. فقال «أخسأ ماشاء الله» ثم انصرف

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حم * وَالسَّكِّتِيبِ الْمُتَمِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْراً مَنْ عِنْدَنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ سُوءُ السَّمْعِ السَّامِعِ * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ * لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾

يقول تعالى يخبرنا عن القرآن العظيم أنه أنزل في ليلة مباركة وهي ليلة القدر كما قال عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وكان ذلك في شهر رمضان كما قال تبارك وتعالى (وشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) وقد ذكرنا الأحاديث الواردة في ذلك في سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، ومن قال: إنها ليلة النصف من شعبان كما روى عن عكرمة فقد أبعد النجمة فإن نص القرآن أنها في رمضان، والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الألب عن عليل عن الزهري أخبرني عثمان بن محمد بن النيرة بن الأخنس قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى إن الرجل لينكح ويولد له وقد أخرج اسمه في التوتى» فهو حديث مرسل وهلك لا يعارض به النصوص وقوله عز وجل (إنا كننا منذرين) أي معادين الناس ما يشقهم ويضرهم شرما تقوم حجة الله على عباده وقوله (فيها يفرق كل أمر حكيم) أي في ليلة القدر يفصل من الأوح المنفوعة إلى السكتة أمر السنة وما يكون فيها من الآجل والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روى عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحك وغير واحد

من السلف وقوله جل وعلا (حكيم) أى محكم لا يبدل ولا يغير ولهذا قال جل جلاله (أمرنا من عندنا) أى جميع ما يكون ويقدره الله تعالى وما يوحيه فبأمره وإذنه وعلمه (إننا كنّا مرسلين) أى إلى الناس رسولا يتلو عليهم آيات الله مبینات فإن الحاجة كانت ماسة إليه ولهذا قال تعالى (رحمة من ربك إنه هو السميع العليم) * رب السموات والأرض وما بينهما (أى الذى أنزل القرآن هو رب السموات والأرض وخالقهما ومالكهما وما فيهما) (إن كنتم مؤمنين) أى إن كنتم متحققين ثم قال تعالى (لا إله إلا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين) وهذه الآية كقوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت) الآية

﴿ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴾ فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَتَى لَهُمُ الْدُّكْرَىٰ وَفَدَّ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ * ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنُونَ * إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿

يقول تعالى بل هؤلاء المشركون في شك يلعبون أى قد جاءهم الحق اليقين وهم يشكون فيه ويمترون ولا يصدقون به ، ثم قال عز وجل متوعدا لهم ومهددا (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال سليمان بن مهران الأعمش عن أبي الضحى : سلم بن صبيح ، عن مسروق قال دخلنا المسجد يعني مسجد الكوفة عند أبواب كندة فإذا رجل يقص على أصحابه (يوم تأتي السماء بدخان مبين) تدرون ما ذلك الدخان ؟ ذلك دخان يأتي يوم القيامة يأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم يأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود رضى الله عنه فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا ففزع قعده وقال إن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين) إن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك إن قريشاً لما أبطأت عن الإسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميعة وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان وفي رواية فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، قال الله تعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم) فأتى رسول الله ﷺ فقليل يا رسول الله استسق الله لمضر فأنهم قد هلكوا فاستسق صلى الله عليه وسلم لهم فسموا فزلت (إننا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون) قال ابن مسعود رضى الله عنه فيكشف عنهم العذاب يوم القيامة فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم فأنزل الله عز وجل (يوم نبطش البطشة الكبرى إننا منتقمون) قال يعنى يوم بدر قال ابن مسعود رضى الله عنه فقد مضى خمسة : الدخان والروم والقمر والبطشة والزام ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين ورواه الإمام أحمد في مسنده وهو عند الترمذى والنسائى في تفسيريهما وعند ابن جرير وابن أبي حاتم من طرق متعددة عن الأعمش به وقد وافق ابن مسعود رضى الله عنه على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى : جماعة من السلف كجاهد وأبي النعمانية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبى حدثنا جعفر بن مسافر حدثنا يحيى بن حسان حدثنا ابن أبي ليلى حدثنا عبد الرحمن الأعرج في قوله عز وجل (يوم تأتي السماء بدخان مبين) قال كان يوم فتح مكة وهذا القول غريب جدا بل منكر . وقال آخرون لم يعض الدخان بعد بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبى سريحة : حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من عرفة ونحن ننذاكر الساعة فقال صلى الله عليه وسلم « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طالع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والجال وثلاثة خسوف خسوف بالمشرق وخسوف بالمغرب وخسوف بجزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو تحشر الناس - نبيت معهم حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا » تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه وفي الصحيحين أن

رسول الله ﷺ قال لا بن صياد « إني خبأت لك خبأ » قال هو الدخ فقال صلى الله عليه وسلم له « أخساً فلن تعدو قدرك » قال وخبأه رسول الله ﷺ (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) وهذا فيه إشعار بأنه من المنتظر المرتقب ، وابن صياد كاشف على طريقة الكتمان بلسان الجان وهم يقرظون العبارة ولهذا قال هو الدخ يعنى الدخان فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية فقال صلى الله عليه وسلم « أخساً فلن تعدو قدرك » ثم قال ابن جرير وحدثني عصام بن رواد بن الجراح حدثنا أبي حدثنا سفیان بن أبي سعيد الثوري حدثنا منصور بن المتمر عن ربعي بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « إن أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام ونار تخرج من قعر عدن أبيض تسوق الناس إلى الحشر تثيل معهم إذا قالوا ، والدخان — قال حذيفة رضى الله عنه يا رسول الله وما الدخان ؟ فقال رسول الله ﷺ هذه الآية (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) يعنى الناس هذا عذاب اليم) — بلاء ما بين المشرق والغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة ، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منجربه وأذنيه ودبره » قال ابن جرير لوضح هذا الحديث لسان فاسلاً وإنما لم أشم له بالصحة لأن محمد بن خلف السدائى حدثني أنه سأل رواداً عن هذا الحديث هل سمعه من سفیان ؟ فقال له : لا ، قال فقامت أقرانه عليه ؟ فقال لا قال فقامت له أقرىء عليه وأنت حاضر فأقر به ؟ فقال لا فقلت له فمن أين جئت به فقال جاءني به قوم فقرأوه علي وقالوا لي سمعه منا فقرأوه علي ثم ذهبوا به فحدثوا به عني أو كما قال وقد أجاد ابن جرير في هذا الحديث هيئته فانه موضوع بهذا السند وقد أكثر ابن جرير من سياقه في أماكن من هذا التفسير وفيه منكرات كثيرة جداً ولا سيما في أول سورة بني إسرائيل في ذكر المسجد الأقصى والله أعلم وقال ابن جرير أيضاً حدثني محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني حنظلة بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشمري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ، ويأخذ الكافر فينفخ حتى يخرج من كل مسامع منه ، والثانية الدابة والثالثة الدجال » ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن إسماعيل بن عياش به وهذا السناد جيد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل بن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يخرج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسامع منه » ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه موقوفاً ، وروى سعيد بن عوف عن الحسن مثله

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضى الله عنه قال لم تكن آية الدخان بعد يأخذ المؤمن كهيئة الزكام وتنفخ الكافر حتى ينفذ وروى ابن جرير عن حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن النخعي عن عبد الرحمن بن السلمي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل مسامع الكافر والمنافق حتى يكن كالرأس الحديد أى المشوى على الرضف ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال غدوت على ابن عباس رضى الله عنهما ذات يوم فقال ما كنت الليلة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع السكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد بطرق فأنمت حتى أصبحت وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفیان بن عبد الله بن أبي يزيد عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكره ، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس رضى الله عنهما خبر الأمة وترجمان القرآن ، وهكذا أقول من واقعه من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم أجمعين مع الأحاديث الرفوعة من الصحيح والحسان وغيرها التي أوردوها مما فيه منقح ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة مع أنه ظاهر القرآن قال الله تبارك وتعالى (فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين) أى بين واضح يراه كل أحد ، وعلى ما فسر به ابن مسعود رضى الله عنه إتمامه خيال رأوه في أعينهم من شدة الجوع والجهد وهكذا قوله تعالى (يعنى الناس) أى يتشامخ ويمعهم ، ولو كان

أمرًا خيالًا يخص أهل مكة المشركين لما قيل فيه (يعصى الناس) وقوله تعالى (هذا عذاب أليم) أى يقال لهم ذلك تقريبًا وتوبيخًا كقوله عز وجل (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أو يقول بعضهم لبعض ذلك وقوله سبحانه وتعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) أى يقول الكافرون إذا عابوا عذاب الله وعقابه سائلين رفعه وكشفه عنهم كقوله جلّت عظمته (ولو ترى إذا وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وكذا قوله جل وعلا (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك وتتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) وهكذا قال جل وعلا ههنا (أى لهم الله كرى وقد جاءهم رسول مبين) ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون (يقول كيف لهم بالتذكر وقد أرسلنا إليهم رسولًا بين الرسالة والندارة ومع هذا تولوا عنه وماوا فقهه بل كذبوه وقالوا معلم مجنون وهذا كقوله جلّت عظمته (يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى) الآية كقوله عز وجل (ولو ترى إذا فرغوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) إلى آخر السورة وقوله تعالى (إنا كشفنا العذاب قليلاً إنكم عائدون) يحتمل معنيين (أحدهما) أنه يقول تعالى (ولو كشفنا عنكم لعذاب ورجعناكم إلى الدار الدنيا لعذبتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والتكذيب كقوله تعالى (ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) وكقوله جلّت عظمته (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) (والثاني) أن يكون المراد إنا مؤخروا العذاب عنكم قليلاً بعد انعقاد أسبابه ووصوله إليكم وأنتم مستمعرون فيما أنتم فيه من الطغيان والضلال ولا يلزم من الكشف عنهم أن يكون باشرهم كقوله تعالى (إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين) ولم يكن العذاب باشرهم واتصل بهم بل كان قد انعقد سببه عليهم ، ولا يلزم أيضاً أن يكونوا قد أفلحوا عن كفرهم ثم عادوا إليه قال الله تعالى إخباراً عن شعيب عليه السلام أنه قال لقومه حين قالوا (لئلا يخرجك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريقتنا أو لنعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين) قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها) وشعيب عليه السلام لم يكن قط على ملتهم وطريقتهم وقال قتادة إنكم عائدون إلى عذاب الله وقوله عز وجل (يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون) فسر ذلك ابن مسعود رضى الله عنه يوم بدر وهذا قول جماعة ممن وافق ابن مسعود رضى الله عنه على تفسيره الدخان بما تقدم وروى أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما من رواية العوفي عنه وعن أبي بن كعب رضى الله عنه وهو محتمل والظاهر أن ذلك يوم القيامة وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضاً قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما قال ابن مسعود رضى الله عنه : البطشة الكبرى يوم بدر أو أقول هي يوم القيامة وهذا إسناد صحيح عنه وبه يقول الحسن البصرى وعكرمة في أصح الروايتين عنه والله أعلم

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبَائِلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَنْ لَا تَعْبُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ * وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجَحُونَ * وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا إِلَيَّ فَأَعْتَزَلُكُمْ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَ لَأَكْثَرُ قَوْمٍ تُجْرِمُونَ * فَأَسْرِيَ بِمُؤَدِّي لَيْلَى إِيَّاكُمْ فَمِثْمُومُونَ * وَأَتْرَكُوا الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُفْرَقُونَ * كَمْ تَرَ كُوفًا مِنْ جَنَّتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَسَكَّهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ * وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ أَلْمِهُنَّ * مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَا مِنْهُمُ عَلَىٰ عِلْمٍ قَلِيلٍ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَأَتَيْنَهُمْ مِنْ آلَائِنَا مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾

يقول تعالى ولقد اخترنا قبل هؤلاء المشركين قوم فرعون وهم قبض مصر (وجاءهم رسول كريم) يعنى موسى
كليمه عليه الصلاة والسلام (أن أدوا إلى عباد الله) كقوله عز وجل (أن أرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد
جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى) وقوله جل وعلا (إني لكم رسول أمين) أى مأمون على
ما أبلغكموه . وقوله تعالى (وأن لاتعوا على الله) أى لاتستكبروا عن اتباع آياته والالتحاق لحججه والإيمان ببراهينه
كقوله عز وجل (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) (إني آتيكم سلطان مبین) أى
بحجة ظاهرة واضحة وهى ما أرسله الله تعالى به من الآيات البينات والأدلة القاطعات (وإني عدت بربى وربكم أن
ترجمون) قال ابن عباس رضى الله عنهما وأبو صالح هو الرجم باللسان وهو الشتم . وقال قتادة الرجم بالحجارة أى أعوذ
بالله الذى خلقنى وخلقكم من أن تصالوا إلى بسوء من قول أو فعل (وإن لم تؤمنوا لى فاعزلون) أى فلا تعرضوا لى ودعوا
الأمر بينى وبينكم مسالمة إلى أن يقضى الله بيننا فلما طال مقامه ^{عليه السلام} بين أظهرهم وأقام حجج الله تعالى عليهم كل ذلك
وما زادهم ذلك إلا كفرا وعنادا دعاربه عليهم دعوة ففدت فيهم كما قال تبارك وتعالى (وقال موسى ربنا إنك آتيت
فرعون وملائه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضاهوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) قال قد أجيب دعوتكما فاستقيما (وهكذا قال ههنا (فدعاربه أزهوا لى قوم مجرمون)
فبعد ذلك أمره الله تعالى أن يخرج بنى إسرائيل من بين أظهرهم من غير أمر فرعون ومشاورته واستئذانه ولهذا
قال جل جلاله (فأمر بعبادى ليلا إنكم متبعون) كما قال تعالى (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب
لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا يخشى) وقوله عز وجل ههنا (واترك البحر رهوا إنهم جنود مفرقون)
وذلك أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يهود كما
كان يصير حائلا بينهم وبين فرعون فلا يسئل إليهم فأمره الله تعالى أن يتركه على حاله ساكنا وبشره بأنهم جنود
مفرقون فيه وأنه لا يخاف دركا ولا يخشى ، قال ابن عباس رضى الله عنهما (واترك البحر رهوا) كقوله وأمنه
وقال مجاهد رهوا طريقا يبسا كقوله يقول لاتأمره يرجع اتركه حتى يرجع آخرهم وكذا قال عكرمة والربيع
ابن أنس والضحاك وقتادة وابن زيد وكعب الأحبار وسماك بن حرب وغير واحد ثم قال تعالى (كم تركوا من جنات)
وهى البساتين (وعيون وزروع) والراد بها الأنهار والآبار (ومقام كريم) وهى المساكن الأتقية والأماكن
الحسنة . وقال مجاهد وسعيد بن جبير (ومقام كريم) النابر ، وقال ابن لحيمة عن وهب بن عبد الله العافى عن عبد الله
ابن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال نيل مصر سيد الأنهار سمى الله تعالى له كل نهر بين الشرق والغرب وذلك له فإذا
أراد الله عز وجل أن يجرى نيل مصر أسر كل نهر أن يمدده فأمدته الأنهار بمائها وفجر الله تبارك وتعالى له الأرض
عيونا فإذا انتهى جريه إلى ما أراد الله جل وعلا أوحى الله تعالى إلى كل ماء أن يرجع إلى عنبره وقال فى قول الله
تعالى (فأخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم) ونعمة كانوا فيها فاكهين (قال كانت الجنات بها فى نهر
النيل من أوله إلى آخره فى الشقين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد وكان له تسع خلج (١) خليج الاسكندرية وخليج
دمياط ، وخليج سر دوس ، وخليج منف ، وخليج الفيوم ، وخليج المنية متصلة لا يتقطع منها شئ عن نهر النيل والجنات
كاه من أول مصر إلى آخر ما يافه لاء وكانت تسع أرض مصر تروى من ستة عشر ذراعا لا تقدرها وتدبروا من قاطرها
وجسورها وخليجها (ونعمة كانوا فيها فاكهين) أى عيشة كانوا يتسكعون فيها فى كل ما شاءوا ويأبسون ما أحبوا من
الأموال والجاهات والحكم فى البلاد فسأبوا ذلك جميعه فى صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس
المعير واستولى على البلاد المصرية وتلك الحواصلى القرونية والممالك التبليية بنوا إسرائيل كما قال تبارك وتعالى (كذلك
وأورثناها بنى إسرائيل) . وقال فى الآية الأخرى (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضفون مشارق الأرض ومغاربها

(١) الخليج . شرم من النهر ويطلق على النهر ، وعلى السفينة والجمع خايجان وخالج . وقوله تسع خلج هكذا فى الأصول فليحذر .

التي باركنا فيها وعتت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا
يعرشون) وقال عز وجل ههنا (كذلك وأورثناها قوما آخرين) وبهم بنو إسرائيل كما تقدم . وقوله سبحانه وتعالى
(فما بكتم عليهم السماء والأرض) أى لم تسكن لهم أعمال صالحة تصعد في أبواب السماء فتبكي على فقدهم ولا لهم
في الأرض بقاء عبدوا الله تعالى فيها فقدتهم فلماذا استحقوا أن لا ينظروا ولا يؤخروا لكفرهم وإجرامهم وعتوهم
وعنادهم . قال الحافظ أبو يعلى الموصلى في مسنده حدثنا أحمد بن إسحاق البصرى حدثنا مكى بن إبراهيم حدثنا
موسى ابن عبيدة حدثني يزيد الرقاشى حدثني أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
« ما من عبد إلا وله في السماء بابان : باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله وكلامه فإذا مات فقداه وبكى عليه » وتلا
هذه الآية (فما بكتم عليهم السماء والأرض) وذكر أنهم لم يكونوا عمالوا على الأرض عملا صالحا يسبى عليهم ولم
يصعد لهم إلى السماء من كلامهم ولا من عملهم كلام طيب ولا عمل صالح ففقدتهم فتبكي عليهم ، ورواه ابن أبي حاتم
من حديث موسى بن عبيدة وهو الربدى . وقال ابن جرير حدثني يحيى بن طلحة حدثني عيسى بن يونس عن صفوان
ابن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي قال : قال رسول الله ﷺ « إن الاسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا
كما بدأ . ألا لاغربة على مؤمن ، مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه إلا بكتم عليه السماء والأرض » ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم (فما بكتم عليهم السماء والأرض) ثم قال « إنهما لا يبكيان على الكافر » وقال
ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد يعنى الزبيرى حدثنا العلاء بن صالح عن المنهال بن عمرو عن عباد
ابن عبد الله قال سأل رجل علياً رضى الله عنه هل تبكى السماء والأرض على أحد فقال له لقد سألتني عن شئ مما سألتني
عنه أحد فذلك إنه ليس من عبد إلا له مصلى في الأرض ومصعد عمله من السماء ، وإن آل فرعون لم يكن لهم عمل
صالح في الأرض ولا عمل يصعد في السماء ثم قرأ على رضى الله عنه (فما بكتم عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)
وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا طلق بن غنم عن زائدة عن منصور عن منهال عن سعيد بن جبيرة قال قال أبو عباس
رضى الله عنهم ما رجل فقال يا أبا العباس أرايت قول الله تعالى (فما بكتم عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين)
فهل تبكى السماء والأرض على أحد ؟ قال رضى الله عنه نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا وله باب في السماء منه
ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه ففقدته
بكى عليه وإذا أقدم مصلا من الأرض التي كان يصلى فيها ويذكر الله عز وجل فيها بكتم عليه ، وإن قوم فرعون لم تسكن
لهم في الأرض آثار صالحة ولم يكن يصعد إلى الله عز وجل منهم خير فلم تبك عليهم السماء والأرض وروى العوفى
عن ابن عباس رضى الله عنهما نحوه هذا . وقال سفيان الثوري عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال : كان يقال تبكى الأرض على المؤمن أربعين صباحا ، وكذلك مجاهد وسعيد بن جبيرة وغير واحد ،
وقال مجاهد أيضا مات مؤمن إلا بكتم عليه السماء والأرض أربعين صباحا قال فقلت له أتبكي الأرض ؟ فقال أتعجب
وما للأرض لا تبكى على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ؟ وما للسماء لا تبكى على عبد كان لتكبيره وتسيحه
فيها دوى كدوى النحل وقال قتادة كانوا أهون على الله عز وجل من أن تبكى عليهم السماء والأرض وقال ابن أبي
حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد السلام بن عاصم حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا المستورد بن سابق عن عبيد المكتب
عن إبراهيم قال ما بكتم السماء منذ كانت الدنيا إلا على اثنين قلت لعبيد أليس السماء والأرض تبكى على المؤمن ؟ قال
ذاك مقامه حيث يصعد عمله قال وتدرى ما بكاء السماء ؟ قلت لا قال تحمر وتصير وردة كالدهان ، إن يحيى بن زكريا عليه
الصلاة والسلام لما قتل احمرت السماء وقطرت دما . وإن الحسين بن علي رضى الله عنهما لما قتل احمرت السماء .
وحدثنا علي بن الحسين حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو بن زياد حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال لما قتل الحسين بن علي
رضى الله عنهما احمرت آفاق السماء أربعة أشهر قال يزيد واحمرارها بكأؤها وهكذا قال السدى الكبير وقال عطاء
الخراساني بكأؤها أن تحمر أطرافها . وذكروا أيضا في مقتل الحسين رضى الله عنه أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد

تحتة دم عييط وأنه كسفت الشمس واحمر الأفق وسقطت حجارة وفي كل من ذلك نظر ، والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكره فانه قد قتل أبوه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أفضل منه بالاجماع ولم يقع شيء من ذلك ، وعثمان بن عفان رضي الله عنه قتل محصورا مظلوما ولم يكن شيء من ذلك . وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتل في المحراب في صلاة الصبح وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك ولم يكن شيء من ذلك . وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكره . ويوم مات إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم خسفت الشمس فقال الناس خسفت لموت إبراهيم فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت لأحد ولا حياته . وقوله تبارك وتعالى (ولقد نجينا بنى إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عاليا من المفسرين) يتن عليهم تعالى بذلك حيث ألقاهم مما كانوا فيه من إهانة فرعون وإذلاله لهم وتسخيره إياهم في الأعمال المهينة الشاقة وقوله تعالى (من فرعون إنه كان عاليا) أى مستكبرا جبارا عنيدا كقوله عز وجل (إن فرعون علا في الأرض) . وقوله جل عظمته (فاستكبروا وكانوا قوما عالين) من المفسرين أى مسرف في أمره سخيف الرأى على نفسه . وقوله جل جلاله (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) قال مجاهد (اخترناهم على علم على العالمين) على من هم بين ظهريه وقال قتادة اختيروا على أهل زمانهم ذلك وكان يقال إن لكل زمان عالما وهذا كقوله تعالى (قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس) أى أهل زمانه ذلك كقوله عز وجل لمريم عليها السلام (واصطفاك على نساء العالمين) أى في زمانها فان خديجة رضي الله عنها إما أفضل منها أو مساوية لها في الفضل وكذا آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ، وفضل عائشة رضي الله عنها على النساء كفضل الثريد على سائر العلما . وقوله جل جلاله (وآتيناهم من الآيات) الحجج والبراهين وخوارق العادات (ما فيه بلاء مبين) أى اختبار ظاهر جلى لمن اهتدى به .

﴿ إِن هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ * فَأْتُوا بِبَاطِنَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾

يقول تعالى منكرآ على المشركين في إنكارهم البعث والمعاد وأنه ما من إلا هذه الحياة الدنيا ولا حياة بعد المات ولا بعث ولا نشور ويحتجون بأبائهم الماضين الذين ذهبوا فلم يرجعوا فان كان البعث حقا (فأتوا ببائنا إن كنتم صادقين) وهذه حجة باطلة وشبهة فاسدة فان المعاد إنما هو يوم القيامة لا في الدار الدنيا بل بعد انقضاءها وذهابها وفراغها بعد الله العالمين خلقا جديدا ، ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا ، يوم تسكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ، ثم قال تعالى متهددا لهم ومتوعدا ومنذرهم بأسه الذي لا يرد كما حل بأشباههم ونظرائهم من المشركين المنكرين للبعث كقوم تبع وهم سبأ حيث أهلكهم الله عز وجل وخرب بلادهم وشردهم في البلاد وفرقهم شذر مذر كما تقدم ذلك في سورة سبأ وهي مصدرة بانكار المشركين للمعاد وكذلك ههنا شبههم بأولئك وقد كانوا عربا من قحطان كما أن هؤلاء عرب من عدنان وقد كانت حمير وهم سبأ كما ملك فيهم رجل سموه تبعما كما يقال كسرى لمن ملك الفرس وقيصر لمن ملك الروم وفرعون لمن ملك مصر كافرا والنجاشي لمن ملك الحبشة وغير ذلك من أعلام الأجناس . ولكن اتفق أن بعض تبائهم خرج من اليمن وسار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند واشتد ملكه وعظم سلطانه وجيشه واتسعت مملكته وبلاده وكثرت رعاياه وهو الذي مصر الحيرة فاتفق أنه مر بالمدينة النبوية وذلك في أيام الجاهلية فأراد قتال أهلها فسانعوه وقتلوه بالهبار وجعلوا يقرونه بالليل فاستحيا منهم وكف عنهم واستصحب معه جبرين من أحبار يهود كانا قد نصحاها وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة فانها مهاجرة نبي يكون في آخر الزمان فرجع عنها وأخذها معه إلى بلاد اليمن فلما اجتاز بمكة أراد هدم

السكبة فنهاه عن ذلك أيضا وأخبرهم بعظمة هذا البيت وأنه من بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان فعظمها وطاق بها وكساها اللآلئ والوصائل والخبر ثم كر راجعا إلى اليمن ودعا أهلها إلى اليهود معه وكان إذ ذاك دين موسى عليه الصلاة والسلام فيه من يكون على الهداية قبل بعثة المسيح عليه الصلاة والسلام فتهود معه عامة أهل اليمن ، وقد ذكر القصة بطولها الإمام محمد بن إسحاق في كتابه السيرة وقد ترجمه الحافظ ابن عساکر في تاريخه ترجمة حافلة أورد فيها أشياء كثيرة بما ذكرنا ومما لم نذكر ، وذكر أنه ملك دمشق وأنه كان إذا استعرض الخيل صفت له من دمشق إلى اليمن . ثم ساق من طريق عبد الرزاق عن معمر بن ابن أبي ذئب عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما أدرى الحدود طهارة لأهلها أم لا ؟ ولا أدرى تبع لعينا كان أم لا ؟ ولا أدرى ذوالقرنين نبيا كان أم ملكا » . وقال غيره « عزيز أ كان نبيا أم لا » ، وكذا رواه ابن أبي حاتم عن محمد بن حماد الظهري عن عبد الرزاق قال الدارقطني تفرد به عبد الرزاق ، ثم روى ابن عساکر من طريق محمد بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا « عزيز لا أدرى أنبيا كان أم لا ؟ ولا أدرى ألعين تبع أم لا ؟ » ثم أورد ما جاء في النهي عن سببه ولعنته كما سيأتي إن شاء الله تعالى وكأنه والله أعلم كان كافرا ثم أسلم وتابع دين السكبة على يدي من كان من أحبار اليهود في ذلك الزمان على الحق قبل بعثة المسيح عليه السلام وحج البيت في زمن الجرميين وكساء اللآلئ والوصائل من الحرير والخبر ونهر عنده ستة آلاف بدنة وعظمه وأكرمه . ثم عاد إلى اليمن . وقد ساق قصته بطولها الحافظ ابن عساکر من طريق متعددة مطولة مبسطة عن أبي بن كعب وعبد الله بن سلام وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وكتب الأخبار وإليه المرجع في ذلك كله وإلى عبد الله بن سلام أيضا وهو أثبت وأكبر وأعلم . وكذا روى قصته وهب بن منبه ومحمد بن إسحاق في السيرة كما هو مشهور فيها . وقد اختلط على الحافظ ابن عساکر في بعض السياقات ترجمة تبع هذا بترجمة آخر متأخر عنه بدهر طويل فإن تبما هذا المشار إليه في القرآن أسلم قومه على يديه ثم لما توفي عادوا بعده إلى عبادة النيران والأصنام فعاقرهم الله تعالى كما ذكره في سورة سبأ وقد بسطنا قصتهم هنالك والله الحمد والمنة ، وقال سعيد بن جبير : كسا تبع السكبة وكان سعيد ينهى عن سببه وتبع هذا هو تبع الأوسط واسمه أسعد أبو كريب بن مالك كريب الهذلي ذكرنا أنه ملك على قومه ثلاثمائة سنة وستة وعشرين سنة ولم يكن في حجر أطول مدة منه وتوفي قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو من سبعائة سنة . وذكرنا أنه لما ذكر له الخبران من يهود المدينة أن هذه البلدة مهاجرة بني آخر في الزمان اسمه أحمد قال في ذلك شعرا واستودعه عند أهل المدينة فكانوا يتوارثونه ويرونه خلفا عن سلفه وكان ممن يحفظه أبو أيوب خالد بن زيد الذي نزل رسول الله ﷺ في داره وهو :

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم قالو مد عمرى إلى عمره

لست وزيراً له وابن عم وجاهدت بالسيف أعداءه وفرجت عن صدره كل غم

وذكر ابن أبي الدنيا أنه حفر قبر بضائع في الإسلام فوجدوا فيه امرأتين صبيحتين وعند رءوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب : هذا قبر حيي وعيس وروى حيي وتماضر ابني تبع ماتتاوها تشهدان أن لا إله إلا الله ولا تشركان به شيئا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما . وقد ذكرنا في سورة سبأ شعر سبأ في ذلك أيضا . قال قتادة ذكر لنا أن كعبا كان يقول في تبع نعمت نعمت الرجل الصالح ذم الله تعالى قومه ولم يذمه قال وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لا تسبوا تبما فانه قد كان رجلا صالحا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الله بن لهيعة عن أبي زرعة -- يعني عمرو بن جابر الحضرمي -- قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا تبما فانه قد كان أسلم » ورواه الإمام أحمد في مسنده عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة به . وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا أحمد بن محمد بن أبي برزة حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا سفيان عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لا تسبوا تبعاً فإنه قد أسلم » وقال عبد الرزاق أيضاً أخبرنا معمر عن ابن أبي ذئب عن القبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما أدري تبع نبياً كان أم غير نبي » وتقدم بهذا السند من رواية ابن أبي حاتم كما أورده ابن عساكر « لا أدري تبع كان لعينا أم لا » فالله أعلم . ورواه ابن عساكر من طريق زكريا بن يحيى المدني عن عكرمة عن ابن عباس موقوفاً وقال عبد الرزاق أخبرنا عمران أبو الهذيل أخبرني عبيد بن عبد الرحمن قال : قال عطاء بن أبي رباح لا تسبوا تبعاً فإن رسول الله ﷺ نهى عن سبه والله تعالى أعلم

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَجَبٍ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَكَثَرْتُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عدله وتنزيهه نفسه عن اللعب والعبث والباطل كقوله جل وعلا (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) وقال تعالى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون ؟ * فتسأل الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) ثم قال تعالى (إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين) وهو يوم القيامة يفصل الله تعالى فيه بين الخلائق فيعذب الكافرين ويثيب المؤمنين . وقوله عز وجل (ميقاتهم أجمعين) أي يجمعهم كلهم أولهم وآخرهم (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً) أي لا ينفع قريب قريباً كقوله سبحانه وتعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وكقوله جلوت عظمتهم (ولا يسألهم حميلاً ينصرونهم) أي لا يسأل أخاه عن حاله وهو يراه عياناً . وقوله جل وعلا (ولا هم ينصرون) أي لا ينصر القريب قريبه ولا يأتيه نصره من خارج ثم قال (إلا من رحم الله) أي لا ينفع يومئذ إلا رحمة الله عز وجل بخلقه (إنه هو العزيز الرحيم) أي هو عزيز ذو رحمة واسعة

﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْهَلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلَى الْحَمِيمِ * خَذُوهُ فَاَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ * إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عما يعذب به الكافرين الجاحدين للعائنه (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) والأثيم أي في قوله وفعله وهو الكافر وذكر غير واحد أنه أبو جهل ولا شك في دخوله في هذه الآية ولكن ليست خاصة به قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلاً (إن شجرة الزقوم طعام الأثيم) فقال طعام الأثيم فقال أبو الدرداء رضي الله عنه قل إن شجرة الزقوم طعام الفاجر أي ليس له طعام من غيرها ، قال مجاهد ولو وقعت قطرة منها في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معاشهم ، وقد تقدم نحوه مرفوعاً ، وقوله (كالهل يغلي في البطن) يغلي في البطن كغلي الحميم (أي من حرارتها وردائها) وقوله (خذوه) أي الكافر ، وقد ورد أنه تعالى إذا قال للزبانية خذوه ابتدره سبعون ألفاً منهم ، وقوله (فاعتلوه) أي موقوه سبحانه ودفعوا في ظهره ، قال مجاهد (خذوه فاعتلوه) أي خذوه فادفعوه ، وقال الفرزدق :

ليس الكرام بنا حليك أباهم * حتى ترد إلى عطية تمل

(إلى سواء الجحيم) أي وسطها (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كقوله عز وجل (يصب من فوق رؤسهم الجحيم يصهر به مافي بطونهم والجاود) وقد تقدم أن الملك يضربه بمقعدة من حديد فتفتح دماغه ثم يصب الحميم على رأسه فينزول في بدنه فيسلبت مافي بطنه من أممائه حتى تخرق من كهيته أعادنا الله تعالى من ذلك . وقوله تعالى (ذق إنك أنت

العزیز الکرم) أى قولوا له ذلك على وجه التسمك والتوسيع ، وقال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أى لست بعزیز ولا کریم وقد قال الأموى فى مغازیه حدثنا أسباط بن محمد حدثنا أبو بکر الهذلى عن عكرمة قال : لاقى رسول الله ﷺ أبا جهل لعنه الله فقال « إن الله تعالى أمرنى أن أقول لك أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » قال فنزع ثوبه من يده وقال ما تستطيع لى أنت ولا صاحبك من شىء ولقد علمت أنى أمتع أهل البطحاء وأنا العزیز الکرم ، قال فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وغيره بكلمته وأنزل (ذق إنك أنت العزیز الکرم) . وقوله عز وجل (إن هذا ما كنتم به تمترون) كقوله تعالى (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون * أفسح هذا أم أتم لا تبصرون) ولهذا قال تعالى ههنا (إن هذا ما كنتم به تمترون)

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ * كَذَلِكَ وَرَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ * يَدْخُلُونَ فِيهَا بِكُلِّ فُكْهَةٍ ءَامِنِينَ * لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَّعَهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ * فَضَلًا مِّن رَّبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * فَأَرْقَبَ إِنَّمِمْ مُرْتَقِيُونَ ﴾

لما ذكر تعالى حال الأشقياء عطف بذكر السعداء ولهذا سمى القرآن مثاقى فقال (إن المتقين) أى الله فى الدنيا (فى مقام أمين) أى فى الآخرة وهو الجنة قد أمنوا فيها من الموت والخروج ، ومن كل هم وحزن وجزع وتعب ونسب ومن الشيطان وكيدته وسائر الآفات والمصائب (فى جنات وعيون) وهذا فى مقابلة ما أولئك فيه من شجرة الزقوم وشرب الخمر ، وقوله تعالى (يلبسون من سندس) وهو رفيع الخمر يركلتمصان ونحوها (وإستبرق) وهو ما فيه بريق ولمعان وذلك كالرياش وما يلبس على أعلى القماش (متقابلين) أى على السرر لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره وقوله تعالى (كذلك وزوجناهم بحور العين) أى هذا العطاء مع ما قد منحناهم من الزوجات الحسان الحور العين اللاتي (لم يطمئنهن إنس قبلهم ولا جان) (كأنهن الياقوت والمرجان) (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟) قال ابن حاتم حدثنا أبى حدثنا نوح بن حبيب حدثنا نصر بن مزاحم العطار حدثنا عمر بن سعد عن رجل عن أنس رضى الله عنه رفعه نوح قال : لو أن حوراء بزقت فى بحر لجلى لعذب ذلك الماء لذوبة ريقها . وقوله عز وجل (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أى مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه بل يحضر إليهم كلما أرادوا ، وقوله (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) هذا الاستثناء يؤكد النفي فإنه استثناء منقطع ومعناه أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدا كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « يؤتى بالموت فى صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ثم يقال يا أهل الجنة خالود فلا موت ويا أهل النار خالود فلا موت » وقد تقدم الحديث فى سورة مريم عليها الصلاة والسلام . وقال عبد الرزاق حدثنا صفيان الثوري عن أبى إسحق عن أبى مسلم الأغر عن أبى سعيد وأبى هريرة رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ﷺ « يقال لأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأموا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا » رواه مسلم عن إسحق بن راهويه وعبد بن سعيد كلاهما عن عبد الرزاق به هكذا يقول أبو إسحق وأهل العراق أبو مسلم الأغر وأهل المدينة يقولون أبو عبد الله الأغر . وقال أبو بكر بن أبى داود السجستاني حدثنا أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن الحجاج بن حجاج عن عبادة عن عبيد الله بن عمرو عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من اتقى الله دخل الجنة ينعم فيها ولا يبأس ويحيا فيها فلا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه » وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن يحيى حدثنا عمرو بن محمد الناقد حدثنا

سلم بن عبد الله الرقي حدثنا مصعب بن إبراهيم حدثنا عمران بن الربيع الكوفي عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : سئل نبي الله صلى الله عليه وسلم أينما أهل الجنة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » وهكذا رواه أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن القاسم بن صدقة المصري حدثنا المقدم بن داود حدثنا عبد الله بن المغيرة حدثنا سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون » ، وقال أبو بكر البرزاري في مسنده حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا محمد بن يوسف الفريابي عن سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله هل ينام أهل الجنة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا ، النوم أخو الموت » ثم قال لا نعلم أحدا أسنده عن ابن المنكدر عن جابر رضي الله عنه إلا الثوري ولا عن الثوري إلا الفريابي ، هكذا قال وقد تقدم خلاف ذلك والله أعلم ، وقوله تعالى (ووقاهم عذاب الجحيم) أى مع هذا النعيم العظيم المقيم قد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم فحصل لهم الطلوع ونجاة من الرهوب ولهذا قال عز وجل (فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم) أى إنما كان هذا بفضلهم وإحسانه إليهم كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال « اعلموا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا لن يدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل » ، وقوله تبارك وتعالى (فانما يسرناه بلسانك لعلمهم يتذكرون) أى إنما يسرنا هذا القرآن الذى أنزلناه سهلا واضحا بينا جليا بلسانك الذى هو أفصح اللغات وأجلاها وأحلاها (لعلمهم يتذكرون) أى يفهمون ويعلمون . ثم لما كان مع هذا الوضوح والبيان من الناس من كفر وخالف وعاند قال تعالى لرسوله ﷺ مسلينا له وواعدا له بالنصر وتوعدا لمن كذبه بالعطب والهلاك (فارتقب) أى انتظر (إنهم مرتقبون) أى فيسجلون أن تكون النصر والظفر وعلو السكابة في الدنيا والآخرة فانما لك يا محمد ولأخوانك من النبيين والمرسلين ومن اتبعكم من المؤمنين كما قال تعالى (كتب الله لأهابن أنا ورسل) الآية وقال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم الأعتة ولهم سوء الدار) آخر تفسير سورة الدخان والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الجاثية وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حَمْ * تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ * وَفِي خَاتَمِكُمْ وَمَا يُبَثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَأَخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَلَتَعْرِيفٌ لِرِجَالٍ لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

يرشد تعالى خلقه إلى التفكر في آلائه ونعمه وقدرته العظيمة التى خلق بها السموات والأرض وما فيها من الحيوانات المختلفة الأجناس والأنواع من الملائكة والجن والإنس والدواب والطيور والوحوش والنباتات وما فى البحر من الأصناف المتنوعة واختلاف الليل والنهار فى تعاقبها دائبين لا يفتران هذا بظلامه وهذا بضائه وما أنزل الله تبارك وتعالى من السحاب من المطر فى وقت الحاجة إليه وسماه رزقا لأن به يحصل الرزق (فأحيا به الأرض بعد موتها) أى بعد ما كانت هامدة لانبثاق فيها ولائحى ، وقوله عز وجل (وتعرف الرياح) أى جنوبا وشمالا ودبورا وصابرية وبحرية ليلية ونهارية . ومنها ما هو للسطر ، ومنها ما هو للنباح ، ومنها ما هو للارواح ومنها ما هو عقيم لا ينتج وقال سبحانه وتعالى أولا (لآيات للمؤمنين) ثم يوقنون ثم يعلمون وهو ترقى من حال شريف إلى ما هو أشرف منه وأعلى ، وهذه الآيات شبيهة بآية البقرة وهى قوله تعالى (إن فى خلق السموات والأرض

واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون (وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا عن وهب بن منبه أنرا طويلا غريبا في خلق الإنسان من الأخلاط الأربعة والله أعلم

(تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ * وَيَلُّ لِسُكُلٍ أَفَّاكَ أَثِيمٌ * يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَنْ وَرَّاهُمْ جَهَنَّمَ وَلَا يَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ)

يقول تعالى (تلك آيات الله) يعنى القرآن بما فيه من الحجج والبيانات (تتلوها عليك بالحق) أى متضمنة الحق من الحق فإذا كانوا لا يؤمنون بها ولا ينقادون لها فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟ ثم قال تعالى (ويل لسكُلٍ أَفَّاكَ أَثِيمٌ) أى أفَّاكَ فى قوله كذاب حلاف مهين أثيم فى فعله وقلبه كافر بآيات الله ولهذا قال (يسمع آيات الله تتلى عليه) أى تقرأ عليه (ثم يصير) أى على كفره وجحوده استكبارا وعنادا (كأن لم يسمعها) أى كأنه ماسمها (فبشره بعذاب أليم) أى فأخبره أن له عند الله تعالى يوم القيامة عذابا أليما موجعا (وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) أى إذا حفظ شيئا من القرآن كفر به واتخذته سخريا وهزوا (أولئك لهم عذاب مهين) أى فى مقابلة ما استهان بالقرآن واستهزأ به ولهذا روى مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نهى رسول الله ﷺ أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو، ثم فسر العذاب الحاصل له يوم معاده فقال (من ورَّاهم جهنم) أى كل من اتصف بذلك سيصرون إلى جهنم يوم القيامة (ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا) أى لا تنفعهم أموالهم ولا أولادهم (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى ولا تغنى عنهم الآلهة التى عبدوها من دون الله شيئا (ولهم عذاب عظيم) ثم قال تبارك وتعالى (هذا هدى) يعنى القرآن (والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم) وهو المؤلم الموضع والله سبحانه وتعالى أعلم

(اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)

يذكر تعالى نعمه على عبده فيما سخر لهم من البحر (لتجري الفلك) وهى السفن فيه بأمره تعالى فانه هو الذى أمر البحر بحملها (ولتبتغوا من فضله) أى فى التاجر والمكاسب (ولعلكم تشكرون) أى على حصول المنافع المجابهة إليكم من الأقليم النائية والآفاق القاصية ثم قال عز وجل (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض) أى من الكواكب والجبال والبحار والأنهار وجميع ما تنتفعون به أى الجميع من فضله وإحسانه وامتنانه ولهذا قال (جميعا منه) أى من عنده وحده لا شريك له فى ذلك، كما قال تبارك وتعالى (وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) وروى ابن جرير من طريق

العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تبارك وتعالى (وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض جميعا منه) كل شئ هو من الله . وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه فذلك جميعا منه ولا ينازعه فيه النازعون واستيقن أنه كذلك وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن خلف العسقلانى حدثنا القريابى عن سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن أبى أراك قال سأل رجل عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال م م خلق الخلق قال من النور والنار والظلمة والثرى قال واثبت ابن عباس رضى الله عنهما فأسأله فأثابه فقال له مثل ذلك فقال ارجع إليه فسله م م خلق ذلك كله . فرجع إليه فأسأله فتلا (وسخر لكم مافى السموات وما فى الأرض جميعا منه) هذا أثر غريب وفيه نكارة (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) أى ليصفحوا عنهم ويتحملوا الأذى منهم وكان هذا فى ابتداء الإسلام أمروا أن يصبروا على أذى المشركين وأهل الكتاب لىكون ذلك كالتأليف لهم ثم لما أصرروا على العناد شرع الله للمؤمنين الجهاد والجهاد . هكذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقادة ، وقال مجاهد (لا يرجون أيام الله) لا يبالغون نعم الله تعالى ، وقوله تبارك وتعالى (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) أى إذا صفحوا عنهم فى الدنيا فإن الله عز وجل مجازيهم بأعمالهم السيئة فى الآخرة ولهذا قال تعالى (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون) أى تهودون إليه يوم القيامة فتهرضون بأعمالكم عليه فيجزىكم بأعمالكم خيرا وشرها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُتَّقِينَ * هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على بنى إسرائيل من إنزال الكتاب عليهم وإرسال الرسل إليهم وجعله الملك فيهم ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات) أى من التآكل والشارب (وفضلناهم على العالمين) أى فى زمانهم (وآتيناهم بينات من الأمر) أى حججا وبراهين وأدلة قاطعات فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك من بعد قيام الحجة وإنما كان ذلك بغيا منهم على بعضهم بعضا (إن ربك) يا محمد (يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) أى سيفصل بينهم بحكمه العدل وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد منهمجهم ولهذا قال جل وعلا (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها) أى اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين وقال جل جلاله ههنا (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) أى وماذا تغنى عنهم ولا ينهم لبعضهم بعضا فانهم لا يزيدونهم إلا خسارا ودمارا وهلاكا (والله ولى المتقين) وهو تعالى يخرجهم عن الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ، ثم قال عز وجل (هذا بصائر للناس) يعنى القرآن (وهدى ورحمة لقوم يوقنون)

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَمَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً تَحِيَّتُهُمْ وَتَمَكَّنَتُهُمْ * سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ *

أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

يقول تعالى لا يستوى المؤمنون والكافرون كما قال عز وجل (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وقال تبارك وتعالى (أم حسب الدين اجترحوا السيئات) أى عماها وكسوها (أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟) أى نساوهم بهم فى الدنيا والآخرة (سواء ما يحكمون) أى سواء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوى بين الأبرار والفجار فى الدار الآخرة وفى هذه الدار قال الحافظ أبو يعلى حدثنا مؤمل بن إهاب حدثنا بكير بن عثمان التنوخى حدثنا الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد الباجى عن أبي ذر رضى الله عنه قال ؟ إن الله تعالى بنى دينه على أربعة أركان فمن صبر عليهم ولم يعمل بهم لقي الله من الفاسقين ، قيل وما هن يا أبا ذر ؟ قال يسلم حلال الله وحرام الله ، وأمر الله ونهى الله لا يؤمن عليهم إلا الله ، قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « كما أنه لا يحتج من الشوك العنب كذلك لا ينال الفجار منازل الأبرار » هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد ذكر محمد بن إسحق فى كتاب السيرة أنهم وجدوا حجرا بمكة فى أس السكبة مكتوب عليه : تملأون السيئات وترجون الحسنات أجل كما يحتج من الشوك العنب . وروى الطبرانى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن مسروق أن تيمما الدارى قام ليلة حتى أصبح يردد هذه الآية (أم حسب الدين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) ولهذا قال تعالى (سواء ما يحكمون) وقال عز وجل (وخلق الله السموات والأرض بالحق) أى بالعدل (ولتجزئ كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون)

ثم قال جل وعلا (أفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ) أى إنما ياتم بهواه ، فمهما رآه حسنا فعله ومهما رآه قبيحا تركه وهذا قد يستدل به على المنزلة فى قولهم بالنحسين والتقييحين العقلين وعن مالك فيما روى عنه من التفسير لا يهوى شيئا إلا عبده وقوله (وأضله الله على علم) يحتمل قولين ﴿ أحدهما ﴾ وأضله الله لعلمه أنه يستحق ذلك ﴿ والآخر ﴾ وأضله الله بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه والثانى يستلزم الأول ولا ينعكس (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) أى فلا يسمع ما ينفعه ولا يعي شيئا يهتدى به ولا يرى حجة يستضيء بها. ولهذا قال تعالى (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) كقوله تعالى (من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون)

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّنُوا بِثَابِتًا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّكُم مِّمَّ يَمِيَّتُكُمْ مِّمَّ يَجْهَرُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾

يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركى العرب فى انكار الماد (وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) أى ما هم إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون وما ثم ماد ولا قيامة وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون للماد وتقوله الفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداءة والرجعة وتقوله الفلاسفة الدهرية المنكرون للصانع المتقدمون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا العقول وكذبوا النقول ولهذا قالوا (وما يهلكنا الدهر) قال الله تعالى (وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون) أى يتوهمون ويتخاؤون . فأما الحديث الذى أخرجه صاحبنا الصحيح وأبو داود والنسائى من رواية سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم « يقول تعالى يؤذني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، يسدي الأمر أقلب ليله ونهاره » وفي رواية « لا تسبوا الدهر فإن الله تعالى هو الدهر » وقد أورده ابن جرير بسياق غريب جدا فقال : حدثنا أبو كريب حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا يمتتنا ويحيينا فقال الله تعالى في كتابه (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) ويسبون الدهر فقال الله عز وجل : يؤذني ابن آدم ، يسب الدهر وأنا الدهر ، يسدي الأمر أقلب الليل والنهار » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور عن شريح بن العمار عن ابن عيينة مثله ، ثم روى عن يونس عن ابن وهب عن الزهري عن أبي سامة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر يسدي الدهر يسدي الليل والنهار » وأخرجه صاحب الصحيح والنسائي من حديث يونس بن يزيد به وقال محمد بن إسحاق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تعالى استقرضت عبدي فلم يعطني وسبني عبدي ، يقول وادهره وأنا الدهر » قال الشافعي وأبو عبيدة وغيرهما من الأئمة في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » كانت العرب في جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنهم إنما سبوا الله عز وجل لأنه فاعل ذلك في الحقيقة فلم يندموا عن سب الدهر بهذا الاعتبار لأن الله تعالى هو الدهر الذي يمنونه ويسندون إليه تلك الأفعال ، هذا أحسن ما قيل في تفسيره وهو المراد والله أعلم ، وقد غلط ابن حزم ومن نحا نحوه من الظاهرية في عدم الدهر من الأسماء الحسنی أخذوا من هذا الحديث وقوله تعالى (وإذا تلى عليهم آياتنا بينات) أي إذا استدل عليهم وبين لهم الحق وأن الله تعالى قادر على إعادة الأبدان بعد فناءها وتفرقها (ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآياتنا إن كنتم صادقين) أي أحيوهم إن كان ماتوا قولونه حقا قال الله تعالى (قل الله يحييكم ثم يميتكم) أي كما تشاهدون ذلك يخرجكم من العدم إلى الوجود (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ؟) أي الذي قدر على البداء قادر على الإعادة بطريق الأولى والأخرى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) أي إنما يجمعكم إلى يوم القيامة لا يبعيدكم في الدنيا حتى تقولوا (ائتوا بآياتنا إن كنتم صادقين) (يوم يجمعكم ليوم الجمع - لأى يوم اجلت - ليوم الفصل - وما تؤخره إلا لأجل معدود) وقالهنا (ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه) أي لا شك فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فأنما ينسكرون المعاد ويستبعدون قيام الأجساد قال الله تعالى (إنهم يرونه بعيدا ونراه قريباً) أي يرون وقوعه بعيدا والمؤمنون يرون ذلك سهلاً قريباً

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَُوْمَئِذٍ يُخَسِّرُ الْمُفْلِكُونَ * وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جاثيةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض والحاكم فيهما في الدنيا والآخرة ولهذا قال عز وجل (ويوم تقوم الساعة) أي يوم القيامة (يخسر المبطلون) وهم الكافرون بالله الجاحدون بما أنزل على رسوله من الآيات البينات والدلائل الواضحات

وقال ابن أبي حاتم قدم سفيان الثوري المدينة فسمع الماعري يتكلم ببعض ما ينسجك به الناس فقال له يا شيخ أما علمت أن الله تعالى يوم ما يخسر فيه المبطلون ؟ قال فما زالت تعرف في الماعري حتى لحق بالله تعالى ، ذكره ابن أبي حاتم ثم قال تعالى (وترى كل أمة جاثية) أي على ركبها من الشدة والعظيمة ويقال إن هذا إذا جرى بهم فأنما تفرز فرقة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته حتى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ويقول نفسي نفسي نفسي لأسألك اليوم إلا نفسي

وحتى إن عيسى عليه الصلاة والسلام ليقول لأسألك اليوم إلا نفسي لأسألك مريم التي ولدتي . قال مجاهد وكعب
الأخبار والحسن البصري (كل أمة جاثية) أى على الركب وقال عكرمة جاثية متميزة على ناحيتها وليس على الركب
والأول أولى . قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن زيد القرى حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن عبد الله بن
بابه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كفى أراكم جاثين بالكوم دون جهنم » . وقال إسماعيل بن أبي رافع المدنى
عن محمد بن كعب عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا فى حديث الصور فيتميز الناس وتجوو الأمم وهى التى
يقول الله تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها) وهذا فى جميع بين القولين ولا منافاة والله
أعلم ، وقوله عز وجل (كل أمة تدعى إلى كتابها) يعنى كتاب أعمالها كقوله جل جلاله (ووضع الكتاب
وحى بالنبين والشهداء) ولهذا قال سبحانه وتعالى (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أى تجازون بأعمالكم خيرها
وشرها كقوله عز وجل (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر * بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره)
ولهذا قال جل جلالته (هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق) أى يستحضر جميع أعمالكم من غير زيادة ولا نقص كقوله
جل جلاله (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) وقوله عز وجل (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)
أى إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره تكتب الملائكة أعمال العباد
ثم تصعد بها إلى السماء فيقابلون الملائكة الذين فى ديوان الأعمال على ما بأيدي الكتبة مما قد أبرز لهم من اللوح
المحفوظ فى كل ليلة قدر مما كتبه الله فى القدم على العباد قبل أن يخلقهم فلا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ثم قرأ
(إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ فَاستَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ * وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ * وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا
وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِّنْ نَّصِيرِينَ * ذَلِكُمْ بَأْسُكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ
مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبَرُ يَٰٓأَيُّهَا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن حكمه فى خلقه يوم القيامة فقال تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنتم قلوبهم وعملت
جوارحهم الأعمال الصالحة وهى الخالصه الموافقة للشرع (فيدخلهم ربهم فى رحمته) وهى الجنة كما ثبت فى الصحيح
أن الله تعالى قال للجنة أنت رضى أرحم بك من أشاء (ذلك هو الفوز المبين) أى البين الواضح . ثم قال تعالى (وأما
الذين كفروا أفلم تكن آياتى تلى عليكم فاستكبرتم) أى يقال لهم ذلك تقريرا وتوبيخا أما قرئت عليكم آيات الله
تعالى فاستكبرتم عن اتباعها وأعرضتم عن سماعها وكنتم قوما مجرمين فى أعمالكم مع ما شملت عليه قلوبكم من
التكذيب ؟ (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها) أى إذا قال لكم المؤمنون ذلك (قلتم ما ندرى ما الساعة)
أى لا نعرفها (إن نظن إلا ظنا) أى إن توهم وقوعها إلا توهمها أى مرجوحا ولهذا قال (وما نحن بمستقيين) أى

بمحققين قال الله تعالى (وبدا لهم سيئات ما عملوا) أى وظهر لهم عقوبة أعمالهم السيئة (وحاق بهم) أى أحاط بهم (ما كانوا به يستهزئون) أى من العذب والنكال (وقيل اليوم ننساكم) أى نعاملكم معاملة الناسى لكم فى نار جهنم (كما نسيتكم لقاء يومكم هذا) أى فلم تعاملوا له لأنكم لم تصدقوا به (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) . وقد ثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لبعض العبيد يوم القيامة « ألم أزوجك ألم أكرمك؟ ألم أسخرلك الحيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع؟ فيقول بلى يارب فيقول أفظننت أنك ملاقى؟ فيقول لا فيقول الله تعالى فاليوم أنساك كما نسيتى» قال الله تعالى (ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) أى إنما جازيناكم هذا الجزاء لأنكم اتخذتم حجج الله عليكم سخريا تسخرون وتستهزئون بها (وغرتكم الحياة الدنيا) أى خدعتكم فاطمأنتم إليها فأصبحتم من الخاسرين ولهذا قال عز وجل فاليوم لا يخرجون منها) أى من النار (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب منهم العتي بل يعذبون بغير حساب ولا عتاب كما تدخل طائفة من المؤمنين الجنة بغير عذاب ولا حساب . ثم لما ذكر تعالى حكمه فى المؤمنين والكافرين (قال فلله الحمد رب السموات ورب الأرض) أى المالك لهما وما فيهما ولهذا قال (رب العالمين) ثم قال جل وعلا (وله الكبرياء فى السموات والأرض) قال مجاهد يعنى السلطان أى هو العظيم للمجد الذى كل شىء خاضع لديه فقير إليه . وقد ورد فى الحديث الصحيح « يقول الله تعالى العظمة إزارى، والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما أسكنته نارى » ورواه مسلم من حديث الأعمش عن أبى إسحاق عن الأغر أبى مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ بنحوه ، وقوله تعالى (وهو العزيز) أى الذى لا يغالب ولا يمانع (الحكيم) فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره تعالى وتقدس لا إله إلا هو . آخر تفسير سورة الجاثية ولله الحمد ولله التوفيق والعصمة .

(تفسير سورة الأحقاف وهى مكية)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أُنذروا معرضون * قل أرايتُمْ ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أئني يكتب من قبل هذا أو أثر من علم إن كنتم صديقين * ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غفلون * وإذا حُشِرَ الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾

يخبر تعالى أنه أنزل الكتاب على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم صاوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ووصف نفسه بالهزة التى لا ترام ، والحكمة فى الأقوال والأفعال ثم قال تعالى (ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أى لا على وجه العبث والباطل (وأجل مسمى) أى إلى مدة معينة مغروبة لا تزيد ولا تنقص ، وقوله تعالى (والذين كفروا عما أُنذروا معرضون) أى لا هون عما يراى بهم وقد أنزل الله تعالى إليهم كتابا وأرسل إليهم رسولا وهم معرضون عن ذلك كله أى وسيعملون غيب ذلك . ثم قال تعالى (قل) أى لهؤلاء المشركين العابدين مع الله غيره (أرايتُمْ ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض) أى أرشدوني إلى السكان التى استقوا بخلقها من الأرض (أم لهم شرك فى السموات ؟) أى ولا شرك لهم فى السموات ولا فى الأرض وما يملكون من قاطع إن الملك والتصرف كله إلا لله عز وجل فكيف تعبدون معه غيره وتشركون به ؟ من أرشدكم إلى هذا ؟ من دعاكم إليه ؟ أم هو أمركم به ؟ أم هو شىء اقترحموه من عند أنفسكم ؟ ولهذا قال (أئني يكتب من قبل هذا) أى هاتوا كتابا من كتب الله للزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأمركم بعبادة هذه الأصنام (أو إثارة من علم)

أى دليل بين على هذا المسلك الذى سلكتموه (إن كنتم صادقين) أى لا دليل لكم لا قلباً ولا عقلاً على ذلك ولهذا أقرأ آخرون أو أثرة من علم أى أو علم صحيح تؤثرونه عن أحد من قبلكم كما قال مجاهد فى قوله تعالى (أو أثرة من علم) أو أحد يأثر علماً ، وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما أو بينة من الأمر . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن سفيان عن صفوان بن سليم عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سفيان لا أعلم إلا عن النبى صلى الله عليه وسلم أو أثرة من علم قال الخطوط قال أبو بكر بن عياش أو بقية من علم وقال الحسن البصرى أو أثرة شئ يستخرجه فيثبره وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وأبو بكر بن عياش أيضاً أو أثرة من علم يعنى الخط وقال قتادة أو أثرة من علم خاصة من علم وكل هذه الأقوال متقاربة وهى راجعة إلى ما قلناه وهو اختيار ابن جرير رحمه الله وأكرمه وأحسن مثواه . وقوله تبارك وتعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون؟) أى لا أضل ممن يدعو من دون الله أصناماً ويطلب منها ما لا تستطيع إلى يوم القيامة وهى غافلة عما يقول لا تسمع ولا تبصر ولا تنبش لأنها حجارة صم؟ وقوله تبارك وتعالى (وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) كقوله عز وجل (وانخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) أى سيخونونهم أحوج ما يكونون إليهم وقال الحليل عليه الصلاة والسلام (إنما اتخذتم من دون أوثاناً مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين)

﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنٰتٍ قَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ * أَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُوْنَ لِيْ مِنْ اَللّٰهِ شَيْئًا هُوَ اَعْلَمُ بِمَا نَفِيْضُوْنَ فِيْهِ كَفٰىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ * قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍِّ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا اَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِيْ وَلَا بِكُمْ اِنِ اتَّبِعُوْا اِلَّا مَا يُوْحٰى اِلَيَّ وَمَا اَنَا اِلَّا نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ ﴾

يقول عز وجل مخبراً عن المشركين فى كفرهم وعنادهم إنهم إذا تلى عليهم آيات الله بينات أى فى حال بيانها ووضوحها وجلاءها يقولون (هذا سحر مبين) أى سحر واضح وقد كذبوا وافتروا وضلوا وكفروا (أم يقولون افتراه) يعنون محمداً ﷺ . قال الله عز وجل (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً) أى لو كذبت عليه وزعمت أنه أرسلنى وليس كذلك لما قوى أشد العقوبة ولم يقدر أحد من أهل الأرض لا أتم ولا غيركم أن يجيرنى منه كقوله تبارك وتعالى (قل إني لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً) إلا بلاغا من الله ورسالاته (وقال تعالى) ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فامسك من أحدعنه حاجزين (ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بينى وبينكم) هذا تهديد لهم ووعيداً كيداً وتهييباً شديداً ، وقوله جل وعلا (وهو الغفور الرحيم) ترغيب لهم إلى التوبة والإنابة أى ومع هذا كله إن رحمتهم وتبتم تاب عليكم وعفانكم وغفر ورحم وهذه الآية كقوله عز وجل فى سورة الفرقان (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فىهى تملى عليه بكرة وأصيلاً) قل أنزله الذى يعلم السرى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيماً) . وقوله تبارك وتعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) أى لست بأول رسول طرق العالم بل قد جاءت الرسل من قبلى فما أنا بالأسر الذى لا نظير له حتى تستسكرونى وتستبعدون بهتى إليكم فإنه قد أرسل الله جل وعلا قبلى جميع الأنبياء إلى الأمم قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقاتة (قل ما كنت بدعا من الرسل) ما أنا بأول رسول ، ولم يحك ابن جرير ولا ابن أبى حاتم غير ذلك

وقوله تعالى (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية نزل بعدها (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) وهكذا قال عكرمة والحسن وقتادة إنها منسوخة بقوله تعالى (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) قالوا ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين هذا قد بين الله تعالى ما هو فاعل بك يا رسول الله فما هو فاعل بنا؟ فأنزل الله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) هكذا قال والذي هو ثابت في الصحيح أن المؤمنين قالوا هنيئاً لك يا رسول الله فما لنا؟ فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية وقال الضحاك (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أي ما أدري بماذا أومر وبماذا أنهي بعد هذا؟ وقال أبو بكر المذلي عن الحسن البصري في قوله تعالى (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) قال أما في الآخرة فعاد الله وقد علم أنه في الجنة ولكن قال لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا أخرج كما أخرجت الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من قبل؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبل؟ ولا أدري أي شئ بكم أو ترمون بالحجارة؟ وهذا القول هو الذي عول عليه ابن جرير وأنه لا يجوز غيره ولا شك أن هذا هو اللائق به عليه السلام فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدرك ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا يؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصرون بكفرهم، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء وهي امرأة من نسائهم أخبرته وكانت بايعة رسول الله عليه السلام قالت طار لهم في السكينة حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين عثمان بن مظعون رضي الله عنه فاشتكى عثمان رضي الله عنه عندنا فرضناه حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه فدخل علينا رسول الله عليه السلام فقلت رحمته الله علينا أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله عز وجل فقال رسول الله عليه السلام «وما يدريك أن الله تعالى أكرمك؟» فقلت لا أدري بأبي أنت وأمي فقال رسول الله عليه السلام «أما هو فقد جاءه اليقين من ربه وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي» قالت: فقلت والله لا أركي أحدا بعده أبداً وأخزني ذلك فزمت فرأيت لعثمان رضي الله عنه عينا تجري فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بذلك فقال رسول الله عليه السلام «ذاك عمله» فقصد انفراد باخراجه البخاري دون مسلم، وفي لفظ له «ما أدري وأنا رسول الله عليه السلام ما يفعل به» وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ بدليل قولها فأخزني ذلك وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم كالشجرة وابن سلام والعبيداء وبلال وسراقة وعبد الله بن عمرو بن حرام والله جابر والقراء السبعين الذين قتلوا بئر معونة وزيد بن حارثة وجعفر وابن رواحة وما أشبه هؤلاء رضي الله عنهم، وقوله (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) أي إنما أتبع ما ينزل الله علي من الوحي (وما أنا إلا نذير مبين) أي بين النذارة أمرى ظاهر لكل ذي لب وعقل والله أعلم

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَمَنْ وَاَسْتَكْبَرْتُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَمْسَسُوا بِهِ فَسَبَّوهُنَّ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ * وَمَنْ قَبْلَكَ كَتَبَ نُوْسَىٰ إِيْمَانًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَزْرِيْمَا لِيُفْذَرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ * إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْهَمُوا فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

يقول تعالى (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين الكافرين بالقرآن (أرأيتم إن كان) هذا القرآن (من عند الله وكفرت به)

أى ما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذى جئتكم به قد أنزله على لأبلغكموه وقد كفرتم به وكذبتموه (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) أى وقد شهدت بصدقه وصحته الكتب المقدمة للنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبلى بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به . وقوله عز وجل (فآمن) أى هذا الذى شهد بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقته (واستكبرتم) أتم عن اتباعه ، وقال مسروق فآمن بهذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم أتم بنبيكم وكتابكم (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) وهذا الشاهد اسم جنس يعنى عبد الله بن سلام رضى الله عنه وغيره فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه وهذه كقوله تبارك وتعالى (وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين) وقال (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) قال مسروق والشعبي ليس بعبد الله بن سلام هذه الآية مكية وإسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه كان بالمدينة . رواه عنهما ابن جرير وابن أبي حاتم واختاره ابن جرير . وقال مالك عن أبي النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يشى على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رضى الله عنه قال وفيه نزلت (وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) رواه البخارى ومسلم والنسائى من حديث مالك به ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة وعكرمة ويوسف بن عبد الله بن سلام وهلال بن يساف والسهدي والثوري ومالك بن أنس وابن زيد أنهم كلهم قالوا : إنه عبد الله بن سلام . وقوله تعالى (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه) أى قالوا عن المؤمنين بالقرآن لو كان القرآن خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه يعنون بلالا وعمارا وصهيبا وخبابا رضى الله عنهم وأشباههم وأضرابهم من المستضعفين والعبيد والإماء وما ذاك إلا لأنهم عند أنفسهم يعتقدون أن لهم عند الله وجاهة وله بهم عناية . وقد غلطوا في ذلك غلطا فاحشا وأخطوا خطأ بينا كما قال تبارك وتعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) أى يتعجبون كيف اهتدى هؤلاء دوننا ولهذا قالوا (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة رضى الله عنهم هو بدعة لأنه لو كان خيرا لسبقونا إليه لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها . وقوله تعالى (وإذا لم يهتدوا به) أى بالقرآن (فسيقولون هذا إفك قديم) أى كذب قديم أى مأثور عن الناس الأقدمين فينتصون القرآن وأهله وهذا هو الكبر الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بطر الحق وغمط الناس » ثم قال تعالى (ومن قبله كتاب موسى) وهو التوراة (إماما ورحمة وهذا كتاب) يعنى القرآن (مصدق) أى لما قبله من الكتب (لسانا عربيا) أى فصيحاً بينا واضحا (لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) أى مشتمل على النذارة للكافرين والبشارة للمؤمنين وقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) تقدم تفسيرها في سورة حم السجدة ، وقوله تعالى (فلا خوف عليهم) أى فيما يستقبلون (ولا هم يحزنون) على ما خلفوا (أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) أى الأعمال بسبب لنيل الرحمة لهم وسبوغها عليهم والله أعلم

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾

لما ذكر تعالى في الآية الأولى التوحيد له وإخلاص العبادة والاستقامة اليه عطف بالوصية بالوالدين كما هو

مقرون في غير ما آية من القرآن كقوله عز وجل (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقوله جل جلاله (أن أشكرلى ولوالديك إلى المصير) إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة . وقال عز وجل ههنا (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) أى أمرناه بالإحسان إليهما والحنو عليهما وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة أخبرنى سمك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد بن سعد عن أبيه قال: قالت أم سعد لسعد أليس قد أمر الله بطاعة الوالدين فلا آكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بالله تعالى فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يفتحون فاهما بالعصا ونزلت هذه الآية (ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا) الآية ورواه مسلم وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث شعبة بأسناد نحوه وأطول منه (حملته أمه كرها) أى قاست بسببه في حال حملها مشقة وتعبا من وحم وغشيان وثقل وكرب إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة (ووضعت كرها) أى عسقة أيضا من الطلق وشدة (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) . وقد استدلل على رضى الله عنه بهذه الآية مع التى في لقمان (وفصاله في عامين) وقوله تبارك وتعالى (والوالدان يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر وهو استنباط قوى صحيح ووافقه عليه عثمان وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم قال محمد بن إسحاق بن يسار عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن معمر بن عبد الله الجهمي قال تزوج رجل منا امرأة من جهينة فولدت له لثمام ستة أشهر فانطلق زوجها إلى عثمان رضى الله عنه فذكر ذلك له فبعث اليها فلما قامت لتلبس ثيابها بكى أختها فقالت وما يبكيك فوالله ما التبس بي أحد من خلق الله تعالى غيره قط فيقضى الله سبحانه وتعالى في ما شاء فلما أتى بها عثمان رضى الله عنه أمر برجمها فبلغ ذلك عليا رضى الله عنه فأثاه فقال له ما تصنع . قال ولدت عامما لستة أشهر وهل يكون ذلك . فقال له علي رضى الله عنه أما تقرأ القرآن . قال بلى قال أما سمعت الله عز وجل يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) وقال (حوالا كاملين) فلم نجد بقي إلا ستة أشهر قال: فقال عثمان رضى الله عنه والله ما فطنت بهذا على المرأة فوجدوها قد فرغ منها قال : فقال معمر فوالله ما العراب بالعراب ولا البيضة بالبيضة بأبيه فلما رآه أبوه قال ابني والله لا أشك فيه قال وابتلاه الله تعالى بهذه القرحة بوجهه الآكلة فما زالت تأكله حتى مات رواه ابن أبي حاتم وقد أوردناه من وجه آخر عند قوله عز وجل (فأنا أول العابدين) ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي ثنا فروة بن أبي المعراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إذا وضعت المرأة التسعة أشهر كفاه من الرضاع أحد وعشرون شهرا وإذا وضعت لهسبعة أشهر كفاه من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرا وإذا وضعت لهسنة أشهر فحولين كاملين لأن الله تعالى يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده) أى قوى وشب وارتحل (وبلغ أربعين سنة) أى تنهى عقله وكل فهمه وحلمه ويقال إنه لا يتغير غالبا عما يكون عليه ابن الأربعين قال أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمن قال: قلت لسروق متى يؤخذ الرجل بذنوبه قال إذا بلغت الأربعين فخذ حذرَكَ وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو عبد الله القواريري حدثنا عروة بن قيس الأزدي وكان قد بلغ مائة سنة حدثنا أبو الحسن الكوفي عمر بن أوس قال : قال محمد بن عمرو بن عثمان عن عثمان رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « العبد المسلم إذا بلغ أربعين سنة خفف الله تعالى حسابه وإذا بلغ ستين سنة رزقه الله تعالى الانابة إليه وإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء وإذا بلغ ثمانين سنة ثبت الله تعالى حسناته ومحا سيئاته وإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم ذنبه وما تأخر وشفعه الله تعالى في أهل بيته وكتب في السماء أمير الله في أرضه » وقد روى هذا غير هذا الوجه وهو في مسند الإمام أحمد وقد قال الحجاج بن عبد الله الحسكى أحد أمراء بني أمية بدمشق تركت المعاصي والذنوب أربعين سنة حياء من الناس ثم تركتها حياء من الله عز وجل وما أحسن قول الشاعر

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال لا باطل إلا بعد

(قال رب أوزعنى) أى ألهمنى (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه) أى في المستقبل (وأصلح لى في ذرى) أى نسلى وعقبى (إنى تبت إليك وإنى من المسلمين) وهذافيه إرشاد لمن بلغ الأربعين

أن يحدد التوبة والانابة إلى الله عز وجل ويعزم عليها وفسد روى أبو داود في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم أن يقولوا في التشهد « اللهم ألف بين قلوبنا وأصلح ذات بيننا ، واهدنا سبل السلام ، ونجنا من الظلمات إلى النور وجننا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وبارك لنا في أسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وأزواجنا وذرياتنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ، واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتممها علينا » قال الله عز وجل (أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة) أي هؤلاء المتصفون بما ذكرنا التائبون إلى الله المنيبون إليه المستدركون مافات بالتوبة والاستغفارهم الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم فيغفر لهم الكثير من الزلل وتتقبل منهم اليسير من العمل (في أصحاب الجنة) أي هم في جملة أصحاب الجنة وهذا حكمهم عند الله كما وعد الله عز وجل من تاب إليه وأتاب ، ولهذا قال تعالى (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا المعتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن النضر بن عوف عن جابر بن زيد عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح الأمين عليه الصلاة والسلام قال « يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فيقتص بعضها ببعض فإن بقيت حسنة وسع الله تعالى له في الجنة » قال فدخلت على يزداد فحدث بمثل هذا قال : قلت فإن ذهبت الحسنة قال (أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن عبد الأعلى الصنعائي عن المعتمر بن سليمان بإسناده مثله وزاد عن الروح الأمين . قال : قال الرب جل جلاله يؤتى بحسنات العبد وسيئاته فذكره ، وهو حديث غريب وإسناده جيد لا بأس به :

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن معبد حدثنا عمرو بن عاصم السكلائي حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر جعفر بن أبي وحشية عن أبي وحشية عن يوسف بن سعد عن محمد بن حاطب قال ونزل في دارى حيث ظهر على رضى الله عنه على أهل البصرة فقال لي يوما لقد شهدت أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه وعنده عمار ومصعبه والاشتر ومحمد ابن أبي بكر رضى الله عنهم فذكروا عثمان رضى الله عنه فقالوا منه فساكن على رضى الله عنه على السريير ومعه عود في يده فقال قائل منهم إن عندكم من يفصل بينكم فسالوه فقال على رضى الله عنه كان عثمان رضى الله عنه من الذين قال الله تعالى (أولئك الذين تتقبل عنهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) قال والله عثمان وأصحاب عثمان رضى الله عنهم قالها ثلاثا قال يوسف فقلت لمحمد بن حاطب آله لسمعت هذا من على رضى الله عنه ؟ قال آله لسمعت هذا من على رضى الله عنه

وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَفِّ لَكُمْ أَمَدًا نَبِيٌّ أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَفِغِيَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكِ عَائِمٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ * وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلًا وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ *

لما ذكر تعالى حال الداعين للوالدين البارين بهما وما لهم عنده من الفوز والنجاة عطف بحال الأشقياء العاقين للوالدين فقال (والذي قال لولايه أف لى لى) وهذا عام في كل من قال هذا ، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما فقوله ضعيف لأن عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما أعلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من

خيار أهل زمانه وروى العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها نزلت في ابن أبي بكر الصديق رضى الله عنهما وفي صحة هذا نظر والله تعالى أعلم . وقال ابن جريج عن مجاهد نزلت في عبد الله بن أبي بكر رضى الله عنهما قاله ابن جريج ، وقال آخرون : عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما ، وهذا أيضا قول السدى وإنما هذا عام في كل من عقى والديه وكذب بالحق فقال لوالديه أف لسكا عقمها وقال ابن أبي خاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى ابن أبي زائدة عن إسماعيل بن أبي خالد أخبرني عبد الله بن المديني قال إني لفي المسجد حين خطب مروان فقال إن الله تعالى قد أرى أمير المؤمنين في يزيد رأيا حسنا وإن يستخلفه فقد استخلف أبو بكر عمر رضى الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما أهرقية ؟ إن أبا بكر رضى الله عنه والله ما جعلنا في أحد من ولده ولا أحدهم أهل بيته ولا جعلنا معاوية في ولده إلا رحمة وكرامة لولده فقال مروان أأست الذى قال لوالديه أف لسكا ؟ فقال عبد الرحمن رضى الله عنه أأست ابن الاعمين الذى لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أباه قال وسعتهما عائشة رضى الله عنها فقالت يا مروان أنت القاتل لعبد الرحمن رضى الله عنه كذا وكذا كذبت ما فيه نزلت ولكن نزلت في فلان بن فلان ثم اتعجب مروان ثم نزل عن المنبر حتى أتى باب حجرتها فجعل يكلمها حتى انصرف وقد رواء البخارى بإسناد آخر ولعلنا نذكره حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على الحجاز استعمل معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما فخطب وجعل يذكر يزيد بن معاوية لسكى يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة رضى الله عنها فلم يقدرُوا عليه فقال مروان إن هذا الذى أنزل فيه (والذى قال لوالديه أف لسكا أأستنى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى) فقالت عائشة رضى الله عنها من وراء الحجاب : ما أنزل الله عز وجل فينا شيئا من القرآن إلا أن الله تعالى أنزل عندى

(طريق أخرى) قال النسائي حدثنا علي بن الحسين حدثنا أمية بن خالد حدثنا شعبة عن محمد بن زياد قال لما يبايع معاوية رضى الله عنه لابنه قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما سنة هرقل وقصر فقال مروان هذا الذى أنزل الله تعالى فيه (والذى قال لوالديه أف لسكا) الآية فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب مروان والله ما هو به ولو شئت أن أسمي الذى أنزلت فيه لسميته ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان فى صلبه فمروان فضض من لعنة الله ، وقوله (أأستنى أن أخرج ؟) أى أأست (وقد خلت القرون من قبلى) أى قد مضى الناس فلم يرجع منهم مخبر (وها يستغيثان) الله أى يسألان الله فيه أن يهديه ويقولان لولدهما (ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين) . قال الله تعالى (أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين) أى دخلوا فى زمرة أشباههم وأضرابهم من الكافرين الخاسرين أنفسهم وأهلهم يوم القيامة وقوله (أولئك) بعد قوله (والذى قال) دليل على ما ذكرناه من أنه جنس يعم كل من كان كذلك وقال الحسن وقادة هو الكافر الفاجر العاق لوالديه المكذب بالبعث وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة سهل بن داود من طريق همام بن عمار حدثنا حماد بن عبد الرحمن حدثنا خالد الزبير قال العليمى عن سليم بن حبيب عن أبي أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أربعة لعنهم الله تعالى من فوق عرشه وأمنت عليهم الملائكة مصل المساكين» قال خالد الذى هو يده إلى المسكين فيقول لهم أعطيك فإذا جاءه قال ليس معنى شيء «والذى يقول للماعون ابن (١) وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم فيدلونه على غيرها والذى يضرب الوالدين حتى يستغيثا» غريب جدا . وقوله تبارك وتعالى (ولكل درجات بما عملوا) أى لكل عذاب بحسب عمله (وليوفيهن أعمالهم وهم لا يظلمون) أى لا يظلمهم مثقال ذرة فما دونها قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : درجات النار تذهب مفعلا ودرجات الجنة تذهب علوا . وقوله عز وجل (ويوم يعرف الذين كفروا على النار أذهبتم طياتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) أى يقال لهم ذلك ثريها وتوبيخها ، وقد (١) يابض بالأصل والحديث غير معرور فليراجع فى كتاب الحافظ ابن عساكر .

ثورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن كثير من طيبت المآكل والمشرب وتنزه عنها ويقول
إني أخاف أن أكون كالذين قال الله لهم ونجهم وقرعهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) وقال أبو عجل
ليفقدن أقوام حسنت كانت لهم في الدنيا فيقال لهم (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا) وقوله عز وجل (فالיום
نجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) فجوزوا من جنس عملهم
فكأمتوا أنفسهم واستكبروا عن اتباع الحق وتعاطوا الفسق والمعاصي جازاهم الله تبارك وتعالى بعذاب الهون وهو
الاهانة والحزى والآلام الموجهة والحسرات المتتابعة والمنازل في الدرجات المفضلة أجازنا الله سبحانه وتعالى
من ذلك كله.

﴿ وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْنُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا يَعْبَهُونَ * فَلَمَّا رَأَوْهُ
عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِفٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَدْمُرُ
كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿

يقول تعالى مسلماً لنبيه صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه (واذكر أخا عاد) وهو هود عليه
الصلاة والصلاة بعنه الله عز وجل إلى عاد الأولى وكانوا يسكنون الأحقاف جمع حقف وهو الجبل من الرمل قاله ابن زيد
وقال عكرمة الأحقاف : الجبل والغار. وقال طي بن أبي طالب رضى الله عنه : الأحقاف واد بحضرموت يدعى برهوت
تلقى فيه أرواح الكفار ، وقال قتادة ذكر لنا أن عاداً كانوا حياً باليمن أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها
الشحر قال ابن ماجه ﴿ باب إذا دعا فليبدأ بنفسه ﴾ حدثنا الحسين بن علي الخلال حدثنا أبي حدثنا زيد بن الحباب
حدثنا سفيان حدثنا علي بن إسحق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « رحمنا الله وأخا عاد » وقوله تعالى (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) يعني وقد أرسل
الله تعالى إلى من حول بلادهم في القرى مرسلين ومنذرين كقوله عز وجل (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها)
وكقوله جل وعلا (فان أعرضوا قلل أنذرتم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن
خلفهم ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أى قال لهم هود ذلك فأجابهم قومه قائلين (أجئتنا لنأفكنا عن
آلهتنا ؟) أى لتصدنا عن آلهتنا (فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) استعجلوا عذاب الله وعقوبته استعجلاً منهم
وقوعه كقوله جلعت عظمتهم (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) (قال إنما أليم عند الله) أى الله أعلم بكم إن كنتم مستحقين
لتعجيل العذاب فسيجعل ذلك بكم وأما أنا فمن شأني أى ببلدكم ما أرسلت به (ولكي أراكم قوماً تعجلون) أى لا تفهمون
ولا تفهمون . قال الله تعالى (فلما رآوه عارضا مستقبلاً أوديتهم) أى لما رأوا العذاب مستقبلاً اعتقدوا أنه عارض
بمطر ففرحوا واستبشروا به وقد كانوا محملين محتاجين إلى المطر قال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب
أليم) أى هو العذاب الذى قلتم فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (تدمر) أى تحرب (كل شيء) من بلادهم
بما من شأنه الخراب (بأمر ربها) أى بإذن الله لما فى ذلك كقوله سبحانه وتعالى (ما تذر من شيء أتت عليه إلا
جعلته كالرميم) أى كالشيء البالى ولهذا قال عز وجل (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) أى قد بادوا كلهم عن آخرهم
ولم تبق لهم بقية (كذلك نجزي القوم المجرمين) أى هذا حكمنا فيمن كذب رسلنا وخالف أمرنا ، وقد ورد حديث
في قصتهم وهو غريب جداً من غرائب الحديث وأفراده : قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو المنذر سلام

ابن سليمان النحوي قال حدثنا عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن الحارث البكري قال خرجت أشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ فررت بالربذة فإذا بعجوز من بني تميم منقطع بها فقالت لي يا عبد الله : إن لي إلى رسول الله ﷺ حاجة فهل أنت مبغى إليه ؟ قال فحملتها فأتيت بها المدينة فإذا المسجد خاص بأهله ، وإذا راية سوداء تخفق ، وإذا بلال رضى الله عنه متقادماً السيف بين يدي رسول الله ﷺ فقلت ماشأان الناس ؟ قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه وجهاً قال فجلست فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فسلمت فقال ﷺ « هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ » قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم ومررت بعجوز من بني تميم منقطع بها فسألتني أن أحملها إليك فها هي بالباب فأذن لها فدخلت فقلت يا رسول الله إن رأيت أن تجعل بيننا وبين تميم حاجزاً فاجعل الدهناء فجمعت العجوز واستوفرت وقالت يا رسول الله فإني أئن يضطر مضطرك ؟ قال قلت إن مثلي ما قال الأول : معزى حملت خفها ؛ حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصماً أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال هي « وما وافد عاد ؟ » وهو أعلم بالحديث منه ، ولكن يستطعمه قالت : إن عاداً قحطوا فبعثوا وقدأ لهم يقال له قيل فمر بماوية بن بكر فأقام عنده شهراً يسقيه الحمر وتغنيه جاريتان يقال لهما الجرادتان فله امضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال اللهم إني لم أجد إلى مريض فأداويه ولا إلى أسير فأفاديه اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيه فمرت به سحابات سود فنودي منها فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها خذها رماداً رمدداً ، لا تبقى من عاد أحداً ، قال فما بغى أنه أرسل عليهم من الريح إلا قدر ما يجرى في خاتمي هذا حتى هلكوا ، قال أبو وائل وصديق وكانت المرأة والرجل إذا بعثوا وافداً لهم قالوا لا تكن كوافد عاد . ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه كما تقدم في سورة الأعراف

وقال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو أن أبا النضر حدثنا عن سليمان بن يسار عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت ما رأيت رسول الله ﷺ مستجعماً ضاحكاً حتى أرى منه لمواته إنما كان يتبسّم وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رى غياً أو ريحاً عرف ذلك في وجهه قالت يا رسول الله إن الناس إذا رأوا القم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة ما يؤمنى أن يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب وقالوا هذا عارض ممطرنا » وأخرجه من حديث ابن وهب (طريق أخرى) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عطاء بن سريح عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى ناشئاً في أفق من آفاق السماء ترك عمله وإن كان في صلاته ثم يقول « اللهم إني أعوذ بك من شر ما فيه فان كشفه الله تعالى حمد الله عز وجل وإن أمطر قال « اللهم صبها نافماً » (طريق أخرى) قال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر الطاهر أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدثنا عن عطاء بن أبي رباح عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال « اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به » قالت وإذا تجلبت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فإذا أسطرت سري عنه فعرقت ذلك عائشة رضى الله عنها فسألته فقال رسول الله ﷺ « اللهم يا عائشة كما قال قوم عاد (فلما رأوه عارضاً مستقبل أو ديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا) » وقد ذكرنا قصة هلاك قوم عاد في سورة الأعراف وهو ديتهم أغنى عن إعادته ههنا والله تعالى الحمد والمنة . وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا إسماعيل بن زكريا السكوني حدثنا أبو مالك ابن مسلم اللائي عن مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ما تقع عن عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم ثم أرسلت عليهم في البدو إلى الحضرمي فلما رأها أهل الحضرمي قالوا إذا عارضهم فادار فاستقبل أو ديتنا وكان أهل البوادي فيها فألقى أهل البادية على أهل الحضرمية حتى هلكوا . فقالت عنت على خزائنها حتى فوجئت من خلال الأبواب والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّا لَهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

يقول تعالى ولقد مكنا الأمم السالفة في الدنيا من الأموال والأولاد وأعطيناهم منها ما لم نعطيكم مثله ولا قريبا منه (وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي وأحاط بهم العذاب والهلاك الذي كانوا يكذبون به ويستبعدون وقوعه ، أي فاحذروا أيها المخاطبون أن تكونوا مثلهم فصيبيكم مثل ما أصابهم من العذاب في الدنيا والآخرة
وقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى) يعني أهل مكة وقد أهلك الله الأمم المكذبة بالرسول مما حولها كعاد وكانوا بالاحقاف بمحضر موت عند الجن وعمود وكانت منازلهم بينهم وبين الشام وكذلك سبأ وهم أهل اليمن ومدین وكانت في طريقهم وممرهم إلى غزة وكذلك بحيرة قوم لوط كانوا يمرّون بها أيضا وقوله عز وجل (وصرفنا الآيات) أي بينها وأوضحناها (لعلهم يرجعون ﴾ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أي فهل نصرهم لئلا احتياجهم إليهم (بل ضلوا عنهم) أي بل ذهبوا عنهم أحوج ما كانوا إليهم (وذلك إفكهم) أي كذبهم (وما كانوا يفترون) أي وافترأهم في اتخاذهم إياهم آلهة وقد خابوا وخسروا في عبادتهم لها واعتمادهم عليها والله أعلم

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ إِذَا قُرِئَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذْذِرِينَ ﴾ قَالُوا يَقَوْمُنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْخَلْقِ وَإِلَىٰ طَرِيقِ مُّسْتَقِيمٍ ﴿ يَهُودُنَا أَدْعُوا إِلَهُنَا وَإِنَّا بِإِلَهِهِمْ لَكَاثِبُونَ ﴾ يَفْقِرُ لَكُمْ مِنْ دُونِكُمْ وَيُجْزِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿ وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثنا عمرو سمعت عكرمة عن الزبير (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) قال بنخله ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العشاء الآخرة (كادوا يكونون عليه لبيدا) قال سفيان : ألبد بعضهم على بعض كاللبيد بعضهم على بعض تفرد به أحمد وسيأتي من رواية ابن جرير عن عكرمة عن ابن عباس أنهم سبعة من جن نصيبين وقال الإمام أحمد حدثنا عثمان حدثنا أبو عوانة ح وقال الإمام الشهير الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصغار حدثنا إسماعيل القاضي أخبرنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم ، فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها يبحثون ما هذا الذي حال بينهم

وبين خبر السماء فانصرف أولئك النمر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بنحلة عامداً إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له فقالوا هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء فهناك حين رجعوا إلى قومهم (قالوا يا قومنا إننا سمعنا قرآنا عجيباً يهدي إلى الرشد فكأنا به ولن نشرك بربنا أحداً) وأنزل الله على نبيه ﷺ (قل أوحى إلى أنه استمع نظر من الجن) وإنما أوحى إليه قول الجن رواه البخاري عن مسدد بنحوه ، وأخرجه مسلم عن شيبان بن فروخ عن أبي عوانة به ، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث أبي عوانة وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا أبو أحمد حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان الجن يستمعون الوحي فيسمعون الحكمة فيزيدون فيها عشر فيكون ما يسمعون واحداً وما زادوا باطلاً وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتي مقعده إلا رمى بشهاب يحرق ما أصاب فشكوا ذلك إلى إبليس فقال ما هذا إلا من أمر قد حدث فبث جنوده فإذا بالذي صلى الله عليه وسلم يصلي بين جبلين نخلة فأخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الأرض ، ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما من حديث إسرائيل به ، وقال الترمذي حسن صحيح ، وهكذا رواه أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً بمثل هذا السياق بطوله وهكذا قال الحسن البصري إنه ﷺ ماشى بأمرهم حتى أنزل الله تعالى عليه بخبرهم وذكر محمد ابن إسحاق عن يزيد بن رومان عن محمد بن كعب القرظي قصة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ودعائه إياهم إلى الله عز وجل وإبائهم عليه فذكر القصة بطولها وأورد ذلك الدعاء الحسن « اللهم إليك أشكوا ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى عدو بعيد يتجهمني أم إلى صديق قريب ملكتني أمري إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصالح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل لي سخطك ولك العتي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » قال فلما انصرف عنهم بات بنحلة فقرأ تلك الليلة من القرآن فاستمعهم الجن من أهل نصيبين ، وهذا صحيح ولكن قوله إن الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فإن الجن كان استماعهم في ابتداء الإيحاء كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما المذكور وخروجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف كان بعد موت عمه ، وذلك قبل الهجرة بسنة أو سنتين كما قرره ابن إسحاق وغيره والله أعلم وقال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن بطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنستوا قال صد وكانوا تسعة أحدهم زوبة فأنزل الله عز وجل (ولما صرفنا إليك نقرأ من القرآن فلما حضروه قالوا أنستوا فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين - إلى - ضلال مبين) فهذا مع الأول من رواية ابن عباس رضي الله عنهما يقتضي أن رسول الله ﷺ لم يشر بخبرهم في هذه المرة ، وإنما استمعوا قراءته ثم رجعوا إلى قومهم ثم بعد ذلك وفدوا إليه أرسلوا قوماً بعد قوم وفوجاً بعد فوج كاستأني بذلك الأخبار في موضعها والآثار مما سنوردها ههنا إن شاء الله تعالى وبه الثقة

فأما ما رواه البخاري ومسلم جميعاً عن أبي قدامة عبيد الله بن سعيد السرخسي عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن مسهر ابن كدام عن معن بن عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول سألت مسروقاً من أذن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا القرآن ؟ فقال حدثني أبوك يعني ابن مسعود رضي الله عنه أنه آذنت بهم شجرة فيحتمل أن يكون هذا في المرة الأولى ويكون إثباتاً مقدماً على نفي ابن عباس رضي الله عنهما ويحتمل أن يكون في الأولى ولكن لم يشر بهم حال استماعهم حتى آذنتهم الشجرة أي أعلمته بإجتماعهم والله أعلم ويحتمل أن يكون هذا في بعض المرات المتأخرات والله أعلم قال الحافظ البيهقي وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما إنما هو أول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلمت حاله وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يشرهم ثم بعد ذلك أتاه داعي ابنين فقرأ عليهم القرآن وطمعهم

إلى الله عز وجل كما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

﴿ ذكر الرواية عنه بذلك ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا داود عن الشعبي وابن أبي زائدة أخبرنا داود عن الشعبي عن علقمة قال : قلت لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال ما صحبه منا أحد ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة فقلنا اغتيل ؟ استطير ؟ ما فعل ؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما كان في وجه الصبح أو قال في السحر إذ انحن به يحيى من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فذكروا له الذي كانوا فيه فقال « إنه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم » قال فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم قال : قال الشعبي سألوه الزاد ، قال عامر سألوه بمكة وكانوا من جن الجزيرة فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل برة أو روثة علف لدوابكم - قال - فلا تستنجوا بهما فانهما زاد إخوانكم من الجن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن علي بن حجر عن إسماعيل بن علية به نحوه . وقال مسلم أيضا حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود وهو ابن أبي هند عن عامر قال سألت علقمة هل كان ابن مسعود رضي الله عنه شهيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ! قال : فقال علقمة أنا سألت ابن مسعود رضي الله عنه فقلت هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال لا ولكننا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا استطير ؟ اغتيل ؟ قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال « أتاني داعي الجن فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن » قال فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال « كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل برة أو روثة علف لدوابكم » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فلا تستنجوا بهما فانهما طامان إخوانكم » ﴿ طريق أخرى ﴾ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال أبو جعفر بن جرير حدثني أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي حدثني يونس عن الزهري عن عبيد الله قال : إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بت الليلة أقرأ على الجن واقفا بالحجون » ﴿ طريق أخرى ﴾ فيها إنه كان معه ليلة الجن ، قال ابن جرير رحمه الله حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب حدثنا عمي عبيد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب عن أبي عثمان ابن شبة الخزاعي وكان من أهل الشام قال : إن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وهو بمكة « من أحب منكم أن يحضر أمر الجن الليلة فليعمل » فلم يحضر منهم أحد غيري قال فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة خطلى برجله خطا ثم أمرني أن أجلس فيه ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فمشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط ففرغ رسول الله ﷺ مع الهجر فانطلق فبرز ثم أتاني فقال « ما فعل الرهط ؟ » قالت هم أولئك يا رسول الله فأعطاهم عظاما وروثا زادا ثم نهى أن يستطيب أحد بروث أو عظم . ورواه ابن جرير عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم عن أبي زرعة وذهب بن راشد عن يونس بن يزيد الأيلي به

ورواه البيهقي في الدلائل من حديث عبد الله بن صالح كاتب الليث عن يونس به ، وقد روى إسحاق بن راهويه عن جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحوه ما تقدم . ورواه الحافظ أبو نعيم من طريق موسى بن عبيدة عن سعيد بن الطارث عن أبي المعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكر نحوه أيضا . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو نعيم حدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن منبج حدثني أبي قال حدثنا عثمان وعكرمة قال : حدثنا معمر قال : قال أبي حدثني أبو تيمية عن عمرو ولعله قد يكون قال البكالي يحدثه عمرو عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : استبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقنا حتى أتينا مكانا وكذا فخطلى خطا فقال « كن بين ظهر هذه لا تخرج منها فانك إن خرجت منها هاسكت » فذكر الحديث بطوله وفيه غرابة شديدة

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن عمرو بن غيلان الثقفي أنه قال لابن مسعود رضي الله عنه حدثت أنك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال أجل ، قال فكيف كان ؟ فذكر الحديث وذكر أن النبي ﷺ خطب عليه خطاً وقال « لا تبرح منها » فذكر مثل العجاجة السوداء فغشيت رسول الله ﷺ فذعر ثلاث مرات حتى إذا كانت قريباً من الصبح أتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقال « أمت ا » فقلت لا والله ولقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرأهم بمصاك تقول « اجلسوا » فقال صلى الله عليه وسلم « لو خرجت لم آمن أن يتخطفك بعضهم » ثم قال صلى الله عليه وسلم « هل رأيت شيئاً ؟ » قلت نعم رأيت رجلاً سوداً مستغثاً من ثياباً بيضاء (١) قال صلى الله عليه وسلم « أولئك جن نصيبين سألوني المتاع - والمتاع الزاد - فمعتهم بكل عظم حائل أو بعرة أو روثة - فقلت يا رسول الله وما يعني ذلك عنهم فقال رسول الله ﷺ - إنهم لا يجدون عظاماً إلا وجدوا عليه لحم يوم أكل ، ولا روثاً إلا وجدوا فيها جهاً يوم أكلت فلا يستغيثون أحد منكم إذا خرج من الحلاء ، بعظم ولا بعرة ولا روثة » . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الحافظ أبو بكر البهقي أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي وأبو نصر بن قتادة قال أخبرنا أبو محمد يحيى بن منصور القاضي حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي حدثنا روح بن صلاح حدثنا موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال استتبعني رسول الله ﷺ فقال « إن نقرأ من الجن خمسة عشر بنى إخوة وبنى عم يأثوني الليلة أقرأ عليهم القرآن » فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فخط لي خطاً وأجاسني فيه وقال لي « لا تخرج من هذا » فبقيت فيه حتى أتاني رسول الله ﷺ مع السحر في يده عظم حائل وروثة وحمّة فقال « إذا ذهبت إلى الحلاء فلا تستنج بشيء من هؤلاء » قال فلما أصبحت قلت لأعلن حيث كان رسول الله ﷺ قال فذهبت فرأيت موضع مبارك متين بعيراً : ﴿ طريق أخرى ﴾ قال البهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا عثمان بن عمر عن الشمر بن الريان عن أبي الجوزاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال انطلقت مع رسول الله ﷺ ليلة الجن حتى أتى الحجون فخط لي خطاً ثم تقدم إليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وزدان أنا أرحمهم عنك فقال لي إن ينجيني من الله أحد ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا سفيان عن أبي فزارة العنبي حدثنا أبو زيد مولى عمرو بن حريث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما كان ليلة الجن قال لي النبي ﷺ « أمعك ماء » قلت ليس معي ماء ولكن معي إداوة فيها نبيذ فقال النبي ﷺ « ثمرة طيبة وماء طهور » ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث ابن زيد به ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق أخبرنا ابن طيبة عن قيس بن الحجاج عن حنث الصنعاني عن ابن عباس عن عبيد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال إنه كان مع رسول الله ﷺ ليلة الجن فقال رسول الله ﷺ « يا عبد الله أمعك ماء » قال معي نبيذ في إداوة قال صلى الله عليه وسلم « اصب على » فتوضأ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا عبد الله شراب وطهور » تفرد به أحمد من هذا الوجه وقد أورده الدار قطن من طريق آخر عن ابن مسعود رضي الله عنه به

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني أبي عن ميناء عن عبد الله رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن فلما انصرف تنفس فقلت ما شأنك . قال « نعت إلى نفسي يا ابن مسعود » هكذا رأيته في المسند مختصراً وقد رواه الحافظ أبو نعيم في كتابه دلائل النبوة فقال حدثنا سليمان بن أحمد بن أيوب حدثنا إسحاق بن إبراهيم وحدثنا أبو بكر بن مالك حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبي قال حدثنا عبد الرزاق عن أبيه عن ميناء عن ابن مسعود قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن فتلفست فقام مالك يا رسول الله . قال نعت إلى نفسي يا ابن مسعود « قلت استخاف قال « من » قلت أبا بكر قال فسكنت ثم مضى ساعة فتنفس فقلت ما شأنك بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قال « نعت إلى نفسي يا ابن مسعود » قلت استخاف قال « من » .

قلت عمر فسكت ثم مضى ساعة ثم تنفس فقلت ما شأنك . قال « نعت إلى نفسي » قلت فاستخلف طال عليه السلام « من » قلت : علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال عليه السلام « أما والذي نفسي بيده لئن أطاعوه ليدخلن الجنة أجمعين أكتفين » وهو حديث غريب جداً وأحر به أن لا يكون محفوظاً وتقدير صحته فالظاهر أن هذا بعد وفودهم إليه بالمدينة على ما منورده إن شاء الله تعالى فإن في ذلك الوقت كان في آخر الأمر لما فتحت مكة ودخل الناس والجان أيضاً في دين الله أفواجا نزلت سورة (إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) وهي السورة التي نعت نفسه الكريمة فيها إليه كما نص على ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ووافقه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليه وقد ورد في ذلك حديث منورده إن شاء الله تعالى عند تفسيرها والله أعلم وقد رواه أبو نعيم أيضاً عن الطبراني عن محمد بن عبد الله الحضرمي عن علي بن الحسين بن أبي بردة عن يحيى ابن سعيد الأسلمي عن حرب بن صبيح عن سعيد بن مسلمة عن أبي مرة الصنعاني عن أبي عبد الله الجدلي عن ابن مسعود رضي الله عنه فذكره وذكر فيه قصة الاستخلاف وهذا إسناد غريب وسياق عجيب

(طريق أخرى) قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط حوله فكان أحدهم مثل سواد النحل وقال « لا تبرح مكانك فأقرعهم كتاب الله » فلما رأى المرعي قال كأنهم هؤلاء وقال النبي عليه السلام « أممك ماء » قلت لا قال « أممك نبيذ . » قلت نعم فتوضأ به (طريق أخرى مرسل) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الطبراني أخبرنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) قال هم اثنا عشر ألفاً جاءهم من جزيرة الموصل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضي الله عنه « أنظرني حتى آتيك » وخط عليه خطاً وقال « لا تبرح حتى آتيك » فلما خشيمهم ابن مسعود رضي الله عنه كاد أن يذهب فذكر قول رسول الله عليه السلام فلم يبرح فقال له النبي عليه السلام « لو ذهبت ما التقينا إلى يوم القيامة » .

(طريق أخرى مرسل أيضاً) قال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن) قال ذكر لنا أنهم صرفوا إليه من نينوى وأن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « إني أمرت أن أقرأ على الجن فأيسمكم يهقي . » فأطرقوا ثم استتبهم فأطرقوا ثم استتبهم الثالثة فقال رجل يا رسول الله إن ذلك لندو ندبة فأتبعه ابن مسعود رضي الله عنه أخوه هذيل قال فدخل النبي صلى الله عليه وسلم شعباً يقال له شعب الحجون وخط عليه وخط على ابن مسعود رضي الله عنه خطاً ليثبت به بذلك قال فجعلت أهال وأرى أمثال النور تمشي في دفوفها وسمعت لقطاً شديداً حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا القرآن فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ما اللفظ الذي سمعت قال صلى الله عليه وسلم « اختصموا في قتيل ففقي بينهم بالحق » رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

فهذه الطرق كلها تدل على أنه عليه السلام ذهب إلى الجن قصداً فلما عليهم القرآن ودعاهم إلى الله عز وجل وشرع الله تعالى لهم على لسانه ما هم محتاجون إليه في ذلك الوقت . وقد يحتمل أن أول مرة سمعوه يقرأ القرآن لم يشعروهم كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما . ثم بعد ذلك وفدوا إليه كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه وأما ابن مسعود رضي الله عنه فإنه لم يكن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حال مخاطبته للجن ودعائه إياهم وإنما كان بعيداً منه ولم يخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم أحد سواه ومع هذا لم يشهد حال مخاطبته ، هذه طريقة البيهقي . وقد يحتمل أن يكون أول مرة خرج إليهم لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ابن مسعود رضي الله عنه ولا غيره كما هو ظاهر سياق الرواية الأولى من طريق الإمام أحمد وهي عند مسلم ، ثم بعد ذلك خرج معه ليلة أخرى والله أعلم كما روى ابن أبي حاتم في تفسيره (قل أوحى إلى) من حديث ابن جرير قال : قال عبد العزيز بن عمر . أما الجن الذين لقوه بنحلة فجن نينوى وأما الجن الذين لقوه بمكة فجن نصيبين وتأوله البيهقي على أنه يقول فبنا بشر ليلة بات بها قوم على غير ابن مسعود رضي الله عنه

من لم يعلم بخروجه عليه السلام إلى الجن وهو محتمل على بعد والله أعلم. وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عمرو ومحمد بن عبد الله الأديب حدثنا أبو بكر الإسماعيلي أخبرنا الحسن بن سفيان حدثني سويد بن سعيد حدثنا عمرو بن يحيى عن جده سعيد بن عمرو قال كان أبو هريرة رضي الله عنه يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأداة لوضوئه وحاجته فأدركه يوما فقال «من هذا؟» قال أنا أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم «أتيتي بأحجار أستنج بها ولا تأتي بعظم ولا روثة» فأثبته بأحجار في ثوبي فوضعتها إلى جنبه حتى إذا فرغ وقام اتبعته فقلت يا رسول الله ما بال العظم والروثة؟ قال صلى الله عليه وسلم «أتأتين وفد جن نصيبين فسالوني الزاد فدعوت الله تعالى لهم أن لا يروا بروثة ولا عظم إلا وجدوه طعاما» أخرجه البخاري في صحيحه عن موسى بن إسماعيل عن عمرو بن يحيى بسنده قريباً منه فهذا يدل مع ما تقدم على أنهم وفدوا عليه بعد ذلك. وسنذكر إن شاء الله تعالى ما يدل على تكرار ذلك.

وقد روى عن ابن عباس غير ما روى عنه أولاً من وجه جيد فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبد الحميد الحناني حدثنا النضر بن عربي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلاً إلى قومهم. فهذا يدل على أنه قد روى القصة. وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سويد بن عبد الله بن حاتم حدثنا رجل ساه عن ابن جريج عن مجاهد (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) الآية قال كانوا سبعة نفر ثلاثة من أهل حران وأربعة من أهل نصيبين وكانت أسماؤهم حسي وحسي ومسي وساسر وناصر والأردويان والأحتم وذكر أبو حمزة الثمالي أن هذا الحي من الجن كان يقال لهم بنو الشيصبان وكانوا أكثر الجن عدداً وأشرفهم نسبا وهم كانوا عامة جنود إبليس.

وقال سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود رضي الله عنه كانوا تسعة أحدهم زوجة أتوه من أصل نخله وتقدم عنهم أنهم كانوا خمسة عشر، وفي رواية أنهم كانوا على ستين راحلة وتقدم عنه أن اسم مسيدهم وردان وقيل كانوا ثلثمائة وتقدم عن عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ألفاً فاهل هذا الاختلاف دليل على تكرار وفادتهم عليه صلى الله عليه وسلم، ومما يدل على ذلك ما قاله البخاري في صحيحه حدثنا يحيى بن سليمان حدثني ابن وهب حدثني عمر بن شريك عن محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ما سمعت عمر رضي الله عنه يقول شيء قط إنني لأظنه هكذا إلا كان كما يظن، بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس إذ مر به رجل جميل فقال لقد أخفأ ظني أو أن هذا على دينه في الجاهلية أو لقد كان كاهنهم، على الرجل، فدعى له فقال له ذلك فقال ما رأيت كالأيوم استقبل به رجل مسلم قال فاني أعزم عليك إلا ما أخبرني قال كنت كاهنهم في الجاهلية قال فما أعجب ما جاءتك به جنيتك قال بينا أنا يوماً في السوق جاءني أعرف فيما النزع فقالت:

ألم تر الجن وإبليسها ويأسها من بعد إنكاسها ولحوقها بالنفلاس وإحلاسها

قال عمر رضي الله عنه صدق بينا أنا نائم عند آلهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول يا جليجج أمر نجيجج رجل فصيح يقول لا إله إلا الله قال فوثب القوم فقلت لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ثم نادى يا جليجج أمر نجيجج رجل فصيح يقول لا إله إلا الله فقمعت فأنشبت أن قيل هذا نبي. هذا سياق البخاري، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ثم قال وظاهر هذه الرواية يؤم أن عمر رضي الله عنه بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه وسائر الروايات تدل على أن هذا الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه والله أعلم، وهذا الذي قاله البيهقي هو الوجه وذاك الرجل هو سواد بن قارب، وقد ذكرت هذا مستقصى في سيرة عمر رضي الله عنه فمن أراد فليأخذ من ثم والله الحمد والملة. وقال البيهقي: حديث سواد بن قارب ويشبه أن يكون هذا هو الكاهن الذي لم يذكر اسمه في الحديث الصحيح أخبرنا أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب المفسر من أصل سماعه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الدارقطني الأصبهاني قراءة عليه حدثنا أبو جعفر أحمد بن موسى الحمار الكوفي بالكوفة حدثنا زياد بن يزيد بن بادويه ثنا أبو بكر التميمي

حدثنا محمد بن نواس السكوفي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن البراء رضى الله عنه قال بينما عمر بن الخطاب رضى الله عنه يخطب الناس على منبر رسول الله ﷺ إذ قال أيها الناس أفياكم سواد بن قارب ؟ قال فلم يجبه أحد تلك السنة فلما كانت السنة المقبلة قال : أيها الناس أفياكم سواد بن قارب ؟ قال فقلت يا أمير المؤمنين وما سواد بن قارب ؟ قال فقال له عمر رضى الله عنه إن سواد بن قارب كان بدء إسلامه شيئا عجيبا قال فبينما نحن كذلك إذ طلع سواد بن قارب قال : فقال له عمر رضى الله عنه ياسواد حدثنا ببدا إسلامك كيف كان قال سواد رضى الله عنه فاني كنت نازلا بالهند وكان لى رضى من الجن قال فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ جاءنى فى منامى ذلك قال قم فافهم واعقل إن كنت تعقل قد بعث رسول من لوى بن غالب ثم أنشأ يقول .

عجبت للجن وتحساسها وشدها العيس بأحلاسها تهوى إلى مكة تبغى الهدى
ما خير الجن كأحساسها فانفض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى رأسها

قال ثم أنبئى فأفزعنى وقال ياسواد بن قارب إن الله عز وجل بعث نبيا فانفض إليه تهتد وترشد فلما كان من الليلة الثانية أنانى فأنبئى ثم أنشأ يقول :

عجبت للجن وتطلباها وشدها العيس بأفتابها تهوى إلى مكة تبغى الهدى
ليس قدأماها كأذناها فانفض إلى الصفوة من هاشم واسم بعينيك إلى قابها

فلما كان فى الليلة الثالثة أنانى فأنبئى ثم قال :

عجبت للجن وتجارها وشدها العيس بأكوارها تهوى إلى مكة تبغى الهدى
ليس ذووالشر كأخبارها فانفض إلى الصفوة من هاشم مامؤنوالجن ككفارها

قال : فلما سمعته تكرر ليلة بعد ليلة وقع فى قلبى حب الاسلام من أمر رسول الله ﷺ ماشاء الله قال فانطلقت إلى رحلى فشددته على راحلتى فما حلت تسعة ولا عقدت أخرى حتى أتيت رسول الله ﷺ فاذا هو بالمدينة يعنى مكة والناس عليه كعرف الفرس فلما رآنى النبى ﷺ قال « مرحبا بك ياسواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك » قال : قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمعه منى قال ﷺ « قل ياسواد » فقلت :

أنانى رأيي بعد ليل وهجمة ولم يك فيما قد بلوت بكاذب ثلاث ليال قوله كل ليلة
أناك رسول من لوى بن غالب فشمرت عن ساقى الازار ووسطت بى الدعبل الوجناء بين السباب
فأشهد أن الله لارب غيره وأنتك مأمون على كل غائب وأنتك أدنى المرسلين وسيلة
الى الله يا ابن الأكرمين الأطايب فرنا بما يأتيك ياخير مرسل وإن كان فيما جاء شيب الذوائب

وكن لى شفيعا يوم لاذوشفاعه سواك بمن عن سواد بن قارب

قال فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال لى « أفألحت ياسواد » فقال له عمر رضى الله عنه هل يأتيتك رثيك الآن ؟ فقال : منذ قرأت القرآن لم يأتنى ونعم العوض كتاب الله عز وجل من الجن . ثم أسنده البيهقى من وجهين آخرين . ومما يدل على وفادتهم اليه ﷺ بعد ما هاجر الى المدينة الحديث الذى رواه الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا محمد بن عبدة المصيصى حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية ابن مسلام عن زيد بن أسلم أنه سمع أباسلام يقول حدثنى من حدثه عمرو بن غيلان الثقفى قال أتيت عبدا لله بن مسعود رضى الله عنه فقلت له حدثت أنك كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن . قال أجل ، قلت حدثنى كيف كان شأنه ؟ فقال إن أهل الصفة أخذ كل رجل منهم رجل يعشيه وتركت فلم يأخذنى أحد منهم فربى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « من هذا ؟ » فقلت أنا ابن مسعود ، فقال ﷺ « ما أخذك أحيد يشيك ؟ » فقلت لا ، قال صلى الله عليه وسلم « فانطلق لى أجد لك شيئا » قال فانطلقنا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة أم سلمة رضى الله عنها فتركنى قائما ودخل الى أهله ثم خرجت الجارية فقالت يا ابن مسعود إن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجد لك عشاء فارجع إلى مضجعك . قال فرجعت إلى المسجد فجمعت حصباء المسجد فتوسدته والنفت بثوبى فلم ألبث إلا قليلا حتى جاءت الجارية فقالت أجبر رسول الله فاتبعتها وأنا أرجو العشاء حتى إذا بلغت مقامى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده عسيب من نخل فعرض به على صدرى فقال ﷺ « انطلق أنت معى حيث انطلقت » قلت ماشاء الله فأعادها على ثلاث مرات كل ذلك أقول ماشاء الله فانطلق وانطلقت معه حتى أتينا بقيع الفرقد فخط صلى الله عليه وسلم بعصاه خطائهم قال « اجلس فيها ولا تبرح حتى آتياك » ثم انطلق يمشى وأنا أنظر إليه خلال النخل حتى إذا كان من حيث لا أراه ثارت قبله العجاجة السوداء ففرقت فقامت ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أن هوأزن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتاوه فأسمى إلى البيوت فأستغيث الناس فذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصانى أن لا أبرح مكانى الذى أنا فيه فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعهم بعصاه ويقول « اجلسوا » فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح ثم ثاروا وذهبوا فأنا فى رسول الله ﷺ فقال « أمت بعدى ؟ » فقلت لا ولقد فرست الفرقة الأولى حتى رأيت أن آتى البيوت فأستغيث الناس حتى سمعتك تشرعهم بمصاك وكنت أظنها هوأزن مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتاوه فقال « لو أنك خرجت من هذه الحاقة ما أمنت عليك أن يخطفك بعضهم فهل رأيت من شئ منهم ؟ » فقلت رأيت رجالا سودا مستغفرين بثياب بيض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو لك وفد جن نصيبين أتونى فسألونى الزاد والمناج فمتهم بكل عظم حائل أو روثة أو برة » قلت فما يبنى عنهم ذلك ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إنهم لا يجدون عظام إلا وجدوا عليه لحم الذى كان عليه يوم أكل ، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبا الذى كان فيها يوم أكل فلا يستنقى أحد منكم بعظم ولا برة » وهذا إسناد غريب جدا ولكن فيه رجل مبهم لم يسم والله تعالى أعلم وقد روى الحافظ أبو نعيم من حديث بقية بن الوليد حدثني عمير بن زيد القنبر حدثنا أبي حدثنا قحافة بن ربيعة حدثني الزبير بن العوام رضى الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح فى مسجد المدينة فلما انصرف قال « أيكم يتبعنى إلى وفد الجن الليلة » فأسكت القوم ثلاثا فمررت فأخذ يدي فجعلت أمشى معه حتى حبست عنا جبال المدينة كلها وأفضينا إلى أرض برار فإذا برجال طوال كأنهم الرماح مستغفرين بثيابهم من بين أرجلهم فلما رأيتهم غشيتى رعدة شديدة ثم ذكر نحو حديث ابن مسعود المتقدم وهذا حديث غريب والله أعلم

ومما يتعلق بوفود الجن ما رواه الحافظ أبو نعيم حدثنا أبو محمد بن حبان حدثنا أبو الطيب أحمد بن روح حدثنا يعقوب الدورقى حدثنا الوليد بن بكير التميمى حدثنا حصين بن عمر أخبرني عبيد المكش عن إبراهيم قال خرج نفر من أصحاب عبد الله يريدون الحج حتى إذا كانوا فى بعض الطريق إذاهم بحية تنشى على الطريق أبيض يتفج منه ريح المسك فقامت لأصحابى امضوا فلست يبارح حتى أنظر إلى ما يصير إليه أمر هذه الحية قال فما لبثت أن ماتت فعمدت إلى خرفة يضاء فلفقتها فيها ثم نحيتهما عن الطريق فدفنتها وأدركت أصحابى فى التمشى . قال فوالله إنا لنعوذ إذ أقبل أربع نساء من قبل المغرب فقالت واحدة منهن : أيكم دفن عمرا ، قلنا ومن عمرو ، قالت أيكم دفن الحية ؟ قال فقلت أنا قالت أما والله لقد دفنت صواما قواما يأمر بما أنزل الله تعالى ولقد آمن بنبيكم وسمع صفته من السماء قبل أن يبعث بأربع مائة عام قال الرجال فحمدنا الله تعالى ثم قضينا حجتنا ثم مررت بعمر بن الخطاب رضى الله عنه بالمدينة فأبأته بأمر الحية فقال صدقت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لقد آمن بي قبل أن أبعث بأربع مائة سنة » وهذا حديث غريب جدا والله أعلم ، قال أبو نعيم وقد روى الثورى عن أبي إسحاق عن الشعبي عن رجل من ثقيف بنحوه وروى عبد الله بن أحمد والظاهرانى عن صفوان بن المعطل — هو الذى نزل ودفن تلك الحية من بين الصحابة وأنهم قالوا إنه آخر التسعة موتا الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمعون القرآن وروى أبو نعيم من حديث الأيث ابن سعد عن عبد العزيز بن أبي سامة الماحشون عن عمه عن معاذ بن عبد الله بن معمر قال كنت جالسا عند عثمان ابن عفان رضى الله عنه فجاء رجل فقال يا أمير المؤمنين إني كنت بغلاة من الأرض فذكر أنه رأى ثمانين اقتتلا ثم

قتل أحدهما الآخر قال فذهبت إلى المعتك فوجدت حيات كثيرة مقتولة وإذا ينفخ من بعضها ريح المسك فجعلت أشمها واحدة واحدة حتى وجدت ذلك من حية صفراء رقيقة فلقيتها في عمامتي ودفنتها ، فبينما أنا أمشي إذ ناداني مناد : يا عبد الله لقد هديت هذان حيان من الجن بنو شعيبان وبنو قيس التقوا فكان من القتلى ما رأيت واستشهد الذي دفتته وكان من الدين سمعوا الوحي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقال عثمان لذلك الرجل إن كنت صادقا فقد رأيت عجبا وإن كنت كاذبا فمليك كذبك وقوله تبارك وتعالى (وإذا صرفنا إليك نفرا من الجن) أى طائفة من الجن (يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا) أى استمعوا وهذا أدب منهم وقد قال الحافظ البيهقي حدثنا الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله الدقاق حدثنا محمد بن إبراهيم البوشنجي حدثنا هشام بن عمار الدمشقي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال « مالى أراكم سكوتا ؟ للجن كانوا أحسن منكم رداً ، ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) إلا قالوا : ولا بشئ من آلائك أو نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ورواه الترمذى في التفسير عن أبي مسلم عبد الرحمن بن واقد عن الوليد بن مسلم به قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن فذكره ثم قال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد عن زهير ، كذا قال وقد رواه البيهقي من حديث مروان بن محمد الطاطرى عن زهير بن محمد به مثله وقوله عز وجل (فلما قضى) أى فرغ كقوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة) (ففضاهن مسبع سموات في يومين) (فإذا قضيت مناسككم) (ولوا إلى قومهم منذرين) أى رجعوا إلى قومهم فأنذروهم ما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله جل وعلا (ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) وقد استدلل بهذه الآية على أنه في الجن نذر وليس فيهم رسل ولا شاك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولا لقوله تعالى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى) وقال عز وجل (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) وقال عن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) فكل نبي بعثه الله تعالى بعد إبراهيم فمن ذريته وسلالته فأما قوله تبارك وتعالى في الأنعام (يأمركم بالجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم) فالمراد من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهو الإنس كقوله (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) أى أحدهما ثم إنه تعالى فسر إنذار الجن لقومهم فقال مخبرا عنهم (قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى) ولم يذكر موسى لأن عيسى عليه السلام أنزل عليه الإنجيل فيه مواعظ وترقيات وقليل من التحليل والتحريم وهو في الحقيقة كالنعم للشرعية التوراة فالعمدة هو التوراة فلماذا قالوا أنزل من بعد موسى ، وهكذا قال ورقة بن نوفل حين أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بقصة نزول جبريل عليه ، عليه الصلاة والسلام أول مرة فقال بلغ بهذا الناموس الذي كان يأتي موسى ياليتي أكون فيها جذعا (مصدقا لما بين يديه) أى من الكتب المنزلة على الأنبياء قبله ، وقولهم (يهدي إلى الحق) أى في الاعتقاد والإخبار (وإلى طريق مستقيم) في الأعمال فإن القرآن مشتمل على شيئين خبر وطلب فخير صدق وطلبه عدل كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) وقال سبحانه وتعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح ، وهكذا قالت الجن (يهدي إلى الحق) في الاعتقادات (وإلى طريق مستقيم) أى في العمليات (يا قومنا أجيئوا داعي الله) فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى وقرأ عليهم السورة التي فيها خطاب الفريقين وتكليفهم ووعدهم ووعدهم وهي سورة الرحمن ولهذا قال (أجيئوا داعي الله وآمنوا به) وقوله تعالى (يغفر لكم من ذنوبكم) قيل إن من ههنا زائدة وفيه نظر لأن زيادتها في الإثبات قليل ، وقيل إنها على بابها للتبويض (ويحرمكم من عذاب أليم) أى ويقيكم من عذابه الأليم ، وقد استدلل بهذه الآية من ذهب من العلماء إلى أن الجن المؤمنين لا يدخلون الجنة وإنما جزاء صالحيتهم أن يجاروا من عذاب النار يوم القيامة ولهذا قالوا هذا

في هذا المقام وهو مقام تبجيح ومبالغة فالو كان لهم جزاء على الإيمان أعلى من هذا لأوشك أن يذكروه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال حدثت عن جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لا يدخل مؤمنو الجنة الجنة لأنتهم من ذرية إبليس ولا تدخل ذرية إبليس الجنة ، والحق أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة كما هو مذهب جماعة من السلف وقد استدلل بعضهم لهذا بقوله عز وجل (لم يطعمهن إنس قبلهم ولا جان) وفي هذا الاستدلال نظر ، وأحسن منه قوله جل وعلا (ولمن خاف مقام ربه جنتان : فبأى آلاء ربكما تكذبان) فقد آمن تعالى على الثقلين بأن جعل جزاء محسنهم الجنة وقد قابلت الجن هذه الآية بالشكر القولي أبلغ من الإنس فقالوا ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد فلم يكن تعالى ليمتن عليهم بجزاء لا يحصل لهم وأيضا فإنه إذا كان يجازى كافرهم بالنار وهو مقام عدل فلا أن يجازى مؤمنهم بالجنة وهو مقام فضل بطريق الأولى والأخرى . ومما يدل أيضا على ذلك عموم قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) وما أشبه ذلك من الآيات . وقد أفردت هذه المسئلة في جزء على حدة والله الحمد والمنة وهذه الجنة لا يزال فيها فضل حتى ينتهي الله تعالى لما خلقنا أفلا يسكنها من آمن به وعمل له صالحا وما ذكروه ههنا من الجزاء على الإيمان من تكفير الذنوب والاجارة من العذاب الأليم هو يستأنم دخول الجنة لأنه ليس في الآخرة إلا الجنة أو النار فمن أجز من النار دخل الجنة لا محالة ولم يرد معنا نس صريح ولا ظاهر عن الشارع أن مؤمن الجن لا يدخلون الجنة وإن أجزوا من النار ولو صح لقنا به والله أعلم . وهذا نوح عليه الصلاة والسلام يقول لقومه (ينفر لسيكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى) ولا خلاف أن مؤمن قومه في الجنة فكذلك هؤلاء . وقد حكى فيهم أقوال غريبة فمن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنهم لا يدخلون جنة جنة الجنة وإنما يكونون في ربضها وحولها وفي أرجائها ومن الناس من زعم أنهم في الجنة يراهم بنو آدم ولا يرون بني آدم بعكس ما كانوا عليه في الدار الدنيا : ومن الناس من قال لا يأكلون في الجنة ولا يشربون وإنما يلهمون التسييح والتحميد والتقديس عوضا عن الطعام والشراب كالملائكة لأنهم من جنسهم ، وكل هذه الأقوال فيها نظر ولا دليل عليها ، ثم قال غيبرا عنهم (ومن لا يحب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) أي بل قدرة الله شاملة له ومحيطه به (وليس لهم من دونه أولياء) أي لا يجيرهم منه أحد (أولئك في ضلال مبين) وهذا مقام تهديد وترهيب فدعوا قومهم بالترغب والترهيب ولهذا نجح في كثير منهم وجاءوا إلى رسول الله ﷺ وفودا وفودا كما تقدم بيانه والله الحمد والمنة والله أعلم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُخَيِّبَ أَلْمُوتَىٰ ﴾
 ﴿ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَهُوْا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَبَلَّغْ فَهَلْ لَهُمْ فِي الْقَوْمِ الْفَاسِقُونَ ﴾

يقول تعالى أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعز بخلقهن بل قال لما كوني فكانت بلا ممانعة ولا مخالفة بل طاعة محبة خائفة وجلة أفليس ذلك بقادر على أن يخيب الموتى ؟ كما قال عز وجل في الآية الأخرى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكره الناس لا يعلمون) ولهذا قال تعالى (بلى إنه على كل شيء قدير) . ثم قال جل جلاله متهددا ومتوعدا لمن كفر به (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق) أي يقال لهم أما هذا حق أم لا ؟ ثم قال هذا أم أنتم لا تبصرون ؟ (قالوا بلى وربنا) أي لا يسعهم إلا الاعتراف (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ثم قال

تبارك وتعالى أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) أى على تكذيب قومهم لهم . وقد اختلفوا فى تعداد أولى العزم على أقوال وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد صلى الله عليه وسلم قد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء فى آيتين من سورتي الأحزاب والشورى ، وقد يحتمل أن يكون المراد بأولى العزم جميع الرسل فتكون (من) فى قوله من الرسل لبيان الجنس والله أعلم وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن الحجاج الحضرى بن حبان حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجاهد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق قال : قالت عائشة رضى الله عنها : ظل رسول الله ﷺ صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم قال « يا عائشة إن الدنيا لا تنبغى لمحمد ولا آل محمد يا عائشة إن الله تعالى لم يرض من أولى العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض منى إلا أن يكافى ما كفهم فقال (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) وإنى والله لأصبرن كما صبروا جهدى ولا قوة إلا بالله » (ولا تستعجل لهم) أى لا تستعجل لهم حلول العقوبة بهم كقوله تبارك وتعالى (فذرني والسكدين أولى النعمة ومهلهم قليلا) وكقوله تعالى (فهل السكاكين أمهلهم رويدا) (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار) كقوله جل وعلا (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وكقوله عز وجل (وبوم نحشهم كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم) الآية وقوله جل وعلا (بلاغ) قال ابن جرير يحتمل معنيين (أحدهما) أن يكون تقديره وذلك لبث بلاغ (والآخر) أن يكون تقديره هذا القرآن بلاغ . وقوله تعالى (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أى لا يهلك على الله إلا هالك ، وهذا من عدله عز وجل أنه لا يعذب إلا من يستحق العذاب والله أعلم . [آخر تفسير سورة الأحقاف والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .]

﴿ تفسير سورة القتال وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴾

يقول تعالى (الذين كفروا) أى بآيات الله (وصدوا) غيرهم (عن سبيل الله أضل أعمالهم) أى أبطلها وأذهبها ولم يجعل لها ثوابا ولا جزاء كقوله تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) ثم قال جل وعلا (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنت قلوبهم وسرائرهم وانقادت لشرع الله جوارحهم وبواطنهم وظواهرهم (وآمنوا بما نزل على محمد) عطف خاص على عام وهو دليل على أنه شرط فى صحة الإيمان بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقوله تبارك وتعالى (وهو الحق من ربهم) جملة معترضة حسنة ولهذا قال جل جلاله (كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) قال ابن عباس رضى الله عنهما : أى أمرهم وقال مجاهد : شأنهم وقال قتادة وابن زيد حاطهم والكل متقارب وقد جاء فى حديث تميمت العاطس « يهديكم الله ويصلح بالكم » ثم قال عز وجل (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) أى إنما أبطلنا أعمال الكفار . وتجاوزنا عن سيئات الأبرار ، وأصلحنا شئونهم لأن الذين كفروا اتبعوا الباطل أى اختاروا الباطل على الحق (وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) أى يبين لهم مآل أعمالهم ، وما يصيرون إليه فى معادهم ، والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْبَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَنتَصَّرَ مِنْهُمْ وَلَسَكُن لِّمِثْلِهِمْ بَعْضَ الَّذِينَ قَتَلُوا ﴾

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِمْ رِجَالًا * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَافًا لَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ * وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ *

يقول تعالى مرشدا للمؤمنين إلى ما يعتمدونه في حروبهم مع المشركين (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب)
أي إذا واجهتموه فاحصدهم حصدا بالسيوف (حتى إذا انخسعوا) أي أهلكتهم قتلًا (فشدوا الوثاق) الأسارى
الذين تأسروهم ثم أتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم إن شئتم منكم عليهم فأطلقتم أسرارهم
بجنانا وإن شئتم فاديتهم بجال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه ، والظاهر أن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر فإن
الله سبحانه وتعالى غاب المؤمنين على الاستكثار من الأسارى يومئذ ليأخذوا منهم الفداء والتقابل من القتل يومئذ
فقال (ما كان لبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز
حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسك فيما أخذتم عذاب عظيم) ثم قد ادعى بعض العلماء أن هذه الآية المخيرة بين
مفاداة الأسير والآن عليه مفسوخة بقوله تعالى (فإذا الأسير الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم)
الآية رواه العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة والضحاك والسدي وابن جرير وقال الآخرون وهم
الأكثرون ليست بمفسوخة ، ثم قال بعضهم إنما الإمام مخير بين المن على الأسير ومفاداته فقط ولا يجوز له قتله
وقال آخرون منهم بل له أن يقتله إن شاء الحديث قتل النبي صلى الله عليه وسلم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط
من أسارى بدر وقال ثمامة بن أثال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له « ما عندك يا ثمامة ؟ » فقال إن تقتل
تقتل ذاك دم وإن تمنى تمنى على شاكر وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت . وزاد الشافعي رحمة الله عليه فقال
الإمام مخير بين قتله أو المن عليه أو مفاداته أو استرقاقه أيضا وهذه المسألة محررة في علم الفروع وقد دللنا
على ذلك في كتابنا الأحكام والله سبحانه وتعالى الحمد والمنة . وقوله عز وجل (حتى تضع الحرب أوزارها) قال جماعة
حتى ينزل عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وكأنه أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم « لا تزال طائفة من أمتي
ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم السجك » . وقال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن نافع حدثنا إسماعيل بن عياش
عن إبراهيم بن سليمان عن الوليد بن عبد الرحمن الجرجسي عن جبير بن نفير قال إن سادة بن نفيل أخبرهم أنه أتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وسلم فقال إني سييت الحليل وأقيمت السلاح ووضعت الحرب أوزارها وقلت : لا قتال ، فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم « الآن جاء القتال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس يزبغ الله تعالى قلوب أقوام فيقاتلونهم
ويرزقهم الله منهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، ألا إن عقد دار المؤمنين بالشام والحليل معقود في نواحيها الخير
إلى يوم القيامة » وهكذا رواه النسائي من طريقين عن جبير بن نفير عن سادة بن نفيل السكوني وقال أبو القاسم البغوي
حدثنا داود بن رشيد حدثنا الوليد بن محمد بن مهاجر عن الوليد بن عبد الرحمن الجرجسي عن جبير بن نفير عن النواص
ابن سميان رضي الله عنه قال لما فتح على رسول الله ﷺ فتح ففازوا بالرسول الله سييت الحليل ووضعت السلاح ووضعت الحرب
أوزارها قالوا لا قتال قال « كذبوا الآن جاء القتال لا يزال الله تعالى يزبغ قلوب قوم يقاتلونهم فيرزقهم حتى يأتي أمر الله
وهم على ذلك وعقد دار المسلمين بالشام » وهكذا رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي عن داود بن رشيد ، والحفظ أنه من رواية
سادة بن نفيل كما تقدم وهذا يقوى القول بعدم النسخ كأنه رجع هذا الحكم إلى أن لا يبقى حرب وقال قتادة
(حتى تضع الحرب أوزارها) حتى لا يبقى شرك وهذا كقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله)
ثم قال بعضهم حتى تضع الحرب أوزارها أي أوزار الحاربيين وهم المشركون بأن يتوبوا إلى الله عز وجل وقيل أوزار
أهلها بأن يبذلوا الوسع في طاعة الله تعالى وقوله عز وجل (ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم) أي هذا ولو شاء الله لانتقم

من الكافرين بعقوبة ونكال من عنده (ولكن لياو بعضهم ببعض) أى ولكن شرع لكم الجهاد وقتال الأعداء ليخبركم ويأو أخباركم كاذ كرحمته في شرعية الجهاد في سورتي آل عمران وبراءة في قوله تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)

وقال تبارك وتعالى في سورة براءة (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويغزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين * ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) ثم لما كان من شأن القتال أن يقتل كثير من المؤمنين قال (والذين قتلوا في سبيل الله فلن يغفر الله لهم) أى لن يذهبها بل يكثرها وينمها ويضاعفها . ومنهم من جرى عليه عمله طول برزخه كما ورد بذلك الحديث الذى رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا زيد بن يحيى الدمشقي حدثنا ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن كثير بن مرة عن قيس الجذامي - رجل كانت له صحبة - قال : قال رسول الله ﷺ « يعطى الشهيد ست خصال : عند أول قطرة من دمه تكفر عنه كل خطيئة ويرى مقعده من الجنة ويزوج من الحور العين ويأمن من الفرع الأكبر ومن عذاب القبر ويحلى حلة الإيمان » تفرد به أحمد رحمه الله

(حديث آخر) قال أحمد أيضا حدثنا الحكم بن نافع حدثني إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن القدام بن معد يكرب السكندی رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للشهيد عند الله ست خصال : أن يغفر له في أول دفقة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحلى حلة الإيمان ، ويزوج من الحور العين ويحار من عذاب القبر ، ويأمن من الفرع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار بالدر والياقوت ، والياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه » وقد أخرجه الترمذى وصححه وابن ماجه . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما وعن أبي قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « يغفر للشهيد كل نية إلا الدين » وروى من حديث جماعة من الصحابة رضى الله عنهم وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته » ورواه أبو داود والأحاديث في فضل الشهيد كثيرة جدا . وقوله تبارك وتعالى (سبيهم) أى إلى الجنة كقوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهدىهم ربهم بالإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعم) . وقوله عز وجل (ويصلح بهم) أى أمرهم وحالهم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) أى عرفهم بها وهداهم إليها قال مجاهد يهتدى أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم منها لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحدا ، وروى مالك عن زيد بن أسلم نحو هذا ، وقال شاذان كعب : يعرفون بيوتهم إذا دخلوا الجنة كما يعرفون بيوتكم إذا انصرفتم من الجمعة . وقال مقاتل ابن حيان باقنا أن الملك الذى كان وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشى بين يديه في الجنة ويقيم ابن آدم حتى يأتى أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالى في الجنة فإذا انتهى إلى أقصى منزله في الجنة دخل إلى منزله وأزواجه وانصرف الملك عنه ، ذكره ابن أبى حاتم رحمه الله . وقد ورد الحديث الصحيح بذلك أيضا رواه البخارى من حديث قتادة عن أبي التوكل الناجى عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا خلع المؤمن من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار يتفحصون مغالما كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، والذى نفسى بيده إن أحدهم بمنزلة في الجنة أهدى منه بمنزلة الذى كان في الدنيا » . ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) كقوله عز وجل (ولينصرن الله من ينصره) فإن الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (ويثبت أقدامكم) كما جاء في الحديث « من بلغ ذا سلطان حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم القيامة » ثم قال تبارك وتعالى (والذين كفروا فتمسالمهم) عكس تثبيت الأقدام للمؤمنين الناصرين لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد ثبت في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « تمس عبد الدينار تمس عبد الدرهم تمس عبد القطينة تمس واتكس وإذا شبك فلا انتكس » أى فلا شفه الله عز وجل . وقوله سبحانه وتعالى (وأضل أعمالهم) أى أحبطها وأبطاها ولهذا قال (ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله) أى لا يريدونه ولا يحبونه (فأحبط أعمالهم)

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُم مَّوَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ * إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ * وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴾

يقول تعالى (أفلم يسيرا) يعنى المشركين بالله الكافرين لرسوله (فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم) أى عاقبتهم بتكذيبهم وكفرهم أى ونجى المؤمنين من بين أظهرهم ولهذا قال تعالى (وللإكافرين أمثلهما) ثم قال (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم) ولهذا الما قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أحد حين سأل عن النبي ﷺ وعن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فلم يجب وقال أما هؤلاء فقد هلكوا ، وأجابه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال كذبت يا عدو الله بل أبقى الله تعالى لك ما يسوءك وإن الذين عددت لأحياء فقال أبو سفيان يوم يوم بدر والحرب سجال أما إنكم ستجدون مثلهم أمر بها ولم أنه عنها ثم ذهب يرتجز ويقول ثم يعل هبل اعل هبل * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تجيبوه ؟ » فقالوا يا رسول الله وما نقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم قولوا « الله أعلى وأجل » ثم قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم « ألا تجيبوه ؟ » قالوا وما نقول يا رسول الله قال قولوا « الله مولانا ولا مولى لكم » ثم قال سبحانه وتعالى (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) أى يوم القيامة (والذين كفروا يمتنعون ويأكلون كما تأكل الأنعام) أى فى دنياهم يمتنعون بها ويأكلون منها كأكل الأنعام خضما وقضم ليس لهم همة إلا فى ذلك ولهذا ثبت فى الصحيح « اللؤم يأكل فى معنى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء » ثم قال تعالى (والنار مثوى لهم) أى يوم جزائهم وقوله عز وجل (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجناك) يعنى مكة (أهلكتناهم فلا ناصر لهم) وهذا سيد شديد ووعيد أكيد لأهل مكة فى تكذيبهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الرسل وخاتم الأنبياء فإذا كان الله عز وجل قد أهلكت الأمم الذين كذبوا الرسل قبله بسببهم وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء فإذا ظن هؤلاء أن يفعل الله بهم فى الدنيا والأخرى ؟ فإن رفع عن كثير منهم العقوبة فى الدنيا لبركة وجود الرسول نبي الرحمة فإن العذاب يوفر على الكافرين به فى معادهم (يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيون السمع وما كانوا يبصرون) وقوله تعالى (من قريتك التى أخرجناك) أى الذين أخرجوك من بين أظهرهم وقال ابن أبى حاتم ذكر أبى عن محمد بن عبد الأعلى عن المنصور ابن سليمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من مكة إلى التمار وأثاء فالتفت إلى مكة وقال « أنت أحب بلاد الله إلى الله ، وأنت أحب بلاد الله إلى ، ولو لا أن المشركين أخرجوني لم أخرج منك » فأعدى الأعداء من عدا على الله تعالى فى حرمه ، أو قتل غير قتله ، أو قتل بذحول الجاهلية فأنزل الله تعالى على نبيه ﷺ (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجناك أهلكتناهم فلا ناصر لهم)

﴿ أَقَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُنَّ لَهُ سُوهُ عَدُوًّا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٌ لِلشَّيْبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَغُفِرَ لَهُمْ ذُنُوبُهُمْ كَمَن شَرَّ فِي النَّارِ وَسَقُوا مَاءً حَمِيمًا ﴾

فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ

يقول تعالى (أفمن كان على بينة من ربه) أى على بصيرة و يقين فى أمر الله ودينه بما أنزل الله فى كتابه من الهدى والعلم و بما جيله الله عليه من الفطرة المستقيمة (كمن زين له سوء عمله و اتبعوا أهواءهم ؟) أى ليس هذا كهذا كقوله تعالى (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ؟) و كقوله تعالى (لا يستوى أصحاب النار و أصحاب الجنة ، أصحاب الجنة هم الفائزون) ثم قال عز وجل (مثل الجنة التى وعد المتقون) قال عكرمة (مثل الجنة) أى نعمتها (فيها أنهار من ماء غير آسن) قال ابن عباس رضى الله عنهما و الحسن و قتادة يعنى غير متغير و قال قتادة و الضحاك و عطاء الخراسانى غير متأن و العرب تقول أسن الماء إذا تغير ريحه ، و فى حديث مرفوع أورده ابن أبى حاتم غير آسن يعنى الصافى الذى لا كدر فيه و قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال : قال عبد الله رضى الله عنه : أنهار الجنة تفجر من جبل من مسك (و أنهار من لبن لم يتغير طعمه) أى بل فى غاية البياض و الحلاوة و الدسومة و فى حديث مرفوع « لم يخرج من ضروع الماشية » (و أنهار من خمر لذة للشاربين) أى ليست كريمة الطعم و الرائحة كخمر الدنيا بل حسنة المنظر و الطعم و الرائحة و النمل (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) (بياض لذة للشاربين) و فى حديث مرفوع « لم يعصرها الرجال بأقدامهم » (و أنهار من عسل مصفى) أى وهو فى غاية الصفاء و حسن اللون و الطعم و الريح و فى حديث مرفوع « لم يخرج من بطون النحل » و قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « فى الجنة بحر اللبن و بحر الماء و بحر العسل و بحر الخمر ثم تشقق الأنهار منها بعد » و رواه الترمذى فى صفة الجنة عن محمد بن يسار عن يزيد بن هارون عن سعيد بن أبى إلياس الجريري و قال حسن صحيح و قال أبو بكر بن مردويه حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحارث بن عبيد أبو قدامة الايدى حدثنا أبو عمران الجوني عن أبى بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذه الأنهار تشعب من جنة عدن فى جوبة ثم تصدع بعد أنهارا » و فى الصحيح « إذا سألت الله تعالى فاسأله الفردوس فانه أوسط الجنة و أعلى الجنة و منه تفجر أنهار الجنة و فوقه عرش الرحمن » . و قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة المزيرى و عبد الله بن الصفر السكرى قالا حدثنا إبراهيم بن النضر الخزائى حدثنا عبد الرحمن بن المنيرة حدثنا عبد الرحمن بن عياش عن دهم بن الأسود قال دهم و حديثه أيضا أبو الأسود عن عاصم بن لقيط قال إن لقيط بن عامر خرج و اتفدأ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله فعلى ما نطلع من الجنة ؟ قال صلى الله عليه وسلم « على أنهار عسل مصفى ، و أنهار من خمر ما بها صداع و لاندامة ، و أنهار من لبن لم يتغير طعمه ، و ماء غير آسن ، و فاكهة لعمركم ما تهابون و خير من مثله ، و أزواج مطهرة » قالت يا رسول الله أولنا فيها أزواج مصلاحة ؟ قال « الصالحات للصالحين تلذونهن مثل لذاتكم فى الدنيا و يلدونكم ، غير أن لا توالد » و قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيد عن يزيد بن هارون أخبرنى الجريري عن معاوية بن قرة عن أبيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : لعلمكم تظنون أن أنهار الجنة تجرى فى أخذود فى الأرض والله إنها لتجرى سائحة على وجه الأرض حافاتها قباب اللاؤلؤ و طينها المسك الأذفر . و قد رواه أبو بكر ابن مردويه من حديث مهدي بن حكيم عن يزيد بن هارون به مرفوعا . و قوله تعالى (ولهم فيها من كل الثمرات) كقوله عز وجل (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) و قوله تبارك و تعالى (فيهما من كل فاكهة زوجان) و قوله سبحانه و تعالى (و مغفرة من ربهم) أى مع ذلك كله . و قوله سبحانه و تعالى (كمن هو خال فى النار) أى هؤلاء الذين ذكرنا منازلهم من الجنة كمن هو خال فى النار ؟ ليس هؤلاء كهؤلاء ، و ليس من هو فى الدرجات كمن هو فى الدرجات (و مستقواما جميعا) أى حاررا شديدا لا يستطاع (ففقطع أمعاءهم) أى فقطع ما فى بطونهم من الأمعاء و الأحشاء . عياذ بالله تعالى من ذلك .

إبليس قال إنما هلكت الناس بالنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون» وفي الأثر المروي « قال إبليس وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » والأحاديث في فضل الاستغفار كثيرة جدا وقوله تبارك وتعالى (والله يعلم مقبلكم ومثواكم) أى يعلم تصرفكم في نهركم ومستقركم في ليلكم كقوله تبارك وتعالى (وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار) وقوله سبحانه وتعالى (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين) وهذا القول ذهب إليه ابن جريج وهو اختيار ابن جرير ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما متقبلكم فى الدنيا ومثواكم فى الآخرة ، وقال السدى متقبلكم فى الدنيا ومثواكم فى قبوركم ، والأول أولى وأظهر والله أعلم .

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ قَالُوا صدقوا الله لكان خيرا لهم * فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعشى أبصارهم ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين أنهم تمنوا شرعية الجهاد فلما فرضه الله عز وجل وأمر به نكل عنه كثير من الناس كقوله تبارك وتعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لما كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون شيئا) وقال عز وجل ههنا (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) أى مشتملة على حكم القتال ولهذا قال (فإذا نزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت) أى من فرعهم ورعهم وجنهم من لقاء الأعداء ، ثم قال مشجعا لهم (فأولى لهم طاعة وقول معروف) أى وكان الأولى بهم أن يسموا ويظهروا أى فى الحالة الراهنة (فإذا عزم الأمر) أى جد الحال ، وحضر القتال (فلو صدقوا الله) أى أخلصوا له النية (لكان خيرا لهم) وقوله سبحانه وتعالى (فهل عسيتم إن توليتم) أى عن الجهاد ونكالتهم عنه (أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ؟) أى تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجاهلاء تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام ولهذا قال تعالى (أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعشى أبصارهم) وهذا نهى عن الفساد فى الأرض وعموما وعن قطع الأرحام خصوصا بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح فى الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب فى المال والأعمال وبذل الأموال ، وقد وردت الأحاديث الصالح والحسان بذلك عن رسول الله ﷺ من طرق عديدة ووجوه كثيرة ، قال البخارى حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن معاوية بن أبى مزرع عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خافى الله تعالى الخافى فلهذا فرغ منه قامت الرحم فأخذت بهتوى الرحمن عز وجل فقال له فقالت هذا مقام السائد بك من الطليعة فقال تعالى : ألا ترين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى قال فذلك لك » قال أبو هريرة رضى الله عنه اقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) ثم رواه البخارى من طريقين آخرين عن معاوية بن أبى مزرع به قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرءوا إن شئتم (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) » . ورواه مسلم من حديث معاوية بن أبى مزرع به

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا عبيدة بن عبد الرحمن بن جوشن عن أبيه عن أبى بكره رضى

عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن ذئب أخرى أن يجعل الله تعالى عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغى وقطيعة الرحم » ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث إسماعيل هو ابن علي به وقال الترمذي هذا حديث صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد اللرائي حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من سره النساء في الأجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه » تفرد به أحمد وله شاهد في الصحيح . وقال أحمد أيضا حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن لى ذوى أرحام : أصل ويقطعون وأعدو ويظلمون وأحسن ويسئون أفأكفهم ؟ قال ﷺ « لا ، إذن تتركون جميعا ولكن جد بالفضل وصلهم فانه لن يزال معك ظهير من الله عز وجل ما كنت على ذلك » تفرد به أحمد من هذا الوجه وله شاهد من وجه آخر . وقال الإمام أحمد حدثنا يعلى حدثنا معمر عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « إن الرحم معلقة بالعرش وليس الواصل بالمكافى ولو كن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها » رواه البخارى . وقال أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا قتادة عن أبي ثمامة الثقفى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « توضع الرحم يوم القيامة لها حجة كحجة الغزل تسلكهم بالسان طاق ذاق فتقطع من قطعها وتصل من وصلها » وقال الإمام أحمد حدثنا صفيان حدثنا عمرو عن أبي قابوس عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما يبايع به النبى ﷺ قال « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا أهل الأرض يرحمكم أهل السماء والرحم شجرة من الرحمن من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » وقد رواه أبو داود والترمذي من حديث صفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار به وهذا هو الذى يروى بتسلسل الأولوية وقال الترمذي : حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا هشام الدستوائى عن يحيى بن أبي كثير عن إبراهيم بن عبد الله بن فارس أن أباه حدثه أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وهو مريض فقال له عبد الرحمن رضى الله عنه وصلتك رحم إن رسول الله ﷺ قال « قال الله عز وجل أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن يقطعها أقطعه فأبته - أو قال - من أبها أبته » تفرد به أحمد من هذا الوجه ، ورواه أحمد أيضا من حديث الزهري عن أبي سلمة عن الرداد - أو أبي الرداد - عن عبد الرحمن بن عوف به ، ورواه أبو داود والترمذي من رواية أبي سلمة عن أبيه ، والأحاديث في هذا كثيرة جداً . وقال الظهيرانى حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الوصلى حدثنا عيسى بن يونس عن الحجاج بن يونس عن الحجاج بن الفرافصة عن أنى عمر البصرى عن سليمان قال : قال رسول الله ﷺ : « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وبه قال رسول الله ﷺ « إذا ظهر القول وخرن العمل واثافت الألسنة وتباغضت القلوب وقطع كل ذى رحم رحمه فعند ذلك لعنهم الله وأصمهم وأعمى أبصارهم » والأحاديث في هذا كثيرة والله أعلم .

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْآثِرُونَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ إِنَّ الَّذِينَ أُرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشُّبُهَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَى لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَسَكَّيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَكُةُ يَصْرِيحُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿

يقول تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهيمه ونهاها عن الإعراض عنه فقال (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)

أى بل على قلوب أقفالها فهي مطبقة لا يخلص اليها شيء من معانيه قال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا حماد بن زيد حدثنا هشام بن عروة عن أبيه رضى الله عنه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) فقال شاب من أهل اليمن بل عليها أقفالها حتى يكون الله تعالى يفتحها أو يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر رضى الله عنه حتى ولى فاستعان به . ثم قال تعالى (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى) أى فارقوا الإيمان ورجعوا إلى الكفر (من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم) أى زين لهم ذلك وحسنه (وأملى لهم) أى غرهم وخدعهم (ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الأمر) أى مالؤوهم وناصحوهم فى الباطن على الباطل وهذا شأن المنافقين يظهرون خلاف ما يظنون ولهذا قال الله عز وجل (والله يعلم إسرارهم) أى ما يسرون وما يخفون ، الله مطلع عليه وعالم به كقوله تبارك وتعالى (والله يكتب ما يبيتون) . ثم قال تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) أى كيف حالهم إذا جاءتهم الملائكة لقبض أرواحهم وتعاصت الأرواح فى أجسادهم واستخرجتها الملائكة بالنفث والقهر والضرب كما قال سبحانه وتعالى (ولوترى إذ يوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) الآية وقال تعالى (ولوترى إذا الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم) أى بالضرب (أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون) ولهذا قال ههنا (ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم)

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ * وَلَنَبَاوَنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَاؤُكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴾

يقول تعالى (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ؟) أى أيعتقد المنافقون أن الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين بل سيوضح أمرهم ويجليه حتى يفهمهم ذوو البصائر وقد أنزل الله تعالى فى ذلك سورة براءة فيبين فيها قضائهم وما يتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم ولهذا كانت تسمى القاضحة . والأضغان جمع ضغن وهو مافى النفوس من الحسد والحقد والسلام وأهله والتأمنين بنصره ، وقوله تعالى (ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم) يقول عز وجل ولو نشاء يا محمد لأريناك أشخاصهم فعرقتهم عيانا ولكن لم يفعل تعالى ذلك فى جميع المنافقين سترأ منه على خلقه وسحلا للأموار على ظاهر السلامة وردا للسرائر إلى عالمها (ولتعرفنهم فى لحن القول) أى فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم يفهم التكلم من أى الحزبين هو بمعنى كلامه وفحواه وهو المراد من لحن القول كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه : ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه . وفى الحديث « ما أسر أحد سريرة إلا كساه الله تعالى جلبابها إن خيرا فخير وإن شرا فشر » وقد ذكرنا ما يستدل به على نفاق الرجل وتكلمنا على نفاق العمل والاعتقاد فى أول شرح البخارى بما أغنى عن إعادته ههنا . وقد ورد فى الحديث تعيين جماعة من المنافقين . قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا مكيان عن مسامة بن عياض عن أبيه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ خطبة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « إن منكم منافقين فمن سميت فليقم - ثم قال - قم يا فلان ، قم يا فلان - حتى سمى ستة وثلاثين رجلا ثم قال - إزفكم أوممكم - منافقين فاتقوا الله » قال فر عمر رضى الله عنه برجل ممن سمى مقنع فذكر أن يعرفه فقال مالك ؟ فحدثه بما قال رسول الله ﷺ فقال بعد ذلك سائر اليوم . وقوله عز وجل (ولنبأونكم) أى لنختبرنكم بالأوامر والنواهي (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبأونكم) وليس فى تقدم علم الله تعالى بما هو كائن أنه سيكون شك ولا ريب فالمراد حتى نعلم وقوعه ولهذا يقول ابن عباس رضى الله عنهما فى مثل هذا : إلا نعلم أى لرى .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُجْطَلُ أَعْمَالُهُمْ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَإِنَّ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ * فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿

يخبر تعالى عن كفر وصد عن سبيل الله وخالف الرسول وشاقه وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى أنه لن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه ويغيرها يوم معادها وسيجطل الله عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه برده مثقال بعوضة من خير بل يجطله ويعقه بالسلبية كما أن الحسنات يذهبن السيئات . وقد قال الإمام أحمد بن نسر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا أبو قدامة حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه لا يضر مع لا إله إلا الله ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فخافوا أن يبطل الذنب العمل ، ثم روى من طريق عبد الله بن المبارك أخبرني بكر بن معروف عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أنه ليس شيء من الحسنات إلا مقبول حتى نزلت (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) فقلنا ما هذا الذي يبطل الذي أعملنا ؟ قلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل قوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فلما نزلت كففتنا عن القول في ذلك فكنا نخاف على من أصاب الكبائر والفواحش ونرجوا لمن لم يصعبها : ثم أمر تبارك وتعالى عباده المؤمنين بطاعته وطلاعه رسول الله صلى الله عليه وسلم سعادتهم في الدنيا والآخرة ونهاهم عن الارتداد الذي هو مبطل للأعمال ولهذا قال تعالى (ولا تبطلوا أعمالكم) أي بالردة ، ولهذا قال بعدها (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ما تواؤمهم كفار فإني يغفر الله لهم) كقوله سبحانه وتعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية ثم قال جل وعلا لعباده المؤمنين (فلا تهنوا) أي لاتضعفوا عن الأعداء (وتدعوا إلى السلم) أي للهادنة والسلامة ووضع القتال بينكم وبين الكفار في حال قوتكم وكثرة عددكم وعددكم ولهذا قال (فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون) أي في حال علوكم على عدوكم فأما إذا كان الكفار فيهم قوة وكثرة بالنسبة إلى جميع المسلمين ورأى الإمام في الهادنة والمعامدة مصلحة فله أن يفعل ذلك كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلبه كفار قريش عن مكة ودعوه إلى الصلح ووضع الحرب بينهم وبينه عشر سنين فأجابهم صلى الله عليه وسلم إلى ذلك . وقوله جلت عظمتة (والله معكم) فيه بشارة عظيمة بالنصر والظفر على الأعداء (ولن يترككم أعمالكم) أي ولن يعجزها ويبطلها ويبطلكم بإها بل يوفىكم ثوابها ولا ينقصكم منها شيئا والله أعلم

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَالَكُمْ * إِنْ يَسْأَلْكُمْ مَوَالُهَا فَيُحْفَظْكُمْ تَحْذَرُوا وَيُخْرِجْ أَضْعَافَكُمْ * مَا أَنْتُمْ بِمُعْذِرينَ لِنَفْسِكُمْ أَنْ تَقُولُوا لِنَبِيِّ اللَّهِ فَنَسَبَكُمْ مَنْ يَبْغِزُ وَمَنْ يَبْغِزْ فَإِنَّمَا يَبْغِزُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَقُولُوا نَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾

يقول تعالى تحذيرا لأمر الدنيا وتهوينا لشأنها (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) أي ساهوا ذلك إلا ما كان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى (وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أه والكم) أي عوفي عنكم لا يطالب منكم

شيئا وإنما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساة لا خوانكم الفقراء ليعود نفع ذلك عليكم . ويرجع ثوابه إليكم ثم قال جل جلاله (إن يسألكموها فيحلفكم بئخاوا) أى يخرجكم بئخاوا (ويخرج أضغانكم) قال قتادة . قد علم الله تعالى أن في إخراج الأموال إخراج الأضغان وصدق قتادة فإن المال محبوب ولا يصرف إلا فيما هو أحب إلى الشخص منه . وقوله تعالى (ها أتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فنكم من يبخل) أى لا يجيب إلى ذلك (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) أى إنما نقص نفسه من الأجر وإنما يعود وبال ذلك عليه (والله الغنى) أى عن كل ماسواه وكل شيء فقير إليه دائما ، ولهذا قال تعالى (وأنتم الفقراء) أى بالذات إليه ، فوصفه بالغنى وصف لازم له ، ووصف الخفاق بالفقر وصف لازم لهم لا ينفكون عنه . وقوله تعالى (وإن تتوالوا) أى عن طاعته واتباع شرعه (يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) أى ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره . وقال ابن أبي حاتم وابن جرير حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب أخبرني مسلم بن خالد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وإن تتوالوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدل بنا ثم لا يكونوا أمثالنا ؟ قال فضرب بيده على كتف سلمان الفارسي رضى الله عنه ثم قال « هذا وقومه ولو كان الدين عندنا لالتناوله رجال من الفرس » تفرد به مسلم بن خالد الزنجي ورواه عنه غير واحد وقد تكلم فيه بعض الأئمة رحمة الله عليهم والله أعلم . آخر تفسير سورة القتال والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الفتح وهي مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا شعبة عن معاوية بن قررة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح في مسيره سورة الفتح على راحلته فرجع فيها قال معاوية لولا أنى أكره أن يجمع الناس علينا لحكيت قراءته ، أخرجاه من حديث شعبة به .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا * لِيَفْهَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ * وَتُحْمَ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾

نزلت هذه السورة السكرية لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذى القعدة من سنة ست من الهجرة حين صده المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام فيقضى عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة وأن يرجع عامه هذا ثم يأتى من قابل فأجابهم إلى ذلك على تكراه من جماعة من الصحابة منهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه كما سيأتى تفصيله في موضعه من تفسير هذه السورة إن شاء الله تعالى ، فلما نحر هديه حيث أحصر ورجع أنزل الله عز وجل هذه السورة فيما كان من أمره وأمرهم وجعل ذلك الصالح فتحاً باعتبار ما فيه من المصلحة وما آل الأمر إليه كما روى ابن مسعود رضى الله عنه وغيره أنه قال : إنكم تعدون الفتح فتح مكة ونحن نعد الفتح صلح الحديبية ، وقال الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضى الله عنه قال : ما كنا نعد الفتح إلا يوم الحديبية وقال البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضى الله عنه قال : تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحاً ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة مائة والحديبية بئر فتزحناها فلم تترك فيها قطرة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاها فجلس على شفيرها ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صب فيها فتركناها غير بعيد ثم إنهما أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبننا . وقال الإمام أحمد حدثنا نوح حدثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قال فسأله عن شيء ثلاث مرات فلم يرد على ، قال فقامت في نفسى شككتك أمك يا ابن الخطاب ألححت كررت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فلم يرد عليك ؟

قال فركت راحتي فحركت بعيري فتقدمت محافة أن يكون نزل في شيء قال فإذا أنا بمناد يا عمر قال فرجعت وأناظن أنه نزل في شيء قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم « نزل على البارحة سورة هي أحب إلى من الدنيا وما فيها : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) » ورواه البخاري والترمذي والنسائي من طرق عن مالك رحمه الله ، وقال علي بن المديني هذا إسناد مدني جيد لم نجده إلا عندهم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نزلت على النبي ﷺ (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) مرجعه من الحديث قال النبي ﷺ « لقد أنزلت على الليلة آية أحب إلى مما على الأرض » ثم قرأها عليهم النبي ﷺ فقالوا هنيئا مريئا يا نبي الله بين الله عز وجل ما يفعل بك فإذا يفعل بنا ؟ فنزلت عليه صلى الله عليه وسلم (ليدخل المؤمن والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار -- حتى باغ -- فوزا عظيما) أخرجاه في الصحيحين من رواية قتادة به . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا مجمع بن يعقوب قال سمعت أبي يحدث عن عمه عبد الرحمن بن زيد الأنصاري عن عمه مجمع بن حارثة الأنصاري رضي الله عنه وكان أحد القراء الذين قرأوا القرآن قال شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفرون الأباقر فقال الناس بعضهم لبعض : ما لئناس ؟ قالوا أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجنا مع الناس نوجف فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته عند كراع النعم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم (إنا فتحنا لك فتحا مبين) قال : فقال رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رسول الله أو فتح هو ؟ قال ﷺ « إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح » قسمت خير على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله ﷺ ثمانية عشر سهما وكان الجيش ألفا وخمسمائة منهم ثلثمائة فارس فأعطى الفارس سهما وأعطى الرجل سهما ورواه أبو داود في الجهاد عن محمد بن عيسى عن مجمع بن يعقوب به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيغ حدثنا أبو يحيى حدثنا شعبة حدثنا جامع بن شداد عن عبيد الرحمن بن أبي علقمة قال سمعت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول : لما أقبلنا من الحديبية عرشنا فمنا فلم نستيقظ إلا والشمس قد طاعت فاستيقظنا ورسول الله ﷺ نائم قال : فقلنا أيقظوه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « افعلوا ما كنتم تفعلون وكذلك يفعل من نام أو نسي » قال وفقدنا ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلبناها فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة فأتيته بها فركبها فبينما نحن نسير إذ أتاه الوحي قال وكان إذا أتاه الوحي اشتد عليه فلما سرى عنه أخبرنا أنه أنزل عليه (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) وقد رواه أحمد وأبو دواد والنسائي من غير وجه عن جامع بن شداد به وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن زياد بن علاقة قال سمعت المغيرة بن شعبة يقول : كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلى حتى ترم قدماه فقيل له أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ « أفلا أكون عبدا شكورا ؟ » أخرجاه وبقية الجماعة إلا أبا داود من حديث زياد به وقال الإمام أحمد حدثنا هارون بن معروف حدثنا ابن وهب حدثني أبو صخر عن ابن قسيط عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ إذا صلى قام حتى تتفطر رجلاه فقالت له عائشة رضي الله عنها يا رسول الله أتضع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال ﷺ « يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا » أخرجه مسلم في الصحيح من رواية عبد الله بن وهب به وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا عبد الله بن عون الحارثي وكان ثقة بمكة حدثنا محمد بن بشر حدثنا مسعر عن قتادة عن أنس قال : قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه -- أو قال ساقاه -- فقيل له أليس الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال « أفلا أكون عبدا شكورا » غريب من هذا الوجه فقوله (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) أي بينا ظاهراً والراد به صالح الحديبية فإنه حصل بسببه خير جزيل ، وآمن الناس واجتمع بعضهم ببعض ، وتكلم المؤمن مع الكافر واتتسم العلم النافع والإيمان وقوله تعالى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) هذا من صفاته التي لا يشاركه فيها غيره وليس في حديث صحيح في ثواب

الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا فيه تشریف عظيم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم يثلها بشر سواه لا من الأولين ولا من الآخرين وهو صلى الله عليه وسلم أكمل البشر على الإطلاق وسيدهم في الدنيا والآخرة ، ولما كان أطوع خلق الله تعالى وأشدهم تعظيماً لأوامره ونواهيه قال حين بركت به الناقة حبسها حابس الفيل ثم قال ﷺ « والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم شيئاً يعظمون به حرمت الله إلا أجبتهم إليها » فلما أطاع الله في ذلك وأجاب إلى الصالح قال الله تعالى له (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك) أي في الدنيا والآخرة (ويهديك صراطاً مستقيماً) أي بما يشربه لك من الشرع العظيم والدين القويم (وينصرك الله نصراً عزيزاً) أي بسبب خضوعك لأمر الله عز وجل يرفعك الله وينصرك على أعدائك كما جاء في الحديث الصحيح « وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله عز وجل إلا رفعه الله تعالى » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ما عاقبت أحداً عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تبارك وتعالى فيه

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ * لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا * وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿

يقول تعالى (هو الذي أنزل السكينة) أي جعل الطمأنينة قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعنه الرحمة ، وقال قتادة الوقار في قلوب المؤمنين وهم الصحابة رضي الله عنهم يوم الحديبية الذين استجابوا لله ورسوله واتقادوا لحكم الله ورسوله فلما اطمأنت قلوبهم بذلك واستقرت زادهم إيماناً مع إيمانهم ؛ وقد استدل بهما البخاري وغيره من الأئمة على تفاضل الإيمان في القلوب ثم ذكر تعالى أنه لو شاء لاتصغر من الكافرين فقال سبحانه وتعالى (ولله جنود السموات والأرض) أي ولو أرسل عليهم ملكاً واحداً لأباد خضراءهم ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة والبراهين الدامنة ولهذا قال جل جلالته (وكان الله عليماً حكيماً) ثم قال عز وجل (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) قد تقدم حديث أنس رضي الله عنه حين قالوا هنيئاً لك يا رسول الله هذا لك فما لنا ؟ فأُنزل الله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي ما كثر فيها أبداً (ويكفر عنهم سيئاتهم) أي خطاياهم وذنوبهم فلا يعاقبهم عليها بل يعفو ويصفح ويغفر ويستر ويرحم ويشكر (وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً) كقوله جل وعلا (فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) الآية . وقوله تعالى (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظالمين بالله ظن السوء) أي يتهمون الله تعالى في حكمه ويطنون بالرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ولهذا قال تعالى (عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم) أي أبعدهم من رحمته (وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً) ثم قال عز وجل مؤكداً لقدرة على الانتقام من الأعداء أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيماً)

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ * لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَئِنْ زُرُّوهُ تَوْفَّرُوهُ وَتَسْبِّحُوهُ بُكْرَةً

وَأُصِيلًا * إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَسَكَتْ فَإِنَّمَا يَنْسَكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٨٥﴾

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (إنا أرسلناك شاهداً) أى على الخلق (ومبشراً) أى للمؤمنين (ونذيراً) أى للكافرين وقد تقدم تفسيرها في سورة الأحزاب (اتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغير واحد تعظموه (وتوقروه) من التوقير وهو الاحترام والالجال والاعظام (وتسبحوه) أى تسبحون الله (بكرة وأصيلًا) أى أول النهار وآخره . ثم قال عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم تشريفاته وتعظيمه وتكرمه (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) كقوله جل وعلا (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (يد الله فوق أيديهم) أى هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم فهو تعالى هو المبايع بواسطة رسول الله ﷺ كقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والفرقان ومن أوفى بعهده فاستبشروا ببيعكم الذى باعتم به وذلك هو الفوز العظيم)

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا الفضل بن يحيى الانبارى حدثنا علي بن بكار عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من سئل سيفه في سبيل الله فقد بايع الله » وحدثنا أبي حدثنا يحيى بن النفير أخبرنا جرير عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ في الحاجر « والله ليمثله الله عز وجل يوم القيامة له عتبان ينقلز بهما وإنسان ينطق به ويشهد على من استلمه بالحق فمن استلمه فقد بايع الله تعالى » ثم قرأ رسول الله ﷺ (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) ولهذا قال تعالى ههنا (فمن نسكت فإنما ينسكت على نفسه) أى إنما يسود وبالذات على الناكث والله غنى عنه (ومن أوفى بما عاهد عليه الله فمِثْقَلُ ذَرَّةٍ مِنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) أى ثوابا جزيلًا وهذه البيعة هي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة سمر بالحديبية وكان الصحابة رضى الله عنهم الذين بايعوا رسول الله ﷺ يومئذ قليل ألفا وثمانمائة ، وقيل وأربعمائة وقيل وخمسمائة والأوسط أصح

﴿ ذكر الأحاديث الواردة في ذلك ﴾

قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن عمرو عن جابر رضى الله عنه قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وأخرجاه أيضا من حديث الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضى الله عنه قال : كنا يومئذ ألفا وأربعمائة ووضع يده في ذلك لئلا يجعل الماء ينبع من بين أصابعه حتى رويوا كلهم وهذا مختصر من سياق آخر حين ذكر قصة عطيشتهم يوم الحديبية وأن رسول الله ﷺ أعطاهم سبعا من كنانته فوضموه في بش الحديبية فجاشت بالماء حتى كفتهم فقيل لجابر رضى الله عنه كم كنتم يومئذ ؟ قال : كنا ألفا وأربعمائة ولو كنا مائة ألف ، لكفانا ، وفي رواية في الصحيحين عن جابر رضى الله عنه أنهم كانوا خمس عشرة مائة

وروى البخارى من حديث قتادة قلت لسعيد بن المسيب كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان ؟ قال : خمس عشرة مائة ، قلت فإن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال كانوا أربع عشرة مائة قال رحمه الله : وهم ، هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مائة . قال البيهقي هذه الرواية تدل على أنه كان في القديم يقول خمس عشرة مائة ثم ذكر الوهم فقال أربع عشرة مائة وروى العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم كانوا ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين والمشهور الذى رواه عنه غير واحد أربع عشرة مائة وهذا هو الذى رواه البيهقي عن الحاكم عن الأصم عن العباس الدورى عن يحيى بن معين عن شيبان بن سوار عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : كنا مع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ألفا وأربعمائة ، وكذلك هو الذى في رواية سلمة بن الأكوع ومثقل بن يسار والبراء بن عازب رضى الله عنهم

وبه يقول غير واحد من أصحاب الغازي والسير ، وقد أخرج صاحبها الصحيح من حديث شعبة عن عمرو بن مرة قال : سمعت عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه يقول كان أصحاب الشجرة ألقا وأربعائة وكانت أسلم يومئذ ثمن المهاجرين وروى محمد بن إسحاق في السيرة عن الزهري عن عروة بن الزبير عن السور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه الهدى سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل كل بدنة عن عشرة نفر وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فيما بلغني عنه يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة . كنا قال ابن إسحاق وهو معدود من أوهامه فان الحفوف في الصحيحين أنهم كانوا بضع عشرة مائة كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

ذكر سبب هذه البيعة العظيمة

فلما خرج رسول الله ﷺ من مكة في السيرة ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليمثله إلى مكة ليراع عنه أشراف قريش فاجاءه فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس بمكة من بني عدى بن كعب من يذموني وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغاظي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه نعمته إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظم الحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة فالتقى أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فجمله بين يديه ثم أجازه حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم إن شئت أن نطوف بالبيت فطفت فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ واحتمسته فريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ وللأسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قتل قال ابن إسحاق فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : « لا تبرح حتى تناجز القوم » ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فكان الناس يقولون ببيعة رسول الله ﷺ على الموت وكان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر فبايع الناس ولم يتأخف أحد من المسلمين حضرها إلا الجند بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول والله لسكأني أنظر إليه لاصقا بابط ناقته قد صبا إليها يستتر بها من الناس ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل ، وذكر ابن أبي عمير عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قريبا من هذا السياق وزاد في سياقه أن قريشا بمثوا وعندهم عثمان رضي الله عنه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص إلى رسول الله ﷺ فبينما هم عندهم إذ وقع كلام بين بعض المسلمين وبعض المشركين وتراموا بالنبل والحجارة وصاح الفريقان كلاما وارتمى كل من الفريقين من عنده من الرمل ونادى نادى منادى رسول الله ﷺ ألا إن روح القدس قد نزل على رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وأمر بالبيعة فاخرجوا على اسم الله تعالى فبايعوا فسار المسلمون إلى رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وهو تحت الشجرة فبايعوه على أن لا يفروا أبدا فأرعب ذلك المشركين وأرسلوا من كان عندهم من المسلمين ودعوا إلى الوادعة والصالح وقال الحافظ أبو بكر البهقي أخبرنا علي بن أحمد ابن عبيد أن أخبرنا أحمد بن عبيد الغفار حدثنا هشام حدثنا الحسن بن بشير حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما أمر رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة فبايع الناس فقال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم : « اللهم إن عثمان في حاجة الله تعالى وحاجة رسوله » فغضب بإحدى يديه على الأخرى فكانت يد رسول الله ﷺ لثمان رضي الله عنه خيرا من أيديهم لأنفسهم . قال ابن هشام : حدثني من أتق به عن محمد بن إسحاق أنه سأل عن ابن

عمر رضى الله عنهما قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمان رضى الله عنه فضرب باحدى يديه على الأخرى وقال عبد الملك بن هشام النحوى فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالده عن الشعبي قال : إن أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان أبو سنان الأسدى ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا سفيان حدثنا ابن أبي خالده عن الشعبي قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة كان أول من انتهى إليه أبو سنان الأسدى فقال أبسط يدك أبايعك فقال النبي ﷺ « علام تباعى ؟ » فقال أبو سنان رضى الله عنه على ما فى نفسك ، هذا أبو سنان بن وهب الأسدى رضى الله عنه . وقال البخارى حدثنا شجاع بن الوليد أنه سمع النضر ابن محمد يقول حدثنا صفير بن الربيع عن نافع رضى الله عنه قال إن الناس يتحدثون أن ابن عمر رضى الله عنهما أسلم قبل عمر وليس كذلك ولكن عمر رضى الله عنه يوم الحديبية أرسل عبد الله إلى فرس له ، عند رجل من الأنصار أن يأتى به ليقاتل عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع عند الشجرة وعمر رضى الله عنه لا يدرى بذلك فبايعه عبد الله رضى الله عنه ثم ذهب إلى الفرس فجاء به إلى عمر رضى الله عنه وعمر رضى الله عنه يستأمن لاقاتل فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة فانطلق فذهب معه حتى بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى التى يتحدث الناس أن ابن عمر أسلم قبل عمر رضى الله عنهما . ثم قال البخارى وقال هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عمرو بن محمد العمري أخبرني نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن الناس كانوا مع رسول الله ﷺ قد تفرقوا فى ظلال الشجر فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعنى عمر رضى الله عنه يا عبد الله انظر ماشأنا الناس قد أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدنهم يبايعون فبايع ثم رجع إلى عمر رضى الله عنه فخرج فبايع . وقد أسنده البيهقي عن أبي عمرو الأديب . عن أبي بكر الإسماعيلي عن الحسن بن سفيان عن دحيم حدثني الوليد بن مسلم فذكره ، وقال الألبان عن أبي الزبير عن جابر رضى الله عنه قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فبايعناه وعمر رضى الله عنه أخذ بيده تحت الشجرة وهى صخرة وقال بامعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت . رواه مسلم عن قتبية عنه . وروى مسلم عن يحيى عن يزيد بن زريع عن خالد عن الحكم بن عبد الله الأعرج عن معقل بن يسار رضى الله عنه قال . لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وأنا رافع غصنا من أغصانها على رأسه ونحن أربع عشرة مائة قال ولم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر . وقال البخارى حدثنا المسكى بن إبراهيم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال يزيد قلت يا أبا مسلمة على أى شيء كنتم تباعون يومئذ ؟ قال على الموت وقال البخارى أيضا حدثنا أبو عاصم حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة رضى الله عنه قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ثم تنجيت فقال صلى الله عليه وسلم « يا سلمة ألا تباعى ؟ » قلت قد بايعت ، قال ﷺ « أقبل فبايع » فدنوت فبأيعته ، قلت علام بايعته يا مسلمة ؟ قال على الموت . وأخرجه مسلم من وجه آخر عن يزيد بن أبي عبيد ، وكذا روى البخارى عن عباد بن عويمر أنهم بايعوه على الموت . وقال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو الفضل بن إبراهيم حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عكرمة بن عمار الجاهلي عن إياس بن سلمة عن أبيه سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : قدمنا الحديبية مع رسول الله ﷺ ونحن أربع عشرة مائة وعليها خمسون شاة لا تروىها فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباهها يعنى الركي فاما دعا وإما بصق فيها فجاشت فسقينها واستقينا . قال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى البيعة فى أصل الشجرة فبايعته أول الناس ثم بايع وبايع حتى إذا كان فى وسط الناس قال صلى الله عليه وسلم « بايعى يا سلمة » قال قلت يا رسول الله قد بايعتكم فى أول الناس قال صلى الله عليه وسلم « وأيضا » قال ورآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عزلا فأعطاني حجفة أو درقة ثم بايع حتى إذا كان فى آخر الناس قال ﷺ « ألا تباعى يا سلمة ؟ » قال : قلت يا رسول الله قد بايعتكم فى أول الناس وأوسطهم ، قال صلى الله عليه وسلم « وأيضا » فبايعته الثالثة ،

فقال رسول الله ﷺ « يا سلة أين حجفتك أو درفتك التي أعطيتك ؟ » قال : قلت يا رسول الله لقيت عامر عزلا فأعطينتها إياه فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « إنك كالأدى قال الأول اللهم اغني حبيبا هو أحب إلي من نفسي » قال ثم إن المشركين من أهل مكة راسلونا في الصلح حتى مشى بعضنا في بعض فاضطلحنا قال وكنت خادما لطلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أسقى فرسه وأجنبه وآكل من طعامه وتركته أهلي ومالي مهاجرا إلى الله ورسوله ، فلما اضطلحنا نحن وأهل مكة واختلط بعضنا في بعض أتيت شجرة فكشحت شوكها ثم اضطلجعت في أصلها في ظلي فأتاني أربعة من مشركي أهل مكة فجعلوا يعمون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم ونحولت إلى شجرة أخرى فعاذوا سلاحهم واضطلجوا فيها ثم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادي يا أيها جرير قتل ابن زعيم فاخترطت سيفي فشدت على أولئك الأربعة وهم رفود فأخذت سلاحهم وجعلته ضعفا في يدي ثم قلت والذي كرم وجهه محمد ﷺ لا يرفع أحد منكم رأسه إلا ضربت الذي فيه عيناه ، قال ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ قال وجاء عمي عامر برجل من العبال يقال له مكرز من المشركين يقوده حتى وقفنا بهم على رسول الله ﷺ في سبعين من المشركين فنظر إليهم رسول الله ﷺ وقال « دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » فعفا عنهم رسول الله ﷺ وأنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية . وهكذا رواه مسلم عن إسحاق بن راهويه بسنده نحوه أو قريبا منه

وثبت في الصحيحين من حديث أبي عوانة عن طارق عن سعيد بن المسيب قال : كان أبي من تابع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فانطلقنا من قابل حاجين فخطى علينا مكانها فإن كان بينك لكم فأنتم أعلم ، وقال أبو بكر الحميدي حدثنا سفيان حدثنا أبو الزبير حدثنا جابر رضي الله عنه قال لما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة وجدنا رجلا منا يقال له الجند بن قيس غيبا تحت إبط بعيره ، رواه مسلم من حديث ابن جريج عن ابن الزبير به وقال الحميدي أيضا حدثنا سفيان عن عمرو أنه سمع جابرا رضي الله عنه قال كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنتم خير أهل الأرض اليوم » قال جابر رضي الله عنه . لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة ، قال سفيان إنهم اختلفوا في موضعها أخرجه من حديث سفيان ، وقال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا يدخل النار أحد من تابع تحت الشجرة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن هارون الفلاس المخرمي حدثنا سعيد بن عمرو الأشعري حدثنا محمد بن ثابت العبدي عن خدش بن عياش عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل من تابع تحت الشجرة كلهم الجنة إلا صاحب الجمل الأحمر » قال فانطلقنا نبتدئه فاذا رجل قد أضل بعيره فقلنا تعال فبايع قال أصيب بعيري أحب إلي من أن أبايع وقال عبد الله بن أحمد حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا قرة عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « من يسعد الثنية ثنية الرارفانه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل » فكان أول من يسعد خيل بني الخزرج ثم تسادر الناس بعد فقال النبي ﷺ « كلهم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر » فقلنا تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم فإذا هو رجل يشد ناله . رواه مسلم عن عبيد الله به وقال ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا رضي الله عنه يقول أخبرني أم بشر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضي الله عنها « لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد » قالت بلى يا رسول الله فاتهرها فقالت حفصة رضي الله عنها (وإن منكم إلا واردة) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد قال الله تعالى (ثم تجي الدين اتقوا ونذر الطالبين فيها شيئا) رواه مسلم ، وفيه أيضا عن قتادة عن الليث عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه قال : إن سبيد الطالبي بن أبي بلعة جاء يشكوا حاطبا فقال يا رسول الله لا يدخل النار حاطب النار فقال رسول الله ﷺ : « كذبت لا بد منها فانه قد شهد بدرا والحديبية » ولهذا قال تعالى في الثناء عليهم (إن الذين بايعوك إنما بايعون

الله ، يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) كما قال عز وجل في الآية الأخرى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأجابهم فتحا قريبا)

﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيَّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ أَنْ السَّوْءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا * وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا رسوله ﷺ بما يعتذر به المخلفون من الأعراب الذين اختاروا الغام في أهليهم وشغلهم وتركوا المسير مع رسول الله ﷺ فاعتذروا بشغلهم بذلك وسألوا أن يستغفر لهم الرسول ﷺ وذلك قول منهم لا على سبيل الاعتقاد بل على وجه النقيصة والمصانعة ولهذا قال تعالى (يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا) أى لا يقدر أحد أن يرد ما أراد الله فيكم تعالى وتقدس وهو العليم بسرائركم وضرائركم وإن صانتمونا وناقتمونا ولهذا قال تعالى (بل كان الله بما تعملون خبيرا) ثم قال تعالى (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) أى لم يكن تفانكم تخلف معذور ولا عاص بل تخلف نفاق (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدا) أى اعتقدتم أنهم يشتلون وتستأصل شأقتهم وتستبد خضرأؤهم ولا يرجع منهم مخير (وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا) أى مهلكى قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وغير واحد ، وقال قتادة فاسدين ، وقيل هى لغة عمان . ثم قال تعالى (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) أى من لم يخاض العمل فى الظاهر والباطن لله فان الله تعالى سيذهب فى السحر وإن أظهر للناس ما يعتقدون خلاف ما هو عليه فى نفس الأمر . ثم بين تعالى أنه الحاكم المالك للتصرف فى أهل السموات والأرض (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما) أى لمن تاب إليه وأتاب وخضع لديه

﴿ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِنَاخِذُهَاذِرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأعراب الذين تخافوا عن رسول الله ﷺ فى عمرة الحديبية إذ ذهب النبي ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم إلى خير يفتنونها أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى الغم وقد تهاونا عن وقت محاربة الأعداء ومجالستهم ومصابتهم فأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يأذن لهم فى ذلك معاقبة لهم من جنس ذنبهم فان الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خير وحدهم لا يشاركهم فيها غيرهم من الأعراب المنخلفين فلا يقع غير ذلك شرعا ولا قدرا ولهذا قال تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) قال مجاهد وقتادة وجوير وهو الوعد الذى وعده أهل الحديبية واختاره ابن جرير ، وقال ابن زيد هو قوله تعالى (فان رجعت الله إلى دلائفه منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا وان تقاتلوا معي عدوا إنكم رضىتم بالعهود أول مرة فاقعدوا مع الخائفين) وهذا الذى قاله ابن زيد فيه نظر لأن هذه الآية التى فى براءة نزلت فى غزوة تبوك وهى متأخرة عن عمرة

الحديثة وقال ابن جريج (يريدون أن يدلوا كلام الله) يعني بتبسيطهم السامعين عن الجهاد (قل لن تتبعونا كذلك
قال الله من قبل) أى وعد الله أهل الحديث قبل سؤالكم الخروج معهم (فسيقولون بل تحسدونا) أى أن تشركم
في الغنائم (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) أى ليس الأمر كما زعموا ولكن لا فهم لهم

(قُلْ لِّمُخَافَتِي مِنَ الْأَعْرَابِ مَنَدَعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأُسِّ شَدِيدٍ تَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسْلَمُونَ فَإِنْ أَطِيعُوا
يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ
وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَعَلَى الْمَرْبِضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَمَن يَتَوَلَّ يَُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا)

اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم الذين هم أولو بأس شديد على أقوال (أحدها) أنهم هوازن
رواه شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير أو عكرمة أو جميعا ورواه هشيم عن أبي بشر عنهما وبه يقول قتادة
في رواية عنه (الثاني) ثقيف قاله الضحاك (الثالث) بنو حنيفة قاله جوير ورواه محمد بن إسحاق عن الزهري
وروى مثله عن سعيد وعكرمة (الرابع) هم أهل فارس رواء على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما
وبه يقول عطاء ومجاهد وعكرمة في إحدى الروايات عنه وقال كعب الأجباز : هم الروم ، وعن ابن أبي ليلي وعطاء
والحسن وقاتدة : هم فارس والروم ، وعن مجاهد هم أهل الأوثان وعنه أيضا هم رجال أولو بأس شديد ولم يبين
فرقة وبه يقول ابن جريج وهو اختيار ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا الأئمة حديثنا عبد الرحمن بن إسحاق
الأنباري عن معمر بن الزهري في قوله تعالى (استدعون إلى قوم أولى بأس شديد) قال لم يأت أولئك بعدوحدثنا
أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفیان عن ابن أبي خالصة عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه في قوله تعالى (استدعون إلى
قوم أولى بأس شديد) قال هم البارزون . قال وحدثنا سفیان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى
الله عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقوم الساعة حتى تقتاتوا قوما صغار الأعين ذللت الأنوف كأن وجوههم للجحان المطرقة »
قال سفیان : هم الترك ، قال ابن أبي عمير وجدت في مكان آخر حدثنا ابن أبي خالصة عن أبيه قال نزل علينا أبو هريرة
رضي الله عنه فمضى قول رسول الله ﷺ « تقتاتوا قوما نعالهم الشعر » قال هم البارزون يعني الأكراد وقوله
تعالى (تقتاتونهم أو يسلمون) يعني شرع لكم جهادهم وقتالهم فلا يزال ذلك مستمرا عليهم ولستم النصره عليهم أو
يسلمون فيدخلون في دينكم بلا قتال بل باختيار . ثم قال عز وجل (فإن طغيوا) أى تستجيبوا وتنفروا في الجهاد
وتؤدوا الذي عليكم فيه (يؤتكم الله أجرا حسنا وإن تتولوا كما توليتم من قبل) يعني زمن الحديث حيث دعيت فتخلقت
(يمدبكم عذابا أليما) . ثم ذكر تعالى الأعذار في ترك الجهاد فعمها لازم تالسمى والمرج المستمر وعارض كلارض الذى
يعلم أليما ثم يزول فهو في حال مرضه ماحق بدوى الأعذار اللازمة حتى يبرأ . ثم قال تبارك وتعالى مرغبا في
الجهاد وطاعة الله ورسوله (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار ومن يتول (أى يتكل عن
الجهاد ويقبل على المعاش) يمدبه عذابا أليما) في الدنيا بالمثلة وفي الآخرة بالنار والله تعالى أعلم .

(لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ
وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَقَامِهِمْ كَثِيرَةٌ يَأْخُذُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)

نظم تعالى من رضاء عن المؤمنين الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وقد تقدم ذكر عدتهم وأنهم
ثلاثمائة وأربعة وأربعون وأن الشجرة كانت حمرة بأرض الحديث . قال البخاري حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن

إسرائيل عن طارق أن عبد الرحمن رضى الله عنه قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون فقلت ما هذا المسجد؟ قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان فأثبت سعيد بن المسيب فأخبرته فقال سعيد حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال فلما خرجنا من العام المقبل نسيتها فلم تقدر عليها فقال سعيد إن أصحاب محمد ﷺ لم يعادوها وعلمتموها أنهم فأنتم أعلم

وقوله تعالى (فاعلم ما في قلوبهم) أى من الصدق والوفاء والسمع والطاعة (فأنزل السكينة) وهى الطمأنينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) وهو ما أجرى الله عز وجل على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة فى الدنيا والآخرة ولهذا قال تعالى (ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا عبيد الله بن موسى يعنى ابن عبيدة حدثني إياس بن سلمة عن أبيه قال : بينا نحن قائلون إذ نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس : البيعة البيعة نزل روح القدس ، قال فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سمرة فبايعناه ، فذلك قول الله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) قال فبايع رسول الله ﷺ إيمان رضى الله عنه باحدى يديه على الأخرى فقال الناس هنيئلا بن عفان يطوف بالبيت ونحن ههنا فقال رسول الله ﷺ « لو مكث كذا وكذا سنة ما طاف حتى أطوف »

﴿ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونُوا آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا * وَلَوْ قَسَمَ لَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْيَانَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَعْضِ نِعْمَةٍ مِنْ بَعْدِ أَنْ أظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾

قال مجاهد فى قوله تعالى (وعدهم الله مغانم كثيرة تأخذونها) هى جميع الغنائم إلى اليوم (فعجل لكم هذه) يعنى فتح خيبر ، وروى الهوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما (فعجل لكم هذه) يعنى صاحب الجديبية (وكف أيدى الناس عنكم) أى لم ينالك سوء مما كان أعداؤكم أضروا بكم من الشهادة والقتال ، وكذلك كف أيدى الناس عنكم الذين خلفتموهم وراء ظهركم عن عيالكم وسرركم (ولتكون آية للمؤمنين) أى يعتبرون بذلك فان الله تعالى حافظهم وناصرهم على سائر الأعداء مع قلة عددهم وليعلموا بفضيل الله هذا بهم أنه العالم بمواقب الأمور وأن الخبرة فيها يختاره لعباده المؤمنين وإن كرهوه فى الظاهر كما قال عز وجل (وعسى أن تكونوا آيةنا وهو خير لكم) (ويهديكم صراطا مستقيما) أى يسيب اقتيادكم لأمره واتباعكم طاعته وموافقتكم رسول الله ﷺ ونوا تبارك وتعالى (وأخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شىء قديرا) أى وغنيمة أخرى وفتحنا آتينا معينا لم تكونوا تقدرُون عليها قد يسرها الله عليكم وأحاط بها لكم فانه تعالى يرزق عباده المؤمنين من حيث لا يحتسبون ، وقد اختلف المفسرون فى هذه الغنيمة بما اراد بها فقال الهوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما هى خيبر وهذا على قوله فى قوله عز وجل (فعجل لكم هذه) إنها صلح الجديبية ، وقاله الضحاك وابن إسحق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وقال قتادة هى مكة واختاره ابن جرير ، وقال ابن أبى ليلى والحسن البصرى : هى فارس والروم ، وقال مجاهد : هى كل فتح وغنيمة إلى يوم القيامة وقال أبو داود والطيالسى

حدثنا شعبة عن ممالك الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (وأخرى لم تقدرها عليها قد أحاط الله بها) قال هذه الفتوح التي تفتح إلى اليوم وقوله تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأديبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يقول عز وجل مبشرا لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ولا نهزم جيش الكفر فارا مدبرا لا يجدون وليا ولا نصيرا لأنهم محاربون لله ورسوله ولجزبه المؤمنين ثم قال تبارك وتعالى (سنة الله التي قد خلت من قبل وإن تجد لسنة الله تبديلا) أي هذه سنة الله وعادته في خلقه ، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر فرفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد المؤمنين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم وقوله سبحانه وتعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم مكة من بعد أن أظهركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل إليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقاتلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلًا من الفريقين وأوجد بينهم صلحا فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة ، وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه حين جاءوا بأولئك السبعين الأسارى فأوثقوهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليهم فقال « أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » قال وفي ذلك أنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التميم يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا قال عفان : فعفا عنهم ونزلت هذه الآية (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم مكة من بعد أن أظهركم عليهم) ورواه مسلم وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما من طريق عن حماد بن سلمة به ، وقال أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثنا ثابت البناني عن عبيد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه وسهيل بن عمرو بين يديه فقال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فأخذ سهيل بيده وقال ما نعرف الرحمن الرحيم ، اكتب في قضيئنا ما نعرف فقال « اكتب باسمك اللهم » وكتب - هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة » فأمسك سهيل ابن عمرو بيده وقال لقد ظننتك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله » فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله تعالى بأصابعهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال رسول الله ﷺ : « هل جئتم في عهد أحد ؟ أو هل جعل لكم أحد أمنا ؟ » فقالوا : لا ، فخلى سبيلهم فأمر الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم مكة من بعد أن أظهركم عليهم) الآية . رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي حدثنا جعفر عن ابن أبي قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهدى وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر رضي الله عنه يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع ؟ قال فبعثت ﷺ إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حمله فلما دنا من مكة منعه أن يدخل فصار حتى أتى بني نزل بني فأتاه عينه أن نكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة فقال لحالد بن الوليد رضي الله عنه « يا حالد هذا ابن عمك قد أتاك في الحيل » فقال خالد رضي الله عنه أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ صي سيف الله فقال يا رسول الله ابشئ أين شئت فبعه على خيل قلبي عكرمة في الشعب فبزه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فبزه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فبزه حتى أدخله حيطان مكة فأمر الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم مكة من بعد أن أظهركم عليهم) الآية . قال فبكف الله عز وجل النبي ﷺ عنهم

من بعد أن أظفروا عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبقوا فيها كراهية أن تطأهم الخيل ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبرى بنحوه وهذا السياق فيه نظر فانه لا يجوز أن يكون عام الحديبية لأن خالدا رضى الله عنه لم يكن أسلم بل قد كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لأنهم قاضوه على أن يأتي في العام القابل فيعتمر ويقم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم ﷺ لم يمانعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه ، فان قيل فيكون يوم الفتح فالجواب ولا يجوز أن يكون يوم الفتح لأنه لم يسبق عام الفتح هديا وإنما جاء محاربا مقاتلا في جيش عرمرم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شيء فليتأمل والله أعلم . وقال ابن إسحاق : حدثني من لائهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنه قال : إن قريشا بعثوا أربعين رجلا منهم أوحسين وأمرهم أن يطيقوا بعسكر رسول الله ﷺ ليصيروا من أصحابه أحدا فأخذوا أحدا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمما عنهم وخلى سبيلهم وقد كانوا رموا إلى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل . قال ابن إسحاق وفي ذلك أنزل الله تعالى (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زعيم اطلع على النخبة من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله ﷺ خيلا فأتوه بأثني عشر من الكفار فقال لهم « هل لكم على عهد ؟ هل لكم على ذمة ؟ » قالوا : لا . فأرسلهم وأنزل الله تعالى في ذلك (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُمْ فَوَلَّوْا رِجَالَهُمْ مُوْتِمُونَ وَنِسَاءَهُمْ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْلُبُوهُمْ فَتَشْتَبِيَهُمْ فَمَنْ أَتَّبَعْتُمْ مَعَ رِجَالِهِمُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة التوبة: ١٧-١٨)

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُمْ فَوَلَّوْا رِجَالَهُمْ مُوْتِمُونَ وَنِسَاءَهُمْ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْلُبُوهُمْ فَتَشْتَبِيَهُمْ فَمَنْ أَتَّبَعْتُمْ مَعَ رِجَالِهِمُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة التوبة: ١٧-١٨)

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُمْ فَوَلَّوْا رِجَالَهُمْ مُوْتِمُونَ وَنِسَاءَهُمْ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْلُبُوهُمْ فَتَشْتَبِيَهُمْ فَمَنْ أَتَّبَعْتُمْ مَعَ رِجَالِهِمُ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة التوبة: ١٧-١٨)

يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن ملأهم على نصرتهم على رسول الله ﷺ (هم الذين كفروا) أى هم الكفار دون غيرهم (وصدوكم عن المسجد الحرام) أى وأتم أحق به وأتم أهله في نفس الأمر (والهدى معكوفاً أن يبلغ محله) أى وسدوا الهدى أن يصل إلى محله وهذا من إيهام وعنادهم وكان الهدى سبعين بدنة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وقوله عز وجل (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) أى بين أظهرهم ممن يكتن إيمانهم ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكانوا سلطانكم عليهم فقتلوههم وأبدنهم خضراءهم ولكن بين أنفائهم من المؤمنين والمؤمنات أفوام لا تعرفونهم حالة القتل وإيهامنا قال تعالى (لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة) أى إثم وغرامة (بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء) أى يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين ويرجع كثير منهم إلى الاسلام ثم قال تبارك وتعالى (لوتزايوا) أى لو تميز الكفار عن المؤمنين الذين بين أظهرهم (لعدنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لسلطانكم عليهم فقتلناهم قتل ذريما قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو الزباع روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد السكي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد مولى بني هاشم حدثنا حجر بن خالف قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت جند بن سبيع يقول قال رسول الله ﷺ أول النهار كافرا وقالت معه آخر النهار مسلما وفيما نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) قال كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عباد السكي به وقال فيه عن أبي جهم جند بن سبيع فذكره والשובاب أبو جهم حبيب بن سباع ورواه ابن أبي حاتم عن حديث حجر بن سبيح

حدثنا شعبة عن سمالك الخنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما (وأخرى لم تقدرُوا عليها قد أحاط الله بها) قال هذه الفئوج التي تفتح إلى اليوم وقوله تعالى (ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يقول عز وجل مبشرا لعباده المؤمنين بأنه لو ناجزهم المشركون لنصر الله رسوله وعباده المؤمنين عليهم ولا نهزم جيش الكفر فارا مدبرا لا يجدون وليا ولا نصيرا لأنهم محاربون لله ولرسوله ولحزبه المؤمنين ثم قال تبارك وتعالى (سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي هذه سنة الله وعادته في خلقه ، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل إلا نصر الله الإيمان على الكفر ورفع الحق ووضع الباطل ، كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين نصرهم على أعدائه من المشركين مع قلة عدد السامين وعددهم وكثرة المشركين وعددهم وقوله سبحانه وتعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا) هذا امتنان من الله تعالى على عباده المؤمنين حين كف أيدي المشركين عنهم فلم يصل إليهم منهم سوء وكف أيدي المؤمنين عن المشركين فلم يقابلوهم عند المسجد الحرام بل صان كلا من الفريقين وأوجد بينهم صلحا فيه خيرة للمؤمنين وعاقبة لهم في الدنيا والآخرة ، وقد تقدم في حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه حين جاءوا بأولئك السبعين الأسارى فأوثقوهم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إليهم فقال « أرسلوهم يكن لهم بدء الفجور وثناؤه » قال وفي ذلك أنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة بالسلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غرة رسول الله ﷺ فدعا عليهم فأخذوا قال عفان : فعفا عنهم ونزلت هذه الآية (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) ورواه مسلم وأبو داود في سننه والترمذي والنسائي في التفسير من سندهما من طرق عن حماد بن سلمة به ، وقال أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثنا الحسين بن واقد حدثنا ثابت البناني عن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن وكان يقع من أغصان تلك الشجرة على ظهر رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهيل بن عمرو بين يديه فقال رسول الله ﷺ لعلني رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فأخذ سهيل بيده وقال ما نعرف الرحمن الرحيم ، اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب باسمك اللهم - وكتب - هذا ما صالح عليه محمد رسول الله أهل مكة » فأمسك سهيل ابن عمرو بيده وقال لقد ظلمناك إن كنت رسوله اكتب في قضيتنا ما نعرف فقال « اكتب هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله » فبينما نحن كذلك إذ خرج علينا ثلاثون شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم رسول الله ﷺ فأخذ الله تعالى بأسماعهم فقمنا إليهم فأخذناهم فقال رسول الله ﷺ : « هل جئتم في عهد أحد ؟ أو هل جعل لكم أحد أمانا ؟ » فقالوا : لا ، فخلى سبيلهم فأنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم) الآية . رواه النسائي من حديث حسين بن واقد به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي حدثنا جعفر عن ابن أبيزى قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهدى وانتهى إلى ذي الحليفة قال له عمر رضي الله عنه يا نبي الله تدخل على قوم لك حرب بغير سلاح ولا كراع ؟ قال فبعث عليهما إلى المدينة فلم يدع فيها كراعا ولا سلاحا إلا حملة فلما دنا من مكة منعوه أن يدخل فسار حتى أتى منى فنزل بمنى فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة فقال لحاله بن الوليد رضي الله عنه « يا خال هذا ابن عمك قد أتاك في الخيل » فقال خالد رضي الله عنه أنا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمى سيف الله فقال يا رسول الله ابشئ أين شئت فبعثه على خيل فلقى عكرمة في الشعب فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثانية فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة فأنزل الله تعالى (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة - إلى قوله تعالى - عذابا ألما) قال فسكف الله عز وجل النبي ﷺ عنهم

من بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا أبوا فيها كراهية أن تطأهم الحيل ورواه ابن أبي حاتم عن ابن أبي نجيح وهذا السياق فيه نظر فانه لا يجوز أن يكون عام الحديبية لأن خلفا رضى الله عنه لم يكن أسلم بل قد كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت في الصحيح ولا يجوز أن يكون في عمرة القضاء لأنهم قاضوه على أن يأتي في العام القابل فيعتمر ويقم بمكة ثلاثة أيام ولما قدم ﷺ لم يأنعوه ولا حاربوه ولا قاتلوه ، قال قيل فيكون يوم الفتح فالجواب ولا يجوز أن يكون يوم الفتح لأنه لم يسبق عام الفتح هديا وإنما جاء محاربا مقاتلا في جيش عرمرم فهذا السياق فيه خلل وقد وقع فيه شيء فليتأمل والله أعلم . وقال ابن إسحاق : حدثني من آتاهم عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنه قال : إن قريشا بعثوا أربعين رجلا منهم أوسخمين وأمروهم أن يطفئوا بعسكر رسول الله ﷺ ليضربوا من أصحابه أحدا فأخذوا أخذافا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعفا عنهم وخلي سبيلهم وقد كانوا رموا إلى عسكر رسول الله ﷺ بالحجارة والنبل . قال ابن إسحاق وفي ذلك أنزل الله تعالى (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية وقال قتادة ذكر لنا أن رجلا يقال له ابن زعيم اطلع على الثانية من الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث رسول الله ﷺ خيلا فأتوه بأثني عشر من الكفار فقال لهم « هل لكم على عهد ؟ هل لكم على ذمة ؟ » قالوا : لا . فأرسلهم وأنزل الله تعالى في ذلك (وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم) الآية

﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلُّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْلُبُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَابُنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحُمِيَّةَ حُمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا

يقول تعالى مخبرا عن الكفار من مشركي العرب من قريش ومن مالههم على نصرتهم على رسول الله ﷺ (هم الذين كفروا) أى هم الكفار دون غيرهم (وصدوكم عن المسجد الحرام) أى وأتم أحق به وأتم أهله في نفس الأمر (والهدى معكوف أن يبلغ حله) أى وصدوا الهدى أن يصل إلى حله وهذا من بغيتهم وعنادهم وكان الهدى سبعين بدنة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى ، وقوله عز وجل (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) أى بين أظهرهم ممن يكتنهم إيمانه ويخفيه منهم خيفة على أنفسهم من قومهم لكننا سلطانكم عليهم فقتلتموهم وأبديتم خضراءهم ولكن بين أفتائهم من المؤمنين والمؤمنات أقوام لا تعرفونهم حالة القتل ولهذا قال تعالى (لم تعلموهم أن تطأوهم فتصيبكم منهم معرة) أى إثم وغرامة (بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء) أى يؤخر عقوبتهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين ويرجع كثير منهم إلى الاسلام ثم قال تبارك وتعالى (لو تزيلاوا) أى لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم (لعذابنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) أى لسلطانكم عليهم فقتلتموهم قتلا ذريعا قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو الزنبايع روح بن الفرج حدثنا عبد الرحمن بن أبي عباد المسكي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد مولى بني هاشم حدثنا حجر بن خلف قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول سمعت جندب بن سبيع يقول قاتلت رسول الله ﷺ أول النهار كافرا وقاتلت منه آخر النهار مسلما وفيما نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) قال كنا تسعة نفر سبعة رجال وامرأتين ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن عبد المسكي به وقال فيه عن أبي جهم جندب بن سبيع فذكره والصواب أبو جهم حبيب بن سبيع ورواه ابن أبي حاتم من حديث حجر بن خلف به

وقال كنا ثلاثة رجال وتسع نسوة وفيما نزلت (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا عبد الله بن عثمان بن جبلة عن أبي حمزة عن عطاء عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (لو تزيوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما) يقول لو تزيل الكفار من المؤمنين لعذبهم الله عذابا أليما بقتلهم إياهم . وقوله عز وجل (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) وذلك حين أبوا أن يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم وأبوا أن يكتبوا هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى) وهي قول لا إله إلا الله كما قال ابن جرير وعبد الله بن الإمام أحمد حدثنا الحسن بن قزعة أبو علي البصري حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن ثور عن أبيه عن الطفيل يعني ابن أبي كعب عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول (وألزمهم كلمة التقوى) قال « لا إله إلا الله » وكذا رواه الترمذي عن الحسن بن قزعة وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه وسألت أبا زرعة عنه فلم يعرفه إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن أبا هريرة رضي الله عنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بجهنم وحسابه على الله عز وجل » وأنزل الله عز وجل في كتابه وذكر قوما فقال (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) وقال الله جل ثناؤه (وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها) وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله فاستكبروا عنها واستكبر عنها المشركون يوم الحديبية فكاتبهم رسول الله ﷺ على قضية المدة وكذا رواه بهذه الزيادات ابن جرير من حديث الزهري والظاهر أنها مدرجة من كلام الزهري والله أعلم . وقال مجاهد : كلمة التقوى الإخلاص ، وقال عطاء بن أبي رباح هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وقاله يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعي عن علي رضي الله عنه (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله والله أكبر ، وكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى (وألزمهم كلمة التقوى) قال : يقول شهادة أن لا إله إلا الله وهي رأس كل تنوي ، وقال سعيد بن جبيرة (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله والجهاد في سبيله ، وقال عطاء الخراساني هي لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري (وألزمهم كلمة التقوى) قال بسم الله الرحمن الرحيم . وقال قتادة (وألزمهم كلمة التقوى) قال لا إله إلا الله (وكانوا أحق بها وأهلها) كان المسلمون أحق بها وكانوا أهلها (وكان الله بكل شيء علما) أي هو عليم بمن يستحق الخير ممن يستحق الشر وقد قال النسائي : حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا شبابة بن موار عن أبي رزين عن عبد الله بن العلاء بن نوير عن بشر بن عبد الله عن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان يقرأ (إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية) ولو جهنم كما سموا لتفسد المسجد الحرام فبأن ذلك عمر رضي الله عنه فأغاظ له فقال إنك لتعلم أنني كنت أدخل على رسول الله ﷺ فيعلمني مما علمه الله تعالى ، فقال عمر رضي الله عنه بل أنت رجل عندك علم وقرآن فاقرأ وعلم مما علمك الله تعالى ورسوله

وهذا ذكر الأحاديث الواردة في قصة الحديبية وقصة الصالح

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه المصدي سبعين بدنة وكان الناس سبعمائة رجل فكانت كل بدنة عن عشرة وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا كان بمسفان لقيه بشر بن مسفيان الكوفي فقال يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها المود للطفيل قد لبست جلود النمر يماهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدا وهذا خالد بن الوليد في خيابهم

قد قدموه إلى كراع النعميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خالوا بيني وبين سائر الناس ؟ فان أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الاسلام وهم وافررون وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة فماذا تظن قريش فوالله لأزال أجاهدكم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل أو تنفرد هذه السافلة » ثم أمر الناس فسلكوا ذات اليمين بين ظهري الحمض على طريق تخرجه على ثنية المزار والحديبية من أسفل مكة ، قال فسلكت بالجيش تلك الطريق فلما رأت خيل قريش قفرة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين إلى قريش فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا سلك ثنية المزار بركت ناقته فقال للناس خلأت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما خلأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة ، والله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلاة الرحم إلا أعطيتهم إياها » ثم قال صلى الله عليه وسلم للناس « انزلوا » قالوا يا رسول الله ما بالوادي من ماء ينزل عليه الناس فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معها من كنائنه فأعطاه رجلاً من أصحابه فنزل في قلب من تلك القلب فغرز فيه فجاش بالماء حتى ضرب الناس عنه بطن . فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فقال لهم كقول له لبشر بن سفيان فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش إنكم تعجبون على محمد صلى الله عليه وسلم إن محمد لم يأت لقتال إنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحقه فاتهموهم . قال محمد بن إسحاق : قال الزهري وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم مشركها ومسلمها لا يخفون على رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم شيئاً كان بمكة فقالوا وإن كان إنما جاء لذلك فوالله لا يدخلها أبداً علينا عنوة ولا يتحدث بذلك العرب ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص أحد بني عامر بن لؤي فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « هذا رجل غادر » فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كلمه رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بنحو مما تكلم به مع أصحابه ثم رجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فبعثوا إليه الحليس بن علقمة الكندي وهو يومئذ سيد الاحابيش فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال « هذا من قوم يتألمون فابعثوا الهدى » فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله رجع ولم يصل إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إعظاماً لما رأى فقال يامعشر قريش لقد رأيت ما لا يحل صد الهدى في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا اجلس إنما أنت أعرابي لا علم لك . فبعثوا إليه عروة بن مسعود الثقفي فقال يامعشر قريش إني قد رأيت ما يلقي منكم من تبعثون إلى محمد إذا جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ وقد عرفتكم أنكم إلى والد وأنا ولد وقد سمعت بالذي نابكم فجمعت من أطاعني من قومي ثم جئت حتى آسيتكم بنفسى قالوا صدقت ما أنت عندنا بهم فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجلس بين يديه فقال يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم لبيضتك لنقضها إنما قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل قبل بسوا جلود النمر يهاهدون الله تعالى أن لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وإيم الله لكائي هؤلاء قد انكشفوا عنك غداً قال وأبو بكر رضى الله عنه قاعد خلف رسول الله ﷺ فقال : امصص بظر اللات أنحن نشتكف عنه ؟ قال من هذا يا محمد ؟ قال صلى الله تعالى عليه وسلم « هذا ابن أبي قحافة » قال أما والله لو لا يد كانت لك عندى لسكفأتك بها ولكن هذه بهائم تناول الحية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والغيرة بن شعبة رضى الله عنه واقف على رأس رسول الله ﷺ بالحديد قال فقرع يده ثم قال أمسك يدك عن الحية رسول الله ﷺ قبل والله أن لا تصل إليك قال ويحك ما أفظك وأغلظك فتبسم رسول الله ﷺ قال من هذا يا محمد ؟ قال هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة » قال أغدر وهل غسلت سوائتك إلا بالأمس ؟ قال فكلمه رسول الله ﷺ بمثل ما كلم به أصحابه وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً قال فقام من عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ وضوء إلا ابتدروه . ولا يعصق بصاقاً إلا ابتدروه ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه فرجع إلى قريش فقال يامعشر قريش إني جئت كسرى في ملكه وجئت قيصر

والتجاشي في ملكهما والله ما رأيت ملكا قط مثل محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه ولقد رأيت قوما لا يسمونه
لشيء أبدا فروا رأيكم : قال وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة
وحمله على جمل له يقال له الثعلب فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فنهتهم الأحابيش حتى أتى
رسول الله ﷺ فدعا عمر رضي الله عنه ليعثه إلى مكة فقال يا رسول الله إني أخاف قريشا على نفسي وليس
بها من بني عدى أحد يمنعني . وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها ولكن أدلك على رجل هو أعزني بها
عثمان بن عفان رضي الله عنه قال فدعا رسول الله ﷺ فبعثه يخبرهم أنه لم يأت لحرب أحد وإنما جاء زائرا لهذا
البيت معظما لحرمته فخرج عثمان رضي الله عنه حتى أتى مكة فلقى أبا بن سعيد بن العاص فزل عن دابته وحمله بين
يديه وأردفه خلفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظما
قريش قبلتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به فقالوا لعثمان رضي الله عنه ان شئت ان تطوف بالبيت
فطف به فقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واحتبسته قريش عندها قال وبلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عثمان رضي الله عنه قد قتل . قال محمد فحدثني الزهري ان قريشا بعثوا سهيل بن
عمرو وقالوا انت محمد فصالحه ولا تان في صلحه الا ان يرجع عنا عامة هذا فوالله لا تحدث العرب انه دخلها
علينا عنوة ابدا فاتاه سهيل بن عمرو فلما رآه رسول الله ﷺ قال « قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » فلما
اتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلموا وأطلا الكلام وتراجعا حتى جرى بينهما الصلح فبالا التأم الأمر
ولم يبق الا الكتاب وثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر أوليس برسول
الله ؟ أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال بلى قال فعلام تعطى الدنية في ديننا ؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه
الزم غرزه حيث كان فإني أشهد أنه رسول الله فقال عمر رضي الله عنه وأنا أشهد ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله أو لسنا بالمسلمين ؟ أو ليسوا بالمشركين ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بلى » قال فعلام تعطى الدنية في
ديننا ؟ فقال ﷺ « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني » ثم قال عمر رضي الله عنه ما زلت
أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت عفاة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا قال
ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه فقال اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم »
فقال سهيل لأعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اكتب باسمك اللهم .
هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » فقال سهيل بن عمرو لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب هذا
ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكتب بعضهم عن
بعض على أنه من أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه بغير إذن وليه رده عليه ومن أتى قريشا بمن مع رسول
الله ﷺ لم يردوه عليه وأن يبتنا عيبة مكفوفة وأنه لا أسلح ولا أغلال . وكان في شرطهم حين كتبوا الكتاب :
انه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه
فتوالت خزاعة فقالوا نحن في عقد رسول الله ﷺ وعهده وتوالت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم
وأنت ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك فتدخلها بأصحابك وأنت بها ثلاثا
معك سلاح الراكب لا تدخلها بغير السيوف في القرب فبينا رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذ جاءه أبو جندل بن
سهيل بن عمرو في الحديد قد انقلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرجوا وهم لا يشعرون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا من الصلح والرجوع
وما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهاكوا . فلما رأى
سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وقال يا محمد قد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال « صدقت » فقام
إليه فأخذ بتلابيبه قال وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا مشر المسلمين أتردوني إلى أهل الشرك فيفتنونني في ديني قال

فزاد الناس شراً إلى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله تعالى جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً . إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً فأعطيناهم على ذلك وأعطينا عليه عهداً وإنا لن نعذرهم » قال فوثب إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فجعل يمشى مع جندل إلى جنبه ويقول اصبراً يا جندل فإنما هم المشركون وإنما دم أحدكم دم كلب قال ويدنى قائم السيف منه قال يقول رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه قال فظن الرجل بأبيه ، قال ونفذت القضية فلما فرغاً من الكتاب وكان رسول الله ﷺ يصلى فى الحرم وهو مضطرب فى الحل قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس انمروا واحلقوا » قال لما قام أحد ، قال ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل ثم عاد صلى الله عليه وسلم بمثلها فما قام رجل فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة رضى الله عنها فقال « يا أم سلمة ما شأن الناس ؟ » قالت يا رسول الله قد دخلهم ما رأيت فلا تكلمن منهم إنساناً واعمدى إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك فخرج رسول الله ﷺ لا يكلم أحداً حتى إذا أتى هديه فأنحره ثم جلس فحلق قال فقام الناس ينحرون ويحلقون حتى إذا كان بين مكة والمدينة فى وسط الطريق نزلت سورة الفتح ، هكذا ساقه أحمد من هذا الوجه وهكذا رواه يونس بن بكير وزياد البكائى عن أبى إسحاق بنحوه . وقد رواه أيضاً عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى به نحوه وخالفه فى أشياء وفيه إغراب وقد رواه البخارى رحمه الله فى صحيحه فساقه سياقة حسنة مطولة بزيادات جيدة فقال فى كتاب الشروط من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر أخبرنى الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قال . خرج رسول الله ﷺ ومن الحديدية فى بضع عشرة مائة من أصحابه فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى وأشعره وأحرم منها بعمرة وبعث عينا من خزاعة وسار حتى إذا كان بدير الأشطاط أتاه عينة فقال إن قريشا قد جمعوا لك جمعوا لك الأحابيش وهم مقاتلون وصادوك وما نعوذك فقال ﷺ « أشيروا أيها الناس على أتروا أن نميل على عيالهم وذرائى هؤلاء الذين يريدون أن يمدونا عن البيت » وفى لفظ « أتروا أن نميل على ذرائى هؤلاء الذين أعانواهم فان أتروا كان الله قد قطع عنهم المشركين والأتراك منهم محزونين » وفى لفظ « فان قعدوا قعدوا موتورين مجهودين محزونين وان نجوا يكن عناق قطعها الله عز وجل أم أتروا أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه » فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرباً فتوجه له فمن صدنا عنه قاتلناه ، وفى لفظ فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله علم إنما جئنا معتمرين ولم نجىء لقتال أحد ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فروحوا إذن » وفى لفظ « فامضوا على اسم الله تعالى » حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن خاله ابن الوليد فى خيل لقريش طليمة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شربهم خالك حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التى بين جبل عليهم منها بركت به واحلته فقال الناس حل حل فألحت فقالوا خللات القمصاء خللات القمصاء فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ما خللات القمصاء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل -- ثم قال صلى الله عليه وسلم -- والنبي نفسى بيده لا يسألونى خلة يحظون فيها حرمت الله تعالى إلا أعطيتهم إياها » ثم زجرها فوثبت فمدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديدية على ثمند قايل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فأنشع ﷺ من كنانته سهماً ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه . فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه من خزاعة وكانوا عبية نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل تهامة فقال لى تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا عدائهم الحديدية معهم الموذ الطافيل وهم مقاتلون وصادوك عن البيت فقال النبي ﷺ « إنا لم نجىء لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قريشا قد نهكتهم الحرب فأضرت بهم فان شاءوا ماددتهم مدة ويخاؤا بينى وبين الناس فان أظهر فان شاءوا أن يدخلوا فيها

دخل فيه الناس فعلوا والا فقد حموا ، وإن هم أبوا فوالذي نفسى بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفى
أو لينفذن الله أمره » . قال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى أتى قريشا فقال : إنا قد جئنا من عند هذا
الرجل وسمعناه يقول قولاً فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا فقال سفاؤهم لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء وقال
ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عروة
ابن مسعود فقال أى قوم ألسن بالوالد ؟ قالوا بلى ، قال أولست بالولد ؟ قالوا بلى ، قال فهل تنهونى قالوا : لا ، قال
ألسن تعلمون أنى استغفرت أهل عكاظ فلما بلغوا على جيشكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى ؟ قالوا بلى قال فإن هذا قد
عرض عليكم خطبة رشدا فاقبلوها ودعوى آتة قالوا آتة فأتاه فجعل يكلم النبی صلى الله عليه وسلم فقال النبی صلى الله عليه وسلم
له نحواً من قوله لبديل بن ورقاء فقال عروة عند ذلك أى محمد أرايت إن استأصلت قومك هل سمعت بأحد
من العرب اجتاحت أصله قبلك ؟ وإن تك الأخرى فانى والله لأرى وجوها وانى لأرى أشواجا من الناس خليقا أن يهروا
ويدعوك فقال له أبو بكر رضى الله عنه امصص بظفر اللات أنحن نذر وندعه قال من ذا قالوا أبو بكر قال أما
والذى نفسى بيده لولا بديل عندى لم أجرك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبی صلى الله عليه وسلم فكلمها كلمة أخذ بلحيتة صلى الله عليه وسلم
وللغيرة بن شعبة رضى الله عنه فاعلم على رأس النبی صلى الله عليه وسلم ومنه السيف وعليه المغفر وكلمها أهوى عروة بيده
إلى حية النبی صلى الله عليه وسلم ضربه يده بنعل السيف وقال آخر يدك عن حية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فرفع عروة رأسه وقال من هذا قال المغيرة بن شعبة قال أى غدر ألسن أسعى فى غدرتك ، وكان المغيرة
ابن شعبة رضى الله عنه صاحب قوما فى الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فاسلم فقال النبی صلى الله عليه وسلم
« أما الإسلام فاقبل ، وأما المال فلست منه فى شيء » ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبی صلى الله عليه وسلم عليه وسلم
بعمية قال فواته ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا
أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون
النظر إليه تعظيماً له صلى الله عليه وسلم فرجع عروة إلى أصحابه فقال أى قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على كسرى
وقيصر والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمددا والله إن تنخم نخامة إلا
وقعت فى كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه
وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطبة رشدا فاقبلوها
فقال رجل منهم من بنى كنانة دعوى آتة فقالوا آتة فلما أشرف على النبی صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم
قال النبی صلى الله عليه وسلم « هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابشروها له » فبعثت له واستقبله الناس يلبنون فلما
رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت
وأشرفت فما أرى أن يصدوا عن البيت . فقام رجل منهم يقال له مكر بن حفص ، فقال دعوى آتة فقالوا آتة فلما
أشرف عليهم قال النبی صلى الله عليه وسلم « هذا مكرز وهو رجل فاجر » فجعل يكلم النبی صلى الله عليه وسلم
فبينما هو يكلم إذ جاء سهيل بن عمرو . وقال معمر أخبرنى أيوب عن عكرمة أنه قال لما جاء سهيل بن عمرو
قال النبی صلى الله عليه وسلم « قد سهل لكم من أمركم » . قال معمر قال الزهري فى حديثه فجع سهيل بن عمرو فقال هات
اكتب بيننا وبينك كتاباً فدعا النبی صلى الله عليه وسلم بهلى رضى الله عنه وقال « اكتب بسم الرحمن الرحيم » فقال سهيل
ابن عمرو أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال المسلمون والله لا
نكتبها الا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبی صلى الله عليه وسلم « اكتب باسمك اللهم » ثم قال — هذا ما قاضى عليه محمد رسول
الله « فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله
فقال النبی صلى الله عليه وسلم « والله انى لرسول الله وأن كذبتمونى ، اكتب محمد بن عبد الله » قال الزهري وذلك لقوله
« والله لا يسألونى خطبة يعظمون فيها حرمت الله تعالى الا أعطيتهم إياها » فقال له النبی صلى الله عليه وسلم على أن تخالوا بيننا وبين

البيت فخطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فيبينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتى رمى نفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده إلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم «إنا لم نقض الكتاب بعد» قال فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « فأجزه لي » قال ما أنا بمجيز ذلك لك قال « بلى فافعل » قال ما أنا بفاعل قال مكرز بلى قد أجزناه لك قال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت ؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله عز وجل . قال عمر رضي الله عنه فأثبتت نبي الله صلى الله عليه وسلم فقلت أليست نبي الله حقاً ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بلى » قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بلى » قلت فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بلى » قلت أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بلى » قلت لا قال صلى الله عليه وسلم : فإنك آتية ومطوف به : قال فأثبتت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقاً ؟ قال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال بلى قلت فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا ؟ قال أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصى ربه وهو ناصر فاستمسك بنزله فوالله إنه على الحق قلت أو ليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال بلى ، قال فأخبرك أنك تأتية العام ؟ قلت لا قال فانك تأتية وتطوف به .

قال الزهري قال عمر رضي الله عنه فعملت لذلك أعمالا : قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قوموا فانحروا ثم احلقوا » قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات فلما لم يبق منهم أحد دخل صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضي الله عنها فذكر لها ما لقي من الناس قالت له أم سلمة رضي الله عنها يا نبي الله أحب ذلك ؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وحلق بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما ثم جاءه نساء مؤمنات فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات - حتى بلغ - بعهن الكوافر) فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة فترلوا يأكلون من تمر لهم فقال أبو بصير لأحد الرجلين والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً فاستله الآخر فقال أجل والله إنه لجيد لقد جربت منه ثم جربت فقال أبو بصير أرني أنظر إليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد رأى هذا ذعرا » فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال قتل والله صاحبي وإني لمقتول فجاء أبو بصير فقال يا رسول الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ثم نجاني الله تعالى منهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد » فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم فخرج حتى أتى سيف البحر قال وتقلت منهم أبو جندل بن سهيل فالحق بأبي بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلواهم وأخذوا أموالهم فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناسده الله والرحم لما أرسل إليهم فن أتاها منهم فهو آمن فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم وأنزل الله عز وجل (وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم بطن مكة - حتى بلغ - حمية الجاهلية) وكانت حمية أنهم لم يقرؤا أنه رسول الله ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم وحالوا بينهم وبين البيت ، هكذا ساقه البخاري

ههنا وقد أخرجه في التفسير وفي عمدة الحديث وفي الحج وغير ذلك من حديث معمر وسفيان بن عيينة كلاهما عن الزهري به . ووقع في بعض الأماكن عن الزهري عن عروة بن مروان والسور عن رجال من أصحاب النبي ﷺ بذلك وهذا أشبه والله أعلم ولم يسقه أبسط من ههنا وبينه وبين سباق ابن إسحق تباين في مواضع وهناك فوائد ينبغي إضافتها إلى ما هنا ولعلك ستقنا تلك الرواية وههنا والله المستعان وعليه التسلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . وقال البخاري في التفسير حدثنا أحمد بن إسحق السامي حدثنا يعلى حدثنا عبد العزيز بن سياه عن حبيب بن أبي ثابت قال أتيت أبا وائل أسأله فقال كنا بصفين فقال رجل ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه نعم فقال سهل بن حنيف اتهموا أنفسهم فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ولو نرى قتالا لقاتلنا فجاء عمر رضي الله عنه فقال ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ أليس قتلانا في الجنة وقتلهم في النار ؟ فقال بلى قال فقيم نعطى الدية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا ؟ فقال ﷺ « يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا » فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر رضي الله عنه فقال يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا فنزلت سورة الفتح . وقد رواه البخاري أيضا في مواضع أخر ومسلم والنسائي من طرق أخر عن أبي وائل سفيان بن سلمة عن سهل بن حنيف به ، وفي بعض ألفاظه يا أيها الناس اتهموا الرأي فلقد رأيته يوم أبي جندل ولو أقدر على أن أرد على رسول الله ﷺ أمره لرددته ، وفي رواية فنزلت سورة الفتح فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأها عليه

وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : إن قريشا صالحوا النبي ﷺ وفيهم سهل بن عمرو فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » فقال سهل لا ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم فقال صلى الله عليه وسلم « اكتب من محمد رسول الله » قال لو تعلم أنك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لم اكتب من محمد بن عبد الله » واشتروا على النبي صلى الله عليه وسلم أن من جاء منكم نرده عليكم ومن جاءكم منارددتموه علينا فقال يا رسول الله أنكتب هذا ؟ قال صلى الله عليه وسلم « نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله » رواه مسلم من حديث حماد بن سلمة به : وقال أحمد أيضا حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن عكرمة بن عمار قال حدثني صباك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما خرج جرجب الجوزية اعتزلوا فقاتلهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية صالح للمشركين فقال لعلي رضي الله عنه « اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله » قالوا لو تعلم أنك رسول الله ما قاتلناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « امح يا علي إني رسول الله » فقالوا نعم يا علي واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، والله لرسول الله خير من علي وقد محاه نفسه ولم يكن محوه ذلك يحويه من النبوة أخرجت من هذه « قالوا نعم ورواه أبو داود من حديث عكرمة بن عمار الجعفي بنحوه وروى الإمام أحمد عن يحيى ابن آدم عن زهير بن حرب عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن الحسن بن ميسرة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نحر رسول الله ﷺ يوم الحديبية مبعين بدنة فيها جمل لأبي جهل فلما صدت عن البيت خنت كما تحن إلى أولادها

لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الْرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿

كان رسول الله ﷺ قد رأى في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت فأخبر أصحابه بذلك وهو بالمدينة فلما ساروا عام الحديبية لم يشك جماعة منهم أن هذه الرؤيا تنفسر هذا العام فلما وقع ما وقع من قضية الصلح ورجعوا عامهم ذلك على أن يعودوا من قابل وقع في نفس بعض الصحابة رضى الله عنهم من ذلك شيء حتى سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه في ذلك فقال له فيما قال أفلم تكن تخبرنا أننا سنأتى البيت ونطوف به ؟ قال : « بلى أفأخبرت أنك تأتية عامك هذا » قال : لا ، قال النبي ﷺ « فانك آتية ومطوف به » وبهذا أجاب الصديق رضى الله عنه أيضا حذو القعدة بالقعدة ولهذا قال تبارك وتعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله) هذا لتحقيق الخبر وتوكيده وليس هذا من الاستثناء في شيء وقوله عز وجل (آمين) أى في حال دخولكم ، وقوله (محلقين رءوسكم ومقصرين) حال مقدرة لأنهم في حال دخولهم لم يكونوا محلقين ومقصرين وإنما كان هذا في ثاني الحال . كان منهم من حلق رأسه ومنهم من قصره . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يا رسول الله قال « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يا رسول الله ؟ قال ﷺ « رحم الله المحلقين » قالوا والمقصرين يا رسول الله قال ﷺ « والمقصرين » في الثالثة أو الرابعة وقوله سبحانه وتعالى : (لا تخافون) حال مؤكدة في المعنى فأثبت لهم الأمن حال الدخول ونفى عنهم الخوف حال استقرارهم في البلد لا يخافون من أحد وهذا كان في عمرة القضاء في ذى القعدة سنة سبع فان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية في ذى القعدة رجع إلى المدينة فأقام بها ذا الحجة والحرم وخرج في صفر إلى خيبر ففتحها الله عليه بعضها عنوة وبعضها صلحا وهى إقليم عظيم كثير النخل والزروع فاستخدم من فيها من اليهود عليها على الشطر وقسمها بين أهل الحديبية وحدهم ولم يشهدوا أحد غيرهم إلا الذين قدموا من الحبشة جعفر بن أبي طالب وأصحابه وأبو موسى الأشعرى وأصحابه رضى الله عنهم ولم ينسب منهم أحد قال ابن زيد الأبأ دجانة سمالك بن خرشة كما هو مقرر في موضعه ثم رجع إلى المدينة . فلما كان في ذى القعدة من سنة سبع خرج ﷺ إلى مكة معتمرا هو وأهل الحديبية فأحرم من ذى الحليفة وساق معه المدي قيل كان ستين بدنة فلبى وسار أصحابه يلبون . فلما كان ﷺ قريبا من مر الظهران بعث محمد بن سامة بالخيول والسلاح أمامه . فلما رآه المشركون رعبوا رعبا شديدا وظنوا أن رسول الله ﷺ يغزوهم وأنه قد نكث العهد الذى بينهم وبينه من وضع القتال عشر سنين فذهبوا فأخبروا أهل مكة فلما جاء رسول الله ﷺ فنزل بمر الظهران حيث ينظر إلى أنصاب الحرم بعث السلاح من القسي والنبل والرماح إلى بطن يأجج وسار إلى مكة بالسيوف مغمدة في قربها كما شارطهم عليه فلما كان في أثناء الطريق بعث قريش مكرز بن حفص فقال يا محمد ما عرفناك تنقض العهد ، فقال ﷺ « وما ذاك » قال دخلت علينا بالسلاح والقسي والرماح . فقال ﷺ « لم يكن ذلك وقد بعثنا به إلى يأجج . » فقال بهذا عرفناك بالبر والوفاء وخرجت رءوس الكفار من مكة لئلا ينظروا إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه رضى الله عنهم غيظا وحنقا . وأما بقية أهل مكة من الرجال والنساء والولدان فجلسوا في الطرق وعلى البيوت ينظرون إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فدخلها عليه الصلاة والسلام وبين يديه أصحابه يلبون والمدي قد بعثه إلى ذى طوى وهو راكب ناقته القصواء التى كان راكبا يوم الحديبية وعبد الله بن رواحة الأتصاري أخذ بزمام ناقته رسول الله ﷺ يقودها وهو يقول :

باسم الذى لا دين إلا دينه باسم الذى محمد رسول الله خاوا بنى الكفار عن سبيله
اليوم نضربكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيله ضربا يزيل الهمام عن مثيله
ويذهل الخليل عن خياله قد أنزل الرحمن في تنزيله في صحف تتلى على رسوله
بأن خير القتل في سبيله يارب إني مؤمن بقيله

فهذا مجموع من روايات متفرقة قال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال

لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء دخلها وعبد الله بن رواحة رضى الله عنه أخذ بخطام ناقته وهو يقول :

خاوا بنى الكفار عن سبيله إني شهيد أنه رسوله خاوا فكل الخير في رسوله
يارب إني مؤمن بقبيله نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله وينذهل الخليل عن خليله

وقال عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء مشى عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بين يديه وفي رواية وابن رواحة أخذ بعرقه وهو رضى الله عنه يقول :

خاوا بنى الكفار عن سبيله قد نزل الرحمن في تنزيله بأن خير القتل في سبيله
يارب إني مؤمن بقبيله نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله
اليوم نضربكم على تأويله ضربا يزيل الهام عن مقيله وينذهل الخليل عن خليله

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن الصباح حدثنا إسماعيل يعني ابن زكريا عن عبد الله يعني ابن عثمان عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل من الظهران في عمرته بلغ أصحاب رسول الله ﷺ أن قريشا تقول ما يتبعون من العجف فقال أصحابه لو اتبعونا من ظهرنا فأكلنا من لحمه وحسونا من مرقه أصبحنا غدا حين ندخل على القوم وبنا جماعة قال ﷺ لا تفعلوا ولكن اجتمعوا إلى من أزوادكم فجمعوا له وبسطوا الأنطاع فأكلوا حتى تركوا وحشا كل واحد منهم في جرابه ، ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى دخل المسجد وقعدت قريش نحو الحجر فاضطجع ﷺ بردائه ثم قال : « لا يرى القوم فيكم غميرة » فاستلم الركن ثم رمل حتى إذا تغيّب بالركن اليماني مشى إلى الركن الأسود فقالت قريش ما ترضون بأشئ أما إنكم لتتقرون نذر الظباء ففعل ذلك ثلاثة أشواط فكانت سنة قال أبو الطفيل فأخبرني ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ فعل ذلك في حجة الوداع . وقال أحمد أيضا حدثنا يونس بن محمد حدثنا حماد ابن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها سوءا فقال المشركون أنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب ولقوا منها شرا وجلس المشركون من الناحية التي تلى الحجر فأطاع الله تعالى نبيه ﷺ على ما قالوا فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يرموا الأشواط الثلاثة ليرى المشركون جلدهم قال فرموا ثلاثة أشواط وأمرهم أن يمضوا بين الركنين حيث لا يراهم المشركون ولم يمنع النبي ﷺ أن يرموا الأشواط كلها إلا إبقاء عليهم فقال المشركون : أهؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا . أخرجاه في الصحيحين من حديث حماد بن زيد به . وفي لفظ قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم صبيحة رابعة يعني من ذى القعدة فقال المشركون إنه يقدم عليكم وقد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرموا الأشواط الثلاثة ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرموا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم قال البخاري وزاد ابن سالمه يعني حماد بن سالمه عن أيوب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما قدم النبي ﷺ لاسامته الذي استأمن قال ارموا ليرى المشركين قوتهم وللمشركون من قبل ، فسيقمان ، وحدثنا محمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إنما سعى النبي ﷺ بالبيت وبالضفا والروة ليرى المشركون قوته . ورواه في مواضع آخر ومسلم والنسائي من طرق عن سفيان بن عيينة به : وقال أيضا حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا إسماعيل بن أبي خالد أنه سمع ابن أبي أوفى يقول لما اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انفرده به البخاري دون مسلم ، وقال البخاري أيضا : حدثنا محمد بن رافع حدثنا شريح بن

النعمان حدثنا فليح وحدثني محمد بن الحسين بن إبراهيم حدثنا أبي حدثنا فليح بن سليمان عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ خرج معتمرا فحال كفار قريش بينه وبين البيت فنحر هديه وحلق رأسه بالحديبية وقاضهم على أن يعتمر العام المقبل ولا يحمل سلاحا عليهم إلا سيوفا ولا يقيم بها إلا ما أحبوا . فاعتمر صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فدخلها كما كانت صالحهم فلما أن أقام بها ثلاثا أمره أن يخرج فخرج ﷺ وهو في صحيح مسلم أيضا . وقال البخاري أيضا حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال اعتمر النبي ﷺ في ذي القعدة فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضهم على أن يقيموا بها ثلاثة أيام فلما كتبوا الكتاب كتبوا : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله قالوا لا نقر بهذا ولو تعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن اكتب محمد بن عبد الله قال صلى الله عليه وسلم « أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله » ثم قال ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه « أمح رسول الله » قال رضي الله عنه لا والله لا أمحوك أبدا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب « هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله أن لا يدخل مكة بالسلاح إلا بالسيوف في القرب وأن لا يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه وأن لا يمنع من أصحابه أحدا إن أراد أن يقيم بها » فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليا فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فبعثته ابنة حمزة رضي الله عنه تتأدى ياعم فتناولها على رضي الله عنه فأخذ بيدها وقال لفاطمة رضي الله عنها : دونك ابنة عمك فحملتها فاختصم فيها علي وزيد وجعفر رضي الله عنهم فقال علي رضي الله عنه أنا أخذتها وهي ابنة عمي وقال جعفر رضي الله عنه : ابنة عمي وخالتها تحتي ، وقال زيد رضي الله عنه : ابنة أخي فقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لحالها وقال « الحالة بمنزلة الأم » وقال لعلي رضي الله عنه « أنت مني وأنا منك » وقال لجعفر رضي الله عنه « أشبهت خلقي وخلقى » وقال صلى الله عليه وسلم لزيد رضي الله عنه « أنت أخونا ومولانا » قال علي رضي الله عنه ألا تزوج ابنة حمزة رضي الله عنه ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إنها ابنة أخي من الرضاعة » تفرد به من هذا الوجه ، وقوله تعالى (فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) أي فعمل الله عز وجل من الخيرة والمصلحة في صرفكم عن مكة ودخولكم إليها عامكم ذلك ما لم تعلموا أتم (فجعل من دون ذلك) أي قبل دخولكم الذي وعدتم به في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتحا قريبا وهو الصالح الذي كان بينكم وبين أعدائكم من المشركين ، ثم قال تبارك وتعالى مبشرا للمؤمنين بنصرة الرسول صلى الله عليه وسلم على عدوه وعلى سائر أهل الأرض (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) أي بالعلم النافع والعمل الصالح فإن الشريعة تشتمل على شيئين علم وعمل فالعلم الشرعي صحيح والعمل الشرعي مقبول فأخباراتها حق وإنشائها عدل (ليظهره على الدين كله) أي على أهل جميع الأديان من سائر أهل الأرض من عرب وعجم ومليين ومشركين (وكفى بالله شهيدا) أي أنه رسوله وهو ناصره والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾

يجبر تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب فقال (محمد رسول الله) وهذا مبتدأ وخبر وهو مشتمل على كل وصف جميل ثم نفي بالثناء على أصحابه رضي الله عنهم فقال (والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) كما قال عز وجل (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) وهذه

صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدا عنيفا على الكفار ، رحما برأبائهم ، غضوبا بعبوسا في وجه الكافر ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحس والحس ». وقال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن المؤمن كالبنان يشد بعضه بعضا » . وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه ، كلا الحديثين في الصحيح

وقوله سبحانه وتعالى (تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا) وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل والأحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتعلة على فضل الله عز وجل وهو سعة الرزق عليهم ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول كما قال وجل وعلا (ورضوان من الله أكبر) . وقوله جل جلاله (سيأهم في وجوههم من أثر السجود) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما سيأهم في وجوههم يعني السمات الحسن وقال مجاهد وغير واحد يعني الخشوع والتواضع . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد (سيأهم في وجوههم من أثر السجود) قال الخشوع قلت ما كنت أراه إلا هذا الأثر في الوجه فقال ربما كان بين عيني من هو أقسى قلبا من فرعون . وقال السدي الصلاة تحسن وجوههم ، وقال بعض السلف من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ، وقد أسنده ابن ماجه في سننه عن إسماعيل بن محمد الصالح عن ثابت بن موسى عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » والصحيح أنه موقوف . وقال بعضهم إن للحسنة نورا في القلب وضياء في الوجه وسعة في الرزق ومحبة في قلوب الناس . وقال أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ما أسر أحد سريرة إلا أبدأها الله تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه ، والغرض أن الشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه فالؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس كما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال من أصلح سريرته أصاح الله تعالى علانيته . وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا محمود بن محمد الروزي حدثنا حامد بن آدم الروزي حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عبيد الله العزمي عن سلمة بن كهيل عن جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « ما أسر أحد سريرة إلا ألبسه الله ثوبا رداءها إن خيرا فخير وإن شرا فشر » العزمي متروك . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لمية حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كأنه ما كان »

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الهدى الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » ورواه أبو داود عن عبد الله بن محمد النخعي عن زهير بن صالح عن أبيه رضي الله عنهم أجمعين وخسنت أعمالهم فكل من نظر إليهم أعجبوه في سمتهم وهديتهم . وقال مالك رضي الله عنه بلغني أنب النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الخواريين فيما بلغنا . وصدقوا في ذلك فان هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضاها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا (ذلك مثلهم في التوراة) ثم قال (ومثلهم في الإنجيل) كزرع أخرج شطأه (أي فراخه) فأزره (أي شده) فاستعاض (أي شب وطال) فاستوى على سوقه يعجب الزراع (أي فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم آزره وأيدوه وفصروه فهم معه كالشطء مع الزرع) لينفط بهم الكفار ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه الله عليه في رواية عنه بتكفير الروافض الذين يفتنون الصحابة رضي الله عنهم قال لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر لهذه الآية وواقفه طائفة من العلماء رضي الله عنهم على ذلك

والأحاديث في فضل الصحابة رضي الله عنهم والنهي عن التمرض لهم بمساوئهم كثيرة ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم . ثم قال تبارك وتعالى (وعد الله الذين آمنوا و عملوا الصالحات منهم) من هذه لبيان الجنس (مغفرة) أي لننوبهم (وأجر عظيم) أي ثوابا جزيلا ورزقا كريما ووعد الله حق وصدق لا يخلف ولا يبدل وكل من اقتنى أثر الصحابة رضي الله عنهم فهو في حكمهم ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل . قال مسلم في صحيحه حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » . آخر تفسير سورة الفتح ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الحجرات وهي مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ فَلَتَوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول ﷺ من التوقير والاحترام والتبجيل والاعظام فقال تبارك وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) أي لا تسرعوا في الأشياء بين يديه أي قبله بل كونوا تبعاً له في جميع الأمور حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ رضي الله عنه حيث قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن « بم تحم ؟ » قال بكتاب الله تعالى ، قال ﷺ « فان لم تجد ؟ » قال بسنة رسول الله ﷺ قال صلى الله عليه وسلم « فان لم تجد » قال رضي الله عنه أجتهد رأيي ، فضرب في صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله ﷺ » . وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه فالنرض منه أنه أخر رأيه ونفذه واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ، وقال العوفي عنه : نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه ، وقال مجاهد لا تفتنوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضى الله تعالى على لسانه ، وقال الضحاك : لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله من شرائع دينكم . وقال مسفيان الثوري (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) بقول ولا فعل ، وقال الحسن البصري (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) قال لا تدعوا قبل الإمام ، وقال قتادة ذكر لنا أن ناساً كانوا يقولون لو أنزل في كذا كذا لو صح كذا فكره الله تعالى ذلك وتقدم فيه (واتقوا الله) أي فيما أمركم به (إن الله شامع) أي لأقوالكم (عليم) بنيانكم . وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنين أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته ، وقد روى أنها نزلت في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال البخاري حدثنا يسرة بن صفوان الأحمي حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال : كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم فأشار أحدهما بالآخر بن حابس رضي الله عنه أخى بني جاشع وأشار الآخر برجل آخر قال نافع لا أحفظ اسمه فقال أبو بكر

لعمري رضي الله عنهما ما أردت إلا خلافي قال ما أردت خلافاً فارفعت أصواتهما في ذلك فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) قال ابن الزبير رضي الله عنهما لما كان عمر رضي الله عنه يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن أبيه يعني أبا بكر رضي الله عنه . انفراد به دون مسلم . ثم قال البخاري حدثنا حسن بن محمد حدثنا حجاج عن ابن جريج حدثني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أخبرا أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه أمر القعقاع بن معبد وقال عمر رضي الله عنه بل أمر الأقرع ابن حابس فقال أبو بكر رضي الله عنه ما أردت إلا خلافي فقال عمر رضي الله عنه ما أردت خلافاً فقاما حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) حتى انقضت الآية (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم) الآية وهكذا رواه ههنا منفرداً به أيضاً وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا الفضل بن سهل حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا حصين بن عمر عن مخارق عن طارق بن شهاب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) قلت يا رسول الله والله لا أكلعك إلا كأخي السرار . حصين بن عمر هذا وإن كان ضعيفاً لكن قد رويناه من حديث عبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة رضي الله عنهما بنحو ذلك والله أعلم . وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أزهر بن سعد أخبرنا ابن عون أن ثباتي موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأثام فوجده في بيته منكسراً رأسه فقال له ما شأنك فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأثنى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى فرجع إليه المرة الآخرة بشارة عظيمة فقال « اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة » تفرد به البخاري من هذا الوجه

وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي - إلى قوله - وأنتم لا تشعرون) وكانت ثابت ابن قيس بن الشماس رفيع الصوت فقال أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ أنا من أهل النار حبط عملي وجلس في أهله حزينا ففقدته رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنطلق بعض القوم إليه فقالوا له تفقدك رسول الله ﷺ مالك ! قال أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ وأجهر له بالقول حبط عملي أنا من أهل النار فأثاموا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا ، بل هو من أهل الجنة » قال أنس رضي الله عنه فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم الجمعة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط وليس كلفه فقال بثما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا حماد بن سامة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) إلى آخر الآية جلس ثابت رضي الله عنه في بيته قال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد ابن معاذ « يا أبا عمرو ما شأن ثابت اشتكى ؟ » فقال سعد رضي الله عنه إنه لجاري وما عانت له بشكوى قال فأثام سعد رضي الله عنه فذكر له قول رسول الله ﷺ فقال ثابت رضي الله عنه أنزلت هذه الآية ولقد علمت أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فأنا من أهل النار فذكر ذلك سعد رضي الله عنه للنبي ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بل هو من أهل الجنة » ثم رواه مسلم عن أحمد بن سعيد الدارمي عن حيان بن هلال عن سليمان بن المغيرة به قال ولم يذكر سعد بن معاذ رضي الله عنه وعن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه بنحوه وقال ليس فيه ذكر سعد

ابن معاذ رضى الله عنه حدثني هذبة بن عبد الأعلى الأسدي حدثنا العتير بن سليمان سمعت أبي يذكر عن أنس رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية فاقص الحديث ولم يذكر سعد بن معاذ رضى الله عنه وزاد : فكننا نراه يمشى بين أظهرنا رجل من أهل الجنة . فهذه الطرق الثلاث معللة لرواية حماد بن سلمة فيما تفرد به من ذكر سعد بن معاذ رضى الله عنه والصحيح أن حال نزول هذه الآية لم يكن سعد بن معاذ رضى الله عنه موجوداً لأنه كان قد مات بعد بنى قريظة بأيام قلائل سنة خمس وهذه الآية نزلت في وفد بنى تميم والوفود إنما تواتروا في سنة تسع من الهجرة والله أعلم ، وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو ثابت بن ثابت بن قيس بن شماس حدثني عمي إسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه رضى الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول) قال سعد ثابت بن قيس رضى الله عنه في الطريق يبكي قال فمر به عاصم بن عدي من بني العجلان فقال ما يبكيك يا ثابت ؟ قال هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت في وأنا صيت رفيع الصوت قال فمضى عاصم بن عدي رضى الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وغلبه البكاء فأتى امرأته جميلة ابنة عبد الله بن أبي ابن ساول فقال لها إذا دخلت بيت فرشى فمدى على الضبة بمسارفضر بته بمسار حتى إذا خرج عطفه وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله تعالى أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأتى عاصم رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبره فقال « اذهب فادعه لي » فجاء عاصم رضى الله عنه إلى المكان فلم يجد فجاء إلى أهله فوجدته في بيت الفرش فقال له إن رسول الله ﷺ يدعوك فقال اكسر الضبة قال فخرج رجا فأبى النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « ما يبكيك يا ثابت ؟ » فقال رضى الله عنه أنا صيت وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت في (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول) فقال له النبي ﷺ « أما ترضى أن تعيش حميذا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة ؟ » فقال رضيت بيشري الله تعالى ورسوله ﷺ ولا أرفع صوتي أبدا على صوت رسول الله ﷺ قال وأنزل الله تعالى (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) الآية . وقد ذكر هذه القصة غير واحد من التابعين كذلك فقد نهى الله عز وجل عن رفع الأصوات بحضرة رسول الله ﷺ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ قد ارتفعت أصواتهما فجاء فقال أتدريان أين أتيا ؟ ثم قال من أين أتيا ؟ قال من أهل الطائف فقال لو كنما من أهل المدينة لأوجعتهما ضربا . وقال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حيا وفي قبره ﷺ دائما ، ثم نهى عن الجهر له بالقول كما يجهر الرجل لمخاطبه ممن عداه بل يخاطب بسكينة ووقار وتعظيم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض) كما قال تعالى (لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضهم بعضا)

وقوله عز وجل (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) أى إنما نهيناكم عن رفع الصوت عنده خشية أن يغضب من ذلك فيغضب الله تعالى لغضبه فيحبط عمل من أغضبه وهو لا يدري كما جاء في الصحيح « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقى لها بالاً يكتب له بها الجنة ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض » ثم نذب الله تعالى إلى خفض الصوت عنده وحث على ذلك وأرشد إليه ورغب فيه فقال (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) أى أخلصها لها وجعلها أهلا ومحملا (لهم مغفرة وأجر عظيم) وقد قال الإمام أحمد في كتاب الزهد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كتب إلى عمر يا أمير المؤمنين رجل لا يشتمى العصية ولا يعمل بها أفضل أم رجل يشتمى العصية ولا يعمل بها ؟ فكتب عمر رضى الله عنه إن الذين يشتمون العصية ولا يعملون بها (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)

﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

ثم إنه تبارك وتعالى ذم الذين ينادونه من وراء الحجرات وهي بيوت نسائه كما يصنع أجلاف الأعراب فقال (أكثرهم لا يعقلون) ثم أرشد تعالى إلى الأدب في ذلك فقال عز وجل (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم) أي لكان لهم في ذلك الخيرة والصلحة في الدنيا والآخرة. ثم قال جل ثناؤه داعيا لهم إلى التوبة والإنابة (والله غفور رحيم) وقد ذكر أنها نزلت في الأقرع بن حابس التميمي رضى الله عنه فيما أورده غير واحد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا موسى بن عتبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن الأقرع بن حابس رضى الله عنه أنه نادى رسول الله ﷺ فقال يا محمد يا محمد وفي رواية يا رسول الله فلم يجبه فقال يا رسول الله إن حمدي لزين وإن ذى الشين فقال «ذاك الله عز وجل» وقال ابن جرير حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي حدثنا الفضل بن موسى عن الحسين بن واقد عن أبي إسحاق عن البراء في قوله تبارك وتعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال جاء رجل إلى رسول صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن حمدي زين وذى شين فقال صلى الله عليه وسلم «ذاك الله عز وجل» وهكذا ذكره الحسن البصري وقتادة مرسلًا. وقال سفیان الثوري عن حبيب بن أبي عمرة قال كان بشر بن غالب وليد بن عطارد أو بشر بن عطارد وليد بن غالب وهما عند الججاج بجالسان فقال بشر بن غالب لابيد بن عطارد نزلت في قومك بنى تميم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) قال فذكرت ذلك لسعيد ابن جبير فقال أما إنه لو علم بآخر الآية أجابه (يمنون عليك أن أسلموا) قالوا أسلمنا ولم يقاتلك بنو أسد وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي الباهلي حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود الطائي يحدث عن أبي مسلم البجلي عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: اجتمع أناس من العرب فقالوا انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يك نبيا فنحن أسعد الناس به وإن يك مدسكنا مش بجناحه قال فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما قالوا فجاءوا إلى حجرة النبي ﷺ فجعلوا ينادونه وهو في حجرة يا محمد يا محمد فأنزل الله تعالى (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) قال فأخذ رسول الله ﷺ بأذني فمدها فجعل يقول «لقد صدق الله تعالى قولك يا زيد لقد صدق الله قولك يا زيد» ورواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن المعتمر بن سليمان به

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجَالَةٍ فَتُضَوِّعُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ * وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ إِلَٰئِمْ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَتْ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ * فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحاط له لئلا يحكم بقوله في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتنى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر وقبلها آخرون لأننا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال وقد قررنا هذه المسئلة في كتاب العلم من شرح البخاري والله تعالى الحمد والمنة. وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عتبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق وقد روى ذلك من طرق ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية مالك بن

المصطلق وهو الحارث بن أبي ضرار والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضى الله عنها . قال الامام أحمد حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثني أبي أنه سمع الحارث بن أبي ضرار الخزاعي رضى الله عنه يقول : قدمت على رسول الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به . ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت يا رسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته . وترسل إلى يا رسول الله رسولا إبان كذا وكذا ليأتنيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة بمن استجاب له وبلغ الابان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأتته وظن الحارث أنه قد حدث فيه مخطئة من الله تعالى ورسوله فدعا بسرورات قومه فقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلى رسول الله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلف ولا أرى حبس رسول الله إلا من مخطئة فانطلقوا بنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق أى خاف فرجع حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى فعضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضى الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا هذا الحارث فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم ؟ قالوا إليك . قال ولم ؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعت الزكاة وأزدت قتله . قال رضى الله عنه لا والله بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحق ما رأيت به بة ولا أثنى فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال « منعت الزكاة وأردت قتلى رسولى ؟ » قال لا والله بعثك بالحق ما رأيت ولا أثنى وما أقبلت إلا حين احتبس على رسول رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت مخطئة من الله تعالى ورسوله قال فنزلت الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ - إلى قوله - حكيم) ورواه ابن أبي حاتم عن النضر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ، ورواه الطبرانى من حديث محمد بن سابق به غير أنه سماه الحارث بن سرار والصواب أنه الحارث بن ضرار كما تقدم . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : بعث رسول الله ﷺ رجلا في صدقات بني المصطلق بعد الواقعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال : إن بنى المصطلق قد منعوني صدقاتهم فعضب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قالت فباغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حين ظهر فقالوا نعوذ بالله من مخطئة الله ومخطئ رسوله بعثت إلينا رجلا مصدقا فممرنا بذلك وقرت به أعيننا ثم إنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضى الله عنه فأذن بصلاة العصر قالت ونزلت (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) . وروى ابن جرير أيضا من طريق العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما في هذه الآية قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ منهم الصدقات وانهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقون رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن بنى المصطلق قد منعوا الصدقة فعضب رسول الله ﷺ من ذلك غضبا شديدا فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفاء فقالوا يا رسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أن ما رده كتاب جاء منك فعضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم استغفهم وهم بهم فأزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) إلى آخر الآية . وقال مجاهد

وقتادة أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم فلقوه بالصدقة فرجع فقال إن بني المصطلق قد جمعت لك لقتالك زاد قتادة وإنهم قد ارتدوا عن الإسلام فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه اليهم وأمره أن يثبت ولا يعجل فانطلق حتى أتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاءوا أخبروا خالدًا رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فأنزل الله تعالى هذه الآية ، قال قتادة فكان رسول الله ﷺ يقول « التثبت من الله والعجلة من الشيطان » وكذا ذكر غير واحد من السلف منهم ابن أبي ليلى ويزيد بن رومان والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم في هذه الآية أنها نزلت في الوليد بن عقبة والله أعلم .

وقوله تعالى (واعلموا أن فيكم رسول الله) أي اعلوا أن بين أظهركم رسول الله فعظموه ووقروه وتأدبوا معه واتقوا لأمره فإنه أعلم بمصالحكم وأشفق عليكم منكم ورأيه فيكم أتم من رأيكم لأنفسكم كما قال تبارك وتعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) ثم بين أن رأيهم سخيف بالنسبة إلى مراعاة مصالحهم فقال (لو يطيعكم في كثير من الأمر لنعم) أي لو أطعكم في جميع ما تختارونه لأدى ذلك إلى عنتكم وحرجمكم كما قال سبحانه وتعالى (ولواتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناكم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) وقوله عز وجل (ولكن الله حبيب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم) أي حبيه إلى نفوسكم وحسنه في قلوبكم

قال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا علي بن مسعدة حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول « الإسلام علانية والإيمان في القلب » قال ثم يشير بيده إلى صدره ثلاث مرات ثم يقول — التقوى ههنا التقوى ههنا (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) أي وبغض إليكم الكفر والفسوق وهى الذنوب السكبار والعصيان وهى جميع المعاصى وهذا تدرج لكمال النعمة ، وقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أي المتصفون بهذه الصفة هم الراشدون الذين قد آتاهم الله رشدهم . قال الإمام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري حدثنا عبد الواحد بن أيمن السكي عن أبي رفاعة الزرق عن أبيه قال لما كان يوم أحد وانكسرا المشركون قال رسول الله ﷺ « استوتوا حتى أتى على ربي عز وجل » فصاروا خلفه صفوفًا فقال صلى الله عليه وسلم « اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ، ولا هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت . اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك ، اللهم انى أسألك النعم للقيم الذى لا يحول ولا يزول . اللهم أسألك النعم يوم العيلة والأمن يوم الخوف . اللهم إني عائد بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعنا . اللهم حبيب الينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره الينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم توفنا مسلمين وأحينا مسلمين وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك واجعل عليهم رجزك وعذابك . اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب إله الحق » ورواه النسائي في اليوم والليلة عن زياد بن أيوب عن مروان بن معاوية عن عبد الواحد ابن أيمن عن عبيد بن رفاعة عن أبيه . وفي الحديث الرفوع « من سرته حسنة وسأته سيئة فهو مؤمن » ثم قال (فضلا من الله ونعمة) أي هذا العطاء الذى منحه لكم ونعمة من لده (والله عليم حكيم) أي عليم بمن يستحق الهداية بمن يستحق الغواية حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّتُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا بالأصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسيام مؤمنين مع الاقتتال ، وبهذا استدلل البخارى وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالعصية وأن عظمت لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعزلة ونحوهم ، وهكذا ثبت في صحيح البخارى من حديث الحسن عن أبي بكره رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ خطب يوما ومعه على المنبر الحسن بن على رضى الله عنهما فجعل ينظر اليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول : « إن ابني هذا سيد ولعل الله تعالى أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » . فكان كما قال ﷺ أصاح الله تعالى به بين أهمل الشام وأهل العراق بعد الحروب الطويلة والوقائع الملهولة . وقوله تعالى (فان بغت أحدهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغى حتى تنفيء إلى أمر الله) أى حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله وتسمع للحق وتطيعه كما ثبت في الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » قلت يا رسول الله هذا نصرته مظلوما فكيف أنصره ظالما ؟ قال ﷺ : « منعه من الظلم فذاك نصرته »

وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر قال سمعت أبا محمد بن أنس رضى الله عنه قال : قيل لابي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض مبيعة فلما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم اليه قال « اليك عنى فوالله لقد آذانى ربح حمارك » فقال رجل من الأنصار والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك قال فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل واحد منهما أصحابه قال فكان بينهم ضرب بالجرید والأيدى والنعال فبأننا أنه أنزلت فيهم (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) ورواه البخارى في الصلح عن مسدد ومسلم في المغازى عن محمد بن عبد الأعلى كلاهما عن المعتمر بن سليمان عن أبيه به نحوه . وذكر سعيد بن جبیر أن الأوس والحزرج كان بينهما قتال بالسيف والنعال فأمر الله تعالى هذه الآية فأمر بالصالح بينهما . وقال السدى كان رجل من الأنصار يقال له عمران كانت له امرأة تدعى أم زيد وإن المرأة أرادت أن تزور أهلها فحبسها زوجها وجعلها في علية له لا يدخل عليها أحد من أهلها . وإن المرأة بعثت إلى أهلها فجاء قومها وأنزلوها لينطلقوا بها وإن الرجل كان قد خرج فاستعان أهل الرجل فجاء بنو عمه ليحولوا بين المرأة وبين أهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فزلت فيهم هذه الآية فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم وفاءوا إلى أمر الله تعالى . وقوله عز وجل (فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أى اعدلوا بينهما فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالوسط وهو العدل (إن الله يحب المقسطين) . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمد بن أبي بكر الملقب حدثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال إن رسول الله ﷺ قال « إن المقسطين في الدنيا على منابر من لؤلؤ بين يدي الرحمن عز وجل بما أقسطوا في الدنيا » ورواه النسائي عن محمد بن المنثري عن عبد الأعلى به وهذا إسناد جيد قوى رجاله على شرط الصحيح وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « المقسطون عند الله تعالى يوم القيامة على منابر من نور على عرشين العرش الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا » ورواه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به وقوله تعالى (إنما المؤمنون أخوة) أى الجميع أخوة في الدين كما قال رسول الله ﷺ « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسله » وفي الصحيح « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » وفي الصحيح أيضا « إذا دعا المسلم لأبيه بظهر الغيب قال الملك آمين ولك بمثل » والأحاديث في هذا كثيرة وفي الصحيح « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كتل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » وفي الصحيح أيضا « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » وشبك بين أصابعه ﷺ ، وقال أحمد حدثنا أحمد بن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا مصعب بن ثابت حدثني أبو حازم قال سمعت سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه يحدث

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما في الرأس » تفرد به أحمد ولا بأس بإسناده . وقوله تعالى (فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَعْيُنِكُمْ) يعنى القنطين القنطينين (واتقوا الله) أى فى جميع أموركم (لعلمكم ترحمون) وهذا تحقيق منه تعالى للرحمة لمن اتقاه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

ينهى تعالى عن السخرية بالناس وهو احتقارهم والاستهزاء بهم كما ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « السكبر بطر الحق وغمص الناس - ويروى - وغمط الناس » والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم وهذا حرام فإنه قد يكون المحقر أعظم قدرا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه المحقر له ولهذا قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ) فنص على نهى الرجال وعطف بنى النساء . وقوله تبارك وتعالى (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أى لا تلمزوا الناس . والهماز اللماز من الرجال مذموم ملعون كما قال تعالى (ويل لسكل همة لمزة) والهمز بالفعل واللمز بالقول كما قال عز وجل (هاز مشاء بنميم) أى يحقر الناس ويهمزهم طاغيا عليهم ويمشى بينهم بالخيعة وهى اللمز بالمقال ولهذا قال ههنا (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) كما قال (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أى لا تقتل بعضكم بعضا . قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقادة ومقاتل بن حيان (وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أى لا يطن بعضكم على بعض وقوله تعالى (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) أى لا تداءعوا بالألقاب وهى التى يسوء الشخص سماعها . قال الأمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا داود بن أبى هند عن الشعبي قال حدثنى أبو جبيرة بن الضحاك قال فىنا نزلت فى بنى سلمة (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) قال قدم رسول الله ﷺ المدينة وليس فىنا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا يارسول الله إنه يغضب من هذا فنزلت (وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ) ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن وهب عن داود به . وقوله جل وعلا (بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ) أى بئس الصفة والاسم الفسوق وهو التنابز بالألقاب كما كان أهل الجاهلية يتنازعون بعد ما دخلهم فى الإسلام وعقلتموه (ومن لم يتب) أى من هذا (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس فى غير محله لأن بعض ذلك يكون إما محضا فليجتنب كثير منه احتياطا . وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا وأنت تجد لها فى الخير محملا . وقال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا أبو القاسم بن أبى ضمرة نصر بن محمد بن سلمان الحمصى حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى قيس النضرى حدثنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رأيت النبى ﷺ يطوف بالكعبة ويقول « ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك والذى نفس محمد بيده حرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا » تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه ، وقال مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا

ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى ، وأبو داود عن العتيبي عن مالك به . وقال سفیان بن عيينة عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » رواه مسلم والترمذي وصححه من حديث سفیان بن عيينة به . وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله القرمطي العدوي حدثنا بكر بن عبد الوهاب المدني حدثنا إسماعيل بن قيس الأنصاري حدثني عبد الرحمن بن محمد بن أبي الرجال عن أبيه عن جده حارثة بن النعمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث لازمت لأمتي : الطيرة والحسد وسوء الظن » فقال رجل وما يذهبن يا رسول الله ممن هن فيه ؟ قال ﷺ « إذا حسدت فاستغفر الله ؛ وإذا ظننت فلا تحقق . وإذا تطيرت فامض » . وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن زيد رضي الله عنه قال أتى ابن مسعود رضي الله عنه برجل فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله رضي الله عنه إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به . سماء ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط . وقال الإمام أحمد حدثنا هاشم حدثنا ليث عن إبراهيم بن نشيط الحولاني عن كعب بن عازقة عن أبي الهيثم عن دجين كاتب عقبة قال : قلت لعقبة إن لنا جيرانا يشر بون الحرج وأنادع لهم الشرط فيأخذونهم قال لا تفعل ولكن عظمهم وتهديمهم قال ففعل فلم ينتهوا . قال فجاءه دجين فقال إني قد نهيتهم فلم ينتهوا وإني دأع لهم الشرط فتأخذهم فقال له عقبة ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من ستر عورة مؤمن فكأنما استجبا موءودة من قبرها » ورواه أبو داود والنسائي من حديث الليث بن سعد به نحوه ، وقال سفیان الثوري عن راشد بن سعد عن معاوية رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أوكدت أن تفسدهم » فقال أبو الدرداء رضي الله عنه كلمة سمعها معاوية رضي الله عنه من رسول الله ﷺ فنعاه الله تعالى بها ورواه أبو داود منفردا به من حديث الثوري به . وقال أبو داود أيضا حدثنا سعيد بن عمرو الحضرمي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا ضمضم بن زرعة عن شرح بن عبيد عن جبير بن نفير وكثير بن مرة وعمرو بن الأسود والمقدام بن معديكرب وأبي أمامة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال « إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم » (ولا تجسسوا) أي على بعضكم بعضا والتجسس غالبا يطلق في الشر ومنه الجاسوس . وأما التجسس فيكون غالبا في الخير كما قال عز وجل إخبارا عن يعقوب أنه قال (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله) وقد يستعمل كل منهما في الشر كما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا » وقال الأوزاعي : التجسس البحث عن الشيء . والتجسس الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون أو يتسمع على أبوابهم ، والتدابر : الصرم رواه ابن أبي حاتم عنه .

وقوله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضا) فيه نهى عن الغيبة وقد فسرها الشارع كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود حدثنا القعنبي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال ﷺ « ذكرك أخاك بما يكره » قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » ورواه الترمذي عن قتيبة عن السراوردي به وقال حسن صحيح ، ورواه ابن جرير عن بندار عن غندر عن شعبة عن العلاء . وهكذا قال ابن عمر رضي الله عنهما ومسروق وقتادة وأبو إسحق ومعاوية بن قرة . وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفیان حدثني علي بن الأقرع عن أبي حذيفة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ حسبك من صفة كذا وكذا . قال غير مسدد تعني قصيرة فقال ﷺ « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » قالت وحكيت له إنسانا فقال ﷺ « ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا » ورواه الترمذي من حديث يحيى القطان وعبد الرحمن

ابن مهدي ووكيع ثلاثهم عن سفيان الثوري عن علي بن الأقرع عن أبي حذيفة سلمة بن صهيب الأرحبي عن عائشة رضي الله عنها به وقال حسن صحيح وقال ابن جرير حدثني ابن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا حسان بن الخارق أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضي الله عنها بيدها إلى النبي ﷺ أي أنها قصيرة فقال النبي ﷺ « اغتبتها » والغيبة محرمة بالاجماع ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة كقوله صلى الله عليه وسلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر « ائذنوا له بشئ أخو العشيرة » وكقوله صلى الله عليه وسلم لقاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقد خطبها معاوية وأبو الجهم « أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » وكذا ما جرى مجرى ذلك ، ثم بقيتها على التحريم الشديد وقد ورد فيها الزجر الأكيد ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال عز وجل (أوجب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أي كما تمكروهن هذا طبعاً فأكروها ذلك شرعاً فإن عقوبته أشد من هذا ، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال ﷺ في العائد في هبته « كالكلب بقي ثم يرجع في قئته » وقد قال « ليس لنا مثل السوء » وثبت في الصحيح والحسان والسانيد من غير وجه أنه ﷺ قال في خطبة حجة الوداع « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » وقال أبو داود حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه ، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » ورواه الترمذي عن عبيد بن أسباط ابن محمد عن أبيه به وقال حسن غريب وحدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا الأسود بن عامر حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن سميد بن عبد الله بن خديج عن أبي بردة الباقلي قال : قال رسول الله ﷺ « يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته » تفرد به أبو داود وقد روى من حديث البراء بن عازب . فقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا إبراهيم بن دينار حدثنا مصعب بن سلام عن حمزة بن حبيب الزيات عن أبي إسحق السبيعي عن البراء ابن عازب رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ حتى أسمع العواتق في بيوتها أو قال في خدورها فقال « يا معشر من آمن بلسانه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته » (طريق أخرى) عن ابن عمر قال أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا يحيى بن أكرم حدثنا الفضل بن موسى الشيباني عن الحسين بن واقد عن أوفي بن دهم عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » قال ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال ما أعظمكم وأعظم حرمتكم ولهؤ من أعظم حرمة عند الله منك . قال أبو داود حدثنا حيوة بن شريح حدثنا فتية عن ابن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن وقاص بن ربيعة عن السور أنه حدثنا أن النبي ﷺ قال « من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثله في جهنم ، ومن كسا ثوباً برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله في جهنم ؛ ومن قام برجل مسلم سبعة ورياء فإن الله تعالى يقوم به مقام سبعة ورياء يوم القيامة » تفرد به أبو داود وحدثنا ابن مصفى حدثنا بقية وأبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « لما عرج بي مرت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم قلت من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » . تفرد به أبو داود وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الشامي به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عتبة أخبرنا أبو عبد الصمد بن عبد العزيز العمي أخبرنا أبو هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال : قلنا

يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسرى بك ؟ قال ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدكم فيجدون منه الجذعة مثل النعل ثم يضعونها في في أحدكم فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت يا جبرائيل من هؤلاء هؤلاء هم الممازون الممازون أصحاب النعمة فيقال أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهوه وهو يكره على كل لعمركم أن أورد هذا الحديث وقد سبقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان والله الحمد والمنة . وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يصوموا يوما ولا يفطرون أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل ينجى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ظلمت منذ اليوم صائما فأنذني لي فافطر فيأذن له وينجى الرجل فيقول ذلك فيأذن له حتى جاء رجل فقال يا رسول الله إن امرأتين من أهالك ظلمتا منذ اليوم صائمتين فأنذني لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم أعاد فقال رسول الله ﷺ « ما صامتا ، وكيف صام من ظلي يأكل من لحوم الناس ؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيما ففعلتا فقامت كل واحدة منهما علة فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار » إسناد ضعيف ومتن غريب وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون حدثنا سليمان التيمي قال سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن ههنا امرأتين صامتا وإنهما كادتتا تموتان من العطش أراه قال بالهاجرة فأعرض عنه أو سكت عنه فقال يا نبي الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتتا تموتان فقال : ادعهما . فجاءتا قال فجىء بقدر أوعس فقال لاحداهما : قيش . فقامت من قيش ودم وصديد حتى قامت نصف القدح ثم قال للاخرى : قيش فقامت قبحا ودم وصديدا ولحما ودماعيطا وغيره حتى ملأت القدح ثم قال : إن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست احدهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس . وهكذا رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي كلاهما عن سليمان بن صوغان التيمي به مثله أو نحوه ثم رواه أيضا من حديث مسدد عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث حدثني رجل أظنه في حقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم أمروا بصيام فجاء رجل في نصف النهار فقال يا رسول الله : فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا ثم قال « ادعهما » فجاءت إحداهما أو قدح فقال لاحداهما : قيش . فقامت لحما ودماعيطا وقبحا وقال للاخرى مثل ذلك ثم قال : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما . أتت إحداها للاخرى فلم تزل تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحا . قال البيهقي كذا قال عن سعد والأول وهو عبيد أصبح وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا عمرو ابن الضحاك بن محمد حدثنا أبي ثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير عن ابن عمر (١) أني هريرة أن ما نزا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني قد زينت فأعرض عنه حتى قالها أربعين فلما كان في الخامسة قال : زينت ؟ قال نعم قال : وتدرى ما الزنا ؟ قال نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا قال ما تريد إلى هذا القول ؟ قال أريد أن تطهرني قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يشيب الليل في المسكحلة والرشا في البئر ؟ قال نعم يا رسول الله قال فأمر برجمه فرجم فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه ألم تر إلى ههنا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم السكاب ثم سار النبي ﷺ حتى مر بجيفة حمار فقال : أين فلان وفلان ؟ انزلا فكلوا من جيفة ههنا الحمار . قالوا غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا ؟ قال ﷺ : فما نلتما من أخيكما أنفأ أشد أكلامه ، والله ينفسي بيده إنه الآن لي أنهار الجنة ينغمس فيها . إسناد صحيح

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثني أبي حدثنا واصل مولى ابن عيينة حدثني خالد بن عرفة عن طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح جيفة متانة فقال رسول الله

« أنذرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يفتابون الناس ؟ » (طريق أخرى) قال عبد بن حميد في مسنده حدثنا إبراهيم بن الأشعث حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنهما قال كنا مع النبي ﷺ في سفر فهاجت ريح منقنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ان نقرأ من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين فلذلك بعثت هذه الريح » وربما قال « فلذلك هاجت هذه الريح » وقال السدي في قوله تعالى (أوجب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟) زعم أن سليمان الفارسي رضي الله عنه كان مع رجلين من أصحاب النبي ﷺ في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما وأن سليمان رضي الله عنه لما سار الناس ذات يوم وبقي سليمان رضي الله عنه نائما لم يسر معهم فجعل أصحابه يكلمونه فلم يجده ففرضوا الحباء فقالوا ما يريد سليمان أو هذا العبد شيئا غير هذا أن يحجى إلى طعام مقدور وخباء مضروب فلما جاء سليمان أرسله إلى رسول الله ﷺ يطلب لهما ادا ما فانطلق فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه قدح له فقال يا رسول الله بعثي أصحابي لتؤدبهم إن كان عندك قال ﷺ « ما يصنع أصحابك بالأدم ؟ قد اتدموا » فرجع سليمان رضي الله عنه يخبرها بقول رسول الله ﷺ فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا قال رسول الله ﷺ « انكما قد اتدمتما بسلمان بقولكما » قال ونزلت (أوجب أحكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) انه كان نائما . وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختار من طريق حسان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كانت العرب تخدم بعضها بعضا في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهتئ لهما طعاما فقالا إن هذا لنؤوم فايظناه فقالا له انت رسول الله ﷺ فقل له إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يقرئانك السلام ويستأذنانك فقال ﷺ « إنهما قد اتدما » فجاءا فقالا يا رسول الله بأي شيء اتدما فقال صلى الله عليه وسلم « بلحم أخيكما والذي نفسي بيده اني لأرى لحمه بين ثناياكما » فقالا رضي الله عنهما استغفر لنا يا رسول الله فقال ﷺ « مره فليستغفر لكما » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الحكم بن موسى حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن عمه موسى بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من أكل من لحم أخيه في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا — قال — فإيا كله ويكلج ويصيح » غريب جدا وقوله عز وجل (واتقوا الله) أي فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه (إن الله تواب رحيم) أي تواب على من تاب إليه رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه . قال الجمهور من العلماء طريق القتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود ، وهل يشترط الندم على ما فات ؟ فيه نزاع ، وأن يتحلل من الذي اغتسبه وقال آخرون لا يشترط إن يتحلل فانه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه فطريقه إذا أن يثني عليه بما فيه في الجالس التي كان يذمه فيها وأن يرد عنه القبيحة بحسبه وطاقتة لتكون تلك تلك كما قال الإمام أحمد حدثنا أحمد ابن الحجاج حدثنا عبد الله أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن سليمان أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من حمى مؤمنا من منافق يفتابه بعث الله تعالى إليه ملكا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مؤمنا بشيء يريده حبه الله تعالى على جسر جهنم حتى يخرج مما قال » وكذا رواه أبو داود من حديث عبد الله وهو ابن المبارك به بنحوه . وقال أبو داود أيضا حدثنا إسحاق بن الصلاح حدثنا بن أبي مريم أخبرنا الليث حدثني يحيى بن سليم أنه سمع إسماعيل بن بشير يقول سمعت جابر بن عبد الله وأبا طلحة بن سهل الأنصاري رضي الله عنهما يقولان قال رسول الله ﷺ « ما من امرئ يخذل امرءا مسلما في موضع قتلك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيها نصرته ، وما من امرئ ينصر امرءا مسلما في موضع ينتقص فيه من عرضه ويتنكب فيه من حرمة إلا نصره الله عز وجل في موطن يحب فيها نصرته » تفرد به أبو داود .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا للناس أنه خلقهم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وهما آدم وحواء وجعلهم شعوبا وهي أعم من القبائل ، وبعد القبائل ، مراتب أخر كالفصائل والعشائر والعائير والأفخاذ وغير ذلك ، وقيل المراد بالشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب كما أن الاسباط بطون بني إسرائيل وقد لخصت هذا في مقدمة مفردة جمعها من كتاب الأشباه لأبي عمر بن عبد البر ، ومن كتاب ﴿ الفصد والأمم في معرفة أنساب العرب والعجم ﴾ لجميع الناس في الشرف بالنسبة الطيفية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء وإنما يتفاضلون بالأمور الدينية وهي طاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن التهمة واحتقار بعض الناس بعضها منها على تساويهم في البشرية (يا أيها الناس إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) أي ليحصل التعارف بينهم كل يرجع إلى قبيلته ، وقال مجاهد في قوله عز وجل (لتعارفوا) كما يقال فلان بن فلان من كذا وكذا أي من قبيلة كذا وكذا ، وقال صفيان الثوري كانت حمير ينتسبون إلى مخاليفها ، وكانت عرب الحجاز ينتسبون إلى قبائلها وقد قال أبو عيسى الترمذي حدثنا أحمد بن محمد حدثنا عبد الله بن المبارك عن عبد الملك بن عيسى الثقفي عن يزيد مولى النبت عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « تعلموا من أنسابكم ما تصاون به أرحامكم فان صلة الرحم محبة في الأهل مثرة في المال منسأة في الأثر » ثم قال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أي إنما تتفاضلون عند الله تعالى بالتقوى لا بالإحساب وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله ﷺ . قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا عبيدة عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد رضي الله عنه عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم ؟ قال « أكرمهم عند الله أتقاهم » قالوا ليس عن هذا نسألك قال « فأكرم الناس يوسف نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن نبي الله ، ابن خليل الله » قالوا ليس عن هذا نسألك قال « فعن معادن العرب تسألوني » ؟ قالوا نعم قال « فخيركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا » وقد رواه البخاري في غير موضع من طرق عن عبيدة بن سليمان ، ورواه النسائي في التفسير من حديث عبيد الله وهو ابن عمر العمري به . ﴿ حديث آخر ﴾ ، قال مسلم رحمه الله حدثنا عمرو الناقد حدثنا كثير بن هشام حدثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ورواه ابن ماجه عن أحمد بن منان عن كثير بن هشام به ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن أبي هلال عن بكر عن أبي ذر رضي الله عنه قال إن النبي ﷺ قال له « انظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضل به تقوى الله » تفرد به أحمد رحمه الله ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أبو عبيدة عبد الوارث بن إبراهيم العسكري حدثنا عبد الرحمن بن عمرو بن جبلة حدثنا عبيد بن حنين الطائي سمعت محمد بن حبيب بن خراش العمري يحدث عن أبيه رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « المسلمون اخوة لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو بكر البزار في مسنده حدثنا أحمد بن يحيى السكوفي حدثنا الحسن بن الحسين حدثنا قيس يعني ابن الربيع عن شبيب بن عرقدة عن المستظل بن حصين عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب وليتمهم قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجمelan » . ثم قال لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا يحيى ابن زكريا القطان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما قال طاف رسول الله ﷺ

ﷺ يوم فتح مكة على ناقته القصواء يستلم الأركان بمحجن في يده فها وجد لها مناخا في المسجد حتى نزل ﷺ على أيدي الرجال فخرج بها إلى بطن السيل فأنيخت ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم على راحلته فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو له أهل ثم قال : « يا أيها الناس إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها بآبائكم فالناس رجالان رجل يرتقى كريم على الله تعالى . ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى ، إن الله عز وجل يقول (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير — ثم قال صلى الله عليه وسلم — أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » هكذا رواه عبد بن حميد عن أبي عاصم الضحاك عن مخلص عن موسى بن عبيدة به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال « إن أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع لم يملئوه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين وتقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيا بخيلا فاحشا » . وقدر رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن ابن لهيعة به ولفظه : « الناس لآدم وحواء طف الصاع لم يملئوه إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . وليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا شريك عن سماك عن عبد الله بن عمر زوج درة بنت أبي لهب عن درة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت : قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر فقال يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « خير الناس أقرأهم وأتقاهم لله عز وجل وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الأسود عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت ما أعجب رسول الله ﷺ شيء من الدنيا ولا أعجبه أحد قط إلا ذوقتي ، تفرد به أحمد ، وقوله تعالى (إن الله عليم خبير) أي عليم بكم خبير بأموركم فيهدي من يشاء ويضل من يشاء ويرحم من يشاء ويعذب من يشاء ويفضل من يشاء على من يشاء وهو الحكيم العليم الخبير في ذلك كله ، وقد استدل بهذه الآية الكريمة وهذه الأحاديث الشريفة من ذهب من العلماء إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط ولا يشترط سوى الدين لقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) وذهب الآخرون إلى أدلة أخرى مذكورة في كتب الفقه وقد ذكرنا طرفا من ذلك في (كتاب الأحكام) والله الحمد والمنة . وقد روى الطبراني عن عبد الرحمن أنه سمع رجلا من بني هاشم يقول أنا أولى الناس برسول الله ﷺ فقال غيره أنا أولى به منك ولي منه نسبة

﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَنَّا قُلْ لَمْ تَوَدُّوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَأَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * قُلْ أَسْلَمُوا لِلَّهِ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَ كُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى منكرا على الأعراب الذين أول ما دخلوا في الإسلام ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم بعد (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) وقد استفيد من

هذه الآية السريفة أن الإيمان أخص من الإسلام كما هو مذهب أهل السنة والجماعة ويدل عليه حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حين سأل عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان فترقى من الأعم إلى الأخص ثم للأخص منه . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضى الله عنهم قال أعطى رسول الله ﷺ رجلا ولم يعط رجلا منهم شيئا فقال سعد رضى الله تعالى عنه يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا ولم تعط فلانا شيئا وهو مؤمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أو مسلم . حتى أعادها سعد رضى الله عنه ثلاثا والنبي ﷺ يقول : أو مسلم ؟ ثم قال النبي ﷺ « إني لأعطي رجلا وأدع من هو أحب إلي منهم فلم أعطه شيئا مخافة أن يكبوا في النار على وجوههم » أخرجه في الصحيحين من حديث الزهري به . فقد فرق النبي ﷺ بين المؤمن والمسلم فدل على أن الإيمان أخص من الإسلام وقد قررنا ذلك بأدلة في أول شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى والله الحمد والمنة . ودل ذلك على أن ذلك الرجل كان مسلما ليس منافقا لأنه تركه من العطاء ووكله إلى ما هو فيه من الإسلام فدل هذا على أن هؤلاء الأعراب المذكورين في هذه الآية ليسوا بمنافقين وإنما هم مسلمون لم يستحكم الإيمان في قلوبهم فادعوا لأنفسهم مقاما أعلى مما وصلوا إليه فأدبوا في ذلك وهذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما وإبراهيم النخعي وقنادة واختاره ابن جرير . وإنما قلنا هذا لأن البخارى رحمه الله ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين يظهررون الإيمان وليسوا كذلك . وقد روى عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد أنهم قالوا في قوله تبارك وتعالى (ولكن قولوا أسلمنا) أى امتسكنا خوف القتل والسبي . قال مجاهد نزلت في بنى أسد بن خزيمة . وقال قنادة نزلت في قوم آمنوا بإيمانهم على رسول الله ﷺ والصحيح الأول أنهم قوم ادعوا لأنفسهم مقام الإيمان ولم يحصل لهم بعد فأدبوا وأعلموا أن ذلك لم يصلوا إليه بعد . ولو كانوا منافقين لعنفوا وفضحوا كما ذكر المنافقون في سورة براءة . وإنما قيل هؤلاء تأديبا (قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) أى لم يصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد . ثم قال تعالى (وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا) أى لا ينقصكم من أجوركم شيئا كقوله عز وجل (وما ألتناهم من عملهم من شيء) وقوله تعالى (إن الله غفور رحيم) أى لمن تاب إليه وأتاب . وقوله تعالى (إنما للمؤمنون) أى إنما للمؤمنون الكمل (الدين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) أى لم يشكوا ولا تزلزلوا بل ثبتوا على حال واحدة وعلى التصديق المحض (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) أى وبذلوا مهجهم ونفائس أموالهم في طاعة الله ورضوانه (أولئك هم الصادقون) أى في قولهم إذا قالوا إنهم مؤمنون لا كبعض الأعراب الذين ليس لهم من الإيمان إلا الكلمة الظاهرة . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن غيلان حدثنا رشدين حدثنا عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه قال إن النبي ﷺ قال « المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . والذين يأمنون الناس على أموالهم وأنفسهم . والذين إذا أشرف على طمع تركه الله عز وجل » وقوله سبحانه وتعالى (قل أتعلمون الله بدينكم) أى أتخبرونه بما في ضمائركم (والله يعلم ما السموات وما في الأرض) أى لا يخفى عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر (والله بكل شيء عليم) ثم قال تعالى (يعنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم) يعنى الأعراب الذين يمتنون بإسلامهم ومتابعيتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله تعالى ردا عليهم (قل لا تمنوا على إسلامكم) فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم والله المنة عليكم فيه (بل الله يمين عليكم أن هذاكم للإيمان إن كنتم صادقين) أى في دعواكم ذلك كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للأتباع يوم حنين « يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم مشركين فأنسكم الله بي ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي ؟ » كما قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن . وقال الحافظ أبو بكر البرزاني حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا يحيى بن سعيد الأموى عن محمد بن قيس عن أبي عون عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال جاءت بنو أسد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله أسلمنا وقتلتك العرب ولم

فما تلت فقال رسول الله ﷺ : إن قههم قليل وإن الشيطان ينطق على ألسنتهم . ونزلت هذه الآية (يذنون عليكم أن أسلموا قل لا آمنوا على إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) ثم قال لا تعلمه يروي إلا من هذا الوجه ولا تعلم روى أبو يعون محمد بن عبد الله عن سعيد بن جبير غير هذا الحديث . ثم كرر الأخبار بعلمه بجميع الكائنات وبصره بأعمال المخلوقات فقال (إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون) آخر تفسير سورة الحجرات والله الحمد والمثوبة والتوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة ق وهي مكية ﴾

هذه السورة هي أول الحزب المفصل على الصحيح وقيل من الحجرات . وأما ما يقوله العوام إنه من (عم) فلا أصل له ولم يقله أحد من العلماء رضى الله عنهم المعتبرين فيما نعلم . والله ليل على أن هذه السورة هي أول الفصل مارواه أبو داود في سننه باب تحزيب القرآن ثم قال حدثنا مسدد حدثنا قراب بن تمام ح حدثنا عبد الله بن سعيد أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد ثنا سلمان بن حبان وهذا لفظه عن عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى عن عثمان بن عبد الله بن أوس عن جده قال عبد الله بن سعيد حدثني أوس بن حذيفة ثم اتفقا قال قدمنا على رسول الله ﷺ في وفد ثقيف قال فنزلت الاحلاف على المغيرة بن شعبه رضى الله عنه وأنزل رسول الله ﷺ بنى مالك في قبة له قال مسدد وكان في الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من ثقيف قال كان رسول الله ﷺ كل ليلة يأتي بنا بعد الشاء يحدثنا قال أبو سعيد قائماً على رجله حتى يراوح بين رجله من طول القيام فأكثر ما يحدثنا صلى الله عليه وسلم مالقى من قومه قريش ثم يقول ﷺ « لا أساء وكنا مستضعفين مستذلين » قال مسدد بمكة — فلما خرجنا إلى المدينة كانت الحرب سجالاً بيننا وبينهم ندال عليهم ويدالون علينا « فلما كانت ليلة أبطأ عنا صلى الله عليه وسلم عن الوقت الذي كان يأتينا فيه فقلنا لقد أبطأت علينا الليلة قال صلى الله عليه وسلم « إنه طرأ على حزبي من القرآن فكهرت أن أجيء حتى أتمه » . قال أوس سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف يحزبون القرآن فقالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة . وحزب المفصل وحده ورواه ابن ماجه عن أبي بكر ابن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر به ورواه الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي عن عبد الله بن عبد الرحمن هو ابن يعلى الطائفي به . إذا علم هذا فاذا عدت ثمانياً وأربعين سورة فالتى بعدهن سورة ق . بيانه ثلاث : البقرة وآل عمران والنساء . وخمس : المائة والأنعام والأعراف والأنفال وبراءة . وسبع : يونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل . وتسع : سبحان والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان . وإحدى عشرة : الشعراء والزلزال والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والم السجدة والأحزاب وسبأ وفاطر ويس . وثلاث عشرة : الصافات وص والزمر وغافر وحج السجدة وحج عسق والزخرف والدخان والحجاثية والأحقاف والقتال والفتح والحجرات . ثم بعد ذلك الحزب المفصل كما قاله الصحابة رضى الله عنهم . فتعين أن أوله سورة ق وهو الذى قلنا والله الحمد والمثوبة . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبد الله بن عبد الله أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيد قال بقاف واقتربت ورواه مسلم وأهل السنن الأربعة من حديث مالك به وفي رواية لمسلم عن مالك عن ضمرة عن عبد الله عن أبي واقد قال سألت عمر رضى الله عنه فذكره ﴿ حديث آخر ﴾ وقال أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي ثنا أبي إسحاق حدثني عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن أم هشام بنت حارثة قالت لقد كان تنورنا وتنور النبي ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة وما أخذت (ق والقرآن المجيد) إلا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأها كل يوم الجمعة على المنبر إذا خطب الناس رواه مسلم من حديث ابن إسحاق به . وقال أبو داود حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبه عن حبيب بن عبد الله بن محمد بن معن عن ابنه الحارث بن النعمان قالت ما حفظت ق إلا من في رسول الله ﷺ

يخطب بها كل جمعة. قالت وكان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا وكذا رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث شعبة به ، والقصد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بهذه السورة في الجامع الكبار كالعيد والجمع لاشتمالها على ابتداء الخلق والبعث والنشور والمعاد والقيام والحساب والجنة والنار والثواب والعقاب والترغيب والترهيب والله أعلم .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴾ بَلْ عَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَاْفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٌ ﴾

(ق) حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور كقوله تعالى (ص - ون - الم - وح - وطس) ونحو ذلك قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته وقد روى عن بعض السلف أنهم قالوا ق جبل محيط بجميع الأرض يقال له جبل قاف ، وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم بما لا يصدق ولا يكذب ، وعندى أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم كما افتري في هذه الأمة مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول البدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم وشربهم الخمر وتحريف علمائهم الكلام عن مواضعه وتبديل كتب الله وآياته ، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله « وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » فيما قد يجوز العقل ، فلما تحيله العقول ويحكم فيه بالباطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل والله أعلم . وقد أكثر كثير من السلف من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد وليس بهم احتياج إلى أخبارهم والله الحمد والمنة حتى إن الإمام أبا محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رحمه الله عليه أورد ههنا أثرا غريبا لا يصح سنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال حدثنا أبي قال حدثت عن محمد بن إسماعيل الخزرجي حدثنا ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خلق الله تبارك وتعالى من وراء هذه الأرض بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك البحر جبلا يقال له قاف سماء الدنيا مرفوعة عليه ثم خلق الله تعالى من وراء ذلك الجبل أرضا مثل تلك الأرض سبع مرات ، ثم خلق من وراء ذلك بحرا محيطا بها ثم خلق من وراء ذلك جبلا يقال له قاف السماء الثانية مرفوعة عليه حتى عد سبع أرضين وسبعة أبحر وسبعة سموات قال وذلك قوله تعالى (والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر) فاسناد هذا الأثر فيه انقطاع ، والذي رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل (ق) هو اسم من أسماء الله عز وجل والذي ثبت عن مجاهد أنه حرف من حروف الهجاء كقوله تعالى (ص - ن - حم - طس - الم) ونحو ذلك فهذه تبعد ما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل المراد قضى الأمر والله وأن قوله جل ثناؤه ق دلت على المحذوف من بقية الكلمة كقول الشاعر * قلت لها قفي فقالت ق * وفي هذا التفسير نظر لأن المحذوف في الكلام إنما يكون إذا دل دليل عليه ومن أين يفهم هذا من ذكر هذا الحرف ؟ وقوله تعالى (والقرآن المجيد) أي الكريم العظيم الذي (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) واختلفوا في جواب القسم ما هو فحكى ابن جرير عن بعض النحاة أنه قوله تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) وفي هذا نظر بل الجواب هو مضمون الكلام بعد القسم وهو اثبات النبوة واثبات المعاد وتقريره وتحقيقه وإن لم يكن القسم يتلقى لفظا وهذا كثير في أقسام القرآن كما تقدم في قوله (ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق) وهكذا قال ههنا (ق والقرآن المجيد بل عجبوا

أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب (أى تعجبوا من إرسال رسول إليهم من البشر كقوله جل جلاله) أكان للناس عجا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس (أى وليس هذا بعجيب فإن الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس . ثم قال عز وجل مخبرا عنهم فى تعجبهم أيضا من العباد واستبعادهم لوقوعه أئذامتنا وكنا ترابا ذلك رجع بعيد) أى يقولون أئذا متنا وبلىنا وتقطعت الأوصال منا وصرنا ترابا كيف يمكن الرجوع بعد ذلك إلى هذه البنية والتركيب ؟ (ذلك رجع بعيد) أى بعيد الوقوع . والمعنى أنهم يمتنعون استحالاته وعدم إمكانه قال الله تعالى راداً عليهم (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أى ماتاً كل من أجسادهم فى البلى نعلم ذلك ولا يخفى علينا أين تفرقت الأبدان وأين ذهبت وإلى أين صارت (وعندنا كتاب حفيظ) أى حافظ لذلك فالحق شامل والكتاب أيضا فيه كل الأشياء مضبوطة قال العوفي عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أى ماتاً كل من لحومهم وأبشارهم ، وعظامهم وأشعارهم ، وكنا قال مجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم ، ثم بين تبارك وتعالى سبب كفرهم وعنادهم واستبعادهم ما ليس ببعيد فقال (بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم فى أمر مرتب) أى وهذا حال كل من خرج عن الحق مهما قال بعد ذلك فهو باطل ، والمرتب : المختلج المضطرب الملتبس النكر خلاله كقوله تعالى (إنكم لفى قول مختلف يؤيك عنه من أفك)

﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾

يقول تعالى منها للعباد على قدرته العظيمة التى أظهر بها ما هو أعظم مما تعجبوا مستبعدين لوقوعه (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها) أى بالمصاييح (وما لها من فروع) قال مجاهد يعنى من شقوق وقال غيره فوق ، وقال غيره صدوع والمعنى متقارب كقوله تبارك وتعالى (الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) ثم ارجع البصر كرتين يتقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير) أى كليل عن أن يرى عيبا أو نقصا وقوله تبارك وتعالى (والأرض مددناها) أى وسعناها وفرشناها (وألقينا فيها رواسي) وهى الجبال لئلا تميد بأهلها وتضطرب فانها مقرة على تيار الماء المحيط بها من جميع جوانبها (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أى من جميع الزروع والثمار والنبات والأنواع (ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) وقوله بهيج أى حسن للنظر (تبصرة وذكرى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) أى ومشاهدة خلق السموات والأرض وما جعل الله فيهما من الآيات العظيمة تبصرة ودلالة وذكرى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ أى خاضع خائف وجل رجاع إلى الله عز وجل وقوله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى نافعا (فأنبطنا به جنات) أى حدائق من بساتين ونحوها (وحبب الحصيد) وهو الزرع الذى يراد لحبه وأدخاره (والنخل باسقات) أى طاولا شاهقات قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والسدى وغيرهم الباسقات الطوال (لها طلع نضيد) أى منضود (رزقا للعباد) أى للخلق (وأحيينا به بلدة ميتا) وهى الأرض التى كانت هامدة فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج من أرزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف فى حسنها وذلك بعد ما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك كذلك يحيى الله الموتى وهذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله عز وجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقوله تعالى (أولم يروا أن الله الذى خلق

السموات والأرض ولم يعي بخلقهم بقادر على أن يحيي الموتى . بلى إنه على كل شيء قدير) وقال سبحانه وتعالى (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَنَمُودُ * وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ * وَقَوْمُ تُبَعٍّ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ * أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

يقول تعالى متهددا لكفار قريش بما أحله بأشباههم ونظرائهم وأمثالهم من المكذبين قبلهم من النقات والعذاب الأليم في الدنيا كقوم نوح وما عذبهم الله تعالى به من العرق العام لجميع أهل الأرض وأصحاب الرس وقد تقدمت قصتهم في سورة الفرقان (ونمود وعاد وفرعون وإخوان لوط) وهم أمته الذين بعث إليهم من أهل سدوم ومعاينتها من العور وكيف خسف الله تعالى بهم الأرض وأحال أرضهم بحيرة منتنة خبيثة بكفرهم وطغيانهم وعخالتهم الحق (وأصحاب الأيكة) وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام (وقوم تبع) وهو اليماني وقد ذكرنا من شأنه في سورة الدخان ما أغنى عن اعادته ههنا والله الحمد والشكر (كل كذب الرسل) أى كل من هذه الأمم وهؤلاء القرون كذب رسولهم ومن كذب رسولا فكأنما كذب جميع الرسل كقوله جل وعلا (كذبت قوم نوح المرسلين) وإعماجهم رسول واحد فهم في نفس الأمر لو جاءهم جميع الرسل كذبوهم (فحق وعيد) أى فحق عليهم ما أوعدهم الله تعالى على التكذيب من العذاب والنكال ، فليحذر المخاطبون أن يصيبهم ما أصابهم فانهم قد كذبوا رسولهم كما كذب أولئك وقوله تعالى (أفعينا بالخلق الأول) أى أفأعجزنا ابتداء الخلق حتى هم في شك من الاعادة (بل هم في لبس من خلق جديد) والمعنى أن ابتداء الخلق لم يعجزنا والاعادة أسهل منه كما قال عز وجل (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقال الله جل جلاله (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقد تقدم في الصحيح « يقول الله تعالى يؤذني ابن آدم يقول لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون على من أعادته »

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾

يخبر تعالى عن قدرته على الإنسان بأنه خالقه وعلمه محيط بجميع أموره حتى إنه تعالى يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم من الخير والشر . وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل » وقوله عز وجل (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) يعنى ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه ، ومن تأوله على العلم فأنما قرئلا يلزم حاول أو اتحاد وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس ولكن اللفظ لا يقتضيه فإنه لم يقل : وأنا أقرب إليه من حبل الوريد وإنما قال (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) كما قال في المختصر (ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون) يعنى ملائكته وكما قال تبارك وتعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن باذن الله عز وجل وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه باقدار الله جل وعلا لهم على ذلك . فالملائكة من

الإنسان كما أن للشيطان لمة وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ولهذا قال تعالى ههنا (إذ يتلقى المتلقيان) يعني المسكين الذي يكتبان عمل الإنسان (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أي مترصد (ما يلفظ) أي ابن آدم (من قول) أي ما يتكلم بكلمة (إلا لديه رقيب عتيد) أي إلا ولها من يرقبها معسد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة كما قال تعالى (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يفاعون ما تعملون) وقد اختلف العلماء هل يكتب الملك كل شيء من الكلام . وهو قول الحسن وقتادة ، أو إنما يكتب ما فيه ثواب وعقاب كما هو قول ابن عباس رضي الله عنهما . على قولين وظاهر الآية الأول لعموم قوله تبارك وتعالى (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة اللبني عن أبيه عن جده علقمة عن بلال بن الحارث الزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى عليه بها مسخطه إلى يوم يلقاه » فكان علقمة يقول كم من كلام قد منعني حديث بلال بن الحارث ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح وله شاهد في الصحيح وقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال فإن أصاب العبد خطيئة قال له أمسك فإن استغفر الله تعالى نهى أن يكتبها وإن أبي كتبها . رواه ابن أبي حاتم وقال الحسن البصري وتلا هذه الآية (عن اليمين وعن الشمال قعيد) يا ابن آدم بسطت لك صحيفة ووكلك بك ملسكان كريمان أحدهما عزيمتك والآخر عن شمالك فاما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتك فاعمل ما شئت أقل أو أكثر حتى إذا امت ما طويت صحيفةك وجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) ثم يقول عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) قال يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر حتى أنه يكتب قوله أكلت شربة ذهبت جئت رأيت حتى إذا كان يوم القيامة عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائرته وذلك قوله تعالى (يدعو الله ما يشاء وشئت عنده أم الكتاب) وذكر عن الإمام أحمد أنه كان يثنى في مرضه فبلغه عن طاوس أنه قال يكتب الملك كل شيء حتى الأنين فلم يأن أحمد حتى مات رحمه الله . وقوله تبارك وتعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) يقول عز وجل وجاءت أيها الإنسان سكرة الموت بالحق أي كشفت لك عن اليقين الذي كنت تمترى فيه (ذلك ما كنت منه تحيد) أي هذا هو الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكك ولا خلاص . وقد اختلف المفسرون في الخطاب بقوله (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) فالصحيح أن الخطاب بذلك الإنسان من حيث هو وقيل الكافر وقيل غير ذلك . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا إبراهيم بن زياد سبلان أخبرنا عباد بن عباد عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده علقمة بن وقاص قال إن عائشة رضي الله عنها قالت حضرت أبي رضي الله عنه وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فاخذته غشية فتمثلت بييت من الشعر :

من لا يزال دمه مقنعا فإنه لا بد مرة مسدوق

قالت فرفع رضي الله عنه رأسه فقال يا بنية ليس وكذلك لكن كما قال تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد) وحدثنا خلف بن هشام حدثنا أبو شهاب الحياطي عن إسماعيل بن أبي خالد عن الهبي قال لما أن ثقل أبو بكر رضي الله عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يعني الثراء عن الفق

فكشفت عن وجهه وقال رضي الله عنه ليس كذلك ولكن قولي (وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه

(تحيد) . وقد أوردت لهذا الأثر طرفا كثيرة في سيرة الصديق رضى الله عنه عند ذكر وفاته ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه لما تشاء الموت جعل يمسح العرق عن وجهه ويقول « مَبْحَانُ اللَّهِ إِنْ لَبِثْتُ لِسَكَرَاتٍ » وفي قوله (ذلك ما كنت منه تحيد) قولان (أحدهما) أن ما ههنا موصولة أى الذى كنت منه تحيد بمعنى تتعد وتتناهى وتفر قد حل بك ونزل بساحتك (والقول الثانى) أن ما نافية بمعنى ذلك ما كنت تقدر على الفراق منه ولا الحيد عنه وقد قال الطبرانى فى المعجم الكبير حدثنا مؤمل بن على الصائغ السكى حدثنا حفص عن ابن عمر الحدى حدثنا معاذ بن محمد الهذلى عن يونس بن عبيد عن الحسن بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ « مثل الذى يفر من الموت مثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فجاء يسعى حتى إذا أعيا وأسهر دخل جحره وقالت له الأرض يا ثعلب ديني فخرج وله حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه ومات » ومضمون هذا المثل كما لا انفكاك له ولا يحيد عن الأرض كذلك الإنسان لا يحيد له عن الموت ، وقوله تبارك وتعالى (ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد) قد تقدم الكلام على حديث النفخ فى الصور والفرع والصعق والبعث وذلك يوم القيامة وفى الحديث أن رسول الله ﷺ قال « كيف أنهم صاحب القرن قد اتقوا القرن وحفى جهته وانتظر أن يؤذن له » قالوا يا رسول الله كيف تقول ؟ قال ﷺ « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » فقال القوم حسبنا الله ونعم الوكيل (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) أى ملك يسوقه إلى المحشر وملك يشهد عليه بأعماله . هذا هو الظاهر من الآية الكريمة . وهو اختيار ابن جرير ثم روى من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن يحيى بن رافع مولى لثقيف قال سمعت عثمان بن عفان رضى الله عنه يخطب فقرا هذه الآية (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) فقال سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت وكذا قال مجاهد وقادة وابن زيد وقال مطرف عن أبى جعفر مولى أشجع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال السائق الملك والشهيد العبد وكذا قال الضحاك والسدى وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه وبه قال الضحاك بن مزاحم أيضا . وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال فى المراد بهذا الخطاب فى قوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أحدها أن المراد بذلك الكافر رواه على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان والثانى أن المراد بذلك كل أحد من بر وفاجر لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كالغفلة والدنيا كالنام وهذا اختيار ابن جرير ونقله عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، والثالث أن الخطاب بذلك النبى ﷺ وبه يقول زيد بن أسلم وابنه والمعنى على قولهما لقد كنت فى غفلة من هذا القرآن قبل أن يوحى إليك فكشفنا عنك غطاءك بانزاله إليك فبصرك اليوم حديد والظاهر من السياق خلاف هذا بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو والمراد بقوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) يعنى من هذا اليوم (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أى قوى لأن كل أحد يوم القيامة يكون مستبصرا حتى الكفار فى الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة لكن لا يفهم ذلك قال الله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) وقال عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لنعمل صالحا إنا موقنون)

﴿ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ ۖ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۖ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ۚ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ۖ ﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۖ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ۖ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَمِيدِ ۖ

يقول تعالى مخبرا عن الملك الموكل بعمل ابن آدم أنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول (هذا ما لدى عتيد) أى ممتد محضر بلا زيادة ولا نقصان وقال مجاهد هذا كلام الملك السائق يقول هذا ابن آدم الذى وكلتني به قد أحضرته

وقد اختار ابن جرير أنه يعم السائق والشهيد وله اتجاه وقوة فعند ذلك يحكم الله تعالى في الخليفة بالعدل فيقول (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) وقد اختلف النحاة في قوله (ألقيا) فقال بعضهم هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالثنية كما روى عن الحجاج أنه كان يقول يا حرسى اضربا عنقه وما أنشد ابن جرير على هذه قول الشاعر

فان تزجراني يا ابن عفان أنزجر * وإن تركاني أحمرضامنعا

وقيل بل هي فون التأكيد سهلت إلى الالف وهذا بعيد لأن هذا إنما يكون في الوقف والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب فلما أدى الشهيد عليه أمرها الله تعالى بالقائه في نار جهنم وبئس تصوير (ألقيا في جهنم كل كفار عنيد) أي كثير الكفر والتكذيب بالحق عنيد معاند لا يحق معارضته بالباطل مع علمه بذلك (مناع للخير) أي لا يؤدي ما عليه من الحقوق ولا يرفيه ولا صلة ولا صدقة (معتد) أي فيما ينفعه ويصرفه يتجاوز فيه الحد . وقال قتادة معتد في منطقه وسيره وأمره (مريب) أي شاك في أمره مريب لمن نظر في أمره (الذي جعل مع الله إلها آخر) أي أشرك بالله فبعد معه غيره (فألقياه في العذاب الشديد) وقد تقدم في الحديث أن عقاب من النار يبرز للخلائق فينادى بصوت يسمع الخلائق إني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد ؟ ومن جعل مع الله إلها آخر . وبالمصورين ثم تنطوى عليهم قال الإمام أحمد حدثنا معاوية هو ابن هشام حدثنا شيبان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال « يخرج عنق من النار يتكلم يقول وكلت اليوم بثلاثة بكل جبار عنيد ومن جعل مع الله إلها آخر ومن قتل نفسا بغير نفس فتتطوى عليهم فتقذفهم في غمرات جهنم » (قال قرينه) قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة وغيرهم هو الشيطان الذي وكل به (ربنا ما أطعته) أي يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافرا يثبأ منه شيطانه فيقول (ربنا ما أطعته) أي ما أضلته (ولكن كان في ضلال بعيد) أي بل كان هو في نفسه ضالا قابلا للباطل معاندا للحق كما أخبر سبحانه وتعالى في الآية الأخرى في قوله (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بصخر خكم وما أتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) وقوله تبارك وتعالى (قال لا تختصموا لدي) يقول الرب عز وجل للانبياء وقرينه من الجن وذلك أنهم ما يختصمان بين يدي الحق تعالى فيقول الانبياء يارب هذا أضلني عن الله كره بعد إذ جاءني ويقول الشيطان (ربنا ما أطعته ولكن كان في ضلال بعيد) أي عن منهج الحق فيقول الرب عز وجل لهما (لا تختصموا لدي) أي عندي (وقد قدمت إليكم بالوعيد) أي قد أعذرت إليكم على السنة الرسل وأنزلت الكتب وقامت عليكم الحجج والبيئات والبراهين (ما يبدل القول لدي) قال مجاهد يعني قد قضيت ما أنا قاض (وما أنا بظلام للعبيد) أي لست أعذب أحدا بذنب أحد ولكن لا أعذب أحدا إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه .

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ * وَأَزْلَفَتْ الْجَنَّةُ الْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ * ادْخُلُوا هَاسِكُمْ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾

يخبر تعالى أنه يقول لجهنم يوم القيامة هل امتلأت ؟ وذلك لأنه تبارك وعدها أن سيملؤها من الجنة والناس أجمعين فهو سبحانه وتعالى يأمر بمن يأمر به إليها ويلقي وهي تقول هل من مزيد : أي هل بقي شيء تزيدوني ؟ هذا هو الظاهر من سياق الآية وعليه تدل الأحاديث . قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا حري بن عمار حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يلقى في النار وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع قدمه فيها فتقول : قط قط » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لاتزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة قدمه فيها فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة فضل حتى يذهب الله لها خلها آخر فيسكنهم الله تعالى في فضول الجنة » ثم رواه مسلم من حديث قتادة بنحوه . ورواه أبان العطار وسليمان التيمي عن قتادة بنحوه (حديث آخر) قال البخاري حدثنا محمد بن موسى القطان حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى بن مهيدي حدثنا عوف عن محمد بن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه وأكثرت ما كان يوقفه أبو سفيان : « يقال لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول قط قط . » ورواه أبو أيوب وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين به (طريق أخرى) قال البخاري وحدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين ، وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي ، وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها ، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فيها فتقول قط قط فهذا لك تمتلئ وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا آخر »

(حديث آخر) قال مسلم في صحيحه : حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « احتجت الجنة والنار فقالت النار في الجبارون والمتكبرون وقالت الجنة في ضعفاء الناس ومساكينهم فقضى بينهما فقال للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منكما ماؤها » انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه والله سبحانه وتعالى أعلم : وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أبي سعيد رضي الله عنه بأبسط من هذا السياق فقال حدثنا حسن وروح قالا حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن أبي سعيد الحدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « افتخرت الجنة والنار فقالت النار يارب يدخلني الجبابرة والمتكبرون والملوك والأشراف ، وقالت الجنة أي رب يدخلني الضعفاء والفقراء والمساكين فيقول الله تبارك وتعالى للنار أنت عذابي أصيب بك من أشياء ، وقال للجنة أنت رحمتي وسعت كل شيء ولكل واحدة منكما ملؤها فيلقى في النار أهلها فتقول هل من مزيد ، قال ويلقي فيها وتقول هل من مزيد ويلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يأتها عز وجل فيضع قدمه عليها فتزوي وتقول قدني قدني ، وأما الجنة فيبقى فيها ما شاء الله تعالى أن يبقى فينشئ الله سبحانه وتعالى لها خلقا ما يشاء » (حديث آخر) وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا عقبة بن مكرم حدثنا يونس حدثنا عبد الغفار بن القاسم عن عدي بن ثابت عن زرين حبيش عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « يعرفني الله تعالى نفسه يوم القيامة فأسجد سجدة يرضى بها عني ثم أمدحه ممدحة يرضى بها عني ثم يؤذن لي في الكلام ثم تمر أمقي على الصراط مضروب بين ظهري جهنم فيمرون أسرع من الطرف والسهم وأسرع من أجود الخيل حتى يخرج الرجل منها محبوا وهي الأعمال ، وجهنم تسأل المزيد حتى يضع فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط وأنا على الحوض » قيل وما الحوض يا رسول الله ؟ قال رسول الله ﷺ « والذي نفسي بيده إن شربه أبيض من اللبن وأحلى من العسل ، وأبرد من الثلج ، وأطيب ريحا من المسك ، وأنيته أكثر من عدد النجوم لا يشرب منه إنسان فيظما أبدا ولا يصرف فيروى أبدا » وهذا القول هو اختيار ابن جرير . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى الحماني عن نصر الجزار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما (يوم تقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) قال ما امتلأت قال تقول وهل في من مكان يزاد في ، وكذا رواه الحكم بن أبان عن عكرمة (وتقول هل من مزيد) وهل في مدخل واحد قدامتلات قال الوليد بن مسلم عن يزيد بن أبي مريم أنه سمع محمدا يقول لا يزال يمدف فيها حتى تقول قدامتلات فتقول هل في مزيد ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

نحو هذا فعند هؤلاء أن قوله تعالى (هل امتلأت) إنما هو بعد ما يضع عليها قدمه فتزوى وتقول حينئذ هل بقي في
 مزيد يسع شيئا ؟ قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وذلك حين لا يبقى فيها موضع يسع إبرة والله أعلم
 وقوله تعالى (وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد) قال قتادة وأبو مالك والسدي (وأزلفت) أدنيت وقربت من
 المتقين (غير بعيد) وذلك يوم القيامة وليس يبعد لأنه واقع لا محالة وكل ما هو آت قريب (هذا ما وعدون لكل
 أبواب) أي رجاء ثواب مقلع (حفيظ) أي يحفظ العهد فلا ينقضه ولا ينكثه ، وقال عبيد بن عمير : الأبواب الحفيظ
 الذي لا يجلس مجلسا فيقوم حتى يستغفر الله عز وجل (من خشى الرحمن بالغيث) أي من خاف الله في سره حيث
 لا يراه أحد إلا الله عز وجل كقوله ﷺ « ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه » (وجاء بقلب منيب)
 أي ولقى الله عز وجل يوم القيامة بقلب منيب سليم إليه خاضع لديه (ادخاوها) أي الجنة (بسلام) . قال قتادة
 سلموا من عذاب الله عز وجل وسلم عليهم ملائكة الله . وقوله سبحانه وتعالى (ذلك يوم الخلود) أي يخلدون في الجنة
 فلا يموتون أبدا ولا يظنون أبدا ولا يبعثون عنها حولا ، وقوله جات عظمتها (لهم ما يشاءون فيها) أي مهما اختاروا
 وجدوا من أي أصناف اللذات طلبوا أحضر لهم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عمر بن عثمان حدثنا بقية عن
 يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال من الزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون فأمره
 لكم ؟ فلا يدعون بشيء إلا أمطرهم ، قال كثير لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن أمطرنا جوارى مزيئات
 وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ قال له « إنك لتستهي الطير في الجنة فيختر
 بين يديك مشويا » وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن عامر الأحول عن أبي
 بكر الصديق رضي الله عنه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 « إذا استهي المؤمن الولد في الجنة كان حمله ووضعوه وسنه في ساعة واحدة » ورواه الترمذي وابن ماجه عن بشار عن
 معاذ بن هشام به وقال الترمذي حسن غريب وزاد : كما استهي وقوله تعالى (ولدينا مزيد) كقوله عز وجل (للذين أحسنوا
 الحسنى وزيادة) وقد تقدم في صحيح مسلم عن صهيب بن سنان الرومي أنها النظر إلى وجه الله الكريم . وقد روى
 البزار وابن أبي حاتم من حديث شريك القاضي عن عثمان بن عمير أبي البقطان عن أنس مالك رضي الله عنه في قوله عز وجل
 (ولدينا مزيد) قال يظهر لهم الرب عز وجل في كل جمعة ، وقد رواه الإمام أبو عبد الله الشافعي مرفوعا فقال في مسنده
 أخبرنا إبراهيم بن محمد حدثني موسى بن عبيدة حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبيد الله بن عمير أنه
 سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول أتى جبرائيل عليه الصلاة والسلام بمرآة بيضاء فيها نكتة إلى رسول الله ﷺ
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ماهذه » فقال هذه الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها
 تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير ولكم فيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله تعالى فيها بخير إلا استجيب له وهو
 عندنا يوم الزيد قال النبي ﷺ « يا جبريل وما يوم الزيد » قال عليه السلام إن ربك تبارك وتعالى اتخذ في
 الفردوس واديا أفصح فيه كتب المسك فإذا كان يوم الجمعة أنزل الله تعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور
 عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر من ذهب مكاللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم
 على تلك الكتب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فساوئى أعطكم فيقولون ربنا نسألك
 رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيت ولدى مزيد . فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم تبارك
 وتعالى من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة . هكذا أورده الامام
 الشافعي رحمه الله في كتاب الجمعة من الأم وله طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه وقد آورد ابن جرير هذا
 الحديث من رواية عثمان بن عمير عن أنس رضي الله عنه بأبسط من هذا وذكر ههنا أنرا مطولا عن أنس بن مالك
 رضي الله عنه موقوفا وفيه غرائب كثيرة

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله

ﷺ قال « إن الرجل في الجنة ليتكىء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم تأتيه امرأة تضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين الشرق والغرب فتسلم عليه فيرد السلام فيسألها من أنت؟ فتقول أنا من الزيد وأنه ليسكون عليها سبعون حلة أدناها مثل النعمان من طوبى فينفذها بصره حتى يرى منع ساقها من وراء ذلك ، وإن عليها من التيجان إن أدنى لؤلؤة منها تضيء ما بين الشرق والغرب » وهكذا رواه عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴾

يقول تعالى وكما أهلكنا قبل هؤلاء المكذبين (من قرن هم أشد منهم بطشا) أى كانوا أكثر منهم وأشد قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها ولهذا قال تعالى ههنا (فنقبوا في البلاد هل من محيص) قال ابن عباس رضى الله عنهما أثروا فيها وقال مجاهد (فنقبوا في البلاد) ضربوا في الأرض وقال قتادة فساروا في البلاد أى ساروا فيها يتبعون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم بها ويقال لمن طوف في البلاد نقب فيها ، قال امرؤ القيس
لقد نقبت في الآفاق حتى رصيت من الغنيمة بالإياب

وقوله تعالى (هل من محيص) أى هل من مفر كان لهم من قضاء الله وقدره وهل منهم ما جمعه ورد عنهم عذاب الله إذ جاءهم لما كذبوا الرسل فأتهم أيضا لا مفر لكم ولا محيد ولا مناص ولا محيص . وقوله عز وجل (إن في ذلك لذكرا) أى لبرة (لمن كان له قلب) أى لب يعى به . وقال مجاهد : عقل (أو ألقى السمع وهو شهيد) أى استمع الكلام فوعاه وتقبله بقله وتفهمه بلبه ، وقال مجاهد (أو ألقى السمع) يعنى لا يحدث نفسه في هذا بقلب ، وقال الضحاك العرب تقول ألقى فلان سمعه إذا استمع بأذنيه وهو شاهد بقلب غير غائب وهكذا قال الثوري وغير واحد وقوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب) فيه تقرير للمعاد لأن من قصد على خالق السموات والأرض ولم يعي بخلقه من قادر على أن يحيى الموتى بطريق الأولى والأخرى ، وقال قتادة : قالت اليهود - عليهم لعائن الله - خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه (وما مسنا من لغوب) أى من إعياء ولا تعب ولا نصب كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى (أو لم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يمس بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى إنه على كل شىء قدير) وكما قال عز وجل (خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها ؟)

وقوله عز وجل (فاصبر على ما يقولون) يعنى المكذبين اصبر عليهم واهجرهم هجرا جميلا (وسبِّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وكانت الصلاة المفروضة قبل الإسراء ثلثان قبل طلوع الشمس في وقت الفجر وقبل الغروب في وقت العصر ، وقيام الليل كان واجبا على النبي ﷺ وعلى أمته حولا ثم نسخ في حق الأمة وجوبه . ثم بعد ذلك نسخ الله تعالى ذلك كله ليلة الإسراء بخمس صلوات ولكن منهن صلاة الصبح والعصر فهما قبل طلوع الشمس وقبل الغروب . وقد قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسماعيل بن أبى خالصة عن قيس بن أبى حازم عن جرير بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كنا جلوسا عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر

فقال « أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون فيه فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا » ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) ورواه البخاري ومسلم وبقية الجماعة من حديث إسماعيل به . وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أى فصل له كقوله (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) (وأدبار السجود) قال ابن أبي نجيع عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما هو التسييح بعد الصلاة . ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال : جاء فقراء المهاجرين فقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « وما ذاك ؟ » قالوا يصلون كما نصلى . ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا تتصدق . ويعتقون ولا نعتق . قال ﷺ « أفلا أعلمكم شيئا إذا فعلتموه سبقتم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من فعل مثل ما فعلتم ؟ تسبحون وتحمدون وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال : فقالوا يا رسول الله سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله . فقال صلى الله عليه وسلم « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » والقول الثانى أن المراد بقوله تعالى (وأدبار السجود) هما الركعتان بعد المغرب وروى ذلك عن عمر وعلى وابنه الحسن وابن عباس وأبي هريرة وأبى أمامة رضى الله عنهم . وبه يقول مجاهد وعكرمة والشعبي والنخعي والحسن وقتادة وغيرهم قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على أثر كل صلاة مكتوبة ركعتين إلا الفجر والعصر وقال عبد الرحمن دبر كل صلاة . ورواه أبو داود والنسائي من حديث سفيان الثوري به زاد النسائي ومطرف عن أبي إسحاق به وقال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن إسحاق الحميداني حدثنا ابن فضيل عن رشدين بن كريب عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : بت ليلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين خفيفتين اللتين قبل الفجر ثم خرج إلى الصلاة فقال يا ابن عباس « ركعتين قبل صلاة الفجر إدبار النجوم . وركعتين بعد المغرب إدبار السجود » ورواه الترمذي عن هشام الرفاعى عن محمد بن فضيل به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وحديث ابن عباس رضى الله عنهما وأنه بات في بيت خالته ميمونة رضى الله عنها وصلى تلك الليلة مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة . ثابت في الصحيحين وغيرها . فأما هذه الزيادة فغريبة لا تعرف إلا من هذا الوجه ورشدين بن كريب ضعيف ولعله من كلام ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه والله أعلم

﴿ وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾

يقول تعالى (واستمع) يا محمد (يوم يناد المناد من مكان قريب) قال قتادة : قال كعب الأخبار يأمر الله تعالى ملكا أن ينادى على صخرة بيت المقدس أيها العظام البالية والواصلات المتقطعة إن الله تعالى يأمركن أن تحتمنن لفصل القضاء (يوم يسمعون الصيحة بالحق) يعنى النفخة في الصور التى تأتى بالحق الذى كان أكثرهم فيه يمترون (ذلك يوم الخروج) أى من الأحداث (إنا نحن نحى ونميت وإلينا المصير) أى هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وإليه مصير الخلاق كلهم فيجازى كلا بعمله إن خيرا فعير وإن شرا فشر . وقوله تعالى (يوم تشق الأرض عنهم سراعا) وذلك أن الله عز وجل ينزل مطرا من السماء ينبت به أجساد الخلاق كلها في قبورها كما ينبت الحب في الثرى بالماء فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالى إسرافيل فينفخ في الصور وقد أودعت الأرواح في ثقب في الصور فإذا نفخ إسرافيل فيه خرجت الأرواح تتوهج بين السماء والأرض فيقول الله عز وجل : وعزنى وجلالى لترجعن كل روح إلى الجسد

الذي كانت تعمده فترجع كل روح إلى جسدها فتدب فيه كما يدب السم في الدبغ وتتشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سراعا مبادرين إلى أمر الله عز وجل (مضطحين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسى) وقال الله تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبئس الا قليلا) وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أول من تنشق عنه الأرض» ، وقوله عز وجل (ذلك حشر علينا يسير) أي تلك إعادة سبلة علينا يسيرة لدينا كما قال جل جلاله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال سبحانه وتعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير) . وقوله جل وعلا (نحن أعلم بما يقولون) أي نحن علمنا محيط بما يقول لك المشركون من التكذيب فلا بهو لك ذلك كقولهم (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) . وقوله تبارك وتعالى (وما أنت عليهم بجبار) أي ولست بالذي يجبر هؤلاء على الهدى وليس ذلك مما كلفت به وقال مجاهد وقتادة والضحاك (وما أنت عليهم بجبار) أي لا تجبر عليهم والقول الأول أولى ولو أراد ما قالوه لقال ولا تكن جبارا عليهم وإنما قال (وما أنت عليهم بجبار) بمعنى وما أنت مجبرهم على الإيمان إنما أنت مبلغ ، قال الفراء: سمعت العرب تقول جبر فلان فلانا على كذا بمعنى أجبره ثم قال عز وجل (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) أي بالغ أنت رسالة ربك فإما يتذكر من يخاف الله ووعيده ويرجو وعده كقوله تعالى (فإما عليك البلاغ وعلينا الحساب) وقوله جل جلاله (فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر) . (ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء) (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) ولهذا قال تعالى ههنا (وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) كان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك يا بار يارحم . آخر تفسير سورة ق والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(تفسير سورة الذاريات وهي مكية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا * فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا * فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا * فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الَّذِينَ لَوَاقِعُ * وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ * إِنَّكُمْ أَنْفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ * يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنْ أَفِكَ * قِيلَ الْخَرَّاصُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ * يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِه تَسْتَعْجِلُونَ﴾

قال شعبه بن الحجاج عن سماك عن خالد بن عرعة أنه سمع عليا رضي الله عنه وشعبة أيضا عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل أنه سمع عليا رضي الله عنه ، وثبت أيضا من غير وجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا عن سنة عن رسول الله ﷺ إلا أنبأتكم بذلك ، فقام إليه ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين مامعنى قوله تعالى (والذاريات ذروا) ، قال علي رضي الله عنه : الريح ، قال (فالحاملات وقر) قال رضي الله عنه : السحاب ، قال (فالجاريات يسرا) قال رضي الله عنه : السفن ، قال (فالماقسات أمرا) قال رضي الله عنه : الملائكة

وقد روى في ذلك حديث مرفوع فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن هانيء حدثنا سعيد بن سلام العطار حدثنا أبو بكر بن أبي سبرة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال جاء صبيغ التميمي إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الذاريات ذروا فقال رضي الله عنه هي الرياح ولولا أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله ماقلته قال فأخبرني عن المسمات أمرا قال رضي الله عنه هي الملائكة ولولا أني سمعت

رسول الله ﷺ يقوله ما قلته ، قال فأخبرني عن الجاريات يسرا قال رضى الله عنه هي السفن ولولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقوله ما قلته ثم أمر بضربه فضرب مائة وجعل في بيت فلما برأ دعابه فضر به مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضى الله عنه امنع الناس من مجالسته فلم يزل كذلك حتى أتى أبا موسى رضى الله عنه فحلف بالأيمان الغلظة ما يجد في نفسه مما كان يجد شيئا فكتب في ذلك إلى عمر رضى الله عنه فكتب عمر ما إخاله الا قد صدق فخل بينه وبين مجالسة الناس قال أبو بكر البزار فأبو بكر بن أبي سبرة لين وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث قلت فهذا الحديث ضعيف رفعه وأقرب ما فيه أنه موقوف على عمر رضى الله عنه فان قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضى الله عنه وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تمننا وعنادا والله أعلم . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القصة في ترجمة صبيغ مطولة وهكذا فسرهما ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ، ولم يحك ابن جرير وابن أبي حاتم غير ذلك ، وقد قيل ان المراد بالداريات الریح كما تقدم وبالحاملات وقرأ السحاب كما تقدم لأنها تحمل الماء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت نفسي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا

فأما الجاريات يسرا فالمشهور عن الجمهور كما تقدم أنها السفن تجري ميسرة في الماء جريا سهلا وقال بعضهم هي النجوم تجري يسرا في أقلا كما ليكون ذلك ترقيا من الأدنى إلى الأعلى إلى ما هو أعلى منه فالرياح فوقها السحاب والنجوم فوق ذلك والمقسمات أمرا الملائكة فوق ذلك تنزل بأوامر الله الشرعية والكونية وهذا قسم من الله عز وجل على وقوع المعاد ولهذا قال تعالى (إنما تعدون لصا دق) أي لحبر صدق (وإن الدين) وهو الحساب (لواقع) أي لكائن لاحالة :

ثم قال تعالى (والسماء ذات الحجب) قال ابن عباس رضى الله عنهما ذات الجمال والبهاء والحسن والاستواء وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبیر وأبو مالك وأبو صالح والسدي وقتادة وعطية العوفي والريبع بن أنس وغيرهم وقال الضحاك والمنهال بن عمرو وغيرهما مثل تجعد السماء والرمل والزرع إذا ضربته الريح فينسج بعضه بعضا طرائق طرائق فذلك الحجب قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن من ورائكم الكذاب المضل وإن رأسه من ورائه حبكا حبكا » يعني بالحجب الجموعة . وعن أبي صالح ذات الحجب الشدة وقال خصيف ذات الحجب ذات الصفاقة . وقال الحسن بن أبي الحسن البصري ذات الحجب حبكت بالنجوم . وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن عمرو البكالي عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما (والسماء ذات الحجب) يعني السماء السابعة وكأنه والله أعلم أراد بذلك السماء التي فيها الكواكب الثابتة وهي عند كثير من علماء الهيئة في الفلك الثامن الذي فوق السابعة والله أعلم . وكل هذه الأقوال ترجع إلى شيء واحد وهو الحسن والبهاء كما قال ابن عباس رضى الله عنهما فانها من حسنهما مرتفعة شفافة صفيقة شديدة البناء متسعة الأرجاء أنيقة البهاء مكللة بالنجوم الثوابت والسيارات موشجة بالشمس والقمر والكواكب الزاهرات . وقوله تعالى (إنكم لفي قول مختلف) أي إنكم أيها المشركون المكذبون للرسل لفي قول مختلف مضطرب لا يلتزم ولا يجتمع وقال قتادة إنكم لفي قول مختلف ما بين مصدق بالقرآن ومكذب به . (يؤفك عنك من أفك) أي إنما يروج على من هو ضال في نفسه لأنه قول باطل إنما يتقاده ويضل بسببه ويؤفك عنه بن هو مأفوك ضال غمر لا فهم له كما قال تعالى (فإنكم وما تعبدون ما أتمم عليه بغاتين إلا من هو صال الجحيم) قال ابن عباس رضى الله عنهما والسدي (يؤفك عنه من أفك) يضل عنه من ضل وقال مجاهد (يؤفك عنه من أفك) يؤفن عنه من أفن ، وقال الحسن البصري يصرف عن هذا القرآن من كذب به . وقوله تعالى (قتل الحراصون) قال مجاهد الكذابون قال وهب مثل التي في عبس (قتل الإنسان ما أكفره) والحراصون الذين يقولون لا نبعث ولا يوقنون . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (قتل الحراصون) أي لمن الرقابون . وهكذا كان معاذ رضى الله عنه يقول في خطبته: هلك الرتابون.

وقال قتادة : الحراسون أهل الغرة والظنون وقوله تبارك وتعالى (الذين هم في غمرة ساهون) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغير واحد في الكفر والشك غافلون لا هون (يسألون أيا يوم الدين) وإنما يقولون هذا تكذيبا وعنادا وشكا واستبعادا قال الله تعالى (يوم هم على النار يفتنون) . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد يفتنون يمدبون قال مجاهد : كما يفتن الذهب على النار ، وقال جماعة آخرون كمجاهد أيضا وعكرمة وإبراهيم النخعي وزيد بن أسلم وسفيان الثوري يفتنون يحرقون (ذوقوا فنتنكم) قال مجاهد : حريقكم وقال غيره عذابكم (هذا الذي كنتم به تستعجبون) أى يقال لهم ذلك تقرىما وتوبيخا وتحقيرا وتصغيرا والله أعلم

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَخَلْقٌ مِّثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴾

يقول تعالى يخبرنا عن المتقين الله عز وجل أنهم يوم معادهم يكونون في جنات وعيون بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من العذاب والنكال أو الحريق والأغلال . وقوله تعالى (آخذين ما آتاهم ربهم) قال ابن جرير أى عاملين بما آتاهم الله من الفرائض (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) أى قبل أن يفرض عليهم الفرائض كانوا محسنين في الأعمال أيضا ثم روى عن ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن أبي عمر عن مسلم البطين عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى (آخذين ما آتاهم ربهم) قال من الفرائض (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) قبل الفرائض يعمون ، وهذا الإسناد ضعيف ولا يصح عن ابن عباس رضى الله عنهما

وقد رواه عثمان بن أبي شيبة عن معاوية بن هشام عن سفيان عن أبي عمر البزار عن مسلم البطين عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قد كره ، والذي فسر به ابن جرير فيه نظر لأن قوله تبارك وتعالى آخذين حال من قوله في جنات وعيون فالمتقون في حال كونهم في الجنان والعيون آخذين ما آتاهم ربهم أى من النعم والسرور والغبطة ، وقوله عز وجل (إنهم كانوا قبل ذلك) أى في الدار الدنيا (محسنين) كقوله جل جلاله (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) ثم إنه تعالى بين إحسانهم في العمل فقال جل وعلا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) اختلف المفسرون في ذلك على قولين أحدهما أن ما نافية تقديره كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه قال ابن عباس رضى الله عنهما لم تكن تمضى عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئا ؛ وقال قتادة عن مطرف بن عبد الله قل ليلة تأتي عليهم إلا يصلون فيها لله عز وجل إما من أولها ومن أوسطها وقال مجاهد قل ما يرقدون ليلة حتى الصباح لا يتهجدون وكذا قال قتادة وقال أنس بن مالك رضى الله عنه وأبو العالية كانوا يصلون بين المغرب والعشاء . وقال أبو جعفر الباقر كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة ، والقول الثاني أن ما مصدرية تقديره كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم ، واختاره ابن جرير ، وقال الحسن البصري (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ونشطوا فسدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بسحر ، وقال قتادة قال الأحنف بن قيس (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كانوا لا ينامون إلا قليلا ثم يقول لست من أهل هذه الآية . وقال الحسن البصري كان الأحنف ابن قيس يقول عرضت عملي على أهل الجنة فإذا قوم قد بانونا بونا بعيدا إذا قوم لا تبلغ أعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ، وعرضت عملي على أهل النار فإذا قوم لا خير فيهم مكذبون بكتاب الله وبرسل الله مكذبون بالبعث بعد الموت فقد وجدت من خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم

قال رجل من بني تميم لأبي : يا أبا أسامة صفة لا أجدها فينا ذكر الله تعالى قوما فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ونحن والله قليلا من الليل ما نقوم فقال له أبي رضي الله عنه طوبى لمن رقد إذا نكس وانقضى الله إذا استيقظ . وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس إليه فكنت فيمن انجفل فلما رأيت وجهه صلى الله عليه وسلم عرفت أن وجهه ليس بوجه رجل كذاب فكان أول ما سمعته صلى الله عليه وسلم يقول « يا أيها الناس أطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وأفشوا السلام ، وصلوا بالليل والناس نيام تَدْخُلُوا الجنة بسلام » وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة غرضا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » فقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لمن هي يا رسول الله ؟ قال ﷺ « لمن ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وبات لله قائما والناس نيام » وقال معمر في قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) كان الزهري والحسن يقولان كانوا كثيرا من الليل ما يصلون وقال ابن عباس رضي الله عنهما وإبراهيم النخعي (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) ما ينامون وقال الضحاك (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا) ثم ابتدأ فقال (من الليل ما يهجعون وبالأسجار هم يستغفرون) وهذا القول إليه بعد وتعسف

وقوله عز وجل (وبالأسجار هم يستغفرون) قال مجاهد وغير واحد يصلون وقال آخرون قاموا الليل وأخروا الاستغفار إلى الأسجار كما قال تبارك وتعالى (والمستغفرين بالأسجار) فإن كان الاستغفار في صلاة فهو أحسن . وقد ثبت في الصحيح وغيره عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول هل من تائب فأتوب عليه ، هل من مستغفر فأغفر له ، هل من سائل فيعطى سؤله ؟ حتى يطلع الفجر » وقال كثير من المفسرين في قوله تعالى اخبارا عن يعقوب أنه قال لبيته (سوف أستغفر لكم ربى) قالوا آخرهم إلى وقت السحر وقوله تعالى (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) لما وصفهم بالصلاة ثنى بوصفهم بالزكاة والبر والصلة فقال (وفي أموالهم حق) أى جزء مقسوم قد أفرزوه للسائل والمحروم أما السائل فمعروف وهو الذى ينتدى بالسؤال وله حق كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالا حدثنا سفيان عن مصعب بن محمد عن يعلى بن أبي يحيى عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين بن طى رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » ورواه أبو داود من حديث مسفيان الثوري به . ثم أسنده من وجه آخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى من حديث الهرماس بن زياد مرفوعا ، وأما المحروم فقال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد هو المحارف الذى ليس له في الإسلام سهم يعنى لا سهم له في بيت المال ولا كسب له ولا حرفة يتقوت منها وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هو المحارف الذى لا يكاد يتيسر له مكسبه وقال الضحاك هو الذى لا يكون له مال إلا ذهب قضى الله تعالى له ذلك وقال أبو قلابة جاء سيل بالجماعة فذهب بمال رجل فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم هذا المحروم وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضا وسعيد ابن المسيب وإبراهيم النخعي ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما وعطاء بن أبي رباح : المحروم المحارف وقال قتادة والزهري المحروم الذى لا يسأل الناس شيئا . قال الزهري وقد قال رسول الله ﷺ « ليس المسكين بالطواف الذى تردده الائمة والمقامتان والتمرة والخمرتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يظن له فيتصدق عليه » وهذا الحديث قد أسنده الشيخان في صحيحيهما من وجه آخر وقال سعيد بن جبير هو الذى يجيى وقد قسم الغنم فيرضع له . وقال محمد بن إسحق حدثني بعض أصحابنا قال كنا مع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في طريق مكة فجاء كلب فانتزع عمر رضي الله عنه كنف شاة فرمى بها إليه وقال : يقولون إنه المحروم ، وقال الشعبي أعيانى أن أعلم ما المحروم ، واختار ابن جرير أن المحروم الذى لا مال له بأى سبب كان وقد ذهب ماله ، سواء كان لا يقدر على الكسب أو قد هلك ماله أو نحوه بأفة أو نحوه . وقال الثوري عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد

رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ بعث سرية فغنموا فجاءه قوم لم يشهدوا الغنيمة فنزلت هذه الآية (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) وهذا يقتضى أن هذه مدنية وليس كذلك بل هى مكية شاملة لما بعدها وقوله عز وجل (وفي الأرض آيات للموقنين) أى فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمعاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف السنة للناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الارادات والقوى وما بينهم من التفاوت فى العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما فى تركيبهم من الحكم فى وضع كل عضو من أعضائهم فى المحل الذى هو محتاج إليه فيه ولهذا قال عز وجل (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) قال قتادة من تفكر فى خلق نفسه عرف أنه إنما خلق وليت مفاضله للعبادة . ثم قال تعالى (وفي السماء رزقكم) يعنى المطر (وما توعدون) يعنى الجنة قاله ابن عباس رضى الله عنهما وبجاهد وغير واحد وقال سفيان الثوري قرأ واصل الأحذب هذه الآية (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فقال ألا أرى رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الأرض ؟ فدخل خربة فسكت ثلاثا لا يصيب شيئا فلما أن كان فى اليوم الثالث إذا هو بدخولة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دواخلتين فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرق بينهما الموت . وقوله تعالى (فرب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء كائن لا محالة وهو حق لا مرية فيه فلا تشكوا فيه كمالا تشكوا فى نطقكم حين تنطقون ، وكان معاذ رضى الله عنه إذا حدث بالشئ يقول لصاحبه إن هذا لحق كما أنك ههنا قال مسدد عن ابن أبي عدى عن عوف عن الحسن البصرى قال بلغنى أن رسول الله ﷺ قال « قاتل الله أقواما أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدى عن عوف عن الحسن فذكره مرسل

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ * فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ * قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾

هذه القصة قد تقدمت فى سورة هود والحجر أيضا فقوله (هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين) أى الذين أُرصد لهم الكرامة ، وقد ذهب الإمام أحمد وطائفة من العلماء إلى وجوب الضيافة للنزيل وقد وردت السنة بذلك كما هو ظاهر التنزيل . وقوله تعالى (قالوا سلاما قال سلام) الرفع أقوى وأثبت من النصب فرده أفضل من التسليم ولهذا قال تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) فالخليل اختار الأفضل ، وقوله تعالى (قوم منكرون) وذلك أن الملائكة وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل قدموا عليه فى صورة شبان حسان عليهم مهابة عظيمة ولهذا قال (قوم منكرون) . وقوله عز وجل (فراغ إلى أهله) أى انسلى خفية فى سرعة (فجاء بعجل سمين) أى من خيار ماله ، وفى الآية الأخرى (لما لبث أن جاء بعجل حنيد) أى مشوى على الرضف (فقربه إليهم) أى أدناه منهم (قال ألا تأكلون ؟) تلطف فى العبارة وعرض حسن ، وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة فانه جاء بطعام من حيث لا يشعرون بسرعة ولم يمتن عليهم أو لا فقال نأتيكم بطعام بل جاء به بسرعة وخفاء وأتى بأفضل ما وجد من ماله وهو عجل فنى سمين مشوى فقربه إليهم لم يضعه وقال اقربوا بل وضعه بين أيديهم ولم يأمرهم أمرا يشق على سامعه بصيغة الجزم بل قال (ألا تأكلون ؟) على سبيل العرض والتلطف كما يقول القائل اليوم إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق فافعل . وقوله تعالى (فأوجس منهم خيفة) هذا محال على ما تقدم فى القصة فى السورة الأخرى وهى قوله

تعالى (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وأمراؤه قائمة فضحكتم) أى استبشرت بهلاكهم لقرودهم وعتوهم على الله تعالى فعند ذلك بشرتها الملائكة بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب (قالت يا ويلتنا أئله وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا ؟ إن هذا لشيء عجيب * قالوا أنعمجبين من أمر الله ؟ رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) ولهذا قال الله سبحانه وتعالى ههنا (وبشروه بغلام عليم) فالإشارة له هى بشارة لها . لأن الولد منهما فكل منهما بشر به . وقوله تعالى (فأقبلت امرأته فى صرة) أى فى صرخة عظيمة ورنه ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم والثورى والسدى وهى قولها (يا ويلتنا) (فصكت وجهها) أى ضربت يدها على جبينها قاله مجاهد وابن سابط ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما لطمت أى تعجبا كما تعجب النساء من الأمر الغريب (وقالت عجوز عقيم) أى كيف أئله وأنا عجوز وقد كنت فى حال الصبا عقيما لا أحبل ؟ (قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم) أى عليم بما تستحقون من السكرامة حكيم فى أقواله وأفعاله

﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ * قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ * وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

قال الله تعالى مخبرا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام (فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشرى بإيجاد لنا فى قوم لوط * إن إبراهيم لحليم أواه منيب * يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيتهم عذاب غير مردود وقال ههنا (قال لما خطبكم أيها المرسلون ؟) أى ما شأنكم وفيهم جثم (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (لنرسل عليهم حجارة من طين مسمومة) أى معلمة (عند ربك للمسرفين) أى مكتوبة عنده بأسمائهم كل حجر عليه اسم صاحبه فقال فى سورة النكبات (قال إن فيها لوطا ، قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيهن وأهلها إلا امرأته كانت من الغابرين) وقال تعالى ههنا (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين) وهم لوط وأهل بيته إلا امرأته (فأوجدنا فيها غير بيت من المسلمين) احتج بهذه من ذهب إلى رأى المعتزلة بمن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين وهذا الاستدلال ضعيف لأن هؤلاء كانوا قوما مؤمنين وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فانطق الاسمان ههنا لخصوصية الحال ولا يلزم ذلك فى كل حال ، وقوله تعالى (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم) أى جعلناها عبرة بما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل ، وجعلنا محلتهم بحيرة مغلقة خبيثة ، فى ذلك عبرة للمؤمنين (الذين يخافون العذاب الأليم)

﴿ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرُ أَوْ أُجُتُونَ * فَأَخَذَهُمْ وَجُنُودَهُ فَبَسَّ عَلَيْهِمُ فِي الْأَيْمِ وَهُوَ مُصْبِحٌ * وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ * مَا تَذَرُونَ شَيْئًا أَتَأْتُونَ عَلَيْهِ إِلَّا جَمَلًا كَالرِّهْمِ * وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ * فَسَوَّغُوا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * فَمَا أَصْبَحُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

يقول تعالى (وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبين) أى بدليل باهر وحجة قاطعة (فتولى بركنه) أى فأعرض فرعون عما جاءه به موسى من الحق المبين استكبارا وعنادا . وقال مجاهد تبرز بأصحابه ، وقال قتادة غلب

عدو الله على قومه ، وقال ابن زيد (فتولى بركنه) أى بجموعه التى معه ثم قرأ (لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد) والمعنى الأول قوى كقوله تعالى (ثانى عطفه لئلا عن سبيل الله) أى معرض عن الحق مستكبر (وقال ساحر أو مجنون) أى لا يحلو أمره فيما جئنى به من أن تكون ساحرا أو مجنونا قال الله تعالى (فأخذناه وجنوده فنبذناهم) أى ألقيناهم (فى اليم) وهو البحر (وهو ملجم) أى وهو ملوم كافر جاحد فاجر معاند

ثم قال عز وجل (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) أى المفسدة التى لا تفتح شيئا . قاله الضحاك وقتادة وغيرهما ولهذا قال تعالى (ما تذر من شيء أنت عليه) أى مما فسدته الريح (إلا جعلته كالرميم) أى كالشيء المهلك البالى وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى ابن وهب حدثنا عمى عبد الله بن وهب حدثنى عبد الله بن عياش التميمى حدثنى عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « الريح مسخرة من الثانية - يعنى من الأرض الثانية - ، قلما أراد الله تعالى أن يهلك عادا أمر خازن الريح أن يرسل عليهم ريحا تهلك عادا قال أى رب أرسل عليهم الريح قدر منخر الثور ؟ قال له الجبار تبارك وتعالى لا إذا تكفأ الأرض ومن عليها ولكن أرسل عليهم بقدر خاتم فى الذى قال الله عز وجل فى كتابه (ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالرميم) » هذا الحديث رفعه منكر والأقرب أن يكون موقوفا على عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما من زاملتيه اللتين أصابهما يوم اليرموك والله أعلم قال سعيد بن المسيب وغيره فى قوله تعالى (إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) قالوا هى الجنوب . وقد ثبت فى الصحيح من رواية شعبة عن الحسن بن محمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالبور » (وفى حمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) قال ابن جرير يعنى إلى وقت فناء آجالكم . والظاهر أن هذه كمثولة تعالى (وأما حمود فهديناهم فاستجبوا للمعى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) وهكذا قال ههنا (وفى حمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فمتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) وذلك أنهم انتظروا العذاب ثلاثة أيام فجاءهم فى صبيحة اليوم الرابع بكرة النهار (فما استطاعوا من قيام) أى من هرب ولا نهوض (وما كانوا منتصرين) أى لا يقدر على أن ينتصروا بما هم فيه ، وقوله عز وجل (وقوم نوح من قبل) أى من وأهلكنا قوم نوح من قبل هؤلاء (إنهم كانوا قوما فاسقين) وكل هذه القصص قد تقدمت مبسطة فى أماكن كثيرة من مسووم متعددة والله تعالى أعلم

﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ * وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَاذْكُرُوا لِلَّهِ إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ * وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

يقول تعالى منها على خلق العالم العاوى والسفلى (والسما ببنيناها) أى جعلناها مستقفا محفوظا رفيعا (بأيدى) أى بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثورى وغير واحد (وإنا لموسعون) أى قد وسعنا أرجاءها وفرعناها بغير عمد حتى استقلت كما هى (والأرض فرشناها) أى جعلناها فراشا للخواقى (فنعلم الماهدون) أى وجعلناها مهذا لأهلها (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أى جميع الخواقى أزواج سماء وأرض وليل ونهار وشمس وقمر وبر وبحر وضياء وظلام وإيمان وكفر وموت وحياة وشفاء وسعادة وجنة ونار حتى الحيوانات والنباتات ولهذا قال تعالى (لعلكم تذكرون) أى لتعلموا أن الخالق واحد لا شريك له (ففروا إلى الله) أى الجأوا إليه واعتمدوا فى أموركم عليه (إنى لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) أى لا تشركوا به شيئا (إنى لكم منه نذير مبين)

﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ * أَنْتُمْ أَصَوَّا بِهِ بِلَهُمْ قَوْمٌ طَآغُونَ ﴾

فَقَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَكُومٍ * وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ كَرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ * فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ * قَوْلُهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿

يقول تعالى مسلماً لبيته صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى لا يكون حال المؤمنين أن يكونوا منكم (تدبروا) ما أتى المؤمنين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون قال الله عز وجل (أتواصوا به ؟) أي أوصي بعضهم بعضاً بهذه المقالة ؟ (بل هم قوم طاغون) أي لكن هم قوم طاعة تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم قال الله تعالى (فتول عنهم) أي فأعرض عنهم يا محمد (فما أنت بماوم) يعني فما ناولمك على ذلك (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) أي إيمان تنفع بها القلوب المؤمنة ثم قال جل جلاله (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي إيمان خلقهم لأمرهم بعبادتي لا احتياجي إليهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إلا ليعبدون) أي إلا ليقروا بعبادتي طوعاً أو كرهاً . وهذا اختيار ابن جرير . وقال ابن جريج إلا يعرفون ؟ وقال الربيع بن أنس (إلا ليعبدون) أي إلا للعبادة وقال السدي من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع (وإن سألتم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع الشرك . وقال الضحاك : المراد بذلك المؤمنون . وقوله تعالى (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعموا) * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو سعيد قالا حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال أقرأني رسول الله ﷺ (إني أنا الرزاق ذو القوة المتين) ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث إسرائيل وقال الترمذي حسن صحيح ومعنى الآية أنه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء . ومن عصاه عذبه . أشد العذاب . وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم المقراء إليه في جميع أحوالهم . فهو خالقهم ورزاقهم قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا عمران - يعني ابن زائدة بن شاذان بن شبيب عن أبي خال - هو الوالي - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - يعني قال الله تعالى - « يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسند فقرك وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذي حسن غريب ، وقد روى الإمام أحمد عن وكيع وأبي معاوية عن الأعمش عن سلام بن شرحبيل سمعت حبة وسواء ابني خالد يقولان : أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعمل عملاً أو يبنى بناءً ، وقال أبو معاوية يصلح شيئاً فأعناه عليه فلما فرغ دعا لنا وقال « لا تياسا من الرزق ما تهرهزت رءوسكم فإن الإنسان تلده أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه » . وقد ورد في بعض الكتب الإلهية : يقول الله تعالى ابن آدم خاقتك لعبادتي فلا تلعب . وتكلمت برزقك فلا تتعب . فاطلبنى تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء . وقوله تعالى (فإن للذين ظلموا ذنوباً) أي نصيباً من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون) أي فلا يستعجلون ذلك فإنه واقع لا محالة (قويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة آخر تفسير الداريات والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الطور وهي مكية ﴾

قال مالك عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه أخرجاه من طريق مالك وقالت البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف أخبرنا مالك عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن أم سلمة قالت شكوت إلى رسول الله ﷺ أنني أشتكى فقال « طوفى من وراء الناس وأنت راكبة » فطقت ورسول الله صلى الله عليه وسلم

يصلى إلى جنب البيت يقرأ بالطور وكتاب مسطور

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالطُّورِ ﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ
إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُصَلِّينَ ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ يَوْمَ يَدْعُونَ إِلَى تَارِيحِهِمْ دَعَا ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا
تُكَذِّبُونَ ﴾ أَفَسِحِرُوا هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصِرُونَ ﴿ أَصَلَّوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقسم تعالى بمخالفاته الدالة على قدرته العظيمة أن عذابه واقع بأعدائه وأنه لا دافع له عنهم ، فالطور هو الجبل الذي
يكون فيها أشجار مثل الذي كلم الله عليه موسى وأرسل منه عيسى ، وما لم يكن فيه شجر لا يسمى طوراً إنما يقال له
جبل (وكتاب مسطور) قيل هو الأوح المحفوظ ، وقيل الكتب المنزلة للكتابة التي تقرأ على الناس جهاراً ولهذا
قال (في رقى منشور ﴾ والبيت المعمور) ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في حديث الإسراء بعد
مجاوزته إلى السماء السابعة « ثم رفع بي إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر
ما عليهم » يعني يتعبدون فيه ويطوفون به كما يطوف أهل الأرض بكنعته ، كذلك ذلك البيت المعمور هو كعبة أهل
السماء السابعة ولهذا وجد إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام مسنداً ظهره إلى البيت المعمور لأنه باقى الكعبة
الأرضية والجزء من جنس العمل وهو بحيال الكعبة وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها ويصاون إليه والذي في السماء
الدنيا يقال له بيت العزة والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا
روح بن جناح عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « في السماء السابعة بيت
يقال له المعمور بحيال الكعبة ، وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج
فينفض انفضاضه فيخرج منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكاً يؤمرون أن يؤتوا البيت المعمور فيصاون
فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبداً ويولى عليهم أحدهم يؤمرون أن يقف بهم من السماء موقفاً يسبحون الله فيه إلى أن
تقوم الساعة » هذا حديث غريب جداً تفرد به روح بن جناح وهذا وهو القرشي الأموي مولا هم أبو سعيد المشقي
وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجاني والعقيلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم قال
الحاكم لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري وقال ابن جرير حدثنا هناد بن السرى حدثنا أبو الأحوص
عن سماك بن حرب عن خاله بن عريرة أن رجلاً قال لعلي ما البيت المعمور قال بيت في السماء يقال له الضراح وهو
بحيال الكعبة من فوقها حرمة في السماء كحرمة البيت في الأرض يصلى فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون
فيه أبداً ، وكذا رواه شعبة وسفيان الثوري عن سماك ، وعندهما أن ابن السكواء هو السائل عن ذلك ثم رواه ابن
جرير عن أبي كريب عن طلق بن غنام عن زائدة عن عاصم عن علي بن ربيعة قال سأل ابن السكواء علياً عن البيت المعمور
قال مسجد في السماء يقال له الضراح يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً . ورواه من حديث
أبي الطفيل عن علي بن مثله . وقال العوفي عن ابن عباس هو بيت حذاء العرش تتمره الملائكة يصلى فيه كل يوم سبعون
ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون إليه . وكذا قال عكرمة ومجاهد وغير واحد من السلف

وقال قتادة والربيع بن أنس والسدي: ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه « هل تدرون
ما البيت المعمور ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فانه مسجد في السماء بحيال الكعبة لوخر حجر عليها يصلى فيه كل
يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم » وزعم الضحاك أنه يسمره طائفة من الملائكة يقال

لهم الجن من قبيلة إبليس فآله أعلم . وقوله تعالى (والسقف الرفوع) قال سفيان الثوري وشعبة وأبو الأحوص عن سماك عن خالد بن عرعة عن علي (والسقف الرفوع) يعني السماء قال سفيان ثم تلا (وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون) وكذا قال مجاهد وقتادة والسدي وابن جريج وابن زيد واختاره ابن جرير ، وقال الربيع ابن أنس هو العرش يعني أنه سقف لجميع المخلوقات وله اتجاه وهو مراد مع غيره كما قاله الجمهور . وقوله تعالى (والبحر المسجور) قال الربيع بن أنس هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر الذي تحيا به الأجساد في قبورهم ما بعد ما ، وقال الجمهور : هو هذا البحر ، واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم المراد أنه يوقد يوم القيامة نارا كقوله (وإذا البحار سجرت) أي أضرمت فتصير نارا تتأجج محيطه بأهل الموقف . ورواه سعيد بن المسيب عن علي بن أبي طالب . وروى عن ابن عباس وبه يقول سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير وغيرهم . وقال العلاء بن بدر إنما سمي البحر المسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة . كذا رواه عنه ابن أبي حاتم . وعن سعيد بن جبير (والبحر المسجور) يعني المرسل . وقال قتادة المسجور المملوء واختاره ابن جرير ووجهه بأنه ليس موقدا اليوم فهو مملوء . وقيل المراد به الفارغ .

قال الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن ذى الرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (والبحر المسجور) قال الفارغ . خرجت أمة تستسقى فرجعت فقالت إن الحوض مسجور يعني فارغا . رواه ابن مردويه في مسانيد الشعراء . وقيل المراد بالمسجور المنوع المكفوف عن الأرض لثلاث نعمها فيغرق أهلها . قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وبه يقول السدي وغيره وعليه يدل الحديث الذي رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده أنه قال حدثنا يزيد بن جندب عن العوام حدثني شيخ كان مرابطا بالساحل قال لقيت أباصالح مولى عمر بن الخطاب فقال حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال « ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل »

وقال الحافظ أبو بكر الأمامي حدثنا الحسن بن سفيان عن إسحاق بن راهويه عن يزيد وهو ابن هارون عن العوام ابن حوشب حدثني شيخ مرابط قال خرجت ليلة لمحرمي لم يخرج أحد من الحرس غيري فأثبت الميناء فسمعت فجعل يخيل لي أن البحر يشرف يحاذي رؤوس الجبال فدل ذلك مرارا وأنا مستيقظ فلقيت أباصالح فقال : حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال « ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضخ عليهم فيكفه الله عز وجل » فيه رجل مهم لم يسم

وقوله تعالى (إن عذاب ربك لواقع) هذا هو المقسم عليه أي لواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى (ماله من دافع) أي ليس له دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك . قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا أبي حدثنا موسى بن داود عن صالح المري عن جعفر بن زيد العبدى قال خرج عمر بن الخطاب ذات ليلة فر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائما يصلي فوقه يستمع قراءته فقرأ (والطور ... حقى بلغ ... إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع) قال قسم ورب الكعبة حق ، فنزل عن سحاره واستند إلى حائط فكثرت مليا ثم رجع إلى منزله فمكث شهرا يعود الناس لا يدرون ما مرضه رضى الله عنه وقال الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن حدثنا محمد بن صالح حدثنا هشام بن حسان عن الحسن أن عمر قرأ (إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع) فرأى لها ربوة عيد منها عشرين يوما . وقوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) قال ابن عباس وقتادة : تتحرك تحريكا . وعن ابن عباس هو تشققها . وقال مجاهد : تدور دورا . وقال الضحاك : استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض . وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة . قال وأنشد أبو عبيدة معمر بن النخعي بيت الأعشى فقال :

كأن مشيتها من بيت جاريتها مور السحابة لا ريث ولا عجل

(وتسير الجبال سيرا) أي تذهب فتصير هباء منبثا وتنسف نفسها (فويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم ذلك اليوم من عذاب الله ونسكاله بهم وعقابه لهم (الذين هم في خوض يلعبون) أي هم في الدنيا يخوضون في الباطل ويتخذون دينهم

هزوا ولعبا (يوم يدعون) أى يدفعون ويساقون (إلى نار جهنم دعا) وقال مجاهد والشعبي ومحمد بن كعب والضحاك والسدي والثوري يدفعون فيها دفعا (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) أى تقول لهم الزانية ذلك تقرىعا وتوبيخا (أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون * اصلوها) أى ادخلوها دخول من تمره من جميع جهاته (فاصبروا أو لا تبصروا سواء عليكم) أى سواء صبرتم على عذابها ونسكاتها أم لم تبصروا لاحميد لكم عنها ولا خلاص لكم منها وإنما تجزون ما كنتم تعملون (أى ولا يظلم الله أحدا بل يجازى كلا بعمله

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ * فَكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَّهَهُمُ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾

أخبر الله تعالى عن حال السعداء فقال (إن المتقين في جنات ونعيم) وذلك بضد ما أولئك فيه من العذاب والنكال (فاكهين بما آتاهم ربهم) أى يتفكرون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشرب وملابس ومساكن ومراكب وغير ذلك (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) أى وقد نجاهم من عذاب النار وتلك نعمة مستقلة بذاتها على حديثهم مع ما أضيف إليها من دخول الجنة التى فيها من السرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقوله تعالى (كالأواشرىوا هنيئا بما كنتم تعملون) كقوله تعالى (كالأواشرىوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) أى هذا بذاك فضلا منه وإحسانا وقوله تعالى (متكئين على سرر مصفوفة) قال الثوري عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس السرر في الحجال ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو الهيثم بن عمرو أنه سمع الهيثم بن مالك الطائى يقول إن رسول الله ﷺ قال « إن الرجل ليتكئ التكاؤ مقدار أربعين سنة ما يتحول عنه ولا يملكه يأتيه ما شئت نفسه ولدت عينه » وحدثنا أبو أخبرنا هدية بن خالد عن سليمان بن المغيرة عن ثابت قال بلغنا أن الرجل ليتكئ في الجنة سبعين سنة عنده من أزواجه وخدمه وما أعطاه الله من السكرام والنعم فاذا حانت منه نظرة فاذا أزواج له لم يكن رءاهن قبل ذلك فيقلن قد آن لك أن تجعل لنا منك نصيبا ، ومعنى (مصفوفة) أى وجوه بعضهم إلى بعض كقوله (على سرر متقابلين) (وزوجناهم بحور عين) أى وجعلنا لهم قرينات صالحات وزوجات حسنا من الحور العين ، وقال مجاهد (وزوجناهم) أنسكناهم بحور عين وقد تقدم وصفهن في غير موضع بما أغنى عن إعادته ههنا

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينَ * وَأَمْدَدْنَاهُمْ نَفْسَهُمْ وَلَحْمًا مَشْتَهَوْنَ * يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَلَا تَأْتِيهِمْ فِيهَا مَوْتٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُجُجُهُمْ وَأَنَّهُمْ كَانَتْ لَهُمْ قُرُونٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْنٍ مُشْفِقِينَ * فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَقَدْ كُنَّا عَذَابَ السَّعِيرِ * إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾

يخبر تعالى عن فضله وكرمه وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه أن المؤمنين إذا اتبعهم ذرياتهم في الإيمان ياحقهم بأبائهم في المنزلة وإن لم يباغوا عملهم لقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم فيجمع بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل ولا ينقص ذلك من عمله ومنزله للتساوى بينه وبين ذاك ولهذا قال (ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) قال الثوري عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس : قال إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عنه ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء) ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث شفيان الثوري به ، وكذا رواه ابن جرير من حديث

يتسائلون) أى أقبلوا يتجادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا وهذا كما يتحدث أهل الشراب على شرايهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم (قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين) أى كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه (فن الله علينا ووقانا عذاب السموم) أى فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف (إنا كنا من قبل ندعوه) أى تنصير إليه فاستجاب لنا وأعطانا سؤالنا (إنه هو البر الرحيم)

وقد ورد في هذا المقام حديث رواه الحافظ أبو بكر البزار في مسنده فقال حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان فيجئ سريير هذا حتى يحاذي سريير هذا فيتحدثان فيتكئ هذا ويتكئ هذا فيتحدثان بما كان في الدنيا فيقول أحدهما لصاحبه : يا فلان تدرى أى يوم غفر الله لنا ؟ يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا الله عز وجل فغفر لنا » ثم قال البزار لا نعرفه يرى إلا بهذا الإسناد قلت وسعيد بن دينار الدمشقي قال أبو حاتم هو مجهول وشيخة الربيع ابن صبيح وقد تكلم فيه غير واحد من جهة حفظه وهو رجل صالح ثقة في نفسه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو ابن عبد الله الأودى حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة أنها قرأت هذه الآية (فن الله علينا ووقانا عذاب السموم *) إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم) فقالت اللهم من علينا ووقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم . قيل للأعمش في الصلاة ؟ قال نعم .

﴿ فَذَكَرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ * أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ السَّنُونِ * قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ * أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ * أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ رسالته إلى عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال (فذكر فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ) أى لست بحمد الله بكاهن كما تقول الجاهلة من كفار قريش والساكنين الذي يأتيه الرئى من الجن بالكلمة تلقاها من خبر السماء (ولا مجنون) وهو الذى يتخطبه الشيطان من المس . ثم قال تعالى منكراً عليهم في قولهم في الرسول صلى الله عليه وسلم (أم يقولون شاعر تتربص به ريب المنون ؟) أى قوارع الدهر ، والمنون الموت ، يقولون ننتظره ونصبر عليه حتى يأتيه الموت فنستريح منه ومن شأنه قال الله تعالى (قل ترَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ) أى انتظروا فإني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة . قال محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما إن قريشاً لما اجتمعوا في دار الندوة في أمر النبي ﷺ قال قائل منهم احتبسوه في وثاق وترَبَّصُوا بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابعة إنما هو كما أحدهم فأُنزل الله تعالى ذلك من قولهم (أم يقولون شاعر تتربص به ريب المنون ؟) . ثم قال تعالى (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) أى عقوبهم تأمرهم بهذا الذى يقولونه فيك من الأقاويل الباطلة التى يعلمون فى أنفسهم أنها كذب وزور (أم هم قوم طَاغُونَ) أى ولكن هم قوم طَاغُونَ ضلال معاندون فهذا هو الذى يحملهم على ما قالوه فيك . وقوله تعالى (أم يقولون تَقُولُهُ) أى اختلقه واقتراه من عند نفسه يمتنون القرآن قال الله تعالى (بل لا يؤمنون) أى كفرهم هو الذى يحملهم على هذه المقالة (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) أى إن كانوا صادقين فى قولهم تَقُولُهُ واقتراه فليأتوا بمثله ما جاء به محمد ﷺ من هذا القرآن فانهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس ما جاءوا بمثله ولا بشر مسور من مثله ولا بسورة من مثله

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ * أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ * أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ * أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ * أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية فقال تعالى (أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ؟) أى أوجدوا من غير موجد ؟ أم هم أوجدوا أنفسهم ، أى لا هذا ولا هذا بل الله هو الذى خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئا مذكورا قال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان قال حدثني عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية (أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ؟ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ *) أى أوجدوا من غير شيء ؟ أم هم المصيطرون ؟ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ ؟ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ ؟) كاد قلبي أن يطير ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من طرق عن الزهري به وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى وكان إذ ذاك مشركا فكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما سمعه على النبي ﷺ على الدخول في الإسلام بعد ذلك . ثم قال تعالى (أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ بَلْ لَا يَوقِنُونَ) أى أوجدوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ؟ وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله وهم يعلمون أنه الخالق وحده لا شريك له ولكن عدم إيقانهم هو الذى يحملهم على ذلك (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ ؟) أى أَمْ يَتَصَرَّفُونَ فِي الْمَالِكِ وَيَبْدِعُهُمْ مَقَاتِلِحِ الْخَزَائِنِ أَمْ هُمُ الْمُصْطَفُونَ ، أى المحاسبون للخلائق ، ليس الأمر كذلك بل الله عز وجل هو المالك المتصرف فى المال لما يريد . وقوله تعالى (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) أى مرقاة إلى اللا الأعلى (فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) أى فليأتهم النبى يستمع لهم بحجة ظاهرة على صحة ما هم فيه من الفعل والقال أى وليس لهم سبيل إلى ذلك فليسوا على شيء ولا لهم دليل ثم قال منكرا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات وجعلهم الملائكة إنا وأختناهم لأنفسهم المذكور على الاناث بحيث إذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله وعبدوهم مع الله فقال (أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ) وهذا تهديد شديد ووعد أكيد (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ،) أى أجره على إبلاغك إياهم برسالة الله ، أى لست تسألهم على ذلك شيئا (فهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) أى فهم من أدنى شيء يتبرمون منه ويثقلهم ويشق عليهم (أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) أى ليس الأمر كذلك فإنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله (أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ) يقول تعالى أم يريد هؤلاء بقولهم هذا فى الرسول وفى الدين غرور الناس وكيد الرسول وأصحابه فكيدهم إما يرجع وبالا على أنفسهم فالذين كفروا هم المكيدون (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وهذا إنكار شديد على المشركين فى عبادتهم الأصنام والأنداد مع الله ، ثم نزه نفسه السكرامة عما يقولون ويفترون ويشركون فقال (سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ)

﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ * فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ * يَوْمَ لَا يُفْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * وَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَعْيُنُنَا وَسَمْعُنَا بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ نَقُومُ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾

يقول تعالى محيرا عن الشركين بالعناد والكفارة للمحسوس (وإن يروا كسفا من السماء سافقا) أى عليهم بعدون به لما صدقوا ولما أقنوا بل يقولون هذا سحاب مركوم أى متراكم وهذا كقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يهرجون * لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) . وقال الله تعالى (فذرهم) أى دعهم يا محمد (حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون) وذلك يوم القيامة (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئا) أى لا ينفعهم كيدهم ولا مكرهم الذى استعملوه فى الدنيا لا يحزى عنهم يوم القيامة شيئا (ولا هم ينصرون) . ثم قال تعالى (وإن الذين ظلموا عذابا دون ذلك) أى قبل ذلك فى الدار الدنيا كقوله تعالى (ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون) ولهذا قال تعالى (ولستكن أكرهم لا يعلمون) أى لنديقنهم فى الدنيا ونبتلهم فيها بالمصائب لعلهم يرجعون وينيبون فلا يفهمون ما يرادهم بل إذا جلى عنهم مما كانوا فيه عادوا إلى أسوأ مما كانوا عليه كما جاء فى بعض الأحاديث « إن المنافق إذا مرض وعوفي مثله فى ذلك كمثل البعير لا يدري فيما عقاه ولا فيما أرسلاه » وفى الأثر الاطهى : كم أعصيك ولا تعاقبنى ؟ قال الله تعالى يا عبدى كم أعافيك وأنت لا تدري ؟ . وقوله تعالى (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) أى اصبر على أذاهم ولا تبألم فإنك بمراى منا وتحت كلاءتنا والله يعصمك من الناس . وقوله تعالى (وسبح بحمديك حين تقوم) قال الضحاك أى إلى الصلاة : سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك

وقد روى مثله عن الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهما ، وروى مسلم فى صحيحه عن عمر أنه كان يقول هذا فى ابتداء الصلاة ، ورواه أحمد وأهل السنن عن أنس سعيد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك . وقال أبو الجوزاء (وسبح بحمد ربك حين تقوم) أى من نومك من فرأيتك ، واختاره ابن جرير ويثايد هذا القول بما رواه الامام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي حدثني عمير بن هانيء حدثني جنادة بن أبي أمية حدثنا عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ قال « من تمار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال رب اغفرلى — أو قال ثم دعا — استجيب له فإن عزم فتوضأ ثم صلى قبلت صلاته » وأخرجه البخارى فى صحيحه وأهل السنن من حديث الوليد بن مسلم به وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال من كل مجلس ، وقال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص (وسبح بحمد ربك حين تقوم) قال إذا أراد الرجل أن يقوم من مجلسه قال سبحانك اللهم وبحمدك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو النضر إسحاق بن إبراهيم الدمشقى حدثنا محمد بن شعيب أخبرني طلحة بن عمرو الحضرمي عن عطاء بن أبي رباح أنه حدثه عن قول الله تعالى (وسبح بحمد ربك حين تقوم) يقول حين تقوم من كل مجلس إن كنت أحسنت ازددت خيرا وإن كنت غير ذلك كان هذا كفارة له ، وقد قال عبيد الرزاق فى جامعه أخبرنا معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عثمان الفقير أن جبريل علم النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه أن يقول : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . قال معمر وسمعت غيره يقول هذا القول كفارة المجالس وهذا مرسل وقد وردت أحاديث مسندة من طرق يقوى بعضها بعضها بذلك فمن ذلك حديث ابن جريج عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جلس فى مجلس فكثر فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر الله له ما كان فى مجلسه ذلك » . رواه الترمذى وهذا لفظه والنسائي فى اليوم والليلة من حديث ابن جريج ، وقال الترمذى حسن صحيح وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال إسناده على شرط مسلم إلا أن البخارى علله قلت غلله الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو حاتم وأبو زرعة والدارقطنى وغيرهم ، ونسبوا الوهم فيه إلى ابن جريج على أن أبا داود قد رواه فى سننه من طريق غير ابن جريج إلى أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، ورواه أبو داود واللفظ له والنسائي والحاكم فى المستدرك من طريق الحجاج بن دينار عن

هاتم عن أبي العالية عن أبي برزة الأسلمي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بآخر عمره إذا أراد أن يقوم من المجلس : « سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » فقال رجل يارسول الله إنك لتقول قولاً ما كنت تقولهُ فيما مضى قال « كفارة لما يكون في المجلس » وقد روى مرسلًا عن أبي العالية قاله أعلم . وهكذا رواه النسائي والحاكم من حديث الربيع بن أنس عن أبي العالية عن رافع بن خديج عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله سواء وروى مرسلًا أيضًا قاله أعلم ، وكذا رواه أبو داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال « كلمات لا يشككم من أحد في مجلسه عند قيامه ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه ولا يقرهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم له بهن كما يختم بالخاتم : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » وأخرجه الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشة وصححه ومن رواية جبير بن مطعم ورواه أبو بكر الاسماعيلي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد أفردت لذلك جزءا على حدة بذكر طرقه وألفاظه وعمله وما يتعلق بها والله الحمد والمنة . وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) أي اذكره واعبدته بالتلاوة والصلاة في الليل كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) . وقوله تعالى (وإدبار النجوم) قد تقدم في حديث ابن عباس أنهما الركعتان اللتان قبل صلاة الفجر فانهما مشروعتان عند إدبار النجوم أي عند جنوحها للغيوبة . وقد روى ابن ميلان عن أبي هريرة مرفوعا « لا تدعوها وإن طردتكم الخيل » يعني ركعتي الفجر رواه أبو داود ، ومن هذا الحديث حكى عن بعض أصحاب أحمد القول بوجوبهما وهو ضعيف الحديث « خمس صلوات في اليوم والليلة » قال هل على غيرها قال « لا إلا أن تطوع » . وقد ثبت في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل أشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر وفي لفظ لمسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » . آخر تفسير سورة الطور والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة النجم وهي مكية ﴾

قال البخاري حدثنا نصر بن علي أخبرني أبو أحمد — يعني الزبيدي — حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال أول سورة أنزلت فيها سجدة والنجم قال فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه إلا رجلا رأيته أخذ كفنا من تراب فسجد عليه فرأيتُه بعد ذلك قتل كافرا وهو أمية بن خلف ، وقد رواه البخاري أيضا في مواضع ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن أبي إسحاق به ، وقوله في المتن أنه أمية بن خلف في هذه الرواية مشكك فانه قد جاء من غير هذه الطريق أنه عتبة بن ربيعة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾

قال الشعبي وغيره : الخالق يقسم بما شاء من خلقه ، والخالق لا ينبغي له أن يقسم إلا بالخالق ، رواه ابن أبي حاتم . واختلف المفسرون في معنى قوله (والنجم إذا هوى) فقال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني بالنجم الثريا إذا سقطت مع الفجر وكذا روى عن ابن عباس وسفيان الثوري واختاره ابن جرير . وزعم السدي أنها الزهرة وقال الضحاك (والنجم إذا هوى) إذا رمى به الشياطين وهذا القول له اتجاه . وروى الأعمش عن مجاهد في قوله تعالى (والنجم إذا هوى) يعني القرآن إذا نزل ، وهذه الآية كقوله تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم * وإنه لقسمن لو تعلمون عظيم * إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون * لا يمسه إلا المطهرون * تنزيل من رب العالمين) وقوله تعالى (ما ضل صاحبكم وما غوى) هذا هو القسم عليه ، وهو الشهادة للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه راشد تابع للحق ليس بضال ، وهو الجاهل الذي يسلك على غير طريق بغير علم ، والغاوى هو العالم بالحق العادل عنه قصصا إلى غيره ، فنهى الله رسوله وشرعه عن مشابهة أهل الضلال كالنصارى وطوائف اليهود . وهي علم الشيء وكنهاته والعمل بخلافه ، بل هو صلاة الله وسلامه

عليه . وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال والسداد ولهذا قال تعالى (وما ينطق على الهوى) أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض (إن هو إلا وحي يوحى) أي إنما يقول ما أمر به بيلغه إلى الناس كاملاً وموفوراً من غير زيادة ولا نقصان كما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا جرير بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن أبي أمامة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ليدخل الجنة بشفاعتي رجل ليس بنبي مثل الحيين - أو مثل أحد الحيين - ربيعة ومضر » فقال رجل يا رسول الله أو ما ربيعة من مضر قال « إنما أقول ما أقول » . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله بن الأحنس أخبرنا الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا إنك تكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم في الغضب فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق » ورواه أبو داود عن مسدد وأبي بكر بن أبي شيبة كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد ابن منصور حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ما أخبركم أنه من عند الله فهو الذي لا شك فيه » ثم قال لا نعلمه يروى إلا بهذا الإسناد . وقال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا ليث عن محمد بن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا أقول إلا حقا » قال بعض أصحابه فأنك تداعبنا يا رسول الله ؟ قال « إني لا أقول إلا حقا »

﴿ عَلَيْهِ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَرُونَهُ عَلَى مَا يَبْرَى * وَمَقَدَّرَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله محمد ﷺ أنه علمه الذي جاء به إلى الناس (شديد القوى) وهو جبريل عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى (إنه يقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين) وقال ههنا (ذو مرة) أي ذو قوة قاله مجاهد والحسن وابن زيد . وقال ابن عباس : ذو منظر حسن وقال قتادة : ذو خلق طويل حسن . ولا منافاة بين القولين فإنه عليه السلام ذو منظر حسن وقوة شديدة . وقد ورد في الحديث الصحيح من رواية ابن عمر وأبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا تحمل الصدقة لني ولا لذي مرة سوى » وقوله تعالى (فاستوى) يعني جبريل عليه السلام . قاله الحسن ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس (وهو بالأفق الأعلى) يعني جبريل استوى في الأفق الأعلى . قاله عكرمة وغير واحد . قال عكرمة : والأفق الأعلى الذي يأتي منه الصبح وقال مجاهد هو مطلع الشمس وقال قتادة هو الذي يأتي منه النهار وكذا قال ابن زيد وغيرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مصرف بن عمرو واليامي أبو القاسم حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن طلحة بن مصرف حدثني أبي عن الوليد هو ابن قيس عن إسحق بن أبي الكهميلة أنه ذكره عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ير جبريل في صورته إلا مرتين أما واحدة فإنه سأله أن يراه في صورته ففسد الأفق . وأما الثانية فإنه كان معه حيث صعد فذلك قوله (وهو بالأفق الأعلى) وقد قال ابن جرير ههنا قولاً لم أره لغيره ولا حكاياه هو عن أحد وحاصله أنه ذهب إلى أن المعنى فاستوى أي هذا الشديد القوى ذو المرة هو ومحمد ﷺ بالأفق الأعلى أي استويا جميعاً بالأفق الأعلى وذلك ليلة الإسراء كما قال ولم يوافقهم أحد على ذلك . ثم شرع يوجه ما قاله من حيث

العربية فقال وهو كقولہ (أئذا كنا ترابا وآبائنا) فغطف بالآباء على المسكن في كنان من غير اظهار نحن فكذلك قوله فاستوى وهو ، قال وذكر القراء عن بعض العرب أنه أنشده :

ألم تر أن النبع يصب عوده * ولا يستوى والجروع المتصف

وهذا الذي قاله من جهة العربية متجه ولكن لا يساعده المعنى على ذلك فان هذه الرؤية لجبريل لم تكن ليلة الاسراء بل قبلها ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض فهبط عليه جبريل عليه السلام وتدلّى إليه فاقترّب منه وهو على الصورة التي خلقه الله عليها له ستائة جناح ثم رآه بعد ذلك نزلة أخرى عند سدة للنهي يعني ليلة الاسراء وكانت هذه الرؤية الأولى في أوائل البعثة بعد ما جاءه جبريل عليه السلام أول مرة فأوحى الله إليه صدر سورة اقرأ ثم قرأ الوحي فتردة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم فيها مرارا ليرتدى من رؤوس الجبال فكأما هم بذلك ناداه جبريل من الهواء يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل فيمكن لك جأشه وتقر عينه وكأما طال عليه الأمر عاد ثلثها حتى تبدى له جبريل ورسول الله ﷺ بالأبطح في صورته التي خلقه الله عليها له ستائة جناح قد سدد عظم خلقه الأفق فاقترّب منه وأوحى إليه عن الله عز وجل ما أمره به فعرف عند ذلك عظمة الملك الذي جاءه بالرسالة وجلالة قدره وعلو مكانته عند خالقه الذي بعثه إليه . فأما الحديث الذي رواه الحافظ أبو بكر البرار في مسنده حيث قال حدثنا مسلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام فوكر بين كنفى قممت إلى شجرة فيها كوكري الطير فقعده في أحدهما وقعدت في الآخر . فسمت وارتفعت حتى سدت الحافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمست فالتفت إلى جبريل كأنه جلس لاطي فعرفت فضل علمه بالله على . وفتح لي باب من أبواب السماء ورأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرفة الدر والياقوت . وأوحى إلى ما شاء الله أن يوحى » ثم قال البرار لا يرويه إلا الحارث بن عبيد وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة (قلت) الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الابدائي أخرج له مسلم في صحيحه إلا أن ابن معين ضعفه وقال ليس هو بشيء وقال الإمام أحمد مضطرب الحديث . وقال أبو حاتم الرازي يكتب حديثه ولا يحتج به . وقال ابن حبان كثير وهمه فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد فهذا الحديث من غرائب رواياته فان فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقا عجيبا ولعله منام والله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن عاصم عن أبي وائل عن عبيد الله أنه قال رأى رسول الله ﷺ في صورته وله ستائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يستقط من جناحه من التهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم . انفرد به أحمد وقال أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا أبو بكر بن عياش عن إدريس بن منبه عن وهب بن منبه عن ابن عباس قال : سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ربه عز وجل فطلع عليه سواد من قبل المشرق فجعل يرتفع وينتشر فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم صعق فأتاه فبعشه ومسح البراق عن شدة ، انفرد به أحمد وقد رواه ابن عساکر في ترجمة عتبة بن أبي لهب من طريق محمد بن إسحق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هناد بن الأسود قال كان أبو لهب وابنه عتبة قد تجهزا إلى الشام فتجهزت معهما فقال ابنه عتبة والله لأنطلقن إلى محمد ولأدينه في ربه سبحانه وتعالى فانطلق حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد هو يكفر بالله دني فتدلي فكان قاب قوسين أو أدنى فقال النبي صلى الله عليه وسلم « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » ثم انصرف عنه فرجع إلى أبيه فقال يا بني ما قلت له ؟ فذكر له ما قاله فقال فما قال لك قال : قال « اللهم سلط عليه كلبا من كلابك » قال يا بني والله ما آمن عليك دعاء فسرنا حتى نزلنا ابراه وهي في سدة ونزلنا إلى صومعة راهب فقال الراهب يا معشر العرب : ما أنزلكم هذه البلاد فأنهنا يسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم فقال لنا أبو لهب : إنكم قد عرفتم كبر سفي وحقي وإن هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمننا عليه فاجتمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها ، ففعلنا فجاء الأسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد

تفيض فوثب وثبة فاذا هو فوق الزناح فشم وجهه ثم هزمه هزيمة ففسخ رأسه ، فقال أبو طرب : قد عرفت أنه لا يتفلسف
عن دعوة محمد وقوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) أى فاقتراب جبريل إلى محمد لما هبط عليه إلى الأرض
حتى كان بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم قاب قوسين أى بقدرهما إذا مدا قاله مجاهد وقتادة ، وقد قيل إن المراد
بذلك بعدما بين وتر القوس إلى كبدها . وقوله تعالى (أو أدنى) قد تقدم أن هذه الصيغة تستعمل في اللغة لاثبات
الخبر عنه ونفى ما زاد عليه كقوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة) أى ما هي بألين
من الحجارة بل هي مثلها أو تزيد عليها في الشدة والقسوة وكذا قوله (يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية)
وقوله (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) أى ليسوا أقل منها بل هم مائة ألف حقيقة أو يزيدون عليها فهذا تحقيق
للمخبر به لا شك ولا تردد فإن هذا ممتنع ههنا وهكذا هذه الآية (فكان قاب قوسين أو أدنى) وهذا الذى قلناه من
أن هذا المقرب الدانى الذى صار بينه وبين محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إنما هو جبريل عليه السلام هو
قول أم المؤمنين عائشة وابن مسعود وأبي ذر وأبي هريرة كما سنورد أحاديثهم قريباً إن شاء الله تعالى . وروى
مسلم في صحيحه عن ابن عباس أنه قال : رأى محمد ربه بفؤاده مرتين فجعل هذه إحدهما وجاء في حديث شريك بن
أبي نمر عن أنس في حديث الإسراء ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى ولهذا قد تكلم كثير من الناس في منان هذه الرواية
وذكروا أشياء فيها من الغرابة فإن صح فهو محمول على وقت آخر وقصة أخرى لا أنها تفسر لهذه الآية فإن هذه
كانت ورسول الله ﷺ في الأرض لآلية الإسراء ولهذا قال بعده (ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى) فهذه هي
ليلة الإسراء والأولى كانت في الأرض

وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني حدثنا
زُر بن حبيش قال : قال عبد الله بن مسعود في هذه الآية (فكان قاب قوسين أو أدنى) قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « رأيت جبريل له ستائة جناح »

وقال ابن وهب حدثنا ابن لميعة عن أبي الأسود عن عروة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان أول شأن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه رأى في منامه جبريل بأجساد ثم إنه خرج ليقتضى حاجته فصرخ به جبريل يا محمد يا محمد فنظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم يميناً وشمالاً فلم ير أحداً ثلاثاً ثم رفع بصره فاذا هو ثمانى رجلية مع الأخرى على
أفق السماء فقال يا محمد جبريل جبريل يسكنه فهدى النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل في الناس فنظر فلم ير شيئاً ثم خرج
من الناس ثم نظر فراه فدخل في الناس فلم ير شيئاً ثم خرج فنظر فراه فذلك قول الله عز وجل (والنجم إذا هوى
- إلى قوله - ثم دنا فتدلى) يعنى جبريل إلى محمد عليهما الصلاة والسلام (فكان قاب قوسين أو أدنى) ويقولون : القاب
نصف اصبع وقال بعضهم ذراعين كان بينهما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب به وفي حديث الزهري
عن أبي سلمة عن جابر شاهد لهذا . وروى البخاري عن طلق بن غنم عن زائدة عن الشيباني قال سألت زراً عن قوله
(فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال حدثنا عبد الله أن محمد صلى الله عليه وسلم رأى جبريل
له ستائة جناح . وقال ابن جرير حدثني ابن بزيع البغدادي حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن
عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله (ما كذب الفؤاد ما رأى) قال رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام
رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض ، فعلى ما ذكرناه يكون قوله (فأوحى إلى عبده ما أوحى) معناه فأوحى جبريل
إلى عبد الله محمد ما أوحى ، أو فأوحى الله إلى عبده محمد ما أوحى بواسطة جبريل ؛ وكلا المعنيين صحيح . وقد ذكر عن
سعيد بن جبير في قوله تعالى (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال أوحى الله إليه (ألم أجعلك نبياً - ورقنا لك ذكرك) وقال
غيره أوحى الله إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك . وقوله تعالى (ما كذب
الفؤاد ما رأى * أفنتارونه على ما يرى) قال مسلم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن زياد بن حصين
عن أبي العالية عن ابن عباس (ما كذب الفؤاد ما رأى) (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رآه بفؤاده مرتين وكذا رواه سفيان

عن عكرمة عن ابن عباس مثله وكذا قال أبو صالح والسدي وغيرهما إنه رأى بفؤاده مرتين وقد خالفه ابن مسعود وغيره وفي رواية عنه أنه أطلق الرؤية وهي محمولة على المقيدة بالفؤاد ، ومن روى عنه بالبصر فقد أغرب فإنه لا يصح في ذلك شيء عن الصحابة رضي الله عنهم ، وقول البغوي في تفسيره وذهب جماعة إلى أنه رأى بعينه وهو قول أنس والحسن وعكرمة فيه نظر والله أعلم .

وقال الترمذي حدثنا محمد بن عمرو بن المنهال بن صفوان حدثنا يحيى بن كثير العبدي عن سلمة بن جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال رأى محمد ربه قلت أليس الله يقول (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) قال ويحك ذلك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره وقد رأى ربه مرتين ، ثم قال حسن غريب وقال أيضا حدثنا ابن أبي عمير حدثنا مسفيان عن مجاهد عن الشعبي قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شيء فكبر حتى جاوبته الجبال فقال ابن عباس إنا بنو هاشم فقال كعب إن الله قسم رؤيته . وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى مرتين ورآه محمد مرتين وقال مسروق دخلت على عائشة فقلت هل رأى محمد ربه فقالت لقد تكلمت بشيء قف له شعري فقلت رويدا ثم قرأت (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) فقالت أين يذهب بك إنما هو جبريل من أخبرك أن محمدا رأى ربه أو كنتم شيئا مما أمر به أو يعلم الحسنى قال الله تعالى (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث) فقد أعظم على الله الفرية ولكنه رأى جبريل ؛ لم يره في صورته إلا مرتين مرة عند مدبرة النخلة ومرة في أحياد وله ستائة جناح قد سد الأفق . وقال النسائي حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال أتبعون أن تكون الحلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد عليهم السلام وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل رأيت ربك ! فقال « نوراى أراه » وفي رواية « رأيت نورا » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالصة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب قال : قالوا يا رسول الله رأيت ربك ، قال « رأيت بفؤادي مرتين » ثم قرأ (ما كذب الفؤاد ما رأى) ورواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك ، قال « لم أره بعيني ورأيت بفؤادي مرتين » ثم تلا (ثم دنا فتدلى)

ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري أخبرني عباد بن منصور قال سألت عكرمة عن قوله (ما كذب الفؤاد ما رأى) فقال عكرمة تريد أن أخبرك أنه قد رآه ، قلت نعم قال قد رآه ، ثم قد رآه قال فسألت عنه الحسن فقال قد رأى جلاله وعظمته ورداه . وحدثنا أبي حدثنا محمد بن مجاهد حدثنا أبو عامر العقدي أخبرنا أبو خلدة عن أبي العالية قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ، قال « رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غيره » وذلك غريب جدا ، فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي عز وجل » فإنه حديث إسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث النمام كما رواه الإمام أحمد أيضا حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتاني ربي الليلة في أحسن صورة - أحسنه يعني في النوم - فقال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملائكة الأعلى قال قلت لا ، فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين يدي - أو قال نحري - فقامت ماني السموات وماني الأرض ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملائكة الأعلى ، قال قلت نعم يختصمون في الكفارات والدرجات قال وما الكفارات ، قال قلت المكش في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإبلاغ الوضوء في المسكاره ، من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه وقال قل يا محمد إذا صليت اللهم اني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين ، وإذا أردت بعبادتك فتنة أن تقبضني إليك غير مفتون ، قال والدرجات بذل الطعام وإفشاء السلام . والصلاة بالليل والناس نيام » وقد تقدم في آخر سورة ص عن معاذ نحوه . وقد رواه ابن جرير من

وجه آخر عن ابن عباس وفيه سياق آخر وزيادة غريبة فقال حدثني أحمد بن عيسى التميمي حدثني سليمان بن عمر بن سيار حدثني أبي عن سعيد بن زري عن عمر بن سليمان عن عطاء عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « رأيت ربي في أحسن صورة فقال لي يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الأعلى ؟ فقلت لا يا رب فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت ما في السموات والأرض فقلت يا رب في الدرجات والكفارات ، ونقل الأقدام إلى الجمعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فقلت يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وفعلت وفعلت فقال ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أضع عنك وزرك ؟ ألم أفعل بك ألم أفعل بك ؟ قال فأفوضي إلى بأشياء لم يؤذن لي أن أحدنكموها قال فذلك قوله في كتابه (ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذاب الفؤاد ما رأى) فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي » إسناده ضعيف . وقد ذكر الحفاظ ابن عساكر بسنده إلى جبار بن الأسود رضي الله عنه أن عتبة بن أبي لهب لما خرج في تجارة إلى الشام قال لأهل مكة اعلموا أنني كافر بالله دنا فتدلى فبلغ قوله رسول الله ﷺ فقال سيرسل الله عليه كلبا من كلابه قال هبار فسكنت معهم فنزلنا بأرض كثيرة الأسد قال فلقد رأيت الأسد جاء فجعل يشم رؤوس القوم واحدا واحدا حتى تخطى إلى عتبة فاقطع رأسه من بينهم . وذكر ابن إسحاق وغيره في السيرة أن ذلك كان بأرض الزرقاء وقيل بالسرارة وأنه خاف ليلئلا وأتهم جعلوه بينهم وناموا من حوله فجاء الأسد فجعل يزأر ثم تخطا إلى فضعف رأسه لعنه الله . وقوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى) هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها وكانت ليلة الإسراء . وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة سبحان بما أغنى عن إعادته ههنا ، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء ويستشهد بهذه الآية وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم ، وقال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زري بن حبيش عن ابن مسعود في هذه الآية (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينثر من ريشه التهاويل من الدر والياقوت » وهذا إسناد جيد قوي . وقال أحمد أيضا حدثنا يحيى بن آدم حدثنا شريك عن جامع بن أبي راشد عن أبي وائل عن عبد الله قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق : يسقط من جناحه من التهاويل من الدر والياقوت ما الله به عليم . إسناده حسن أيضا . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين حدثني عاصم بن بهدلة قال : سمعت شقيق بن سلمة يقول سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله ﷺ « رأيت جبريل على سدرة المنتهى وله ستمائة جناح » سألت عاصما عن الأجنبية فأبى أن يخبرني قال فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح مابين الشرق والغرب وهذا أيضا إسناد جيد وقال أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا حسين حدثني عاصم بن بهدلة حدثني شقيق ابن سلمة قال سمعت ابن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتاني جبريل عليه السلام في حصر معلق به الدر » إسناده جيد أيضا . وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن إسماعيل حدثنا عامر قال أتى مسروق عائشة فقال يا أم المؤمنين هل رأى محمد ﷺ ربه عز وجل ؟ قالت سبحان الله لقد قف شعري لما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكم عن فقد كذب : من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب) ومن أخبرك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرأت (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام) الآية ومن أخبرك أن محمدا قد كتم فقد كذب ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول (ولقد رآه بالأفق المبين) (ولقد رآه نزلة أخرى) فقالت أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال « إنما ذلك

جبريل» لم يره في صورته التي خلق عليها الامرئين رآه منبطا من السماء إلى الأرض سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض أخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي به

(رواية أبي ذر) قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام حدثنا قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسأله قال وما كنت تسأله؟ قال كنت أسأله هل رأى ربه عز وجل فقال إني قد سأله فقال «قد رأيته نورا أنى أراه» هكذا وقع في رواية الإمام أحمد وقد أخرجه مسلم من طريقين بلفظين فقال حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال «نوراني أراه». وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسأله فقال عن أى شيء كنت تسأله؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك؟ قال أبو ذر قد سأله فقال «رأيت نورا» وقد حكى الحلال في علله أن الإمام أحمد سئل عن هذا الحديث فقال ما زلت منكرا له وما أدري ما وجهه.

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن عون الواسطي أخبرنا هشيم عن منصور عن الحكم عن إبراهيم عن أبيه عن أبي ذر قال رآه بقلبه ولم يره بعينه، وحاول ابن خزيمة أن يدعى انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين أبي ذر وأما ابن الجوزي فتأوله على أن أبا ذر لعنه سأل رسول الله ﷺ قبل الإسراء فاجابه بما أجابه به ولو سأله بعد الإسراء لأجابه بالإثبات وهذا ضعيف جدا فان عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الإسراء ولم يثبت لها الرؤية ومن قال إنه خاطبها على قدر عقولها أو حاول تخطئها فيما ذهبت إليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد فإنه هو المخطئ والله أعلم وقال النسائي حدثنا يعقوب بن إبراهيم عن منصور عن الحكم عن يزيد بن شريك عن أبي ذر قال: رأى رسول الله ﷺ ربه بقلبه ولم يره ببصره، وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة عن علي بن مسهر عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى جبريل عليه السلام

وقال مجاهد في قوله (ولقد رآه نزلة أخرى) قال رأى رسول الله ﷺ جبريل في صورته مرتين وكذا قال قتادة والربيع بن أنس وغيرهم. وقوله تعالى (إذ يغشى السدرة ما يغشى) فقد تقدم في أحاديث الاسراء أنه غشيتها الملائكة مثل الغربان وغشيتها نور الرب وغشيتها ألوان ما أدري ما هي؟ وقال الإمام أحمد حدثنا مالك بن معمر حدثنا الزبير بن عدى عن طلحة عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود قال لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى في السماء السابعة إليها ينتهى ما يرجع به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال فراش من ذهب قال وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا: أعطى الصلوات الخمس وأعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من أمته للمحجرات. انفرد به مسلم وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أبي العالية عن أبي هريرة أو غيره - شك أبو جعفر - قال: لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى إلى لسدرة فقيل له إن هذه السدرة فغشيتها نور الخلاق وغشيتها الملائكة مثل الغربان حين يهبط على الشجر قال فسكاهم عند ذلك فقال له سل وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قال كان أغصان السدرة لؤلؤا وياقوتا وزبرجدا فرآها محمد ﷺ ورأى ربه بقلبه، وقال ابن زيد قيل يا رسول الله أى شيء رأيت يغشى تلك السدرة؟ قال «رأيت يشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله عز وجل» وقوله تعالى (ما زاغ البصر وما طغى) قال ابن عباس رضى الله عنهما ما ذهب عينا ولا شمالا (وما طغى) ما جاوز ما أمر به، وهذه صفة عظيمة في الشبات والطاعة فانه ما فعل الا ما أمر به ولا سال فوق ما أعطى، وما أحسن ما قال الناطم: رأى جنة المأوى وما فوقها ولو رأى غيره ما قد رآه لناها وقوله تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) كقوله (انريه من آياتنا) أى الدالة على قدرتنا وعظمتنا وبهاتين

الآيتين استدلل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع لأنه قال (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك وأقال ذلك للناس ؛ وقد تقدم تقرير ذلك في منورة سبحان . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن الوليد بن قيس عن إسحق بن أبي السكة قال قال محمد أظنه عن ابن مسعود أنه قال إن محمدا لم ير جبريل في صورته إلا مرتين أما مرة فإنه سأله أن يريه نفسه في صورته فأراه صورته فسد الأنف ، وأما الأخرى فإنه صعد معه حين صعد به ، وقوله (وهو بالأفق الأعلى) ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * نأوحى إلي عبده ما أوحى) فلما أخبر جبريل ربه عز وجل عاد في صورته وسجد فقوله (ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى) قال خلق جبريل عليه السلام هكذا رواه الإمام أحمد وهو غريب

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ * أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أُنزِلَ اللَّهُ بِهِمَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ * أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى * فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ * وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾

يقول تعالى مقرعا للمشركين في عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكهنة التي بناها خليل الرحمن عليه السلام (أفرايتم اللات ؟) وكانت اللات صخرة يضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أسوار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تابعها يقتضون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش ، قال ابن جرير وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله فقالوا اللات يعنون مؤنثة منه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، وحكى عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس أنهم قرءوا اللات بتشديد التاء وفسروه بأنه كان رجلا يلبت للجهنم في الجاهلية السويق فلما مات عكفوا على قبره فعبده وقال البخاري حدثنا مسلم هو ابن إبراهيم حدثنا أبو الأشهب حدثنا أبو الجوزاء عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله (اللات والعزى) قال كان اللات رجلا يلبت السويق سويق الحاج ، قال ابن جرير وكذا العزى من العزيز وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخله وهى بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها كما قال أبو سفيان يوم أحد لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قولوا الله مولانا ولا مولى لكم » وروى البخاري من حديث الزهري عن حميد ابن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليتصدق » فهذا محمول على من سبق لسانه في ذلك كما كانت ألسنتهم قد اعتادته من زمن الجاهلية ، كما قال النسائي أخبرنا أحمد بن بكر حدثنا عبد الحميد بن محمد قال حدثنا محمد بن خالد حدثنا يونس عن أبيه حدثني مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال حلفت باللات والعزى فقال لى أصحابي بئس ما قلت قلت هجرا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال « قل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وانفت عن شمالات ثلاثا وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم لا تعد » وأما مناة فكانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها ويأبون منها الحج إلى الكعبة ، وروى البخاري عن عائشة نحوه وقد كانت بحزيرة العرب وغيرها وطواغيت أخر تعظمها العرب كتعظيم الكعبة غير هذه الثلاثة التي نص عليها في كتابه العزيز وإنما أفرد هذه بالذكر لأنها أشهر من غيرها . قال ابن إسحق في السيرة وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة

وحجاب وتهدى لها كما يهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتجر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام مسجده فكانت تقرش ولبنى كنانة العزى بنخلة وكان سدتها وحجابها بنى شيان من سليم حلفاء بنى هاشم قلت بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول: يا عزى كفرانك لا سبحانك * إني رأيت الله قد أهانك

وقال النسائي أخبرنا علي بن المنذر أخبرنا ابن فضيل حدثنا الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرة قطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال « ارجع فانك لم تصنع شيئا » فرجع خالد فلما أبصرته السدنة وهم حجيتهم أمعوا في الحيل وهم يقولون: يا عزى، يا عزى فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحشو التراب على رأسها فهدمها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال « تلك العزى » قال ابن إسحق وكانت اللات للقيف بالطائف وكان سدتها وحجابها بنى معتب * قلت * وقد بعث إليها رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبه وأبا سفيان صخر بن حرب فهدمها وجعل مكانها مسجدا بالطائف قال ابن إسحق وكانت مناة للآوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان صخر بن حرب فهدمها ويقال على بن أبي طالب قال وكانت ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بقبيلة * قلت * وكان يقال له الكعبة البمانية والكعبة التي بمكة الكعبة الشامية فبعث إليه رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي فهدمها قال وكانت قيس لطي ومن يليها بجيل طي بين ساسي وأجا ، قال ابن هشام فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليه على بن أبي طالب فهدمها واصطفى منه سيفين الرسوب والخزيم ففعله بإيها رسول الله ﷺ فهما سيفان على قال ابن إسحق وكان لمحير وأهل اليمن بيت يصنع يقال له ريام وذكر أنه كان به كلب أسود وأن الخبرين اللذين ذهبا مع تبع استخرجاه وقتلاه وهدما البيت قال ابن إسحق وكانت رضاء بنت أبي ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الإسلام ولقد شددت على رضاء شدة * فتركها قفرا بقاع أسحا

قال ابن هشام إنه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو القائل

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا * مائة حدثها بعدها مائتان لي وعمرت من عدد الشهور سنينا * هل ما بقي إلا كما قد فاتنا * يوم يمر ولية نحمدونا قال ابن إسحق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد وله يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة بين الحورنق والسدير وبارق * والبيت ذو الكعبات من سنداد

ولهذا قال تعالى (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى؟) ثم قال تعالى (السم الكبر وله الأثني؟) أي أتجمعون له ولدا وتجمعون وله أثني وتختارون لأنفسكم الكور فلو اقتسمتم أتم ومخاوق مثلكم هذه القسمة لكانت (قسمة ضيزى) أي جورا باطلا فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جورا وسفها ، ثم قال تعالى منكرا عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم) أي من تلقاء أنفسكم (ما أنزل الله بها من سلطان) أي من حجة (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس) أي ليس له مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم والاحظ نفوسهم في رياستهم وتعظيم آباءهم الأقدمين (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق النير والحجة القاطعة ومع هذا ما اتبعوا ما جاءهم به ولا اتقوا له

ثم قال تعالى (أم للانسان ما تمنى) أي ليس كل من تمنى خيرا حصل له (ليس بأمايسكم ولا أمانى أهل الكتاب) ما كل من زعم أنه مهتد يكون كما قال ولا كل من ود شيئا يحصل له. قال الإمام أحمد حدثنا إسحق حدثنا أبو عوانة عن عمر ابن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا تمنى أحدكم فلينظر ما يتمنى فإنه لا يدرى

ما يكتب له من أمنيته » تفرد به أحمد . وقوله (قلله الآخرة والأولى) أى إنما الأمر كله لله مالك الدنيا والآخرة والمتصرف فى الدنيا والآخرة فهو الذى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى (وكم من ملك فى السموات لا تنفى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) كقوله (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) فإذا كان هذا فى حق الملائكة القربين فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله وهو تعالى لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهى عن ذلك جميع كتبه ؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى * وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا * فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين فى تسميتهم للملائكة تسمية الأنثى وجعلهم لها أنما بنات الله تعالى الله عن ذلك كما قال تعالى (وجعلوا للملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم سكتهم شهادةهم ويسألون) ولهذا قال تعالى (وما لهم به من علم) أى ليس لهم علم صحيح بصدق ما قالوه بل هو كذب وزور وافتراء وكفر شنيع (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا) أى لا يجدى شيئا ولا يقوم أبدا مقام الحق ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وقوله تعالى (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا) أى أعرض عن الذى أعرض عن الحق واهجره . وقوله (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) أى وإنما أكرهه ومبلغ علمه الدنيا فذلك هو غاية مالا خير فيه ولهذا قال تعالى (ذلك مبلغهم من العلم) أى طلب الدنيا والسعى لها هو غاية ما وصلوا اليه . وقد روى الامام أحمد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وفى الدعاء المأثور « اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا » وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم عن ضل سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) أى هو الخالق لجميع المخلوقات والعالم بمصالح عبادته وهو الذى يهتدى من يشاء ويضل من يشاء وذلك كله عن قدرته وعلمه وحكمته وهو العادل الذى لا يجوز أبدا لافى شرعه ولا فى قدره

﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنَى * الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّعْمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾

يخبر تعالى أنه مالك السموات والأرض وأنه الغنى عما سواه الحاكم فى خلقه بالعدل وخلق الخلق بالحق (ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) أى يجازى كلا بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ثم فسر الحسين بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش ، أى لا يتعاملون المحرمات الكبائر وإن وقع منهم بعض الصغائر فإنه يغفر لهم ويستر عليهم كما قال فى الآية الأخرى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما) وقال ههنا (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللعْم) وهذا استثناء منقطع لأن اللعْم من صغائر الذنوب ومحقرات الأعمال . قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن أرطاة عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال ما رأيت شيئا أشبه باللعم مما قال أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن الله تعالى كتب

على ابن آدم حطه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، والنفس تعني وتشتبه ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . أخرجه في الصحيحين من حديث عبد الرزاق به . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى أخبرنا ابن قور حدثنا معمر عن الأعمش عن أبي الضحى أن ابن مسعود قال : زنا العينين النظر وزنا الشفتين التمثيل ، وزنا اليدين البطش ، وزنا الرجلين المشي ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه فان تقدم بفرجه كان زانيا وإلا فهو اللهم وكذا قال مسروق والشعبي . وقال عبد الرحمن بن نافع الذي قاله ابن ليابة الطائي قال سألت أبا هريرة عن قول الله (إلا اللهم) قال القبلة والغمزة والنظرة والباشرة فإذا مس الحتان الحتان فقد وجب الغسل وهو الزنا . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إلا اللهم) إلا ما سلف وكذا قال زيد بن أسلم . وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية (إلا اللهم) قال الذي يلم بالذنب ثم يدعه قال الشاعر :

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قول الله تعالى (إلا اللهم) قال الرجل يلم بالذنب ثم ينزع عنه قال وكان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت وهم يقولون

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما

وقد رواه ابن جرير وغيره مرفوعا قال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا أبو عاصم حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال هو الرجل يلم بالفاحشة ثم يتوب وقال : قال رسول الله ﷺ

إن تغفر اللهم تغفر جما وأى عبد لك ما ألما ؟

وهكذا رواه الترمذي عن أحمد بن عثمان أي عثمان البصري عن أبي عاصم النبيل ثم قال هذا حديث صحيح حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق وكذا قال البرازي لا نعلمه يروى متصلا إلا من هذا الوجه وسأته ابن أبي حاتم والبعوي من حديث أبي عاصم النبيل وإنما ذكره البعوي في تفسير سورة تزييل وفي صحته مرفوعا نظر . ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع حدثنا يزيد بن زريع حدثنا يونس عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أراه رفعه في (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال اللمة من الزنا ثم يتوب ولا يعود ، واللمة من المعلقة ثم يتوب ولا يعود واللمة من شرب الخمر ثم يتوب ولا يعود قال فذلك اللمة . وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن في قول الله تعالى (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال اللمة من الزنا أو السرقة أو شرب الخمر ثم لا يعود . وحدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قول الله (الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللهم) قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون هو الرجل يصيب اللمة من الزنا واللمة من شرب الخمر فيجتنبها ويتوب منها . وقال ابن جرير عن عطاء عن ابن عباس (إلا اللهم) يلم بها في الحين قلت : الزنا؟ قال : الزنا ثم يتوب وقال ابن جرير أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه قال : اللهم ، الذي يلم للرة . وقال السدي قال أبو صالح سئلت عن اللهم فقالت هو الرجل يصيب الذنب ثم يتوب وأخبرت بذلك ابن عباس فقال لقد أعانك عليها ملك كريم حكاة البعوي . وروى ابن جرير من طريق الثوري بن الصباح وهو ضعيف عن عمرو ابن شعيب أن عبد الله بن عمرو قال اللهم مادون الشرك ، وقال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن عطاء عن ابن الزبير (إلا اللهم) قال ما بين الحدين حد الزنا وعذاب الآخرة ، وكذا رواه شعبة عن الحسن عن ابن عباس مثله سواء . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (إلا اللهم) كل شيء بين الحدين حد الدنيا وحد الآخرة تكفره الصلوات فهو اللهم وهو دون كل موجب فأما حد الدنيا فكل حد فرض الله عقوبته في الدنيا ، وأما حد الآخرة فكل شيء ختمه الله بالنار وأخر عقوبته إلى الآخرة . وكذا قال عكرمة وقاتدة والضحاك . وقوله تعالى (إن ربك واسع المغفرة) أي رحيمه وسعت كل شيء ومغفرته تسع الذنوب كلها لمن تاب منها كقوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم

لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم . وقوله تعالى (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض) أى هو بصير بكم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التى تصدر عنكم وتقع منكم حين أنشأ أباكم آدم من الأرض واستخرج ذريته من صلبه أمثال الدر ثم قسمهم فريقين فريقا للجنة وفريقا للسعير وكذا قوله (وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم) قد كتب الملك الذى يوكل به رزقه وأجله وعمله وشق أم سعيد ؟ قال مكحول كنا أجنة فى بطون أمهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقى ثم كنا مرضيع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقى ثم صرنا يفة فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقى ثم صرنا شبانا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقى ثم صرنا شيوخا لا بالاك فإذا بعد هذا ننظر ؟ رواد ابن أبى حاتم عنه . وقوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) أى تمد حوها وتشكروها وتمنوا بأعمالكم (هو أعلم عن اتقى) كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون شيئا) . وقال مسلم فى صحيحه حدثنا عمرو والنقاد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الأيثم عن يزيد بن أبى حبيب عن محمد بن عمرو بن عطاء قال سميت ابنتى برة فقالت لى زينب بنت أبى سلمة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا الاسم وسميت برة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تزكوا أنفسكم إن الله أعلم بأهل البر منكم » فقالوا به نسميها ؟ قال « سموها زينب » وقد ثبت أيضا فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال مدح رجل رجلا عند النبي ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويلك قطعت عنق صاحبك - مراراً - إذا كان أحدا ما دحا صاحبه لا محالة فليقل أحسب فلانا والله حسبي ولا أركى على الله أحدا أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك » ثم رواه عن غندر عن شعبة عن خالد الحذاء به وكذا رواه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجه من طرق عن خالد الحذاء به . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن قالوا أخبرنا سفيان عن منصور عن إبراهيم عن همام بن الحارث قال جاء رجل إلى عثمان فأنشأ عليه فى وجهه قال فجعل للمقداد بن الأسود يحثو فى وجهه السراب ويقول أمرنا رسول الله ﷺ إذا لقينا السداحين أن نحثو فى وجوههم التراب . ورواه مسلم وأبو داود من حديث الثورى عن منصور به

﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى * أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى * أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى ﴾

يقول تعالى ذاما لمن تولى عن طاعة الله (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) (وأعطى قليلا وأكدى) قال ابن عباس أطلع قليلا ثم قطعه وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وقناة وغير واحد قال عكرمة وسعيد كمثل القوم إذا كانوا يحفرون برفا فيجدون فى أثناء الحفر صخرة تمنعهم من تمام العمل فيقولون أ كدنا ويتركون العمل وقوله تعالى (أ عنده علم الغيب فهو يرى ؟) أى أ عنده هذا الذى قد أمسك يده خشية الاتفاق وقطع معرفته أ عنده علم الغيب أنه سينفذ ما فى يده حتى قد أمسك عن معرفته فهو يرى ذلك عيانا ؟ أى ليس الأمر كذلك . وإنما أمسك عن الصدقة والمعروف والبر والصلة بخلا وشحا وهلعا ، ولهذا جاء فى الحديث « أشقى بالالا ، ولا نخش من ذى العرش إقلالا » وقد قال الله تعالى (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) . وقوله تعالى (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى * وإبراهيم الذى وفى ؟) قال سعيد بن جبير والثورى أى بلغ جميع ما أمر به ، وقال ابن عباس (وفى) لله بالبلاغ ، وقال سعيد بن جبير (وفى) ما أمر به ، وقال قناة (وفى) طاعة الله وأدى رسالته إلى خلقه وهذا القول هو اختيار ابن جرير وهو يشمل الذى قبله ويشهد له قوله تعالى (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما) فقام بجميع الأوامر وترك جميع النواهي وبلغ الرسالة على التمام والكمال فاستحق بهذا أن يكون للناس

إماما يقتدى به في جميع أحواله وأقواله وأفعاله قال الله تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال ابن حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا آدم بن أبي إياس السعقلاني حدثنا حماد بن سلمة حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (وإبراهيم الذي وفى) قال « أتدرى ما وفى ؟ » قالت الله ورسوله أعلم قال « وفى عمل يومه بأربع ركعات من أول النهار » ورواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف . وقال الترمذي في جامعه حدثنا أبو جعفر السمعاني حدثنا أبو مسهر حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبي النرداء وأبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال « ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » قال ابن أبي حاتم رحمه الله وحدثنا أبي حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن قايذ عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال « ألا أخبركم لمسمى الله تعالى إبراهيم خليله الذي وفى ؟ إنه كان يقول كلما أصبح وأمسى (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) « حتى ختم الآية . ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن رشدين بن سعد عن زبان به ، ثم شرع تعالى يبين ما كان أوحاه في صحف إبراهيم وموسى فقال (أن لا تزر وازرة وزر أخرى) أى كل نفس ظلمت نفسها بكفر أو شىء من الذنوب فانما علمها وزرها لا يحمله عنها أحد كما قال (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى) (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) أى كما لا يحمل عليه وزر غيره كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه ، ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعى رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم ولو كان خيرا لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما .

وأما الحديث الذى رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث من ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به » فهذه الثلاث في الحقيقة هى من سعيه وكده وعمله كما جاء في الحديث « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه » والصدقة الجارية كالو قف ونحوه هى من آثار عمله ووقفه وقد قال تعالى (إنا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) الآية والعلم الذى نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضا من سعيه وعمله ، وثبت في الصحيح « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شىء » . وقوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى) أى يوم القيامة كتبه تعالى (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) أى فيخبركم به ويحزيكم عليه أتم الجزاء إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهكذا قال ههنا (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) أى الأوفر

﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ۖ * وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ ۖ * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۖ * وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۖ * مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۖ * وَأَنَّ عَلَيْهِ النُّشْأَةَ الْآخِرَىٰ ۖ * وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَىٰ ۖ * وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ السَّمَرَىٰ ۖ * وَأَنَّهُ أَفْلَاكًا عَادًا ۖ * وَالْأُولَىٰ ۖ * وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ۖ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْفَىٰ ۖ * وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۖ * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ۖ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۚ﴾

يقول تعالى (وأن إلى ربك المنتهى) أى المعاد يوم القيامة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سويد بن سعيد حدثنا

مسلم بن خالد عن عبد الرحمن بن سابط عن عمرو بن ميمون الأودي قال قام فينا معاذ بن جبل فقال يا بني أوداني رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكم تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو إلى النار وذكر البغوي من رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (وأن إلى ربك المنتهى) قال لا ففكرة في الرب قال البغوي وهذا مثل ما روى عن أبي هريرة مرفوعا « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فإنه لا تحيط به الفكرة » وكذا أورده وليس بمحفوظ بهذا اللفظ ، وإنما الذي في الصحيح « يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغ أحدكم ذلك فليستعذ بالله وليتبه » وفي الحديث الآخر الذي في السنين « تفكروا في مخلوقات الله ولا تفكروا في ذات الله فإن الله تعالى خالق ملكا ما بين شجرة أذنه إلى عاتقه مسيرة ثلاثمائة سنة » أو كما قال وقوله تعالى (وأنه هو أضحك وبكى) أى خلق في عباده الضحك والبكاء وسببهما وهما مختلفان (وأنه هو أمات وأحيا) كقوله (الذى خلق الموت والحياة) (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى) كقوله (أيحسب الإنسان أن يترك سدى ؟ * أم يك نطفة من مئى مئى 1 * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى * أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟) وقوله تعالى (وأن عليه النشأة الآخرة) أى كما خلق البداية هو قادر على الاعادة وهى النشأة الآخرة يوم القيامة (وأنه هو أغنى وأقنى) أى ملك عباده المال وجعله لهم قنية مقيما عندهم لا يحتاجون إلى بيعه فهذا تمام النعمة عليهم ، وعلى هذا يدور كلام كثير من المفسرين منهم أبو صالح وابن جرير وغيرهما ، وعن مجاهد (أغنى) مول (وأقنى) أخدم وكذا قال قتادة وقال ابن عباس ومجاهد أيضا (أغنى) أعطى (وأقنى) رضى وقيل معناه أغنى نفسه وأفقر الخلق إليه قاله الحضرى بن لاحق وقيل أغنى من شاء من خلقه وأقنى أى أفقر من شاء منهم قاله ابن زيد حكاه ابن جرير وهما بعيدان من حيث اللفظ وقوله (وأنه هو الرب الشعري) قال ابن عباس ومجاهد وقاتة وابن زيد وغيرهم هو هذا النجم الوقاد الذى يقال له مرزم الجوزاء كانت طائفة من العرب يعبدونه (وأنه أهلك عادا الأولى) وهم قوم هود ويقال لهم عاد بن إرم بن سام بن نوح كما قال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التى لم يخلق مثافا فى البلاد ؟) فسكانوا من أشد الناس وأقواهم وأعتاهم على الله تعالى وعلى رسوله فأهلكهم الله (بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أى متتابعة

وقوله تعالى (ونمود لما أبقي) أى دمرهم فلم يبق منهم أحدا (وقوم نوح من قبل) أى من قبل هؤلاء (إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) أى أشد تمردا من الذين بعدهم (والمؤتفة أنهوى) يعنى مدائن لوط قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود ولهذا قال فنشأها ما غشى يعنى من الحجارة التى أرسلها عليهم (وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين) قال قتادة كان فى مدائن لوط أربعة آلاف ألف ، إنسان فانضم عليهم الوادى شيئا من نار ونفط وقطران كهم الأتون . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن محمد بن وهب بن عطية عن الوليد بن مسلم عن خبيد بنه به وهو غريب جدا (فبأى آلاء ربك تتبارى ؟) أى فى أى نعم الله عليكم أيها الإنسان عتري ؟ قاله قتادة وقال ابن جرير (فبأى آلاء ربك تتبارى ؟) يا محمد والأول أولى وهو اختيار ابن جرير

﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى * أَزِفَتِ الْآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَمِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعَبُدُوا ﴾

(هذا نذير) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من النذر الأولى) أى من جنسهم أرسل كما أرسلوا كما قال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) (أزفت الآزفة) أى اقتربت القربة وهى القيامة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى لا يدفعها إذا من دون الله أحد ولا يطلع على علمها سواه والنذير الحذر لما يماين من الشر الذى يخشى وقوعه فيمن أنذرهم كما قال (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) وفى الحديث « أنا النذير العريان » أى الذى أعجله شدة ما عاين

من الشر عن أن يلبس عليه شيئا بل بادر إلى إنذار قومه قبل ذلك فجاءهم عريانا مسرعا وهو مناسب لقوله (أُرْفَتِ
الْأَرْقَةُ) أى اقتربت القرية يعنى يوم القيامة كما قال في أول السورة التى بعدها (اقتربت الساعة) وقال الإمام أحمد
حدثنا أنس بن عياض حدثني أبو حاتم لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم
ومحقرات الذنوب فانما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بيطن واد فجاء ذا يعود وجاء ذا يعود حتى أنضجوا
خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه » وقال أبو حازم : قال رسول الله ﷺ قال
أبو نضرة لا أعلم الا عن سهل بن سعد قال « مثلى ومثل الساعة كهاتين » وفرق بين اصبعيه الوسطى والى تلى الابهام
ثم قال « مثلى ومثل الساعة كمثل فرسى رهان » ثم قال « مثلى ومثل الساعة كمثل رجل بعثه قومه طليعة فلما خشى
أن يسبق ألاح بثوبه أتيتم أتيتم » ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا ذلك » وله شواهد من وجوه أخر
من صحيح وحسان ثم قال تعالى منكرا على المشركين فى استماعهم القرآن واعاراضهم عنه وتلهيهم (تعجبون) من أن يكون
صحيحا (وتضحكون) منه استهزاء وسخرية (ولا تبكون) أى كما يفعل الوثقون به كما أخبر عنهم (ويخرون للأذقان
يكونون) ويزيدهم خشوعا (وقوله تعالى (وأنتم سامدون) قال سفيان الثوري عن أبيه عن ابن عباس قال : الغناء هى يمانية
اسم لنا عن لنا وكذا قال عكرمة ، وفى رواية عن ابن عباس (سامدون) معروضون ، وكذا قال مجاهد وعكرمة
وقال الحسن غافلون وهو رواية عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، وفى رواية عن ابن عباس تستكبرون وبه يقول
السدى ، ثم قال تعالى أمرا لعباده بالسجود له والعبادة التابعة لرسوله ﷺ والتوحيد والاخلاص (فاسجدوا
للّه واعبدوا) أى فاخلعوا له وأخلصوا ووحده قال البخارى حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة
عن ابن عباس قال : سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . انفرد به دون مسلم ،
وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن خالد حدثنا رباح عن معمر عن ابن طاوس عن عكرمة بن خالد عن جعفر بن المطلب
ابن أبى وداعة عن أبيه قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة سورة النجم فسجد وسجد من عنده فرفعت رأسى فأبيت أن
أسجد ولم يكن أسلم يومئذ المطلب فكان بعد ذلك لا يسمع أحدا يقرأها إلا سجد معه . وقد رواه النسائي فى الصلاة عن
عبد الملك بن عبد الحميد عن أحمد بن حنبل به . آخر تفسير سورة النجم والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة اقتربت الساعة وهى مكة ﴾

قد تقدم فى حديث أبى واقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بقاء واقتربت الساعة فى الأضحى والنهار
وكان يقرأ بهما فى المحافل الكبار لاشتغالهما على ذكر الوعد والوعيد وبدء الخلق وإعادته والتوحيد وإثبات النبوات وغير
ذلك من المقاصد العظيمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَالنَّشَقُ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَعْتِرٌ * وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة وفراغ الدنيا وانقضائها كما قال تعالى (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وقال (اقتراب للناس
حسابهم وهم فى غفلة معروضون) وقد وردت الأحاديث بذلك قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن المثنى
وعمر بن حفص قال حدثنا خلف بن موسى حدثني أبى عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب أمة من أمة
ذات يوم وقد كادت الشمس أن تقرب فلم يبق منها إلا سف يسير فقال « والذى نفسى بيده ما بقى من الدنيا فيما
مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه وما نرى من الشمس إلا يسميرا » قلت هذا حديث مدار على خلف

ابن موسى بن خلف العمى عن أبيه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال ربما أخطأ **﴿** حديث آخر يعضد النبي قبله ويفسره **﴾** قال الامام أحمد حدثنا الفضل بن دكين حدثنا شريك حدثنا سلمة بن كهيل عن مجاهد عن ابن عمر قال : كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم والشمس على قعيقعان بعد العصر فقال « ما أعماركم في أعمار من مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى » وقال الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا محمد بن مطرف عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « بعثت أنا والساعة كهكذا » وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى . أخرجه من حديث أبي حازم سلمة بن دينار

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبيد أخبرنا الأعمش عن أبي خالد عن وهب السوائي قال : قال رسول الله ﷺ « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه إن كادت لتسبقني » وجمع الأعمش بين السبابة والوسطى . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعي حدثني إسماعيل بن عبيد الله قال قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك فسأله ماذا سمعت من رسول الله ﷺ يذكر به الساعة ؟ فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أنتم والساعة كهاتين » تفرد به أحمد رحمه الله وشاهد ذلك أيضا في الصحيح في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه الحاشر الذي يحشر الناس على قدميه . وقال الامام أحمد حدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا حميد بن هلال عن خالد بن عمير قال خطب عتبة بن غزوان قال بهز وقال قبل هذه المرة خطبنا رسول الله ﷺ قال فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء يتصاها صاحبها وإنكم منتقون منها إلى دار لا زوال لها فالتقوا منها بخير ما يحضر نكم فإنه قد ذكر لنا أن الحجر يلقى من شفير جهنم فيموى فيها سبعين عاما وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام » وذكر تمام الحديث انفرد به مسلم وقال أبو جعفر بن جرير حدثني يعقوب حدثني ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي قال نزلنا المدائن فكننا منها على فرسخ فجاءت الجمعة فحضر أبي وحضرت معه فخطبنا حذيفة فقال : ألا إن الله يقول (اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وإن الساعة قد اقتربت ألا وإن القمر قد انشق ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق فقلت لأبي أيسبق الناس غدا ؟ فقال يا بني إنك لجاهل إنما هو السباق بالأعمال ، ثم جاءت الجمعة الأخرى فحضرتنا فخطب حذيفة فقال : ألا إن الله عز وجل يقول (اقتربت الساعة وانشق القمر) ألا وإن الدنيا قد آذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق ألا وإن العاية النار والسابق من سبق إلى الجنة وقوله تعالى (وانشق القمر) قد كان هذا في زمان رسول الله ﷺ كما ورد ذلك في الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة . وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال « خمس قدميين الروم والبخان والازام والبطشة والقمر » وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع في زمان النبي ﷺ وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات

﴿ ذكر الأحاديث الواردة في ذلك **﴾**

﴿ رواية أنس بن مالك **﴾** قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال سألت أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين فقال (اقتربت الساعة وانشق القمر) ورواه مسلم عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق وقال البخاري حدثني عبد الله بن عبد الوهاب حدثنا بشر بن الفضل حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يرهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما . وأخرجه أيضا من حديث يونس بن محمد المؤدب عن شيبان عن قتادة ورواه مسلم أيضا من حديث أبي داود الطيالسي ويحيى القطان وغيرهما عن شعبة عن قتادة به **﴿** رواية جبير بن مطعم رضي الله عنه **﴾** قال الامام أحمد حدثنا محمد بن كثير ثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا

سحرنا محمد فقالوا إن كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . تفرد به الامام أحمد من هذا الوجه وأسنده
 البهقي في الدلائل من طريق محمد بن كثير عن أخيه سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن
 وهكذا رواه ابن جرير من حديث محمد بن فضيل وغيره عن حصين به . ورواه البهقي أيضا من طريق إبراهيم بن
 طهمان وهشيم كلاهما عن حصين عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده فذكره ﴿ رواية عبد الله
 ابن عباس رضي الله عنهما ﴾ قال البخاري حدثنا يحيى بن كثير حدثنا بكر عن جعفر عن عراك بن مالك عن عبيد الله
 ابن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : انشق القمر في زمان النبي صلى الله عليه وسلم . ورواه البخاري أيضا
 ومسلم من حديث بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة عن عراك به مثله . وقال ابن جرير حدثنا ابن مثنى حدثنا عبد
 الأعلى حدثنا داود بن أبي هند عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر *
 وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) قال قد مضى ذلك كان قبل الهجرة انشق القمر حتى رأوا شقيه ، وروى
 العوفي عن ابن عباس نحوه هذا ، وقال الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو البزار حدثنا محمد بن يحيى القطعي حدثنا محمد
 ابن شسكر حدثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ
 فقالوا سحر القمر فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر - إلى قوله - مستمر) ﴿ رواية عبد الله بن عمر ﴾ قال الحافظ
 أبو بكر البهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ وأبو بكر أحمد بن الحسن القاضي قالا حدثنا أبو العباس الأصم حدثنا العباس
 ابن محمد الدوري حدثنا وهب بن جرير عن شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن عبد الله بن عمر في قوله تعالى (اقتربت
 الساعة وانشق القمر) قال وقد كان ذلك على عهد رسول الله ﷺ انشق فلقين فلقه من دون الجبل وفلقه من
 خلف الجبل فقال النبي ﷺ « اللهم اشهد » وهكذا رواه مسلم والترمذي من طرق عن شعبة عن الأعمش
 عن مجاهد به ، قال مسلم كراوية مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وقال الترمذي حسن صحيح ﴿ رواية عبد الله
 ابن مسعود ﴾ قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود قال : انشق القمر
 على عهد رسول الله ﷺ شقتين حشق نظروا إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اشهدوا » وهكذا
 رواه البخاري ومسلم من حديث سفيان بن عيينة به ، وأخرجاه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عبد الله
 ابن مسخبة عن ابن مسعود به وقال ابن جرير حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي حدثنا عمي يحيى بن عيسى
 عن الأعمش عن إبراهيم عن رجل عن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ بمنى فانشق القمر فأخذت فرقة
 خلف الجبل فقال رسول الله ﷺ « اشهدوا اشهدوا » قال البخاري : وقال أبو الضحى عن مسروق
 عن عبد الله بمكة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن
 مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالت قريش ههنا سحر ابن أبي كبشة قال فقالوا انظروا
 ما يأتيكم به السفار فان محمد لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم قال فجاء السفار فقالوا ذلك . وقال البهقي أخبرنا أبو
 عبد الله الحافظ أخبرنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا هشام
 حدثنا مغيرة عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله قال انشق القمر بمكة حتى صار فرقتين فقال كفار قريش أهل
 مكة هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انظروا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق وإن كانوا لم يروا مثل ما رأيتم
 فهو سحر سحركم به قال فسئل السفار قال وقدموا من كل وجهة فقالوا : رأينا ، ورواه ابن جرير من حديث المغيرة به وزاد
 فأنزل الله عز وجل (اقتربت الساعة وانشق القمر) . ثم قال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية أخبرنا
 أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال نبئت أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول لقد انشق القمر
 وقال ابن جرير أيضا حدثني محمد بن عمار حدثنا عمرو بن حماد حدثنا أسباط عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن
 عبد الله قال لقد رأيت الجبل من فرج القمر حين انشق . ورواه الامام أحمد عن مؤمل عن إسرائيل عن سماك عن
 إبراهيم عن الأسود عن عبد الله قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى رأيت الجبل من بين فرج القمر

وقال ليث عن مجاهد انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقال النبي ﷺ لأبي بكر «اشهد يا أبا بكر» فقال المشركون سحر القمر حتى انشق وقوله تعالى (وإن يروا آية) أى دليلا وحجة وبرهانا (يعرضوا) أى لا ينقادوا له بل يعرضون عنه ويتركونه وراء ظهورهم (ويقولوا سحر مستعر) أى ويقولون هذا الذى شاهدناه من الحجاج سحر سحرنا به ومعنى (مستعر) أى ذاهب قاله مجاهد وقتادة وغيرهما أى باطل مضمحل لا دوام له (وكذبوا واتبعوا أهواءهم) أى كذبوا بالحق إذ جأهم واتبعوا ما أمرتهم به آراؤهم وأهواؤهم من جهلهم وسخافة عقولهم . وقوله (وكل أمر مستقر) قال قتادة معناه أن الخير واقع بأهل الخير والشر واقع بأهل الشر ، وقال ابن جريج مستقر بأهله وقال مجاهد (وكل أمر مستقر) أى يوم القيامة وقال السدى مستقر أى واقع ، وقوله تعالى (ولقد جاءهم من الأنباء) أى من الأخبار عن قصص الأمم الكاذبين بالرسول وما حل بهم من العقاب والنعكس والعذاب مما يتلى عليهم في هذا القرآن (ما فيه مزدجر) أى ما فيه واعظهم عن الشرك والتجدي على التكذيب . وقوله تعالى (حكمة بالغة) أى في هدايته تعالى لمن هداها واضلاله لمن أضله (فما تنفى النذر) يعنى أى شئ تنفى النذر عمن كتب الله عليه الشقاوة وختم على قلبه ؟ فمن الذى يهديه من بعد الله ؟ وهذه الآية كقوله تعالى (قل فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين) وكذا قوله تعالى (تنفى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون)

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَّكِرٍ * خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مَهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴾

يقول تعالى فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شئ نكير * خشعا أبصرهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر * مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسير . يوم يدع الداع إلى شئ نكير (أى إلى شئ منكر فظيع وهو موقف الحساب وما فيه من البلاء بل والزلازل والأحوال خشعا أبصارهم) أى ذليلة أبصارهم (يخرجون من الأجداث) وهى القبور (كأنهم جراد منتشر) أى كأنهم في انتشارهم وسرعة سيرهم إلى موقف الحساب إجابة للداعى جراد منتشر في الآفاق ، ولهذا قال (مهطعين) أى مسرعين (إلى الداعى) لا يخالفون ولا يتأخرون (يقول الكافرون هذا يوم عسير) أى يوم شديد الم هول عبوس قطرير (فذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير) .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَقَدَا رَبَّهُ أَنَّى مَغْلُوبٌ فَاتَّصَرَ * ففَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ * تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مَّدَكِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِرٍ ﴾

يقول تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا) أى صرحوا له بالتكذيب واتهموه بالجنون (وقالوا مجنون وازدجر) قال مجاهد وازدجر أى استطير جنونا ، وقيل وازدجر أى اتهموه وزجروه وتواعدوه لأن لم تنقته يا نوح لتكونن من المرجومين قاله ابن زيد وهذا متوجه حسن (فدعا ربه أنى مغلوب فاتتصر) أى أنى ضعيف عن هؤلاء وعن مقاومتهم فاتتصر أنت لديك قال الله تعالى (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) قال السدى وهو الكثير (وفجرتنا الأرض عيونا) أى نبعت جميع أرجاء الأرض حتى التناير التى هى محال النيران نبعت عيونا (فاللقى الماء) أى من السماء والأرض (على أمر قد قدر) أى أمر مقدر

قال ابن جريج عن ابن عباس (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) كثير لم تخطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب ، ففتح أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم ، فاللقى الماء الآن على أمر قد قدر ، وروى ابن أبى حاتم

أن ابن الكواء سأل علياً عن المجرة فقال هي شرج السماء ومنها فتحت السماء بماء منهمر (وحملناه على ذات ألواح ودسر) قال ابن عباس وسعيد بن جبير والقرظي وقناة وابن زيد هي السماير واختاره ابن جرير قال وواحدة دسار ويقال دسير كما يقال حبيك وحباك والجمع حبك ، وقال مجاهد الدسر أضلاع السفينة وقال عكرمة والحسن هو صدرها الذي يضرب به اللوح . وقال الضحاك الدسر طرفاها وأصلها وقال العوفي عن ابن عباس هو كل كلبها أي صدرها . وقوله (تجرى بأعيننا) أي بأمرنا بمرأى منا وتحت حفظنا وكلاءتنا (جزاء لمن كان كافر) أي جزاء لهم على كفرهم بالله وانتصارا لنوح عليه السلام . وقوله تعالى (ولقد تركناها آية) قال قتادة أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أول هذه الأمة والظاهر أن المراد من ذلك جنس السفن كقوله تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال تعالى (إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية) لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية) ولهذا قال ههنا (فهل من مدكر) أي فهل من يتذكر ويتعظ . قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن الأسود عن ابن مسعود قال أقرأني رسول الله ﷺ (فهل من مدكر) وههنا رواه البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحق عن الأسود بن يزيد عن عبد الله قال قرأت على النبي ﷺ (فهل من مدكر) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (فهل من مدكر) وروى البخاري أيضا من حديث شعبة عن أبي إسحق عن الأسود عن عبد الله قال : كان رسول الله ﷺ يقرأ (فهل من مدكر) . وقال حدثنا أبو نعيم حدثنا زهير عن أبي إسحق أنه سمع رجلا سأل الأسود فهل من مدكر أو مدكر قال سمعت عبد الله يقرأ فهل من مدكر ؛ وقال سمعت رسول الله ﷺ يقرأها فهل من مدكر . دالا . وقد أخرج مسلم ههنا الحديث وأهل السنن إلا ابن ماجه من حديث أبي إسحق . وقوله تعالى (فكيف كان عذابي ونذر) أي كيف كان عذابي لمن كفر بي وكذب رسلي ولم يتعظ بما جاءت به نذري وكيف انتصرت لهم وأخذت لهم بالثأر (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أي سهلنا لفظه ويسرناه معناه لمن أراد أن يتذكر الناس كما قال (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) وقال تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتذذر به قوما لذا) قال مجاهد (ولقد يسرنا القرآن للذكر) يعني هونا قراءته وقال السدي يسرناه تلاوته على الألسن وقال الضحاك عن ابن عباس لولا أن الله يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل ، قلت ومن تيسيره تعالى على الناس تلاوة القرآن ما تقدم عن النبي ﷺ أنه قال « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » وأوردنا الحديث بطريقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة ، وقوله (فهل من مدكر) أي فهل من متذكر بهذا القرآن الذي قد يسر الله حفظه ومعناه ؟ وقال محمد بن كعب القرظي فهل من منزجر عن المعاصي ؟ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسن بن رافع حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر هو الوراق في قوله تعالى (فهل من مدكر) هل من طالب علم فيعان عليه وكذا علقه البخاري بصيغة الجزم عن مطر الوراق ورواه ابن جرير وروى عن قتادة مثله .

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ۖ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ۖ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي ۖ وَلَقَدْ يَسْرُنَا الْقُرْآنُ إِنَّ لَكَ فِيهِ لَكُرٍّ فَهَلْ مِنْ مُدِّكِرٍ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عاد قوم هود أنهم كذبوا رسلهم أيضا كما صنع قوم نوح وأنه تعالى أرسل (عليهم ريحا صرصرا) وهي الباردة الشديدة البرد (في يوم نحس مستمر) عليهم (عليهم نحسه ودماره) لأنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوي بالأخروي وقوله تعالى (تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر) وذلك أن الريح كانت تأتي أحدهم فترفعه حتى تنفيه عن الأبصار ثم تنكسه على أم رأسه فيسقط إلى الأرض فتشاخ رأسه

أصاب قومهم ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته أصابها ما أصاب قومها وخرج نبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالما لم يمسسه سوء ولهذا قال تعالى (كذلك نجزي من شكر * ولقد أنذرهم بطشتنا) أي ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه لما التفتوا إلى ذلك ولا أضغوا إليه بل شكوا فيه وتعاروا به (ولقد راودوه عن ضيفة) وذلك ليلة ورد عليه الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل في صور شباب مرد حسان محنة من الله بهم فاضافهم لوط عليه السلام وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها فأعلمتهم بأضياف لوط فأقبلوا بهرعون إليه من كل مكان فأغلق لوط دونهم الباب فجمعوا ويحاولون كسر الباب وذلك عشية ولوط عليه السلام يدافعهم ويمانعهم دون أضيافه ويقول لهم (هؤلاء بناتي) يعني نساءهم (إن كنتم فاعين * قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق) أي ليس لنا فيهن أرب (وإنك لتعلم ما نريد) فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول خرج عليهم جبريل عليه السلام فضرب أعينهم بطرف جناحه فانطمست أعينهم يقال إنها غارت من وجوههم وقيل إنه لم يبق لهم عيون بالسكية فرجعوا على أديبارهم يتحسسون بالخيطان ويتوعدون لوطا عليه السلام إلى الصباح . قال الله تعالى (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) أي لا محيد لهم عنه ولا انفسكك لهم منه (فدوقوا عذابي ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ * كَذَبُوا بِمَا يَنْدُبُ كُلَّهُمْ فَأَخَذَ مِنْهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ * أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ * أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ * سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ * بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن فرعون وقومه إنهم جاءهم رسول الله موسى وأخوه هارون بالبشارة إن آمنوا والنذارة إن كفروا وأيدهما بمعجزات عظيمة وآيات متعددة فكذبوا بها كلها فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر أي فأبادهم الله ولم يبق منهم مخبر ولا عين ولا أثر . ثم قال تعالى (أ كفاركم) أي أيها المشركون من كفار قريش (خير من أولئك) يعني من الذين تقدم ذكرهم ممن أهلكتهم أسباب تكذيبهم الرسل وكفرهم بالكتب أتتم خير من أولئك ؟ (أم لكم براءة في الزبر) أي أم معكم من الله براءة أن لا ينالكم عذاب ولا نكال ! ثم قال تعالى مخبرا عنهم (أم يقولون نحن جميع منتصر) أي يعتقدون أنهم يتناصرون بعضهم بعضا وأن جمعهم يغني عنهم من أرادهم بسوء قال الله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) أي سينفرك شملهم ويهربون . قال البخاري حدثنا إسحاق حدثنا خالد عن خالد وقال أيضا حدثنا محمد بن عوفان عن وهيب عن خالد عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر « أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم في الأرض أبدا » فأخذ أبو بكر رضي الله عنه يده وقال حسبك يا رسول الله ألحجت على ربك فخرج وهو يثب في الدرع وهو يقول (سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) وكذا رواه البخاري والنسائي في غير موضع من حديث خالد وهو ابن مهران الخنساء به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد عن أيوب عن عكرمة قال لما نزلت (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال عمر أي جمع يهزم ؟ أي جمع يغلب ؟ قال عمر فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثب في الدرع وهو يقول « سيهزم الجمع ويولون الدبر » ففرقت تأويلها يومئذ

وقال البخاري حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم أخبرني يوسف بن ماهك قال أني عند عائشة أم المؤمنين فقالت نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) هكذا رواه ههنا مختصرا ، ورواه في فضائل القرآن مطولا ولم يخرج مسلم

﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ * إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ * وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ * وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاءَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ * وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ * وَكُلُّ صَغِيرٍ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ * إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ *

يخبرنا تعالى عن المجرمين أنهم في ضلال عن الحق وسعر مما هم فيه من الشكوك والاضطراب في الآراء وهذا يشمل كل من اتصف بذلك من كافر ومبتدع من سائر الفرق ثم قال تعالى (يوم يسحبون في النار على وجوههم) أى كما كانوا في سعر وشك وتردد أورثهم ذلك النار وكما كانوا ضاللا يسحبون فيها على وجوههم لا يدرون أين يذهبون ويقال لهم تقرعيا وتوبيخا (ذوقوا مس سقر) . وقوله تعالى (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (وخلق كل شيء بقدره تقديرا) وكقوله تعالى (سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى) أى قدر قدرا وهدى الخلائق اليه ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على اثبات قدر الله السابق لخلقهم وهو عامه الأشياء قبل كونها وكتابتها لها قبل برعها وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتة على الفرقة القدسية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا وما ورد فيه من الأحاديث في شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى رحمه الله ولندكرهنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة . قال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان الثوري عن زياد بن إسماعيل السهمي عن محمد بن عباد بن جعفر عن أبي هريرة قال : جاء مشركو قريش الى النبي ﷺ يخاضمونهم في القدر فنزلت (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر *) إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه من حديث وكيع عن سفيان الثوري به . وقال البرار حدثنا عمرو بن علي حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا يونس بن الحارث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال ما نزلت هذه الآيات (إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر *) إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) الا في أهل القدر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن صالح الانطاكي حدثني قرة بن حبيب عن كنانة حدثني جرير بن حازم عن معبد بن عمرو بن جعدة عن ابن زرارعة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية (ذوقوا مس سقره *) إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) قال « نزلت في أناس من أمية يكونون في آخر الزمان يكذبون بقدر الله » . وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزري عن عبد الملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال : أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له قد تكلم في القدر فقال أوقد فعلوها ! قلت : نعم ، قال قواله ما نزلت هذه الآية إلا فيهم (ذوقوا مس سقر *) إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) أولئك شرار هذه الأمة فلا تعودوا مرضاهم ولا تصالوا على موتاهم إن رأيتم أحدا منهم فقاتلوه عليه بأصبعي هاتين . وقد رواه الامام أحمد من وجه آخر وفيه مرفوع فقال حدثنا أبو المغيرة حدثنا الأوزاعي عن بعض اخوته عن محمد بن عبيد الله بن عباس قال قيل له ان رجلا قدم علينا يكذب بالقدر فقال دلوني عليه وهو أعمى قالوا وما تصنع به يا أبا عباس ! قال والذي نفسي بيده لئن استمكننت منه لأعضن أنه حتى أقطعه . ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول « كأنني بنساء بني فهر يطفن بالجزرج تصطفق أليان من مشركات ، هذا أول شرك هذه الأمة والذي نفسي بيده ليتبين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرا كما أخرجوه من أن يكون قدر شرا » ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة عن الأوزاعي عن العلاء بن الحجاج عن محمد بن عبيد فذكر مثله لم يخرجوه وقال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد عن أبي أيوب حدثني أبو صخر عن نافع قال : كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاثره فكاتب اليه عبد الله بن عمر إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر فأياك أن تكذب إلى فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « سيكون في أمية

أنوام يكذبون بالقدر» ورواه أبو داود عن أحمد بن حنبل به . وقال أحمد حدثنا أنس بن عياض حدثنا عمر بن عبد الله مولى غفرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لكل أمة مجوس ، ومجوس أمي الذين يقولون لا قدر إن مرضوا فلا تمودوم ، وإن ماتوا فلا تشهدوم » لم يخرج به أحد من أصحاب الكتب الستة من هذا الوجه وقال أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشدين عن أبي صخر حميد بن زياد عن نافع عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « سيكون في هذه الأمة مسح ألا وذلك في المكذبين بالقدر والزندقية » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي صخر حميد بن زياد به وقال الترمذي حسن صحيح غريب . وقال الامام أحمد حدثنا إسحاق ابن الطباع أخبرني مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس اليماني قال سمعت ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » ورواه مسلم منفردا به من حديث مالك

وفي الحديث الصحيح « استعن بالله ولا تعجز فان أصابك أمر فقل قدر الله وما شاء فعل ولا تقل لو أني فعلت لكان كذا فان لو تفتح عمل الشيطان » . وفي حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال له « واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك جفت الأقلام ووطيت الصحف » وقال الامام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث عن معاوية بن أيوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال دخلت على عبادة وهو مريض أتخيل فيه الموت فقلت يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال أجلسوني فلما أجلسوه قال يا بني إنك لم تطعم الإيمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله حتى تؤمن بالقدر خيره وشره ، قلت يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ماخير القدر وشره ؟ قال تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما خلق الله القلم ثم قال له اكتب فجري في تلك الساعة بما هو كائن الى يوم القيامة » يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار . ورواه الترمذي عن يحيى بن موسى البلخي عن أبي داود الطيالسي عن عبد الواحد بن سليم عن عطاء بن أبي رباح عن الوليد بن عبادة عن أبيه به وقال حسن صحيح غريب . وقال سفيان الثوري عن منصور عن ربعي بن خراش عن رجل عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ « لا يؤمن أحد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره » وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شميل عن شعبة عن منصور به ، ورواه من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة عن منصور عن ربعي عن علي فذكره وقال هذا عندي أصح وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك عن منصور عن ربعي عن علي به وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره عن أبي هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » زاد ابن وهب (وكان عرشه على الماء) ورواه الترمذي وقال حسن صحيح غريب

وقوله تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وهذا إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر بنفوذ قدره فيهم فقال (وما أمرنا إلا واحدة) أي إنما نأمر بالشئ مرة واحدة لا نحتاج إلى تأكيد ثانية فيكون ذلك الذي نأمر به حاصلا موجودا كلمح البصر لا يتأخر طريقة عين ، وما أحسن ما قال بعض الشعراء :

إذا ما أراد الله أمرا فأنما يقول له كن قوله فيكون

وقوله تعالى (ولقد أهلكنا أشياءكم) يعني أمثالكم وسلفكم من الأمم السابقة المكذبين بالرب (فهل من مدكر) أي فهل من منعتظ بما أخزى الله أولئك وقدر لهم من العذاب كما قال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل) . وقوله تعالى (وكل شيء فعلاه في الزبر) أي مكتوب عليهم في السكتب التي بأيدي الملائكة عليهم السلام (وكل صغير وكبير) أي من أعمالهم (مستطار) أي مجموع عليهم ومسطر في صحائفهم لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . وقد قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم بن بانك سمعت عامر بن عبد الله بن الزبير حدثني

عوف بن الحارث وهو ابن أخي عائشة لأُمها عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقول « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائي وابن ماجه من طريق سعيد بن مسلم بن بانك المدني ، وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وغيرهم . وقد رواه الحافظ ابن عساكر في ترجمة سعيد بن مسلم هذا من وجه آخر . ثم قال سعيد فحدثت بهذا الحديث عامر بن هشام فقال لي ويحك يا سعيد بن مسلم لقد حدثني سليمان بن الغيرة أنه عمل ذنبا فاستغفره فأناؤه أت في منامه فقال له يا سليمان :

لا تحقرن من الذنوب صغيرا	إن الصغير غذا يعود كبيرا
إن الصغير ولو تقدم عهده	عند الإله مسطر تسطيرا
فأزجر هو العن البطالة لا تكن	صعب القياد وشمرن تشميرا
إن المحب إذا أحب إلهه	طار القواد وأطم التفكيرا
فأسأل هدايتك الإله بنية	فكفي بربك هاديا ونصيرا

وقوله تعالى (إن المتقين في جنات ونهر) أى بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسر والسهو في النار على وجوههم مع التوبيخ والتقريع والتمديد . وقوله تعالى (في مقعد صدق) أى في دار كرامة الله ورضوانه وفنائه وامتنانه وجوده وإحسانه (عند مليك مقتدر) أى عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها . وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون . وقد قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو بن يافع به النبي ﷺ قال « المتسوطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » انفرد بإخراجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة بإسناده مثله آخر تفسير سورة اقربت ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الرحمن وهي مكية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن عاصم عن زر أن رجلا قال كيف تعرف هذا الحرف من ماء غير آسن أو أسن ؟ فقال كل القرآن قد قرأت قال إني لأقرأ المفصل في ركعة واحدة فقال : أهذا كهذا الشعر لا أبالك ؟ قد علمت قرائن النبي ﷺ التي كان يقرن قريتين قريتين من أول الفصل وكان أول مفصل ابن مسعود (الرحمن) وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد الرحمن بن واقد أبو مسلم السعدي حدثنا الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد بن المنكدر عن جابر قال خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا فقال لقد « قرأتها على الجن ليلة الجن فكانوا أحسن مردودا منكم ، كنت كلما أتيت على قوله (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قالوا لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ثم حكى عن الإمام أحمد أنه كان لا يعرفه ينكر رواية أهل الشام عن زهير بن محمد هذا ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عمرو بن مالك عن الوليد بن مسلم ، وعن عبد الله بن أحمد بن شبيب عن هشام ابن عمار كلاهما عن الوليد بن مسلم به ثم قال لا نعرفه يروى إلا من هذا الوجه وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أحمد ابن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري قال حدثنا يحيى بن سليم عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ سورة الرحمن أو قرئت عنده فقال « ما لي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم ؟ » قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال « ما أتيت على قول الله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ؟ إلا قالت الجن لا شيء من نعم ربنا نكذب » ورواه الحافظ البزار عن عمرو بن مالك به ثم قال لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه بهذا الاسناد

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ * الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * مَجْشَبَانِ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ ﴾

يَسْجُدَانِ * وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ * وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَكْهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١﴾

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه أنه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه فقال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) قال الحسن يعني النطق، وقال الضحاك وقتادة وغيرهما يعني الخير والشر وقول الحسن ههنا أحسن وأقوى لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن وهو أداء تلاوته وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الخلق واللسان والشفيتين على اختلاف مخارجهما وأنواعها وقوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) أي يحرران متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون) وقال تعالى (فالق الاصباح وجمل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم)

وعن عكرمة أنه قال لوجعل الله نور جميع أبصار الانس والجن والدواب والطيور في عيني عبد ثم كشف حجابا واحدا من سبعين حجابا دون الشمس لما استطاع أن ينظر إليها . ونور الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي ونور الكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش ونور العرش جزء من سبعين جزءا من نور السترة فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عيانا ، رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (والنجم والشجر يسجدان) قال ابن جرير اختلاف المفسرون في معنى قوله والنجم بعد إجماعهم على أن الشجر ماقام على ساق فروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال النجم ما انبسط على وجه الأرض يعني من النبات وكذا قال سعيد بن جبير والسدى وسفيان الثوري . وقد اختاره ابن جرير رحمه الله تعالى وقال مجاهد : النجم الذي في السماء . وكذا قال الحسن وقتادة وهذا القول هو الأظهر والله أعلم لقوله تعالى (ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس) الآية وقوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) يعني العدل كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وهكذا قال ههنا (ألا تطغوا في الميزان) أي خلق السموات والأرض بالحق والعدل لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل . ولهذا قال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) أي لا تبخسوا الوزن بل وزنوا بالحق والقسط كما قال تعالى (وزنوا بالقسطان المستقيمين) وقوله تعالى (والأرض وضعها للأنعام) أي كما رفع السماء وضع الأرض ومهدا وأرسلها بالحيات الراسيات الشاعشات لتستقر لما على وجهها من الأنعام وهم الخلائق المختلفة أنواعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم في سائر أقطارها وأرجائها

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد : الأنعام الخلق (فيها فاكهة) أي مختلفة الألوان والطعوم والروائح (والنخل ذات الأكمام) أفرد بالذكر لشرفه وفعه وطبا وياسا والأكمام قال ابن جريج عن ابن عباس : هي أوعية الطلع وهكذا قال غير واحد من المفسرين وهو الذي يطلع فيه القنوط ينشق عن العنقود فيكون سرائرهم رطبا ثم ينفضج وينتهي بفضه واستوائه وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي الصيرفي حديثا بوقتيبة حدثنا يونس بن الحارث الطائفي عن الشعبي قال كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : أخبرك أن رسلي أتتني من قبلك فرعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليفة لشيء من الخير تخرج مثل أذان الحمير ثم تشقق مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ثم تحمر فتكون كالإياقوت الأحمر ثم تينع فتتضج فتكون كأطيب فالودج أكل ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فإن تكن رسلي صدقتني فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة فكتب إليه عمر بن الخطاب : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم

إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي أنبتنا الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فأ (ن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من المكذرين) وقيل الاكلم رفاتها وهو الليف الذي على عنق النخلة وهو قول الحسن وقنادة (والحب ذو العصف والريحان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (والحب ذو العصف) يعني التبن . وقال العوفي عن ابن عباس العصف ورق الزرع الأخضر الذي قطع رؤوسه فهو يسمى العصف إذا يبس وكذا قال قنادة والضحاك وأبو ملاك عصفه تبنه ، وقال ابن عباس ومجاهد وغير واحد والريحان يعني الورق وقال الحسن هو ريحانكم هذا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والريحان خضر الزرع ، ومعنى هذا والله أعلم أن الحب كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عصف وهو ما على السنبلة وريحان وهو الورق الملتف على ساقها وقيل العصف الورق أول ما ينبت الزرع بقلا والريحان الورق يعني إذا أوجن وانمقد فيه الحب كما قال زيد بن عمرو بن نفيل في قصيدته المشهورة :

وقولا له من ينبت الحب في الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رايا

ويخرج منه حبه في رؤوسه * ففي ذاك آيات لمن كان واعيا

وقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أي فبأى الآلاء يا معشر الثقلين من الإنس والجن تكذبان ؟ قاله مجاهد وغير واحد ويدل عليه السياق بدماء النعم ظاهرة عليكم وأنتم مغمورون بها لا تستطيعون إنكارها ولا ججودها فتحن نقول كما قالت الجن المؤمنون به اللهم ولا بشئ من آلائك ربنا نكذب ، فلك الحمد وكان ابن عباس يقول لا بأيا يا رب أي لا نكذب بشئ منها ، قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحق حدثنا ابن لمية عن أبي الأسود عن عروة عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله ﷺ وهو يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر والشركون يستمعون (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟)

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ * فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ * فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يذكر تعالى خلقه الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجن من مارج من نار وهو طرف لها قاله الضحاك عن ابن عباس وبه يقول عكرمة ومجاهد والحسن وابن زيد وقال العوفي عن ابن عباس من مارج من نار من لب النار من أحسنها وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من مارج من نار من خالص النار وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وغيرهم . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ « خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » ورواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد بن حميد كلاهما عن عبد الرزاق به

وقوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) تقدم تفسيره (رب المشرقين ورب المغربين) يعني مشرق الصيف والشتاء ومغرب الصيف والشتاء وقال في الآية الأخرى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) وذلك باختلاف مطالع الشمس وتنقلها في كل يوم وبروزها منه إلى الناس وقال في الآية الأخرى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذوا كيدا) وهذا المراد منه جنس المشارق والمغرب ولما كان في اختلاف هذه المشارق والمغرب مصالح للخلق من الجن والإنس قال (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) وقوله تعالى (مرج البحرين يلتقيان) قال ابن عباس أي أرسلهما وقوله (يلتقيان)

قال ابن زيد أي منهما أن يلتقيا بمجعل بينهما من البرزخ الحاجز الفاصل بينهما ، والمراد بقوله البحرين للملح والحلو فالحلو هذه الأنهار السارحة بين الناس وقد قدمنا السلام على ذلك في سورة الفرقان عند قوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا) وقد اختار ابن جرير ههنا أن المراد بالبحرين : بحر السماء وبحر الأرض ، وهو مروي عن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية وابن أبي رزق قال ابن جرير لأن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء وأصداف بحر الأرض وهذا وإن كان هكذا لکن ليس المراد بذلك ما ذهب إليه فإنه لا يساعد اللفظ فإنه تعالى قد قال (بينهما برزخ لا يبغيان) أي وجعل بينهما برزخا وهو الحاجز من الأرض لتلافي هذا على هذا وهذا على هذا فيفسد كل واحد منهما الآخر ويزيله عن صفته التي هي مقصودة منه وما بين السماء والأرض لا يسمى برزخا وحجرا محجورا وقوله تعالى (يخرج منها اللؤلؤ والمرجان) أي من مجموعهما فإذا وجد ذلك من أحدهما كفي كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسول منكم ؟) والرسول إنما كانوا في الإنس خاصة دون الجن وقد صح هذا الاطلاق . واللؤلؤ معروف ، وأما المرجان فقيل هو صغار اللؤلؤ قاله مجاهد وقناة وأبو رزين والضحاك وروى عن علي ، وقيل كباره وجيده حكاه ابن جرير عن بعض السلف ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع ابن أنس وحكاه السدي عن حماد بن عيسى عن ابن عباس وروى مثله عن علي ومجاهد أيضا ومرة الهمداني وقيل هو نوع من الجواهر أحمر اللون . قال السدي عن أبي مالك عن مسروق عن عبد الله قال : المرجان الحرز الأحمر قال السدي وهو الكسد بالفارسية ، وأما قوله (ومن كل ثأ كاون لحاطريا وتستخرجون حلية تلبسونها) فاللحيم من كل من الأجاج والمذهب والحلية إنما هي من الملح دون العذب . قال ابن عباس ما سقطت قط قطرة من السماء في البحر فوقعت في صدفة إلا صار منها لؤلؤة وكذا قال عكرمة وزاد فإذا لم تقع في صدفة نبتت بها عنبرة ، وروى من غير وجه عن ابن عباس نحوه . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف في البحر أفواهاها فما وقع فيها يعني من قطر فهو اللؤلؤ . إسناده صحيح ، ولما كان اتخاذ هذه الحلية نعمة على أهل الأرض امتن بها عليهم فقال (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) . وقوله تعالى (وله الجوار المنشآت) يعني السفن التي تجرى (في البحر) قال مجاهد ما رفع قلعه من السفن فهي منشآت وما لم يرفع قلعه فليس بمنشآت ، وقال قتادة المنشآت يعني الخلوقات ، وقال غيره المنشآت بكسر الشين يعني البادات (كالأعلام) أي كالجبال في كبرها وما فيها من للتاجر والمكاسب المنقولة من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم مما فيه صلاح للناس في جلب ما يحتاجون إليه من سائر أنواع البضائع ولهذا قال (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سمية حدثنا العيزاري بن سويد عن عمرة بن سويد قال كنت مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه على شاطئ الفرات إذ أقبلت سفينة مرفوع شراعها فبسط على يديه ثم قال يقول الله عز وجل (وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) والذي أنشأها تجرى في بحوره ما قتلت عمان ولا ملأت على قتله

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ رَبَّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿
﴿ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿

يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت بل هو الحي الذي لا يموت أبدا قال قتادة أنبأ بما خلق ثم أنبأ أن ذلك كله فان . وفي الدعاء المأثور : يا حي يا قيوم يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث أصلح لنا شأننا كله ، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا إلى أحد من خلقك . وقال الشعبي إذا قرأت (كل من

عليها فان) فلا تسكت حتى تقرأ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وهذه الآية كقوله تعالى (كل شيء هالك إلا وجهه) وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والاكرام أى هو أهل أن يحل فلا يعصى وأن يطاع فلا يخالف كقوله تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وكقوله إخبارا عن المتصدقين (إنما نطعمكم لوجه الله) قال ابن عباس ذو الجلال والاكرام ذو العظمة والكبرياء ، ولما أخبر تعالى عن تساوى أهل الأرض كلهم في الوفاة وأنهم سيصرون إلى الدار الآخرة فيحكم فيهم ذو الجلال والاكرام بحكمه العدل قال (فبئى آلاء ربكم تكذبان) ، وقوله تعالى (يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن) وهذا إخبار عن غناه عما سواه وافقار الخلاق إليه فى جميع الآفات وأنهم يسألونه بلسان حالهم وقالمه وأنه كل يوم هو فى شأن قال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير (كل يوم هو فى شأن) قال من شأنه أن يجيب داعيا أو يعطى سائلا ، أو يفك غائبا أو يشفى سقما

وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال كل يوم هو يجيب داعيا ويكشف كربا ويحب مضطرا ؛ ويفقر ذنبا ، وقال قتادة لا يستغنى عنه أهل السموات والأرض يحيى ويميت ميتا ، ويرى صغيرا وفك أسيرا وهو منتهى حاجات الصالحين وصريحهم ومنتهى شكواهم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الهيثم حدثنا جرير بن عثمان عن سويد بن جبلة هو الفزارى قال إن ربكم كل يوم هو فى شأن فيعتق رقابا ، ويعطى رغبيا ، ويقحم عقابا

وقال ابن جرير حدثني عبد الله بن محمد بن عمرو النخعي حدثني إبراهيم بن محمد بن يوسف القزويني حدثني عمرو ابن بكر السكسكى حدثنا الحارث بن عبدة بن رباح الغساني عن أبيه عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدي عن أبيه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (كل يوم هو فى شأن) فقلنا يا رسول الله وما ذلك الشأن ؟ قال « أن يغفر ذنبا ، ويرفع كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار وسليمان ابن أحمد الواسطي قال : حدثنا الوزير بن صبيح الثقفي أبو روح الدمشقي والسياق طشام قال سمعت يونس بن ميسرة ابن حليس يحدث عن أم البراءة عن أبي البراءة عن النبي ﷺ قال : « قال الله عز وجل (كل يوم هو فى شأن) - قال - من شأنه أن يغفر ذنبا ، ويرفع كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين » . وقد رواه ابن عساكر من طرق متعددة عن هشام ابن عمار به ، ثم ساقه من حديث أبى الوليد بن شعاع عن الوزير بن صبيح قال ورد فيما علقه الوليد بن مسلم عن مطرف عن الشعبي عن أم البراءة عن أبي البراءة عن النبي ﷺ فذكره قال والصحيح الأول يعنى إسناداه الأول « قلت » وقد روى موقوفا كما علقه البخارى بصيغة الجزم فجعله من كلام أبى البراءة فأنه أعلم . وقال البراء حدثنا محمد ابن المثنى حدثنا محمد بن الحارث حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن البيهقي عن أبيه عن ابن عمر عن النبي ﷺ كل يوم هو فى شأن قال « يغفر ذنبا ، ويكشف كربا » ثم قال ابن جرير وحدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله ابن موسى عن أبى حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الله خلق لوجا محفوظا من درة بيضاء دفناه بقوة حمراء قلعه نور ، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظره يخلق فى كل نظرة يحيى ويميت ويعز ويدل ويفعل ما يشاء

﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَوْمَ مَعَشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَظْتُمُوا أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظُ النَّارِ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (سنفرغ لكم أيها الثقلان) قال وعيد من الله تعالى للعباد وليس بالله شغل وهو فارغ ، وكذا قال الضحاك هذا وعيد ، وقال قتادة قد دنا من الله فراغ لحاقه ، وقال ابن جريج (سنفرغ

لكم) أى سنقضى لكم وقال البخارى منجاسكم لا يشغله شيء عن شيء وهو معروف فى كلام العرب يقال لأنقرغن لك وما به شغل يقول لأخذتك على غرتك وقوله تعالى (أيهما الثقلان) الثقلان: الانس والجن كما جاء فى الصحيح «يسمعه كل شيء إلا الثقلين» وفى رواية «إلا الانس والجن» وفى حديث الصور «الثقلان الانس والجن» فبأى آلاء ربكما تكذبان ، . ثم قال تعالى (يامعشر الجن والإنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) أى لا تستطيعون هربا من أمر الله وقدره بل هو محيط بكم لاتقدرون على التخلص من حكمه ولا النفوذ عن حكمه فيكم أينما ذهبتم أحيط بكم . وهذا فى مقام الحشر ؛ الملائكة محذقة بالحوادث سبع صفوف من كل جانب فلا يقدر أحد على الذهاب (إلا بسلطان) أى إلا بأمر الله (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) . وقال تعالى (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كائما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظاما أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ولهذا قال تعالى (يرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس الشواظ هو لهب النار ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس الشواظ الدخان وقال مجاهد هو اللهب الأخضر المنقطع وقال أبو صالح الشواظ هو اللهب الذى فوق النار ودون الدخان . وقال الضحاك (شواظ من النار) سيل من نار . وقوله تعالى (ونحاس) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ونحاس) دخان النار ، وروى مثله عن أبى صالح وسعيد بن جبير وأبى سنان وقال ابن جرير والعرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون وكسرها والقراء مجمعة على الضم ومن النحاس بمعنى الدخان قول نابتة جملة :

يضىء كضوء سراج السلي ط لم يجعل الله فيه نحاسا
يعنى دخانا هكذا قال . وقد روى الطبرانى من طريق جوير عن الضحاك أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن الشواظ فقال هو اللهب الذى لا دخان معه فسأله شاهدا على ذلك من اللغة فأئشده بيت أمية بن أبى الصلت فى حسان :
ألا من مبلغ حسان عني مغلفة تدب إلى عكاظ
أليس أبوك فينا كان قينا لدى القينات فسلا فى الحفاظ
يمانيا يظل يشد كيرا وينفخ دأبا لهب الشواظ
قال صدقت فما النحاس ؟ قال هو الدخان الذى لا لهب له ، قال فهل تعرفه العرب ؟ قال نعم أما سمعت نابتة بنى ذبيان (١) يقول :

يضىء كضوء سراج السلي ط لم يجعل الله فيه نحاسا
وقال مجاهد النحاس الصفر يذاب فيصب على رءوسهم وكذا قال قتادة وقال الضحاك ونحاس سيل من نحاس ، والمعنى على كل قول أو ذهبتم هارين يوم القامة لردتكم الملائكة والزبانية بارسال اللهب من النار والنحاس المذاب عليكم لترجموا ولهذا قال (فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟)

﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَسُكَّاتٌ وَرْدَةٌ كَالدَّهَانِ * فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْتَلْعَى عَنْ ذَنبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ * فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * يَعْرِفُوا الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالْأَنْوَاصِ وَالْأَفْدَامِ * فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ * إِنْ * فَبِأَىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾

يقول تعالى (فإذا انشقت السماء) يوم القامة كما دلت عليه هذه الآيات مع ما شاكلها من الآيات الواردة فى معناها (١) كذا بالأصول وهو مخالف لا ذكره أولا من أنه نابتة بنى جملة .

كقوله تعالى (وانشققت السماء فهي يومئذ واهية) وقوله (ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا) وقوله (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) . وقوله تعالى (فسكانت وردة كالدهان) أى تذوب كما يذوب الدردي والفضة في السبك وتلون كما تلون الأصباغ التي يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الأمر وهو يوم القيامة العظيم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا عبد الرحمن بن أبي الصهباء حدثنا نافع أبو غالب الباهلي حدثنا أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم » قال الجوهري الطش المطر الضعيف ، وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى (وردة كالدهان) قال هو الأديم الأحمر وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس (فسكانت وردة كالدهان) كالفرس الورد ، وقال العوفي عن ابن عباس تغير لونها . وقال أبو صالح كالبرذون الورد ثم كانت بعد كالدهان وحكى البغوى وغيره أن الفرس الورد تكون في الربيع صفراء وفي الشتاء حمراء فإذا اشتد البرد تغير لونها ، وقال الحسن البصري تكون ألوانا وقال السدي تكون كالون البقلة الوردية وتكون كالمهل كدردي الزيت ، وقال مجاهد (كالدهان) كالوان الدهان وقال عطاء الخراساني كالون دهن الورد في الصفرة وقال قتادة هي اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذى ألوان وقال أبو الجوزاء في صفاء الدهن وقال ابن جريج تصير السماء كالدهان الدائب وذلك حين يصيبها حرجهم . وقوله تعالى (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) وهذه كقوله تعالى (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) فهذا في حال وثم في حال يسئل الخلائق عن جميع أعمالهم قال الله تعالى (فو ربك لتسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) ولهذا قال قتادة (فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان) قال قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا ، فهذا قول ثان . وقال مجاهد في هذه الآية لا تسأل الملائكة عن المجرمين بل يعرفون بسيماهم ، وهذا قول ثالث ، وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم بل يقادون إليها ويلقون فيها كما قال تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم) أى بعلامات تظهر عليهم وقال الحسن وقتادة يعرفونهم بأسوداد الوجوه وزرقة العيون (قلت) وهذا كما يعرف المؤمنون بالغة والتجليل من آثار الوضوء . وقوله تعالى (فيؤخذ بالنواصي والأقدام) أى يجمع الزبانية ناصيته مع قدميه ويلقونه في النار كذلك ، وقال الأعمش عن ابن عباس يؤخذ بناصره وقدميه فيكسر كما يكسر الحطب في التنور ، وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدميه في سلسلة من وراء ظهره ، وقال السدي يجمع بين ناصية الكافر وقدميه فتربط ناصيته بقدميه ويفتل ظهره . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع حدثنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يعني جده أخبرني عبد الرحمن حدثني رجل من كندة قال أثبت عائشة فدخلت عليها وبني وبينها حجاب فقلت حدثك رسول الله ﷺ أنه يأتي عليه ساعة لا يملك فيها لأحد شفاعا ؟ قالت نعم لقد سأله عن هذا وأنا وهو في شمار واحد قال « نعم حين يوضع الصراط لا أملك لأحد فيها شفاعا حتى أعلم أين يسلك بي ، ويوم تبيض وجوه وتسود وجوه حتى أنظر ماذا يفعل بي - أوقال يوحى - وعند الجسر حين يستجد ويستجر » فقالت وما يستجد وما يستجر ؟ قال - يستجد حتى يكون مثل شفرة السيف ويستجر حتى يكون مثل الحمرة فأما المؤمن فيجوزه لا يضره ، وأما المنافق فيتملق حتى إذا بلغ أوسطه خر من قدميه فيهنى يديه إلى قدميه - قالت فهل رأيت من يسعى حافيا فتأخذه شوكة حتى تكاد تنفذ قدميه فانها كذلك يهنى يده ورأسه إلى قدميه فتضربه الزبانية بخطاف في ناصيته وقدمه فتعذفه في جهنم فيهنى فيها مقدار خمسين عاما - قالت ما ثقل الرجل ؟ قالت - ثقل عشر خانات سمان فيومئذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام » . هذا حديث غريب جدا وفيه ألفاظ منكرت في الإسناد من لم يسم ومثله لا يحتج به والله أعلم . وقوله تعالى (هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون) أى هذه النار التي كنتم تكذبون بوجودها ها هي حاضرة تشاهدونها عيانا ، يقال لهم ذلك تقرعوا وتوبيخوا وتصغروا وتحقروا . وقوله تعالى (يطوفون بينها وبين جهنم) أى

تارة يعذبون في الجحيم وتارة يسقون من الحميم وهو الشراب الذي هو كالنحاس المذاب يقطع الأمعاء والأحشاء وهذه كقوله تعالى (إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون) وقوله تعالى (آن) أي حار قد بلغ الغاية في الحرارة لا يستطيع من شدة ذلك، قال ابن عباس في قوله (يطوفون بينها وبين حميم آن) أي قد انتهى عليه واشتد حره وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن والثوري والسدي وقال قتادة قد آن طبعه من خلق الله السموات والأرض، وقال محمد بن كعب القرظي يؤخذ العبد فيحرك بناصيته في ذلك الحميم حتى يذوب اللحم ويبقى العظم والعينان في الرأس وهي كالتي يقول الله تعالى (في الحميم ثم في النار يسجرون) والحميم الآن يعني الحار، وعن القرظي رواية أخرى (حميم آن) أي حاضر وهو قول ابن زيد أيضاً والحاضر لا ينفى ما روى عن القرظي أولاً أنه الحار كقوله تعالى (تسقى من عين آنية) أي حاضرة شديدة الحر لا يستطيع وكقوله (غير ناظرين إناه) يعني استواءه ونضجه فقوله (حميم آن) أي حميم حار جداً. ولما كان معاقبة العصاة المجرمين وتعليم المتقين من فضله ورحمته وعدله ولطفه بخلقه وكان إنذاره لهم عن عذابه وبأسه مما يزرعهم عما هم فيه من الشرك والمعاصي وغير ذلك قال تمتنا بذلك على بريته (فبأي آلاء ربكم تكذبان ؟)

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْنَاكَ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٠﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١١﴾ فِيمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾﴾

قال ابن شوذب وعطاء الخراساني نزلت هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) في أبي بكر الصديق ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مصفى حدثنا بقرعة عن أبي بكر بن أبي مريم عن عطية بن قيس في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) نزلت في الذي قال أحرقوني بالنار لعلني أصل الله قال تاب يوما وليلة ، بعد أن تكلم بهذا فقبل الله منه وأدخله الجنة ، والصحيح أن هذه الآية عامة كما قاله ابن عباس وغيره يقول الله تعالى (ولمن خاف مقام ربه) بين يدي الله عز وجل يوم القيامة (ونهى النفس عن الهوى) ولم يطع ولا آثر الحياة الدنيا وعلم أن الآخرة خير وأبقى فأدى فرائض الله واجتنب معاصره فله يوم القيامة عند ربه جنتان كما قال البخاري رحمه الله حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمري حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم عز وجل إلا رداء الكبراء على وجهه في جنة عدن » وأخرجه بقرعة الجماعة إلا أبا داود من حديث عبد العزيز به ، وقال حماد بن مسلمة عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه إلا قدره في قوله تعالى (ولمن خاف مقام ربه جنتان) وفي قوله (ومن دونهما جنتان) جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين . وقال ابن جرير حدثنا زكريا بن يحيى بن أبان المقرئ حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر عن محمد بن حرملة عن عطاء بن يسار أخبرني أبو الرداء أن رسول الله ﷺ قرأ يوما هذه الآية (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق ؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق ؟ فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) فقلت وإن زنى وإن سرق يا رسول الله ؟ فقال « وإن رغم أنف أبي الرداء » ورواه النسائي من حديث محمد بن أبي حرملة به ، ورواه النسائي أيضا عن مؤمل بن هشام عن اسماعيل عن الجريري عن موسى عن محمد بن سعد ابن أبي وقاص عن أبي الرداء به ، وقد روى وقفا على أبي الرداء ، وروى عنه أنه قال : إن من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق . وهذه الآية عامة في الانس والجن فهي من أدل دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا واثقوا ولهذا آمن الله تعالى على الثقلين بهذا الجزاء فقال (ولمن خاف مقام ربه جنتان) * فبأى آلاء ربكم أن تسكنن ؟ ثم نعت هاتين الجنةين فقال (ذواتا أنفسان) أى أغصان نضرة حسنة تحمل من كل ثمرة ثمرة فائضة (فبأى آلاء

ربكما تكذبان ؟) هكذا قال عطاء الخراساني وجماعة أن الأفنان أغصان الشجر يمس بعضها بعضا وقال ابن أبي حاتم
حدثنا أبي حدثنا عمرو بن علي حدثنا مسلم بن قتيبة حدثنا عبد الله بن النعمان سمعت عكرمة يقول (ذواتا أفنان) يقول
ظل الأغصان على الخيطان ألم تسمع قول الشاعر :

ما هاج شوقك من هديل حمامة * تدعو على فنان العصور حماما

تدعو أبا فرخين صادف طاويا * ذا مخليين من الصقور قطاما

وحكى البغوى عن مجاهد وعكرمة والضحاك والسكابي أنه الغصن المستقيم وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبد السلام
ابن حرب حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ذواتا أفنان ذواتا ألوان قال وروى عن سعيد
ابن جبير والحسن والسدى وخصيف والنضر بن عربي وابن مسنان مثل ذلك ، ومعنى هذا القول أن فئما فنونا من
الملاذ واختاره ابن جرير وقال عطاء كل غصن يجمع فنونا من الفاكهة ، وقال الربيع بن أنس (ذواتا أفنان) واسمنا
الفناء وكل هذه الأقوال صحيحة ولا منافاة بينها والله أعلم ، وقال قتادة ذواتا أفنان يعنى بسعتها وفضلها ومنزتها على ما
سواها وقال محمد بن إسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت سمعت رسول الله
ﷺ وذكر مسدرة انتهى فقال « يسر في ظل الفين منها الراكب مائة سنة - أو قال يستظل في ظل الفين
منها مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال » ورواه الترمذى من حديث يونس بن بكريه وقال حماد بن سلمة
عن ثابت عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال حماد ولا أعلمه إلا قد رفعه في قوله (ومن خاف مقام ربه جنتان) وفي
قوله (ومن دونهما جنتان) قال جنان من ذهب للمترين وجنتان من ورق لأصحاب اليمين (فئما عينان تجريان) أى تسرحان
لسقى تلك الأشجار والأغصان فتشعر من جميع الألوان (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال الحسن البصرى إحداها يقال لها
تسليم والأخرى السلسيل . وقال عطية إحداها من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين ، ولهذا قال بعد هذا
(فئما من كل فاكهة زوجان) أى من جميع أنواع الثمار مما يعلمون وخير مما يعلمون وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر (فبأى آلاء ربكما تكذبان) . قال إبراهيم بن الحسك بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس
ما فى الدنيا ثمره حاوة ولا مرة إلا وهى فى الجنة حتى الحنظل ، وقال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الآخرة إلا
الأمعاء يعنى أن بين ذلك بونا عظيما وفرقا بينا فى التفاضل

﴿ مَتَكِينِينَ عَلَىٰ أَرُشٍ بَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٌ ﴾ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَيَهِنُ
قَصِيرَاتُ الْإِطْرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْأَمَرْجَانُ *
فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿

يقول تعالى (متكئين) يعنى أهل الجنة والمراد بالانسكاء ههنا الاضطجاع ويقال الجالوس على صفة التربع (على فرش
باطناتها من إستبرق) وهو ما غلظ من الديباج قال عكرمة والضحاك وقتادة وقال أبو عمران الجوني هو الديباج
الزبرج بالذهب فنه على شرف الظهارة بشرف البطانة فهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى قال أبو إسحاق عت هيرة
ابن مريم عن عبد الله بن مسعود قال : هذه البطائن فكيف لورأيت الطواهر . وقال مالك بن دينار بطائناتها من
إستبرق وظواهرها من نور ، وقال سفيان الثوري أو شريك بطائناتها من إستبرق وظواهرها من نور جامد وقال
القاسم بن محمد بطائناتها من إستبرق وظواهرها من الرحمة ، وقال ابن شاذب عن أبي عبد الله الشامي ذكر الله البطائن
ولم يذكر الطواهر وعلى الطواهر المحاسن ولا يعلم ما تحت المحاسن الا الله تعالى ، ذكر ذلك كله الإمام ابن أبي حاتم
رحمه الله (وجنى الجنة دان) أى ثمرهما قريب اليهم متى شاءوا تناولوه على أى صفة كانوا كما قال تعالى (قطفوها

دانية) وقال (ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تدايلا) أى لا تمتنع ممن تناولها بل تتحط إليه من أغصانها (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ولما ذكر الفرش وعظمتها قال بعد ذلك (فبين) أى فى الفرش (قاصرات الطرف) أى غصينات عن غير أزواجهن فلا يرين شيئا فى الجنة أحسن من أزواجهن قاله ابن عباس وقناة وعطاء الخراسانى وابن زيد وقد ورد أن الواحدة منهن تقول لبعلمها والله ما أرى فى الجنة شيئا أحسن منك ، ولا فى الجنة شيئا أحب إلى منك فالحمد لله الذى جعل لك (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان) أى بل هن أبكار عرب أتراب لم يطمئن أحد قبل أزواجهن من الإنس والجن وهذه أيضا من الأدلة على دخول مؤمن الجن الجنة قال أرسطاة بن المنذر سئل ضمرة بن حبيب هل يدخل الجن الجنة ؟ قال نعم وينكحون ، للجن جنيات وللانس انسيات ، وذلك قوله (لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان * فبأى آلاء ربكما تكذبان) . ثم قال ينعتن للخطاب (كأنهن الياقوت والمرجان) قال مجاهد والحسن وابن زيد وغيرهم فى صفاء الياقوت وياض المرجان فجعلوا المرجان ههنا الأولو . وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن حاتم حدثنا عبيد بن حميد عن عطاء بن السائب عن عمرو بن ميمون الأودى عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير حتى يرى مخها » وذلك قول الله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) فأما الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيت من ورائه وهكذا رواه الترمذى من حديث عبيدة بن حميد وأبى الأحوص عن عطاء بن السائب به ورواه موقفا ثم قال وهو أصح . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة عن النبي ﷺ قال « للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب » تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه . وقد روى مسلم حديث إسماعيل ابن علية عن أيوب عن محمد بن سيرين قال إما تفاخروا وإما تذاكروا الرجال أكثر فى الجنة أم النساء فقال أبو هريرة أو لم يقل أبو القاسم ﷺ « إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والى تلها على ضوء كوكب درى فى السماء لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وما فى الجنة أعزب » وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث همام بن منبه وأبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا محمد بن طلحة عن حميد عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « لعدوة فى سبيل الله أروحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقاب قوس أحكم أو موضع قدمه - يعنى سوطه - من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو اطلمت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحا واطباب ما بينهما ولنصفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها » ورواه البخارى من حديث أبى إسحق عن حميد عن أنس بنحوه ، وقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) أى لا لمن أحسن العمل فى الدنيا إلا الإحسان إليه فى الآخرة كما قال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال البغوى حدثنا أبو سعيد الشريحي حدثنا أبو إسحق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه حدثنا ابن شعبة حدثنا إسحق بن إبراهيم بن بهرام حدثنا الحجاج بن يوسف السكيت حدثنا بشر بن الحسين عن الزبير بن عدى عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) وقال « هل تدرون ما قال ربكم ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة » ولما كان فى الذى ذكر نعم عظيمة لا يقاومها عمل بل مجرد تفضل وامتنان قال بعد ذلك كله (فبأى آلاء ربكما تكذبان ؟) وما يتعلق بقوله تعالى (ولن يخاف مقام ربه جنتان) ما رواه الترمذى والبغوى من حديث أبى النضر بن هاشم بن القاسم عن أبى عقيل الثقفى عن أبى فروة يزيد بن سنان الرهاوى عن بكر بن فيروز عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ألا ان سلعة الله غالية ، ألا ان سلعة الله الجنة » ثم قال الترمذى غريب لا نعرفه إلا من حديث أبى النضر ، وروى البغوى من حديث على بن حجر عن إسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبى حرملة مولى حويط بن عبد العزى عن عطاء بن يسار عن أبى الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ

يقص على النبر وهو يقول (ولن خاف مقام ربه جنتان) قلت وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ (ولن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثانية وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال (ولن خاف مقام ربه جنتان) فقلت الثالثة وإن زنى وإن سرق يارسول الله؟ فقال «وإن رغم أنف أبي الدرداء» .

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ مُدْهَمَّتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ ۖ نُضَاحَتَانِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ فِيهِنَّ خَيْرَاتُ حِسَانٍ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ حُورٌ مُّقْصُورَاتٌ فِي الْخِلَامِ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ مُتَكِدِّينَ عَلَى رُفُوفٍ خَضِرٍ وَعَبَقَرٍ ۖ حِسَانٍ ۖ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۚ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾

هاتان الجنتان دون اللتين قبلهما في المرتبة والفضيلة والميزة بنص القرآن قال الله تعالى (ومن دونهما جنتان) وقد تقدم في الحديث : جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما فالأوليان للمقربين والأخريان لأصحاب اليمين وقال أبو موسى : جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لأصحاب اليمين وقال ابن عباس (ومن دونهما جنتان) من دونهما في السرج وقال ابن زيد من دونهما في الفضل . والدليل على شرف الأوليين على الآخرين وجوه (أحدها) أنه نعمت الأوليين قبل هاتين والتقديم يدل على الاعتناء ثم قال (ومن دونهما جنتان) وهذا ظاهر في شرف التقديم وعلاوة على الثاني وقال هناك (ذواتا أفنان) وهي الأغصان أو الفنون في الملاذ وقال ههنا (مدهماتان) أي سوداوان من شدة الري من الماء قال ابن عباس في قوله (مدهماتان) قد اسودتا من الخضرة من شدة الري من الماء وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مدهماتان قال خضر اوان وروى عن أبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن أبي أوفى وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد في إحدى الروايات وعطاء وعطية العوفي والحسن البصري ويحيى بن رافع وسفيان الثوري نحو ذلك ، وقال محمد بن كعب (مدهماتان) ممتلئتان من الخضرة وقال قتادة خضر اوان من الري ناعمتان ولا شك في نضارة الأغصان على الأشجار المشتبكة بعضها في بعض وقال هناك (فيهما عيان تجريان) وقال ههنا (نضاحتان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فياضتان والجري أقوى من النضج وقال الضحاك (نضاحتان) أي ممتلئتان ولا تتقطعان وقال هناك (فيهما من كل فاكهة زوجان) وقال ههنا (فيهما فاكهة ونخل ورمان) ولا شك أن الأولى أعم وأكثر في الأفراد والتنويع على فاكهة وهي نسكرة في سياق الإثبات لاتم ولهذا ليس قوله (ونخل ورمان) من باب عطف الخاص على العام كما قرره البخاري وغيره وإنما أفرد النخل والرمان بالذكر لشرفهما على غيرهما ، قال عبد بن سميد حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا حصين بن عمر حدثنا مخارق عن طارق بن سهل عن شهاب عن عمر بن الخطاب قال جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد أتى الجنة فاكهة ؟ قال «نعم فيها فاكهة ونخل ورمان» قالوا أفيأكلون كما يأكلون في الدنيا؟ «قال نعم وأضعاف» قالوا فيقتضون الحوائج قال «لا ولكنهم يبرقون ويشعرون فيذهب الله ما في بطونهم من أذى» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الفضل ابن دكين حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة سبعة لأسهل الجنة منها مقطعاتهم ومنها حللهم وكرها (١) ذهب أحمر وجندوعها زمرد أخضر ، وثمرها أحلى من العسل وألين من الزبد وليس له عجم ، وحدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد هو ابن سامة عن أبي هارون عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها كالبعير المقتب» ثم قال (فيهن خيرات حسان) قيل

المواد خيرات كثيرة حسنة في الجنة قاله قتادة ، وقيل خيرات جمع خيرة وهي المرأة الصالحة الحسنة الخلق الحسنة الوجه
قاله الجمهور ، وروى مرفوعا عن أم سلمة وفي الحديث الآخر الذي سنورده في سورة الواقعة إن شاء الله تعالى أن الحور
العين ينعين : نحن الخيرات الحسان خلقنا لأزواج كرام ، ولهذا قرأ بعضهم (فيهن خيرات) بالتشديد (حسان فبأى آلاء
ربكما تكذبان) ثم قال (حور مقصورات في الخيام) وهناك قال (فيهن قاصرات الطرف) ولا شك أن التي قد قصرت
طرفها بنفسها أفضل ممن قصرت وإن كان الجميع مخدرات ، قال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي حدثنا وكيع
عن صفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : إن لكل مسلم خيرة
ولسلك خيرة خيمة ، ولسلك خيمة أربعة أبواب يدخل عليه كل يوم تحفة وكرامة وهدية لم تكن قبل ذلك لامرحات
ولا طمحات ولا بخرات ولا ذفات حور عين كأنها بيض مكنون ، وقوله تعالى (في الخيام) قال البخاري حدثنا محمد
ابن المنذر حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه أن رسول الله
ﷺ قال « إن في الجنة خيمة من أولؤة مجوفة عرضها ستون ميلا في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرون
يطوف عليهم المؤمنون » ورواه أيضا من حديث أبي عمران به وقال ثلاثون ميلا ، وأخرجه مسلم من حديث
أبي عمران به ولفظه « إن للمؤمن في الجنة الخيمة من أولؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا للمؤمن فيها أهل يطوف عليهم
المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا » وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن
قتادة أخبرني خليلد المصري عن أبي اللزداء قال الخيمة لأولؤة واحدة فيها سبعون بابا من در ، وحدثنا أبي حدثنا عيسى
ابن أبي فاطمة حدثنا جرير عن هشام عن محمد بن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى (حور مقصورات في الخيام) قال
خيام الأولؤ وفي الجنة خيمة واحدة من أولؤة واحدة أربع فراسخ في أربع فراسخ عليها أربعة آلاف مصراع من ذهب ، وقال
عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال « أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من أولؤ وزرجد
وياقوت كما بين الجابية وصنعاء » ورواه الترمذي من حديث عمرو بن الحارث به . وقوله تعالى (لم يطمئن إنس
قبلهم ولا جان) قد تقدم مثله سواء إلا أنه زاد في وصف الأوائل بقوله (كأنهم الياقوت والمرجان فبأى آلاء
ربكما تكذبان) وقوله تعالى (متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
الرفرف الخبابس ، وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقاتدة والضحاك وغيرهم هي الخبابس ، وقال العلاء بن زيد
الرفرف على السرير كهية الخبابس المتدلى ، وقال عاصم الجحدري (متكئين على رفرف خضر) يعني الوسائد وهو
قول الحسن البصري في رواية عنه ، وقال أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى
(متكئين على رفرف خضر) قال الرفرف رياض الجنة وقوله تعالى (وعبقري حسان) قال ابن عباس وقاتدة
والضحاك والسدي : العبقري الزرابي ، وقال سعيد بن جبير هي عناق الزرابي يعني جياها ، وقال مجاهد العبقري
الدياج وسئل الحسن البصري عن قوله تعالى (وعبقري حسان) فقال هي بسط أهل الجنة لا بألكم فاطلبوها ،
وعن الحسن رواية أنها الرفاق ، وقال زيد بن أسلم العبقري أحمر وأصفر وأخضر ، وسئل العلاء بن زيد عن العبقري
فقال البسط أسفل من ذلك . وقال أبو حنيفة يعقوب بن مجاهد : العبقري من ثياب أهل الجنة لا يعرفه أحد ، وقال
أبو العالية العبقري الطنافس المحملة إلى الرقة ماهي ، وقال القيس كل ثوب موشى عند العرب عبقري ، وقال أبو عبيدة
هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي . وقال الخليل بن أحمد كل شيء نفيس من الرجال وغير ذلك يسمى عند العرب
عقبريا ومنه قول النبي ﷺ في عمر « فلم أر عقبريا يفري فريه » وعلى كل تقدير فصفة مرافق أهل
الجنة الأوليين أرفع وأعلى من هذه الصفة فانه قد قال هناك (متكئين على فرش بطائنها من إستبرق) فتمت بطائن
فرشهم وسكنت عن ظواهرها اكتفاء بما مدح به البطائن بطريق الأولى والأخرى وتعمم الخاتمة أنه قال بعد الصفات
المقدمة (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟) فوصف أهلها بالإحسان وهو أعلى الراتب والنهيات كما في حديث

يقرأ في الفجر الواقعة ونحوها من السور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا كَاذِبَةٌ * خَافِضَةُ رَافِعَةٌ * إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ)

الواقعة من أسماء يوم القيامة سميت بذلك لتحقيق كونها ووجودها كما قال تعالى (فيومئذ وقعت الواقعة) وقوله تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أى ليس لوقوعها إذا أراد الله كونها صارف يصرفها ولا دافع يدفعها كما قال (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) وقال (سأل سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) وقال تعالى (ويوم يقول كن فيكون) قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير . ومعنى (كاذبة) كما قال محمد بن كعب لا بد أن تكون ، وقال قتادة ليس فيها مشنوبة ولا ارتداد ولا رجعة . قال ابن جرير والكاذبة مصدر كالمعاقبة والمعاقبة . وقوله تعالى (خافضة رافعة) أى تخفض أقواما إلى أسفل سافلين إلى الجحيم وإن كانوا في الدنيا أعزاء ، وترفع آخرين إلى أعلى عليين إلى النعيم القيم وإن كانوا في الدنيا وضعاء هكذا قال الحسن وقتادة وغيرها . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زيد بن عبد الرحمن بن مصعب المعنى حدثنا حميد بن عبد الرحمن الرواسي عن أبيه عن ممالك عن عكرمة عن ابن عباس (خافضة رافعة) تخفض أقواما وترفع آخرين وقال عبيد الله السبكي عن عثمان ابن سراقبة ابن خالة عمر بن الخطاب (خافضة رافعة) قال الساعة خففت أعداء الله إلى النار ورفعت أولياء الله إلى الجنة وقال محمد بن كعب تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع رجالا كانوا في الدنيا مخفوضين ، وقال السدي خففت المتكبرين ورفعت المتواضعين ، وقال العوفي عن ابن عباس (خافضة رافعة) أسمعت القريب والبعيد ، وقال عكرمة خففت فأسمعت الأدنى ورفعت فأسمعت الأقصى وكذا قال الضحاك وقتادة

وقوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى حركت تحريكا فاهترت واضطربت بطولها وعرضها ولهذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد في قوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت زلزالا وقال الربيع بن أنس ترج بما فيها كرج الغراب بما فيه وهذا كقوله تعالى (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وقال تعالى (يأبىها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم) وقوله تعالى (وبست الجبال بسا) أى فتمت فتنا قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم ، وقال ابن زيد صارت الجبال كما قال الله تعالى (كنيها مهيبا)

وقوله تعالى (فكانت هباء منبثا) قال أبو إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه : هباء منبثا كرهج النبار يستطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (فكانت هباء منبثا) الهباء الذي يطير من النار إذا اضطربت يطير منه الشرر فاذا وقع لم يكن شيئا ، وقال عكرمة : اللبث الذي قد ذرته الريح وبثته وقال قتادة (هباء منبثا) كيبس الشجر الذي تذروه الرياح . وهذه الآية كآخواتها الدالة على زوال الجبال عن أماكنها يوم القيامة وذهابها وتسيرها ونسفها أى قلعها وصيرورتها كالغهن المنفوش . وقوله تعالى (وكنتم أزواجا ثلاثة) أى ينقسم الناس يوم القيامة إلى ثلاثة أصناف : قوم عن يمين العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيمن ويؤتون كتبهم بأيمانهم ويؤخذ بهم ذات اليمين قال السدي وهم جمهور أهل الجنة ، وآخرون عن يسار العرش وهم الذين خرجوا من شق آدم الأيسر ويؤتون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وهم عامة أهل النار - عبادا بالله من صنعهم - وطائفة سابقون بين يديه عز وجل وهم أخص وأقرب من أصحاب اليمين الذين هم سادتهم ، فيهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء وهم أقل عددا من أصحاب اليمين ولهذا قال تعالى (فأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون) وهكذا قسمهم إلى هذه الأنواع الثلاثة في آخر السورة وقت

احتضارهم وهكذا ذكرهم في قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) الآية وذلك على أحد القولين في الظالم لنفسه كما تقدم بيانه ، قال سفيان الثوري عن جابر الجعفي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال هي التي في سورة الملائكة (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) . وقال ابن جريج عن ابن عباس هذه الأزواج الثلاثة هم المذكورون في آخر السورة وفي سورة الملائكة ، وقال يزيد الرقاشي سألت ابن عباس عن قوله (وكنتم أزواجا ثلاثة) قال أصنافا ثلاثة وقال مجاهد (وكنتم أزواجا ثلاثة) يعني فرقا ثلاثة . وقال ميمون بن مهران : أفواجا ثلاثة ، وقال عبيد الله العتكي عن عثمان بن سراقه بن خالة عمر بن الخطاب (وكنتم أزواجا ثلاثة) اثنان في الجنة وواحد في النار . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سمك عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ (وإذا النفوس زوجت) قال الضرباء كل رجل من كل قوم كانوا يعملون عمله وذلك بأن الله تعالى يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة) فأصحاب اليمين ما أصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون) قال هم الضرباء .

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى حدثنا البراء الغنوي حدثنا الحسن عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) . . . وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) فقبض بيده قبضتين فقال « هذه للجنة ولا أبالي وهذه للنار ولا أبالي » وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة حدثنا خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتدرون من السابقون إلى ظلم الله يوم القيامة ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال - الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم » وقال محمد بن كعب وأبو حنيفة يعقوب بن مجاهد (والسابقون السابقون) هم الأنبياء عليهم السلام وقال السدي هم أهل عليين ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (والسابقون السابقون) قال يوشع ابن نون سبق إلى موسى ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى وعلى بن أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله ﷺ . رواه ابن أبي ساتم عن محمد بن هارون الفلاس عن عبد الله بن إسماعيل المدائني البزار عن سفيان بن الضحاك المدائني عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح به . وقال ابن أبي حاتم وذكر عن محمد بن أبي حماد حدثنا مهران عن خارجة عن قرة عن ابن سيرين (والسابقون السابقون) الذين صاوا إلى القبلتين . ورواه ابن جريج من حديث خارجة به وقال الحسن وقتادة (والسابقون السابقون) أي من كل أمة ، وقال الأوزاعي عن عثمان بن أبي سودة أنه قرأ هذه الآية (والسابقون السابقون أولئك المقربون) ثم قال أولهم رواحا إلى المسجد وأولهم خروجا في سبيل الله ، وهذه الأقوال كلها صحيحة فان المراد بالسابقين هم المبادرون إلى فعل الخيرات كما أمروا كما قال تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) وقال تعالى (مسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) فمن سبق في هذه الدنيا وسبق إلى الخير كان في الآخرة من السابقين إلى الكرامة فان الجزاء من جنس العمل وكان الذين ندان ، ولهذا قال تعالى (أولئك المقربون في جنات النعيم) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يحيى بن زكريا الفزاري الرازي حدثنا خارجة بن مصعب عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال : قالت الملائكة يا رب جعلت لبني آدم الدنيا فهم يأكلون ويشربون ويتزوجون فأجعل لنا الآخرة فقال لا أفعل فراجعوا ثلاثا فقال لا أجعل من خلقت بيدي كمن قلت له كن فساكن . ثم قرأ عبد الله (والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم) وقدرى هذا الأثر الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية ونقطه : فقال الله عز وجل : لن أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فساكن .

﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهِا مُتَقَابِلِينَ ﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ

وَلَدَنْ مُخْلَدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ * وَفَلَكَهَا مِمَّا
يَتَخَيَّرُونَ * وَالْحَمْدُ طَيْرٌ مِمَّا يَشْتَبُونَ * وَخُورٌ عَيْنٌ * كَأَمْثَالِ الْأَلْوَانِ الْمَسْكُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْتِيًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا *

يقول تعالى مخبر عن هؤلاء السابقين المقربين أنهم ثلثة أى جماعة من الأولين وقليل من الآخرين وقد اختلفوا فى المراد
بقوله الأولين والآخرين فقليل المراد بالأولين الأمم الماضية وبالآخرين هذه الأمة ، وهذا رواية عن مجاهد والحسن
البصرى رواها عنهما ابن أبى حاتم وهو اختيار ابن جرير واستأنس بقوله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون
السابقون يوم القيامة » ولم يحك غيره ولا عزاه إلى أحد وما يستأنس به لهذا القول ما رواه الإمام أبو محمد بن أبى
حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع حدثنا شريك بن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال : لما
نزلت (ثلثة من الأولين وقليل من الآخرين) شق ذلك على أصحاب النبى ﷺ فنزلت (ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين)
فقال النبى ﷺ « إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة ثلث أهل الجنة بل أتم نصف أهل الجنة أو شطر
أهل الجنة وتقاسمونيهم النصف الثانى » ورواه الإمام أحمد عن أسود بن عامر عن شريك عن محمد بن يعقوب الللاء عن أبيه
عن أبى هريرة فذكره

وقد روى من حديث جابر بن عبد الله هذا ، ورواه الحافظ ابن عساكر من طريق هشام بن عمار حدثنا عبد ربه بن صالح
عن عروة بن رويم عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ لما نزلت إذا وقعت الواقعة ذكر فيها ثلثة من الأولين
وقليل من الآخرين قال عمر بن الخطاب يا رسول الله ثلثة من الأولين وقليل منا ؟ قال فأمسك آخر السورة مسنة ثم نزل
(ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين) فقال رسول الله ﷺ « يا عمر تعال فاسمع ما قد أنزل الله ثلثة من الأولين
وثلثة من الآخرين الأولان من آدم إلى ثلثة وأمتى ثلثة ولن تستكمل ثلثينا حتى نستعين بالسودان من رعاة الإبل عن شهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » هكذا أورده فى ترجمة عروة بن رويم إسنادا وممتنا ولكن فى إسناد نظر ، وقد
وردت طرق كثيرة متعددة بقوله ﷺ « إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة » الحديث بتمامه وهو مفرد
فى صفة الجنة والله الحمد والمنة . وهذا الذى اختاره ابن جرير ههنا فيه نظر بل هو قول ضعيف لأن هذه الأمة هى خير
الأمم بنص القرآن فيبعد أن يكون المقربون فى غيرها أكثر منها اللهم إلا أن يقابل مجموع الأمم بهذه الأمة والظاهر
أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم والله أعلم ، فالقول الثانى فى هذا المقام هو الراجح وهو أن يكون المراد
بقوله تعالى (ثلثة من الأولين) أى من صدر هذه الأمة (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة . قال ابن أبى حاتم
حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا عفان حدثنا عبد الله بن بكر المزنى سمعت الحسن أتى على هذه الآية (والسابقون
السابقون * أولئك المقربون) فقال أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين . ثم قال حدثنا أبى
حدثنا أبو الوليد حدثنا السرى بن يحيى قال قرأ الحسن (والسابقون السابقون * أولئك المقربون فى جنات النعيم * ثلثة
من الأولين) قال ثلثة ممن مضى من هذه الأمة ، وحدثنا أبى حدثنا عبد العزيز بن المغيرة المقرئ حدثنا أبو هلال عن
محمد بن سيرين أنه قال فى هذه الآية (ثلثة من الأولين * وقليل من الآخرين) قال كانوا يوقلون أو يرجون أن يكونوا
كلهم من هذه الأمة فهذا قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة ، ولا شك أن أول كل أمة خير من آخرها
فيحتمل أن تعم الآية جميع الأمم كل أمة بحسبها ولهذا ثبت فى الصحيح وغيرها من غير وجه أن رسول الله
ﷺ قال « خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الحديث بتمامه . فأما الحديث الذى رواه الإمام
أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا زياد أبو عمر عن الحسن بن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ « مثل أمتى
مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » فهذا الحديث بعد الحكم بصحة إسناده محمول على أن الدين كما هو محتاج

شعره بالماء فذلك عيسى بن مريم نكرمته لإكرام الله إياه ، وأما الشيخ الذي رأيت أشبهه الناس بي خلقا ووجها فذلك أبونا إبراهيم كلنا نؤمه ونقتدى به ، وأما الناقة التي رأيت ورأيتني أبعثها فهي الساعة علينا تقوم لاني بعدى ولا أمة بعد أمتي » قال فما سأل رسول الله ﷺ عن رؤيا بعد هذا إلا أن يجيء الرجل فيحدثه بها متبرعا وقوله تعالى (على سرر موضونة) قال ابن عباس أي مرمولة بالذهب يعني منسوجة به وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وقتادة والضحاك وغيره ، وقال السدي مرمولة بالذهب والؤلؤ وقال عكرمة مشبكة بالدر والياقوت ، وقال ابن جرير ومنه يسمى وضين الناقة الذي تحت بطنها وهو فعيل بمعنى مفعول لأنه مضمف وروى كذلك السرر في الجنة مضمفورة بالذهب واللالء

وقوله تعالى (متكئين عليها متقابلين) أي وجوه بعضهم إلى بعض ليس أحد وراء أحد (يطوف عليهم ولدان مخلدون) أي مخلدون على صفة واحدة لا يتكبرون عنها ولا يشيرون ولا يتغيرون (بأكراب وأباريق وكأس من معين) أما الأكراب فهي الكيران التي لاخرائط لها ولا آذان ، والأباريق التي جمعت الوصفين والكنوس الهنابات والجميع من خمر من عين جارية معين ليس من أوعية تنقطع وتفرغ بل من عيون سارحة وقوله تعالى (لا يصدعون عنها ولا ينزفون) أي لا تصدع رؤوسهم ولا تنزف عقولهم بل هي ثابتة مع الشدة المطربة واللذة الحاصلة ، وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال في الخمر أربع خصال السكر ؛ والصداع ، والقىء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة ونزهها عن هذه الخصال . وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطية وقتادة والسدي (لا يصدعون عنها) يقول ليس لهم فيها صداع رأس وقالوا في قوله (ولا ينزفون) أي لا تذهب بعقولهم وقوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون) أي ويطوفون عليهم بما يتخيرون من الثمار وهذه الآية دليل على جواز أكل الفاكهة على صفة التخيير لها ويدل على ذلك حديث عكراش بن ذؤيب الذي رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله في مسنده حدثنا العباس بن المولى الترسى حدثنا العلاء بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سومة حدثنا عبيد الله بن عكراش عن أبيه عكراش بن ذؤيب قال : بعثني مرة في صدقات أموالهم إلى رسول الله ﷺ فقدمت المدينة فإذا هو جالس بين المهاجرين والأنصار وقدمت عليه بإبل كأنها عروق الأرطى قال « من الرجل ؟ » قلت عكراش بن ذؤيب ، قال « ارفع في النسب » فانتسبت له إلى مرة بن عبيد وهذه صدقة مرة بن عبيد فتبسم رسول الله ﷺ وقال « هذه إبل قومي هذه صدقات قومي » ثم أمر بها أن تؤسم بميسم إبل الصدقة وتضم إليها ثم أخذ بيدي فانطلقنا إلى منزل أم سلمة فقال « هل من طعام ؟ » فأتيينا بحفنة كالفصحة كثيرة الثريد والوذر فجعل يأكل منها فأقبلت أخبط بيدي في جوانبها فتقبض رسول الله ﷺ بيده اليسرى على يدي اليمنى فقال يا عكراش : كل من وضع واحد فانه طعام واحد . ثم أتينا بطبق فيه تمر أو رطب شك عبيد الله رطبا كان أو تمرا فجعلت آكل من بين يدي وجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق وقال يا عكراش : كل من حيث شئت فانه غير لون واحد . ثم أتينا بماء فغسل رسول الله ﷺ يده ومسح ببلل كفيه وجهه وذراعيه ورأسه ثلاثا ثم قال : يا عكراش هذا الوضوء مما غيرت النار . وهكذا رواه الترمذي مطولا وابن ماجه جميعا عن محمد بن بشار عن أبي الهذيل العلاء بن الفضل بن وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من حديثه وقال الإمام أحمد حدثنا بهز بن أسد وعثمان ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا شيبان قالوا حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال : قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبه الرؤيا فرما رأى الرجل الرؤيا فسأل عنه إذا لم يكن يعرفه فإذا أتى عليه معروف كان أعجب لرؤياه اليه فأتته امرأة فقالت يا رسول الله رأيت كأنني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انتسبت لها الجنة فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان ابن فلان فسمعت اثني عشر رجلا كان النبي ﷺ قد بعث سرية قبلي ذلك فجاء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم ثقيل اذهبوا بهم إلى نهر البیدخ أو البیدخ قال فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من بسرهم ماشاءوا فما يقابونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكالت منهم فجاء

البشير من تلك السرية فقال ما كان من رؤيا كذا وكذا فأصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلا فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال : قصي رؤياك . فقصتها وجعلت تقول فجاء بفلان وفلان كما قال . هذا لفظ أبي يعلى قال الحافظ الضياء وهذا على شرط مسلم ،

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا معاذ بن المثنى حدثنا علي بن المديني حدثنا ريجان بن سعيد عن عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل إذا نزع ثمره من الجنة عادت مكانها أخرى » . وقوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) قال الإمام أحمد حدثنا سيار بن حاتم حدثنا جعفر ابن سليمان الضبعي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة » . فقال أبو بكر يا رسول الله إن هذه لطير ناعمة فقال « آكلها أنعم منها - قالها ثلاثا - وإن لأرجو أن تكون ممن يأكل منها » . انفرده أحمد من هذا الوجه . وروى الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه صفة الجنة من حديث إسماعيل بن علي الخطمي عن أحمد بن علي الحيوطي عن عبد الجبار بن عاصم عن عبد الله بن زياد عن زرعة عن نافع عن ابن عمر قال : ذكرت عند النبي ﷺ طوبى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هل بلغك ما طوبى ؟ » قال الله ورسوله أعلم قال « طوبى شجرة في الجنة ما يعلم طولها إلا الله يسير الراكب تحت غصن من أغصانها سبعين خريفا ورقها الحلل يقع عليها الطير كأمثال البخت » فقال أبو بكر يا رسول الله إن هناك لطيرا ناعما ؟ قال « أنعم منه من يأكله وأنت منهم إن شاء الله تعالى » وقال قتادة في قوله تعالى (ولحم طير مما يشتهون) وذكر لنا أن أبا بكر قال يا رسول الله إني أرى طيرها ناعمة كأهلها ناعمون ، قال « من يأكلها والله يا أبا بكر أنعم منها وإنها لأمثال البخت وإني لأحتسب على الله أن تأكل منها يا أبا بكر » . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثني مجاهد بن موسى حدثنا معمر بن عيسى حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن السكوتر فقال « نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها يعني كأعناق الجزر » فقال عمر إنها لناعمة ، قال رسول الله ﷺ « آكلها أنعم منها » وكذا رواه الترمذي عن عبد ابن حميد عن القعنبي عن محمد بن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أبيه : وقال حسن عن أنس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن عبيد الله بن الوليد الوصافي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة لطيرا فيه سبعون ألف ريشة فيقع على صفحة الرجل من أهل الجنة فيتنفض فيخرج من كل ريشة يعني لو نأبيض من اللبن والين من الزبد وأعذب من الشهد ليس منها لون يشبه صاحبه ثم يطير » هذا حديث غريب جدا والوصافي وشيخه ضعيفان ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أبي حازم عن غطاء عن كعب قال : إن طائر الجنة أمثال البخت يأكل من ثمرات الجنة ويشرب من أنهار الجنة فيصطفقن له فإذا انتهى منها شيئا أتى حتى يقع بين يديه فيأكل من خارجه وداخله ثم يطير لم ينقص منه شيء ؛ صحيح إلى كعب وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبيد الله بن الحارث عن عبيد الله بن مشعود قال : قال لي رسول الله ﷺ « إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشبهه فيخرب بين يديك مشويا ، وقوله تعالى (وحور عين كأمثال اللؤلؤ المسكون) قرأ بعضهم بالرفع وتقديره ولهم فيها حور عين وقراءة الجرح تحمل معنيين أحدهما أن يكون الإعراب على الاتباع بآقوله كقوله تعالى (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين) لا يصدعون عنها ولا ينزفون وفا كهيئة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين) كما قال تعالى (وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم) وكما قال تعالى (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) والاحتمال الثاني أن يكون مما يطوف به الولدان المخلدون عليهم الحور العين ولكن يكون ذلك في القصور لا بين بعضهم بعضا بل في الخيام يطوف عليهم الخدام بالحور العين والله أعلم . وقوله تعالى (كأمثال اللؤلؤ المسكون) أي كأنهم اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه كما تقدم في سورة المنافات (كأنهم بيض مكنون) وقد تقدم في سورة

الرحمن وصفهم أيضا ولهذا قال (جزاء بما كانوا يعملون) أي هذا الذي أخفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل ثم قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قولا سلاسا سلاسا) أي لا يسمعون في الجنة كلاما لاغيا أي عبثا خاليا عن المعنى أو مشتملا على معنى حقير أو ضعيف كما قال (لا تسمع فيها لاغية) أي كلمة لاغية (ولا تأثيما) أي ولا كلاما فيه قبح (إلا قولا سلاسا سلاسا) أي إلا التسليم منهم لبعضهم على بعض كما قال تعالى (تحييتهم فيها سلام) وكلامهم أيضا سالم من اللغو والاتهم

﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرْبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴾

لما ذكر تعالى مآل السابقين وهم المقرَّبون عطف عليهم بذكر أصحاب اليمين وهم الأبرار كما قال ميمون بن مهران أصحاب اليمين منزلتهم دون المقرَّبين فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) أي أي شيء أصحاب اليمين وما حالهم وكيف مآلهم . ثم فسر ذلك فقال تعالى (في سدر مخضود) قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وأبو الأحوص وقسامة بن زهير والسفر بن قيس والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وأبو حذرة وغيرهم هو الذي لا شوك فيه ، وعن ابن عباس هو الموقر بالثمر وهو رواية عن عكرمة ومجاهد وكذا قال قتادة أيضا كذا نحدث أنه الموقر الذي لا شوك فيه ، والظاهر أن المراد هنا وهذا فإن سدر الدنيا كثير الشوك قليل الثمر وفي الآخرة على العكس من هذا لا شوك فيه وفيه الثمر الكثير الذي قد أثقل أصله كما قال الحافظ أبو بكر أحمد بن سلمان النجار حدثنا عبد الله بن محمد هو البغوي حدثني حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان حدثنا عبد الله بن المبارك أخبرنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : إن الله لينفعنا بالأعراب ومساكنهم قال أقبل أعرابي يوما فقال يا رسول الله ذكر الله في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله ﷺ « وما هي ؟ » قال السدر فإن له شوكا مؤذيا فقال رسول الله ﷺ « أليس الله تعالى يقول (في سدر مخضود) خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكه ثمرة فانها لتنبث ثمرا تنفق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من طعام ما فيها لون يشبه الآخر » . (طريق آخر) قال أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمد بن المصنف حدثنا محمد بن المبارك حدثني يحيى بن حمزة حدثني ثور بن يزيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبيد السامي قال : كنت جالسا مع رسول الله ﷺ فجاء أعرابي فقال يا رسول الله أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرا أكثر شوكا منها يعني الطلح فقال رسول الله ﷺ « إن الله يجعل مكان كل شوكه منها ثمرة مثل خصوة التيس اللبود فيها سبعون لونا من الطعام لا يشبه لون الآخر » وقوله (وطلح منضود) الطلح شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر الغضاء واحمدته طلحة وهو شجر كثير السوك وانشد ابن جرير لبعض الحداة

بشرها دليها وقلا * غدا ترين الطلح والجبالا

وقال مجاهد (منضود) أي متراكم الثمر يذكر بذلك قريشا لأنهم كانوا يعجبون من وج وظلاله من طلع وسدر وقال السدي منضود مصفود قال ابن عباس يشبه طلع الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل ، قال الجوهري والطلح لثة في الطلح ﴿ قلت ﴾ وقد روى ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد عن شيخ من همدان قال سمعت عليا يقول هذا الحرف في طلع منضود قال طلع منضود فعلى هذا يكون من صفة السدر فسكانه وصفه بأنه منضود وهو الذي لا شوك له وأن طلعه منضود وهو كثرة ثمرة والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو معاوية عن إدريس عن جعفر بن إياس عن أبي نصر عن أبي سعيد (وطلح منضود) قال الموز ، قال وروى عن ابن عباس وأبي هريرة والحسن

وعكرمة وقسامة بن زهير وقتادة وأبي حذرة مثل ذلك وبه قال مجاهد وابن زيد وزاد فقال أهل اليمن يسمون اللوز الطلح ولم يحك ابن جرير غير هذا القول وقوله تعالى (وظل ممدود) قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرأوا إن شئتم (وظل ممدود) » ورواه مسلم من حديث الأعرج به . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة : قال قال رسول الله ﷺ « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرأوا إن شئتم (وظل ممدود) » وكذا رواه مسلم من حديث الأعرج به . وكذا رواه البخاري عن محمد بن سفيان عن فليح به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة . وكذا رواه حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة والليث بن سعد عن سعيد القبري عن أبيه عن أبي هريرة وعوف عن ابن سيرين عن أبي هريرة به وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا حدثنا شعبة سمعت أبا الضحاك يحدث عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين - أو مائة - سنة هي شجرة الخلد » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منان حدثنا يزيد ابن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وقرأوا إن شئتم (وظل ممدود) » إسناده جيد ولم يخرجوه وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن عبدة وعبد الرحيم والبخاري كلهم عن محمد بن عمرو به وقد رواه الترمذي من حديث عبد الرحيم بن سليمان به

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن أبي هريرة قال : إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرأوا إن شئتم (وظل ممدود) فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأعلى تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط هرمها إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا هو يخرج من أصل تلك الشجرة . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن منهل الضرير حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (وظل ممدود) قال « في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » وكذا رواه البخاري عن روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع ، وكذا رواه أبو داود الطيالسي عن عمران بن داود القطان عن قتادة به . وكذا رواه معمر وأبو هلال عن قتادة به وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد وسهل بن سعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال « إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها » فهذا حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم بل متواتر مقطوع بصحته عند أئمة الحديث القاد لتعدد طرقه وقوة أسانيد وثقة رجاله ، وقد قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو بكر حدثنا أبو حصين قال : كنا على باب في موضع ومعنا أبو صالح وشقيق يعني الضبي فحدث أبو صالح قال حدثني أبو هريرة قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما ، قال أبو صالح أتكذب أبا هريرة ؟ قال ما أكذب أبا هريرة ولكني أكذبك أنت فشق ذلك على القراء يومئذ . « قالت » فقد أبطل من يكذب بهذا الحديث مع ثبوته وصحته ورفعته إلى رسول الله ﷺ . وقال الترمذي حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا زياد بن الحسن بن الفرات القزاز عن أبيه عن جده عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب » ثم قال حسن غريب . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن أبي الربيع حدثنا أبو عامر العقدي عن زعمة بن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال الظل للممدود شجرة في الجنة على ساق ظلها قد رما يسير الراكب في كل نواحيها مائة عام قال فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها ، قال فيشتمى بعضهم وينكر لموا الدنيا فيرسل الله ريحا من الجنة فتحرك

تلك الشجرة بكل هو في الدنيا ، هذا أثر غريب وإسناده جيد قوى حسن : وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن بيان حدثنا أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى (وظل ممدود) قال سبعون ألف سنة وكذا رواه ابن جرير عن بشار عن ابن مهيدي عن مفيان مثله ، ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن مفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون وظل ممدود قال خمسمائة ألف سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد الطيالسي حدثنا حصين بن نافع عن الحسن في قول الله تعالى (وظل ممدود) قال في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها وقال عوف عن الحسن بلغني أن رسول الله ﷺ قال « إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها » رواه ابن جرير وقال شبيب عن عكرمة عن ابن عباس في الجنة شجر لا يحمل يستظل به رواه ابن أبي حاتم ، وقال الضحاك والسدي وأبو حزره في قوله تعالى (وظل ممدود) لا يقطع ليس فيها شمس ولا حر مثل قبل طلوع الفجر ، وقال ابن مسعود الجنة مسجج كما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس وقد تقدمت الآيات كقوله تعالى (وندخلهم ظلا ظليلا) وقوله (أكلها دائم وظلها) وقوله (في ظلال وعيون) إلى غير ذلك من الآيات . وقوله تعالى (وماء مسكوب) قال الثوري يجري في غير

أحدود وقد تقدم الكلام عند تفسير قوله تعالى (فيها أنهار من ماء غير آسن) الآية بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة) أي وعندهم من الفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما قال تعالى (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأنوابه متشابهة) أي يشبه الشكل الشكل ولكن الطعم غير الطعم ، وفي الصحيحين في ذكر سدره المنتهى فإذا ورقها كإذن الفيلة ونبعها مثل قلال هجر ، وفيها أيضا من حديث مالك عن زيد عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال خسفت الشمس فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فذكر الصلاة ، وفيه قالوا يارسول الله رأيناك تناولت شيئا في مقامك ههنا ثم رأيناك تكلمت قال إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا ولو أخذته لأكلت منه ما بقيت الدنيا ، وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خزيمة حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنا عبيد الله حدثنا أبو عقيل عن جابر قال بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول الله ﷺ فتقدمنا معه ثم تناول شيئا ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يارسول الله صنعت اليوم في الصلاة شيئا ما كنت تصنعه قال : « انه عرضت على الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفا من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقص منه وروى مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر نحوه

وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن بحر حدثنا هشام بن يوسف أخبرنا معمر عن أبي يحيى بن أبي كثير عن عامر ابن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبيد السلمى يقول جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن الخوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي فيها فاكهة . قال : نعم وفيها شجرة تدعى طوبى . قال فذكر شيئا لا أدرى ما هو قال أي شجر أرضنا تشبه ؟ قال : ليست تشبه شيئا من شجر أرضك ؟ فقال النبي ﷺ : أتيت الشام ؟ قال لا قال : تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها . قال ما عظم العنقود ؟ قال : مسيرة شهر للغراب الأبقع لا يقتر . قال وعظم أصلها ؟ قال : لو مارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تسكس ترقتها هرما . قال فيها عنب ؟ قال : نعم قال فما عظم الحبة ؟ قال : هل ذبح أبوك تيسا من غنمه قطعظما قال نعم ، قال : فسلخ إهابه فأعطاه أمك فقال اتخذني لنا منه دلو ؟ . قال نعم قال الأعرابي فإن تلك الحبة لتشبعني وأهل بيتي ؟ قال : نعم وعامة عشيرتك . وقوله تعالى (لا مقطوعة ولا ممنوعة) أي لا تقطع شتاء ولا صيفا بل أكلها دائم مستمر أبدا مهما طلبوا وجدوا لا يمتنع عليهم بقدره الله شيء وقال قتادة لا يمنعهم من تناولها عود ولا شوك ولا بعد وقد تقدم في الحديث إذا تناول الرجل الثمرة عادت مكانها أخرى . وقوله تعالى (وفرش مرفوعة) أي عالية طيبة ناعمة قال النسائي وأبو عسى الترمذي حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمر بن الحارث عن دراج عن

أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى (وفرش مرفوعة) قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قال وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض هكذا قال إنه لا يعرف هذا إلا من رواية رشدين بن سعد وهو المصري وهو ضعيف هكذا رواه أبو جعفر بن جرير عن أبي كريب عن رشدين به

ثم رواه هو وابن أبي حاتم كلاهما عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمر بن الحارث فذكره، وكذا رواه ابن أبي حاتم أيضا عن نعيم بن حماد عن ابن وهب وأخرجه الضياء في صفة الجنة من حديث حرمة عن ابن وهب به مثله ورواه الإمام أحمد عن حسن عن موسى عن ابن لهيعة حدثنا دراج فذكره . وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو معاوية عن جوير عن أبي سهل يعني كثير بن زياد عن الحسن (وفرش مرفوعة) قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة . وقوله تعالى (إنا أنشأناهم إنشأ * فجعلناهم أبكارا عربا أترابا * لأصحاب اليمين) جرى الضمير على غير المذكور . لكن لما دل السياق وهو ذكر الفرش على النساء اللاتي يضاعفن فيها اكتفى بذلك عن ذكرهن وعاد الضمير عليهن كما في قوله تعالى (إذ عرض عليه بالشئ الصافنات الجياد فقال أني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) يعني الشمس على المشهور من قولي المفسرين وقال الاخفش في قوله تعالى (إنا أنشأناهم) أضرهم ولم يذكرن قبل ذلك وقال أبو عبيدة ذكرن في قوله تعالى (وحورعين كما مثال الأولو المسكنون) فقوله تعالى (إنا أنشأناهم) أي أعدناهم في النشأة الأخرى بعدما كن عجائز رمصاصرن أبكارا عربا أي بعد الثوبة عدن أبكارا عربا متحبات إلى أزواجهن بالحلاوة والظرافة والملاحة . وقال بعضهم عربا أي غنجات قال موسى بن عبيدة الربدى عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إنا أنشأناهم إنشأ نساء عجائز كن في الدنيا عمشا رمصا » رواه الترمذي وابن أبي حاتم ثم قال الترمذي غريب وموسى وزيد ضعيفان وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف الحمصي حدثنا آدم يعني ابن أبي إياس حدثنا شيبان عن جابر عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى (إنا أنشأناهم إنشأ) يعني الشيب والأبكار اللاتي كن في الدنيا وقال عبد بن حميد حدثنا مصعب بن المقدام حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال أتت عجوز فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى أن يدخلني الجنة فقال « يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز » قال فقلت تبكي قال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز إن الله تعالى يقول (إنا أنشأناهم إنشأ فجعلناهم أبكارا) وهكذا رواه الترمذي في الشمائل عن عبد بن حميد وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا بكر بن سهل الديلمى حدثنا عمرو بن هاشم البيروني أخبرنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله أخبرني عن قول الله تعالى (حور عين) قال « حور يبيض عين ضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت أخبرني عن قوله تعالى (كامثال الأولو المسكنون) قال « صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداق الذي لم تمسه الأيدي » قلت أخبرني عن قوله (فيهن خيرات حسان) قال « خيرات الأخلاق حسان الوجوه » قلت أخبرني عن قوله (كأنهن يبيض مكنون) قال « رققهن كرقعة الجلد الذي رأيت في داخل البيضة مما يلي القشر وهو العرقى » قلت يا رسول الله أخبرني عن قوله (عربا أترابا) قال « هن اللواتي قبضن في الدار الدنيا عجائز رمصا ثم طلقهن الله بعد الكبر فجعلهن عذارى عربا متعشقات محبات أترابا على ميلاد واحد » قلت يا رسول الله نساء الدنيا أفضل أم الحور العين » قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة » قلت يا رسول الله وم ذاك قال « بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن الله عز وجل . ألبس الله وجوههن النور وأجسادهن الحرير . يبيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشطهن الذهب : يقلن نحن الخالدات فلا نموت أبدا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ألا ونحن الراضيات فلا نمسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان

لنا « قالت يا رسول الله المرأة منا تزوج زوجين والثلاثة والأربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها من يكون زوجها ؟ قال « يا أم سلمة إنها خير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول يا رب إن هذا كان أحسن خلقاً أمى فزوجني ، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة » وفي حديث الصور الطويل المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع للمؤمنين كلهم في دخول الجنة فيقول الله تعالى قد شفعتك وأذنت لهم في دخولها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « والذي بعثني بالحق ما أتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما يشاء الله وثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله بعبادتهما الله في الدنيا يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكال بالؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس وإستبرق وإنه ليضع يده بين كتفهما ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السالك في قصبة الياقوت كبده لها مرآة يعني وكبدتها له مرآة فيبها هو عندها لا ينام ولا نمل ولا يأتيهم من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتري ذكره ولا يشككي قبلها إلا أنه لا منى ولا منية فيبها هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أن لك أزواجا غيرها فيخرج فيأتيهم واحدة واحدة كما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك ، وما في في الجنة شيء أحب إلى منك . وقال عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن ابن حنبل عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال له أنظأ في الجنة ؟ قال « نعم : والذي نفسي بيده دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً » وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه البغدادي حدثنا محمد بن عبد الملك الديلمي الواسطي حدثنا معلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي التوكل عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً » وقال أبو داود الطيالسي أخبرنا عمران عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا في النساء قلت يا رسول الله ويطلق ذلك ؟ قال يعطى قوة مائة » ورواه الترمذي من حديث أبي داود وقال صحيح غريب : وروى أبو القاسم الطبراني من حديث حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله هل نصل إلى نساءنا في الجنة قال « إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء » قال الحافظ أبو عبد الله المقدسي هذا الحديث عندي على شرط الصحيح والله أعلم . وقوله (عرباً) قال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس يعني متعجبات إلى أزواجهن ألم تر إلى الناقة الضبعة هي كذلك ، وقال الضحاك عن ابن عباس العرب العواشي لأزواجهن وأزواجهن لهن عاشقون وكذا قال عبد الله بن سرجس ومجاهد وعكرمة وأبو العالية ويحيى بن أبي كثير وعطية والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، وقال ثور بن يزيد عن عكرمة قال سئل ابن عباس عن قوله (عرباً) قال هي الملقاة لزوجها وقال شعبة عن سماك عن عكرمة هي العنجة : وقال الأجلح بن عبد الله عن عكرمة هي الشكلة ، وقال صالح بن حسان عن عبد الله بن بريدة في قوله (عرباً) قال الشكلة بلغة أهل مكة والعنجة بلغة أهل المدينة ، وقال تميم بن حذلم هي حسن التبعيل . وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن : العرب حسنة الكلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « عرباً - قال - كلامهن عربي » وقوله (أتراباً) قال الضحاك عن ابن عباس يعني في سن واحدة ثلاث وثلاثين سنة ، وقال مجاهد : الأتراب المستويات ، وفي رواية عنه الأمثال ؛ وقال عطية الأقران وقال السدي (أتراباً) أي في الأخلاق المتواحيات بينهم ليس بينهم تباعد ولا تجاسد يعني لا كما كن ضرائر متعاديات وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عبد الله بن السكيت عن الحسن ومحمد (عرباً أتراباً) قالوا المستويات الأسنان يألفن جميعاً ويلعبن جميعاً وقد روى أبو عيسى الترمذي عن أحمد بن منيع عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجنة لجنه للجور العين يرفعن أصواتهن تسمع الخلائق بهلها - قال - يقلن نحن الخائعات فلا نبأس

ونحن الراضيات فلا نسيخط طوبى لمن كان لنا وكناله» ثم قال هذا حديث غريب . وقال الحافظ أبو يعلى أخبرنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن فلان عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك عن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إن الحور العين يغنين في الجنة يقطنن نحن خيرات حسان خبثنا لأزواج كرام » قلت إسماعيل بن عمر هذا هو أبو النضر الواسطي أحد الثقات الأثبات . وقد روى هذا الحديث الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدحيم عن ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب بن عبد الله بن رافع عن ابن أنس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الحور العين يغنين في الجنة نحن الحور الحسان خلقنا لأزواج كرام » وقوله تعالى (لأصحاب اليمين) أى خلقنا لأصحاب اليمين أو أذخرن لأصحاب اليمين أو زوجن لأصحاب اليمين والأظهر أنه متعلق بقوله (إنا أنشأناهم إنشاء فجعلناهم أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين) فتقديره أنشأناهم لأصحاب اليمين وهذا توجيه ابن جرير

وروى عن أبي سليمان الداراني رحمه الله قال صليت ليلة ثم جلست أدعو وكان البرد شديدا فجعلت أدعويده واحدة فأخذتني عيني ففتحت فرأيت حوراء لم ير مثلها وهي تقول يا أبا سليمان أدعويده واحدة وأنا أغذى لك في النعيم منذ خمسمائة سنة . قلت ويحتمل أن يكون قوله (لأصحاب اليمين) متعلقا بما قبله وهو قوله (أترابا لأصحاب اليمين) أى في أسنانهم ، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين يلوهم على ضوء أشد كوكب درى في السماء إضاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفانون ولا يتمخطون أمشاطهم الذهب وورشهم المسك ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين ، أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء » وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون وعفان قالا حدثنا حماد بن سلمة . وروى الطبراني واللفظ له من حديث حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جمادا مكحليين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعا في عرض سبعة أذرع » . وروى الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي عن عمران القطان عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال « يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا مكحليين بنى ثلاث وثلاثين سنة » ثم قال حسن غريب . وقال ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بنى ثلاث وثلاثين في الجنة لا يزيدون عليها أبدا وكذلك أهل النار » ورواه الترمذي عن سويد ابن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث به . وقال أبو بكر بن أبي الدنيا حدثنا القاسم ابن هاشم حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا الأوزاعي عن هارون بن ذئب عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعا بذراع الملك ! على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحاون » وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمد بن خالد وعباس بن الوليد قالا حدثنا عمر عن الأوزاعي عن هارون بن ذئب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين جردا مردا مكحليين . ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم » . وقوله تعالى (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أى جماعة من الأولين وجماعة من الآخرين .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا النضر بن شاذان حدثنا محمد بن بكر حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران ابن حصين عن عبد الله بن مسعود قال وكان بعضهم يأخذ عن بعض قال أكرنا ذات ليلة عند رسول الله ﷺ ثم غدونا عليه فقال « عرضت على الأنبياء وأتباعها بأجمعها فيمصر على النبي والنبي في العصابة ! والنبي في الثلاثة

والنبي وليس معه أحد - وتلا فتادة هذه الآية (أليس منكم رجل رشيد) قال - حتى مر على موسى بن عمران في كبكبة من بني إسرائيل قال : قلت رب من هذا ؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران ومن تبعه من بني إسرائيل ! قال قلت رب فأين أمي ؟ قال انظر عن يمينك في الضراب قال فإذا وجوه الرجال قال : قال أرضيت ؟ قال قلت قد رضيت رب . قال انظر إلى الأفق عن يسارك فإذا وجوه الرجال قال : أرضيت ؟ قلت قد رضيت رب قال فإن مع هؤلاء سبعين ألفا يدخلون الجنة بغير حساب » قال وأنشأ عكاشة بن محصن من بني أسد قال سعيدي وكان يدريا قال يا بني الله ادع الله أن يجعلني منهم قال : فقال « اللهم اجعله منهم » قال أنشأ رجل أخو قال يا بني الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال « سبقك بها عكاشة » قال : فقال رسول الله ﷺ « فأن استطعتم فداكم أبي وأمي أن تكونوا من أصحاب السبعين فافعلوا وإلا فكونوا من أصحاب الضراب وإلا فكونوا من أصحاب الأفق فاني قد رأيت ناسا كثيرا قد ناشبوا أحوالهم - ثم قال - إني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة » فكبرنا ثم قال « إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » قال فكبرنا قال « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » قال فكبرنا قال ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (ثلثة من الأولين وثلثة من الآخرين) قال فقلنا مينا من هؤلاء السبعون ألفا قلناهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا قال قبله ذلك فقال « بل هم الذين لا يكونون ولا يسترقون ولا يتطربون وطى ربهم يتوكلون » وكذا رواه ابن جرير عن طريقين آخرين عن قتادة به نحوه وهذا الحديث له طرق كثيرة من غير هذا الوجه في الصحاح وغيرها قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن أبي عياش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ثلثة من الأولين * وثلثة من الآخرين) قال : قال رسول الله ﷺ « هما جميعا من أمي »

﴿ وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصْرُثُونَ عَلَى الْخَنَثِ الْعَظِيمِ * وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ * لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الْفَائِزُونَ * لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ * فَمَا لَبُثُونَ مِنْهَا الْبُطُونُ * فَشَرِبُونْ عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ * فَشَرِبُونْ شَرِبَ إِلَيْهِمْ * هَذَا نَزَلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾

لما ذكر تعالى حال أصحاب اليمين عطف عليهم بذكر أصحاب الشمال فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) أي أى شيء هم فيه أصحاب الشمال ؟ ثم فسر ذلك فقال (في سموم) وهو الهواء الحار (وحميم) وهو الماء الحار (وظل من يحموم) قال ابن عباس ظل الدخان وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم وهذه كقوله تعالى (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب * إنها ترمى بشرر كالفجر كأنه جمالة صفر * ويل يومئذ للمكذبين) ولهذا قال ههنا (وظل من يحموم) وهو الدخان الأسود (لا بارد ولا كريم) أى ليس طيب المصوب ولا حسن المنظر كما قال الحسن وقتادة (ولا كريم) أى ولا كريم المنظر وقال الضحاك كل شراب ليس بعذب فليس بكريم

وقال ابن جرير : العرب تتبع هذه اللفظة في النبي فيقولون هذا الطعام ليس بطيب ولا كريم هذا اللحم ليس بسمين ولا كريم . وهذه الدار ليست بنظيفة ولا كريهة وكذا رواه ابن جرير عن طريقين آخرين عن قتادة به نحوه ثم ذكر تعالى استحقاقتهم لذلك فقال تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) أى كانوا في الدار الدنيا منعمين مقبلين على لذات أنفسهم لا يلبون على ما جاءتهم به الرسل (وكانوا يصرون) أى يقيمون ولا ينوون توبة (على الخنث العظيم) وهو

الكفر بالله وجعل الأوثان والأنداد أربابا من دون الله . قال ابن عباس الحنت العظيم : الشرك . وكذا قال مجاهد وعكرمة والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ، وقال الشعبي هو الجين الغموس (وكانوا يقولون أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ؟) يعني أنهم يقولون ذلك مكذبين به مستعدين لوقوعه قال الله تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أى أخبرهم يا محمد أن الأولين والآخرين من بنى آدم سيجمعون إلى عرصات القيامة لا يهادر منهم أحد كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود * وما تؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد) ولهذا قال ههنا (المجموعون إلى ميقات يوم معلوم) أى هو موقت بوقت محدود لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لا تكون من شجر من زقوم * فالثون منها البطون) وذلك أنهم يقبضون ويسجرون حتى يأكلوا من شجر الزقوم حتى يملأوا منها بطونهم (فشاربون عليه من الحميم * فشاربون شرب الحميم) وهى الابل العطاش واحدها هم والأثني هياء ويقال هائم وهائمة قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة : الحميم الابل العطاش الظماء . وعن عكرمة أنه قال الحميم الابل للمراض تمص الماء مصا ولا تروى : وقال السدي الحميم داء يأخذ الابل فلا تروى أبدا حتى تموت فكذاك أهل جهنم لا يروون من الحميم أبدا . وعن خالد بن معدان أنه كان يكره أن يشرب شرب الحميم غبة واحدة من غير أن يشفئ ثلاثا ثم قال تعالى (هذا نزلهم يوم الدين) أى هذا الذى وصفنا هو ضيافتهم عند ربهم يوم حسابهم كما قال تعالى فى حق المؤمنين (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) أى ضيافة وكرامة .

﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ * أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ * أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ * نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَ لَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ النُّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾

يقول تعالى مقرر للمعاد . ورادا على المكذبين به من أهل الزبغ والإلحاد . من الذين قالوا (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون ؟) وقولهم ذلك صدر منهم على وجه التكذيب والاستبعاد . فقال تعالى (نحن خلقناكم) أى نحن ابتدأنا خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا أفليس الذى قدر على البداء بقادر على الاعادة بطريق الأولى والأخرى ؟ ولهذا قال (فالولا تصدقون ؟) أى فهلا تصدقون بالبعث ! ثم قال تعالى مستدلا عليهم بقوله (أفرايتم ما تمنون ؟ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ؟) أى أنتم تقرونه فى الأرحام وتخلقونه فيها أم الله الخالق لذلك ؟ ثم قال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت) أى صرفناه بينكم وقال الضحاك ساوى فيه بين أهل السماء والأرض (وما نحن بمسبوقين) أى وما نحن بعاجزين (على أن نبدل أمثالكم) أى نغير خلقكم يوم القيامة (وننشئكم فيما لا تعلمون) أى من الصفات والأحوال . ثم قال تعالى (ولقد علمتم النشأة الأولى فالولا تذكرون) أى قد علمتم أن الله أنشأكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا فخلقكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة فهلا تذكرون وتعرفون أن الذى قدر على هذه النشأة وهى البداء قادر على النشأة الأخرى وهى الاعادة بطريق الأولى والأخرى كما قال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقال تعالى (أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) (أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم * قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وقال تعالى (أيعسى الإنسان أن يترك سدى ! ألم يك نطفة من منى يعنى ؟ ثم كان علقة فخلق سوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ؟)

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ * إِنَّا لَمَحْرُومُونَ * بَلْ نَحْنُ مُحْرَقُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ * لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ * أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ * نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿

يقول تعالى (أفأريت ما تحرثون ؟) وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها (أنتم تزرعونه ؟) أي تبتونه في الأرض (أم نحن الزارعون :) أي بل نحن الذي نقره قراره ونبتته في الأرض . قال ابن جرير حدثني أحمد بن الوائد القرشي حدثنا مسلم بن أبي مسلم الجرمي حدثنا محمد بن الحسين عن هشام عن محمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا تقولن زرعتم ولكن قل حرثت » قال أبو هريرة ألم تسمع إلى قوله تعالى (أفأريت ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ؟) ورواه البزار عن محمد بن عبد الرحيم عن مسلم الجرمي به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن عطاء بن أبي عبد الرحمن : لا تقولوا زرعنا ولكن قولوا حرثنا . وروى عن حجر المدي أنه كان إذا قرأ (أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) وأمثالها يقول بل أنت يارب . وقوله تعالى (لو نشاء لجعلناه حطاما) أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناه لكم رحمة بكم و لو نشاء لجعلناه حطاما أي لأبسنناه قبل استوائه واستحصاده (فظلمت تفكهمون) ثم فسر ذلك بقوله (إنا لمعمون * بل نحن محرومون) أي لو جعلناه حطاما لظلمت تفكهمون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة إنا لمعمون أي للمقون وقال مجاهد وعكرمة إنا لمولع بنا وقال قتادة معذبون وتارة تقولون بل نحن محرومون . وقال مجاهد أيضا إنا لمعمون ملقون للشرا أي بل نحن محارفون قاله قتادة أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد بل نحن محرومون أي محدودون يعني لا حظ لنا وقال ابن عباس ومجاهد (فظلمت تفكهمون) تعجبون وقال مجاهد أيضا فظلمت تفكهمون تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهذا يرجع إلى الأول وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيبوا في ما لهم وهذا اختيار ابن جرير . وقال عكرمة فظلمت تفكهمون تلاومون وقال الحسن وقتادة والسدي فظلمت تفكهمون تندمون ومعناه إما على ما أنفقتم أو على ما أسلفتم من الذنوب قال الكسائي تفكهمون الأضداد تقول العرب تفكمت بمعنى تنعمت وتفكمت بمعنى حزنت . ثم قال تعالى (أفأيتكم الماء الذي تشربون * أنتم أنزلتموه من المزن) يعني السحاب قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد (أم نحن المنزلون) يقول بل نحن المنزلون (لو نشاء جعلناه أجاجا) أي زعاقا مرا لا يصلح للشرب ولا زرع (فالولا تشكرون) أي فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذابا زلالا (لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمعون * يفت لکم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عثمان بن سعيد ابن مرة حدثنا فضيل بن مرزوق عن جابر عن أبي جعفر عن النبي ﷺ أنه كان إذا شرب الماء قال « الحمد لله الذي سقانا عذابا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنوبنا » : ثم قال (أفأيتكم النار التي تورون) أي تقدحون من الزناد وتستخرجونها من أصلها (أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) أي بل نحن الذين جعلناها مودعة في موضعها وللعرب شجرتان (إحداهما) المرخ (والأخرى) الغار إذا أخذ منها غصنان أخضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار . وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) قال مجاهد وقتادة أي تذكر النار الكبرى قال قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال « يا قوم ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » قالوا يا رسول الله ان كانت لكافية : قال « إنها قد ضربت بالبحر ضربتين - أو مرتين - حتى يستنفع بها بنو آدم ويدنوا منها » وهذا الذي أرسله

قنادة قد رواه الإمام أحمد في مسنده فقال حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » وقال الإمام مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « نار بني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقالوا يا رسول الله إن كانت لكافية فقال « إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » رواه البخاري من حديث مالك ومسلم من حديث أبي الزناد ورواه مسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر بن همام عن أبي هريرة به وفي لفظ « والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها » وقد قال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو والحلال حدثنا إبراهيم بن النضر الحزامي حدثنا معمر بن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبي سهل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتدرون ما مثل ناركم هذه من نار جهنم ؟ لهي أشد سواداً من ناركم هذه بسبعين ضعفاً » قال الضياء المقدسي وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه وهو عندى على شرط الصحيح . وقوله تعالى (ومتاعا للمقوين) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والنضر بن عربي يعني بالمقوين المسافرين واختاره ابن جرير وقال ومنه قولهم أقوت الدار إذا رحل أهلها وقال غيره القى والقواء القفر الخالي البعيد من العمران وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القوى ههنا الجائع وقال ليث ابن أبي سليم عن مجاهد ومتاعا للمقوين للحاضر والمساfer لكل طعام لا يصلحه إلا النار وكذا روى سفيان عن جابر الجعفي عن مجاهد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله للمقوين يعني المستمتعين من الناس أجمعين وكذا ذكر عن عكرمة وهذا التفسير أعم من غيره فإن الحاضر والبادي من غنى وفقير الجميع محتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والاضلة وغير ذلك من المنافع ثم من لطف الله تعالى أن أودعها في الأحجار وخالص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه فإذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأورى وأوقد ناره فاطبخ بها واصلطى بها واشتوى واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهمذا أفرد المسافرون وإن كان ذلك عاماً في حق الناس كلهم وقد يستدل به بما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي خديش حبان بن زيد الشرعي الشامي عن رجل من المهاجرين من قرن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « المسلمون شركاء في ثلاثة : النار والكلأ والماء » وروى ابن ماجه بإسناد جيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا يمنعن : الماء والكلأ والنار » وله من حديث ابن عباس مرفوعاً مثل هذا وزيادة وثمة ولكن في إسناده عبد الله بن خراش بن حوشب وهو ضعيف والله أعلم وقوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أى الذى بقدرته خلق هذه الأشياء المختلفة المتضادة للماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحاً أجاجاً كالبحار المخرقة وخلق النار المحرقة وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجراً لهم في المعاد

﴿ فَلَا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَنَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ * وَتَجْمَعُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

قال جوير عن الضحاك : إن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه ولكنه استفتح يستفتح به كلامه وهذا القول ضعيف والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله تعالى يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل على عظمته . ثم قال بعض المفسرين لاهننا زائدة وتقديره أقسم بمواقع النجوم رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير ويكون جوابه (إنه لقرآن كريم) وقال آخرون ليست لازائدة لا معنى لها بل يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسمه على منفي كقول عائشة رضى الله عنها : لا والله ما مس يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط ، وهكذا ههنا تفسير الكلام لا أقسم بمواقع النجوم

ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم . وقال ابن جرير وقال بعض أهل العربية معنى قوله (فلا أقسم) فليس الأمر كما تقولون ثم استأنف القسم بعد ذلك فقيل أقسم . واختلفوا في معنى قوله (بمواقع النجوم) فقال حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني نجوم القرآن فانه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفردا في السنين بعد . ثم قرأ ابن عباس هذه الآية وقال الضحاك عن ابن عباس نزل القرآن جملة من عند الله من اللوح المحفوظ إلى السفرة الكرام الكائنين في السماء الدنيا فنجمته السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فهو قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم) نجوم القرآن ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والسدي وأبو حمزة وقال مجاهد أيضا مواقع النجوم في السماء ويقال مطالعها ومشارقها . وكذا قال الحسن وقنادة وهو اختيار ابن جرير وعن قتادة مواقعها منازلها . وعن الحسن أيضا أن المراد بذلك انتشارها يوم القيامة وقال الضحاك (فلا أقسم بمواقع النجوم) يعني بذلك الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا . وقوله (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) أي وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظيمته اعظمتم القسم به عليه (إنه لقرآن كريم) أي إن هذا القرآن الذي نزل على محمد لكتاب عظيم (في كتاب مكنون) أي معظم في كتاب معظم محفوظ موقر وقال ابن جرير حدثني موسى بن إسماعيل أخبرنا شريك عن حكيم هو ابن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) قال الكتاب الذي في السماء . وقال العوفي عن ابن عباس (لا يمسه إلا المطهرون) يعني الملائكة ، وكذا قال أنس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأبو الشعثاء جابر بن زيد وأبو نهيك والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم

وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور حدثنا معمر عن قتادة (لا يمسه إلا المطهرون) قال لا يمسه عند الله إلا المطهرون ، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوس والنجس ، والمنافق الرجس ، وقال وهب في قراءة ابن مسعود ما يمسه إلا المطهرون وقال أبو العالية (لا يمسه إلا المطهرون) ليس أنتم أنتم أصحاب الذنوب وقال ابن زيد زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لم يزولون) وهذا القول قول جيد وهو لا يخرج عن الأقوال التي قبله وقال الفراء لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به . وقال آخرون (لا يمسه إلا المطهرون) أي من الجنابة والحديث قالوا ولفظ الآية خبير ومعناها الطاب قالوا والمراد بالقرآن ههنا المصحف كما روى مسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو . واحتجوا في ذلك بما رواه الإمام مالك في موطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزم أن لا يمسه القرآن إلا طاهر . وروى أبو داود في المراسيل من حديث الزهري قال قرأت في صحيفة عبد أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ولا يمسه القرآن إلا طاهر » وهذه وجادة جيدة قد قرأها الزهري وغيره ومثل هذا ينبغي الأخذ به وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وعبد الله بن عمر وعثمان بن أبي العاصم وفي إسناد كل منهما نظر والله أعلم : وقوله تعالى (تنزيل من رب العالمين) أي هذا القرآن منزل من الله رب العالمين وليس هو كآية قولون إنه سحر أو كهانة أو شعربل هو الحق الذي لا مزية فيه وليس وراءه حق نافع ، وقوله تعالى (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون) قال العوفي عن ابن عباس أي مكذبون غير مصدقين ، وكذا قال الضحاك وأبو حمزة والسدي ، وقال مجاهد (مدهنون) أي تريدون أن تملأوهم فيه وتركتموا اليهم (وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون) قال بعضهم معنى وتجمعون رزقكم بمعنى شكركم أنكم تكذبون أي تكذبون بدل الشكر ، وقد روى عن علي وابن عباس أنهما قرآها (وتجمعون شكركم أنكم تكذبون) كما سيأتي ، وقال ابن جرير وقد ذكر عن الهيثم بن عسدي أن من لغة أزد شناعة ما رزق فلان بمعنى شكر فلان : وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم « وتجمعون رزقكم يقول شكركم أنكم تكذبون تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا بنجم كذا وكذا » وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مخل بن إبراهيم النهدى وابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبيد الله بن موسى وعن يعقوب بن إبراهيم عن يحيى بن أبي بكير ثلاثهم عن إسرائيل بن مرفوعا، وكذا رواه الترمذى عن أحمد بن منيع عن حسين بن محمد وهو المروزي به وقال حسن غريب وقد رواه سفيان الثوري عن عبد الأعلى ولم يرفعه . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا . وقرأ ابن عباس (وتجمعون شكركم أنكم تكذبون) وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس وقال مالك في الموطأ عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال « هل تدرون ماذا قال ربكم » قالوا الله ورسوله أعلم قال : « قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافري ومؤمن بالكوكب » أخرجه في الصحيحين وأبو داود والنسائي كلهم من حديث مالك به . وقال مسلم حدثنا محمد بن سلمة المرادي وعمرو بن سواد حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث أن أبا يونس حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا » انفرد به مسلم من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يعسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا » قال محمد هو ابن إبراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال ونحن قد سمعنا من أبي هريرة وقد أخبرني من شهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يستسقى فلما استسقى التفت إلى العباس فقال يا عباس يا عم رسول الله كم أبقى من نوء الثريا فقال العلماء يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعة أقال فما مضت سابعة حتى مطروا وهذا محمول على السؤال عن الوقت الذي أجرى الله فيه العادة بالزال المطر لا أن ذلك النوء مؤثر بنفسه في نزل المطر فان هذا هو المنهى عن اعتقاده وقد تقدم شيء من هذه الأحاديث عند قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها)

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا سفيان عن إسماعيل بن أمية فيما أحسبه أو غيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا ومطروا يقول مطرنا ببعض عثانين الأسد فقال « كذبت بل هو رزق الله » . ثم قال ابن جرير حدثني أبو صالح الصرارى حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأودى حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال « ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين » ثم قال - (وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون) يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا . وفي حديث عن أبي سعيد مرفوعا « لو قحط الناس سبع سنين ثم مطروا لقالوا مطرنا بنوء المجدع » . وقال مجاهد (وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون) قال قولهم في الأنواء مطرنا بنوء كذا وبنوء كذا يقول قولوا هو من عند الله وهو رزقه وهكذا قال الضحاك وغير واحد وقال قتادة أما الحسن فكان يقول بئس ما أخذ قوم لأنفسهم لم يرزقوا من كتاب الله إلا التكذيب فمعنى قول الحسن هذا وتجمعون حظكم من كتاب الله أنكم تكذبون به ولهذا قال قبله (أفبهذا الحديث أتم مدهنون * وتجمعون رزقكم أنكم تكذبون)

﴿ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ * وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

يقول تعالى (فلولا إذا بلغت أي الروح (الحلقة) أي الخلق وذلك حين الاحتضار كما قال تعالى (كلا إذا

بلغت التراقي وقيل من راق . وظن أنه الفراق . والتفت الساق بالساق . إلى ربك يومئذ المساق) ولهذا قال ههنا (وأنتم حينئذ تنظرون) أي إلى المحتضر وما يكابده من مكبرات الموت (ونحن أقرب إليه منكم) أي ملائكتنا (ولكن لا تبصرون) أي ولكن لا ترونهم كما قال تعالى في الآية الأخرى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين ترجعونها) معناه فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد إن كنتم غير مدينين قال ابن عباس يعني مخاسين وروى عن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والسدي وأبي حمزة مثله

وقال سعيد بن جبير والحسن البصري (فلولا إن كنتم غير مدينين) غير مصدقين أنكم تدانون وتبعثون وتحزون فردوا هذه النفس وعن مجاهد (غير مدينين) غير موقنين وقال ميمون بن مهران غير معذنين مقهورين

﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ * فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ * وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ * فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ * وَتَصْلِيَةٌ جَهِيمٍ * إِنْ هَذَا لَهُوَ حَتَّى الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم إما أن يكون من المقربين أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله ولهذا قال تعالى (فأما إن كان) أي المحتضر (من المقربين) وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات (فروح وريحان وجنة نعيم) أي فلهم روح وريحان وتبشرهم بالملائكة بذلك عند الموت كما تقدم في حديث البراء إن ملائكة الرحمة تقول : أيها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمريته أخرجني إلى روح وريحان ورب غير غضبان . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فروح) يقول راحة وريحان يقول مستراحة وكذا قال مجاهد : إن الروح الاستراحة وقال أبو حمزة الراحة من الدنيا وقال سعيد بن جبير والسدي الروح الفرح وعن مجاهد (فروح وريحان)جنة ورخاء وقال قتادة فروح فرحة وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وريحان ورزق وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فإن مات مقربا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن (وجنة نعيم) وقال أبو المألية لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه وقال محمد بن كعب لا يموت أحد من الناس حتى يعلم أمن أهل الجنة هو أم أهل النار ، وقد قدمنا أحاديث الاختصار عند قوله تعالى في سورة إبراهيم (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) ولو كتبت ههنا لكان حسنا ، وأجلها حديث تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى للملك الموت انطلق إلى فلان فائتني به فإنه قد جرت به السراء والضراء فوجدته حيث أحب ، اثنتي فلا تريه » - قال - فينطلق إليه ملك الموت ومعه خمسائة من الملائكة معهم أكفان وحنوط من الجنة ومعهم ضبائر الريحان - أصل الريحانة واحد - وفي رأسها عشرون لونا لكل لون منها ريح سوى ريح صاحبه ومعهم الحرير الأبيض فيه المسك » وذكر تمام الحديث بطوله كما تقدم وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية

قال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا هارون عن بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن عائشة أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ (فروح وريحان) برفع الراء وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث هارون وهو ابن موسى الأعور به وقال الترمذي لا نعرفه إلا من حديثه وهذه القراءة هي قراءة يعقوب وحده وخالفه الباقر فقرأوا (فروح وريحان) بفتح الراء

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه سمع مرة بنت معاذ تحدث عن أم هانئ أنها سألت رسول الله ﷺ أن تزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « يكون النسم طيرا يعاق بالشجر حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها » . وهذا الحديث فيه بشارة لكل مؤمن ، ومعنى يعلق يأكل ، ويشهد له بالصحة أيضا رواه الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي عن الإمام مالك بن أنس عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنما نسمة المؤمن طائر يعاق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه » . وهذا إسناد عظيم ومتم قوي وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في رياض الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى قناديل معلقة بالعرش » الحديث وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان حدثنا حماد بن عطاء بن السائب قال كان أول يوم عرفت فيه عبد الرحمن بن أبي ليلى رأيت شيخا أبيض الرأس واللحية على حمار وهو يتبع جنازة فسمعت يقول حدثني فلان بن فلان سمع رسول الله ﷺ يقول « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » قال فأكب القوم فيكون فقال ما يبكيكم ؟ فقالوا إنا نكره الموت قال ليس ذاك ولكنه إذا احتضر (فأما إن كان من المقربين * فروح وريحان وجنة نعيم) فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله عز وجل ولقاءه أحب (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) فإذا بشر بذلك كره لقاء الله والله تعالى للقاءه أكره ، هكذا رواه الإمام أحمد ، وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنها شاهدته . وقوله تعالى (وأما إن كان من أصحاب اليمين) أى أى تشبههم الملائكة بذلك تقول لأحدهم سلام لك أى لا بأس عليك أنت إلى سلامة ، أنت من أصحاب اليمين . وقال قتادة وابن زيد : سلم من عذاب الله وسامته عليه ملائكة الله كما قال عكرمة تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين ، وهذا معنى حسن ويكون ذلك كقول الله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتمون أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلا من غفور رحيم) وقال البخاري (فسلام لك) أى مسلم لك أنك من أصحاب اليمين ، وألغيت إن وبقي معناها كما تقول أنت مصدق مسافر عن قليل إذا كان قد قال إني مسافر عن قليل وقد يكون كالدعاء له كقولك سقيا لك من الرجال إن رفعت السلام فهو من الدعاء وقد حكاه ابن جرير هكذا عن بعض أهل العربية وما إلى الله أعلم . وقوله تعالى (وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم) أى وأما إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى (فنزل) أى فضيافة (من حميم) وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود (وتصلية جحيم) أى وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته : ثم قال تعالى (إن هذا لهو حق اليقين) أى إن هذا الخبر لهو حق اليقين الذي لا مزية فيه ولا محيد لأحد عنه (فسبح باسم ربك العظيم) . قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن أبيوب القافقي حدثني إياس بن عامر عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فسبح باسم ربك العظيم) قال « اجعلوها في ركوعكم » ولما نزلت (فسبح اسم ربك الأعلى) قال رسول الله ﷺ « اجعلوها في سجودكم » وكذا رواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن المبارك عن موسى بن أبيوب به ، وقال روح بن عباد حدثنا حجاج الصواف عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « من قال سبحان الله العظيم وبسمه غرست له نخلة في الجنة » هكذا رواه الترمذي من حديث روح ورواه هو والنسائي أيضا من حديث حماد بن سلمة من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم به وقال الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي الزبير وقال البخاري في آخر كتابه حدثنا أحمد بن اشكاب حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عمار بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » ورواه بقية الجماعة إلا أبا داود من حديث محمد بن فضيل بإسناده مثله

آخر تفسير سورة الواقعة والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الحديد وهي مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقة بن الوليد حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن ابن أبي بلال عن عرياض بن سارية أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد وقال « إن فيهن آية أفضل من ألف آية وهكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن بقة بن بقة به وقال الترمذي حسن غريب . ورواه النسائي عن ابن أبي السرح عن ابن وهب عن معاوية بن صالح عن بجير بن سعد عن خالد بن معدان قال كان رسول الله ﷺ يذكره مرسلًا لم يذكر عبد الله بن أبي بلال ولا العرياض بن سارية ، والآية المشار إليها في الحديث هي والله أعلم قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) كما سيأتي بيانه قريبًا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان وهو حسبنا ونعم الوكيل

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُخَيِّ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات والأرض أي من الحيوانات والنباتات كما قال في الآية الأخرى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً) وقوله تعالى (وهو العزيز) أي الذي قد خضع له كل شيء (الحكيم) في خلقه وأمره وشرعه (له ملك السموات والأرض يحيي ويميت) أي هو الملك المتصرف في خلقه فيحيي ويميت ويعطي من يشاء ما يشاء (وهو على كل شيء قدير) أي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وقوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) وهذه الآية هي المشار إليها في حديث عرياض بن سارية أنها أفضل من ألف آية ، وقال أبو داود حدثنا عباس بن عبد العظيم حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة - يعني ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال سألت ابن عباس فقلت ما شيء أجده في صدري؟ قال ما هو؟ قلت والله لا أتكلم به قال : فقال لي شيء من شك؟ قال وضحك قال ما نجا من ذلك أحد قال حتى أنزل الله تعالى (فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك) الآية قال وقال لي إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الآية وأقوالهم على نحو من بضعة عشر قولاً . وقال البخاري قال يحيى : الظاهر على كل شيء علماً والباطن على كل شيء علماً وقال شيخنا الحافظ للزبيحي هذا هو ابن زياد الفراء له كتاب سماه معاني القرآن وقد ورد في ذلك أحاديث فمن ذلك ما قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عباس عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فالق الحب والنوى لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء . اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » ورواه مسلم في صحيحه حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهل قال كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أن ينام أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول : اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر . وكان يروى ذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وقد روى الحافظ أبو يعلى الوصلي في مسنده عن عائشة أم المؤمنين نحو هذا فقال حدثنا عقبه حدثنا يونس حدثنا السري بن إسماعيل

عن الشعبي عن مسروق عن عائشة أنها قالت كان رسول الله ﷺ يأمر بفراشه فيفرش له مستقبل القبلة فإذا أوى إليه توسد كفه اليمنى ثم همس ما يدرى ما يقول فإذا كان في آخر الليل رفع صوته فقال : « اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، إله كل شيء ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، فائق الحب والنوى . أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته . اللهم أنت الأول الذي ليس قبلك شيء ، وأنت الآخر الذي ليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر » . السري بن إسماعيل هذا هو ابن عم الشعبي وهو ضعيف جدا والله أعلم . وقال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية حدثنا عبد بن حميد وغير واحد لعني واحد قالوا حدثنا يونس بن محمد حدثنا شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة قال حدث الحسن عن أبي هريرة قال بينما نبي الله ﷺ جالس وأصحابه إذ أتى عليهم سحاب فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم : هل تدرون ما هذا ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : هذا العنان هذه روايا الأرض تسوقه إلى قوم لا يشكرونها ولا يدعونها . ثم قال : هل تدرون ما فوقكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإنها الرفيع سقف محفوظ وموج مكفوف . ثم قال : هل تدرون كم بينكم وبينها ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : بينكم وبينها خمسمائة سنة . ثم قال : هل تدرون ما فوق ذلك . قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإن فوق ذلك سماء بعد ما بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع سموات - ما بين كل سماءين كما بين السماء والأرض ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : فإن فوق ذلك العرش وبينه وبين السماء مثل بعد ما بين السماءين ، ثم قال هل تدرون ما الذي تحتهكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإنها الأرض . ثم قال : هل تدرون ما الذي تحته ذلك . قالوا الله ورسوله أعلم قال : فإن تحته أرضا أخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة - حتى عد سبع أرضين - بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة . ثم قال والذي نفس محمد بيده لو أنكم دليتم حبالا إلى الأرض السفلى لمبط على الله ثم قرأ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ثم قال الترمذي هذا حديث غريب من هذا الوجه ويروى عن أيوب ويونس يعنى ابن عبيد وعلى بن زيد قالوا لم يسمع الحسن من أبي هريرة وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما مبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه انتهى كلامه . وقد روى الإمام أحمد هذا الحديث عن شريح عن الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وعنده وبعد ما بين الأرضين مسيرة سبع مائة عام وقال : لو دليتم أحدكم بحبل إلى الأرض السفلى السابعة لمبط على الله ثم قرأ (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) ورواه ابن أبي حاتم والبخاري من حديث أبي جعفر الرازي عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة فذكر الحديث ولم يذكر ابن أبي حاتم آخره وهو قوله لو دليتم بحبل وإنما قال حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام ثم تلا (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) وقال البخاري لم يروه عن النبي ﷺ إلا أبو هريرة ورواه ابن جرير عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر لنا أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس في أصحابه إذ مر عليهم سحاب فقال : هل تدرون ما هذا . وذكر الحديث مثل سياق الترمذي سواء إلا أنه مرسل من هذا الوجه ولعل هذا هو المحفوظ والله أعلم وقد روى من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه رواه البخاري في مسنده والبيهقي في كتاب الأسماء والصفات ولكن في إسناده نظر وفي متنه غرابة ونسكاراة والله سبحانه وتعالى أعلم

وقال ابن جرير عند قوله تعالى (ومن الأرض مثلين) حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال التقى أربعة من الملائكة بين السماء والأرض فقال بعضهم لبعض من أين جئت قال أحدهم أرسلني ربي عز وجل من السماء السابعة وتركته ، ثم قال الآخر أرسلني ربي عز وجل من الأرض السابعة وتركته ، ثم قال الآخر أرسلني ربي من المشرق وتركته ، ثم قال الآخر أرسلني ربي من المغرب وتركته . وهذا حديث غريب جدا وقد يكون الحديث الأول موقوفا على قتادة كما روى ههنا من قوله والله أعلم

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ

يخبر تعالى عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش بعد خلقه من وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأشبهها في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (يعلم ما ياج في الأرض) أى يعلم عدد ما يدخل فيها من حب وقطر (وما يخرج منها) من نبات وزرع وثمار كما قال تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) وقوله تعالى (وما ينزل من السماء) أى من الأمطار ، والثاوج والبرد والاقطار . والاحكام مع الملائكة السكرام . وقد تقدم فى سورة البقرة أنه ما ينزل من قطرة من السماء إلا ومعه ملك يقررها فى المكان الذى يأمر الله به حيث يشاء الله تعالى وقوله تعالى (وما يعرج فيها) أى من الملائكة والأعمال كما جاء فى الصحيح « يرفع اليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » وقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) أى رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر فى ليل أو نهار فى البيوت أو فى القفار الجميع فى علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم كما قال تعالى (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور) وقال تعالى (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) فلا إله غيره ولا رب سواه ، وقد ثبت فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لما سأله عن الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تسكن تراه فانه يراك » وروى الحافظ أبو بكر الاسماعيلي من حديث نصر بن خزيمة ابن جنادة بن محفوظ بن علقمة حدثني أبى عن نصر بن علقمة عن أخيه عن عبد الرحمن بن عامر قال : قال عمر جابر رجل إلى النبي ﷺ فقال زودنى حكمة أعيش بها فقال « استمع الله كما تستمعى رجلا من صالحى عشيرتك لا يفارقك » هذا حديث غريب وروى أبو نعيم من حديث عبد الله بن علوية العامري مرفوعا « ثلاث من فعلهن فقد طعم الإيمان إن عبد الله وحده وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه فى كل عام ولم يعط الهرمة ولا الرذية ولا الشرطة اللثيمة ولا المريضة ولكن من أوسط أموالكم وزكى نفسه » وقال رجل يارسول الله ما تزكية المرء نفسه فقال « يعلم أن الله معه حيث كان » . وقال نعيم بن حماد رحمه الله حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي عن محمد بن مهاجر عن عروة بن رويم عن عبد الرحمن ابن غنم عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ « إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت » غريب وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى يتشد هذين البيتين :

إذا ما خاوت الدهر يوما فلا تقل خاوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب

وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور) أى هو المالك للدينا والآخرة كما قال تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) وهو الحمود على ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة) وقال تعالى (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير) فجميع ما فى السموات والأرض ملك له وأهلها عبيد أرقاء أذلاء بين يديه كما قال تعالى (إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتية يوم القيامة فردا) ولهذا قال (وإلى الله

ترجع الأمور) أى إليه المرجع يوم القيامة فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذى لا يجر ولا يظلم مثقال ذرة بل إن يكن عمل أحدهم حسنة واحدة يضاعفها إلى عشر أمثالها (ويؤت من لده أجر عظيم) وكما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أثينا بها وكفى بنا حاسبين) . وقوله تعالى (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أى هو المتصرف فى الخلق يقبض الليل والنهار ويقدرها بحكمته كما يشاء فتارة يطول الليل ويقصر النهار وتارة بالعكس وتارة يتركها معتدلين ، وتارة يكون الفصل شتاء ثم ربيعاً ثم قيظاً ثم خريفاً وكل ذلك بحكمته وتقديره لما يريد به خلقه (وهو عليم بذات الصدور) أى يعلم السرائر وإن دقت وإن خفيت

﴿ ءَامِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلٍ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكَرَّ اللَّهُ الْحِسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾

أمر تبارك وتعالى بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل والدوام والثبات على ذلك والاستمرار وحث على الانفاق مما جعلكم مستخلفين فيه أى مما هو معكم على سبيل العارية فانه قد كان فى أيدى من قبلكم ثم صار اليكم فأرشد تعالى إلى استعمال ما استخلفهم فيه من المال فى طاعته فان يعمالوا وإلا حاسبهم عليه وعاقبهم لترحم الواجبات فيه ، وقوله تعالى (مما جعلكم مستخلفين فيه) فيه إشارة إلى أنه سيكون خلفاً عنك فعمل وارثك أن يطيع الله فيه فيكون أسعد بما أنعم الله به عليك منك أو يعصى الله فيه فتكون قد سمعت فى معاوته على الاثم والعدوان . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعنى ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول « ألهاكم التكاثر ، يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالاك إلا ماأكلت فأفنت أو لبست فألبست أو تصدقت فأمضيت ؟ » ورواه مسلم من حديث شعبة به وزاد « وما سوى ذلك فذهاب وتاركة للناس » وقوله تعالى (فالذين آمنوا منهم وأنفقوا لهم أجر كبير) ترغيب فى الإيمان والإنفاق فى الطاعة ثم قال تعالى (وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربهكم ؟) أى وأى شيء يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج والبراهين على صحة ما جاءكم به وقد رويناه فى الحديث من طرق فى أوائل شرح كتاب الإيمان من صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه « أى المؤمنين أعجب إليكم إيماناً - قالوا الملائكة قال - وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ؟ - قالوا فالأنبياء : قال - وما لهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم - قالوا فنحن قال : وما لكم لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجدون صحفاً يؤمنون بما فيها وقد ذكرنا طرفاً من هذه فى أول سورة البقرة عند قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) وقوله تعالى (وقد أخذ ميثاقكم) كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به إذ قتلتم معنوا وأطعنا) ويعنى بذلك بيعة الرسول صلى الله عليه وسلم وزعم ابن جرير أن المراد بذلك الميثاق الذى أخذ عليهم فى صلب آدم وهو مذهب مجاهد فالله أعلم وقوله تعالى (هو الذى ينزل على عبده آيات بينات) أى حججاً واضحات ودلائل باهرات وبراهين قاطعات (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الجهل والكفر والآراء المتضادة إلى نور الهدى

والذين والإيمان (وإن الله يكره لفؤوف رحيم) أى فى أنزاله الكتب وأرساله الرسل لهداية الناس وإزالة العلل وإزالة الشبه ولما أمرهم أولاً بالإيمان والانفاق ثم حثهم على الإيمان وبين أنه قد أزال عنهم موانه حثهم أيضاً على الإنفاق فقال (وما لكم ألا تنفقوا فى سبيل الله والله ميراث السموات والأرض ؟) أى أنفقوا ولا تخشوا فقراً وإقلالاً فإن الذى أنفقتم فى سبيله هو مالك السموات والأرض ويصده مقاليدهما وعنده خزائنها وهو مالك العرش بما حوى وهو القائل (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال (ما عندكم ينفدوما عند الله باق) فمن توكل على الله أنفق ولم يخش من ذى العرش إقلالاً وعلم أن الله سيخلفه عليه وقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) أى لا يستوى هذا ومن لم يفعل كفعله وذلك أن قبل فتح مكة كان الحال شديداً فلم يكن يؤمن حينئذ إلا الصديقون وأما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس فى دين الله أفواجا . ولهذا قال تعالى (أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة وعن الشعبي وغيره أن المراد بالفتح ههنا صلح الحديبية وقد يستدل لهذا القول بما قال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا زهير حدثنا حميد الطويل عن أنس قال كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف كلام فقال خالد لعبد الرحمن تستطيعون علينا بأيام سبقتهمونا بها فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال « دعوا لى أصبحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغت أعمالهم » ومعلوم أن إسلام خالد بن الوليد المواجه به هذا الخطاب كان بين صلح الحديبية وفتح مكة وكانت هذه المشاجرة بينهما فى بنى جذيمة الذين بهت اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بعد الفتح فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا فلم يحسنوا أن يقولوا أسلنا فأمر خالد بقتلهم وقتل من أسر منهم فخالفه عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر وغيرها فاختصم خالد وعبد الرحمن بسبب ذلك والذى فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لا تسبوا أصبحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » وروى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث ابن وهب أخبرنا هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية حتى إذا كنا بعسفان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » فقلنا من هم يارسول الله أقرش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن هم أرق أفئدة والين قابوا » قلنا هذا أهم خير منا يارسول الله ؟ قال : « لو كانت لأحدهم جبل من ذهب فأنفقه ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفة إلا أن هذا فضل ما بيننا وبين الناس (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) وهذا الحديث غريب بهذا السياق والذى فى الصحيحين من رواية جماعة عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد ذكر الخوارج : تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم يبرقون من الدين كما يبرق السهم من الرمية . الحديث ولكن روى ابن جرير هذا الحديث من وجه آخر فقال حدثنى ابن البرقي حدثنا ابن أبي مريم أخبرنا محمد بن جعفر أخبرنى زيد بن أسلم عن أبي سعيد الخدري عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يوشك أن يأتى قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم » قلنا من هم يارسول الله أقرش ؟ قال « لا ولكن أهل اليمن لأنهم أرق أفئدة والين قابوا » وأشار بيده إلى اليمن فقال « هم أهل اليمن ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية » قلنا يارسول الله هم خير منا ؟ قال : « والذى نفسى بيده لو كان لأحدهم جبل من ذهب ينفقه ما أدى مد أحدكم ولا نصيفه » ثم جمع أصابعه ومد خنصره وقال « ألا إن هذا فضل ما بيننا وبين الناس لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير » فهذا السياق ليس فيه ذكر الحديبية فإن كان ذلك محفوظاً كما تقدم فيجتملى أنه أنزل قبل الفتح إخباراً عما بعده كما فى قوله تعالى فى سورة الزمل وهى مكية من أوائل ما نزل (وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) الآية فهى بشارة بما يستقبل وهكذا هذه والله أعلم . وقوله تعالى (وكلا وعد الله الحسنى) يعنى المنفقين قبل الفتح

وبعد كلهم لهم ثواب على ما عملوا وإن كان بينهم تفاوت في تفاضل الجزاء كما قال تعالى (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدین درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدین أجرا عظيما) وهكذا الحديث الذي في الصحيح « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » وإنما به هذا لئلا يهدر جانب الآخر بمذبح الأول : دون الآخر فيتوهم عندهم ذمه فلنهدا عطف بمذبح الآخر والثناء عليه مع تفضيل الأول عليه ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون خبير) أى فلخبرته فأتى بين ثواب من أنفق من قبل الفتح وقائل ومن فعل ذلك بعد ذلك ، وما ذاك إلا لعله بقصد الأول وإخلاصه التام وانفاقه في حال الجهد والقلة والضيق ، وفي الحديث « سبق درهم مائة ألف » ولا شك عند أهل الإيمان أن الصديق أبأ بكر رضى الله عنه له الحظ الأوفر من هذه الآية فإنه سيد من عمل بها من سائر أمم الأنبياء فإنه أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله عز وجل ولم يكن لأحد عنده نعمة يجزيه بها . وقد قال أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى عند تفسير هذه الآية : أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أخبرنا أبو إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أخبرنا عبد الله ابن حامد بن محمد أخبرنا أحمد بن إسحق بن أيوب أخبرنا محمد بن يونس حدثنا العلاء بن عمرو الشيباني حدثنا أبو إسحق الفزاري حدثنا سفيان بن سعيد عن آدم بن علي عن ابن عمر قال كنت عند النبي ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد دخلها في صدره بخلال فزال جبريل فقال ما لي أرى أبأ بكر عليه عباءة قد دخلها في صدره بخلال ؟ فقال « أنفق ماله على قبل الفتح » قال فان الله يقول : اقرأ عليه السلام وقل له أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ؟ فقال رسول الله ﷺ « يا أبأ بكر إن الله يقرأ عليك السلام ويقول لك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط ؟ » فقال أبو بكر رضى الله عنه : أسخط على ربي عز وجل ؟ إنى عن ربي راض . هذا الحديث ضعيف الإسناد من هذا الوجه والله أعلم وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا) قال عمر بن الخطاب هو الانفاق في سبيل الله ، وقيل هو النفقة على العيال ، والصحيح أنه أعم من ذلك فكل من أنفق في سبيل الله بنية خالصة وعزيمة صادقة دخل في عموم هذه الآية ولهذا قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) كما قال في الآية الأخرى (أضعافا كثيرة وله أجر كريم) أى جزاء جميل ورزق باهر وهو الجنة يوم القيامة

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خالف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبيد الله بن الحارث عن عبيد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) قال أبو الدحداح الأنصاري يا رسول الله وإن الله ليريد منا القرض ؟ قال « نعم يا أبأ الدحداح » قال أرني يدك يا رسول الله قال فناوله يده قال فاني قد أقرضت ربي حائطي وله حائط فيه ستائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فنادها يا أم الدحداح قالت ليك قال اخرجى فقد أقرضته ربي عز وجل ، وفي رواية أنها قالت له ربح بيعك يا أبأ الدحداح وتقلت منه متاعها وصبيانها وإن رسول الله ﷺ قال « كم من عذق رباح في الجنة لأبأ الدحداح » وفي لفظ « رب نخلة مدلاة عروقها در ويقوت لأبأ الدحداح في الجنة »

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرُكُمُ الْيَوْمَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِ الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُنْفِقُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورَةٍ بِأَبْطِئَةٍ فِيهِ الرِّحْمَةُ وَظَهَرَ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْفُرُورُ فَأَلَيْكُمُ الْيَوْمَ أَلْيَوْمُ خُذْ مِنْكُمْ فِدْيَةً وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أُولَٰئِكَ

النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبَيْتُكُمْ أَمَّصِيرُكُمْ

يقول تعالى محبرا عن المؤمنين للتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم كما قال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى (يسعى نورهم بين أيديهم) قال على قدر أعمالهم يعمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نورا من نوره في إلهامه يتقدم مرة ويطلق مرة ، ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقال قتادة ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أربعين وصنعا فدون ذلك حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه » وقال سفيان الثوري عن حصين عن مجاهد عن جندب بن أمية قال إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسماكم وحلائكم ونجواكم ومجالسكم فإذا كان يوم القيامة قيل يا فلان هذا نورك يا فلان لا نور لك وقرأ (يسعى نورهم بين أيديهم) وقال الضحاك ليس أحد إلا يعطى نورا يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراط طفي نور المنافقين فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفي نور المنافقين فقالوا ربنا أتم لنا نورنا ، وقال الحسن (يسعى نورهم بين أيديهم) يعنى على الصراط . وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا أبو عبيد الله بن أخى ابن وهب أخبرنا عمى عن يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن مسعود أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي ﷺ قال « أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي فأعرف أمي من بين الأمم » فقال له رجل يا نبي الله كيف تعرف أمك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمك ؟ فقال : أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيديهم وأعرفهم بسماهم في وجوههم وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم .

وقوله (وبأيديهم) قال الضحاك أى وبأيديهم كتبهم كما قال (فن أوتى كتابه يمينه) وقوله (بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) أى يقال لهم بشراكم اليوم جنات أى لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار (خلالين فيها) أى ما كثرن فيها أبدا (ذلك هو الفوز العظيم) وقوله (يوم يقول المنافقون والنافقات للذين آمنوا انظروا نافعنا بنوركم) وهذا أخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأحوال المزعجة . والزلازل العظيمة ، والأمر القطيعة وإنه لا ينجو يومئذ إلا من آمن بالله ورسوله وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان حدثنا ابن المبارك حدثنا صفوان بن عمرو حدثني مسلم بن عامر قال خرجنا على جنازة في باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها قال أبو أمامة : أيها الناس إنكم قد أصبتم وأمسيتم في منزل تفتسمون فيه الحسنات والسيئات ، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا - يشير إلى القبر - بيت الوحدة وبيت الظلمة وبيت الدود وبيت الضيق إلا ما وسع الله ، ثم تنتقلون منه إلى موطن يوم القيامة فانكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله فتبيض وجوه وتسود وجوه ، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فيغشى الناس ظلمة شديدة ، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن ، نورا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا ، وهو المثل الذي ضربه الله تعالى في كتابه فقال (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فإله له نور) فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير ، ويقول المنافقون والنافقات للذين آمنوا (انظروا نافعنا بنوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) وهى خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال (يخادعون الله وهو خادعهم) فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئا فينصرفون إليهم وقد ضرب بينهم بسور له باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) الآية يقول مسلم بن عامر فما يزال المنافق مفترا حتى يقسم النور ويميز الله بين النافق والمؤمن ثم قال حدثنا أبي حدثنا يحيى بن عثمان حدثنا ابن حيوة حدثنا اوطاة بن المنذر حدثنا يوسف بن الحجاج

عن أبي أمامة قال يبعث الله ظامة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم فيتبعهم المنافقون فيقولون (انظرونا نقبس من نوركم) وقال العوفي والضحاك وغيرهما عن ابن عباس بينما الناس في ظامة إذ بعث الله نورا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه وكان النور دليلا من الله إلى الجنة ، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم فأظلم الله على المنافقين فقالوا حينئذ (انظرونا نقبس من نوركم) فإنا كنا معكم في الدنيا قال المؤمنون (ارجعوا وراءكم) من حيث جئتم من الظامة فالتمسوا هنالك النور وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسن بن عرفة بن عاوية العطار حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار حدثنا إسحاق بن بشر بن حذيفة حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده ، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطى كل مؤمن نورا وكل منافق نورا فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون انظرونا نقبس من نوركم وقال المؤمنون ربنا أتم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا »

وقوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) قال الحسن وقتادة هو حائط بين الجنة والنار ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو الذي قال الله تعالى (وبينهما حجاب) وهكذا روى عن مجاهد رحمه الله وغير واحد وهو الصحيح (باطنه فيه الرحمة) أي الجنة وما فيها (وظاهره من قبله العذاب) أي النار قاله قتادة وابن زيد وغيرهما ، قال ابن جرير وقد قيل إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم . ثم قال حدثنا ابن البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن سعيد بن عطية بن قيس عن أبي العوام مؤذن بيت المقدس قال سمعت عبد الله بن عمرو يقول إن السور الذي ذكره الله في القرآن (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) هو السور الشرقي باطنه المسجد وما يليه وظاهره وادي جهنم . ثم روى عن عبادة بن الصامت وكعب الأحبار وعلى بن الحسين وزين العابدين نحو ذلك ، وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالا لذلك لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم فإن الجنة في السموات في أعلى عليين والنار في الدركات أسفل سافلين ، وقول كعب الأحبار إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد فهذا من إسرائيلياته وترهاته ، وإنما المراد بذلك سور يضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه فإذا استكموا دخلوهم أغلق الباب وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظامة والعذاب كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة (ينادونهم ألم نكن معكم أي ينادى المنافقون المؤمنين أما كنا معكم في الدار الدنيا نشهد معكم الجمعات ونصلي معكم الجماعات ، ونقف معكم بعرفات ، ونحضر معكم الغزوات ونؤدى معكم سائر الواجبات ؟) (قالوا بلى) أي فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين بلى قد كنتم معنا (ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني) قال بعض السلف أي فتنتم أنفسكم بالآفات والمأصي والشهوات وتربصتم أي أخرتم التوبة من وقت إلى وقت . وقال قتادة (تربصتم) بالحق وأهله (وارتبتم) أي بالبعث بعد الموت (وغرتكم الأماني) أي قلتم سيغفر لنا وقيل غرتكم الدنيا (حتى جاء أمر الله) أي ما زلتم في هذا حتى جاءكم الموت (وغركم بالله الغرور) أي الشيطان ، قال قتادة كانوا على خدعة من الشيطان والله ما زالوا عليها حتى قدفهم الله في النار : ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين انكم كنتم معنا أي بأبدان لانية لها ولا قلوب معها وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراءون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلا ، قال مجاهد كان المنافقون مع المؤمنين أحياء ينادونهم وينشونهم ويعاشرهم وكانوا معهم أمواتا ويعطون النور جميعا يوم القيامة ، ويظلم النور من المنافقين إذا بلغوا السور ويمار بينهم حينئذ . وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله تعالى به عنهم حيث يقول وهو أصدق القائلين (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين * ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب

يوم الدين * حتى آتانا اليقين) فهذا إخراجهم منهم على وجه التبريع لهم والتوبيخ . ثم قال تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) كما قال ههنا (فالיום لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) أي لوجاء أحدكم اليوم بلاء الأرض ذهباً ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله ما قبل منه وقوله تعالى (مأواكم النار) أي هي مصيركم وإليها منقلبكم ، وقوله تعالى (هي مولاكم) أي هي أولى بكم من كل منزل على كفركم وارتيا بكم وبئس اللصير

(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ * أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

يقول تعالى أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله أي تلين عند الذكر وللوعدة وسماع القرآن فتفهمه وتتقاد له وتسمع له وتطيعه . قال عبد الله بن المبارك حدثنا صالح المري عن قتادة عن ابن عباس أنه قال : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن فقال (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) الآية رواه ابن أبي حاتم عن الحسن بن محمد بن الصباح عن حسين الروزي عن ابن المبارك به . ثم قال هو ومسلم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن هلال يعني الليث عن عون بن عبد الله عن أبيه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) الآية إلا أربع سنين كذا رواه مسلم في آخر الكتاب ، وأخرجه النسائي عند تفسير هذه الآية عن هارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب به . وقد رواه ابن ماجه من حديث موسى بن يعقوب الزمعي عن أبي حازم عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه مثله فجعله من مسند ابن الزبير لكن رواه البزار في مسنده من طريق موسى بن يعقوب عن أبي حازم عن عامر عن ابن الزبير عن ابن مسعود فذكره وقال سفيان الثوري عن المسعودي عن القاسم قال مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص) قال ثم ماوا ملة فقالوا حدثنا يارسول الله فأنزل الله تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) وقال قتادة (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ) ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله ﷺ قال « إن أول ما يرفع من الناس الخشوع » . وقوله تعالى (ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم) نهي الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالذين حملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى لما تطاول عليهم الأمد بدلوا كتاب الله الذي بأيديهم واشتروا به تمنا قليلا ونبدوه وراء ظهورهم وأقبلوا على الآراء المختلفة والأقوال المتنوعة ، وقلدوا الرجال في دين الله واتخذوا أحوالهم ورهبانهم أربابا من دون الله فعند ذلك قست قلوبهم فلا يقبلون موعظة ولا تلين قلوبهم بوعد ولا وعيد (وكثير منهم فاسقون) أي في الأعمال فقلوبهم فاسدة وأعمالهم باطلة كما قال تعالى (فما تقضهم ميتاقتهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به) أي فسدت قلوبهم فقست وصار من سمعيتهم محريف الكلم عن مواضعه وتركوا الأعمال التي أمروا بها وارتكبوا ما نهوا عنه ولهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا شهاب بن خراش حدثنا حجاج بن دينار عن منصور ابن المعتمر عن الربيع بن أبي عميلة الفزاري قال حدثنا عبد الله بن مسعود حدثنا ما سمعت أعجب إلى منه إلا شيئا من كتاب الله أو شيئا قاله النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم اخترعوا كتابا من عندهم استهوت قلوبهم واستحلته ألسنتهم واستلذته وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شعواتهم

فقالوا تعالوا ندع بني إسرائيل إلى كتابنا. هذا فمن تابعتنا عليه تركناه ومن كره أن يتابعنا قتلناه ففعلوا ذلك وكان فيهم رجل فقيه فلما رأى ما يصنعون عهده إلى ما يعرف من كتاب الله فكتبه في شيء لطيف ثم أدرجه فجعله في قرن ثم علق ذلك القرن في عنقه فلما أكرهوا القتل قال بعضهم لبعض يا هؤلاء إنكم قد أفشيتم القتل في بني إسرائيل فادعوا فلانا فاعرضوا عليه كتابكم فانه إن تابعكم فسيتابكم بقية الناس وإن أبى فاقتلوه ، فدعوا فلانا ذلك الفقيه فقالوا أتؤمن بما في كتابنا هذا ؟ قال وما فيه ؟ اعرضوه على فعرضوه عليه إلى آخره ثم قالوا أتؤمن بهذا ؟ قال نعم آمنت بما في هذا وأشار بيده إلى القرن فتركوه فلما مات فقتلوه فوجدوه معلقا ذلك القرن فوجدوا فيه ما يعرف من كتاب الله فقال بعضهم لبعض يا هؤلاء ما كنا نسمع بهذا أصابه فتنة فافترقت بنو إسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وخير مللهم ملة أصحاب ذى القرن « قال ابن مسعود وإنكم أوشك بكم إن بقيتم أوبق من بقي منكم أن تروا أموراً تنكرونها لا تشتهيونها لها غيرا فبحسب الرء منكم أن يعلم الله من قلبه أنه لها كاره . وروى أبو جعفر الطبري حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن أبي معشر عن إبراهيم قال جاء عتريس بن عرقوب إلى ابن مسعود فقال يا أبا عبد الله هلك من لم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر فقال عبد الله هلك من لم يعرف قلبه معروفا ولم يشكر قلبه منكرا ، إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد وقست قلوبهم اخترعوا كتابا من بين أيديهم وأرجلهم استهوتهم قلوبهم واستحلته ألسنتهم وقالوا نعرض بني إسرائيل على هذا الكتاب فمن آمن به تركناه ، ومن كفر به قتلناه قال فجعل رجل منهم كتاب الله في قرن ثم جعل القرن بين ثنوديه فلما قيل له أتؤمن بهذا ؟ قال آمنت به ويوحى إلى القرن بين ثنوديه ، ومالى لا أؤمن بهذا الكتاب ؟ فمن خير مللهم اليوم ملة صاحب القرن . وقوله تعالى (اعلموا أن الله يحى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون) فيه إشارة إلى أن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ويهذى الحيارى بعد ضلتها ويفرج الكرب بعد شدتها فكما يحيى الأرض الميتة المجردة الهامدة بالغيث الهتان الواابل كذلك يهذى القلوب القاسية يراهم القرآن والدلائل ويولج إليها النور بعد أن كانت مغلقة لا يصل إليها الواصل ، فسبحان الهادى لمن يشاء بعد الضلال ، والضل لمن أراد بعد الكمال ، الذى هو لما يشاء فعال ، وهو الحكيم العدل فى جميع القفال ، اللطيف الخبير الكبير المتعال

﴿ إِنَّ الْمُسْدِقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَعْفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾

يخبر تعالى عما يشيب به المصدقين والمصدقات بأموالهم على أهل الحاجة والفقر والمسكنة (وأقرضوا الله قرضا حسنا أى دفعوه بنية خالصة ابتغاء مرضاة الله لا يريدون جزاء ممن أعطوه ولا شكورا ولهذا قال (يضاعف لهم) أى يقابل لهم الحسنة بعشر أمثالها ويزاد على ذلك إلى سبعمائة ضعف وفوق ذلك (ولهم أجر كريم) أى ثواب جليل حسن ومرجع صالح ومآب كريم . وقوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) وهذا تمام الجملة ، وصف المؤمنين بالله ورسوله بأنهم صديقون ، قال العوفي عن ابن عباس قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) هذه مفصلة (والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) وقال أبو الضحى (أولئك هم الصديقون) ثم استأنف الكلام فقال (والشهداء عند ربهم) وهكذا قال مسروق والضحاك ومقاتل بن حيان وغيرهم . وقال الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود فى قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) قال هم ثلاثة أصناف : يعنى المصدقين والصديقين والشهداء ، كما قال تعالى (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) ففرق بين الصديقين والشهداء فدل على أنهما صنفان ولا شك أن

الصدوق أظنى مقاماً من الشهيد كما رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم » قال يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال « بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » اتفق البخاري ومسلم على إخراجهم من حديث مالك به ، وقال آخرون بل المراد من قوله تعالى (أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) فأخبر^(١) عن المؤمنين بالله ورسوله بأنهم صديقون وشهداء كما رواه ابن جرير عن مجاهد ثم قال ابن جرير حدثني صالح بن حرب أبو معمر حدثنا إسماعيل بن يحيى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « مؤمنو أمي شهداء » قال ثم تلا النبي ﷺ هذه الآية (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) هذا حديث غريب . . وقال أبو إسحاق عن عمرو بن ميمون في قوله تعالى (والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) قال يحيون يوم القيامة معاً كالأصبعين . وقوله تعالى (والشهداء عند ربهم) أي في جنات النعيم كما جاء في الصحيحين « إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربك اطلاعاً فقال ماذا تريدون ؟ فقالوا نحب أن تردنا إلى الدار الدنيا فنقاتل فيك فنقتل كما قتلنا أول مرة فقال إني قد قضيت أمهم إليها لا يرجعون » : وقوله تعالى (لهم أجرهم ونورهم) أي لهم عند الله أجر جزيل ونور عظيم يسمى بين أيديهم وهم في ذلك يتقانون بحسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال كما قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن أبي يزيد الخولاني قال سمعت فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله فقتل فذاك الذي ينظر الناس إليه هكذا » ورفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلنسوة عمر « والثاني مؤمن لقي العدو فكانما يضرب ظهره بشوك الطلح جاءه سهم غرب فقتله فذاك في الدرجة الثانية ، والثالث رجل مؤمن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الثالثة ، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافاً كثيراً لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذاك في الدرجة الرابعة » وهكذا رواه علي بن المديني عن أبي داود الطيالسي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة ، وقال هذا إسناد مصري صالح ، ورواه الترمذي من حديث ابن لهيعة وقال حسن غريب ، وقوله تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) ما ذكر السعداء وما لهم عطف بذكر الأشقياء وبين حالهم

﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهيجُ فَتَهْلِكُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَتَعْفِيرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ * سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى موهنا أمر الحياة الدنيا ومحقرها لها (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد) أي إنما حاصل أمرها عند أهلها هذا ، كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من ذهب والفضة والحيل المسومة والأنعام والحراث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب) ثم ضرب تعالى مثل الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ونعمة زائلة فقال (كمثل غيث) وهو المطر الذي يأتي

(١) قوله : فأخبر ، هكذا في النسخ ولعل في العبارة تحريفاً . والصواب الإخبار ، أو أن يخبر .

بعد قنوط الناس كما قال تعالى (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا)
 وقوله تعالى (أعجب الكفار نباته) أى يعجب الزراع نبات ذلك الزرع الذى نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ذلك كذلك
 تعجب الحياة الدنيا الكفار فانهم أحرص شئ عليها وأميل الناس إليها (ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما) أى
 يهيج ذلك الزرع فتراه مصفرا بعد ما كان خضرا نضرا ثم يكون بعد ذلك كله حطاما أى يصير يديسا متحطما هكذا
 الحياة الدنيا تسكون أو لا شابة ثم تكهل ثم تسكون عجوزا شوهاء ، والإنسان يكون كذلك فى أول عمره وعنفوان
 شبابه غضا طريالين الأعطاف ، بهى النظر ثم إنه يشرع فى السكولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ثم يكبر فيصير شيخا
 كبيرا ضعيفا القوى ، قليل الحركة يعجزه الشئ اليسير كما قال تعالى (الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف
 قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) ولما كان هذا المثل دالا على زوال الدنيا وانقضاءها
 وفراغها لا محالة وأن الآخرة كائنة لا محالة حذر من أمرها ورغب فيها من الخير فقال (وفى الآخرة عذاب شديد
 ومغفرة من الله ورضوان * وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى وليس فى الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا :
 إما عذاب شديد ، وإما مغفرة من الله ورضوان . وقوله تعالى (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) أى هى متاع فان غار لمن
 ركن إليه فانه يغتر بها وتمجبه حتى يعتقد أنه لا دار سواها ولا معاد وراءها وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة .
 قال ابن جرير حدثنا على بن حرب الموصلى حدثنا الحارثى حدثنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم « موضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها ، اقرءوا (وما الحياة الدنيا إلا
 متاع الغرور) » وهذا الحديث ثابت فى الصحيح بدون هذه الزيادة والله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير
 ووكيع كلاهما عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « لاجنة أقرب إلى أحدكم من شرك
 نعله والنار مثل ذلك » انفرد بإخراجه البخارى فى الرقاق من حديث الثورى عن الأعمش به . وفى هذا الحديث دليل
 على اقتراب الخير والشر من الإنسان ، وإذا كان الأمر كذلك فلهذا حثه الله تعالى على المبادرة إلى الخيرات من فعل
 الطاعات وترك المحرمات التى تسكر عنه الذنوب والزلات وتحصل له الثواب والدرجات فقال تعالى (سابقوا إلى مغفرة
 من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) والمراد جنس السماء والأرض كما قال تعالى فى الآية الأخرى
 (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين) وقال ههنا (أعدت للذين آمنوا
 بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) أى هذا الذى أهلهم الله له هو من فضله ومنه
 عليهم وإحسانه إليهم كما قدمنا فى الصحيح أن فقراء المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور
 بالدرجات العلى والنعيم المقيم قال « وما ذاك . » قالوا يصاون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا تنصدق
 ويعتقون ولا نعتق قال « أفلا أدلكم على شئ إذا فعلتموه سبقتكم من بهدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من
 صنع مثل ما صنعتهم . تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين » قال فرجعوا فقالوا سمعنا وأطعنا
 أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله ﷺ « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء »

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ
 عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لَّكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ *
 الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

يخبر تعالى عن قدره السابق فى خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم)
 أى فى الآفاق وفى نفوسكم (إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها) أى من قبل أن نخلق الخليفة ونبرأ النعمة وقال بعضهم
 من قبل أن نبرأها عائد على النفوس وقيل عائد على المصيبة والأحسن عوده على الخليفة والبرية لدلالة الكلام عليها

كما قال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن قال كنت جالسا مع الحسن فقال رجل سله عن قوله تعالى (ما اصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) فسألته عنها فقال سبحانه الله ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النعمة وقال قتادة ما اصاب من مصيبة في الأرض قال هي السنون يعني الجذب (ولا في أنفسكم) يقول الأوجاع والأمراض ، قال وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم ولا خلعان عرق إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر . وهذه الآية الكريمة العظيمة من أدل دليل على القدرة نفاة العلم السابق - فبحمهم الله - وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة وابن لهيعة قال أخبرنا أبو هانيء الحلواني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحلبي يقول سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة » . ورواه مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن زيد ثلاثهم عن أبي هانيء به وزاد ابن وهب « وكان عرشه على الماء » ورواه الترمذي وقال حسن صحيح وقوله تعالى (إن ذلك على الله يسير) أي أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها سهل على الله عز وجل لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون وقوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) أي أعلمناكم بتقدم علمنا وسبق كتابتنا للأشياء قبل كونها وتقديرنا للكائنات قبل وجودها لتعلموا أن ما أصابكم لم يكن ليخطئكم وما أخطأكم لم يكن ليصيبكم فلا تأسوا على ما فاتكم لأنه لو قدر شيء لكان (ولا تفرحوا بما آتاكم) أي جاءكم ، وتفسير آتاكم أي أعطاكم وكلاهما متلازم أي لا تفخروا على الناس بما أنعم الله به عليكم فان ذلك ليس بسميكم ولا كدكم وإنما هو عن قدر الله ورزقه لكم فلا تتخذوا نعم الله أشرا وبطرا تفخرون بها على الناس ، ولهذا قال تعالى (والله لا يحب كل مختال فخور) أي مختال في نفسه متكبر فخور أي على غيره وقال عكرمة ليس أحد إلا وهو يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا . ثم قال تعالى (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) أي يفعلون المنكر ويحضون الناس عليه (ومن يتول) أي عن أمر الله وطاعته (فان الله هو الغني الحميد) كما قال موسى عليه السلام (إن تكفروا أتم ومن في الأرض جميعا فان الله لغني حميد) .

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾

يقول تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) أي بالمعجزات ، والحجج الباهرات ، والدلائل القاطعات (وأنزلنا معهم الكتاب) وهو النقل الصدق (واليزان) وهو العدل قاله مجاهد وقتادة وغيرهما وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة كما قال تعالى (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) وقال تعالى (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وقال تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان) ولهذا قال في هذه الآية (ليقوم الناس بالقسط) أي بالحق والعدل وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به فان الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق كما قال (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) أي صدقا في الاخبار وعدلا في الأوامر والنواهي ولهذا يقول المؤمنون إذا تبوؤا غرف الجنات ، والمنازل العاليات ، والسمر المصفوفات (الحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق) . وقوله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) أي وجعلنا الحديد رادعا لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المسكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبيّنات ودلالات ، فلما قامت الحجة على من خالف شرع الله المحجزة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن

وكذب به وعانده . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي النيب الجرشي الشامي عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رحى ، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم » ولهذا قال تعالى (فيه بأس شديد) يعنى السلاح كالسيوف والحراب والسنان والنصال والدروع ونحوها (ومنافع للناس) أى فى معاشهم كالسكة والفاس والقودوم والنفار والإزميل والحرفة والآلات التى يستعان بها فى الحراثة والحياكة والطبخ والحز وما لا قوام للناس بدونه وغير ذلك . قال عطاء بن أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : ثلاثة أنبياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والليعة يعنى المطرقة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم . وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) أى من نيته فى حمل السلاح نصرته الله ورسوله (إن الله قوى عزيز) أى هو قوى عزيز ينصر من نصره من غير احتياج منه إلى الناس وإنما شرع الجهاد ليلابو بعضهم ببعض

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ * ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَسِقُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ولا نبيا إلا من ذريته وكذلك إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن لم ينزل من السماء كتابا ولا أرسل رسولا ولا أوحى إلى بشر من بعده إلا وهو من سلالة كما قال تعالى فى الآية الأخرى (وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب) حتى كان آخر أنبياء بنى إسرائيل عيسى بن مريم الذى بشر من بعده بمحمد صلوات الله وسلامه عليهما ولهذا قال تعالى (ثم قفينا على آثارهم برسلا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل) وهو الكتاب الذى أوحاه الله إليه (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه) وهم الحواريون (رافة) أى رقة وهى الحشية (ورحمة) بالخلق ، وقوله (ورهبانية ابتدعوها) أى ابتدعها أمة النصارى (ما كتبناها عليهم) أى ما شرعناها وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم . وقوله تعالى (إلا ابتغاء رضوان الله) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ أنهم قصدوا بذلك رضوان الله ، قاله سعيد بن جبير وقتادة ﴿ والآخر ﴾ ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله ؟ وقوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) أى فما قاموا بما التزموه حق القيام ، وهذا ذم لهم من وجوب ﴿ أحدهما ﴾ الابتداع فى دين الله ما لم يأمر به الله ﴿ والثانى ﴾ فى عدم قيامهم بما التزموه بما زعموا أنه قربة يقرهم إلى الله عز وجل . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا إسحاق بن أبي حمزة أبو يعقوب الرازى حدثنا السرى بن عبد ربه حدثنا بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه عن جده ابن مسعود قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا ابن مسعود » قلت لبيك يا رسول الله قال « هل علمت أن بنى إسرائيل افترقوا على اثنين وسبعين فرقة ؟ لم ينجم منها إلا ثلاث فرق قامت بين الملوك والجبارة بعد عيسى بن مريم عليه السلام فدعت إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقاتلت الجبارة فقتلت فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم تكن لها قوة بالقتال فقامت بين الملوك والجبارة فدعوا إلى دين الله ودين عيسى بن مريم فقتلت وقطعت بالناشير وحرقت بالنيران فصبرت ونجت ، ثم قامت طائفة أخرى لم يكن لها قوة بالقتال ولم تعطى القيام بالقسط فاجتقت بالجلال فتعبدت وترهبت وهم الذين ذكر الله تعالى (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) »

وقد رواه ابن جرير بلفظ آخر من طريق أخرى فقال حدثنا يحيى بن أبى طالب حدثنا داود بن المخبر حدثنا الصعق

ابن حزن حدثنا عقيل الحمدي عن أبي إسحاق الحمدي عن سويد بن غفلة عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «
 اختلف من كان قبلنا على ثلاث وسبعين فرقة نجا منهم ثلاث وهاك سائرهم» وذكر نحو ما تقدم وفيه «
 فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم» هم الذين آمنوا بصدقة فاسقون (وكثير منهم فاسقون) وهم الذين كذبوني وخالفوني «
 ولا يقدر في هذه المتابعة لحال داود بن الحبر فانه أحد الوضعين للحديث ولكن قد أسنده أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن الصعق
 ابن حزن به مثل ذلك فقوى الحديث من هذا الوجه وقال ابن جرير وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له أخبرنا الحسين
 ابن حريث حدثنا الفضل بن موسى عن سفيان بن سعيد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي
 الله عنهما قال كان ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلت التوراة والإنجيل فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل
 قليل ملوكهم ما نجد شيئا أشد من شتم يشتمونه هؤلاء إنهم يقرءون (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)
 هذه الآيات مع ما يعيونا به من أعمالنا في قراءتهم فادعهم فليقرأوا كما قرأوا وليؤمنوا كما آمنوا ، فدعاهم فجمعهم وعرض
 عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون إلى ذلك دعونا فقلت طائفة منهم ابنوا
 لنا أسطوانات ثم ارفعونا إليها ثم أعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الأرض
 ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في أرضكم فاقبلونا ، وقالت طائفة ابنوا لنا دورا في الفياض ونختفر
 الأكابر ونحرق البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ففعلوا ذلك فأمر الله تعالى
 (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) والآخرين قالوا نتعبد كما تعبد
 فلان ونسيح كما ساج فلان وتتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث الله
 النبي صلى الله عليه وسلم دأب يبق منهم إلا القليل انحط منهم رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدبر
 من دبره فآمنوا به وصدقوه فقال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته)
 أجرين بإيمانهم بعيسى بن مريم ونصب أنفسهم والتوراة والإنجيل وبإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم
 قال (وجعل لكم نورا تمشون به) القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يعلم أهل الكتاب) الذين
 يتشبهون بكم (أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) هذا
 السياق فيه غرابة وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا والله أعلم.

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أحمد بن عيسى حدثنا عبد الله بن وهب حدثني سعيد بن عبد الرحمن بن أبي العمياء
 أن سهل بن أبي أمامة حدثه أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك بالمدينة زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير وهو
 يصلي صلاة خفيفة وقعة كأنها صلاة مسافر أو قريبا منها فلما سلم قال يرحمك الله أرايت هذه الصلاة المكتوبة أم شيء
 تنقلته ؟ قال إنها المكتوبة وإنها صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخطأت إلا شيئا سهوت عنه أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم كان يقول « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم فان قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم
 فذلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » ثم غدوا من الغد فقالوا نركب فننظر ونعتبر
 قال نعم فركبوا جميعا فإذا هم بديار قفر قد باد أهلها وانقرضوا وفنوا خاوية على عروشها فقالوا أنعرف هذه الديار ؟
 قال ما أعرفني بها وبأهلها هؤلاء أهل الديار أهلكم البغي والحسد إن الحسد يطفىء نور الحسنات والبغي يصدق
 ذلك أو يكذبه والعين تزني والكف والقدم والجسد واللسان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه . وقال الإمام أحمد
 حدثنا معمر حدثنا عبد الله أخبرنا سفيان عن زيد العمى عن أبي إياس عن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم
 وسلم قال « لكل نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله عز وجل » ورواه الحافظ أبو يعلى عن
 عبد الله بن محمد بن أسماء عن عبد الله بن المبارك به ولفظه « لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل
 الله » . وقال الإمام أحمد حدثنا حسين - هو ابن محمد - حدثنا عياش يعني إسماعيل عن الحجاج بن هارون الكلاعي
 وعقيل بن مدرك السامي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاءه فقال أوصني فقال سألت عما سألت عنه

رسول الله ﷺ من قبلك أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض . تفرد به أحمد والله تعالى أعلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَّا يَلْمِ أَهْلُ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَلَا يَتَّبِعُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

قد تقدم في رواية النسائي عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمنى أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما في الآية التي في القصص وكما في حديث الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » أخرجه في الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبي حكيم وغيرهما وهو اختيار ابن جرير ، وقال سعيد ابن جبير لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية في حق هذه الأمة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين (أى صنفين) (من رحمته) وزادهم (ويجعل لكم نوراً تمشون به) يعنى هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم ، ففضلهم بالنور والغفرة رواه ابن جرير عنه . وهذه الآية كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) وقال سعيد بن عبد العزيز سألت عمر بن الخطاب حبراً من أحبار يهود أفضل ماضف لكم حسنة قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل (يؤتكم كفاين من رحمته) قال سعيد والكفان في الجمعة مثل ذلك رواه ابن جرير . ومما يؤيد هذا القول ما رواه الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل نملًا فقال من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود ، ثم قال من يعمل لي من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى ، ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم ، فضغت النصارى واليهود وقالوا نحن أكرم عملًا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من أجركم شيئاً ؟ قالوا لا ، قال فأنما هو فضلى أوتيته من أشاء » قال أحمد وحدثناه مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحوه حديث نافع عنه انفرد بإخراجه البخارى فرواه عن سليمان بن حرب عن حماد عن نافع به ، وعن قتبية عن الليث عن نافع بمثله . وقال البخارى حدثني محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قومًا يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا في أجرك الذى شرطت لنا وماعملنا باطل فقال لهم لا تفعلوا أكلوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال أكلوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر . قالوا ماعملنا باطل ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه . فقال أكلوا بقية عملكم فأنما بقى من النهار شيء يسير فأبوا . فاستأجر قومًا أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور » انفرد به البخارى ولهذا قال تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله) أى ليتحققوا أنهم لا يقدرُونَ على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء مامنع الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) والله ذو الفضل العظيم) قال ابن جرير (لئلا يعلم أهل الكتاب) أى ليعلم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها لى يعلم

وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير : قال ابن جرير لأن العرب تجعل لاصلة في كل كلام دخل في أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله (مامنك ألا تسجد) (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) بالله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) آخر تفسير سورة الحديد والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المجادلة مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَ كَمَا إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

قال الإمام علي أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تسكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) إلى آخر الآية وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقاً فقال وقال الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به . وفي رواية لابن أبي حاتم عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة أنها قالت تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول يا رسول الله أكل مالي وأفنى شبابي وثرت له بطني حتى إذا كبرت سني واطقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك قالت فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) قالت وزوجها أوس بن الصامت ، وقال ابن طبيعة عن أبي الأسود عن عروة عن أوس بن الصامت وكان أوس امرأة به لم فكان إذا أخذته لمة واشتد به يظهر من امرأته وإذا ذهب لم يقل شيئاً فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه في ذلك وتشتكي إلى الله فأنزل الله (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله) الآية وهكذا روى هشام بن عروة عن أبيه أن رجلاً كان به لم فذكر مثله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة حدثنا جرير يعني ابن حازم قال سمعت أبا يزيد يحدث قال أتيت امرأة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا أمير المؤمنين حبست رجلات قريش على هذه العجوز قال ويحك وتدرى من هذه ؟ قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضى حاجتها إلا أن تخضر صلاة فأصلها ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها . هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روى من غير هذا الوجه . وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى حدثنا زكريا عن عامر قال المرأة التي جادلت في زوجها خولة بنت الصامت وأمها معاذة التي أنزل الله فيها (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً) صوابه خولة امرأة أوس بن الصامت

﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنَ أَهْلُهُمْ إِلَّا الَّذِينَ وَلَدَتْهُمْ وَأَهْلُهُمْ لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكُمْ يُوعْظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ

قال الإمام أحمد حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قال حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ماء خلقه قالت فدخل على يوماً فراجعته بشيء فغضب فقال أنت على كظيهر أُمي . قالت ثم خرج فجلس في نادى قومته ساعة ثم دخل على فإذا هو يريدني عن نفسي قالت قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا أخلص إلى وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت فوائتني فامتعت منه فغلبيت بما تطلب به المرأة الشيخ الضعيف فألفيته عنى قالت ثم خرجت إلى بعض جارائي فاستعرت منها ثياباً ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له ما قلت منه وجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتق الله فيه » قالت فوالله ما برحت حتى نزل في قرآن ، فتمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يتمشاه ثم سرى عنه فقال لي « يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآناً - ثم قرأ على - قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير - إلى قوله تعالى - والكاافرين عذاب أليم) » قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « مريه فليعتق رقبة » قالت فقلت يارسول ما عنده ما يعتق قال « فليصم شهرين متتابعين » قالت فقلت والله إنه لشيخ كبير ما به من صيام قال « فليطعمهم ستين مسكيناً وسقاً من تمر » قالت فقلت والله يارسول الله ما ذاك عنده قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فانا سنعينه بفرق من تمر » قالت فقلت يارسول الله وأنا سأعنه بفرق آخر قال « قد أصبت وأحسن فتصدقى به عنه ثم استوصى بآبن عمك خيراً » قالت ففعلت . ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال لها خولة بنت مالك بن ثعلبة وقد تصغر فيقال خويلة ولا منافاة بين هذين الأقوال فالأمر فيها قريب والله أعلم بهذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة ، من العتق أو الصيام أو الإطعام ، كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن إسحاق بن يسار عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر الأنصاري قال كنت امرأة قد أوتيت من جماع النساء ما لم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتى حتى ينسلخ رمضان فرقا من أن أصيب في ليلتي شيئاً فأتناج في ذلك إلى أن يدركني التماس وأنا لا أقدر أن أنزع فينما هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمرى ، فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبق علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك قال فجرت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري فقال لي « أنت بذلك » فقلت أنا بذلك فقال « أنت بذلك » فقلت أنا بذلك قال « أنت بذلك » قلت نعم ها أناذا فأمض في حكم الله عز وجل فإني صابر له قال « أعتق رقبة » قال فضربت صفحة رقبتي بيدي وقات لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها قال « فصم شهرين متتابعين » قلت يارسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام قال « فتصدق » فقلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشا ما لنا عشاء قال « اذهب إلى صاحب صدقة بني رزق قل له فليدفعها إليك فأطعمك منها وسقاً من تمر ستين مسكيناً ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك » قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة قد أمر لي بصدقكم فادفعوها إلي فدفعوها إلي ، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة كما دل عليه سياق تلك وهذه بعد

التأمل قال خفيف عن مجاهد عن ابن عباس أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقاً فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أوساً ظاهر مني وأنا إن افترقنا هلكنا وقد نثرت بطنى منه وقدمت صحبتته وهي تشكو ذلك وتبكي ولم يكن جاء في ذلك شيء فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله - إلى قوله تعالى - واللكافرين عذاب أليم) فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «أتقصد على رقبة تعتقها» قال لا والله يا رسول الله ما أقدر عليها قال فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عتقه ثم راجع أهلها رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والأكثر إلى ما قلناه والله أعلم بقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) أصل الظهار مشتق من الظهر وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها أنت على كظهر أمي ثم في الشرع كان الظهار في سائر الأعضاء قياساً على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقاً فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقاً كما كانوا يعتمدونه في جاهليتهم هكذا قال غير واحد من السلف قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبي حمزة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية أنت على كظهر أمي حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس وكان تحتها ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فأسقط في يديه ، وقال ما أراك إلا قد حرمت على وقالت له مثل ذلك قال فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عند ماشطة مشط رأسه فقال «يا خويلة» ما أمرنا في أمرك بشيء ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال «يا خويلة أبشري» قالت خيراً فقرا عليها (قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما - إلى قوله تعالى - والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يماسا) قالت وأي رقبة لنا والله ما يجد رقبة غيري قال (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) قالت والله لولا أنه يشرب في اليوم ثلاث مرات لأذهب بصره قال (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً) قالت من أين ما هي إلا أكلة إلى مثلها قال فدعا بشطر وسق ثلاثين صاعاً والوسق ستون صاعاً فقال : ليطعمم ستين مسكيناً وليراجعكم . وهذا إسناد جيد قوى وسياق غريب ، وقد روى عن أبي العالية نحو هذا .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا علي بن العاصم عن دوداد بن أبي هند عن أبي العالية قال : كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار وكان ضرير البصر فقيرا سيء الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته قال أنت على كظهر أمي وكان لها منه عيل أو عيلان فنازعته يوماً في شيء فقال أنت على كظهر أمي فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت عائشة وعائشة تغسل شق رأسه فقدمت عليه ومعهما عياها فقالت يا رسول الله إن زوجي ضرير البصر فقير لا شيء له سيء الخلق وإنى نازعته في شيء فغضب فقال أنت على كظهر أمي ولم يرد به الطلاق ولي منه عيل أو عيلان فقال «ما أعلمك إلا قد حرمت عليه» فقالت أشكو إلى الله ما نزل بي وأباصبني قالت ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر فدارت معها فقالت يا رسول الله زوجي ضرير البصر فقير سيء الخلق وإنى نازعته في شيء فغضب وقال أنت على كظهر أمي ولم يرد به الطلاق قالت فرفع إلى رأسه وقال «ما أعلمك إلا قد حرمت عليه» فقالت أشكو إلى الله ما نزل بي وأباصبني قال ورأت عائشة وجه النبي صلى الله عليه وسلم تغير فقالت لها ورائك ورائك فتنحت فبكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في غشايبه ذلك ما شاء الله فلما انقطع الوحى قال يا عائشة أين الرأه فدعتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أذهبي فأتيني بزوجك» فانطلقت تسعى فجاءت به فإذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيء الخلق فقال النبي صلى الله عليه وسلم «أستعبد بالله السميع العليم) (بسم الله الرحمن الرحيم) قد سمع الله قول التي تجادل في زوجها - إلى قوله - والذين يظاهرون من نسائهم . ثم يعودون لما قالوا) قال النبي صلى الله عليه وسلم «أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها» قال لا قال «أفلا تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟» قال والذي بعثك بالحق إنى إذا لم أكل المرتين

والثلاث يكاد أن يشعرو بصري قال « أفستطيع أن أطعم ستين مسكينا ؟ » قال لا إلا أن تعينني قال فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أطعم ستين مسكينا » قال وحول الله الطلاق فجعله ظهرا ورواه ابن جرير عن ابن المثنى عن عبد الأعلى عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه بأخصر من هذا السياق ، وقال سعيد بن جبيرة كان الأيلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الأيلاء أربعة أشهر وجعل في الظهار الكفارة رواه ابن أبي حاتم بنحوه وقد استدلل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل في هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للؤمنين وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله (من نسائهم) على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل في هذا الخطاب وقوله تعالى (ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم) أي لا تصير المرأة بقول الرجل أنت عني كأمي أو مثل أمي أو كظهي أمي وما أشبه ذلك لا تصير أمه بذلك إنما أمه التي ولدتها ولهذا قال تعالى (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أي كلاما فاحشا باطلا (وإن الله لعفو غفور) أي عما كان منكم في حال الجاهلية ، وهكذا أيضا عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد إليه التكلم كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول لامرأته يا أختي فقال « أختك هي ؟ » فهذا إنكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحرمته عليه لأنه لا فرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعممة وخالة وما أشبه ذلك

وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف السلف والأئمة في المراد بقوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا) فقال بعض الناس العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود حكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والقراء وفرقة من أهل الكلام ، وقال الشافعي هو أن يمسكها بعد المظاهرة زمانا يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق ، وقال أحمد بن حنبل هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة ، وقد حكى عن مالك أنه العزم على الجماع أو الإمساك ، وعنه أنه الجماع ، وقال أبو حنيفة هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية فقي ظاهري الرجل من امرأته فقد حرمها تحريما لا يرفعه إلا الكفارة وإليه ذهب أصحابه والليث بن سعد وقال ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبيرة (ثم يعودون لما قالوا) يعني يريدون أن يعودوا في الجماع الذي حرموه على أنفسهم ، وقال الحسن البصري يعني الغشيان في الفرج وكان لا يرى بأسا أن يغشي فيما دون الفرج قبل أن يكفر ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (من قبل أن يماس) والمس المسكاح وكذا قال عطاء والزهرى وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الزهرى ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر . وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله إني ظاهرت من امرأتي فوتمت عليها قبل أن أكفر فقال « ما حملك على ذلك يرحمك الله » قال رأيت خلخالها في ضوء القمر قال « فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عز وجل » وقال الترمذي حسن غريب صحيح ورواه أبو داود والنسائي من حديث عكرمة مرسلًا قال النسائي وهو أولى بالصواب وقوله تعالى (فتحرير رقبة) أي فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يماسها فهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفي كفارة القتل مقيدة بالإيمان فحمل الشافعي رحمه الله ما أطلقهنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد في ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السامي في قصة الجارية السوداء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعتقها فانها مؤمنة » وقد رواه أحمد في مسنده ومسلم في صحيحه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن نعيم عن إسماعيل بن مسلم بن يسار عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال إني ظاهرت من امرأتي ثم وقعت عليها قبل أن أكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم يقل الله تعالى من قبل أن يماس » قال أعجبني ، قال « أمسك حتى تكفر » ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا وإسماعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفيه من الفقه أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة وقوله تعالى (ذلكم نوعظون به) أي تزجرون به (والله بما تعملون خبير) أي خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم

وقوله تعالى (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يماس ثمن لم يستطيع فاطعام ستين مسكينا) قد تقدمت الأحاديث الأمرة بهذا على الترتيب كما ثبت في الصحيحين في قصة الذي جاع امرأته في رمضان (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أي شرعنا هذا لهذا وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أي محارمه فلا تنهكوها وقوله تعالى (ولا تكافروا بعذاب الله) أي الدين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الأمر كالأموال لهم عذاب ألم أي في الدنيا والآخرة

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبِتُوا كَمَا كَبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أُنْزِلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى عن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه (كتبوا كما كبت الذين من قبلهم) أي أهينوا ولعنوا وأخزوا كما فعل من أشبههم من قبلهم (وقد أنزلنا آيات بينات) أي واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر (والكاferين عذاب مهين) أي في مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والالتقاء له والخضوع لديه

ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد (فينبئهم بما عملوا) أي فيخبرهم بالذي صنعوا من خير وشر (أحصاه الله ونسوه) أي ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا (والله على كل شيء شهيد) أي لا يغيب عنه شيء ولا يخفى ولا ينسى شيئا ، ثم قال تعالى يخبر عن إحاطة علمه بخلقهم وإطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة) أي من سر ثلاثة (إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) أي مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله سلام الغيوب) وقال تعالى (ألم يحسبون أننا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا إليهم يكذبون) ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك في إرادة ذلك ، ولكن معية أيضا مع علمه محيط بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء ، ثم قال تعالى (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم) قال الإمام أحمد افترض الآية بالعلم والحتم بها بالعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَهُمْ حَيَوكُ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَافُونَ فِيهَا الْمَصِيرُ ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَتَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (لم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) قال اليهود، وكذا قال مقاتل ابن حيان وزاد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود مودة وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فإذا رأى المؤمن ذلك خشيم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم يلتفتوا وعادوا إلى النجوى فأنزل الله تعالى (لم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثني مفيان بن حمزة عن كثير عن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال: كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدوله حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحاسبون حتى كنا أندية نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ما هذه النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟ » قلنا تبنا إلى الله يا رسول الله إنا كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟ » قلنا بلى يا رسول الله قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل مكالما كان رجل » هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء . وقوله تعالى (ويتناجون باللائم والعدوان ومعصية الرسول) أي يتحدثون فيما بينهم باللائم وهو ما يختص بهم (والعدوان) وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن مسروق عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السلام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السلام قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا الفجش » قلت ألا تسمحهم يقولون السلام عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو ما سمعت أقول وعليكم؟ » فأنزل الله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم: عليكم السلام والادام والاعنة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا » وقال ابن جرير: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيثا هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما قال؟ » قالوا سلم يا رسول الله قال « بل قال سام عليكم » أي تسامون دينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوه » فردوه عليه فقال نبي الله « أقلت سام عليكم » قال نعم فقال رسول الله ﷺ « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك » أي عليك ما قلت ، وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح وهذا الحديث في الصحيح بنحوه

وقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام وإيهام هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسره فلو كان هذا نبيا حقا لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) أي جهنم كفائتهم في الدار الآخرة (يصاونها فبئس المصير) ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عطاء ابن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سام عليكم ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول؟ فنزلت هذه الآية (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصاونها فبئس المصير (إسناد حسن ولم يخرجوه) وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه سام عليك قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصاونها فبئس المصير) ثم قال الله تعالى مؤدبا عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتهم فلا تتناجوا باللائم والعدوان ومعصية الرسول) أي كما يتناجى به الجاهلة

من كفره أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذي إليه تحشرون)
 أي فيخرجكم بجميع أعمالكم وأقوالكم التي قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها ، قال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قال أخبرنا
 همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال : كنت أخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يذني المؤمن
 فيضع عليه كنفه ويستتره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب
 كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك قال فاني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم
 يعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين »
 أخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة

ثم قال تعالى (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل
 المؤمنون) أي إنما النجوى وهي السارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءا (من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) يعني إنما
 يصدر هذا من المنافقين عن تسويل الشيطان وتزيينه (ليحزن الذين آمنوا) أي ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئا
 إلا بإذن الله ومن أحسن من ذلك شيئا فليستعد بالله وليتوكل على الله فإنه لا يضره شيء بإذن الله
 وقد وردت السنة بالنهي عن التناجى حيث يكون في ذلك تأذي على مؤمن كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع
 وأبو معاوية قالاه : حدثنا الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم
 ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه » أخرجاه من حديث الأعمش . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر
 عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه
 فإن ذلك يحزنه » انفرد بإخراجه مسلم عن أبي الربيع وأبي كامل كلاهما عن حماد بن زيد عن أيوب به

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا
 فَأَنشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى مؤدبا عباده المؤمنين وأمرهم أن يحسن بعضهم إلى بعض في المجالس (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم
 تفسحوا في المجالس) وقرئ (في المجالس) (فافسحوا يفسح الله لكم) وذلك أن الجزاء من جنس العمل كما جاء في
 الحديث الصحيح « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة » وفي الحديث الآخر « ومن يسر على معسر يسر الله
 عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » ولهذا أشباه كثيرة ولهذا قال تعالى (فافسحوا
 يفسح الله لكم) قال قتادة نزلت هذه الآية في مجالس الله كرو ذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم متعبا ضنوا بمجالسهم عند
 رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الجمعة
 وكان رسول الله ﷺ يومئذ في الصفة وفي المكان ضيق وكان بكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس
 من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حياء رسول الله ﷺ فقالوا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله
 وبركاته فرد النبي ﷺ عليهم ثم ساموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن
 يوسع لهم فعرف النبي ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم
 فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر « قم يا فلان وأنت يا فلان » فلم يزل يقيمهم بعدة نفر الذين هم
 قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر فشق ذلك على من أقام من مجلسه وعرف النبي صلى الله عليه وسلم
 السكراهة في وجوههم فقال المنافقون ألسنتم تزعمون أن صاحبكم هذا يمدك بين الناس ؟ والله ما رأينا قبل عدل على
 هؤلاء إن قوما أخذوا بمجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم قال « رحم الله رجلا يسجد لأخيه » فجعلوا يقومون بعد ذلك سراغا فيفسح القوم لآخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم وقد قال الامام أحمد والشافعي حدثنا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا » وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به . وقال الشافعي أخبرنا عبد الحميد عن ابن جريح قال : قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « لا يقيم أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا » على شرط السنن ولم يخرجوه . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا فليح عن أيوب عن عبد الرحمن بن صهصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » ورواه أيضا عن شريح بن يونس ويونس بن محمد المؤدب عن فليح به ولفظه « لا يقوم الرجل للرجل من مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » تفرد به أحمد . وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام لاوارد إذا جاء على أقوال : فمنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث « قوموا إلى سيدكم » ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث « من أحب أن يتحمل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر ولا حاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فإنه لما استقدمه النبي ﷺ خا كما في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين « قوموا إلى سيدكم » وما ذاك إلا ليكون أشد لحكمه والله أعلم . فأما اتخاذه دينا فإنه من شعار العجم . وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ وكان إذا جاء لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك .

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق رضي الله عنه يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره ، وبين يديه غالبا عثمان وعلي لأنهما كانا ممن يكتب الوحي وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي معمر عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول : « ليلي منكم أولو الأرحام والنهي ثم الدين يلوهم » ثم الدين يلوهم وما ذاك إلا ليعلموا عنه ما يقوله صوات الله وسلامه عليه ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الدين وردوا من أهل بدر إما لتقصير أولئك في حق البدرين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم كما أخذ أولئك قلوبهم أو لتعلموا بتقديم الأفاضل إلى الامام وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمارة بن عمير الليثي عن أبي معمر عن أبي مسعود قال كان رسول الله ﷺ يمسح منا كبتا في الصلاة ويقول « استموا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلي منكم أولو الأرحام والنهي ثم الدين يلوهم ثم الدين يلوهم » قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافًا ، وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الأعمش به وإذا كان هذا أمره لمهم في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أقيموا الصفوف وحاذوا بين الناس كب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تدرجوا فرجات الشيطان ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله » ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلا يكون من أفناد الناس ويدخل هو في الصف المقدم ويحتج بهذا الحديث « ليلي منكم أولو الأرحام والنهي » وأما عبد الله بن عمر فكان لا يجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملا بمقتضى ما تقدم من روايته الحديث الذي أوردناه ولتقتصر على هذا المقدار من الأمثلة المتعاققة بهذه الآية وإلا فبسطه يحتاج إلى غير هذا الموضع وفي الحديث الصحيح بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل ثلاثة نفر فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها وأما الآخر فجلس وراء الناس وأدبر الثالث ذاهبا فقال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخبر الثلاثة ، أسا الأول فأوى إلى الله فكآواه الله وأما الثاني فاستجيا فاستجيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه » وقال الامام أحمد حدثنا عتاب بن زياد أخبرنا عبد الله أخبرنا أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » ورواه أبو داود والترمذي من حديث أسامة بن زيد اللبي به وحسنه الترمذي. وقد روى عن ابن عباس والحسن البصري وغيرهما أنهم قالوا في قوله تعالى (إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) يعني في مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله (وإذا قيل انشروا فانشروا) أي انهمضوا للقتال وقال قتادة (وإذا قيل انشروا فانشروا) أي إذا دعيتهم إلى خير فأجيبوا وقال مقاتل إذا دعيتهم إلى الصلاة فارفعوا اليها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا إذا كانوا عند النبي ﷺ في بيته فأرادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجاً من عنده فربما يشق ذلك عليه، عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف أن ينصرفوا كقوله تعالى (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)

وقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي لا تعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو إذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصاً في حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لا يضيع ذلك له بل يجزيه بها في الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أي خبير بمن يستحق ذلك وبمن لا يستحقه ، قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعسقلان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادي ؟ قال استخلفت عليهم ابن أبيزى رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارىء لكتاب الله عالم بالفرائض قاص ، فقال عمر رضى الله عنه أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوماً ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهري به ، وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وما ورد في ذلك من الأحاديث مستقصاة في شرح كتاب العلم من صحيح البخاري والله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدَّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَتْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجي رسول الله ﷺ أي يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدي ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصاح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم *) أي أشفقتُمْ أن تقدموا بين يدي نجوانكم صدقت فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ابن أبي نجیح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجيه إلا علي بن أبي طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به ثم ناجى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال علي رضي الله عنه : آية في كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي كان بعدي ديناراً فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي ، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم

الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) الآية . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان بن المغيرة عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الأماري عن علي رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « ماتري » دينار ؟ قال لا يطيقون قال « نصف دينار » قال لا يطيقون قال « ماتري ؟ » قال شعيرة فقال له النبي ﷺ « إنك لرهيد » قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) قال علي : في خفف الله عن هذه الأمة . ورواه الترمذي عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الأشجعي عن سفيان الثوري عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن سالم بن أبي الجعد عن علي بن علقمة الأماري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إلى آخرها قال لي النبي ﷺ « ما ترى » دينار ؟ قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ، ثم قال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعني وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن آدم به . وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إلى فان الله غفور رحيم) كان السامعون يقدمون بين يدي النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا للسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسئلة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذا لم تفعوا وثاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصري في قوله تعالى (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) نسخها الآية التي بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات) إلى آخرها . وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسئلة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبي الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك (فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم)

وقال معمر عن قتادة (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) إنها منسوخة ما كانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال على ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾
 أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *
 يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ *
 اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين في موالاتهم الكفار في الباطن وهم في نفس الأمر لا معهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال ههنا (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود الذين كان المنافقون يماثلونهم ويوالونهم في الباطن ثم قال تعالى (ما هم منكم ولا منهم) أي هؤلاء المنافقون ليسوا في الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى

(ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعني المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهي اليمين الغموس ولا سيما في مثل حالهم الذين عيادوا بالله منه فانهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا جاءوا الرسول حلفوا له بالله أنهم مؤمنون وهم في ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان في نفس الأمر مطابقا ولهذا شهد الله بكذبهم في أيمانهم وشهادتهم لذلك . ثم قال تعالى (أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون) أي أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهي موالة الكافرين ونصحهم ومعاودة المؤمنين وغشهم ولهذا قال تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أي أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالإيمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاعتبرهم فحصل بهذا صدق سبيل الله لبعض الناس (فليهم عذاب مهين) أي في مقابلة ما امتنعوا من الحلف باسم الله العظيم في الإيمان الكاذبة الحادثة ثم قال تعالى (لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أي لن يدفع ذلك عنهم بأسا إذا جاءهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) أي يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدا (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء) أي يحلفون بالله عز وجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس في الدنيا لأن من عاش على شيء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ولهذا قال (ويحسبون أنهم على شيء) أي حلفهم ذلك لرهبهم عز وجل . ثم قال تعالى منكرا عليهم حسابهم (ألا إنهم هم الكاذبون) فأكد الخبر عنهم بالكذب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نعيم حدثنا زهير عن سماك بن حرب حدثني سعيد بن جبير أن ابن عباس حدثه أن النبي ﷺ كان في ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقص عنهم الظل قال « إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعيني شيطان فإذا تأتم فلا تكلموه » فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فأكلمه فقال « علام تشتمني أنت وفلان وفلان » نفر دعاهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه قال فانزل الله عز وجل (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون)

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك به ورواه ابن جرير عن محمد بن الثني عن غندر عن شعبة عن سماك به نحوه ، وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثوري عن سماك بنحوه إسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ثم قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) أي استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله عز وجل وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ، ولهذا قال أبو داود حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا زائدة حدثنا السائب بن جبير عن معمر بن أبي طلحة اليعمرى عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فمليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية » قال زائدة قال السائب يعني الصلاة في الجماعة . ثم قال تعالى (أولئك حزب الشيطان) يعني الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . ثم قال تعالى (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْذِينَ ﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّوْا أَدُوَّاءَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الْأَنْهَارِ خَلِيدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين للمهادين لله ورسوله يعني الذين هم في حد الشرع في حد أي مجانبون لاحق مشاقون لهم في ناحية والهدى في ناحية (أولئك في الأذلين) أي في الأشقياء المبعدين المطرودين عن الصواب الأذلين في الدنيا والآخرة (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) أي قد حكم وكتب في كتابه الأول وقدره الذي لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصر له وكتبه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والآخرة (وأن العاقبة للمتقين) كما قال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال ههنا (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) أي كتب القوى العزيز أنه الغالب لأعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبين أن العاقبة والنصرة للمؤمنين في الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) الآية وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترمتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) إلى آخرها في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده في أولئك الستة رضى الله عنهم ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته . وقيل في قوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) نزلت في أبي عبيدة قتل أباه يوم بدر (أو أبناءهم) في الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن (أو إخوانهم) في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ (أو عشيرتهم) في عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفي حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فآله أعلم

﴿ قلت ﴾ ومن هذا القليل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في أسارى بدر فأشار الصديق بأن يبادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو النضير والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم وقال عمر لا أرى ما رأى يا رسول الله هل تمكنى من فلان قريب لعمر فأقته ، وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله أنه ليست في قلوبنا موادة للمشركين القصة بكاملها وقوله تعالى (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) أي من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله في قلبه الإيمان أي كتب له السعادة وقررها في قلبه وزين الإيمان في بصيرته قال السدي (كتب في قلوبهم الإيمان) جعل في قلوبهم الإيمان وقال ابن عباس (وأيدهم بروح منه) أي قواهم وقوله تعالى (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه) كل هذا تقدم تفسيره غير مرة ، وفي قوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر في الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعم المقيم والفوز العظيم والفضل العظيم . وقوله تعالى (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) أي هؤلاء حزب الله أي عباد الله وأهل كرامته وقوله تعالى (ألا إن حزب الله هم المفلحون) تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم في الدنيا والآخرة في مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن حميد الواسطي حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه فقال هو عبد الحميد بن سليمان انقطع من كتابي عن الديال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري : أعلم أن الجاه جاهان جاء بحرية الله تعالى على أيدي أوليائه لأوليائه ، وانهم الخامل ذكرهم الخفية شعوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله

عليه وسلم « إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا ، وإذا حضروا لم يدعوا ، قلوبهم مصاييح المهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة » فهو أولاء الله تعالى الذين قال الله (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) وقال نعم بن حماد حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال . قال رسول الله ﷺ « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يدا ولا نعمة فاني وجدت فيما أوحيتني إلى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) » قال سفيان يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان رواء أبو أحمد العسكري . آخر تفسير سورة المجادلة والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الحشر وهي مدنية ﴾

﴿ وكان ابن عباس يقول : سورة بنى النضير ﴾

قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ، قال أنزلت في بنى النضير ورواه البخاري ومسلم من وجه آخر عن هشيم به ، ورواه البخاري من حديث أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ؟ قال سورة بنى النضير

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَتْهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ * وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغِلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾

يخبر تعالى أن جميع ما في السموات والأرض من شيء يسبح له ويعبده ويقدره ويصلي له ويوحده كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله تعالى (وهو العزيز) أى منيع الجناب (الحكيم) فى قدره وشرعه وقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى يهود بنى النضير . قاله ابن عباس ومجاهد والزهرى وغير واحد كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وزمة على أن لا يقتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأمره الذى لا مرد له وأنزل عليهم قضاءه الذى لا يصد فأجلاهم الذى لا يفترون وأخرجهم من حصونهم الحصينة التى ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعهم من بأس الله فما أغنى عنهم من الله شيئا وجاءهم من الله ما لم يكن بياهم ومسيرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالي الشام وهى أرض الحشر والمشرك ومنهم طائفة ذهبوا إلى خير ، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم فكانوا يخرجون ما فى بيوتهم من النقولات التى يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال تعالى (يخرجون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) أى تفكروا فى عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه الخزي له فى الدنيا وما يدخره له فى الآخرة من العذاب الأليم ، قال أبو داود حدثنا محمد بن داود وسفيان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبيد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبى ومن كان معه يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة

قبل رجعة بدر إنكم أدنيتهم صاحبنا وإنا نقسم بالله لقتالنه أو لنخرجنكم أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسي نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم فقال « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم يريدون أن يقاتلوا أبناءكم وإخوانكم » فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نساءكم شيء وهو الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبي صلى الله عليه وسلم أيقنت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقي بمكان النصف وليسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمننا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم فقال لهم « إنكم والله لا تؤمنون عندي إلا بعهد تماهدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يهادوه فهادوه فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها وكان نخيل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) تقول بغير قتال فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوى حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرها وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة ، ولندكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان .

وكان سبب ذلك قبا ذكره أصحاب الغازي والسير أنه لما قتل أصحاب بدر معونة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه وكانوا سبعين وأقلت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق راجعا إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكانت معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد قتل رجلين لأديهما » وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقها . قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلتهما عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما فيما حدثني يزيد بن رومان وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه - ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم - فمن رجل يعاود على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيرخنا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخل المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيق لحربهم والمسير اليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيده على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها ؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الحزرج منهم عبدالله بن أبي ابن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد

وداعس قد بشوا إلى بني النضير أن اثبتوا ومنعوا فانا لن نسلمكم إن قولتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم
فتر بصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحلهم
ويكف عن دماءهم على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة ففعلوا فاحتسبوا من أموالهم ما استقلت به
الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بئر فينطلق به فيخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار
إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله خاصة ينضمها حيث يشاء فقسمها
على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجاجة - سماك بن خرشة - ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ولم يسلم من بني النضير إلا رجلاان يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش
وأبو سعد بن وهب أسما على أموالهما فأحرزاهما . قال ابن إسحاق وقد حدثني بعض آل يامين أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ليامين « ألم تر ما لقيت من ابن عمك وما هم به من شائي » فجعل يامين بن عمرو لرجل جملا على
أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون . قال ابن إسحاق ونزل في بني النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا
روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق بنحو ما تقدم فتوله تعالى (هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب)
يعني بني النضير (من ديارهم لأول الحشر) . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان عن أبي
سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال : من شك في أن أرض الحشر هيها يعني الشام فليقرأ هذه الآية (هو الذي
أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجوا »
قالوا إلى أين ! قال « إلى أرض الحشر » وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن قال لما
أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني النضير قال « هذا أول الحشر وأعلى الأثر » ورواه ابن جرير عن بندار عن
ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن به

وقوله تعالى (ما ظننتم أن يخرجوا) أي في مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها
ولهذا قال تعالى (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أي جاءهم من أمر الله ما لم يكن
لهم في بال كما قال تعالى في الآية الأخرى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف
من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)

وقوله تعالى (وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف والملعع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصروهم
الذي نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (يشربون يوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) قد تقدم
تفسير ابن إسحاق لذلك وهو نقص ما استحسنوه من سقوطهم وأبوابهم وتحملها على الإبل وكذلك قال عروة بن الزبير
وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد ، وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلهم فاذا ظهر
على درب أودار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال وكان اليهود إذا علوا مكانا أو غلبوا على درب أودار تقبوا من
أديارها ثم حصنوها ودربوها يقول الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار) . وقوله (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء
لعدبهم في الدنيا) أي لو أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفي من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر
من القتل والسبي ونحو ذلك قاله الزهري عن عروة والسدي وابن زيد لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم في الدار
الدنيا مع ما أعد لهم في الدار الآخرة من العذاب في نار جهنم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح كاتب
الليث حدثني الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير قال ثم كانت وقعة بني النضير وهم طائفة من
اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
نزلوا على الجلاء وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهي السلاح فأجلاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل الشام قال والجلاء أنه كتب عليهم في أي من التوراة وكانوا من سبط لم يصحبهم الجلاء قبل ما سبط
عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزل الله فيهم (مسيح لله ما في السموات وما في الأرض - إلى قوله - وليخزي

(الفاسقين) . وقال عكرمة : الجلاء القتل وفي رواية عنه الفناء ، وقال قتادة الجلاء خروج الناس من البلد إلى البلد وقال الضحاك أجلاهم إلى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيرا وسقاء فهذا الجلاء

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أحمد بن كامل القاضي حدثنا محمد بن سعيد العوفي حدثني أبي عن عمي حدثني أبي عن جدي عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يفتح لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى

وروى أيضا من حديث يعقوب بن محمد الزهري عن إبراهيم بن جعفر عن محمود بن محمد بن مسامة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بني النضير وأمره أن يؤجلهم في الجلاء ثلاثة أيام . وقوله تعالى (ولهم في الآخرة عذاب النار) أي حتم لازم لا بد لهم منه . وقوله تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أي إنما فعل الله بهم ذلك وسط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسوله المتقدمين في البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ثم قال (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) . وقوله تعالى (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) الذين نوع من التمر وهو جيد . قال أبو عبيدة وهو ما خالف العجوة والبرني من التمر ، وقال كثيرون من المفسرين : اللينة ألوان التمر سوى العجوة . قال ابن جرير هو جميع النخل وشبهه عن مجاهد وهو البويرة أيضا وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهابا وإرعابا لقوا بهم ، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وقاتل بن حيان أنهم قالوا فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله ﷺ إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية السكرية أي ما قطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشيتته وقدره ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم ، وإرغام لأنوفهم . وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل وقالوا إنما هي مغنم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الإثم وإنما قطعه وتركه بإذنه ، وقد روى نحو هذا مرفوعا فقال النسائي أخبرنا الحسن بن محمد بن عفان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبي عمير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين) قال يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحالك في صدورهم فقال المسلمون : قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنساءن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله (ما قطعتم من لينة) وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر وعن أبي الزبير عن جابر قال رخص لهم في قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا فأنزل الله عز وجل (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع نخيل بني النضير وحرق ، وأخرجه صاحبنا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه ولفظ البخاري من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فأجلى بني النضير وأقر قريظة ومن علمهم حتى حاربت قريظة فقتل من رجالهم وسمى وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بني قينقاع وهم رهط عبد الله بن مسلام ويهود بني حارثة وكل يهود بالمدينة ، ولهما أيضا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخيل بني النضير وقطع وهي البويرة فأنزل الله عز وجل فيه (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزي الفاسقين)

وللبخارى رحمه الله من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرق نخل بنى النضير وقطع وهي البويرة ولها يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه
وهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبو سفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيع وحرق في نواحيها السعير . ستعلم أينما منها بنزه وتعلم أى أرضينا نضير
كذا رواه البخارى ولم يذكره ابن إسحاق ، وقال محمد بن إسحاق وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير
وقتل ابن الأشرف

لقد خزيت بفدرتها الجبور	كذلك الدهر ذو صرف يدور	وذلك أنهم كفروا برب
عظيم أمره أمر كبير	وقد أوتوا معا فهما وعلموا	وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا	وآيات مينة تنير	فقالوا ما أوتيت بأمر صدق
وأنت بمنكر منا جدير	فقال بلى لقد أديت حقا	بصدقى به الفهم الحبير
فمن يتبعه يهد لكل رشيد	ومن يكفر به يحزن الكفور	فلما أشربوا غدرا وكفرا
وجد بهم عن الحق النفور	أرى الله النبي برأى صدق	وكان الله يحكم لا يحور
فأيده وساطه عليهم	وكان نصيره نعم النصير	فغودر منهمو كعب صريعا
فذلت بعد مصرعه النضير	على الكافرين ثم وقد علته	بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا	إلى كعب أخا كعب يسير	فما كره فأنزله بمنكر
ومحمود أخو ثقة جسور	فتلك بنو النضير بدار سوء	أبادهمو بما اجترم البير
غداة أناهمو في الزحف زهوا	رسول الله وهو بهم بصير	وغسان الحماة موازروه
على الأعداء وهو لهم وزير	فقال السلم ويحكمو قصدوا	وحالف أمرهم كذب وزور
فذاقوا غب أمرهمو وبالا لكل ثلاثة منهم بعير		
وأجلوا عامدين لقيتقاع وغودر منهمو نخل ودور		

قال وكان مما قيل من الأشعار في بنى النضير قول ابن القيم العيسى ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف ، قال ابن هشام الأشجعي :

أهلى فداء لامرئ غير هالك	أجلى اليهود بالحصى الزنم	يقيلون في جمر العضاء وبدلوا
أهيبض عودا بالودى النكهم	فان يك ظنى صادقا بمحمد	يروا خيله بين الصلاويرم
يؤم بها عمرو بن بهمة إنهم	عدو وما حى صديق كمجرم	عليهم أبطال مساعير في الوغى
يهزون أطراف الوشيح المقوم	وكل رقيق الشفرتين مهند	تورث من أزمان عاد وجهرم
فمن مبالغ عني قريشا رسالة	فهل بعدهم في المجد من متكرم	بأن أخاكم فاعلمن محمدا
تليد الندى بين الحجون وزمزم	فدينوا له بالحق تحسم أموركم	وتسموا من الدنيا إلى كل معظم
نبي تلافته من الله رحمة	ولا تسألوه أمر غيب مرجم	فقد كان في بدر لعمرى عبرة
لكم يا قريش والقلب الملمم	غداة أتى في الحزرجية عامدا	إليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس يشكى عدوه	رسولا من الرحمن حقا بمعلم	رسولا من الرحمن يتلو كتابه
فلما أنار الحق لم يتلعم	أرى أمره يزداد في كل موطن	علاوا لأمر حمه الله محكم

وقد أورد ابن إسحاق رحمه الله ههنا أشعارا كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة تركناها بآثارها اختصارا
واكتفاء بما ذكرناه والله الحمد والمنة . قال أبو إسحاق كانت وقعة بنى النضير بعد وقعة أحد وبعد بشرى مؤنة ، وحكى
البخارى عن الزهرى عن عروة أنه قال كانت وقعة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُنِيَ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يقول تعالى مبينا ما اتى وما صفته وما حكمه فالنبي كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بني النضير هذه فانها مما لم يوجب المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أى لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصالحة بل نزل أولئك من الرعب الذى ألقى الله فى قلوبهم من هبة رسول الله ﷺ فأفاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين فى وجوه البر والمصالح التى ذكرها الله عز وجل فى هذه الآيات فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم) أى من بني النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) يعنى الابل (ولكن الله يسلب رسوله على من يشاء والله على كل شيء قدير) أى هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شيء ثم قال تعالى (ما أفاء على رسوله من أهل القرى) أى جميع البلدان التى تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بني النضير ولهذا قال تعالى (فله وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) إلى آخرها والى بعدها فهذه مصارف أموال النبي ووجوهه . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو ومعمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال : كانت أموال بني النضير بما أفاء الله على رسوله مما لم يوجب للمسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقى جعله فى الكراع والسلاح فى سبيل الله عز وجل هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصرا ، وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم إلا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهري به وقد رويناه مطولا . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا الحسن بن علي ومحمد بن يحيى بن فارس العننى واحد قالا حدثنا بشر بن عمر الزهرانى حدثنى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تعالى النهار فجنسه فوجدته جالسا على سرير مفضيا إلى رماله فقال حين دخلت عليه : يا مال إنه قد دف أهل آيات من قومك وقد أمرت فيهم بشيء فاقسم فيهم ، قالت لو أمرت غيرى بذلك فقال خذه فجاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك فى عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزيبر بن العوام وسعد بن أبي وقاص ؟ قال نعم فأذن لهم فدخلوا ثم جاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك فى العباس وعلى قال نعم ، فأذن لهما فدخلا فقال العباس يا أمير المؤمنين : اقض بينى وبين هذا يعنى عليا ، فقال بعضهم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرحهما ، قال مالك بن أوس خيل إلى أنهما قدما أولئك النفر لذلك ، فقال عمر رضى الله عنه انشد ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى يأذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » قالوا نعم ثم أقبل على علي والعباس فقال أنشدكم بالله الذى يأذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » فقالا نعم فقال إن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحدا من الناس فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلب رسوله على من يشاء والله على كل شيء قدير) فكان الله تعالى أفاء على رسوله أموال بني النضير فواته ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ويجعل ما بقى اسوة للمال ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى يأذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك ؟ قالوا نعم ثم أقبل على علي والعباس

فقال أنشد كما بالله الذي يأذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان ذلك ؟ قالوا نعم فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فجيئت أنت وهذا إلى أبي بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « لا نورث ما تركنا صدقة » والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق فوليه أبو بكر ، فلما توفي قلت أنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر فوليتها ما شاء الله أن ألبها فجيئت أنت وهذا وأنتا جميع وأمر كما واحد فسألتها فقالت إن شئنا فانا أدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تليها بالذي كان رسول الله ﷺ يليها فأخذتها مني على ذلك ثم جئناني لأقضي بينكما بغير ذلك والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزت عما فرادها إلى ، أخرجوه من حديث الزهري به . قال الإمام أحمد حدثنا عارم وعفان قالوا أخبرنا معمر سمعت أبي يقول حدثنا أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بسد ذلك ، قال وإن أهلي امرؤني أن آتي النبي صلى الله عليه وسلم فأسأله الذي كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاه أم إيمان أو كما شاء الله قال فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن فجاءت أم إيمان فجعلت الثوب في عنقي وجعلت تقول كلا والله الذي لا إله إلا هو لا يعطيكهن وقد أعطانيهن أو كما قالت فقال نبي الله ﷺ « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله قال ويقول « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله ، قال ويقول لك كذا وكذا قال حتى أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة أمثاله أو كما قال رواه البخاري ومسلم من طرق عن معمر به وهذه المصارف المذكورة في هذه الآية هي المصارف المذكورة في خمس الفينة وقد قدمنا الكلام عليها في سورة الأنفال بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد وقوله تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي جعلنا هذه المصارف لمال الفء كيلا يبق ما كلة تغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أن مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فإنه إنما أمر بخير وإنما ينهى عن شر قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفي عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت بلغني أنك تنهى عن الواشمة والواصلة أشيء وجدته في كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ ؟ قال بلى شيء وجدته في كتاب الله وعن رسول الله ﷺ قالت والله لقد تصفحت ما بين دفتي المصحف فما وجدت فيه الذي تقول قال فما وجدت فيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فأتى سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والتامصة ، قالت ففعله في بعض أهلك ، قال فادخلي فادخلي فدخلت فظننت ثم خرجت قالت ما رأيت بأسا فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : لمن الله الواشمات والمستوشمات والمتمصصات والمتفلفجات للحسن ، للغيرات خلق الله عز وجل قال فبلغ امرأة من بني أسد في البيت يقال لها أم يعقوب فجاءت إليه فقالت بلغني أنك قلت كيت وكيت ، قال مالي لا ألين من لمن رسول الله ﷺ وفي كتاب الله تعالى ، فقالت إني لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته ، فقال إن كنت قرأته فقد وجدته أنا قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى ؟ قال فان رسول الله ﷺ ينهى عنه قالت إني لأظن أهلك يفعلونه ، قال اذهبي فانظري فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا فجاءت فقالت ما رأيت شيئا قال لو كان كذا لم تجا معنا ، أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان الثوري ، وقد ثبت في الصحيحين أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وما نهيتكم عنه فاجتنبوه وقال النسائي أخبرنا أحمد بن سعيد حدثنا يزيد حدثنا منصور بن حبان عن سعيد بن جبير عن عمرو ابن عباس أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الدباء والحشم والنزير والزفت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقوله تعالى (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) أى اتقوه في أمثال أوامره وترك زواجه فانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وأر تكب ما عنه زجره ونهاه

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصَرُونَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين مال الفداء أنهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) أى هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين . ثم قال تعالى مادحاً لأنصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) أى سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر : وأوصى الخليفة بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئتهم رواء البخارى ههنا أيضا . قوله تعالى (يحبون من هاجر إليهم) أى من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يا رسول الله مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال « لا ما أثبتهم عليهم ودعوتهم الله لهم » لم أره في الكتب من هذا الوجه

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا مفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها قال « إما لأفاصبر وأحقى تلقوني فانه سيصيبكم أثره » تفرد به البخارى من هذا الوجه . وقال البخارى حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أنس بن مالك قال : قالت الأنصار اقم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا أنكفونا المؤنة ونشرككم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا . تفرد به دون مسلم (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) أى ولا يجدون في أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم في الذكر والرتبة . قال الحسن البصري (ولا يجدون في صدورهم حاجة) يعنى الحسد (مما أوتوا) قال قتادة يعنى فيما أعطى إخوانهم . وكذا قال ابن زيد . وهذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن أنس قال : كنا جالسين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطعم عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطفئ لهيبته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان في اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إني لأحيت أبى فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاثا فأن رأيت أن تؤوينى إليك

حتى تمضي فعلت قال « نعم » قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار قلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أني لم أسمعهم يقول إلا خيرا ، فلما مضت الليالي الثلاث وكنت أن أحتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين أي غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات « يطاع عليك الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث للرات فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عمالك فأقتدى به فلم أرك تعمل كبير عمل فلما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال ما هو إلا ما رأيت ، فلما وليت دعائي فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله فهذه التي بلغت بك وهي التي لا نطق ، ورواه النسائي في اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر بن وهب وإسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهري عن رجل عن أنس قاله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (ولا يجردون في صدورهم حاجة مما أوتوا) يعني مما أوتوا المهاجرون قال وتكلم في أموال بني النضير بعض من تكلم في الأنصار فعاتبهم الله في ذلك فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجمتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك » قالوا وما ذلك يا رسول الله ؟ قال « هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسونهم الثمر » فقالوا نعم يا رسول الله . وقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) يعني حاجة أي يقدمون الجاهل على حاجة أنفسهم ويبدون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك

وقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل الصدقة جهد المقل » وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) وقوله (وآتى المال على حبه) فإن هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ما تصدقوا به وقد لا يكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضي الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقال رضي الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله ، وهكذا النساء الذي عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أخرج ما يكون إلى الماء فردّه الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشرب أحد منهم رضي الله عنهم وأرضاهم . وقال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله » فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته ههنا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخري شيئا فقالت والله ما عندي إلا قوت الصبية قال فإذا أراد الصبية العشاء فنومهم وتعالى فأطفئ السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ثم غسدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لقد عجب الله عز وجل - أضحك - من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكذا رواه البخاري في موضع آخر ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن فضيل بن غزوان به نحوه ، وفي رواية لمسلم تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة رضي الله عنه

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أي من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح قال أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حلهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » انفرد بإخراجه مسلم فرواه عن القعنبي عن داود بن قيس به .

وقال الأعشى وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقرع عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » . ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائي من طريق الأعشى كلاهما عن عمرو بن مرة به وقال الليث عن يزيد بن المهدي عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجراح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع غبار في مبدل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا » وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا السعدي عن جامع بن شداد عن الأبهود بن هلال قال جاء وجل إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال له عبد الله وما ذاك ؟ قال سمعت الله يقول (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدي شيئا فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القرآن ، إنما الشح الذي ذكر الله في القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبش الشيء البخل . وقال سفيان الثوري عن طارق ابن عبد الرحمن عن سعيد بن جبيرة عن أبي الهياج الأسدي قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول اللهم فني شح نفسي . لا يزيد علي ذلك فقلت له فقال إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزن ولم أفعل وإذا الرجل عبد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه . رواه ابن جرير . وقال ابن جرير حدثني محمد بن إسحق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا مجمع بن جارية الأنصاري عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : برئ من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى في النائة . وقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق قراؤهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال في آية براءة (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) فالتابعون لهم باحسان هم التابعون لأنصارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم في السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى في هذه الآية الكريمة (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) أي بفضا وحسدا (للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسب الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قوله (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي حدثنا محمد بن بشر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم فسيبواهم ثم قرأت هذه الآية (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) الآية وقال إسماعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم . سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » رواه البغوي ، وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن الزهري قال : قال عمر رضي الله عنه (وما أفاء الله علي رسوله منهم فإ أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) قال الزهري : قال عمر رضي الله عنه : هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عريضة وكذا وكذا مما أفاء الله علي رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولدى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل - وللقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاءوا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق . قال أيوب - أو قال حظه - إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع . وقال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة

ابن خاله عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب (إنما الصدقات للفقراء والمساكين - حتى بلغ -
عليه حكم) ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى) الآية ثم قال
هذه لهؤلاء ثم قرأ (ما أطاع الله على رسوله من أهل القرى فإله وللرسول ولذي القربى - حتى بلغ - للفقراء والذين
تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم - والذين جاءوا من بعدهم) ثم قال : استوعبت هذه للمسلمين عامة وليس أحدا ولا
فيها حتى ثم قال : لأن عشت ليأتين الراعى وهو يسرو حجير نصيبه فيها لم يهرق فيها جبينه

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَاقَوْا يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ
مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ بَشِيرٌ لَكُمْ لَكُمْ كَذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا
لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيَبْغُضُنَّ الَّذِينَ لَا يَنْصُرُونَ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ
رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مَنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَقِبَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْفَاسِقِينَ ﴾

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النضير بعدوهم النصر من أنفسهم فقال
تعالى (ألم تر إلى الذين ناقوا يقولون لأخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع
فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتهم لننصرنكم) قال الله تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) أي لكاذبون فيما وعدوهم به إما أنهم
قالوا لهم قولا ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به وإما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال تعالى (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم)
أي لا يقاتلون معهم (ولئن نصروهم) أي قاتلوا معهم (ليولن الأديار ثم لا ينصرون) وهذه بشارة مستقلة بنفسها ،
ثم قال تعالى (لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله) أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى (إذا
فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ثم قال تعالى
(لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) يعني أنهم من جنهم وهلمهم لا يقدر على مواجهة
جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة بل إما في حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة . ثم قال
تعالى (بأسيهم بينهم شديد) أي عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى (ويذيق بعضهم بأس بعض) ولهذا قال تعالى
(تحسبهم جميعا وقولهم شتى) أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال إبراهيم النخعي
يعني أهل الكتاب والمنافقين (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) . ثم قال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال
أمرهم ولهم عذاب أليم) قال مجاهد والسدي ومقاتل بن حيان يعني كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر وقال ابن عباس
كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحق وهذا القول أشبه بالصواب فان يهود بني
قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا . وقوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني
بريء منك) يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتهم لننصرنكم
ثم لما حقت الحقائق وجددهم الحصار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم لئلا يمسكهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان
- والعياذ بالله - الكفر فإذا دخل فيها سوله له تبرأ منه وتنصل وقال (إني أخاف الله رب العالمين) . وقد ذكر بعضهم

ههنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل لا أنها المرادة وحدها بالمثل بل هي منه مع غيرها من الوقائع المشاكلة لها ، فقال ابن جرير حدثنا خالد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الله بن نهيك قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول إن راهباً تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراد أن يأخذه فعمد إلى امرأة فأجبتها ولما إخوانه فقال لإخوانها عليهن بهذا القس فيداويها قال فجاءوا بها إليه فداواها وكانت عنده فيبينا هو يوماً عندها إذ أعجبت فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوانها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك أعيتني أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجيك مما صنعت بك فأسجد لي سجدة فأسجد له فلما أسجد له قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كذل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين)

وقال ابن جرير حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية (كذل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني برىء منك إني أخاف الله رب العالمين) قال كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوان وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقلها ثم ادفعها فانك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان إخوانها في المنام فقال لهم إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأخيك فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ؟ قالوا فوالله ما هذا إلا لكى قال فانطلقوا فاستمدوا منسكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقبه الشيطان فقال إني أنا الذى أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيرى فأسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فأسجد له فلما أتوا به منسكهم تبرأ منه وأخذ قتل وكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فأنه أعلم . وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فإن جريجاً اتهمته امرأة بنى بنفسها وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولى الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول مالكم مالكم . قالوا يا عدو الله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا ، فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ثم قال يا غلام من أبوك . قال أبى الراعى وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيماً بليغاً وقالوا نعيد صومعتك من ذهب ، قال لا بل أعيدها من طين كما كانت وقوله تعالى (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) أى جزاء كل ظالم الأمر بالكفر والفاعل له ومصيرها إلى نار جهنم خالدين فيها (وذلك جزاء الظالمين) أى جزاء كل ظالم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن أبي جحيفة عن النضر بن جرير عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة محتاجي الخار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة - إلى آخر الآية وقرأ الآية التى فى الحشر - ولتنظر نفس ما قدمت لغد - تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره - حتى قال - ولو بشق تمره » قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله ﷺ يتملى وجهه كأنه

مذهبة فقال رسول الله ﷺ « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » انقرد بإخراجه مسلم من الحديث شعبة بإسناده مثله فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر

وقوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم (واتقوا الله) تأكيد ثان (إن الله خير بما تعملون) أى اعلوا أنه عالم بجميع أعمالكم واحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير . وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أى لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تتفعلكم في معادكم فإن الجزء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (أولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن طاعة الله المالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي حدثنا المغيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نعمة قال كان في خطبة أبي بكر الصديق رضى الله عنه : أما تعلمون أنكم تمدون وتروجون لأجل معام . فمن استطاع أن يقضى الأجل وهو في عمل الله عز وجل فليعمل ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل ، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فيها كم الله عز وجل أن تكونوا أمثالهم (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا في أيام سلفهم وخوا بالشقوة والسعادة أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط . قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفتى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستضيئوا بسنائه وبيانه ، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى (إنهم كانوا يسارعون في الحيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لها خاشعين) لا خير في قول لا يراد به وجه الله ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله . ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف في الله لومة لائم . هذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات ، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نعمة لا أعرفه بنفى ولا إثبات غير أن أبا داود السجستاني قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقات وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر والله أعلم . وقوله تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) أى لا يستوى هؤلاء وهؤلاء في حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تبدلون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض . أم نجعل المؤمنين كالفجار) . في آيات أخر دالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى ههنا (أصحاب الجنة هم الفائزون) أى الناجون المسلمون من عذاب الله عز وجل

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى معظمنا لأمر القرآن ومبيننا علو قدره وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من

الوعد الحق والوعيد الأكيد (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) أى فإذا كان الجبل في غاظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبروا فيه لخشع وتصنع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ولهذا قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً) إلى آخرها يقول لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ثم قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وكذا قال قتادة وابن جرير . وقد ثبت في الحديث التواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبي ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبي الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصري بعد إirاده فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته خشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعنا به الأرض أو كلم به الموتى) الآية وقد تقدم أن معنى ذلك أى لكان هذا القرآن وقد قال تعالى (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) أخبر تعالى أنه الذى لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله لا وجود سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل وأنه عالم الغيب والشهادة أى يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عاينه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقيق وصغير وكبير حتى اللبر في الظلمات وقوله تعالى (هو الرحمن الرحيم) قد تقدم الكلام على ذلك في أول التفسير بما أغنى عن إعادته ههنا ، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى (ورحمى وسعت كل شيء) وقال تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك) أى المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا معانعة ولا مدافعة وقوله تعالى (القدوس) قال وهب بن منبه أى الطاهر . وقال مجاهد وقتادة أى المبارك وقال ابن جريج تقدسه الملائكة السكرام (السلام) أى من جميع العيوب والنقائص لسكناه في ذاته وصفاته وأفعاله . وقوله تعالى (المؤمن) قال الضحاك عن ابن عباس أى أمن خلقه من أن يظلمهم وقال قتادة أمن بقوله أنه حق وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به وقوله تعالى (المهيمن) قال ابن عباس وغير واحد أى الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله (والله على كل شيء شهيد) وقوله (ثم الله شهيد على ما يفعلون) وقوله (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) الآية وقوله تعالى (العزيز) أى الذى قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنبه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى (الجبار المتكبر) أى الذى لا تليق الجبرية إلا له ولا المتكبر إلا لعظمته كما تقدم في الصحيح « العظمة إزارى والسكبرياء ردأى فمن نازعنى واحدا منهما عذبتى » وقال قتادة الجبار الذى جبر خلقه على ما يشاء . وقال ابن جرير : الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم . وقال قتادة المتكبر يعنى عن كل سوء ثم قال تعالى (سبحان الله عما يشركون) وقوله تعالى (هو الله الخالق البارئ المصور) الخالق التقدير والبرء هو القرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تفرى ما خلقت وبه * ض القوم يخاق ثم لا يفرى

أى أنت تنفذ ما خلقت أى قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع ما يريد فالخلق التقدير والقرى التنفيذ ومنه يقال

قدر الجلال ثم فرى أى قطع على ما قدره بحسب ما يريده ، وقوله تعالى (الخالق البارئ المصور) أى الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التى يريد والصورة التى يختار كقوله تعالى (فى أى صورة مشاء ركبت) ولهذا قال المصور أى الذى ينفذ ما يريد بإيجاده على الصفة التى يريد ها وقوله تعالى (له الأسماء الحسنى) قد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الاعراف . ونذكر الحديث الروى فى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » وتقدم سياق الترمذى وابن ماجه له عن أبى هريرة أيضا وزاد بعد قوله : « وهو وتر يحب الوتر » . واللفظ للترمذى : « هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، العزيز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكيم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصى ، البديء ، العبد ، الحي ، الميت ، الحى ، القيوم ، الواحد ، الماجد ، الواحد الصمد ، القادر ، المتندر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، العطى ، النافع ، الضار النافع ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي . الوارث ، الرشيد ، الصبور . وسياق ابن ماجه بزيادة نقصان وتقديم وتأخير وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (يسبح له ما فى السموات والأرض) كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فىهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) وقوله تعالى (وهو العزيز) أى فلا يرام جنبه (الحكيم) فى شرعه وقدره وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا خالد بن طهمان أبو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبى نافع عن معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ، ومن قالمها حين يمسي كان بتلك المنزلة » . ورواه الترمذى عن محمود بن غيلان عز، أبى أحمد الزبيرى به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . آخر تفسير سورة الحشر والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الممتحنة وهى مدنية)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ أَحَقِّ يَحْزِنُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْصَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقْعَلْ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْلِحْتُمْ بِالسُّوءِ وَذَرَوْا تَوَكَّفَرُونَ * لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *

كان مسبب نزول صدر هذه السورة الكريمة فضه حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالنجس لهم ولزومهم وقال

« اللهم عم عليهم خبرنا » فعمد خاطب هذا فكتب كتابا وبه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ليتخذ بذلك عندهم بدا فاطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها وهذا بين في هذا الحديث التفق على صحته . قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمه أخبرني حسن بن محمد بن علي أخبرني عبد الله بن أبي رافع وقال مرة إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع عليا رضي الله عنه يقول : بعثني رسول الله ﷺ أنا والزيير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظمينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا فعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظمينة قلنا أخرجي الكتاب ، قالت ما معنى كتاب ، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب ، قال فأخرجت الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه من خاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « يا خاطب ما هذا ؟ » قال لا تعجل علي إني كنت امرأة ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أخخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فقال رسول الله ﷺ « إنه صدقكم » فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ « إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به ، وزاد البخاري في كتاب المغازي فأنزل الله السورة (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال في كتاب التفسير قال عمرو ونزلت فيه (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقال لا أدري الآية في الحديث أو قال عمرو قال البخاري قال علي يعني ابن المديني قيل لسفيان في هذا نزلت (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) فقال سفيان هذا في حديث الناس حفظته من عمرو ما تركت منه حرفا ولا أرى أحدا حفظه غيري . وقد أخرجاه في الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السامي عن علي قال بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزيير بن العوام وكلنا فارس وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من خاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا الكتاب ؟ فقالت ما معنى كتاب فأخناها فالتمسنا فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لتجردنك فلما رأنا الجدة أهوت إلى حجزتها وهي محجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلا أضرب عنقه فقال النبي ﷺ « ما حملك على ما صنعت ! » قال خاطب والله ما لي إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لي عند التوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال « صدق لا تقولوا له إلا خيرا » فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعني فلا أضرب عنقه فقال « أليس من أهل بدر ؟ » فقال — لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة — أو قد غفرت لكم — فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم ، هذا لفظ البخاري في المغازي في غزوة بدر . وقد روى من وجه آخر عن علي قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن الهسجاني حدثنا عبيد بن يعييش حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن أبي سنان هو سعيد بن سنان عن عمرو بن مرة الحملي عن أبي إسحاق البختری الطائي عن الحارث عن علي قال لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أسر إلى أناس من أصحابه انه يريد مكة منهم خاطب بن أبي بلتعة وأفضى في الناس انه يريد خيبر قال فكتب خاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال « اتوا روضة خاخ فانكم سلقون بها امرأة معها كتاب

فخذوه منها . فانطلقا حتى رأيناها بالمكان الذي ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها هات الكتاب فقالت مامعي كتاب فوضعا متاعها وقتشناها فلم نجد في متاعها فقال أبو مرثد لعله أن لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا فقلنا لها لتخرجنه أو لتعيرنيك ، فقالت أما تتقون الله ! ألسن مسادين ! فقلنا لتخرجنه أو لتعيرنيك قال عمرو بن مرة فأخرجته من حجرتها وقال حبيب بن أبي ثابت أخرجه من قبلها فأتيها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن أبي بلتعة فقام عمر فقال يارسول الله خان الله ورسوله فأنذني فلا ضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أليس قد شهد بدرا ؟ » قالوا بلى ، قال عمر بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك فقال رسول الله ﷺ « فلعن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم إني بما تعملون بصير » ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال « يا حاطب ما حملك على ما صنعت ؟ » فقال يارسول الله إني كنت امرأ مخلصا في قريش وكان لي بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله فكتبت بذلك إليهم ووالله يارسول الله إني لمؤمن بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ « صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيرا » قال حبيب بن أبي ثابت فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآية وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن أبي سنان سعيد بن سنان بإسناده مثله . وقد ذكر ذلك أصحاب المغازي والسير فقال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال لما أجمع رسول الله ﷺ السير إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر في السير إليهم ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم غيره أنها سارة مولاة لابي عبد المطلب وجعل لها جملا على أن تبلغه لقريش فيجعلته في رأسها ثم قتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبي طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتبت معها حاطب كتابا إلى قريش يخبرهم بما قد أجمعنا لهم من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالحليفة حليفة بني أبي أحمد فاستنزلها بالحليفة فالتصا في رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها على بن أبي طالب إني أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا ولنخرجنا لنا هذا الكتاب أولئك كشفنك فلما رأت الجدة منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال « يا حاطب ما حملك على هذا » فقال يارسول الله أما والله إني لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم من أهل ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعني فلا ضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك يا عمر ! امل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله عز وجل في حاطب : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) إلى قوله — قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم وما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) إلى آخر القصة ، وروى معمر عن الزهري عن عروة نحو ذلك وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة أنه بعث سارة مولاة بني هاشم وأنه أعطاهم عشرة دراهم وأن رسول الله ﷺ بعث في أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهما فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنجو ما تقدم ، وعن السدي قريبا منه وهكذا قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) وقد كفروا بما جاءكم من الحق) يعني المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ورسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم

ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فانه منهم) وهذا تهديد شديد ووعد أكيد وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا الله عليكم سلطانا مبينا ؟) وقال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) ولهذا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذر حاطب لما ذكر أنه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد

ويذكر ههنا الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الأجلح عن قيس بن أبي مسلم عن ربي ابن حراش سمعت حديثه يقول : ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا واحدا وثلاثة وخمسة وسبعة وتسعة وأحد عشر قال فضرب لنا منها مثلا وترك سائرهما قال « إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظفر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعمواهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه » وقوله تعالى (يخرجون الرسول وإياكم) هذا مع ما قبله من التيسير على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) أي لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى (وما تمعوا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) . وقوله تعالى (إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) أي إن كنتم كذلك فلا تتخذوهم أولياء إن كنتم خرجتم مجاهدين في سبيل باغين لمرضاتي عنكم فلا توالوا أعدائي وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم وقوله تعالى (تسرون إليهم بالردة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلمكم) أي تفعلون ذلك وأنا أعلم بالسرائر والظواهر (ومن يفعلهم منكم فقد ضل سواء السبيل) * إن يثقوكم يكونوا لكم أعداء ويسخطوا إليكم أيديهم والستهم بالسوء) أي لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال (وودوا لو تكفروا) أي ويحرمون على أن لا تتوالوا خيرا فهم عداوتهم لكم كاملة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تيسير على عداوتهم أيضا وقوله تعالى (إن تتفكروا أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) أي قرا باتكم لا تتفكروا عند الله إذا أراد الله بكم سواء ونفعهم لا يصل إليكم إذا أرضيتهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا إلى نبي من الأنبياء . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله أين أبي قال « في النار » فلما قفي دعاه فقال « إن أبي وأباك في النار » ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَفِيرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَافْرِقْنَا بَيْنَنَا وَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَقُولْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى لمبادء المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم وحب نبيهم واسبرى منهم (قرحات لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذي معه) أى وأتباعه الذين آمنوا معه (إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم) أى تبرأنا منكم (وما تعبدون من دون الله كفرننا بكم) أى بدينكم وطريقكم (وبدأ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) يعنى وقصد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمت على كفركم فمنحنا أبدا تبرأ منكم ونفصمكم (حق) تؤمنوا بالله وحده (أى إلى أن توحداوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلصوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد . وقوله تعالى (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) أى لكم في إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها إلا في استغفار إبراهيم لأبيه فإنه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لأبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كاذب يستغفر لأبيه فانزل الله عز وجل (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) . وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذي معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم - إلى قوله تعالى - إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) أى ليس لكم في ذلك أسوة أى في الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقنادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد . ثم قال تعالى مخبرا عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فاجأوا إلى الله ونصروا إليه (فقالوا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) أى توكلنا عليك في جميع الأمور وسلمنا أمورنا إليك وفوضناها إليك وإليك المصير أى للعاد في الدار الآخرة (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) قال مجاهد : معناه لا تعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا ، وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة لا تظهرهم علينا فيفتنوا بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحقهم عليه واختاره ابن جرير ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تسلطهم علينا فيفتنونا ، وقوله تعالى (واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) أى واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك (إنك أنت العزيز) أى الذى لا يضام من لاذ بمجانبك (الحكيم) فى أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرتك ثم قال تعالى (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ما تقدم أيضا لأن هذه الأسوة اللبنة ههنا هى الأولى يعينها ، وقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) تهيج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والعاد ، وقوله تعالى (ومن يتول) أى عما أمر الله به (فإن الله هو الغنى الحميد) كقوله تعالى (إن تكفروا أأنتم ومن فى الأرض جميعا فإن الله لئن لم يرخص لنا من ديارنا من دياركم) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : التنى الذى قد كل فى غناه وهو الله هذه صفته لا تنفى إلا له ليس له كفء وليس كمثلته شيء سبحانه الله الواحد القهار والحميد المستحمد إلى خلقه أى هو الحمود فى جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه

عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله فقور رحيم * لا ينهكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرؤهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين * إنما ينهكم الله عن الذين قتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون *

يقول تعالى لمبادء المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) أى حبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة (والله قدير) أى على ما يشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة

والتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى ممتازا على الأنصار (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الآية وكذا قال لهم النبي ﷺ « ألم أجدكم ضلالا فهدانا كم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ » وقال الله تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) ، وفي الحديث « أحب حبيبيك هونا ما فعسى أن يكون بغضك يوما ما وأبغض بغضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبيك يوما ما » وقال الشاعر :

وقد يجمع الله الشئتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقوله تعالى (والله غفور رحيم) أى يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا آمنه وأنابوا إلى ربهم وأساءوا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أى ذنب كان

وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه ، وفي هذا الذى قاله مقاتل نظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأُم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف ، وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال قرىء على محمد بن عزيز حديثي سلامة حديثي عقيل حديثي ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الحمار مرتدا فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال ابن شهاب وهو ممن أنزل الله فيه (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة) الآية . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أعطينهن ، قال « نعم » قال تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال « نعم » قال ومعاوية تجعله كتابا بين يديك ، قال « نعم » قال وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجها - الحديث - وقد تقدم الكلام عليه . وقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الدين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) ولم يظاهروا أى يعاونوا على إخراجكم أى لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلوكم في الدين كالنساء والضعفة منهم (أن تبروهم) أى تحسنوا إليهم (وتقسطوا إليهم) أى تعدلوا (إن الله يحب المقسطين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقاتلت يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال « نعم صلى أمك » أخرجه وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة فأبى أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها . فسألت عائشة النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الدين لم يقاتلوكم في الدين) إلى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها . وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به ، وفي رواية لأحمد وابن جرير قتيلة بنت عبد العزى بن سعد من بنى مالك بن حسل وزاد ابن أبي حاتم في السدة لاقى كانت بين قريش ورسول الله ﷺ وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البرار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو قتادة العدوى عن ابن أخي الزهري عن الزهري عن عروة عن عائشة وأسماء أنهما قالتا قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في المدينة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا يا رسول الله إن أمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفصلها ، قال « نعم فصلها » ثم قال وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهري عن عروة عن عائشة إلا من هذا الوجه (قلت) وهو منكسر بهذا السياق لأن أم عائشة هي أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث القديمة والله أعلم ؛ وقوله تعالى (إن الله يحب المقسطين) قد تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات ؛ وأورد الحديث الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهالهم وما ولوا »

وقوله تعالى (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم) أي إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوك بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم . ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منهم فإنه منكم لا يهدي القوم الظالمين)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٌ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا مِنْ حِلٍّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا يَقْبَلُ فَتَأْتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَرْزَاقُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

تقدم في سورة الفتح ذكر صلح الحديبية الذي وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه : على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وفي رواية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهري ومقاتل بن حيان والسدي فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة فان الله عز وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن فان علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وقد ذكرنا في ترجمة عبد الله بن أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبي بكر بن أبي عاصم عن محمد بن يحيى الذهلي عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن مجمع بن يعقوب عن حنين بن أبي أبانة عن عبد الله بن أبي أحمد قال هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط في الهجرة فخرج أخوها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فيها أن يردها إليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين في النساء خاصة فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأنزل الله آية الامتحان . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن الأغبر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نصر الأسدي قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ للنساء ، قال كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بعض زوج وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله ، ثم رواه من وجه آخر عن الأغبر بن الصباح به ، وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه أن الذي كان يخافهن عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم له عمر بن الخطاب ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنحوهن) كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وقال مجاهد (فامتنحوهن) فاسألوهن عما جاء بهن فان كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخط أو غيره ولم يؤمن فارجهن إلى أزواجهن ، وقال عكرمة يقال لها ما جاء بك إلا حب الله ورسوله ، وما جاء بك عشق رجل منا ولا قرار من زوجك فذلك قوله (فامتنحوهن) وقال قتادة كانت يمتحنهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن الذنور وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن ، وقوله تعالى (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقينا وقوله تعالى (لا هن حل لهم

ولاهم يحلون لمن) هذه الآية هي التي حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا في ابتداء الاسلام أن يتزوج للمشرك المؤمنة ولهذا كان أمر أبي العاص بن الربيع زوج ابنة النبي ﷺ زينب رضي الله عنها وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع في الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب في فدائه بقلادة لها كانت لأمرها خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رقى لها رقعة شديدة وقال للمسلمين « إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها فافعلوا » ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته إليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة رضي الله عنه فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر وكانت سنة التثنية إلى أن أسلم زوجها أبو العاص ابن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الأول ولم يحدث لها صداق ، كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا ابن إسحاق حدثنا داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبي العاص وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداق ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ومنهم من يقول بعد سنتين وهو صحيح لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بسنتين وقال الترمذي ليس بإسناده بأس ولا يعرف وجه هذا الحديث وأعله جاء من حفظ داود بن الحصين ، وسمعت عبد بن حميد يقول سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعني ابن أروطة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد ابنته على أبي العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد حديث ابن عباس أجود إسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب ثم قلت وقد روى حديث الحجاج بن أروطة عن عمرو بن شعيب الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وضعفه الإمام أحمد وغير واحد والله أعلم

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عدتها منه لأن الذي عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه . وقال آخرون بل إذا انقضت العدة هي بالخيار إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت وإن شاءت فسخته وذهبت فترزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم وقوله تعالى (وآتوهم ما أنفقوا) يعني أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا إليهم الذي غرموه عليهن من الأصدقة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهرى وغير واحد وقوله تعالى (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) يعني إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أى تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولى وغير ذلك وقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن

وفي الصحيح عن الزهرى عن عروة عن السور ومروان بن الحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساء من المؤمنات فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات - إلى قوله - ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج أحدهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية . وقال ابن ثور عن معمر عن الزهرى : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم على أنه من أتاه منهم رده إليهم فلما جاء النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن وقال (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال وإنما حكم الله بينهم بذلك لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد وقال محمد بن إسحاق عن الزهرى طلق عمر يومئذ قريية (١) بنت أبي أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرويل الخزاعية وهى أم عبدالله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة ابن غانم رجل من قومه وهما على شركهما ، وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص . وقوله تعالى (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أى وطلبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتي يذهبن إلى الكفار إن ذهبن وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين وقوله تعالى (ذلكم حكم الله بينكم) أى فى الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله بحكم بين خلقه (والله

عليهم حكم) أي عليهم بما يصلح عباده حكيم في ذلك ثم قال تعالى (وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبهم فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا) قال مجاهد وقتادة هذا في الكفار الذين ليس لهم عهد إذا فرت إليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئا فإذا جاءت منهم امرأة لا يدفع إلى زوجها شيء حتى يدفع إلى زوج الناهبة إليهم مثل نفقته عليها ، وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن الزهري قال أقر المؤمنون بحكم الله فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم وأبي المشركون أن يقرؤا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المساكين فقال الله تعالى للمؤمنين به (وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبهم فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا وانفقوا الله الذي أتم به مؤمنون) فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد المؤمنون إلى زوجها النفقة التي أنفق عليها من لعقب الذي بأيديهم الذي أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم التي آمن وهاجرن ثم ردوا إلى المشركين فضلا إن كان بقي لهم ، والعقب ما كان بقي من صدق نساء الكفار حين آمن وهاجرن وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية ، يعني إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ أنه يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة ، وهكذا قال مجاهد (فعاقبهم) أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم (فآتوا الذين ذهبوا أزواجهم مثل ما أنفقوا) يعني مهر مثلها . وهكذا قال مسروق وإبراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهري أيضا . وهذا لا ينافي الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى وإلا فمن الغنائم التي تؤخذ من أيدي الكفار ، وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير والله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعْنَكَ قُلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْ لَدِهِنَّ وَلَا يَأْتِينَ بَهْمَتَيْنِ يَفْتَرِيَهُ بَيْنَ يَدَيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْتَصِبْنَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعْنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب عن عمه قال أخبرني عروة أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك قولي أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنین ولا يقتلن أوالدھن ولا یأتین بهمتین یفتریه بین یدیهن وأرجلھن ولا یعصبین فی معروف فبايعلن وأسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) إلى قوله (غفور رحيم) قال عروة قالت عائشة هن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد بايعتكم» كلاما ، ولا والله ما مست يدهي امرأة في المبايعة قط ، ما يبايعهن إلا بقوله «قد بايعتكم على ذلك» هذا لفظ البخاري . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نساء نبيائه فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئا الآية وقال «فما استطعن وأطعن» قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا يا رسول الله ألا تصافحن؟ قال «إني لأصافح النساء إنما قولي لامرأة واحدة قولي لمائة امرأة» هذا إسناد صحيح وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والذهبي أيضا من حديث الثوري ومالك بن أنس كلهم عن محمد بن المنكدر وقال الترمذي حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به وزاد : ولم يصافح منا امرأة ، وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به . ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي جعفر الرازي عن محمد بن المنكدر حدثني أميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فيها إلى في قد كره وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثني سابط بن أيوب بن الحكم بن سليم عن أمه سلمى بنت قيس وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه التبتين ، وكانت إحدى نساء بني عدي بن النجار قالت جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم نياحه في نسوة من الأنصار فلما شرط علينا ألا نشارك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان فتقرينه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف قال « ولا تعشش أزواجكن » قالت فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعي فسل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما غش أزواجنا؟ قال فسأله فقال : « تأخذ ماله فتجاني به غيره » وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد ابن حاطب حدثني أبي عن أمه عائشة بنت قدامة يعني ابن مظعون قالت أنا مع أمي وأختي ابنة سفيان الخزازية والنبي صلى الله عليه وسلم يبايع النسوة ويقول « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين بهتان فتقرينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصين في معروف - قلن نعم - فيما استطعن » فكان يقرن وأقول معهن وأمي تقول لي أي بنية نعم فكانت أقول كما يقان وقال البخاري حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراء علينا (ولا تشركن بالله شيئا) ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت أسعدتني فلانة فأريد أن أجزيها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ورجعت فبايعها ، ورواه مسلم وفي رواية فما وفي منهن امرأة غيرها وغير أم سلم ابنة ملحان وللبخاري عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا ننوح فما وقت منا امرأة غير خمس نسوة أم سلم وأم العلاء وابنة أبي سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبي سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العبد كما قال البخاري حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكانهم يصلونها قبل الخطبة ثم خطب بعد فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم فكأنني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقههم حتى أتى النساء مع بلال فقال (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان فتقرينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف) حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ « أنتم على ذلك ؟ » فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدرى حسن من هي قال فتصدقن قال وبسط بلال ثوبه فجعلان يلقين الفتح والحوادث في ثوب بلال وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباس عن سليمان بن سالم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبأعنه على الإسلام فقال « أبايعك على أن لا تشركي بالله شيئا ولا تسرقى ولا تزنى ولا تقتلى ولديك ولا تأتى بهتان فتقرينه بين يديك وأرجلك ولا تنوحى ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى » وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن عبادة ابن الصامت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال (تبأعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم - قرأ الآية التي أخذت على النساء إذا جاءك المؤمنات - فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » أخرجاه في الصحيحين .

وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله الزنى عن أبي عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا تشرك بالله شيئا ولا تسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى بهتان فتقرينه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف وقال « فإن وفيتم فلكم الجنة » رواه ابن أبي حاتم ، وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب فقال « قل لمن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا » وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التي شقت بطن حمزة متشككة في النساء فقالت إني إن أتاكم يعرفني وإن عرفني قتلني وإنما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم فسكت النسوة الاثني مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهي متكررة كيف تقبل من النساء شيئا لم يقبله من الرجال ؟ فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر « قل لمن ولا يسرقن » قالت هند والله إني لأصيب من أبي سفيان الهبات ما أدرى أيحملن لي أم لا قال أبو سفيان ما أصبت من شيء مضى أو قد بقي فهو لك خلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فدعاها فأخذت بيده فعاذت به فقال « أنت هند ؟ » قالت عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزني امرأة حرة قال « لا والله ما تزني الحرة - قال - ولا يقتلن أولادهن » قالت هند أنت قتلتهن يوم بدر فأنت وهم أبصر ، قال (ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال (ولا يعصينك في معروف) قال منعهن أن ينجن وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشهور ، ويدعون بالويل والثبور . وهذا أثر غريب وفي بعضه نكارة والله أعلم ، فإن أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفهما بل أظهر الصفاء والود لهما وكذلك كان الأمر من جانبه عليه السلام لهما . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفاء وعمر بايع النساء يخلفهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بقيته كما تقدم وزاد : فلما قال ولا تقتلن أولادكن قالت هند ريبتاهم صفاراً فقلتهن وهم كباراً فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى . رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم حدثني أبي حدثنا نصر بن علي حدثني أم عطية بنت سليمان حدثني عمي عن جدي عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبايعه فنظر إلى يدها فقال « اذهبي فقيري يدك » فذهبت فغيرتها بخفاء ثم جاءت فقال « أبايذك على أن لا تشركي بالله شيئا » فبايعته وفي يدها سواران من ذهب فقالت ما تقول في هذين السوارين فقال « جمرتان من نار جهنم »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وفي يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصيها بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاء النساء يبأيتهن جمعهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجمن فقوله تعالى (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيتهن) أي من جاءك منهن يبأيع على هذه الشروط فبايعها على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج مقصرا في نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه عملا بحديث هند بنت عتبة أنها قالت يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بني فهل على جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بذك » أخرجاه في الصحيحين ، وقوله تعالى (ولا يزنين) كقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) وفي حديث سمرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم في نار الجحيم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرني معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة تبأيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها (أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين) الآية قال فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها فقالت عائشة أقرى أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا قالت فنعم إذا فبايعها بالآية ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبي قال بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال : ولا تقتلن أولادكن . فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصي بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبأيتهن جمعهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجمن ، وقوله تعالى (ولا يقتلن أولادهن) وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الاملاق ويمن قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجاهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض قاسد أو ما أشبهه

وقوله تعالى (ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال ابن عباس يعني لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم وكذا قال مقاتل . ويؤيد هذا الحديث الذي رواه أبو داود ، حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو

يعني ابن الحارث عن ابن الهاد عن عبد الله بن يونس عن سعيد المقبري عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية اللعنة « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله الجنة »، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين » وقوله تعالى (ولا يعصينك في معروف) يعني فيما أمرتهم به من معروف ونهيتهن عنه من منكر . قال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ولا يعصينك في معروف) قال إنما هو شرط شرطه الله للنساء . وقال ميمون بن مهران لم يجعل الله طاعة لبيه إلا في المعروف والمعروف طاعة ، وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه في المعروف . وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبي الجعد وأبي صالح وغير واحد نهاهن يومئذ عن النوح ، وقد تقدم حديث أم عطية في ذلك أيضا . وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة في هذه الآية ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ عليهن النياحة ولا تحدثن الرجال إلا رجلا منكنا محرما ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يا رسول الله إن لنا أضيافا وإننا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس أولئك عنيت ، ليس أولئك عنيت » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء أخبرنا ابن أبي زائدة حدثني مبارك عن الحسن قال كان فيما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ألا تحدثن الرجال إلا أن تكون ذات محرم فإن الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمدى بين فخذه . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون عن عمرو عن عاصم عن ابن سيرين عن أم عطية الأنصارية قالت كان فيما اشترط علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف حين بايعناه أن لا نوح فقلنا امرأة من بني فلان إن بني فلان أسعدوني فلا حتى أجزيهم فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت قالت لها وفي منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك ، وقد روى البخاري هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية نسيبة الأنصارية رضي الله عنها . وقد روى نحوه من وجه آخر أيضا قال : حدثنا ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ القعقعات حدثني مصعب بن نوح الأنصاري قال : أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فأتيته لأبايعه فأخذ علينا فيما أخذ أن لا نتعن فقلنا عجوز يا رسول الله إن ناسا قد كانوا أسعدوني على مصائب أصابتني وانهم قد أصابهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال « فانطلقى فكافئهم » فانطلقت فكافأتهم ثم إنهما أتته فبايعته وقال هو المعروف الذي قال الله عز وجل (ولا يعصينك في معروف) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادي حدثنا الضبي حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبي أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نعصيه في معروف أن لا نخمش وجهها ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعوا ويلا وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب حدثني إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار في بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددن أو فرددنا عليه السلام ثم قال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن فقلنا : مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله ، فقال تباعين على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ، قلنا نعم ، قالت فمد يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال : اللهم اشهد ، قالت وأمرنا في العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق ولا الجمعة علينا ، ونهاها عن اتباع الجنائز قال إسماعيل فسألت جدتي عن قوله تعالى (ولا يعصينك في معروف) قالت النياحة

وفي الصحيحين من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وفي الصحيحين أيضا عن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة والحالقة والشاقة . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا هدية

ابن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن أبي كثير أن زيدا حدثنا أن أبان بن مالك الأشعري حدثنا أن رسول الله ﷺ قال « أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن : الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت - وقال - النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ورواه مسلم في صحيحه منفردا به من حديث أبان بن يزيد العطار به وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستحمة رواه أبو داود . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن يزيد مولى الصهباء عن شهر ابن حوشب عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ في قول الله تعالى (ولا يعصيتك في معروف) قال النوح ورواه الترمذي في التفسير عن صدين حميد عن أبي نعيم وابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيباني مولى الصهباء به وقال الترمذي حسن غريب

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَتَّبِعُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَتَّبِعُ الْكَافِرُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

ينهى تبارك وتعالى عن موالاته الكافرين في آخر هذه السورة كما نهى عنها في أولها فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعني اليهود والنصارى ومائير الكفار ممن غضب الله عليه ولعنهم واستحق من الله الطرد والإبعاد فكيف تولوهم وتتخذونهم أصدقاء وأحلا وقد يشعرون من الآخرة أى من ثواب الآخرة ولعنهم في حكم الله عز وجل . وقوله تعالى (كما يشس الكفار من أصحاب القبور) فيه قولان أحدهما كما يشس الكفار الأحياء من قريباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بمشا ولا نشورا فقد انقطع رجائهم منهم فيما يعتقدونه . قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) إلى آخر السورة يعني من مات من الذين كفروا فقد يشس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا إليهم أو يبعثهم الله عز وجل ، وقال الحسن البصري (كما يشس الكفار من أصحاب القبور) قال الكفار الأحياء قد يشسوا من الأموات ، وقال قتادة كما يشس الكفار أن يرجع إليهم أصحاب القبور الذين ماتوا وكذا قال الضحاك رواه ابن جرير ، والقول الثاني معناه كما يشس الكفار الذين هم في القبور من كل خير قال الأعمش عن أبي الضمعي عن مسروق عن ابن مسعود (كما يشس الكفار من أصحاب القبور) قال كما يشس هذا الكافر إذ مات وعان ثوابه واطلعه عليه وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والسكاكي ومنصور وهو اختيار ابن جرير رحمه الله . آخر تفسير سورة الممتحنة والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الصف وهي مدنية)

قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة وعن عطاء بن يسار عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال ثنا كزنا أيكم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أى الأعمال أحب إلى الله فلم يبق أحد منا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلينا رجلا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعنى سورة الصف كلها، هكذا رواه الإمام أحمد وقال ابن أبي حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مرثد البيروتى قراءة قال أخبرنى أبى سمعت الأوزاعى حدثنى يحيى بن أبى كثير حدثنى أبوسلمة بن عبد الرحمن حدثنى عبد الله بن سلام أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل فلم يذهب إليه أحدهما وهبنا أن نسأله عن ذلك قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك نفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة (سبح لله) الصف قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها . قال أبوسلمة وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها قال يحيى بن أبى كثير وقرأها علينا أبوسلمة كلها قال الأوزاعى وقرأها علينا يحيى بن أبى كثير كلها قال أبى وقرأها علينا الأوزاعى كلها ، وقدرناه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى

حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال : قد عدنا نقرأ من أصحاب رسول الله ﷺ فعدنا أن نقرأ أو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه فأنزل الله تعالى (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الأوزاعي قال عبد الله فقرأها علينا ابن كثير ، ثم قال الترمذى وقد خولف محمد بن كثير فى إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي فروى ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن سلام أو عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قلت وهكذا رواه الإمام أحمد عن معمر عن ابن المبارك به قال الترمذى وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحوه رواية محمد بن كثير قلت وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الأوزاعي كما رواه ابن كثير قلت وقد أخبرنى بهذا الحديث الشيخ السند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو المنجا عبد الله بن عمر بن اللقي أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السجزي قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودى أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى أخبرنا عيسى بن عمر بن عمران السمرقندى . أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى بجميع مسنده أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي قد كرر بإسناده مثله وتسلسلنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لأنه كان أميا وضاق الوقت عن تلقينها إياه ولكن أخبرنى الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان رحمه الله الله أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمرو أخبرنا أبو المنجا بن اللقي فذكره بإسناده وتسلسلنا من طريقه وقرأها على بكاملها والله الحمد والمنة .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوعٌ ﴾

قد تقدم الكلام على قوله تعالى (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم) غير مرة بما أغنى عن إعادته : وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) إنكار على من يعد وعدا أو يقول قولاً لا يفي به ولهذا استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقاً سواء ترتب عليه عزم للموعد أم لا واحتجوا أيضاً من السنة بما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا أؤتمن خان » . وفى الحديث الآخر فى الصحيح « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه واحدة منهم كانت فيه خصلة من نقاق حتى يدعها » فذكر منهم اختلاف الوعد وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين فى أول شرح البخارى والله الحمد والمنة ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمى يا عبد الله تعالى أعطك فقال لها رسول الله ﷺ « وما أردت أن تعطيه ؟ » قالت تمراً فقال « أما إنك لو لم تفعلنى كُنت عليك كذبة » وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الوعد وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج ولك على كل يوم كذا فزوج وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك لأنه تعلق به حق آدمى وهو مبنى على المضايقة وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقاً وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكس كل عنه بعضهم كقوله تعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً * أيها تكونوا يدر كسكم الموت ولو كنتم في روج مشيدة) وقال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ؟ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر الغشى عليه من الموت) الآية وهكذا هذه الآية معناها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) قال كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون ؟) وهذا اختيار ابن جرير . وقال مقاتل بن حيان : قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً) فبين لهم فابتأوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبي صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله في ذلك (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) وقال : أحبكم إلى من قاتل في سبيلي . ومنهم من يقول أنزلت في شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخاً لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طعنا وفعلنا ولم يـكـونوا فعلوا ذلك وقال ابن زيد نزلت في قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك وقال مالك عن زيد بن أسلم (لم تقولوا مالا تفعلون ؟) قال الجهاد وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (لم تقولوا مالا تفعلون - إلى قوله - كأنهم بنيان مرصوص) فما بين ذلك في نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا في مجلس لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم فقال عبد الله بن رواحة لا أبرح حبيساً في سبيل الله حتى أموت فقتل شهيداً وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا علي بن مسهر عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود الديلمي عن أبيه قال بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليهم ثلثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن فقال أتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال كنا نقرأ سورة كننا شهباً بأحدى المسبحات فأثسبناها غير أني قد حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) فتسألكم فتسألون عنها يوم القيامة وطذا قال تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) فهنا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهم لأعداء الله في حومة الوغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بالله لتسكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر العالي على سائر الأديان

قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » ورواه ابن ماجه من حديث مجالد عن أبي الوداك جبر بن نوف به وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا الأسود يعني ابن شيبان حدثني يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف كان يبلغني عن أبي ذر حديث كنت أشتى لقاءه فلقينته فقلت يا أبا ذر كان يبلغني عنك حديث فكنت أشتى لقاءك فقال لله أبوك فقد لقيت فهايت فقلت كان يبلغني عنك أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم أن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة قال أجل فلا إخالني أكذب على خالي ﷺ قلت فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل ؟ قال رجل غزا في سبيل الله خرج محتسباً مجاهداً فلقى العدو فقتل وأتم تـجـدونه في كتاب الله المنزل ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) وذكر الحديث هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق وهذا اللفظ واختصره ، وقد أخرجه الترمذي والنسائي من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربي بن حراش عن زيد بن ظبيان عن أبي ذر بأبسط من هذا السياق وأتم وقد أوردناه

في موضع آخر والله الحمد . وعن كعب الأحبار أنه قال : يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « عبدى التوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولاه بمكة وهجرته بطابة وماسكه الشام وأمه الحماذون يحمدون الله على كل حال ، وفي كل منزلة لهم دوى كدوى النحل في جو السماء بالسحر ، يوضون أطرافهم ويأتزون على انصافهم صفهم في القتال مثل صفهم في الصلاة » ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث ادركتهم ولو على ظهر دابة . رواه ابن أبي حاتم . وقال شعيب بن جبير في قوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) قال كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يضافهم ، وهذا تعليم من الله للمؤمنين . قال وقوله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) أى ملتصق بعضه في بعض من الصف في القتال وقال مقاتل بن حيان ملتصق بعضه إلى بعض وقال ابن عباس (كأنهم بنيان مرصوص) مثبت لا يزول ملتصق ببعضه ببعض . وقال قتادة (كأنهم بنيان مرصوص) ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه . فكذلك الله عز وجل لا يحب أن يختلف أمره وإن الله صنف المؤمنين في قتالهم وصفهم في صلاتهم فعليك بامر الله فإنه عصمة لمن أخذه ، أورد ذلك كله ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثني سعيد بن عمرو السكوني حدثنا بقية بن الوليد عن أبي بكر بن أبي مريم عن يحيى بن جابر الطائي عن أبي بحرية قال كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله عز وجل (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) قال وكان أبو بحرية يقول : إذا رأيتموني التفت في الصف فجوأ في حلي

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكيده موسى بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه (لم تؤذوني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم) أى لم توصلون الأذى إلى وأنتم تعلمون صدق فيما جئتكم به من الرسالة . وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال « رحمة الله على موسى : لقد أودى بأكثر من هذا فصبر) وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبي صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجهها) وقوله تعالى (فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم) أى فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاع الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولهذا قال تعالى في هذه الآية (والله لا يهدي القوم الفاسقين) . وقوله تعالى (وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) يعنى التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدي وهو الرسول الذي أنبأه العربى للمكى أحمد . فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بني إسرائيل وقد أقام في ملائكة بني إسرائيل مبشرا بعصمه وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذي لا رسالة بعده ولا نبوة ، وما أحسن ما أورده البخارى الحديث الذي قال فيه حدثنا أبو الحسان حدثنا شعيب عن الزهري قال أخبرني محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لي

أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماسي النابي يدعو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب» ورواه مسلم من حديث الزهري به نحوه

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال « أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفي ونبى الرحمة والتوبة والملمحة » ورواه مسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به ، وقد قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل) الآية ، وقال تعالى (وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد لأن بعث محمد وهو حي ليعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لأن بعث محمد وهم أحياء ليعنه وينصرنه . وقال محمد بن إسحاق حدثني ثور بن زيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال « دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضأت له قصور بصرى من أرض الشام » وهذا إسناد جيد وروى له شواهد من وجوه آخر فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد السكبي عن عبد الأعلى بن هلال السامي عن العرياض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ « إني عند الله لحاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين » ، وقال أحمد أيضا حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا الهيثم بن عامر قال سمعت أبا أمامة قال : قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك . قال « دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضأت له قصور الشام » ، وقال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجا أختا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشي وبمشت قريش عمرو بن العاص وعمار بن الوليد يهدية فلما دخلا على النجاشي سجدا له ثم ابشراهما عن يمينه وعن شماله ثم قالاه إن نقرأ من بيني عنما نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فأين هم قالاهم في أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم فقال جعفر اليوم خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا تسجد للملك . قال إنا لانسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك . قال إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لانسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قال عمرو بن العاص : فانهم يخالفونك في عيسى بن مريم ، قال ماتقولون في عيسى بن مريم وأمه . قال تقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التي لم يمسسها بشر ولم يعترضها ولد ، قال فرفع عودا من الأرض ثم قال يامعشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذي تقول فيه ما يساوي هذا مرحبا بكم وبعن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذي نجد في الإنجيل وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم أنزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأنتيه حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضى الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصود أن الأنبياء عليهم السلام لم نزل نتمتع ونحكيه في كتبنا على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث ، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الأرض قال « دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمي التي رأت » أي ظهر في أهل مكة أثر ذلك ، وإلارهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه . وقوله تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) قال ابن جرير (فلما جاءهم) أحمد أي للبشر في الأعصار المتقدمة

الذوق بذكره في القرون السالفة . لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون (هذا سحر مبين)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِأُتُودِي وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام) أى لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعله له أندادا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص ولهذا قال تعالى (والله لا يهدي القوم الظالمين) ثم قال تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أى يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس فيه وكأن هذا مستحيل كذلك ذلك مستحيل ولهذا قال تعالى (والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وقد قسم الكلام على هاتين الآيتين في سورة براءة بما فيه كفاية ، والله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تُنجيكم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ * تَوَافُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُجِزُونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

تقدم في حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضی الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليعملوه فأُنزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا هل أذككم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) ثم فسر هذه التجارة العظيمة التي لا تبور ، التي هي محصلة للمقصود ومزيله للحدود فقال تعالى (توافون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى من تجارة الدنيا والكدها والتصدى لها وحدها ثم قال تعالى (يغفر لكم ذنوبكم) أى إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمسكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى (ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) ثم قال تعالى (وأخرى تجزونها) أى أزيدكم على ذلك زيادة تجزونها وهي (نصر من الله وفتح قريب) أى إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) وقوله تعالى (وفتح قريب) أى عاجل فهذه الزيادة هي خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى (وبشر المؤمنين)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَنَامَنَّا طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الخواريون لعيسى حين قال (من أنصاري إلى الله) أى من معى في الدعوة إلى الله عز وجل ؟ (قال الخواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (نحن أنصار الله) أى نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازرك على ذلك ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس في بلاد الشام في الإسرائيليين واليونانيين ، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول في أيام الحج « من رجل يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي » حتى قبض الله عز وجل له الأوس والحزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازره وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار وصار ذلك علما عليهم رضى الله عنهم وأرضاهم

وقوله تعالى (فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) أى لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه فوازره من وازره من الخواريين اهتدت طائفة من بني إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفة فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم إنه ابن الله ، وقائل إنه ثالث ثلاثة : الأب والابن وروح القدس ، ومن قائل إنه الله ، وكل هذه الأقوال مفصلة في سورة النساء

وقوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى (فأصبحوا ظاهرين) أى عليهم وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن النہال يعني ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بي اثني عشر مرة بعد أن آمن بي ، قال ثم قال أيسكم يليق عليه شئ فيقتل مكاني ويكون معي في درجتي : قال فقام شاب من أحدهم سنا فقال أنا ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال له : اجلس . ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال : نعم أنت ذلك . قال فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روضته في البيت إلى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبهه فقتلوه وصلبوه وكفروا به بعضهم اثني عشرة مرة بعد أن آمنوا به ففترقوا فيه ثلاث فرق قتلت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليهودية . وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافران على المساة فقتلوا فلم يزل الإسلام ظاهرا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة) يعني الطائفة التي كفرت من بني إسرائيل في زمن عيسى والطائفة التي آمنت في زمن عيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) باظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار . وهذا لفظه في كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة ، وهكذا رواه النسائي عند تفسير هذه الآية من سننه عن أنى كريب عن محمد بن الملاء عن أبي معاوية بمثله سواء فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم النجاش مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح والله أعلم . آخر تفسير سورة الصنف والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الجمعة وهي مدنية ﴾

عن ابن عباس وأبي هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين . رواه مسلم في صحيحه

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ

رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *
وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ

يخبر تعالى أنه يسبح له ما في السموات وما في الأرض أى من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال تعالى (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) ثم قال تعالى (الملك القدوس) أى هو مالك السموات والأرض المتصرف فيها بحكمه وهو المقدس أى المنزه عن النقائص الموصوف بصفات السكالات (العزيز الحكيم) تقدم تفسيرها غير مرة ، وقوله تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم) الأميون هم العرب كما قال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنا معكم عليكم البلاء والله بصير بالعباد) وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفي من عداهم ولكن اللنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى فى قوله (وإنه لذكر لك ولقومك) وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى (وأنذر عشيرتاك الأقربين) وهذا وأمثاله لا ينافي قوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً) وقوله (لأنذركم به ومن بلغ) وقوله تعالى إخباراً عن القرآن (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك فى سورة الأنعام بالآيات والأحاديث الصحيحة والله الحمد والمنة

وهذه الآية هى مصداق إجابة الله لحليته إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعث الله سبحانه وتعالى له الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطحوس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليه وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب أى نذرا يسيراً ممن تمسك بعبادة الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وذلك أن العرب كانوا قديماً متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلوبه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركاً وباليقين شكاً وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمداً صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقرهم إلى الجنة ورضا الله عنهم والنهى عما يقرهم إلى النار وسخط الله تعالى حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب فى الأصول والفروع ، وجمع له تعالى له الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه ما لم يعط أحداً من الأولين ولا يعطيه أحداً من الآخرين فصلاوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم الدين ، وقوله تعالى (وآخرين منهم لما يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) قال الإمام أبو عبد الله البخارى رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سلمان بن بلال عن ثور عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : كنا جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يَلْحَقُوا بِهِمْ) قالوا من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً وفيما سلمان الفارسى فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان الفارسى ثم قال « لو كانت الإيمان عند الثريا لئلا ناله رجال - أو رجل - من هؤلاء » ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن يزيد الديلى عن سالم أبى الغيث عن أبي هريرة به ، وفى هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس لأنه فسر قوله تعالى (وآخرين منهم) بفارس ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به ولهذا قال مجاهد وغير واحد فى قوله تعالى

(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال هم الأعاجم وكل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من غير العرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ « إِنْ فِي أَصْلَابِ أَصْلَابِ أَصْلَابِ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ثُمَّ قَرَأَ (وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ) يَعْنِي بَقِيَّةَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) أَيُ ذُو الْعِزَّةِ وَالْحِكْمَةِ فِي شَرْعِهِ وَقُدْرَةِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) يَعْنِي مَا عَظَاهُ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّبَوَةِ الْعَظِيمَةِ وَمَا خَصَّ بِهِ أُمَّةً مِنْ بَعَثَةِ ﷺ إِلَيْهِمْ .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُقَرِّرونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿

يقول تعالى ذاماً لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً أي كمثل الحمار إذا حمل كتباً لا يدرى ما فيها فهو يحملها حملاً حسياً ولا يدرى ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظاً ولم يفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالاً من الحمار لأن الحمار لا يفهم له وهو لأهل فهم فهو لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقال تعالى ههنا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) . وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » ثم قال تعالى (قل يا أيها الذين هادوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) أَيُ إِنْ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ عَلَىٰ هَدًى وَأَنْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ فَادْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى الْفَضْلِ مِنَ الْغَيْبِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَيُ فَمَا تَزْعُمُونَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ) أَيُ بِمَا يَعْمَلُونَ لَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْفُجُورِ (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) وَقَدْ قَدَّمْنَا الْكَلَامَ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عَلَىٰ هَذِهِ الْمَبَاهِلَةِ لِلْيَهُودِ حَيْثُ قَالَ تَعَالَى (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَ يُدْعَىٰ لَهُمْ لِيُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَمَا يَعْمَلُونَ) وَقَدْ أَسْلَفْنَا الْكَلَامَ هُنَاكَ وَهَذَا أَنْ الرَّادَّ أَنْ يَدْعُوا عَلَى الضَّلَالِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَوْ خُصُومِهِمْ كَمَا تَقَدَّمَتْ مَبَاهِلَةُ النَّصَارَى فِي آلِ عِمْرَانَ (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) وَمَبَاهِلَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا) . وَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَزِيدَ الزُّرْقِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو يَزِيدَ حَدَّثَنَا فِرَاتٌ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ مَالِكِ الْجَزَرِيِّ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ لَعْنَةُ اللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ مُحَمَّدًا عِنْدَ الْكَعْبَةِ لَأَتَيْنَهُ حَتَّى أَطَأَ عَلَى عُنُقِهِ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَوْ فَعَلَ لَأَخَذْتَهُ لِلْمَلَائِكَةِ عِيَانًا وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَمَاتُوا وَرَأَوْا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يَبَاهَوْنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ قَالَ الْبُخَارِيُّ وَتَبِعَهُ عُمَرُ بْنُ

خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ، ورواه النسائي أيضا عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلبى عن عبيد الله بن عمرو الرقيبه أم

وقوله تعالى (قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) كقوله تعالى فى سورة النساء (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وفى معجم الطبرانى من حديث معاذ بن محمد بن محمد الهذلى عن يونس عن الحسن بن ممره مرفوعا « مثل الذى يفر من الموت كمثل الثعلب يطلبه الأرض بدين فجاء يسعى حتى إذا أعيانها دخل حجره فقالت له الأرض يا ثعلب دىنى فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فإن أهل الاسلام مجتمعون فيه فى كل أسبوع مرة بالمعابد السكينة وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من السنة التى خالق الله فيها السموات والأرض وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحيحة . وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن أبى معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قرئع الضبي حدثنا سلمان قال : قال أبو القاسم عليه السلام « يا سلمان ما يوم الجمعة ؟ » قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبواكم - أو أبوكم - » وقد روى عن أبى هريرة من كلامه نحو هذا فإنه أعلم ، وقد كان يقال له فى اللغة القديمة يوم الروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلو عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذى لم يقع فيه خالق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذى ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذى أكل الله فيه الحليقة كما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله الله فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا والنصارى بعد غد » لفظ البخارى وفى لفظ لمسلم « أفضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فسكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق » وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) أى اقصدوا واعمدوا واهتموا فى سيركم إليها ، وليس المراد بالسعى ههنا المشى السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما يقرأنها (فامضوا إلى ذكر الله) فأما المشى السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجه فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا » لفظ البخارى وعن أبى قتادة قال : بينا نحن نصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال « ماشأ أنكم ؟ » قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال « فلا تنزعوا : إذا أتممت الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا » أخرجه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن مسعود بن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولا تكن اتتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتوا » . رواه الترمذى من حديث عبد الرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد

ابن زريع عن معمر عن الزهري عن أبي سامة عن أبي هريرة بمثله ، قال الحسن أما والله ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلاوعايمهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة في قوله (فاسعوا إلى ذكر الله) يعني أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشى إليها وكان يتأول قوله تعالى (فلما بلغ معه السعي) أي المشى معه ، وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك

ويستحب أن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها لما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ولهما عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » رواه مسلم ، وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « على كل رجل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة » رواه أحمد والنسائي وابن حبان . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي الأشعث الصنعاني عن أوس بن أوس الثقفي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ، ودنا من الامام واستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » وهذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذي ، وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكنأما قرب بدنة ، ومن راح في الساعة الثانية فكنأما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكنأما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح في الساعة الرابعة فكنأما قرب دجاجة ، ومن راح في الساعة الخامسة فكنأما قرب بيضة ، فإذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجه ، ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفي حديث أبي سعيد المتقدم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله » وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن محمد بن إسحاق حدثني محمد بن إبراهيم التيمي عن عمران بن أبي يحيى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبي أيوب الأنصاري سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى أتى المسجد فركع إن بدا له ولم يؤذ أحداً ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » . وفي سنن أبي داود وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته » وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة قرأ عليهم ثياب النمار فقال « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعه سوى ثوبي مهنته » رواه ابن ماجه . وقوله تعالى (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) المراد بهذا النداء هو النداء الثاني الذي كان يفعل بين يدي رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فانه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فأما النداء الأول الذي زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فانما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخاري رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم هو ابن أبي إياس حدثنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جاس الامام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثاني على الزوراء يعني يؤذن به على الدار التي تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن راشد الكحول عن مكحول أن النداء كان في الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الامام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذي يحرم عنده الشراء والبيع إذا نوى به ، فأمر عثمان رضى الله عنه أن ينادى قبل خروج الامام حتى يجتمع الناس . وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر في كتب الفروع

وقوله تعالى (واذروا البيع) أى اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضى الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثانى ، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر في موضعه والله أعلم . وقوله تعالى (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى ترككم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أى في الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون . وقوله تعالى (فإذا قضيت الصلاة) أى فرغ منها (فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) لما حجر عليهم في التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ في الانتشار في الأرض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إني أجبته دعوتك وصليت قرأتك وانتشرت كما أمرتني فارتزقني من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبي حاتم . وروى عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى في يوم الجمعة بعد الصلاة برك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) وقوله تعالى (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى في حال بيعكم وشراكمم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم في الدار الآخرة ، ولهذا جاء في الحديث « من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، كتب الله له ألف حسنة ومحامنه ألف ألف سيئة » وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التي قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) أى على المنبر تخطب ، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة ، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر إلا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال قدمت غير مرة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلا فنزلت (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) أخرجه في الصحيحين من حديث سالم به . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة قدمت غير إلى المدينة فابتدورها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لو تابعتهم حتى لم يبق منكم أحد لسأل بكم الوادى نارا » ونزلت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) وقال كان في الأثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وفي قوله تعالى (وتركوك قائما) دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما . وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ، ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو : أن ههذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد عن الوليد أخبرني أبو معاذ بكير بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى إذا كان يوم والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة ، يعني فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير

وقوله تعالى (قل ما عند الله) أى الذى عند الله من الثواب فى الدار الآخرة (خير من اللغو ومن التجارة والله خير الرازقين) أى لمن توكل عليه وطالب الرزق فى وقته . آخر تفسير سورة الجمعة والله الحمد والمنة . وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة المنافقين وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَوْهُمُ تَعَجَّبُوا أَجْسَامَهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ فأما فى باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) أى إذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال (والله يعلم إنك لرسوله) . ثم قال تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أى فيما أخبروا به وإن كان مطابقا للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم . وقوله تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أى اتقوا الناس بالآيمان السكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاعتر بهم من لا يعرف حاية أمرهم فاعتقدوا أنهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا فى الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ، ولهذا قال تعالى (فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون) ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها (اتخذوا إيمانهم جنة) أى تصديقهم الظاهر جنة أى تقية يتقون به القتل ، والجمهور يقرؤها (أيمانهم) جمع يمين وقوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) أى إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران واستبدالهم الضلالة بالهدى فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون . أى فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تمى ولا تهتدى

وقوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) أى وكانوا أشكالا حسنة وذوى فصاحة وألسنة وإذا سمعهم السامع يصفى إلى قولهم لبلأغتهم ، وهم مع ذلك فى غاية الضعف والخور والملع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) أى كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كمال قال تعالى (أشجة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حديد أشجة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) فهم جهامات وصور بلا معنى ، ولهذا قال تعالى (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجعفى عن إسحاق بن بكير بن أبى الفرات عن سعيد بن أبى سعيد القبرى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحييتهم لعنة وطعامهم نهمية وغنيمتهم غلول ولا يقرؤون المساجد إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ، مستكبرين لا يأفلون ولا يؤفلون ، خشب بالليل صخب بالنهار » وقال يزيد بن هزيرة : سخب بالنهار

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَايِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم (إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكبارا عن ذلك واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال تعالى (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) كما قال في سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هناك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير العدني قال : قال سفيان (لووا رؤوسهم) قال ابن أبي عمير حول سفيان وجهه على عينه ونظر بعينه شزرا ثم قال هو هذا . وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السباق كله نزل في عبدالله بن أبي بن ساول كما سنورده قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان ، وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة يعني مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبي بن ساول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فهم شريفا إذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع يعني مرجعه بثلاث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بشيابه من نواحيه وقالوا اجلس أي عدو الله لست لك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكانما قلت بجرا أن قت أشدد أمره فلقبه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال قت أشدد أمره فوثب على رجال من أصحابه يحدونني ويعفونني لكانما قلت بجرا أن قت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال والله ما أبغى أن يستغفر لي ، وقال قتادة والسدي : أنزلت هذه الآية في عبيد الله بن أبي وذلك أن غلاما من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يخلف بالله ويتبرأ من ذلك وأقبلت الأنصار على ذلك السلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعبد الله لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلاوي رأسه أي لست فاعلا . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الزبير الزهري حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلا لم يتحمل حتى يصلي فيه فلما كانت غزوة تبوك باعه أن عبد الله بن أبي بن ساول قال ليخرجن الأعز منها الأذل فأرتحل قبل أن ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبي أتت النبي ﷺ حتى يستغفر لك فأنزل الله تعالى (إذا جاءك المنافقون - إلى قوله - وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير ، وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فان عبدالله بن أبي بن ساول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وإعالم المشرك عند أصحاب المنازي والسير أن ذلك كان في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثني محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة

في قصة بني المصطلق فيينا رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري وكان أجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد قال ابن إسحق فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يا معشر الأنصار وقال الجهجاه يا معشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي فلما ممها قال قد ثاورونا في بلادنا والله مامثلنا وجلاليب قريش هذه إلا كما قال القائل : سمن كلبك يا كلك ، والله لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من عنده من قومه وقال هذا ما صنعتم بأنفسكم أحللتهموهم بلادكم وقاسمتهموهم أموالكم أما والله لو كففتهم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها فسمعها زيد بن أرقم رضي الله عنه فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وهو غليم عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله مر عباد ابن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فسيكف إذا تحدث الناس يا عمر أن محمدا يقتل أصحابه لا ، ولكن ناد يا عمر الرحيل » فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال ، ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمسكان فقالوا يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أو هو ولم يثبت ما قال الرجل وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا في ساعة كان لا يروح فيها فلقبه أسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت في ساعة منكرا ما كنت تروح فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبي ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل » قال فأتت يا رسول الله العزيز وهو الليل ثم قال أرفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الحز لتوجه فانه ليرى أن قد سلمته ملكا ففسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحي ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين وقال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فقال رسول الله ﷺ « ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فانها منتنة » وقال عبد الله بن أبي ابن ساول وقد فعلوها : والله لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال جابر وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عمر دعي أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي ﷺ « دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه » ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد الروزي عن سفيان بن عيينة ورواه البخاري عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه : وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن محمد بن كعب القرظي عن زيد بن أرقم قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال فأثيت النبي ﷺ فأخبرته قال فحلف عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك قال فلامني قومي وقالوا ما أردت إلى هذا؟ قال فانطلقت فمعت كئيذا حزينا قال فأرسل إلى نبي الله ﷺ فقال « إن الله قد أنزل عندك وصداقك » قال فنزلت هذه الآية (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا - حتى بلغ - لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ورواه البخاري عند هذه الآية عن آدم بن أبي إياس عن شعبة ثم قال وقال ابن أبي زائدة عن الأعشى عن عمرو بن ابن أبي ليلى عن زيد عن النبي ﷺ ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضا من حديث شعبة به . (طريق أخرى عن زيد) قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالنا : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال سمعت زيد بن أرقم وقال أبو بكر عن زيد بن أرقم قال خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي ابن ساول يقول لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ولأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبي ابن ساول وأصحابه فأنزلوا .

بأنه ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ! قال حتى أنزل الله (إذا جاءك المنافقون) قال فبعث إلى رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ على ثم قال « إن الله قد صدقك » . ثم قال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله وقال أين رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأثبت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا : كذب زيد يا رسول الله ، فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله تصديقي (إذا جاءك المنافقون) قال ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رءوسهم .

وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) قل كانوا رجالا أجملى شيء ، وقدرناه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ورواه البخاري أيضا والترمذي من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي عن زبيده . (طريق أخرى عن زيد) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي سعد الأزدي قال حدثنا زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الأعراب فكانوا يتندر الماء وكان الأعراب يسبقوننا إليه فسبق أعرابي أصحابه ليبدأ الحوض ويحمل حوله حجارة ويحمل النطع عليه حتى يجيء أصحابه قال فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخصي زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشججه فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله لأصحابه : إذا انقضوا من عند محمد فاثبتوا محمدا بالطعام فليأكل كل هو ومن معه ثم قال لأصحابه لئن رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل قال زيد وأنا ردف عمي ، قال فسمعت عبيد الله بن أبي يقول ما قال فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وبعثه قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني ، قال فجاء إلى عمي فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون قال فوقع على من أتهم ما لم يقع على أحد قط ، قال فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر وقد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ فمرك أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ثم إن أبا بكر لحقني وقال : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قلت ما قال شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر ، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين . انشرد باخراجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح . وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن عبيد الله بن موسى به وزاد بمذوقه سورة المنافقين (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله - حق باغ - هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا - حق باغ - ليخرجن الأعز منها الأذل)

وقد روى عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير في المغازي وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ولكن جملا الذي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبي ابن سائل إنما هو أوس بن أقرم من بني الحارث بن الخزرج فلعله مبالغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عزيز الأيلي حدثني سلام حدثني عقيل أخبرني محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أخبراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع وهي التي هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فكسر مناة فاقتل رجالان في غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من بهز ، وهم

حلفاء الأنصار فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على الهزبي فقال الهزبي يامعشر الأنصار فنصره رجال من الأنصار وقال المهاجري يامعشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ثم حجز بينهم فانسكفا كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أبي ابن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لاتضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد الله بن أبي عدو الله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن النخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفان الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد الله بن أبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجلس » فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحذني عبد الأشهل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفان الناس أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضرب بالسيف تحت قرط أذنيه ، فقال رسول الله ﷺ « اجلس » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آذنوا بالرحيل » فهجر بالناس فصار يومه ولياته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ « أي عمر أ كنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم ، فقال رسول الله ﷺ والله لو قتلته يومئذ لأرغمته أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقاتلوه فيتحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبرا وأنزل الله عز وجل (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا - إلى قوله تعالى - يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) الآية . وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه ، وقال محمد بن إسحاق بن يسار حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلا فؤرني به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الحزرج ما كان لها من رجل أبر بالدم مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تندبني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ « بل تفرق به ونحسن صحبته ما بقى معنا » وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قاتلوا راجعين إلى المدينة وقص عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه وراءك : فقال مالك وياك ؟ فقال والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فانه العزيز وأنت الدليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقه فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فبجز الآن ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا مفيان بن عيينة حدثنا أبو هارون المدني قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول لأبيه والله لا تدخل المدينة أبدا حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل ، قال وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فواللهي بعمك بالحق ما تأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فاني أكره أن أرى قاتل أبي

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ وَأَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ

قَرِيبٌ فَأَصْدَقَ وَأَكْنَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى آمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره ونهاياهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبراهم بأنه من النهي بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ثم حثهم على الاتفاق في طاعته فقال (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فكل مفرد يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستعيب ويستدرك ما فاتته وهيئات ، كان ما كان أوتي ما هوأت ؛ وكل بحسب تفريطه ؛ أما الكفار فكما قال تعالى (وأنذر الناس يوم يأتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجرب دعوتك وتتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) وقال تعالى (حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعوني * لعلني أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) . ثم قال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خير بما تعملون) أي لا ينظر أحدا بعد حاول أجله . وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى (والله خير بما تعملون) . وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب السكابي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يباغحه حج بيت ربه وأوجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سألتوا عليك بذلك قرآنا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين - إلى قوله - والله خير بما تعملون) قال فما يوجب الزكاة ؟ قال إذا باغ المال مائتين فصاعدا ؛ قال فما يوجب الحج . قال الزاد والبعير . ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن يحيى بن أبي حية وهو أبو جناب السكابي عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح ، وضعت أبا جناب السكابي (قلت) ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن نفيث حدثنا سليمان بن عطاء عن مسامة الجهني عن عمه يعني أبا مشجعة بن ربيعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال « إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره » . آخر تفسير سورة المنافقين والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة التغابن وهي مدنية وقيل مكية ﴾

قال الطبراني حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد الحلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن » أوردته ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جدا بل منكر .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْإِلَهَ الْوَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٠٠﴾

هذه السورة هي آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسميخ المخلوقات لبارئها ومالكها ولهذا قال تعالى (له الملك وله الحمد) أى هو المتصرف فى جميع الكائنات المحمود على جميع ما خلقه ويقدره وقوله تعالى (وهو على كل شىء قدير) أى مهما أراد كان بلا منافع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى (هو الذى خلقكم فذنبكم كافرو منكم مؤمن) أى هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية بمن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزى بهم بها أتم الجزاء ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون بصير) ثم قال تعالى (خلق السموات والأرض بالحق) أى بالعدل والحكمة (وصوركم فأحسن صوركم) أى أحسن أشكالكم كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك) (وَقَوْلُهُ تَعَالَى (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ) الْآيَةُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَالِيهِ الْمَصِيرُ) أَيْ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْكَبُ ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ عِلْمِهِ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ فَقَالَ تَعَالَى (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تَعْلَنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَدَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِىٌ حَمِيدٌ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأمم الماضين وما حل بهم من العذاب والنكال فى مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل) أى خبرهم وما كان من أمرهم (فدأقوا وبأل أمرهم) أى وخيم تكذيبهم وردى أفعالهم وهو ما حل بهم فى الدنيا من العقوبة والحزى (ولهم عذاب أليم) أى فى الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدينوى ثم علل ذلك فقال (ذلك بأنه كانت تأتيمهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج والدلائل والبراهين (فقالوا أبشر يهدوننا) أى استبعدوا أن تكون الرسالة فى البشر وأن يكون هدايتهم على يدى بشر مثلهم (فكفروا وتولوا) أى كذبوا بالحق ونكأوا عن العمل (واستغنى الله) أى عنهم (والله غنى حميد)

﴿رَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبُّونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * فَتَأْمُرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَبِعَمَلِ صَالِحَةٍ إِيَّاهُ يَكْتُمُ عَنْهُ سِيئَاتِهِ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار والشركين والمحدنين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون (قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيها صغيرها وكبيرها (وذلك على الله يسير) أى بمشكم ومجازاتكم وهذه هى الآية الثالثة التى أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده فالأولى فى سورة يونس (ويستنبؤنك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أتم بمعجزين) والثانية فى سورة سبأ (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) الآية والثالثة هى هذه (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى

لعبثن ثم لنبتون بما عملتم وذلك على الله يسير)
ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) يعني القرآن (والله بما تعملون خبير) أى فلا تخفى عليه
من أعمالكم خافية وقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وهو يوم القيامة سمي بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون
في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقال تعالى (قل
إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم)
وقوله تعالى (ذلك يوم التغابن) قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة وذلك أن أهل الجنة يعجبون أهل النار
وكذا قال قتادة ومجاهد ، وقال مقاتل بن حيان لاغبين أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار
قلت وقد فسر ذلك بقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم) * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس
المصير) وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة

﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا بما أخبر به في سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من
قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) وهكذا قال ههنا (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) قال ابن عباس بأمر الله
يعنى عن قدره ومشيطته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم) أى ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله
وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه . وعوضه عما فاتته من الدنيا هدى في قلبه ويقينا صادقا وقد
يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه . قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يهد قلبه
لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه

وقال الأعمش عن أبي ظبيان قال كنا عند علقمة فقريء عنده هذه الآية (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) فستل عن ذلك
فقال : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم في تفسيرهما ، وقال
مسعود بن جبير ومقاتل بن حيان (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يسترجع يقول (إنا لله وإنا إليه راجعون)
وفي الحديث اللقي عليه « عجبا للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له
وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا
الحارث بن يزيد عن على بن رباح أنه سمع جنادة بن أبي أمية يقول سمعت عباد بن الصامت يقول : إن رجلا أتى رسول
الله ﷺ فقال يا رسول الله أى العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيل الله » قال أريد أهون من
هذا يا رسول الله . قال « لا تهم الله في شيء قضى لك به » لم يخرجوه .

وقوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عندهم وزجر
ثم قال تعالى (فان توليتم فإنا على رسولنا البلاغ المبين) أى إن نكلتم عن العمل فإنا عليه ما حمل من البلاغ وعليكم
ما حملتم من السمع والطاعة . قال الزهري : من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم
ثم قال تعالى مخبرا أنه الأحد الصمد الذى لا إله غيره فقال تعالى (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون)
فالأول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أى وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه كما قال تعالى (رب
الشرق والغرب لا إله إلا هو فاخذوه وكيلا)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْدَاجِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَلَصَفَعُوا وَتَغَفَّرُوا

فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ
وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَلَّمَ الْقَيْمَ وَالشَّهَادَةَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *

يقول تعالى مخبرا عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يلتصق به عن العمل الصالح
كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ولهذا
قال تعالى ههنا (فاحذروهم) قال ابن زيد يعني على دينكم ، وقال مجاهد (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) قال محمد
الرجل على قطعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد
ابن خلف الصيدلاني حدثنا الفرابي حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه
الآية (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال في هؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا
أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يبعوهم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأوا الناس قد فقهوا في الدين فهموا أن يعاقبهم فأُنزل الله تعالى هذه الآية (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا
فإن الله غفور رحيم) وكذا رواه الترمذي عن محمد بن يحيى عن الفرابي وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح
ورواه ابن جرير والطبراني من حديث إسرائيل به وروى من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة
مولاه سواء وقوله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) يقول تعالى إنما الأموال والأولاد
فتنة أي اختبار ابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، وقوله تعالى (والله عنده) أي يوم القيامة
(أجر عظيم) كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الدنيا الحياة والله عنده حسن المآب) والقي بعسدها ، وقال الإمام أحمد
حدثنا زيد بن الحباب حدثني حسين بن واقد حدثني عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول : كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطب فيجاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قيصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المنبر فحملهما بين يديه ثم قال « صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى
هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما » ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد
به ، وقال الترمذي حسن غريب إنما نعرفه من حديثه ، وقال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجاهد
عن الشعبي حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة فقال لي « هل لك من
ولد ؟ » قلت : غلام ولد لي في مخرجي إليك من ابنة حمد ولوددت أن بمكانه سبع القوم فقال « لا تقولن ذلك فإن
فيهم قرة عين وأجرا إذا قبضوا » ثم قال « ولئن قلت ذلك إنهم لمحبنة محزنة » فنرد به أحمد وقال الحافظ أبو بكر
البراز حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبي عن عيسى عن ابن أبي ليلى عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم « الولد ثمرة القلوب وإنهم محبنة مبخلة محزنة » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد ، وقال الطبراني حدثنا هاشم
ابن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري أن
رسول الله ﷺ قال « ليس عدوك الذي إن قتلته كان فوزا لك وإن قتلك دخلت الجنة ولكن الذي لعله عدو لك
ولذلك الذي خرج من صلبك ، ثم أعدى عدو لك مالك الذي ملكك يمينك »

وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أي جهدكم وطاقتكم كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » . وقد قال بعض
المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة للتي في آل عمران وهي قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيهم وتقرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت الآية الأولى وروى عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقنادة والريبع بن أنس والسدي ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى (واسمعوا وأطيعوا) أي كونوا متقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدوا عنه عينة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدي الله ورسوله ولا يتخافوا عما به أمرهم ولا تركبوا ما عنه زجرهم وقوله تعالى (وأنفقوا خيرا لأنفسكم) أي وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوى الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والآخرة وإن لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والآخرة وقوله تعالى (ومن يؤق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة ، وقوله تعالى (إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم) أي مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين أن الله تعالى يقول : من يقرض غير طالوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) (ويغفر لكم) أي ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال تعالى (والله شكور) أي يجزي على القليل بالكثير (حلیم) أي يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) تقدم تفسيره غير مرة آخر تفسير سورة التغابن والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الطلاق وهي مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّوهُنَّ لِعَدَّتَيْنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾

خو طب النبي ﷺ أولا تشريفا وتكريما ثم خاطب الأمة تبعا فقال تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلَّوهن لعدتَيْن) وقال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري ثنا أسباط بن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة فأنت أهلها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلَّوهن لعدتَيْن) فقيل له راجعها فانها صوامة قوامه وهي من أزواجك ونسائك في الجنة ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسل وقد ورد من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها

وقال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني سالم أن عبد الله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « ليراجعها ثم يسكنها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بداله أن يطلقها فليطلقها طاهر قبل أن يسقط تلك العدة التي أمر بها الله عز وجل » هكذا رواه البخاري ههنا وقد رواه في مواضع من كتابه ومسلم ولفظه « فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء » ورواه أصحاب الكتب والسنن من طرق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الأحكام وأمس لفظ يورد ههنا ما رواه مسلم في صحيحة من طريق ابن جرير أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبد الرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع ، كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضا فقال طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال رسول الله ﷺ « ليراجعها - فردها - وقال - إذا طهرت فليطلق أو يسك » قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ (يا أيها النبي إذا طلقت النساء فطلقوهن في قبل عدتهن) وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال الطهر من غير جماع، وروى عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال لا يطلقها وهي حائض ولا في طهر قد جامعها فيه ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة وقال عكرمة (فطلقوهن لعدتهن) العدة الطهر والقراء الحيض أن يطلقها حبلى مستبينا حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدرى حبلى هي أم لا، ومن ههنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها، والبدعي هو أن يطلقها في حال الحيض أو في طهر قد جامعها فيه ولا يدرى أحملت أم لا، وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها، وتحرير الكلام في ذلك وما يتعلق به مستقصى في كتب الفروع والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (وأحصوا العدة) أي احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها ثلاثا طول العدة على المرأة فتمنع من الأزواج (واتقوا الله ربكم) أي في ذلك . وقوله تعالى (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) أي في مدة العدة لما حق السكني على الزوج ما دامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضا الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضا وقوله تعالى (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أي لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدق وسعيد بن أبي هلال وغيرهم وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بنت على أهل الرجل وآذتهم في الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أي شرائع ومحارمه (ومن يتعد حدود الله) أي يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأمر بها (فقد ظلم نفسه) أي بفعل ذلك . وقوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أي إنما بقينا المطلقة في منزل الزوج في مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى في قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل ، قال الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن فاطمة بنت قيس في قوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) قالت هي الرجعة ، وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثوري ، ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكني للبتوة أي المقطوعة وكذا للتوفي عنها زوجها ، واستمدوا أيضا على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو ابن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائبا عنها باليمن فأرسل إليها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعير يعني نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة ، فأنت رسول الله ﷺ فقال « ليس لك عليه نفقة » ولمسلم « ولا سكني » وأمرها أن تعتد في بيت أم شريك ثم قال « تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعشى تضعين ثيابك » الحديث . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال حدثنا يحيى بن سعيد ثنا مجالد ثنا عامر قال : قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتني أن زوجها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعته رسول الله ﷺ في سرية قالت : فقال لي أخوه أخرجني من الدار فقلت إن لي نفقة وسكني حتى يحبل الأجل قال : لا ، قالت فأنت رسول الله ﷺ فقلت إن فلانا طلقني وإن أخاه أخرجني ومنعني السكني والنفقة فقال له « مالك ولا بنت آل قيس ؟ » قال يا رسول الله إن أخي طلقها ثلاثا جميعا قالت : فقال رسول الله ﷺ « انظري يا بنت آل قيس إنما النفقة والسكني للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكني أخرجني فأنزلي على فلانة » ثم قال إنه يتحدث إليها « انزلي على ابن أم مكتوم فانه أعشى لا يراك » وذكر تمام الحديث .

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا أحمد بن عبد الله البزار التستري ثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد البجلي ثنا عامر الشعبي أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشي وزوجها أبو عمرو ابن حفص بن المغيرة المخزومي فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى وهو منطلق في جيش إلى اليمن بطلاق فسألت أولياءه النفقة على والسكنى فقالوا ما أرسل إلينا في ذلك شيئا ولا أوصانا به فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى بطلاق فسألت أولياءه السكنى والنفقة على فقال أولياءه لم يرسل إلينا في ذلك شيء فقال رسول الله ﷺ « إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة فإذا كانت لا تحمل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولا سكنى » وكذا رواه النسائي عن أحمد بن يحيى الصوفي عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الأحمسي البجلي السكوني قال أبو حاتم الرازي هو شيخ يروي عنه

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ يقول تعالى فإذا بلغت المعتدات أجلهن أي شارفن على انقضاء العدة وقاربن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالسكينة فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده (بمعروف) أي محسنا إليها في صحبتها، وإما أن يعزم على مفارقتها بمعروف أي من غير مقابحة ولا مشامة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن

وقوله تعالى (وأشهدوا ذوى عدل منكم) أي على الرجعة إذا عزم عليها كما رواه أبو داود وابن ماجه عن عمران ابن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة ورجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد ، وقال ابن جريج كان عطاء يقول (وأشهدوا ذوى عدل منكم) قال لا يجوز في نكاح ولا طلاق ولا رجاء إلا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل إلا أن يكون من سدر ، وقوله تعالى (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي هذا الذى أمرناكم به من الاشهاد وإقامة الشهادة إنما يأمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر وأنه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله في الدار الآخرة ، ومن ههنا ذهب الشافعى في أحد قوليهِ إلى وجوب الاشهاد في الرجعة كما يجب عنده في ابتداء النكاح وقد قال بهذا طائفة من العلماء ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لا تصح إلا بالقول ليقع الاشهاد عليها . وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من جهة لا يتخطر بباله قال الامام أحمد ثنا يزيد أنا كهكس بن الحسن ثنا أبو السليل عن أبي ذر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) حتى فرغ من الآية ثم قال « يا أباذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتمهم » قال فجعل يتلوها ويردها على حتى نمت ثم قال « يا أباذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة ؟ » قلت إلى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة قال « كيف تصنع إذا أخرجت من مكة ؟ » قال : قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة ، قال « وكيف تصنع إذا أخرجت من الشام » قلت إذا والذى بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقى ، قال « أواخر من ذلك » قلت أواخر من ذلك ؟ قال تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا »

وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا علي بن عبيد ثنا زكريا عن عامر عن شتير بن شريك قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول إن أجمع آية في القرآن (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وإن أكبر آية في القرآن فرجا

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وفي السند حدثني مهدي بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب عن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب » . وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يقول ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال الربيع بن خيثم (يجعل له مخرجا) أي من كل شيء ضاق على الناس ، وقال عكرمة من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا ، وكذا روى عن ابن عباس والضحاك ، وقال ابن مسعود ومسروق (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يعلم أن الله إن شاء أعطى وإن شاء منع (من حيث لا يحتسب) أي من حيث لا يدري . وقال قتادة (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أي من شهادت الأمور والكرب عند الموت (ويرزقه من حيث لا يحتسب) من حيث يرجو ولا يأمل ، وقال السدي (ومن يتق الله) يطلق السنة ، ويراجع السنة ، وزعم أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعي كان له ابن وأن المشركين أسروه فكان فيهم وكان أبوه يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو إليه مكان ابنه وحاله التي هو بها وحاجته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له « إن الله سيجعل لك فرجا » فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا أن انقلبت ابنه من أيدي العدو فر بغير من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه وجاء معه بغير قد أصابه من الغنم فنزلت فيه هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) رواه ابن جرير ، وروى أيضا من طريق سالم بن أبي الجعد مرسل نحوه . وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبي الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالنسب يصيبه ولا يرد القدر إلا الله ولا يزيد في العمر إلا البر » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثوري به . وقال محمد بن إسحاق : جاء مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أسرابي عوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرسل اليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله » وكانوا قد شدوه بالقيد فسقط القيد عنه فخرج فإذا هو بناقته لهم فركبها وأقبل فإذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادي بالباب فقال أبوه: عوف ورب الكعبة فقالت أمه : واسوأناه وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القيد فاستبقا الباب والخدام فإذا عوف قد ملأ الفناء إبلا فقص على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه فما حق أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله عنها فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع بهما ما أحببت وما كنت صانعا بمالك » ونزل (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) رواه ابن أبي حاتم وقال ابن أبي حاتم ثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن علي بن الحسن بن سفيان ثنا إبراهيم بن الأشعث ثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكاه الهما » . وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قال الامام أحمد حدثنا يونس ثنا ليث ثنا قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا غلام إني معك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » وقد رواه الترمذي من حديث الليث بن سعد وابن لهيعة به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا بشير بن ساسان عن سيار أبي الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان ثمنا أن لا تسهل حاجته ، ومن أنزلها بالله تعالى أنما الله يرزق عاجل أو يموت آجل » ثم رواه عن عبد الرزاق عن سفيان عن بشير عن سيار

أبى حمزة ثم قال وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق وقوله تعالى (إن الله بالغ أمره) أى منفذ قضائيه وأحكامه فى خلقه بما يريد ويشاؤه (قد جعل الله لكل شىء قدرا) كقوله تعالى (وكل شىء عنده بمقدار)

﴿ وَاللّٰى يَتَسَنَّ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِّسَائِكُمْ إِنْ أُرْتَبِتُمْ فَمِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللّٰى لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾

يقول تعالى مبينا لمدة الآيسة وهى التى قد انقطع عنها الحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر عوضا عن الثلاثة قروء فى حق من تحيض كما دلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللاتى لم يبلغن سن الحيض ان عدتهن كمدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى (واللاتى لم يحضن) ، وقوله تعالى (إن ارتبتم) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهرى وابن زيد أى إن رأين دما وشككن فى كونه حيضا أو استحاضة وارتبتم فيه ﴿ والقول الثانى ﴾ إن ارتبتم فى حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر ، وهذا مروى عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر فى المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبى كريب وأبى السائب قالا ثنا ابن إدريس أنا مطرف عن عمرو ابن سالم قال قال أبى بن كعب يارسول الله ان عددا من عدد النساء لم تذكر فى الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال ، قال فأمر الله عز وجل (واللاتى يتسن من الحيض من نساءكم إن ارتبتم فمدتهن ثلاثة أشهر واللاتى لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ، ورواه ابن أبى حاتم بأبسط من هذا السياق فقال : ثنا أبى ثناء يحيى بن المغيرة أنا جرير عن مطرف عن عمر بن سالم عن أبى بن كعب قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ناسا من أهل المدينة لا أنزلت هذه الآية فى البقرة فى عدة النساء قالوا لقد بقى من عدة النساء عدد لم يذكر فى القرآن الصغار والكبار اللاتى قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل قال فأنزلت التى فى النساء القصرى (واللاتى يتسن من الحيض من نساءكم إن ارتبتم فمدتهن ثلاثة أشهر واللاتى لم يحضن) ، وقوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) يقول تعالى ومن كانت حاملا فمدتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة فى قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية السكرية وكأوردت به السنة النبوية ، وقد روى عن على وابن عباس رضى الله عنهما أنهما ذهبا فى التوفى عنها زوجها أنها تعد بأبعد الأجلين من الوضع والأشهر عملا بهذه الآية والى فى سورة البقرة وقال البخارى ثنا سعيد بن حفص ثنا شيبان عن يحيى قال أخبرنى أبو سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال أفنى فى امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الأجلين قالت أنا (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال أبو هريرة أنا مع ابن أخى - يعنى أباهلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سادة يسألها فقالت . قتل زوج سبيعة الأسلمية وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأناكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنا بل فيمن خطبها ، هكذا أورد البخارى هذا الحديث هنا مختصرا وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجوه أخر وقال الإمام أحمد : ثنا حماد بن أسامة أنا هشام عن أبيه عن المسور بن مخرمة ان سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهى حامل فلم تمكث إلا ليلتى حتى وضعت فلما تملت من نفاسها خطبت فاستأذنت رسول الله ﷺ فى النكاح فأذن لها ان تنكح فنكحت ورواه البخارى فى صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق عنها كما قال مسلم بن الحجاج حدثنى أبو الطاهر أنا ابن وهب حدثنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان أباه كتب إلى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهرى يأمره ان يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فكتب عمر بن عبد الله يخبره ان سبيعة أخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها

بعد وفاته فلما تعلمت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بكك فقال لها مالي أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح إنك والله ما أنت بنا كج حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت فأنيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حلت حين وضعت حملي وأمرني بالزواج إن بد لي ، هذا لفظ مسلم ورواه البخاري مختصرا ثم قال البخاري بعد روايته الحديث الأول عند هذه الآية ، وقال أبو سلمان بن حرب وأبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين قال كنت في حلقة فيها عبد الرحمن بن أبي ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الأجلين فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة قال فسمعنا بعض أصحابه قال محمد فقطنت له فقلت له إني لجريء أن أكذب على عبد الله وهو في ناحية الكوفة قال فاستجيا وقال لكس عمه لم يقل ذلك فأنيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثني بحديث سبيعة فقلت هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا ؟ فقال كنا عند عبد الله فقال أتجعلون عليها الغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ فنزلت سورة النساء القصص بعد الطولي (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل ابن علية عن أيوب به مختصرا ، ورواه النسائي في التفسير عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره . وقال ابن جرير : حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا محمد بن جعفر حدثني ابن شبرمة السكوفي عن إبراهيم عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال : من شاء لاعتته ما نزلت (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) إلا بعد آية للتوفي عنها زوجها ، قال : وإذا وضعت المتوفي عنها زوجها فقد حلت يريد بآية التوفي عنها (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) وقدرناه النسائي من حديث سعيد بن أبي مريم به ، ثم قال ابن جرير : ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد ثنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي قال : ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين فقال من شاء قاسمته بالله إن هذه الآية التي في النساء القصص نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر ثم قال : أجل الحامل أن تضع ما في بطنها . وقال ابن أبي حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطي ثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن عليا رضي الله عنه يقول آخر الأجلين فقال من شاء لاعتته إن التي في النساء القصص نزلت بعد البقرة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي معاوية عن الأعمش

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن أبي بكر المصدي أنا عبد الوهاب الثقفي حدثني الثني عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن أبي بن كعب قال قلت للنبي ﷺ (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) المطلقة ثلاثا أو المتوفي عنها زوجها ، فقال : هي المطلقة ثلاثا والمتوفي عنها . هذا حديث غريب جدا بل منكر لأن في إسناده الثني بن الصباح وهو متروك الحديث مرة ولكن رواه ابن أبي حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السلمي ثنا عمرو بن خالد يعني الحراني ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدري أم مشتركة أم مبهمه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آية آية ؟ » قال (أجلهن أن يضعن حملهن) المتوفي عنها والمطلقة ، قال نعم وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن موسى بن داود عن ابن لهيعة به ثم رواه عن أبي كريب أيضا عن مالك بن إسماعيل عن ابن عيينة عن عبد الكريم بن أبي المخارق أنه حدثني عن أبي بن كعب قال : سألت رسول الله ﷺ عن (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال « أجل كل حامل أن تضع ما في بطنها » عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أبا ، وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أي يسهل له أمره ويسره عليه ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ثم قال تعالى (ذلك أمر الله أنزله إليكم) أي حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) أي يذهب عنه المخدور ويجزل له الثواب على العمل اليسير

﴿ أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُمْ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمَا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ

تَمَسَّرْتُمْ فَسَرَّضْ لَهُ أُخْرَى * لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿١﴾

يقول تعالى أمرا عباده إذا طلق أحدكم المرأة أن يسكنها في منزل حتى تنقضي عدتها فقال (أسكنوهن من حيث سكنتم) أي عندكم (من وجدكم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني سكنكم حتى قال قتادة : إن لم يجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه وقوله تعالى (ولا تضاروهن لتضييقا عليهن) قال مقاتل بن حيان يعني يضاجرها لتفتدي منه بما لها أو تخرج من مسكنه ، وقال الثوري عن منصور عن أبي الصحنى (ولا تضاروهن لتضييقا عليهن) قال يطلقها فإذا بقي يومان راجعها ، وقوله تعالى (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه في البائن إن كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها قالوا بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا ، وقال آخرون بل السياق كله في الرجعيات وإيمانص على الاتفاق على الحامل وإن كانت رجعية لأن الحمل تطول مدته غالبا فاحتيج إلى النص على وجوب الاتفاق إلى الوضع ثلاثتهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة ، ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل أم لا الحمل وحده ؟ على قولين منصوصين عن الشافعى وغيره ويتفرع عليها مسائل كثيرة مذكورة في علم الفروع

وقوله تعالى (فإن أرضعن لكم) أي إذا وضعن حملهن وهن طوائق فقد بن بالهضاء عدتهن ولها حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه باللبأ وهو باكورة اللبن الذى لا قوام للمولود غالبا إلا به ، فإن أرضعت استحق أجر مثلها ولها أن تعافد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة ولهذا قال تعالى (فإن أرضعن لكم فأكوهن أجورهن) وقوله تعالى (واشعروا بينكم بمعروف) أى واتسكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا مضارة كما قال تعالى في سورة البقرة (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) وقوله تعالى (وان تماسرتم فستررع له أخرى) أى وإن اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة في أجرة الرضاع كثيرا ولم يجبها الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليستررع له غيرها فلو رضيت الأم بما استؤجرت به الأجنبية فهي أحق بولدها . وقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) أى لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاه) كقوله تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) روى ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا حكام عن أبي سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة قيل إنه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث إليه بألف دينار وقال للرسول انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها ؟ لما لبث أن لبس اللين من الثياب ، وأكل أطيب الطعام ، فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية (لينفق ذو سعة من سعته) ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير : ثنا هاشم بن يزيد الطبراني ثنا محمد بن إسماعيل بن عياش أخبرني أبي أخبرني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد بن أبي مالك الأشجري واسمه الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة نركان لأحدم عشرة دنائير فتصدق منها بدينار وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية ، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — هم في الأجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله قال الله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) » هذا حديث غريب من هذا الوجه . وقوله تعالى (سيجعل الله بعد عسر يسرا) وعد منه تعالى ووعدته حق لا يخلفه وهذه كقوله تعالى (فإن مع العسر يسرا) . وقد روى الإمام أحمد حديثا يحسن أن نذكره ههنا فقال حدثنا هاشم بن القاسم ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال : قال أبو هريرة بينا رجل وامرأة له في السلف الحالى لا يقدران على شيء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائئة قد أصابته مسغبة شديدة فقال لامرأته عندك شيء ؟ قالت نعم أبشر أنا زرق الله فاستحما فقال ويحك ابتهى إن كان عندك شيء قالت نعم هنيهة ترجو رحمة الله ، حتى إذا طال عليه الطول قال ويحك قومي فابتهى إن كان عندك شيء فاثبتني به فاني قد بلغت وجهتي ، فقالت نعم ،

الآن تفتح التنور فلا تعجل فلما أن سكت عنها مساعة وتحببت أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت إلى تنوري فقامت فنظرت إلى تنورها ملا من جنوب الغنم ورحيها تطحنان فقامت إلى الرحي فنفضتها واستخرجت ما في تنورها من جنوب الغنم ، قال أبو هريرة فوالذي نفس أبي القاسم بيده هو قول محمد ﷺ «لواخذت ما في رحيها ولم تنفضها لطحننا إلى يوم القيامة»

وقال في موضع آخر ثنا أبو عامر ثنا أبو بكر عن هشام عن محمد وهو ابن سيرين عن أبي هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته قامت إلى الرحي فوضعتها إلى التنور فسجرت ثم قالت اللهم ارزقنا ، فنظرت ، فإذا الجفنة قد امتلأت ، قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعدى شيئاً قالت امرأته نعم من ربنا فأم إلى الرحي فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ «أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة»

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾

يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبراً عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى (وكاين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أى تمردت وطفئت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله (فحاسبناها حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً) أى منكراً ظليماً (فذوقت وبال أمرها) أى غلب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم (وكان عاقبة أمرها خسراً) * أعد الله لهم عذاباً شديداً (أى فى الدار الآخرة مع ما حل لهم من العذاب فى الدنيا ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء (فاتقوا الله يا أولى الألباب) أى الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولى الألباب (الذين آمنوا) أى صدقوا بالله ورسله (قد أنزل الله إليكم ذكراً) يعنى القرآن كقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله تعالى (رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات) قال بعضهم: رسولاً منصوب على أنه يدل اشتغال وملازمة لأن الرسول هو الذى بلغ الذكر . وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعنى تفسيره وله هذا قال تعالى (رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبيّنات) أى فى حال كونها بيّنة واضحة جلية (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) كقوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) وقال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم ، وقد سمى الله تعالى الوحى الذى أنزله نوراً لما يحصل به من الهدى كما سماه روحاً لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً هدى به من نشاء من عبادنا وإليك تهنيدى إلى صراط مستقيم) وقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً) قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته ههنا والله الحمد والمنة

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ما شرع من الدين القويم (الله الذي خلق سبع سموات) كقوله تعالى إخبارا عن نوح أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) وقوله تعالى (تسبيح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) . وقوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) أى سبعا أيضا كما ثبت في الصحيحين « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » وفي صحيح البخارى « خسف به إلى سبع أرضين » وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه في أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الأرض والله الحمد والمثني ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق في التزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند ، وقد تقدم في سورة الحديد عند قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر الأرضين السبع وبعد ما بينهن وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام . وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا في الحديث الآخر « ما السموات السبع وما بينهن وما بينهن والأرضون السبع وما بينهن وما بينهن في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي وكيع ثنا الأعمش عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفرتم تكذيبكم بها ، وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمي الأشعري عن جعفر بن أبي الغيرة الخزاعي عن سعيد بن جبير قال قال رجل لابن عباس (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية فقال ابن عباس ما يؤمنك إن أخبرتك بها فكفر . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن علي ومحمد بن المثنى قالوا: ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في هذه الآية (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال عمرو قال في كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق . وقال ابن المثنى في حديثه في كل سماء إبراهيم ، وروى البيهقي في كتاب الأسماء والصفات هذا الأمر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعي أنا علي بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس أنه قال (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال سبع أرضين في كل أرض نبي كنيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كإبراهيم وعيسى كعيسى . ثم رواه البيهقي من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي الضحى عن ابن عباس في قول الله عز وجل (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال في كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام ثم قال البيهقي إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمره لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا والله أعلم . قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي في كتابه التفكير والاعتبار حدثني إسحاق بن حاتم المدائني ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبي دهرس قال بلغني أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لا يتكلمون فقال « ما لكم لا تتكلمون ؟ » فقالوا نتفكر في خلق الله عز وجل قال « فكذلك قافلوا تفكروا في خلق الله ولا تفكروا فيه فإن بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها نورها - مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط » قالوا فما بين الشيطان عنهم ؟ قال « ما يدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ » قالوا أمّن ولد آدم ؟ قال « لا يدرون خلق آدم أم لم يخلق ؟ » وهذا حديث مرسل وهو منكر جدا وعثمان بن أبي دهرس ذكره ابن أبي حاتم في كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبي العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفي وابن المبارك سمعت أبي يقول ذلك . آخر تفسير سورة الطلاق والله الحمد والمثني .

﴿ تفسير سورة التحريم وهي مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَ لَكَ مَرْضَاتُ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ

لَكُمْ تَحِلَّةٌ أَيْمَنِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْمَلِيقُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةِ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَاتِلَاتٍ تَتَّبِعْتِ عِمْدَةً سَخِطَ تَبَيَّنَتْ وَأَبْكَرًا

اختلف في سبب نزول صدر هذه السورة فقليل نزلت في شأن مارية وكان رسول الله ﷺ قد حرمها فنزل قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك؟ تبغى مرضات أزواجك) الآية

قال أبو عبد الرحمن النسائي أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأُتِيَ رسول الله عن وجعل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى آخر الآية. وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت: أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي! فجعلها عليه حراما فقالت: أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال! فحلف لها بالله لا يصيبها فأُتِيَ رسول الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال زيد بن أسلم فقله أنت على حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال: قال لها «أنت على حرام والله لا أطؤك» وقال سفيان الثوري وابن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فعوتب في التحريم وأمر بالكفارة في اليمين رواه ابن جرير وكذا روى عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وزوى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبي ثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المراتن! قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يا بني الله لقد جئت إلى شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال «ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها» قالت بلى فحرمها وقال لها «لا تذكرى ذلك لأحد» فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأُتِيَ رسول الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) تبغى مرضات أزواجك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب جاريته وقال الهيثم بن كليب في مسنده ثنا أبو قلابة هبة الملك بن محمد الرقاشي ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال: قال النبي ﷺ لحفصة «لا تخبري أحدا وإن أم إبراهيم على حرام» فقالت أحرم ما أحل الله لك إقال «فوالله لا أقربها» قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فأُتِيَ رسول الله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره، الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج. وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائي قال كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول في الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) يعني أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى قوله - قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فكفر يمينه فصور الحرام يميناً. ورواه البخاري

عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحرام يمين تكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ثنا مفضل هو ابن يزيد ثنا سفيان عن سالم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال إني جعلت امرأتى على حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة ، تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبراني : ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال حرم رسول الله ﷺ سريره ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء بمن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيئا من الباحات وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة ، وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عنيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري أنا حفص بن عمر العدني أنا الحكم بن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وهذا قول غريب والصحيح أن ذلك كان في تحريره العسل كما قال البخاري عند هذه الآية ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلنقل له : أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير . قال « لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعودله وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا » (تنبغي مرضاة أزواجك) هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ ، وقال في كتاب الأيمان والنذور : ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فنقل له إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على أحدهما النبي ﷺ فقالت ذلك له فقال « لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعودله » فنزلت (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) - إلى قوله تعالى - إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما لعائشة وحفصة (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) لقوله « بل شربت عسلا » وقال إبراهيم بن موسى عن هشام « ولن أعودله وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا » وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه . ثم قال للمغافير شبيه بالصنع يكون في الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرمث إذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهري قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والثمام والسلم والطاج قال والرمث بالكسر مرعى من مراعى الابل وهو من الحمض قال والمرفط شجر من الغضاء ينضج المغفور . وقدرى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والنذور ، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبي القراء ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يحب الخاوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتس أكثر ما كان يحتبس ففرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنجتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي له ماهذه الريح التي أجد فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرسنت نخله المرفط وسأقول ذلك ، وقولي له أنت باصفية ذلك ، قالت : تقول سودة فوالله ماهو إلا أن قام على اليساب فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقا منك ، فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله أكلت مغافير ؟ قال « لا » قالت فما هذه الريح التي أجد

لَكُمْ تَحِلَّةٌ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسَامِتٍ مُؤَمِّنَاتٍ قَيِّنَاتٍ تَيَسَّبْنَ عَلَيْهِمْ تُبَيِّنُ سُنَنَاتٍ لِيُبَيِّنَ وَأُبْكَرًا ﴿

اختلف في سبب نزول هذه السورة فقليل نزلت في شأن مارية وكان رسول الله ﷺ قد حرمها فنزل قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تتبعني مرضات أزواجك) الآية

قال أبو عبد الرحمن النسائي أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبي ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم يزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأُتِيَ رسول الله عز وجل (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى آخر الآية . وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ثنا ابن أبي مريم ثنا أبو غسان حدثني زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم في بيت بعض نسائه فقالت : أي رسول الله في بيتي وعلى فراشي ! فجعلها عليه حراما فقالت : أي رسول الله كيف يحرم عليك الحلال ! فحلف لها بالله لا يصيبها فأُتِيَ رسول الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال زيد بن أسلم فقوله أنت على حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال : قال لها « أنت على حرام والله لا أطوئك » وقال سفيان الثوري وابن علية عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فهو تب في التحريم وأمر بالكفارة في البين رواه ابن جرير وكذا روى عن قتادة وغيره عن الشعبي نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقاتل بن حيان وروى العوفي عن ابن عباس القصة مطولة وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبي ثنا محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان ! قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث في شأن أم إبراهيم القبطية أصابها النبي صلى الله عليه وسلم في بيت حفصة في نوبتها فوجدت حفصة فقالت يا بني الله لقد جئت إلى شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وعلى فراشي قال « ألا تريين أن أحرمها فلا أقربها » قالت بلى فحرمها وقال لها « لا تذكرى ذلك لأحد » فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأُتِيَ رسول الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) تتبعني مرضات أزواجك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب جاريته وقال الهيثم بن كليب في مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشي ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : قال النبي ﷺ حفصة « لا تخبري أحدا وإن أم إبراهيم على حرام » فقالت أحرم ما أحل الله لك ! قال « فوالله لا أقربها » قال فلم يقرها حتى أخبرت عائشة قال فأُتِيَ رسول الله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره ، الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المستخرج . وقال ابن جرير أيضا حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائي قال كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول في الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) يعني أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) إلى قوله - قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فكفر يمينه فصور الحرام يميناً . ورواه البخاري

عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائي عن يحيى هو ابن أبي كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الحرام بين تكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائي به وقال النسائي أنا عبد الله بن عبد الصمد بن علي ثنا مخلد هو ابن يزيد ثنا سفيان عن سالم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال أتاها رجل فقال إني جعلت امرأتى على حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة ، تفرد به النسائي من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبراني : ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) قال حرم رسول الله ﷺ سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيئا من المباحات وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة ، وذهب الشافعي إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عنيهما أو أطلق التحريم فيهما في قول فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري أنا حفص بن عمر العدني أنا الحكم بن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) في المرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ وهذا قول غريب والصحيح أن ذلك كان في تحريمه الغسل كما قال البخاري عند هذه الآية ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أنيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير . قال « لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعودله وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا » (تنبغي مرضاة أزواجك) هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ ، وقال في كتاب الأيمان والندور : ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل له إني أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على أحدهما النبي ﷺ فقالت ذلك له فقال « لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش وإن أعودله » فنزلت (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) - إلى قوله تعالى - إن تنوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) لعائشة وحفصة (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) لقوله « بل شربت عسلا » وقال إبراهيم بن موسى عن هشام « وإن أعودله وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحدا » وهكذا رواه في كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه . ثم قال للمغافير شبهة بالصمغ يكون في الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرمث إذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهرى قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والثمام والسلم والبطاخ قال والرمث بالكسر مرعى من مراعى الابل وهو من الحمض قال والعرفط شجر من الأعضاء ينضج المغفور . وقدرى مسلم هذا الحديث في كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخاري في الأيمان والندور ، ثم قال البخاري في كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبي القراء ثنا علي بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والغسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ففرت فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكة غسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه ثربة فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فإذا دنا منك فقولي أكلت مغافير فإنه سيقول لك لا فقولي له ما هذه الريح التي أجد فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة غسل فقولي جربت نخلة العرفط وسأقول ذلك ، وقولي له أنت يا صافية ذلك ، قالت : تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على البساط فأردت أن أناديه بما أمرتني فرقا منك ، فلما دنا منها قالت له سودة : يا رسول الله أكلت مغافير ؟ قال « لا » قالت فها هذه الريح التي أجد

منك ؟ قال : « سفتي حفصة شربة عسل » قالت جريست نخله العرفط فلما دار إلى قلت نحو ذلك فلما دار إلى صمية قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت له يا رسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال « لا حاجة لي فيه » قالت تقول سودة والله لقد حرمتها قلت لها اسكتي ، هذا لفظ البخاري . وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن علي بن مسهر به وعن أبي كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثهم عن أبي أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة به وعنده قالت وكان رسول الله ﷺ يشترط عليه أن يوجد منه الریح ، یعنی الریح الحبيشة ولهذا قلن له أكلت مغاير لأن ریحها فيه شيء ، فلما قال « بل شربت عسلا » قلن جريست نخله العرفط أي رعت نخله شجر العرفط الذي صغفه المغاير ولهذا ظهر ریحہ فی العسل الذي شربه قال الجوهري جريست النخل العرفط تجرس إذا أكلته ومنه قيل للنخل جوارس قال الشاعر * تظل على الثراء منها جوارس * وقال الجرس والجرس الصوت الحفي ، ويقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مغايرها على شيء تأكله ، وفي الحديث « فيسمعون جرس طير الجنة » قال الأصمعي كنت في مجلس شعبة قال فيسمعون جرس طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر إلى فقال : خذوها عنه فإنه أعلم بهذا منا والنرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هي الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن خالته عائشة وفي طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة أن زينب بنت جحش هي التي سقته العسل وإن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فأنه أعلم . وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد في ذلك إلا أن كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم وبما يدل على أن عائشة وحفصة رضي الله عنهما هما اللتان في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن أبي ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) حتى حج عمر وحججته معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالادواة فتبرز ثم أتاني فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين : من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) فقال عمر : وأعجبا لك يا ابن عباس ، قال الزهري : كره والله ما سأله عنه ولم يكنه قال هي عائشة وحفصة قال ثم أخذ يسوق الحديث قال : كننا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تعلمهم نسأؤهم فلفظق نسأؤنا يتعلمن من نسائهم قال : وكان منزلي في دار أمية بن زيد بالعوالي ، قال ففضبت يوما على امرأتين فإذ هي تراجمني فأنتكرت أن تراجمني فقالت ما تنتكر أن أراجحك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليأراجعن وتهمجه إحداهن اليوم إلى الليل قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أراجعين رسول الله ﷺ ؟ قالت نعم ، قلت : وتهمجه إحداهن اليوم إلى الليل قالت : نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منك وخسر أفأمن إحداهن أن يغضب الله عليها الغضب رسوله فإذا هي قد هلكت لا تراجمي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئا وسليني من مالي ما بدالك ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم — أي أجمل — وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك — يريد عائشة — قال وكان لي جار من الأنصار وكنا نشاوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما فأتاني بخبر الوحي وغيره وآتية بمثل ذلك ، قال وكنا نتحدث أن غسان تنفل الحيل لتغزونا فنزل صاحبي يوما ثم أتى عشاء فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال : حدث أمر عظيم فقلت وما ذاك أجاءت غسان ، قال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نسائه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت : أطلنكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أدري هو هذا معتزل في هذه المشربة ، فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل السلام ثم خرج إلى فقال ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فإذا عنده رهط جالس يكي بعضهم فجلست عنده قليلا ثم غلبني ما أجده فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى فقال قد ذكرتك له ، فصمت ، فويلت إلى المنبر ثم غلبني ما أجده فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرتك له ، فصمت ، فويلت

مديراً فإذا السلام يدعوني فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكئ على رمال حصير - قال الإمام أحمد : وحدثنا يعقوب في حديث صالح قال رمال حصير - وقد أثر في جنبه فقلت : أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى وقال « لا » فقلت الله أكبر ولو رأيته يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تعلمهم نساءهم فطلق نساؤنا يتعلمن من نساءهم فغضبت على امرأتى يوماً فإذا هي تراجمني فأبكرت أن تراجمني فهاالت ما تنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعن وتتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أقتانم إحداهن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد دخلت على حفصة فقلت لا يغيرك أن كانت جارتك هي أو سم أو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أميتنس يا رسول الله . قال « نعم » فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهب مقامة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالساً وقال « أفي شك أنت يا ابن الخطاب . أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا » فقلت استغفرني يا رسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عز وجل . وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن الزهري به ، وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هية له حتى خرج حاجاً فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك الحاجة له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبي صلى الله عليه وسلم . هذا لفظ البخاري ومسلم : من الرأتان اللتان قال الله تعالى (وإن تظاهرا عليه) قال عائشة وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره . وقال مسلم أيضاً حديثي زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفي ثنا عكرمة بن عمار عن سمك بن الوليد أبي زميل حدثني عبد الله بن عباس حدثني عمر بن الخطاب قال لما اعتزلني النبي صلى الله عليه وسلم نساء دخلت المسجد فإذا الناس يكتفون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب فقلت لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث في دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسكفة المشربة فناديت فقلت يا رباح استأذن لي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم - إلى أن قال - فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت - وأحمد الله - بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولي فنزلت هذه الآية آية التخيير (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فقلت أطلقتهن . قال « لا » فقامت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر زاد الحسن البصري وعثمان ، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (وصالح المؤمنين) قال علي بن أبي طالب .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين ثنا محمد بن أبي عمر ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وصالح المؤمنين) قال « هو علي بن أبي طالب » إسناده ضعيف وهو منكر جداً وقال البخاري ثنا عمرو بن عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس قال قال عمر اجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة عليه فقلت لمن (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن) فنزلت هذه الآية وقد تقدم أنه وافق القرآن في أما كن منها في نزول الحجاب ومنها في أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى

فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا الأنصاري ثنا حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرت عليهن أقول : لتكن من عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوليئذله الله أزواجاً خيراً منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت : يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن . فأمسكت فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تابعات عابدات ساجدات ثيبات وأبكارا) وهذه المرأة التي ردتها عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبت ذلك في صحيح البخاري وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الأصماني ثنا إسماعيل البجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً) قال دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة » إن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت (فذهبت حفصة فأخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنباك هذا ؟ قال (نبأني العليم الخبير) فقالت عائشة لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم) إسناده فيه نظر وقد تبين بما أورده تفسير هذه الآيات الكريمات ، ومعنى قوله (مسلمات مؤمنات قانتات تابعات عابدات) ظاهر وقوله تعالى (ساجدات) أي صائت قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن الساسي وأبو مالك وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والريبع بن أنس والسدي وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله (الساجدون) في سورة براءة ولفظه « سياحة هذه الأمة الصيام » وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (ساجدات) أي مهاجرات وتلاعبد الرحمن (الساجدون) أي المهاجرون والقول الأول والله أعلم

وقوله تعالى (ثيبات وأبكارا) أي منهن ثيبات ومنهن أبكارا ليسكون ذلك أشبهى إلى النفس فإن التنوع يبسط النفس ولهذا قال (ثيبات وأبكارا) . وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا عبد الله بن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حي عن ابن بريدة عن أبيه (ثيبات وأبكارا) قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه فالتيب آسية امرأة فرعون وبالأبكار مريم بنت عمران . وذكر الحافظ ابن عساکر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد ثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فقرأت خديجة فقال : إن الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من الالهب لا نصب فيه ولا صخب من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم . ومن حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال « يا خديجة إذا لقيت ضرائك فأقرئين مني السلام » فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي . قال « لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلهم أخت موسى » ضعيف أيضاً ، وقال أبو يعلى ثنا إبراهيم بن عرفة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يوسف بن شعيب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلهم أخت موسى وآسية امرأة فرعون » فقلت هنيئاً لك يا رسول الله ، وهذا أيضاً ضعيف وروى مرسل عن ابن أبي داود

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

قال سفيان الثوري عن منصور عن رجل عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول أدبواهم
وعلموهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله
وأمروا أهليكم بالله كبريكم الله من النار ، وقال مجاهد (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قال اتقوا الله وأوصوا أهليكم
بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنههم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فإذا
رأيت لله معصية فذعهم عنها وزجرهم عنها ، وهكذا قال الضحاك ومقاتل : حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه
وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه . وفي معنى هذه الآية الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي من حديث
عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع
سنين فإذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » هذا لفظ أبي داود وقال الترمذي هذا حديث حسن وروى أبو داود من
حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا في الصوم
ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكي يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الوافق
وقوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) وقودها أي حطها الذي يليق فيها جثت بني آدم (والحجارة) قيل المراد
بها الأصنام التي تعبد لقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر
الباقر والسدي : هي حجارة من كبريت ، زاد مجاهد : أنثى من الحيفة ، وروى ذلك ابن أبي حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبي
ثنا عبد الرحمن بن سنان المقرئ ثنا عبد العزيز - يعني ابن أبي رواد - قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وعنده بعض أصحابه وفيهم
شيخ فقال الشيخ : يا رسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده لصخرة
من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها » قال فوقع الشيخ متعشيا عليه فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده
فإذا هو حي فناداه قال « يا شيخ قل لا إله إلا الله » فقالها فبشره بالجنة قال : فقال أصحابه يا رسول الله أمن بيننا ؟ قال
« نعم يقول الله تعالى (ذلك لمن خاف متاعى وخاف عيذ) » هذا حديث مرسل غريب وقوله تعالى (عليها ملائكة
غلاظ شداد) أي طبايعهم غليظة قد نزع من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله (شداد) أي تركيهم في غاية الشدة
والكثافة والنظر الزعج . كما قال ابن حاتم ثنا أبي ثنا سلمة بن شبيب ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبي عن عكرمة
أنه قال إذا وصل أول أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربع مائة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالخة أنيابهم قد
نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس في قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين
قبل أن يبلغ منكبهم الآخر ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفا ثم يهونون من باب
إلى باب خمس مائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ما وجدوا على الباب الأول حتى ينتهوا إلى آخرها ، وقوله (لا يمضون
الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) أي مهمما أمرهم به تعالى يبادروا إليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على
فعله ليس بهم عجز عنه ، وهؤلاء هم الزبانية - عياذا بالله منهم - وقوله (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم إنما تجزون
ما كنتم تعملون) أي يقال للكفرة يوم القيامة لا تعتذروا فإنه لا يقبل منكم ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون وإنما تجزون
اليوم بأعمالكم ، ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتوبوا إلى الله توبة نصوحا) أي توبة صادقة جازمة تحو ما قبلها من السيئات ،
وتلم شمت التائب وتجمعه وتسكفه عما كان يتعاطاه من الدناعات

قال ابن جرير ثنا ابن مثنى ثنا محمد ثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت الزهري بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله

عنه يقول (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه ، وقال الثوري عن سمالك عن النعمان عن عمر قال التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أولاً يريد أن يعود فيه وقال أبو الأحوص وغيره عن سمالك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال : أن يتوب الرجل من العمل السيئ ثم لا يعود إليه أبداً . وقال الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله (توبة نصوحاً) قال يتوب ثم لا يعود

وقد روى هذا مرفوعاً فقال الإمام أحمد ثنا علي بن عاصم عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه » تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف والموقوف أصح والله أعلم ، ولهذا قال العلماء : التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر ويندم على ماسلف منه في الماضي ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل ، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه . قال الإمام أحمد ثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرني زياد بن أبي مريم عن عبد الله بن مغفل قال دخلت مع أبي علي عبد الله بن مسعود فقال أنت سمعت النبي ﷺ يقول « الندم توبة ؟ » قال نعم وقال مرة : نعم سمعته يقول « الندم توبة » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزري به وقال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني الوليد بن بكير أبو جناب عن عبد الله بن محمد العبدى عن أبي سنان البصري عن أبي قلابة عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال قيل لنا أشياء تكون في آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها نسكاح الرجل امرأته أو أمته في دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ويعقت الله عليه ورسوله ، ومنها نسكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويعقت الله عليه ورسوله ، ومنها نسكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ويعقت الله عليه ورسوله ، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحاً ، قال زر : فقلت لأبي بن كعب فما التوبة النصوح ؟ فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بتدامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبداً » . وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي عمرو بن علي ثنا عباد بن عمرو ثنا أبو عمرو بن العلاء سمعت الحسن يقول التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته وتستغفر منه إذا ذكرته ، فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها فانها تجب ما قبلها من الخطيئات كما ثبت في الصحيح : « الاسلام يجب ما قبله ، والتوبة تجب ما قبلها » . وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى المات - كما تقدم في الحديث وفي الأثر - ثم لا يعود فيه أبداً . أو يكفي العزم على أن لا يعود في تكفير الماضي بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضاراً في تكفير ما تقدم لعموم قوله عليه السلام : « التوبة تجب ما قبلها ؟ » وللاول أن يحتاج ما ثبت في الصحيح أيضاً « من أحسن في الاسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الاسلام أخذ بالاول والآخر » فإذا كان هذا في الاسلام الذي هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الأولى والله أعلم

وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار) وعسى من الله موجبة (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) أى ولا يخزيهم معه يعنى يوم القيامة (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) كما تقدم في سورة الحديد (يقولون ربنا آتهم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفيء . وقال الإمام أحمد ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بني كنانة قال : صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعت يقول « اللهم لا تخزني يوم القيامة » وقال محمد بن نصر المروزي : ثنا محمد بن مقاتل المروزي ثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه سمع أباذر وأبا السرداء قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدي فأعرف أمتي من بين الأمم وأنظر عن يميني فأعرف أمتي من بين الأمم ، وأنظر عن شمالي فأعرف أمتي من بين الأمم » فقال رجل يا رسول الله : وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ؟ قال « غر محجلون

من آثار الظهور ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيامهم وأعرفهم بسماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم »

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَابْسُ الْمَصِيرُ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحَ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُفْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾

يقول تعالى أمرا رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء بأقامة الحدود عليهم (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) أى فى الدنيا (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَابْسُ الْمَصِيرُ) أى فى الآخرة ثم قال تعالى (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا) أى فى مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدى عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلًا فى قلوبهم ثم ذكر المثل فقال (امْرَأَةُ نُوحَ وَامْرَأَةُ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ) أى نبين رسولين عندهما فى صحبتها ليلًا ونهارًا يؤاكلانهما ويصاحبانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط (فَخَانَتَاهُمَا) أى فى الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما فى الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذورًا ولهذا قال تعالى (فَلَمْ يَفْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) أى لكفرهما (وَقِيلَ) أى المرأتين (ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ) وليس الراد بقوله (فَخَانَتَاهُمَا) فى فاحشة بل فى الدين فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة الحرمه الأنبياء كآدمنا فى سورة النور ، قال سفيان الثوري عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قرم سمعت ابن عباس يقول فى هذه الآية (فَخَانَتَاهُمَا) قال ما زلت أسمع أن امرأة نوح فسكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه ، وقال العوفي عن ابن عباس قال كانت خيانتها أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطاع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدًا أخبرت به أهل الدينة بمن يعمل السوء. وقال الضحاك عن ابن عباس ما بنت امرأة نبي قط إنما كانت خيانتها فى الدين ، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذى بأثره كثير من الناس : من أكل مع مغفور له غفر له. وهذا الحديث لا أصل له وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبي ﷺ فى المنام فقال : يا رسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال : لا ولكنى الآن أقوله.

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَلَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُهَا وَكَانَتْ مِنَ الْمُقْسِتِينَ ﴾

وهذا مثل ضرب به الله لاهؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى (لا يخذل المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء إلا أن تتقوا منهم نساء) قال قتادة كان فرعون أعق أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه . وقال ابن جرير : ثنا إسماعيل بن حفص الإيلي ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمي عن أبى عثمان النهدي عن سليمان قال كانت امرأة فرعون تعذب فى الشمس فإذا انصرف عنها أظلمت الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بينها فى الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد الحارثي عن أسباط بن محمد عن سليمان التيمي به . ثم قال ابن جرير

حدثني يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن عليه عن هشام الدستوائي ثنا القاسم بن أبي بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب
؟ فقال غلب موسى وهارون فتقول آمنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة
تجدونها فان مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهي امرأتى ، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء
فأبصرت بيتها في الجنة فضمت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح ، فقولها (رب ابن
لى عندك بيتا فى الجنة) قالت العلماء اختارت الجار قبل الدار ، وقد ورد شىء من ذلك فى حديث مرفوع (ونجى من
فرعون وعمله) أى خلصنى منه فأتى أبرأ إليك من عمله (ونجى من القوم الظالمين) وهذه المرأة هى آسية بنت مزاحم
رضى الله عنها . وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالقة قال كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان
امراة خازن فرعون ، وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوق المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت
لها بنت فرعون ولاك رب غير أبى ؟ قالت ربي وربك أبوك ورب كل شىء الله فلطمتها بنت فرعون وضربتها
وأخبرت أباه فأرسل إليها فرعون فقال تعبدين ربا غيرى ؟ قالت نعم ربي وربك ورب كل شىء الله وإياه
أعبد ، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت كذلك فأتى عليها
يوما فقال لها ما أنت منتمة فقالت له ربي وربك ورب كل شىء الله فقال لها إني ذابح ابنك فى فيك إن
لم تفعل فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها بشرى يا أمه فان لك عند الله من
الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها الآخر
فى فيها فبشرها روحه أيضا وقال لها اصبرى يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا ، قال وسمعت امرأة فرعون
كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فأمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف
الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها فى الجنة لا امرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيمانا ويقينا وتصديقا
فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للبلاد ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثبوا عليها فقال لهم إنها تعبد
غيرى فقالوا له اقتلها فأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها فدعت آسية زوجها فقالت (رب ابن لى عندك بيتا
فى الجنة) فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحك حين رأت بيتها فى الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إننا نعذبها
وهى تضحك ، فقبض الله روحها فى الجنة رضى الله عنها . وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) أى حفظته
وصاتته ، والاحصان : هو العفاف والحرية (فنفخنا فيه من روحنا) أى بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعثه إليها
فتمثل لها فى صورة بشر سوى وأمره الله تعالى أن ينفخ فيه فى جيب درعها فنزلت النفخة فولجت فى فرجها فكان
منه الحمل بميسى عليه السلام ولهذا قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أى بقدره وشعره
(وكانت من القاتنين) قال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبى الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال :
خط رسول الله ﷺ فى الأرض أربعة خطوط وقال « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم فقال
رسول الله ﷺ « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية
بنت مزاحم امرأة فرعون » وقد ثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمداني عن أبى موسى
الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون
ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد ذكرنا
طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها فى قصة عيسى بن مريم عليهما السلام فى كتابنا (البداية والنهاية) والله الحمد
والمنة وذكرنا ماورد من الحديث من أنها تكون هى وآسية بنت مزاحم من أزواجه غليه السلام فى الجنة عند قوله
(ثيمات وأبكارا) آخر تفسير سورة التحريم ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الملك وهى مكية ﴾

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالوا حدثنا شعبة عن قتادة عن عباس الجشعى عن أبى هريرة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن سورة في القرآن ثلاثين آية شفعت ل صاحبها حتى غفر له : تبارك الذي بيده الملك » ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به ، وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وقد روى الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبي عبد الله القرشي النيسابوري المقرئ الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخارى ومسلم لسكن في غير الصحيحين ، وروى عنه الترمذى وابن ماجه وابن خزيمة وعليه ثقة في مذهب أبي عبيد بن حريويه وخلق سواهم ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب عن الزهرى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن رجلا ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا تبارك فلما وضع في حفرته أتاه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها إنك من كتاب الله وأنا أكره مساءتك وإنى لا أملك لك ولا له ولا لنفسى ضرا ولا نفعا فان أردت هذا به فانطلي إلى الرب تبارك وتعالى فاشفعى له فتنتطق إلى الرب فتقول يارب ان فلانا عمد إلى من بين كتابك فتعلمنى وتلاى أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا فى جوفه ؟ فان كنت فاعلا ذلك به فامحى من كتابك ، فيقول ألا أراك غضبت ، فتقول وحق لى أن أغضب فيقول اذهبي فقد وهبته لك وشفعتك فيه - قال - فتجىء فتزجر الملك فيخرج خاسف البال لم يحل منه شيء - قال - فتجىء فتضع فاه على فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلتانى ومرحبا بهذا الصدر فربما وعانى ومرحبا بها تين القدمين فربما قامتانى وتؤنسنى فى قبره مخافة الوحشة عليه » قال فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد إلا تعلمها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية . « قلت » وهذا حديث منكرو جداف فرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخارى وأبو حاتم والدارقطنى وغير واحد وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهرى من قوله مختصرا وروى البيهقى فى كتاب إثبات عذاب القبر عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا ما يشهد لهذا وقد كتبه فى كتاب الجنائز « من الأحكام الكبرى » والله الحمد والمنة ، وقد روى الطبرانى والحافظ الضياء المقدسى من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « سورة فى القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذى بيده الملك » وقال الترمذى حدثت محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النسكرى عن أبيه عن أبى الجوازاء عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبأى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا إنسان يقرأ سورة الملك : تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هى اللانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفى الباب عن أبى هريرة ، ثم روى الترمذى أيضا من طريق ليث بن أبى سليم عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل ، وتبارك الذى بيده الملك ، وقال ليث عن طاوس يفضلان كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة . وقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان الأصماني حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمى » يعنى تبارك الذى بيده الملك ، هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله فى سورة يس ، وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد فى مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لرجل ألا تحفك بحديث تفرج به ا قال : بلى ، قال : اقرأ تبارك الذى بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها القارعها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وينجى بها صاحبها من عذاب القبر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمى » .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَقْوَةٍ

فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ *
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿١٠١﴾

بمجد تعالى نفسه السكرة وخبر أنه بيده الملك أي هو المتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء لا مقرب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لغيره وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى (وهو على كل شيء قدير) ثم قال تعالى (الذي خلق الموت والحياة) واستدل بهذه الآية من قال إن الموت أمر وجودي لأنه مخلوق ومعنى الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ليلاهم أي ليلاهم أي أحسن عملا كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) فسمى الحال الأول وهو العدم موتا وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى (ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن قتادة في قوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء » ورواه معمر عن قتادة ، وقوله تعالى (ليلوكم أيكم أحسن عملا) أي خير عملا كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملا ثم قال تعالى (وهو العزيز الغفور) أي هو العزيز العظيم المنيع الجنب وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأتاب بعد ما عصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيرا هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى (الذي خلق سبع سموات طباقا) أي طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضها على بعض أو متفاصلات بينهما خلاء ، فيه قولان أصحهما الثاني كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره ، وقوله تعالى (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) أي بل هو مصطحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي انظر إلى السماء فتأمل هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطورا ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثوري وغيرهم في قوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) أي شقوق وقال السدي (هل ترى من فطور) أي من خروق ، وقال ابن عباس في رواية (من فطور) أي من وهاء ، وقال قتادة (هل ترى من فطور) أي هل ترى خللا يا ابن آدم ؟ وقوله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين) قال قتادة مرتين (ينقلب إليك البصر خاسئا) قال ابن عباس ذليلا ؟ وقال مجاهد وقاتة صاغرا (وهو حسير) قال ابن عباس يعني وهو كليل ، وقال مجاهد وقاتة والسدي : الحسير المنقطع من الاعياء ، ومعنى الآية إنك لو كررت البصر مهما كررت لا تنقلب إليك أي لرجع إليك البصر (خاسئا) عن أن يرى عيبا أو خللا (وهو حسير) أي كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة السكر ولا يرى نقصا ، ولما نفي عنها في خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) وهي الكواكب التي وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) عاد الضمير في قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على عيناها لأنه لا يرمى بالسكواكب التي في السماء بل يشبه من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم وقوله تعالى (وأعتدنا لهم عذاب السعير) أي جعلنا للشياطين هذا الخزي في الدنيا وأعتدنا لهم عذاب السعير في الآخرة كما قال تعالى في أول الصافات (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب) وحفظنا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملائكة الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (قال قتادة إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال براه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ

فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحِّتْ لَهُمْ صُحُفُ السَّعِيرِ ﴿١٠٠﴾

يقول تعالى (و) أعذنا (للذين كفروا برهم عذاب جهنم وبئس المصير) أي بئس المال والنقلب (إذا ألوفهمهم) لها شهقا (قال ابن جرير يعني الصباح) (وهي تفر) قال الثوري تعلى بهم كما يغلى الحب القليل في الماء الكثير. وقوله تعالى (تكاد تميز من الغيظ) أي تكاد يفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم (كما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير) يذكر تعالى عدله في خلقه وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (حق إذا جاءوها ففتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) أي لو كانت لنا عقول لنفزع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاعتقار به ولكن لم يكن لنا فهم نهي به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله تعالى (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير) قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي قال أخبرني من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال «لن يهلك الناس حتى يعذبوا من أنفسهم» وفي حديث آخر «لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة»

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

يقول تعالى مخبرا عن مخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس فيكشف عن المعاصي ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أي تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت في الصحيحين «سبعة يظلهم الله تعالى في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» فذكر منهم رجلا دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا طلوت بن عباد حدثنا عباد حدثنا الحارث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال: قالوا يا رسول الله: إنا نكون عندك على حال فإذا فارقتنا كنا على غيره قال «كيف أنتم وربكم؟» قالوا الله ربنا في السر والعلانية، قال «ليس ذلك النفاق» لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه، ثم قال تعالى منها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر (وأسرنا قولكم أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) أي بما يخطر في القلوب (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ؟) أي أَلَا يَعْلَمُ الخالق، وقيل معناه أَلَا يَعْلَمُ الله مخلوقه؟ والأول أولى لقوله (وهو اللطيف الخبير)، ثم ذكر نعمته على خلقه في تسخيرهم لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيا فيها من النافع ومواقع الزروع والثمار فقال تعالى (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها) أي فساغفروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا في أقاليمها وأرجائها في أنواع المكاسب والتجارات، واعلموا أن معيكم لا يجدي عليكم شيئا إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى (وكأوا من

رزقه) فالله في السبب لا ينافي التوكيد كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول إنه سمع أبا سهم الحبشاني يقول إنه سمع عمر بن الخطاب يقول إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خفاصا وتروح بطانا » رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذي حسن صحيح ، فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المسخر المسير المسبب (وإليه النشور) أى الرجوع يوم القيامة . قال ابن عباس ومجاهد والسدي وقناة : مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها ، وقال ابن عباس وقناة أيضا : مناكبها الجبال وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمرو بن حكيم الأزدي حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية (فامشوا في مناكبها) فقال لأُم ولد له : إن علمت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت هي الجبال فسأل أبا الدرداء فقال : هي الجبال

﴿ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴾ * أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ * وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرٍ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا أَرْحَمُنَّ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿

وهذا أيضا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يجعل كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادهم بصيرا) وقال ههنا (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور) أى تذهب وتجى وتضطرب (أأمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا) أى ريحا فيها حصاء تدهمكم كما قال تعالى (فأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لهم سبيلا) وهكذا توعدهم ههنا بقوله (فستعلمون كيف نذير) أى كيف يكون إنذارى وعاقبة من تخلف عنه وكذب به . ثم قال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من الأمم السالفة والقرون الخالية (فكيف كان نكير) أى فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتهم لهم ، أى عظما شديدا أليما . ثم قال تعالى (أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَاتٍ وَيَقْبِضْنَ) أى تارة يصفون أجنحتهم في الهواء وتارة تجمع جناحا وتنشر جناحا (ما يمسكهن) أى في الجو (إلا الرحمن) أى بما سخرهن من الهواء من رحمته ولطفه (إنه بكل شيء بصير) أى بما يصلح كل شيء من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى (ألم يروا إلى الطير مستخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله * إن في ذلك لآية لقوم يؤمنون)

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ أَرْحَمِنَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴾ * أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ * أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * فَأَمَّا رَأُوهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصرا ورزقا منكرا عليهم فيما اعتقدوه ومخبر لهم أنه

ولا يفتخركم وقوع ما تمنون لنا ، من العذاب والكال - فواءعنا فتأو رحمنا فلا مناص لكم من نكبه وعشابه إلا أن
 يوافقكم . ثم قال تعالى (قل هو الرحمن الرحيم) أي أتمنا به وعليه توكلنا (أي أتمنا بربنا الرحمن الرحيم وعنه توكلنا) في جميع
 أمورنا كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) ولهذا قال تعالى (فستعلمون من هو في ضلال مبين) أي منا ومنكم ولأن تكون
 العاقبة في الدنيا والآخرة ، ثم قال تعالى إظهاراً للرحمة في خلقه (قل أرايتم إن أصبح ماؤكم غوراً) أي ذاهباً في الأرض
 إلى أسفل فلا ينال بالفؤوس الحذاذ ولا السواعد الشداد ، والعائر عكس النابع ولهذا قال تعالى (فمن يأتكم بما معين)
 أي نابع سائح جار على وجه الأرض ، أي لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل فمن فضله وكرمه أن أنبئكم لكم المياه
 وأجرها في سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فله الحمد والمنة . آخر تفسير سورة الملك
 الحمد .

﴿ تفسير سورة ن وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ ﴿ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ تَمْنُونِ ﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ
 عَظِيمٍ ﴿ فَسَتَنْبِصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ بِأَبْيَسِّكُمْ لَمُفْتُونٌ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾
 قد تقدم الكلام على حروف الهجاء في أول سورة البقرة وأن قوله تعالى (ن) كقوله (ص ، ق) ونحو ذلك من
 الحروف المقطعة في أوائل السور وتحرير القول في ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقيل المراد بقوله (ن) حوت عظيم
 على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى
 حدثنا سفيان هو الثوري حدثنا سليمان هو الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال اكتب
 قال وماذا أكتب ، قال اكتب القدر فجري بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ورفع بخار الماء
 ففتقت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر النون فاضطرب النون فادت الأرض فأثبتت بالجبال فانها لتفخر على
 الأرض وكذا رواه ابن أبي حاتم عن أحمد بن سنان عن أبي معاوية عن الأعمش به وهكذا رواه شعبة ومحمد بن
 فضيل ووكيع عن الأعمش به ، وزاد شعبة في روايته ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) وقدرناه شريكاً عن الأعمش
 عن أبي ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ، ورواه معمر عن الأعمش أن ابن عباس قال : فدكره ثم قرأ
 (ن والقلم وما يسطرون) ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي الضحى عن ابن عباس قال إن أول
 شيء خلق رب عز وجل القلم ثم قال له اكتب فكتب ما هو كان إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس
 الأرض عليه ، وقد روى الطبراني ذلك مرفوعاً فقال حدثنا أبو حبيب زيد بن المهدي الروزي حدثنا معمر بن يعقوب
 الطائفي حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس
 قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال لكتب قال ما أكتب ؟
 قال كل شيء كائن إلى يوم القيامة » ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) فالنون الحوت ، والقلم القلم (حديث آخر) في ذلك
 رواه ابن عساکر عن أبي عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول
 شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له اكتب ، قال وما أكتب قال اكتب ما يكون - أو
 ما هو كائن - من عمل أو رزق أو أثر أو أجل فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله (ن والقلم وما يسطرون) ثم ختم على
 القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ثم خلق العقل وقال وعزني لأكلنك فيمن أحببت ولأقتصنك ممن أبغضت »
 وقال ابن أبي نجيع إن إبراهيم بن أبي بكر أخبره عن مجاهد قال كان يقال النون الحوت العظيم
 الذي تحت الأرض السابعة وقد ذكر البغوي وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة

سمكتها كمنظ السعوات والأرض وعلى ظهرها ثورله أربعون ألف قرن وعلى مئته الأرضون السبع وما فيهن وما بينهما
والله أعلم ومن العجيب أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا حميد عن
أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأثمه فسأله عن أشياء قال إني سألتك عن
أشياء لا يعلمها إلا نبي ، قال ما أول أسراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه ؟
وما بال الولد ينزع إلى أمه ؟ قال « أخبرني بهن جبريل آتيا » قال ابن سلام فذاك عدو اليهود من الملائكة قال « أما أول
أسراط الساعة فأنار تحترق من المشرق إلى المغرب ، وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا
سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع » ورواه البخاري من طرق عن حميد ورواه
مسلم أيضا وله من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وفي صحيح مسلم من حديث
أبي أسماء الرحبي عن ثوبان أن حبرا سأل رسول الله ﷺ عن مسائل فكان منها أنه قال فما تحفهم يعني أهل الجنة
حين يدخلون الجنة قال « زيادة كبد الحوت » قال فما غدوهم على أمهات ؟ قال « ينحدر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل
من أطرافها » قال فاشربهم عليه ؟ قال « من عين فيها تسمى سلسيلا » وقيل المراد بقوله (ن) لوح من نور .
قال ابن جرير حدثنا الحسن بن شبيب المصنف حدثنا محمد بن زياد الجزري عن قرات بن أبي القرات عن معاوية بن قرة
عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (ن) والقلم وما يسطرون) لوح من نور وقلم من نور يجري بما
هو كائن إلى يوم القيامة » وهذا مرسل غريب ، وقال ابن جرير أخبرني أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل
للمراد بقوله (ن) دواة والقلم القلم قال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن وقتادة في قوله
(ن) قالوا هي الدواة ، وقد روى في هذا حديث مرفوع عريب جدا فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد
حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا أبو عبد الله مولى بني أمية عن أبي صالح عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول « خلق الله النون وهي الدواة » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب حدثنا أخى عيسى بن
عبد الله حدثنا ثابت الثمالي عن ابن عباس قال ، إن الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال
وما أكتب قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام
ثم أزم كل شيء من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة ولاسكتاب
خزانة الحفظة ينسخون كل يوم من الحزان عمل ذلك اليوم فإذا في الرزق واقطع الأثر وانقضى الأجل أثبت الحفظة
الحزنة يطلعون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الحزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيئا فترجع الحفظة فيجدونها قد ماتوا قال
فقال ابن عباس أستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهل يكون
لاستنساخ إلا من أصل وقوله تعالى (والقلم) الظاهر أنه جنس القلم الذي يكتب به كقوله (اقرأ وربك الأكرم
الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم) فهو قسم منه تعالى وتنبه لخلقهم على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التي بها
تنال العلوم ، ولهذا قال (وما يسطرون) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني وما يكتبون وقال أبو الضحى عن ابن
عباس وما يسطرون أي وما يعملون وقال السدي وما يسطرون يعني الملائكة وما تكتب من أعمال العباد ، وقال
آخرون بل المراد ههنا بالقلم الذي أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين
بخمسين ألف عام ، وأوردوا في ذلك الأحاديث الواردة في ذكر القلم فقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى
ابن سعيد القطان ويونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمي عن عطاء هو ابن
أبي رباح حدثني الوليد بن عباد بن الصامت قال دعاني أبي حين حضره الموت فقال إني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول « إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال يارب وما أكتب ؟ قال اكتب القدر وما هو كائن إلى
الأبد » وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد من طرق عن الوليد بن عباد عن أبيه به ، وأخرجه الترمذي من حديث
أبي داود الطيالسي به وقال حسن صحيح غريب ورواه أبو داود في كتاب السنة من مسنده عن جعفر بن مسافر عن

يحيى بن حسان عن ابن رباح عن إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي حفصة وإسماعيل بن جبير بن صريح الحبشي الشامي عن عبادة
فذكره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله الطوسي حدثنا علي بن الحسن بن شقيق أنبأنا عبد الله بن المبارك حدثنا رباح
ابن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ
قال « إن أول شيء خلقه الله القلم فأمره فسكتب كل شيء » غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد
والقلم ، يعني الذي كتب به الأكر وقوله تعالى (وما يسطرون) أي يكتبون كما تقدم

وقوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أي لست والله الحمد بمجنون كما يقوله الجهمية من قومك المكذبون بما جئهم
به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه إلى الجنون (وإن لك لأجرأ غير ممنون) أي بل إن لك الأجر العظيم والثواب
الجزيل الذي لا ينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وضربك على أذاهم ، ومعنى غير ممنون أي غير مقطوع
كقوله (عطاء غير محدود) (فلهم أجر غير ممنون) أي غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد غير ممنون أي غير محسوب وهو
يرجع إلى ما قلناه وقوله تعالى (وإنك لعلی خلق عظيم) قال العوفي عن ابن عباس وإنك لعلی دين عظيم وهو الاسلام وكذلك
قال مجاهد وأبو مالك والسدي والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال عطية : لعلی أدب عظيم . وقال معمر
عن قتادة سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن تقول كما هو في القرآن . وقال
سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قوله (وإنك لعلی خلق عظيم) ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أليست تقرأ القرآن ؟ قال بلى قالت فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
القرآن . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقالت أخبريني
يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أقرأ القرآن ! فقالت نعم فقالت كان خلقه القرآن .
هذا مختصر من حديث طويل . وقد رواه الامام مسلم في صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتي في سورة الزمل إن شاء
الله تعالى وبه الثقة . وقال الامام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن الحسن قال : سألت عائشة عن خلق رسول الله
ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن . وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من
بنی سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت أما تقرأ القرآن ! (وإنك لعلی خلق عظيم) قال :
قلت حدثيني عن ذلك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقالت لجاري اذهبي فان جاءت هي بالطعام فوضعه
قبل فاطرحي الطعام قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقت القصعة فانكسرت وكان نطع قالت فجعله
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « اقتصوا - أو اقتصى شك أسود - ظرفا مكان خارفك » قالت فما قال شيئا .
وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبي إياس حدثنا أبي حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن بن سعيد بن هشام قال أتيت
عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقالت لها أخبريني بخاق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ
(وإنك لعلی خلق عظيم) ؟ . وقد روى أبو داود والنسائي من حديث الحسن نحوه وقال ابن جرير حدثني يونس
أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها
فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، وهكذا
رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدي . ورواه النسائي في التفسير عن إسحاق بن منصور عن عبد الرحمن بن مهدي
عن معاوية بن صالح به

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيّة له وخلقا تطبعه وترك طبعه الجبلي فهما
أمره القرآن قوله ومهما نهاه عنه تركه ، وهذا مع ما جلاه الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة
والصفح والحلم وكل خلق جميل كاثبت في الصحيحين عن أنس قال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما
قال لي أف قط ولا قال شيء فعملته لم فعلته ؟ ولا شيء لم أفعله لأفعلته ؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا
ولا مسست خزا ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شمعت مسكا ولا عطرأ

كان أطيّب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال البخارى حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إبراهيم بن يونس عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً وأحسن الناس خلقاً ليس بالطويل ولا بالقصير . والأحاديث في هذا كثيرة ولأبي عيسى الترمذى في هذا كتاب الشامل

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده خادماً له قط ولا ضرب امرأته ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثمًا فإذا كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ولا اتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمة الله فيسكون هو ينتقم لله عز وجل وقال الإمام أحمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن محمد بن عجلان عن القمقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » تفرد به

وقوله تعالى (فاستبصر وبيصرون بأيكم الفتون) أى فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم ، وهذا كقوله تعالى (سيعلمون غدا من الكذب الأشتر) كقوله تعالى (وإنا أولياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) قال ابن جرير قال ابن عباس فى هذه الآية ستعلم ويعلمون يوم القيامة وقال العوفي عن ابن عباس بأيسم المفتون أى المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيسم المفتون أى أولى بالشیطان ومعنى المفتون ظالم أى الذى قد اقتن من الحق وضل عنه وإنما دخلت الباء فى قوله بأيسم لتدل على تضمين الفعل فى قوله (فاستبصر وبيصرون) وتقديره فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيسم المفتون والله أعلم ثم قال تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو يعلم تعالى أى القرينين معكم ومنهم هو المهتدى ويعلم الحزب الضال عن الحق

﴿ فَلَا تُطِيعُ الْمَكْذِبِينَ * وَذُوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مِّبِينٍ * هَازٍ مِّشَاءَ بَنِيهِمْ * مَتَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُنْتَلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِفُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴾

يقول تعالى كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم (فلا تطع المكذبين * ودوا لوتدهن فيدهنون) قال ابن عباس لو ترخص لهم فیرخصون وقال مجاهد (ودوا لوتدهن) تركن إلى آلهتهم وترك ما أنت عليه من الحق ثم قال تعالى (ولا تطع كل حلاف مبين) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهاتته إنما يتقى بأيمان الكاذبة التى يجترئ بها على أسماء الله تعالى واستعمالها فى كل وقت فى غير محلها قال ابن عباس : المبين الكاذب وقال مجاهد هو الضعيف القلب قال الحسن كل حلاف مكابر مهين ضعيف ، وقوله تعالى ، (هاز) قال ابن عباس وقتادة يعنى الاغتياب (مشاء بنعيم) يعنى الذى يمشى بين الناس ويجترش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهى الحالة وقد ثبت فى الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال « إنما لعنذان وما يعذبان فى كبر إما أحدهما فكان لا يستمر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » الحديث وأخرجه بقية الجماعة فى كتبهم من طرق عن مجاهد به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن همام أن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إبراهيم به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثوري عن منصور عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » يعنى نماما وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الأحول عن الأعمش حدثني إبراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن الحارث قال مر رجل على حذيفة فقل إن هذا

يرفع الحديث إلى الأمراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة قتات » وقال أحمد حدثنا هشام حدثنا مهدي عن واصل الأحمد عن أبي وائل قال بلغنا حديثه عن رجل أنه يسم الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة تمام » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخياركم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « الذين إذا رأوا ذكر الله عز وجل » ثم قال « ألا أخبركم بشراكم المشاءون بالنيمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبراء العنت » ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به وقال الإمام أحمد حدثنا صفيان عن ابن أبي حسين عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم « خيار عباد الله الذين إذا رأوا ذكر الله ، وشرا عباد الله المشاءون بالنيمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العنت »

وقوله تعالى (منع للخير معتد أثيم) أى يمنع ما عليه وما لديه من الخير (معتد) فى تناول ما أحل الله له يتجاوز فيه الحد المشروع (أثيم) أى يتناول المحرمات ، وقوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) أما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع النوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن صفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » وقال وكيع « كل جواظ جعظرى مستكبر » أخرجه فى الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبادود من حديث صفيان الثورى وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع منع » تفرد به أحمد قال أهل اللغة الجعظرى الفظ الغليظ والجواظ الجموع النوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم فقال « هو الشديد الخلق المصحح الأكل الشروب الواجد للطعام والشراب الظالم للناس رحيب الجوف » وبهذا الإسناد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى العتل الزنيم » وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبسكى السماء من عبد أصبح الله جسمه ، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا هضم (١) فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم » وهكذا رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوى فى الماء كل والمشرى والمنسكج وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخارى حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن أبي حصين عن مجاهد عن ابن عباس (عتل بعد ذلك زنيم) قال رجل من قريش له زئمة مثل زئمة الشاة ، ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالسوء كشرة الشاة ذات الزئمة من بين أخواتها ، وإنما الزنيم فى لغة العرب هو الدعى فى القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعنى يذم بعض كفار قريش :

كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم

بغى الأم ذو حسب لثيم

وقال آخر : زنيم ليس يعرف من أبوه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطى حدثنا أسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (زنيم) قال : الدعى الفاحش اللثيم . ثم قال ابن عباس :

كما يزيد فى عرض الأديم الأكارع

زنيم تداعاه الرجال زيادة

وقال العوفى عن ابن عباس : الزنيم الدعى ويقال الزنيم رجل كانت به زئمة يعرف بها ويقال هو الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة ، وزعم أناس من بنى زهرة أن الزنيم الأسود بن عبد نفوس الزهرى وليس به ، وقال ابن أبي نجیح

عن مجاهد عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملقق النسب ، وقال ابن أبي حاتم حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية (عتق بعد ذلك زنيم) قال سعيد : هو الملقق بالقوم ليس منهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عقبة بن خالد عن عامر ابن قدامة قال سئل عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (عتق بعد ذلك زنيم) قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزمء ، والزمء من الشياه التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها . وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعيد بن جبير قال الزنيم الذي يعرف بالبشر كما تعرف الشاة بزمنها والزنيم الملقق . رواه ابن جرير ، وروى أيضا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في الزنيم : نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال وكانت له زمة في عنقه يعرف بها قال : وقال آخرون كان دعيا

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا هو الذي تكون له زمة مثل زمة الشاة ، وقال الضحاك كانت له زمة في أصل أذنه ويقال هو اللثيم الملقق في النسب ، وقال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالبشر ، وقال مجاهد الزنيم الذي يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة ، وقال أبو رزين الزنيم علامة الكفر ، وقال عكرمة الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزمنها . والأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالبشر الذي يعرف به من بين الناس وغالبا يكون دعيا وله زنا فانه في الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث « لا يدخل الجنة ولد زنا » وفي الحديث الآخر « ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه » وقوله تعالى (أن كان ذاملا وبين إياتنا عليه آياتنا قال أساطير الأولين) يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين كقوله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا * سأرهبه صغودا * إنه فكر وقد قتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إن هذا إلا سحر يؤثر * إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ما مقر * لا تبقى ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر) وقال تعالى ههنا (سنسمه على الخرطوم) قال ابن جرير سنين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كالأخفى عليهم السمعة على الحراطيم ، وهكذا قال قتادة (سنسمه على الخرطوم) شين لا يفارقه آخر ما عليه ، وفي رواية عنه : سمي على أنفه ، وكذا قال السدي وقال العوفي عن ابن عباس (سنسمه على الخرطوم) يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال ، وقال آخرون (سنسمه) سمه أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم ، حكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ومال إلى أنه لا مانع . من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وهو متجه ، وقد قال ابن أبي حاتم في سورة (عم يتساءلون) حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني خالد بن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى ابن هلال الصدي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن العبد يكتب مؤمنا أحقا بأثم أحقا بأثم يموت والله عليه ساخط ، وإن العبد يكتب كافرا أحقا بأثم يموت والله عليه راض ومن مات همازا لمازا ملقا للناس كان علامته يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين »

﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِيُنَّ مِنْهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَشْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادُوا مُصْبِحِينَ * أَنْ اغْدُوا عَلَيْنَا حَرْشُكُمْ * إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ * أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ *

وَعَدُوا عَلَى حَرْدٍ قَدِيرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَوْنَ * قَالُوا يَوْنُسَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْأَخِرَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعطاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالكذب والرد والمخاربة ولهذا قال تعالى (إنا بلوناهم) أي اخترناهم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهي البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين) أي حلفوا فيما بينهم ليصبحن ثمرها ليلا فلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه شيء (ولا يستنون) أي فيما حلفوا به ، ولهذا حننهم الله في أيامهم فقال تعالى (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أي أصابها آفة سماوية (فأصبحت كالصريم) قال ابن عباس أي كالليل الأسود وقال الثوري والسدي مثل الزرع إذا حصد أي هشا يهسا . وقال ابن أبي حاتم . ذكر عن أحمد بن الصباح أنانا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبي سليم عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم والمعاصي إن العبد ليزن الذنوب فيحرم به رزقا قد كان هيء له » ثم تلا رسول الله ﷺ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) قد حرموا خير جنتهم بذنوبهم (فتنادوا مصبحين) أي لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجنة (أن اغدو على حرثكم إن كنتم صارمين) أي تريدون الصرام قال مجاهد : كان حرثهم عنباً (فانطلقوا وهم يتخافتون) أي يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم . ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والتجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى (فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلونها اليوم عليكم مسكين) أي يقول بعضهم لبعض لا تمسكوا اليوم فقيرا يدخلها عليكم ؟ قال الله تعالى (وغدوا على حرد) أي قوة وشدة ، وقال مجاهد (وغدوا على حرد) أي جده ، وقال عكرمة طي غيظ ، وقال الشعبي (على حرد) على المساكين ، وقال السدي (على حرد) أي كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدي في قوله هذا (قادرين) أي عليها فيما يزعمون ويرومون (فلما رأوها قالوا إنا لضالون) أي فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهي على الحالة التي قال الله عز وجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرية وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلمعة لا ينتفع بشيء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا والطريق ولهذا قالوا (إنا لضالون) أي قد سلكنا إليها غير الطريق فتهنأ عنها قاله ابن عباس وغيره ، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هي فقالوا (بل نحن محرومون) أي بل هي هذه ولكن نحن لا نحظ لنا ولا نصيب (قال أوسطهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة أي أعد لهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون ؟) قال مجاهد والسدي وابن جريج (لو لا تسبحون) أي لو لا تستنون قال السدي وكان استنساؤهم في ذلك الزمان تسبيحا وقال ابن جرير هو قول القائل إن شاء الله ، وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أي هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) أنوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينفع ولهذا قالوا (إنا كنا ظالمين) فأقبل بعضهم على بعض يتلومون) أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجنائز فلما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) أي اعتدنا وبغينا وطغنا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها) إنا إلى ربنا راغبون (قيل رغبوا في بدلها لهم في الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها في الدار الآخرة والله أعلم ثم ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضرعان على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب . وقد كان أبوهم يسير

فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما يحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل ، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحق إذ كان يصرف من هذه شيئا للفقراء ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقص قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالسكينة رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى (كذلك العذاب) أي هكذا عذاب من خالف أمر الله وخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوي الحاجات وبدل نعمة الله بكفرا (وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أي هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وقد ورد في حديث رواه الحافظ البيهقي من طريق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنْ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلَامٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءَ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النعمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه في الدار الآخرة جنات النعيم التي لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقض نعيمها ثم قال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟) أي أفنساوي بين هؤلاء وهؤلاء في الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ولهذا قال (ما لكم كيف تحكمون) أي كيف تظنون ذلك ؟

ثم قال تعالى (أم لكم كتاب فيه تدرسون ؟) إن لكم فيه لما تخيرون) يقول تعالى أفأبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسون وتفظونه وتدولونه بنقل الحلف عن السلف متضمن حكما مؤكدا كاتدعونه ؟ (إن لكم فيه لما تخيرون) أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ (إن لكم لما تحكمون) أي أمعكم عهد وميثاق مؤكدة (إن لكم لما تحكمون) أي أنه سيصلح لكم ما تريدون وتشتهون (سلاهم أيهم بذلك زعيم) أي قل لهم من هو المتضمن للتكفل بهذا ؟ قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيل (أم لهم شركاء) أي من الأصنام والأنداد (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين) ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ خَشَعَتِ أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذَلَّةً وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ * فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ * أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿

لما ذكر تعالى : أن المتقين عند ربهم جنات النعيم . بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) يعني يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام . وقد قال البخاري ههنا حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال سمعت النبي ﷺ يقول « يكشف ربنا عن مفاقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا » وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وفي غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور ، وقد قال عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس (يوم يكشف عن ساق) قال هو يوم القيامة يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس الشك من ابن جرير — (يوم يكشف عن ساق) قال عن أمر عظيم كقول الشاعر * شالت الحرب عن ساق *

وقال ابن أبي مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر ، وقال ابن عباس : هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة ، وقال ابن جرير عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر وجده . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) هو الأمر الشديد الفطيع من الهول يوم القيامة ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) يقول حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال ، وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شعبة حدثنا هارون بن عمر الخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال « يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخرون له سجدا » ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) أي في الدار الآخرة باجرامهم وتسكيرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبعا واحدا كلما أراد أحدهم أن يسجد خرق لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون

ثم قال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) يعني القرآن ، وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه مني أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمدته في غيه وأنظرهم ثم أخذه عن يزمقتدر ، ولهذا قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة كما قال تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال ونبين نساير لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) ولهذا قال ههنا (وأملئ لهم إن كيدى متين) أي وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدى ومكرى بهم ولهذا قال تعالى (إن كيدى متين) أي عظيم لمن خالف أمرى وكذب رسلى واجترأ على معصيتى

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ليلى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وقوله تعالى (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ؟) أم عندهم الغيب فهم يكتبون !) تقدم تفسيرهما في سورة الطور ، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذهم منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتكم به بمجرد الجهل والكفر والعناد

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ۚ لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ۚ فَاجْتَنِبْهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۚ وَإِنَّ يَسْكَدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَإِنَّ رَبَّكَ يُبْصِرُ هِمَّ مِمَّنْ سَلَكُوا الدِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ۚ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۚ ﴾

يقول تعالى (فاصبر) يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم فإن الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشروء الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلی القدير الذي لا يرد ما أنقذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) قال الله تعالى (فاستجبنا له ونجينا يونس من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) . وقال تعالى (فلو لا أنه كان من المسبحين) لالت في بطنه إلى يوم يبعثون) وقال ههنا (إذ نادى وهو مكظوم) قال ابن عباس ومجاهد والسدي : وهو مغموم ، وقال عطاء الخراساني وأبو مالك . مكروب ، وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال (لا إله

إلا أنت سبحانه إلى كنت من الظالمين) خرجت الكلمة نحن حول العرش فقالت الملائكة يارب: هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غربية فقال الله تبارك وتعالى: أما تعرفون هذا، قالوا لا، قال هذا يونس، قالوا يارب عبدك الذي لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة بحجة قال نعم، قالوا أقلنا ترحم ما كان يعمل في الرخاء فنتجيه من البلاء. فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ولهذا قال تعالى (فاجتبه ربه فجعله من الصالحين). وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ « لا ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ورواه البخاري من حديث سفيان الثوري وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وقوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (ليزلقونك) لينفذونك (بأبصارهم) أي يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبعضهم إياك لولا وقاية الله لك وسمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليل على أن العين إصابته وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة.

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أبو داود حدثنا سليمان بن داود العتيكي حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبري حدثنا يزيد بن هارون أن أناسمريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي قال العباس عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « لارقية إلا من عين أوحمة أودم لا يرقأ » لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان. حديث بريدة بن الحبيب رضي الله عنه قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا إسحاق ابن سليمان عن أبي جعفر الرازي عن حصين عن الشعبي عن بريدة بن الحبيب قال: قال رسول الله ﷺ « لارقية إلا من عين أوحمة » هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم في صحيحه عن سعيد بن منصور عن هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة موقوفا وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبي عن بريدة قاله الترمذي. وروى هذا الحديث الإمام البخاري من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذي من حديث سفيان بن عيينة ثلاثتهم عن حصين عن عامر الشعبي عن عمران بن حصين موقوفا « لارقية إلا من عين أوحمة » حديث أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه قال الحافظ أبو يعلى اللوصلي حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعة بن يزيد السامي حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبي دني عن ابن حرب عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ « إن العين لتلولج الرجل بأذن الله فيتصاعد حالها ثم يتردى منه » إسناد غريب ولم يخرجوه.

حديث حابس التميمي قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبي كثير حدثني حية بن حابس التميمي أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لاشيء في الهام والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل » وقد رواه الترمذي عن عمرو بن علي عن أبي غسان يحيى بن كثير عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير به ثم قال غريب. قال وروى سنان عن يحيى بن أبي كثير عن حية بن حابس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قلت كذلك رواه الامام أحمد عن حسين بن موسى وحسين بن محمد عن شيان بن أبي حبة حدثنا عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا بأس في الهام، والعين حق وأصدق الطيرة الفأل ». حديث ابن عباس رضي الله عنه قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن دريد حدثني إسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « العين حق، والعين حق، تستنزل الحائق » غريب.

طريق أخرى قال مسلم في صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب عن ابن طلوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبق العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » انفرد به دون البخاري وقال عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول « أعيدكما بكلية الله التامة من كل شيطان وهامة. ومن كل عين لامة » ويقول « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام » أخرجه البخاري وأهل السنن من حديث المنهال به.

﴿ حديث أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه ﴾ قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم أر كاليوم ولا جلد حياء فالتفت أن لبط به فأتى به رسول الله ﷺ فقبل له أدرك سهلا صريحا قال « من تهجون به » قالوا عامر بن ربيعة قال « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ » إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة » ثم دعا بماء فأمر عامرا أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلته إزاره وأمره أن يصب عليه قال سفيان قال معمر عن الزهري وأمر أن يكفأ الإماء من خلفه ، وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به ، ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضا عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة ويكفأ الإماء من خلفه ، ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضا عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه به .

﴿ حديث أبي سعيد الخدري ﴾ قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يشعوز من أعين الجان وأعين الناس فلما زالت العوذتان أخذ بهما وترك ماسوي ذلك ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن أبي بإس أبي مسعود الجريري به وقال الترمذي حسن

﴿ حديث آخر عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد قال « نعم » قال باسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك ، من شمر كل نفس وعين تشنيك والله يشفيك ، باسم الله أريقك . ورواه عن عفان عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبداود من حديث عبد الوارث به

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فأتاه جبريل فقال : باسم الله أريقك من كل شيء يؤذيك من كل حامد وعين والله يشفيك ورواه أيضا عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد به ، قال أبو زرعة الرازي روى عبد الصمد ابن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أبي نضرة وعن عبد العزيز عن أنس في معناه وكلاهما صحيح ﴿ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق أن أبا نعيم عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن العين حق » أخرجه من حديث عبد الرزاق . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن علية عن الجريري عن مضارب بن حزن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العين حق » تفرد به ورواه أحمد عن إسماعيل بن علية عن سعيد الجريري به وقال الامام أحمد حدثنا ابن غير حدثنا ثور بن يحيى بن زيد عن مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » وقال أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : الطيرة في ثلاث : في للسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت إذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول « أصدق الطيرة الفأل ، والعين حق » ﴿ حديث أسماء بنت عميس ﴾ قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرق قال : قالت أسماء بنت عيسى يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترق لهم قال « نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به ، ورواه الترمذي أيضا والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس به وقال الترمذي حسن صحيح ﴿ حديث عائشة رضي الله عنها ﴾ قال ابن ماجه حدثنا علي بن أبي الحبيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسلم عن معبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترق من العين . ورواه البخاري عن محمد بن كثير عن سفيان عن معبد بن خالد به ، وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسلم كلاهما عن معبد به ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو هشام الخزومي حدثنا وهيب عن أبي واقد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « استعبدوا بالله فان النفس حق » تفرد به وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منيه العين . قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان ابن حنيفة عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا (١) » الهام ، والعين حق وأصدق الطيرة القائل

« حديث سهل بن حنيف » قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ان أباه حدثه ان رسول الله ﷺ خرج ومساوا معه نحو مسكة حق إذا كانوا بشعب الحرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلاً أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي ابن كعب وهو يغتسل فقال ما رأيت كالיום ولا جلد نجاة فلبط سهل فأنى رسول الله ﷺ فقيل له يا رسول الله هل لك في سهل ؟ والله ما يرفع رأسه ولا يفتيق ، قال « هل تهمون فيه من أحد ؟ » قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامراً فتغيط عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ، هـلاً إذا رأيت ما يعجبك بركت ؟ » ثم قال - اغتسل له « فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجله وداخلته إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس » حديث عامر بن ربيعة قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا وكيع حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيد الله بن عامر قال انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل قال فانطلقا يلتمسان الحجر قال فوضع عامر حبة كانت عليه من صوف فنظرت اليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في الماء رقعة فأثبته فناديته ثلاثاً فلم يجني فأثبت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال فجاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر إلى بياض ساقيه قال فضرب صدره بيده ثم قال « اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » قال فقام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأي أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه فليترك فان العين حق » . (حديث جابر) قال الحافظ أبو بكر البرزاني في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا طالب ابن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري ويقال له ابن الضجيع ضجيع حمزة رضى الله عنه حدثني عبد الرحمن بن جابر ابن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضاءه وقدره بالأنفس » . قال البرزاني يعني العين قال ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد قلت بل قد روى من وجه آخر عن جابر . قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة حدثنا الرمادي حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « العين حق لتورد الرجل القبر والجل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين » . ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية بن هشام عن سفيان عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد تدخل الرجل العين في القبر وتدخل الجمل القدر » . وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه . (حديث عبد الله بن عمرو) قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشيد بن ابن سعد عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق » تفرد به أحمد

(حديث عن علي) يروى الحافظ ابن عساكر من طريق خزيمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضى الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه مقبلاً فقام يا محمد ما هذا النمل الذي أراه في وجهك ؟ قال « الحسن والحسين أصابتهم عين » قال صدق بالمين فان العين حق أفلا عوذتكم ما هؤلاء الكلمات ؟ قال « وماهن يا جبريل ؟ » قال : قل اللهم ذا السلطان العظيم والمن القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين

من أناس الحن واليمين الإنس ففعلوا الذي صنى الله بهم وهم لم ينادوا بهم إن بين يديه منازل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمؤذوا أنفسهم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويد فانه لم يتعود المتعودون بمثله » قال الخطيب البغدادي تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحنطلي من أهل تستر ذكره ابن عساكر في ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه . وقوله تعالى (ويقولون إنه لحنون) أى يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون إنه لحنون أى لجيئ بالقرآن قال الله تعالى (وما هو إلا ذكر للعالمين) آخر تفسير سورة ن ولله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الحاقة وهي مكية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَبَتْ ثُمُودُ بِالقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلَكُوا
بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى
الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِيجَازُ يَخِلْ خَائِيَةً * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ
وَالْمُؤْتَفِكَةُ * فَخَذُّوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ
فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُنْذُرُوعِيَةً ﴾

الحاقة من أسماء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله أمرها فقال (وما أرداك ما الحاقة) ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) وهي الصيحة التي أسكنتهم والزلزلة التي أسكنتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختير ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الذنوب وكذا قال الزبيعي بن أنس وابن زيد إنها الطغيان وقرأ ابن زيد (كذبت ثمود بطغواها) وقال السدي فأهلكوا بالطاغية قال يعني عاقر الناقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي باردة قال قتادة والسدي والربيع بن أنس والثوري (عاتية) أي شديدة المهبوب قال قتادة عنت عليهم حتى تقبت عن أفئدتهم وقال الضحاك (صرصر) باردة (عاتية) عنت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال علي وغيره عنت الحزنة فخرجت بغير حساب (سخرها عليهم) أي سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي كوامل متتابعات مشائيم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثوري وغيرهم حسوما متتابعات وعن عكرمة والربيع بن خثيم مشائيم عليهم كقوله تعالى (في أيام نحسات) قال الربيع وكان أولها الجمعة وقال غيره الأربعاء ويقال إنها التي تسميها الناس الأعجاز ، وكان الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) وقيل لأنها تسكون في عجز الشتاء ويقال أيام العجوز لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فقتلتها الريح في اليوم الثامن ، حكاه البغوي والله أعلم

قال ابن عباس (خاوية) خربة وقال غيره بالية أى جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخرب ميتا على أم رأسه فيشده على رأسه وتبقى جثته هامة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان . وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « نصرت بالصبا وأهلكك عاد بالهبور » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن يحيى ابن الضريس العبدى حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما فتح الله على عاد من الريح الا ما هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواسيهم وأموالهم فحملتهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت أهل البادية ومواسيهم على أهل الحاضرة » وقال الثوري عن ليث عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب (فهل ترى لهم من باقية ؟) أى هل تحس منهم من أحد من بقاءهم أو بمن ينتسب إليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفا ثم قال تعالى (وجاء

فرعون ومن قبله (قرء بكسر القاف أى ومن عنده ممن فى زمانه من أتباعه من كفار القبط ، وقرأ آخرون بفتحها أى ومن قبله من الأمم المشبهين له وقوله تعالى (والمؤتفكات) وهم الأمم المكذوبون بالرسول (بالخاطئة) وهى التكذيب بما أنزل الله قال الربيع (بالخاطئة) أى بالمعصية ، وقال مجاهد بالخاطيا ولهذا قال تعالى (فعصوا رسول ربهم) وهذا جنس أى كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى (إن كل كذب الرسل فحق وعيد) ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) كذبت قوم المرسلين (وإعاجاء إلى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) أى عظمة شديدة ألجمة ، قال مجاهد رابية شديدة وقال السدى مهلكة

ثم قال تعالى (إنا لما طغى الماء) أى زاد على الحد يأذن الله وارتفع على الوجود ، وقال ابن عباس وغيره طغى الماء كثر . وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح فى السفينة ، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن أبى سنان سعيد بن سنان عن غير واحد عن على بن أبى طالب قال لم تنزل قطرة من ماء إلا يكيل على يدى ملك فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان فطغى الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى (إنا لما طغى الماء) أى زاد على الحد يأذن الله (حملناكم فى الجارية) ولم ينزل شئ من الريح إلا يكيل على يدى ملك إلا يوم عاد فانه أذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أى عنت على الخزان ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) وهى السفينة الجارية على وجه الماء (لنجعلها لكم تذكرة) عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه أى وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء فى البحار كما قال (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون) لتستوها على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استوتبتم عليه (وقال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون) وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال قتادة : أبقي الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة ، والأول أظهر ولهذا قال تعالى (وتعبها أذن واعية) أى وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية ، قال ابن عباس : حافظة سامعة . وقال قتادة (أذن واعية) عقلت عن الله فاتفعت بما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاک (وتعبها أذن واعية) سمعتها أذن ووعت أى من له سمع صحيح وعقل راجح ، وهذا عام فى كل من فهم ووعى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقي حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقي حدثنا زيد بن يحيى حدثنا على بن حوشب سمعت مكحولا يقول : لما نزل على رسول الله ﷺ (وتعبها أذن واعية) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « سألت ربى أن يجعلها أذن على » قال مكحول فكان على يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا قط فنسيته وهكذا رواه ابن جرير عن على بن مسهل عن الوليد بن مسلم عن على بن حوشب عن مكحول به وهو حديث مرسل . وقد قال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا جعفر بن محمد بن محمد بن عامر حدثنا بشر بن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعنى والده أبى أحمد الزبيرى حدثنى صالح بن الهيثم سمعت بريدة الأسلمى يقول : قال رسول الله ﷺ على « إني أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعى وحق لك أن تعى » قال فنزلت هذه الآية (وتعبها أذن واعية) ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الأعشى عن بريدة به ولا يصح أيضا

(فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَهْيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةً * يَوْمَئِذٍ تَرْضَوْنَ لَا تَخَفُ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ)

يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهي هذه النفخة وقد أكتدها ههنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد ، وقال الربيع : هي النفخة الأخيرة والظاهر ما قلناه ، ولهذا قال ههنا (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) أي فمدت مد الأديم العكاظي وتبدلت الأرض غير الأرض (فيومئذ وقعت الواقعة) أي قامت القيامة (وانشقت السماء فهي يومئذ واهية) قال سماك عن شيخ من بني أسد عن علي قال : تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جريج هي كقوله (وفتحت السماء فسكنت أوابا) وقال ابن عباس متخرفة والعرش بجذائها (والملك على أرجائها) الملك اسم جنس أي الملائكة على أرجاء السماء قال ابن عباس على ما لم يه منها أي حافاتهما وكذا قال سعيد بن جبير والأوزاعي ، وقال الضحاك أطرافها وقال الحسن البصري أبو الواب ، وقال الربيع بن أنس في قوله (والملك على أرجائها) يقول على ما استندق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض ، وقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) أي يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم أو العرش الذي يوضع في الأرض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب ، وفي حديث عبد الله بن عميرة عن الأنحف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب في ذكر رحمة العرش أنهم ثمانية أو عال ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد حدثنا زيد بن الحباب حدثني أبو السمع البصري حدثنا أبو قيلح بن هاني أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول : حملة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي قال كتب إلى أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابوري حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « أذن لي أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام » وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات وقد رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » هذا لفظ أبي داود وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن الغيرة حدثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ثمانية صفوف من الملائكة قال : وروى عن الشعبي وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك ، وكذا روى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس : ثمانية صفوف وكذا روى العوفي عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكرويون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعثة الإنس والجن والشياطين والملائكة وقوله تعالى (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) أي تعرضون على عالم السر والنجوى الذي لا يخفى عليه شيء من أموركم بل هو عالم بالقلواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال تعالى (لا تخفى منكم خافية) وقد قال ابن أبي الدنيا أخبرنا إسحاق بن إسماعيل أخبرنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أخف عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزنوا للعرض الأكبر (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن ربيعة عن الحسن بن أبي موسى قال : قال رسول الله ﷺ « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فتأخذ يمينه وأخذ بشماله » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذي عن أبي كريب عن وكيع عن علي بن علي عن الحسن بن أبي هريرة به ، وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد بن سليم بن حيان عن مروان الأصغر عن أبي وائل عن عبد الله قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف في الأيدي فتأخذ يمينه وأخذ بشماله ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسل مثله .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِيَّةً * إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ قَطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه (هاؤم اقرءوا كتابيه) أي خذوا اقرءوا كتابيه لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات حمزة لأنه بمن بدل الله سيئاته حسنات قال عبد الرحمن بن زيد معنى (هاؤم اقرءوا كتابيه) أي ها اقرءوا كتابيه وؤم زائدة كذا قال والظاهر أنها بمعنى ها كم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا بشر بن مطر الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم الأحول عن أبي عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرأها فيرجع إليه لونه ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول : هاؤم اقرءوا كتابيه . وحدثنا أبي حاتم إبراهيم ابن الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عبادة حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أي يظهر سيئاته في ظهره صديقه فيقول له أنت عملت هذا فيقول نعم أي رب ، فيقول له إني لم أفضحك به وإني قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرءوا كتابيه (إني ظننت أني ملاق حسابيه) حين نجا من فضيخته يوم القيامة . وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يدني الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين » وقوله تعالى (إني ظننت أني ملاق حسابيه) أي قد كنت موقفا في الدنيا أن هذا اليوم كان لي لا محالة كما قال تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) قال الله تعالى (فهو في عيشة راضية) أي مرضية (في جنة طالية) أي رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة ، قال « نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلى تنقص بهم أعمالهم » وقد ثبت في الصحيح « إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض » وقوله تعالى (قطوفها دانية) قال البراء بن عازب أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريرته وكذا قال غير واحد قال الطبراني عن الدبري عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن ممان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه الجنة طالية قطوفها دانية » وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمي عن أبي عثمان الهدي عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعطى المؤمن جوازا على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه الجنة طالية قطوفها دانية » وقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية) أي يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وإنعاما وإحسانا وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أعمالوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولأنا إلا أن يتعدني الله برحمته منه وفضل »

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً * وَأَلَمْ آدُرْ مَا حِسَابِيَّةً * يَلَيْتَنِي كَانَتْ

الْفَاضِيَّةُ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةُ * هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةُ * خَذُوهُ فَعْلُوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ *
فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿١٠﴾

وهذا إخبار عن حال الأشرقياء إذا أعطى أحدهم كتابه في العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم (فيقول ياليتني
لم أوت كتابي * ولم أدر ما حسايه * ياليتها كانت الفاضية) قال الضحاك يعني مودة لا حياة بعدها وكذا قال محمد بن
كعب والربيع والسدي وقال قتادة غنى الموت ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه (ما أغنى عني ماله * هلاك عني سلطانيه)
أي لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه بل خلس الأمر إلى وحدي فلا معين لي ولا محير فعندها يقول الله
عز وجل (خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه) أي يأمر الزبانية أن تأخذوه عنفا من المحشر فتغله أي تضع الأغلال في عنقه ثم
تورده إلى جهنم فتصلبه إياها أي تعمره فيها . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن
قيس عن المنهال بن عمرو قال إذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك إن الملك منهم ليقول هكذا فيلقى
سبعين ألفا في النار . وروى ابن أبي الدنيا في الأحوال أنه يبتدره أربعمئة ألف ولا يبقى شيء إلا دقة فيقول مالي ولك
فيقول: إن الرب عليك غضبان فكل شيء غضبان عليك ، وقال الفضيل بن عياض : إذا قال الرب عز وجل خذوه فغلوه
ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل في عنقه (ثم الجحيم صلوه) أي اغمره فيها ، وقوله تعالى (ثم في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا ، وقال العوفي عن ابن عباس
وابن جريج بن ذراع الملك وقال ابن جريج قال ابن عباس (فاسلكوه) تدخل في اسقه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها
كما ينظم الجراد في العود حين يشوى وقال العوفي عن ابن عباس بسلوك في دبره حتى يخرج من منخرينه حتى لا يقوم على
رجليه وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي السميع عن عيسى بن هلال
الصدقي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن روضة مثل هذه وأشار إلى جهنمة -
أرسلت من السماء إلى الأرض وهي مسيرة خمسمئة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة
لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن يباغ فورها أو أصلها » وأخرجه الترمذي عن سويد بن سعيد عن عبد الله بن
البارك به وقال هذا حديث حسن . وقوله تعالى (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يقوم
بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفذ خلقه ويؤدى حقهم ، فإن لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به
شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله بأفام الصلاة وإيتاء الزكاة
وقبض النبي ﷺ وهو يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » وقوله تعالى (فليس له اليوم ههنا حميم *
ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون) أي ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لاجم وهو
الغريب ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له ههنا إلا من غسلين قال قتادة : هو شر طعام أهل النار . وقال الربيع والضحاك
هو شجرة في جهنم ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف
عن مجاهد عن ابن عباس قال ما أدرى ما الغسلين ولسكى أظنه الزقوم وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس
قال الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال علي بن أبي طلحة عنه الغسلين صديد أهل النار .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا
مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى مقسماً لحلقه بما يشاهدونه من آياته في مخلوقاته الدالة على كماله في أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من الغيبات عنهم إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذي اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فقال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم ، أضافه إليه على معنى التبليغ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه في سورة التكوير إلى الرسول الملوكي (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين) وهذا جبريل عليه السلام ، ثم قال تعالى (وما صاحبكم بمجنون) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (ولقد رآه بالأفق المبين) يعنى أن محمداً رأى جبريل على صورته التي خلقه الله عليها (وما هو على الغيب بضنين) أى بمنهم (وما هو بقول شيطان رجيم) وهكذا قال ههنا (وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون) فأضافه الله تارة إلى قول الرسول الملوكي وتارة إلى الرسول البشرى لأن كلامهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى (تنزيل من رب العالمين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو الغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال : قال عمر بن الخطاب : خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقممت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال : فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال فقراً (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون) قال فقلت كاهن ، قال فقراً (ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) إلى آخر السورة ، قال فوقع الاسلام في قلوب كل موقع ، فهذا من جملة الأسباب التي جعلها الله تعالى مؤثرة في هداية عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما أوردنا كيفية إسلامه في سيرته المفردة والله الحمد والمنة

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذَكَّرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَخَلْقُ الْقِيَمِينَ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى (ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى لو تقول علينا أى محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفترياً علينا فزاد في الرسالة أو نقص منها أو قال شيئاً من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة ، ولهذا قال تعالى (لأخذنا منه باليمين) قيل معناه لا نتقنا منه باليمين لأنها أشد في البطش ، وقيل لأخذنا بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذي القلب معلق فيه ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقناة والضحاك ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد ، وقال محمد بن كعب : هو القلب ومراقه وما يليه . وقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى لما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئاً من ذلك . والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات . ثم قال تعالى (وإنه لتذكرة للمتقين) يعنى القرآن كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى) ثم قال تعالى (وإننا لنعلم أن منكم مكذبين) أى مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن . ثم قال تعالى (وإنه لحسرة على الكافرين) قال ابن جرير وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة . وحكاة عن قناة بمثله وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن أبي مالك (وإنه لحسرة على الكافرين) يقول لندامة ويحتمل عود الضمير على القرآن أى وإن القرآن والإيمان به لحسرة في نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى (كذلك سلكناه في قلوب الجرمين لا يؤمنون به) وقال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) ولهذا قال ههنا (وإنه لحق اليقين) أى الخبر الصادق الحق الذي لا مرية فيه ولا شك ولا ريب ثم قال تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أى الذي أنزل هذا القرآن العظيم آخر تفسير سورة الحاقة والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة سأل سائل وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَأَصْبَحَ سَمْعُهُمْ أَصْفًا * وَنَزَّلَهُ فِي قُرْيَةٍ ﴾

(سأل سائل بعذاب واقع) فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقرر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) أى وعذابه واقع لاحالة . قال النسائي حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا صفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) قال النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس (سأل سائل بعذاب واقع) قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم ، وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد في قوله تعالى (سأل سائل) دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقال ابن زيد وغيره (سأل سائل بعذاب واقع) أى واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله تعالى (واقع للكافرين) أى مرصداً للكافرين . وقال ابن عباس واقع جاء (ليس له دافع) أى لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى (من الله ذى المعارج) قال الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ذى المعارج) قال ذو الدرجات ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ذى المعارج يعنى العلو والفواضل وقال مجاهد ذى المعارج معارج السماء ، وقال قتادة ذى الفواضل والنعيم . وقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد وأما الروح فقال أبو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناساً ، قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام ، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فانها إذا قبضت تصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء ، وفي الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث النهاج عن زاذان عن البراء مرفوعاً الحديث بطوله فى قبض الروح الطيبة قال فيه « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى يتهى بها إلى السماء التى فيها الله » والله أعلم بصحته فقد تكلم فى بعض رواته ولكنه مشهور وله شاهد فى حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه من طريق ابن أبي الدنيا عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه ، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى (ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) . وقوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فيه أربعة أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذى فى وسط الأرض السابعة ، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة وانه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن أبي شيبة فى كتاب صفة العرش . وقد قال ابن أبي حاتم عند هذه الآية حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا حكام عن عمرو بن معمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف سنة (فى يوم كان مقداره ألف سنة) يعنى بذلك حين ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء والأرض

مقدار مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكيم بن سالم عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا إبراهيم بن منصور حدثنا نوح المعروف عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال غلط كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ﴿ القول الثاني ﴾ أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا عمرها خمسون ألف سنة وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل يوما (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم) قال اليوم الدنيا ، وقال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدرى أحدكم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل ﴿ القول الثالث ﴾ أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جدا . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا موسى ابن عبيدة أخبرني محمد بن كعب (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة ﴿ القول الرابع ﴾ أن المراد بذلك يوم القيامة . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبدالرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سفيان بن عكرمة عن ابن عباس (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال يوم القيامة وإسناده صحيح ورواه الثوري عن سفيان بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله ﷺ (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر العداني قال كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقبل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة : ردوه إلى فردوه فقال نبئت أنك ذو مال كثير فقال العامري إني والله إن لي لمائة حمرا ومائة أدماء حتى عد من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ما ذاك يا أبا هريرة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كانت له إبل لا يعطى حقها في نجبته ورسولها » قلنا يارسول الله ما نجبته ورسولها ، قال « في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمه وأشهره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها فإذا جاوزته أخرها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقرة لا يعطى حقها في نجبته ورسولها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمه وأشهره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخرها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له غنم لا يعطى حقها في نجبته ورسولها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمه وأشهره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخرها أعيدت عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى

سبيله» فقال العامري وما حق الإبل يا أبهريرة؟ قال أن تعطى الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقى الإبل وتطرق الفجل وقد رواه أبو داود من حديث شعبة والنسائي من حديث سعيد بن أبي عروبة كلاهما عن قتادة به طريق أخرى لهذا الحديث» قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا حماد عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتسكوى بها جهنم وجننه وظهره حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار» وذكر بقية الحديث في الغنم والإبل كما تقدم وفيه «الحبل لثلاثة لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزن» إلى آخره ورواه مسلم في صحيحه بتمامه منفردا به دون البخاري من حديث سهل عن أبيه عن أبي هريرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه في كتاب الزكاة من كتاب الأحكام، والغرض من إيراده ههنا قوله «حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة». وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبي مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال ما يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فاتمه، فقال إنمأسألتك لتحدثني، قال هما يومان ذكرهما الله، الله أعلم بهما وأكره أن أقول في كتاب الله بما لا أعلم وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) أي اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله (يستعمل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) ولهذا قال (إنهم يرونه بعيدا) أي وقوع العذاب. وقيام الساعة يراه الكفرة بعيدا لوقوع بمعنى استحصال الوقوع (ونراه قريبا) أي المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ * وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً * يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِيهِ * وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْفَى * نَزَاعَةً لِّلشَّوْطِ * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين (يوم تكون السماء كالمهل) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وغير واحد أي كدردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف المنفوش قاله مجاهد وقتادة والسدي، وهذه الآية كقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش). وقوله تعالى (ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم) أي لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره قال الموفى عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ثم يقر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق) وكقوله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى) وكقوله تعالى (فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وكقوله تعالى (يوم يقر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبه وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقوله تعالى (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبه وأخيه * وفصيلته التي تؤويه * ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه * كلا) أي لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز ما يجده من المال ولو بملء الأرض ذهباً أو من ولده الذي كان في الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأحوال أن يفتدى من عذاب الله به ولا يقبل منه قال مجاهد والسدي (فصيلته) قبيلته وعشيرته، وقال عكرمة فخذته الذي هو منهم وقال أشهب عن مالك: فصيلته أمه

وقوله تعالى (إنها لظى) يصف النار وشدة حرها (نزاعة للشوى) قال ابن عباس ومجاهد: جلدة الرأس، وقال العوفي عن ابن عباس (نزاعة للشوى) الجلود والهام؛ وقال مجاهد مادون العظم من اللحم، وقال سعيد بن جبير: للمصعب والعقب وقال أبو صالح (نزاعة للشوى) يعنى أطراف اليدين والرجلين وقال أيضا (نزاعة للشوى) لحم الساقين، وقال الحسن البصرى وثابت البناتى (نزاعة للشوى) أى مكارم وجهه، وقال الحسن أيضا تحرق كل شئ فيه ويبقى فؤاده يصيح وقال قتادة (نزاعة للشوى) أى نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه. وقال الضحاك تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا، وقال ابن زيد الشوى: الآراب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم. وقوله تعالى (تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى) أى تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها: وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعمون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أى كذب بقلبه وترك العمل بخوارجه (وجمع فأوعى) أى جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أى أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن إخراج الزكاة. وقد ورد فى الحديث «ولا توعى فى وعى الله عليك» وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيسا ويقول سمعت الله يقول (وجمع فأوعى) وقال الحسن البصرى يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا. وقال قتادة فى قوله (وجمع فأوعى) قال كان جموعا قوما لا خبيث

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلَقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا أُمِرُوا * لِلْأَسَافِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمَ الَّذِينَ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ * حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَتَّبَعَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ * أَعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة (إن الإنسان خلق هلوعا) ثم فسره بقوله (إذا مسه الشر جزوعا) أى إذا مسه الضر فزع وجزع وانخل قلبه من شدة الرعب وأيس أن يحصل له بذلك خير (وإذا مسه الخير منوعا) أى إذا حصلت له نعمة من الله ينخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن علي بن رباح سمعت أبي يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «شر ما فى رجل: شح هالغ وجبن خالغ» ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح عن أبي عبد الرحمن المقرئ به وليس لعبد العزيز عنده سواه. ثم قال تعالى (إلا المصلين) أى الإنسان من حيث هو متصف بصفات. الدم إلا من عصمه الله ووقفه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصابون (الذين هم على صلاتهم دائمون) قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي، وقيل المراد بالادوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) قاله عتبة بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة فى الصلاة فإن الذى لا يطمأن فى ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها تنقر الغراب فلا يفلح فى صلاته، وقيل المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه كما جاء فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ

أنه قال « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » وفي لفظ « ما دام عليه صاحبه » قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملاً دام عليه ، وفي لفظ أثبتته ، وقال قتادة في قوله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال يصلون صلاة لوصلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فليسكن بالصلاة فانها خلق للمؤمنين حسن

وقوله تعالى (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) أى فى أموالهم نصيب مقرر لدوى الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الذاريات . وقوله تعالى (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجوا الثواب ويخاف العقاب . ولهذا قال تعالى (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون وجلون (إن عذاب ربهم غير مأمون) أى لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) أى يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله فيه . ولهذا قال تعالى (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أى من الإماء (فانهم غير ملومين) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقد تقدم تفسير هذا فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (والذين هم لأيمانهم وعهدهم راعون) أى إذا أؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا ، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد فى الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان » وفى رواية « إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » وقوله تعالى (والذين هم بشهادتهم قائمون) أى يحافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتُمونها (ومن يكتُمها فإنه آثم قلبه)

ثم قال تعالى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتشويه بشرفها كما تقدم فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) سواء ولهذا قال هناك (أولئك هم الوارثون) الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (وقال ههنا (أولئك فى جنات مكرمون) أى مكرمون بأنواع المأاد والمساكن

﴿ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مَهْطِعِينَ * عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْمَلُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْنهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يَأْتُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَّاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى منسكرا على الكفار الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أبدى الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه ، شاردون بعيدا وشاعلا فرقا فرقا ، وبشيئا شيعا ، كما قال تعالى (فإلههم عن التذكرة معرضين) كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة) الآية وهذه مثلها فإنه قال تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين) أى فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين أى مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصرى مهطعين أى منطلقين (عن اليمين وعن الشمال عزين) واحدها عزة أى متفرقين وهو حال من مهطعين أى فى حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفى عن ابن عباس (فما للذين كفروا قبلك

مهمطين قال فذلك ينظرون (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال العزير العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن الحسن في قوله (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي متفرقين يأخذون يميننا وشمالنا يقولون : ما قال هذا الرجل ؟ وقال قتادة (مهمطين) عامدين (عن اليمين وعن الشمال عزين) أي فرقا حول النبي ﷺ لا يرغبون في كتاب الله ولا في نبيه صلى الله عليه وسلم وقال الثوري وشعبة وعمر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيع ويحيى القطان وأبو معاوية كلهم عن الأعمش عن السيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال « مالي أراكم عزين ؟ » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن جرير من حديث الأعمش به وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا مفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبي سيدة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق فقال « مالي أراكم عزين ؟ » وهذا إسناد جيد ولم أره في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه

وقوله تعالى (أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا) أي أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفارهم عن الحلق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ كلا بل مأواهم جهنم . ثم قال تعالى مقررًا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذي أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلا عليهم بالبداية التي الاعادة أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى (إنا خلقناهم مما يعلمون) أي من المني الضعيف كما قال تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين) وقال (فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر) ثم قال تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) أي الذي خلق السموات والأرض وجعل مشرقًا ومغربًا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب في مغاربها . وتقرر الكلام ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لا محالة ، ولهذا أتى بلا في ابتداء القسم ليدل على أن القسم عليه نفي وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد في نفي يوم القيامة وقد شاهدوا من عظم قدرة الله تعالى ما هو أبغ من إقامة القيامة وهو خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهما من الخواقات من الحيوانات والجمادات وسائر صنوف الموجودات ولهذا قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهم بقادر على أن يحيي الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قدير) وقال تعالى في الآية الأخرى (أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون) وقال ههنا (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرًا منهم) أي يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فان قدرته صالحة لذلك (وما نحن بمسبوقين) أي عاجزين كما قال تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجعل عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوي بنانه) وقال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) واختار ابن جرير (على أن نبدل خيرًا منهم) أي أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم ، ثم قال تعالى (فذرهم) أي يا محمد (يخوضوا ويلعبوا) أي دعهم في تكمذيبهم وكفرهم وعنادهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) أي فيسمعون غيب ذلك وينذوقون وبالاه (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) أي يقيمون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إلى علم يسمون ، وقال أبو العالية ويحيى بن أبي كثير إلى غاية يسعون إليها ، وقد قرأ الجمهور إلى نصب بفتح النون وإسكان الضاد وهو مصدر بمعنى المنسوب ، وقرأ الحسن البصري نصب بضم النون والضاد وهو الضم أي كأنهم في إسراعهم إلى الموقف كما كانوا في الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون يبتدرون أيهم

يستله أول . وهذا مروى عن مجاهد ويحيى بن أبي كثير ومسلم البطيخ وقنادة والضحاك والريش بن أنس وأبي صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم) أى خاضعة (ترهقهم ذلة) أى فى مقابلة ما استكبروا فى الدنيا عن الطاعة (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) . آخر تفسير سورة سأل سائل ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة نوح عليه السلام وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا * يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِن أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فان تابوا وأنبأوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى (أن أنذر قومك من قبل أن يأتيتهم عذاب إليم * قال يا قوم إني لكم نذير مبين) أى بين النذارة ظاهر الأمر واضحه أن اعبدوا الله واتقوه أى اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه (وأطيعوا) فيما أمركم به وأنما كم عنه (يغفر لكم من ذنوبكم) أى إذا فعلتم ما أمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم عفا الله لكم ذنوبكم ، ومن ههنا قيل إنها زائدة ولكن القول بزيادتها فى الإثبات قليل ، ومنه قول بعض العرب : قد كان من مطر ، وقيل إنها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير ، وقيل إنها للتبويض أى يغفر لكم الذنوب العظيم التى وعدكم على ارتكابكم إياها الاتقام (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أى يعد فى أعماركم ويدبر عنكم العذاب الذى إن لم تجتنبوا ما نهاكم عنه أوقعه بكم ، وقد يستدل بهذه الآية من يقول إن الطاعة والبروصلة الرحم يزاودها فى العمر حقيقة كما ورد به الحديث « صلة الرحم تزيد فى العمر » . وقوله تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) أى بادروا بالطاعة قبل حلول النعمة فانه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه العظيم الذى قد قهر كل شىء العزيز الذى دانت لعزته جميع المخلوقات

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيْءَ أَذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ يَجْعَلُ لَكُمْ فِيهَا أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيْهِ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيْهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لَّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقي من قومه وما صبر عليهم فى تلك المدة الطويلة التى هى ألف سنة إلا خمسين عاما وما بين قومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشيد والسبيل الأقوم فقال :

(رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا) . أى لم أترك دعاءهم فى ليل ولانهار امتثالا لأمرى وإستغناء لطاعتك (فلم يزد هم دعائى إلا فرارا) أى كلما دعوتهم ليقربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه (وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم) أى سدوا آذانهم لئلا يسمعون ما يدعوهم إليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون) (واستغشوا ثيابهم) قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يسمعونهم . وقال سعيد بن جبير والسدى غطوا رؤوسهم لئلا يسمعون ما يقول (وأصروا) أى استمروا على ما هم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع (واستكبروا استكبارا) أى واستكفوا عن اتباع الحق والالتقاد له (ثم إني دعوتهم جهارا) أى جهره بين الناس (ثم إني أعلنت لهم) أى كلما ظاهرا بصوت عال (وأسروا لهم إسرارا) أى فيما بينى وبينهم فروع عليهم الدعوة لتكون أجمع فيهم (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا) أى ارجعوا إليه وارجعوا عما أتيتم فيه . وتوبوا إليه من قريب فانه من تاب إليه تاب عليه ، ولو كانت ذنوبه مهما كانت فى الكفر والشرك ، ولهذا قال (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) أى متواصلة الأمطار ، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة فى صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية وهكذا روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقى فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات فى الاستغفار ومنها هذه الآية (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) ثم قال : لقد طلبت الغيث بمجاديع السماء التى يستنزل بها المطر . وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا . وقوله تعالى (ويمدكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهار) أى إذا تبتهم إلى الله واستغفروا وطعموه وأطعموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأثبت لكم من بركات الأرض وأثبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أى أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخلصها بالأنهار الجارية بينها ، هذا مقام الدعوة بالترغيب ، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال (ما لكم لا ترجون لله وقارا ؟) أى عظمة قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك ، وقال ابن عباس لا تعظمون الله حق عظمته أى لا تخافون من بأسه وتقمته (وقد خلقكم أطوارا) قيل معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدى وابن زيد . وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) أى واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط ؟ أو هو من الأمور المدركة بالحواس مما علم من التفسير والكسوفات فإن الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضها فإدناها القمر فى السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد فى الثانية والزهرة فى الثالثة ، والشمس فى الرابعة والمريخ فى الخامسة والمشتري فى السادسة وزحل فى السابعة وأما بقية الكواكب وهى الثوابت فى فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمشتريون منهم يقولون هو الكرسي والفلك التاسع وهو الأطلس والأثير عندهم الذى حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهى من المغرب إلى المشرق ؟ وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعا ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فانها تسير من المغرب إلى المشرق ، وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه فى كل شهر مرة والشمس فى كل سنة مرة وزحل فى كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع فى السرعة متناسبة ، هذا ملخص ما يقولونه فى هذا المقام على اختلاف بينهم فى مواضع كثيرة لئلا يصدد بيانها وإنما المقصود أن الله سبحانه وتعالى (خلق سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) أى قاوت بينهما فى الاستنارة فجعل كلا منهما آموذجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيها ، وقد روى للقمر منازل وبروجا وقاوت نوره فتارة يزداد حتى ينتهى ثم يشرع فى النقص حتى يستمر ليدل على مضي الشهور والأعوام كما قال تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) وقوله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتا) هذا اسم مصدر والائتان به ههنا أحسن (ثم يعيدكم فيها) أى إذا متم (ويخرجكم إخراجا) أى يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة (والله جعل

لكم الأرض بساطاً) أى بسطها ومهدا وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشاهحات (لتسلكوا منها مبال
فجاجة) أى خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها وكل هذا مما ينبتهم به
نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته فى خلق السموات والأرض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع
السموية والأرضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والأرض مهذا وأوسع على خلقه من رزقه فهو
الذى يجب أن يعبد ويوحى ولا يشرك به أحد لأنه لا نظير له ولا عدل له ولا ند ولا كفاء ولا صاحبة ولا ولد ولا
وزير ولا مشير بل هو العلى الكبير

﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكْرُؤًا مَّكَرًا كَبِيرًا *
وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ
الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه انتهى إليه وهو العليم الذى لا يعزب عنه شىء أنه مع البيان المتقدم ذكره
والادعوة التنوع المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن
غفل عن أمر الله ومتع بما له وأولاد وهى فى نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ولهذا قال (واتبعوا من لم يزد
ماله وولده إلا خسارا) قرئ وولده بالضم وبالفتح وكلاهما متقارب وقوله تعالى (ومكروا مكرا كبيرا) قال
بجاهدا كبيرا أى عظيما ، وقال ابن زيد كبيرا أى كبير والعرب تقول أمر عجيب وعجاب وعجاب ، ورجل حسان
وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، والمعنى فى قوله تعالى (ومكروا مكرا كبيرا) أى باتباعهم فى
تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة (بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجمل له
أننادا) ولهذا قال ههنا (ومكروا مكرا كبيرا) وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق
ونسرا) وهذه أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله قال البخارى حدثنا إبراهيم حدثنا هشام عن ابن
جريح ، وقال غطاء عن ابن عباس صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد : أما ود فكانت لكتاب
بدومة الجندل ؛ وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت
لممدان وأما نسر فكانت لحجير لآل ذى كلاع وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى
الشیطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك
أولئك ونسخ العلم عبت . وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا ، وقال على بن أبى طلحة
عن ابن عباس هذه أصنام كانت تعبد فى زمن نوح وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى
عن محمد بن قيس (ويعوق ونسرا) قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا
قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء
آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يستنون المظر فعبدوهم ، وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة
شيث عليه السلام من طريق إسحاق بن بشر قال : أخبرنى جوير ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم
عليه السلام أربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية فكان من عاش منهم هابيل وقايل وصالح وعبد الرحمن الذى كان
سماه عبد الحارث ، وود وكان ود يقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد سودوه وولد له سواع ويعوق ويعوق
ونسر وقال ابن حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو عمرو الدورى حدثنى أبو إسحاق المؤدب عن عبد الله بن مسلم بن هرم عن
أبى حذرة عن عروة بن الزبير قال : اشتكى آدم عليه السلام وعنده ذوه ود ويعوق وسواع ونسر قال وكان
ود أكبرهم وأبرهم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبى الطمر

قال ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب ، قال فلما افتل من صلاته قال : ذكروا يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله ، قال ثم ذكروا رجلا مسلما وكان محببا في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديتكم فتذكرونه ؟ قالوا نعم فصور لهم مثله قال ووضعوه في ناديتهم وجعلوا يذكرونه ؛ فلما رأى ما بهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في بيته فتذكرونه قالوا نعم ، قال فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به قال وأدرك أبناءهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس أمر ذكركم إياه حتى اتخذوه إلهاء يعبدونه . من دون الله أولاد أولادهم فكان أول ما عبد من دون الله : الصنم الذي سموه ودا .

وقوله تعالى (وقد أضلوا كثيرا) يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا فانه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم ، وقد خلق الخليل عليه السلام في دعائه (واجنبي وبني أن نعبد الأصنام * رب إنهم أضلوا كثيرا من الناس) وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) دعاء منه على قومه لتردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون ومثله في قوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به .

﴿ مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخُلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَاراً * وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا * رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾

يقول تعالى (مما خطبائهم) وقرئ خطاياهم (أغرقوا) أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم (أغرقوا فأدخلوا نارا) أي نقلا من تيار البحار إلى حرارة النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أي لم يكن لهم معين ولا معيذ ولا مجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحدا ولا ديارا وهذه من صيغ تأكيده التي قال الضحاك : ديارا واحدا وقال السدي : الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال (سأوى إلى جبل يعصمني من الماء) قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من الغرقين) وقال ابن أبي حاتم قرأ على يونس ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شبيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم امرأة لسا رأيت النساء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها النساء صعدت به منكبها فلما بلغ النساء منكبها وضعت ولدها على رأسها فلما بلغ النساء رأسها رفعت ولدها بيدها فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة » هذا حديث غريب ورجاله ثقات ونحى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه . وقوله تعالى (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) أي إنك إن أبيت منهم أحدا أضلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) أي فاجرا في الأعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكانته بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما ثم قال (رب اغفر لي ولوالدي وللمن دخل بيته مؤمنا) قال الضحاك يعني مسجدي ، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التميمي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي » ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي

إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ دَعَاءٌ لِّجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ذَلِكَ يَوْمُ الْآخِرَةِ) يَعْنِي الْأَحْيَاءَ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتَ وَلِهَذَا يَسْتَحِبُّ مِثْلَ هَذَا الدَّعَاءِ اقْتِدَاءً بِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِمَّا جَاءَ فِي الْأَثَارِ وَالْأُدْعِيَةِ الشَّهِيرَةِ الْمَشْرُوعَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا) قَالَ السَّيِّدِي الْإِهْلَاكَ وَقَالَ مَجَاهِدٌ الْإِخْسَارَ أَيْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ الْحَمْدُ .

﴿ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْجِنِّ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴾

يَقُولُ تَعَالَى أَمْرًا رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ يَخْبِرَ قَوْمَهُ أَنَّ الْجِنِّ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ فَآمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ وَاتَّقَادُوا لَهُ فَقَالَ تَعَالَى (قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ) أَيْ إِلَى السَّدَادِ وَالنَّجَاحِ (فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا) وَهَذَا الْقَامُ شَبِيهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ) وَقَدْ قَدَّمْنَا الْأَحَدِيثَ الْوَارِدَ فِي ذَلِكَ بِمَا أَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا

وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (جَدُّ رَبِّنَا) أَيْ فِعْلُهُ وَأَمْرُهُ وَقَدَرْتُهُ وَقَالَ الضَّحَّاكُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ جَدُّ اللَّهِ آلاؤُهُ وَقَدَرْتُهُ وَنِعْمَتُهُ عَلَى خَلْقِهِ وَرَوَى عَنْ مَجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ جَلَّالَ رَبِّنَا وَقَالَ قَتَادَةُ تَعَالَى جَلَّالُهُ وَعَظَمَتُهُ وَأَمْرُهُ ، وَقَالَ السَّيِّدِي تَعَالَى أَمْرُ رَبِّنَا وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَمَجَاهِدٍ أَيْضًا وَابْنِ جَرِيرٍ تَعَالَى ذِكْرُهُ وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ (تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا) أَيْ تَعَالَى رَبِّنَا ، فَأَمَّا مَارَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْكُوفِيُّ حَدَّثَنَا سَفِيَانُ عَنْ عَمْرٍو عَنْ عَطَاءٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : الْجَدُّ أَبٌ وَلَوْ عَلِمْتَ الْجِنُّ أَنَّ فِي الْإِنْسِ جَدًّا مَا قَالُوا تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا فَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ وَلَكِنْ لَسْتُ أَفْهَمُ مَامَعْنَى هَذَا الْكَلَامُ وَلَعَلَّهُ قَدْ سَقَطَ شَيْءٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى (مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا) أَيْ تَعَالَى عَنْ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْأَوْلَادِ ، أَيْ قَالَتِ الْجِنُّ : تَنْزَهُ الرَّبُّ جَلَّالَهُ حِينَ أَسْلَمُوا وَآمَنُوا بِالْقُرْآنِ عَنْ اتِّخَاذِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ ثُمَّ قَالُوا (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) قَالَ مَجَاهِدٌ وَعُكْرَمَةُ وَقَتَادَةُ وَالسَّيِّدِي (سَفِيهُنَا) يَعْنُونَ إِبْلِيسَ (شَطَطًا) أَيْ مَالِكًا (شَطَطًا) أَيْ جَوْرًا ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ أَيْ ظُلْمًا كَبِيرًا وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الرَّدَادُ يَقُولُهُمْ سَفِيهُنَا اسْمُ جِنْسٍ لِسُكُلٍ مِنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ صَاحِبَةُ أَوْلَادًا وَلِهَذَا قَالُوا (وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا) أَيْ قَبْلَ إِسْلَامِهِ (عَلَى اللَّهِ شَطَطًا) أَيْ بِاطِّلَا وَزُورًا وَلِهَذَا قَالُوا (وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) أَيْ مَا حَسِبْنَا أَنَّ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ يَتَأَلَّوْنَ عَلَى الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي نِسْبَةِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا سَمِعْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَآمَنَّا بِهِ عَلِمْنَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أَيْ كُنَّا نَرَى أَنَّ لَنَا فَضْلًا عَلَى الْإِنْسِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعُوذُونَ بِنَا إِذَا نَزَلُوا وَادِيًا أَوْ مَكَانًا مَوْحِشًا مِنَ الْبَرَارِيِّ وَغَيْرِهَا كَمَا كَانَتْ عَادَةُ الْعَرَبِ فِي جَاهِلِيَّتِهَا يَعُوذُونَ بِعَظِيمِ ذَلِكَ الْمَكَانِ مِنَ الْجَانِّ أَنْ يَصِيبَهُمْ بِشَيْءٌ يَسُوءُهُمْ كَمَا كَانَ أَحَدُهُمْ يَدْخُلُ بِلَادَ أَعْدَائِهِ فِي جَوَارِ رَجُلٍ كَبِيرٍ وَذِمَامِهِ وَخَفَارَتِهِ فَلَمَّا رَأَتْ الْجِنُّ أَنَّ الْإِنْسَ يَعُوذُونَ بِهِمْ مِنْ خَوْفِهِمْ مِنْهُمْ زَادُوهُمْ رَهَقًا أَيْ خَوْفًا وَإِرْهَابًا وَذَعْرًا حَتَّى يَقُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ خَافَةً وَأَكْثَرَ تَعُوذًا بِهِمْ كَمَا قَالَ قَتَادَةُ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أَيْ إِثْمًا وَازْدَادَتْ الْجِنُّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ جَرَاءَةً ، وَقَالَ الثَّوْرِيُّ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) أَيْ أَزَادَتْ الْجِنُّ عَلَيْهِمْ جَرَاءَةً . وَقَالَ السَّيِّدِي : كَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ بِأَهْلِهِ فَيَأْتِي الْأَرْضَ فَيَنْزِلُهَا فَيَقُولُ : أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنَ

الجن أن أضر أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ما شئى ، قال قتادة : فإذا عاذ بهم من دون الله رهنهم الجن الأذى عند ذلك . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي حدثنا الزبير بن الحرث عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد فكان الإنس إذا نزلوا وأداهرب الجن فيقول سيد القوم نعوذ بسيد أهل هذا الوادى فقال الجن نراهم يفرقون منا كما تفرق منهم فدنا من الإنس فأصابوهم بالحبل والجنون فذلك قول الله عز وجل (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى إنما . وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم (رهقا) أى خوفا . وقال العوفي عن ابن عباس (فزادوهم رهقا) أى إنما وكذا قال قتادة . وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن المعراء الكندى حدثنا القاسم بن مالك - يعنى الزنى - عن عبد الرحمن ابن إسحق عن أبيه عن كردم بن أبي السائب الأنصارى قال خرجت مع أبي من المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا للمبيت إلى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ سملا من الغنم فوثب الراعى فقال : يا عامر الوادى جارك فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان أرسله . فأتى الحبل يشتد حتى دخل في الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ثم قال وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبي العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعى نحوه . وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحبل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يرهب الإنسى ويخاف منه ثم رده عليهما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم ، وقوله تعالى (وأهم ظنوا كما ظنن أن لن يبعث الله أحدا) أى لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا . قاله السكاكى وابن جرير .

وَأَنَا لَمُسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَنَ سَمِعَ فَأَنَّا إِنَّا لَمَشَاهِبَ لِّهٖ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا *

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمدا ﷺ وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديدا وحفظت من سائر أراجئها وطردت الشياطين عن مقاعدها التي كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلبس الأمر ويختلط ولا يدري من الصادق ، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قال الجن (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا *) وأنا كنا نقعد منها مقعدا لسمع فنسمع الآن يجد له شهابا رصدا) أى من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يحرقه ويهلكه (وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) أى ما ندري هذا الأمر الذى قد حدث في السماء لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ، وهذا من أدبهم في العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل والخير وأضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد في الصحيح « والشر ليس إليك » وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل في الأحيان بعد الأحيان كما في حديث العباس بن جاسم مع رسول الله ﷺ إذا رمى بنجم فاستنار فقال « ما كنتم تقولون في هذا ؟ » قلنا كنا نقول يولد عظيم ، يموت عظيم فقال « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر في السماء » وذكر تسمام الحديث وقد أوردناه في سورة مباءة بتمامه وهذا هو السبب الذى حملهم على تطلب السبب في ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بأصحابه في الصلاة فعرفوا أن هذا هو الذى حفظت من أجله السماء فلآمن من آمن منهم وتمرد في طغيانه من بقى كما تقدم حديث ابن عباس في ذلك عند قوله في سورة الأحقاف (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الآية ولا شك أنه لما حدث

هذا الأمر وهو كثرة الشهب في السماء والرمي بها هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا أن ذلك لحراب العالم كما قال السدي لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون في الأرض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت للقاعد في السماء الدنيا يستمعون ما يحدث في السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبياً رسولاً رجوا ليلة من الليالي ففرغ لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار في السماء واختلاف الشهب فجعلوا يمتقون أرقاءهم ويسديون مواشيمهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فإن رأيتموها مستقرة في أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبي كبشة يعني محمداً ﷺ وإن نظرتهم فلم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم ففرغت الشياطين في تلك الليلة فأثوا إبليس فحدثوه بالنبي كان من أمرهم فقال اتشرفي من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأثوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام يقرأ القرآن فدناوا منه حرصاً على القرآن حتى كادت كلا كلمهم تصديه ثم أسدوا فأمرهم الله تعالى أمرهم على رسوله ﷺ وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى في أول البعث من كتاب السيرة الطول والله أعلم والله الحمد ولله

﴿ وَأَنَا مِنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ وَأُولَئِكَ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿ لَنَنْفِثَنَّهُمْ فِيهِ ﴾ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿

يقول تعالى مخبرا عن الجن أنهم قالوا يخبرين عن أنفسهم (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أي غير ذلك (كنا طرائق قيدا) أي طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كنا طرائق قيدا) أي منا المؤمن ومنا الكافر وقال أحمد بن سليمان النجاد في أماليه حدثنا الحسن بن أسلم بن سهل بحمل حدثنا علي بن سليمان وهو أبو الشعثاء الحضرمي شيخ مسلم حدثنا أبو معاوية قال سمعت الأعمش يقول تروح إلي الناجي فقلت له ما أحب الطعام إليكم فقال الأرض قال فأثباتهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحداً فقلت فيكم من هذه الأهواء التي فيها؟ قال نعم ، فقلت فما الرافضة فيكم؟ قال: شرنا. عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبي الحجاج المزني فقال هذا إسناد صحيح إلى الأعمش ، وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة العباس بن أحمد الدمشقي قال سمعت بعض الجن وأنا في منزل لي بالليل ينشد : قلوب براها الحب حتى تعقلت * مذاهبها في كل غرب وشارق
تحم بحب الله والله رهبا * معلمة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى (وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هربا) أي نعلم أن قدرة الله حكمة علينا وأننا لن نعجزه في الأرض ولو أمعنا في الهرب فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) يفخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة ، وقولهم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) قال ابن عباس وقادة وغيرها فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى (فلا يخاف ظلما ولا هضما) (وأنا منا المهادون ومنا القاسطون) أي منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف القاسط فإنه العادل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أي طلبوا لأنفسهم النجاة (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) أي وقودا تسع بهم وقوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا * لنفتنهم فيه) اختالف المفسرون في معنى هذا على

قولين ﴿ أحدهما ﴾ وأن لو استقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستجروا عليها (لأسقيناهم ماء غدقا) أى كثيرا والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وكقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وعلى هذا يكون معنى قوله (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لئبتيهم من يستمر على الهداية من يرتد إلى الغواية ﴿ ذكر من قال بهذا القول ﴾ قال العوفي عن ابن عباس (وأن لو استقاموا على الطريقة) يعنى بالاستقامة الطاعة ، وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) قال الإسلام وكذا قال سعيد ابن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدى ومحمد بن كعب القرظي ، وقال قتادة (وأن لو استقاموا على الطريقة) يقول لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا . وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله (لنفتنهم فيه) أى لنبتليهم به . وقال مقاتل نزلت فى كمار قريش حين منعوا المطر سبع سنين . ﴿ والقول الثانى ﴾ (وأن لو استقاموا على الطريقة) الضلال (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وكقوله (أيحسبون أنما نمدهم به من مال ونبين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ؟) وهذا قول أبى مجاز لاحق بن حميد فانه قال فى قوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وحكاها البغوى عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكاكى وابن كيسان وله اتجاه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه . وقوله (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعبا) أى عذابا مشقا شديدا موجعا مؤلما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقاتة وابن زيد (عذابا صعبا) أى مشقة لا راحة معها ، وعن ابن عباس : جبل فى جهنم وعن سعيد بن جبير : بئر فيها

﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي أَنَا نَذِيرٌ وَمِنْ آلَاءِ اللَّهِ أَحَدٌ * وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا * حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضَعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿

يقول تعالى أمرا عباده أن يوحدوه فى محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة فى قوله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيوتهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوحدوه وحده . وقال ابن أبى حاتم : ذكر على بن الحسين حدثنا إسماعيل بن بنت السدى أخبرنا رجل سمى عن السدى عن أبى مالك أو أبى صالح عن ابن عباس فى قوله (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس وقال الأعمش قالت الجن يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات فى مسجدك فأمر الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) يقول صلوا لا تتخالطوا الناس . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبى خاله عن محمود بن سعيد بن جبير (وأن للمساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال : قالت الجن لى الله عز وجل كيف لنا أن نأتى المسجد ونحن نأءون ؟ أى يعبدون عنك ، وكيف نشهد الصلاة ونحن نأءون عنك ؟ فنزلت (وأن للمساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)

وقال سفيان عن خصيف عن عكرمة : نزلت فى المساجد كلها ، وقال سعيد بن جبير : نزلت فى أعضاء السجود أى هى

يتداوله كثير من الجملة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض كذب لأصل له ولم نره في شيء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسأل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبريل في صورة أعرابي كان فيمأسأله أن قال يا محمد فأخبرني عن الساعة ؟ قال « ما للسؤال عنها ، بأعلم من السائل » ولما ناداه ذلك الأعرابي بصوت جهوري فقال يا محمد متى الساعة قال « ويحك إنما كائنة فما أعددت لها ؟ » قال أما إني لم أعد لها كثير صلاة ولا صيام ولو كنتي أحب الله ورسوله قال « فأنت مع من أحببت » قال أنس ثا فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن مضاء حدثنا محمد بن جبير حدثني أبو بكر بن أبي مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموت ، والذي نفسي بيده إنما توعدون لآت » وقد قال أبو داود في آخر كتاب الملاحم حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخنسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن تعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إني لأرجو أن لا تعجز أمتي عندها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود

وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) هذه كقوله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وأنه لا يطالع أحد من خلقه على شيء من علمه إلا بما أظلمه تعالى عليه ولهذا قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) وهذا يعلم الرسول للملكي والبشري . ثم قال تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أي يخصه بزيادة معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساقون به على ما معه من وحى الله ولهذا قال (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) وقد اختلف المفسرون في الضمير الذي في قوله (ليعلم) إلى من يعود ؟ فقيل إنه عائذ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمي عن جعفر عن سعيد بن جبير في قوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال أربعة حفظه من الملائكة مع جبريل (ليعلم) محمد صلى الله عليه وسلم (أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) ورواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به . وهكذا رواه الضحاك والسدي ويزيد بن أبي حبيب . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم نبي الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظها ودفعها عنها ، وكذا رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير ، وقيل غير ذلك كما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله (إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال هي معقبات من الملائكة يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يتبين الدين أرسل إليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم من كذب الرسل أن قد أبلغوا رسالات ربهم وفي هذا نظر . وقال البغوي قرأ يعقوب (ليعلم) بالضم أي ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا . ويحتمل أن يكون الضمير عائذا إلى الله عز وجل وهو قول حكاة ابن الجوزي في زاد المسير ، ويكون المعنى في ذلك أنه يحفظ رساله بملائكته ليعلموا من أداء رسالاته ويحفظ ما ينزله إليهم من الوحي ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى (وما جعلنا القبله التي كنتم عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) وكقوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لا محالة ، ولهذا قال بهذا هذا (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا) . آخر تفسير سورة الجن والله الحمد والمآلة .

﴿ تفسير سورة المزمل عليه السلام وهي مكية ﴾

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الحلق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطي حدثنا علي بن عبد الرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا سمو هذا الرجل اسماً يصدر الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون ، قالوا ساحر قالوا ليس بساحر ، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتمزمل في ثيابه وتدثر فيها . فأتاه جبريل عليه السلام فقال (يا أيها المزمل) (يا أيها المدثر) ثم قال البزار : مولى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ * قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نَفْثَهِ أَوْ اقْضَ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا *
إِنَّا سَمِعْنَا نَقِيْعَ عَمَلِكَ قَوْلًا تَهْيَلًا * إِنَّا نَشْنُئُ اللَّيْلَ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا *
وَإِذْ كَرَأْتُمْ رَبَّكَ وَتَسَبَّلَ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾

يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمّل وهو التغطى في الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ولما رزقناهم ينفقون) وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مثلاً ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجباً عليه وحده كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) وهما بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى (يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً) قال ابن عباس والضحاك والسدي (يا أيها المزمل) يعنى يا أيها الدائم . وقال قتادة : المزمل في ثيابه . وقال إبراهيم النخعي : زلت وهو متمزمل بقطيفة ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يا أيها المزمل) قال يا محمد زملت القرآن . وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه) أى أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في ذلك . وقوله تعالى (ورتّل القرآن ترتيلاً) أى اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة رضى الله عنها كان يقرأ السورة فيرثها حتى تكون أطول من أطول منها . وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) بسم الله وبمسد الرحمن وبمسد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها سألت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت كان يقطع قراءة آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن عوف عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « يقال لقارئ القرآن : اقرأ وارتّل كما كنت ترتّل في الدنيا فإن من ارتل عند آخر آية تقرأها » ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث سفيان الثورى به وقال الترمذى : حسن صحيح وقد قدمنا في أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء في الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » و« ليس من آمن لم يثقل بالقرآن » و« لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » يعنى أبا موسى فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتى لحبته لك تحبيراً ، وعن ابن مسعود أنه قال لا يثروه نثر الرمل ولا يهذوه هذ الشعر ففوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . رواه البغوى وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت الفصل اللطيف في ركعة . فقال هذا كهذه الشعر لقد عرفت النظائر التى كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقرن بينهما فذكر عشرين سورة من الفصل سورتين في ركعة وقوله تعالى (إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) قال الحسن وقتادة أي العمل به وقيل ثقل وقت نزوله من عظمت كقوله زيد بن ثابت رضي الله عنه أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي فكادت ترض فخذي

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لحيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هل تحس بالوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصلاً ثم أسكت عند ذلك فإني مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تقبض » تفرد به أحمد . وفي أول صحيح البخاري عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحى ؟ فقال « أحياناً يأتي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول » قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى صلى الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً هذا لفظه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحته فتضرب بجرانها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرانها فاستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه وهذا مرسل ، الجران هو باطن العنق ، واختار ابن جرير أنه ثقل من الوجين معاً كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما ثقل في الدنيا ثقل يوم القيامة في الموازين

وقوله تعالى (إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلاً) قال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : نشأ ، قام بالحبشية ، وقال عمر وابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة ، وكذا قال مجاهد وغير واحد ، يقال نشأ إذا قام من الليل وفي رواية عن مجاهد بعد العشاء ، وكذا قال أبو مجاز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر والغرض أن ناشئة الليل هي ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهي الآتات ، والقصد أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى (هي أشد وطأً وأقوم قيلاً) أي أجمع للاخطار في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش . وقال الحافظ أبو يعلى اللوصلي حدثنا إبراهيم ابن سعيد الجوهري حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية (إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأصوب قيلاً) فقال له رجل إنما تقرأها وأقوم قيلاً ، فقال له إن أصوب وأقوم وأهياً وأشياء هذا واحد . ولهذا قال تعالى (إن لك في النهار سبحة طويلاً) قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي مسلم : الفراغ والنوم ، وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثوري : فراغ طويلاً . وقال قتادة فراغاً وبغية ومتقلباً . وقال السدي (سبحة طويلاً) تطوعاً كثيراً وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله تعالى (إن لك في النهار سبحة طويلاً) قال الحواشيك فأفرغ لديك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى من على عباده فخففها ووضعها وقرأ (قم الليل إلا قليلاً) إلى آخر الآية ثم قرأ (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه — حتى بلغ — فاقروا ما تيسر منه) وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) وهذا الذي قاله كما قاله

والدليل عليه ما رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد هو ابن أبي عروبة عن قتادة عن زرارة ابن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة لبيع عقاراً له فيها ويجهل في السكران والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت ، فلقى رهطاً من قومه فحدثوه أن رهطاً من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال « أليس لكم في أسوة حسنة ؟ » فنهاهم عن ذلك فأشبههم على رجعتهم ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال أنت عائشة

فسألتهم الرجوع إلى فأخبرني بردها عليك قال فأثبت علي حكيم بن أفلح فاستلحقته إليها فقال ما أنا بقار بها إلى ثم سألني أن تقول في هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيهما إلا مضياً ، فأقسمت عليه فجاء معي فدخلنا عليها فقالت: حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا الذي معك ؟ قال سعيد بن هشام قالت من هشام ؟ قال ابن عامر قال فترجعت عليه وقالت نعم المرء كان عامراً قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت أأستقرأ القرآن قلت بلى قالت فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدلى قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أأستقرأ هذه السورة (يا أيها المزمل) ؟ قلت بلى قالت فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولاً حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمها في السماء ثلثي عشر شهراً ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعاً من بعد فريضة . فهممت أن أقوم ثم بدلى وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أم المؤمنين أنبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كننا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوصأ ثم يصلي ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم ، ثم يقوم ليصلي التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعو ثم يسلم تسليماً يسمعنا ، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك إحدى عشرة ركعة يابى ، فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته الراح أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يابى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثلثي عشرة ركعة ولا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة حتى أصبح ولا صام شهراً كاملاً غير رمضان . فأثبت ابن عباس حديثه بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيها حتى تشافيني مشافهة هكذا رواه الامام أحمد بن حنبل وقد أخرجه مسلم في صحيحه من حديث قتادة بن دحوه

طريق أخرى عن عائشة رضي الله عنها في هذا المعنى قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قال جميعاً واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثني محمد بن طلحة عن أبي سامة عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيراً يصلي عليه من الليل فتسمع الناس به فاجتمعوا فخرجوا كالغضب وكان بهم رجلاً فخشى أن يكتب عليهم قيام الليل فقال « أيها الناس اكفوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يعمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ما ديم عليه » ونزل القرآن (يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نفضه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعاقب فكثروا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل . ورواه ابن أبي حاتم من طريق موسى بن عبيدة الرزدي وهو ضعيف والحديث في الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قديوم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وإنما هي مكية وقوله في هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم في رواية أحمد أنه كان بينهما سنة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سمالك الحنفي سمعت ابن عباس يقول : أول ما نزل أول المزمل كانوا يقومون نحواً من قيامهم في شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي أسامة به وقال الثوري ومحمد بن بشر العبدى كلاهما عن مسعر عن سمالك عن ابن عباس كان بينهما سنة ، وروى ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس مثله .

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبي عبد الرحمن قال لما نزل (يا أيها المزمل) قاموا حولاً حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فاقروا ما تيسر منه) قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصري والسدي . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا سعاد بن هشام

إلا ذهب حتى يصير الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا أى واديا ولا أمنا أى رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمراد سائر الناس (إننا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم) أى بأعمالكم (كما أرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذنا وبيللا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والثوري (أخذنا وبيللا) أى شديدا أى فاحذروا أتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى (فأخذ الله نكال الآخرة والأولى) وأتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد ، وقوله تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا بهما؟ ويحتمل أن يكون معمولا لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفرع العظيم إن كفرتم ، وعلى الثانى كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه ، وكلاهما معنى حسن ولكن الأول أولى والله أعلم ، ومعنى قوله (يوما يجعل الولدان شيبا) أى من شدة أهواله وزلازله وبلاؤه وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابعت النار فيقول من كم ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . قال الطبراني حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ (يوما يجعل الولدان شيبا) قال « ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعت من ذريتك بعنا إلى النار ، قال من كم يا رب ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد » فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم « إن بنى آدم كثير ، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم وإنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل فقيمهم وفي أشباههم جنة لكم » هذا حديث غريب وقد تقدم في أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث . وقوله تعالى (السماء منفطر به) قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله ، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى ، وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوى لأنه لم يجزله ذكر ههنا ، وقوله تعالى (كان وعده مفعولا) أى كان وعد هذا اليوم مفعولا أى واقعا لا محالة وكائنا لا يحيد عنه

﴿ إِن هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلَاثِي إِلَيْلٍ وَنِصْفِهِ وَثُلُثَهُ وَطُلُثَهُ مِّنَ اللَّيْلِ مَعَكَ وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عِلْمٌ أَن تَحْصُوهُ فَنُتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ يَضُرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَءَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاقْرَءُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى (إن هذه) أى السورة (تذكرة) أى تذكركم بها أولو الأبواب ولهذا قال تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى من شاء الله تعالى هدايته كما قيده في السورة الأخرى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليا حكما) ثم قال تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الدين معك) أى تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منك ولكن لا تقدر على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال (والله يقدر الليل والنهار) أى تارة يعتدلان وتارة يأخذ ههنا من هذا وههنا من هذا (علم أن لن تحصوه) أى الفرض الذى أوجبه عليكم (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) أى من غير تحديد بوقت أى ولكن قوموا من الليل ما تيسر ، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما

قال في سورة سبحان (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك (ولا تخافت بها) وقد استدلل أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهى قوله (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة فى الصلاة بل لو قرأ بها أو غيرها من القرآن ولو بآية أجزاء واعتقدوا بحديث المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو فى الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج فهى خداج غير تمام » وفى صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعا « لا تجزى صلاة من لم يقرأ بأم القرآن » . وقوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين فى الأرض يبتغون من فضل الله فى المكاسب والتجارة وآخرين مشغولين بما هو الأهم فى حقهم من الغزو فى سبيل الله ، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهى من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال تعالى (فاقراءوا ما تيسر منه) أى قوموا بما تيسر عليكم منه . قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقولون فى رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يعلى المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذلك ، قال الله تعالى للعبد الصالح (وإنه لندو علم لما علمناه) (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آبائكم) قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصرى أنه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه فى الليل ولهذا جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال « ذلك رجل بال الشيطان فى أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل : وفى السنن « أوتروا يا أهل القرآن » وفى الحديث الآخر « من لم يوتر فليس منا » وأغرب من هذا ما حكى عن أبي بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان لله أعلم . وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الحرد حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدى حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فاقراءوا ما تيسر منه) قال « مائة آية » وهذا حديث غريب جدا لم أره إلا فى معجم الطبرانى رحمه الله تعالى : وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة ، وهذا يدل لمن قال بأن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالدينة والله أعلم ، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذى كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل ، واختلفوا فى المدة التى بينهما على أقوال كما تقدم ، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لذلك الرجل « خمس صلوات فى اليوم والليلة » قال هل على غيرها ؟ قال « لا إلا أن تطوع » وقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعنى من الصدقات فإن الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) أى جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما تقدموه لأنفسكم فى الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خزيمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد قال قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ « أياكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال « اعدوا ما تقولون » قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال « إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر » ورواه البخارى من حديث حفص بن غياث والنسائى من طريق أبي معاوية كلاهما عن الأعمش به ، ثم قال تعالى (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) أى أكثروا من ذكره واستغفاره فى أموركم كلها فإنه غفور رحيم لمن استغفره . آخر تفسير سورة المزمل والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المدثر وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ * فَإِذَا تَقَرَّى الْآفَاقُ * فَذَلِكَ يَوْمُ مَئِذٍ عَسِيرٍ * عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾

ثبت في صحيح البخاري من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شيء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذي خلق) كما سيأتي ذلك هنالك إن شاء الله تعالى . قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال (يا أيها المدثر) قلت يقولون (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لي فقال جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال « جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت أمامي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا فأريت خديجة فقامت دثروني وصبوا على ماء باردا - قال - فدثروني وصبوا على ماء باردا - فقال - فنزلت (يا أيها المدثر . قُمْ فَأَنْذِرْ . وربك فكبر) » هكذا ساقه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه « فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجلست منه حتى هويت إلى الأرض فجلست إلى أهلي فقلت زملوني زملوني فزملوني فأنزل (يا أيها المدثر . قُمْ فَأَنْذِرْ - إلى - فاهجر) - قال أبو سلمة والرجز الأوثان - ثم حمى الوحي وتتابع » هذا لفظ البخاري ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضي أنه قد نزل الوحي قبل هذا لقوله « فإذا الملك الذي كان بحراء » وهو جبريل حين أتاه بقوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم) ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هذه السورة كما قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا إيث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرني جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ثم فتر الوحي عني فترة فبينما أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني قاعد على كرسي بين السماء والأرض فجلست منه فرفقا حتى هويت إلى الأرض فجلست إلى أهلي فقلت لهم زملوني زملوني فزملوني فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قُمْ فَأَنْذِرْ ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حمى الوحي وتتابع » خرجاه من حديث الزهري به . وقال الطبراني حدثنا محمد بن علي بن شعيب السعسعي حدثنا الحسن بن بشر البجلي حدثنا المعافى بن عمران عن إبراهيم بن يزيد سمعت ابن أبي مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم ليس بساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم ليس بشاعر ، وقال بعضهم بل سحر يؤثر فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قُمْ فَأَنْذِرْ . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) وقوله تعالى (قُمْ فَأَنْذِرْ) أي شمر . عن ساق العزم وأندر الناس وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة (وربك فكبر) أي عظم وقوله تعالى (وثيابك فطهر) قال الأجاج السكندى عن عكرمة عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه

الآية (وثيابك فطهر) قال لا تلبسها على معصية ولا على غيرة ثم قال أما سمعت قول عيلان بن سلبة الثقفي :

فاني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غيرة أفتجع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال في كلام العرب نقي الثياب وفي رواية بهذا الإسناد فطهر من الذنوب ، وكذا قال إبراهيم والشعبي وعطاء ، وقال الثوري عن رجل عن عطاء عن ابن عباس في هذه الآية (وثيابك فطهر) قال من الاثم ، وكذا قال إبراهيم النخعي وقال مجاهد (وثيابك فطهر) قال نفسك ليس ثيابه ، وفي رواية عنه (وثيابك فطهر) أي عمالك فأصلح ، وكذا قال أبو رزين وقال في رواية أخرى (وثيابك فطهر) أي لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا ، وقال قتادة (وثيابك فطهر) أي طهرها من المعاصي وكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يف بعهده الله إنه لدنس الثياب وإذا وفى وأصلح إنه لمطهر الثياب ، وقال عكرمة والضحاك لا تلبسها على معصية . وقال الشاعر :

إذا المرء لم يدنس من الأثوم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفي عن ابن عباس (وثيابك فطهر) يعني لا تسكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب ويقال لا تلبس ثيابك على معصية ، وقال محمد بن سيرين (وثيابك فطهر) أي اغسلها بالماء ، وقال ابن زيد كان المشركون لا يتطهرون فأمره الله أن يتطهروا وأن يطهر ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فإن العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس :

أفأطم مهلا بعض هذا التدل وإن كنت قد أزمعت هجرى فأجمل

وإن تك قد ساءت في خليفة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال سعيد بن جبير (وثيابك فطهر) وقلبك ونيتك فطهر ، وقال محمد بن كعب القرظي والحسن البصري : وخلقك فحسن ، وقوله تعالى (والرجز فاهجر) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الأصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهرى وابن زيد : إنها الأوثان ، وقال إبراهيم والضحاك (والرجز فاهجر) أي اترك المعصية ، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين) (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) . وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال ابن عباس لا تعط العطية لتتمسأ أكثر منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم وروى عن ابن مسعود أنه قرأ (ولا تمنن أن تستكثر) وقال الحسن البصري : لا تمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير ، وقال خفيف عن مجاهد في قوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال لا تضعف أن تستكثر من الخير قال تمنن في كلام العرب تضعف ، وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا . فهذه أربعة أقوال والأظهر القول الأول والله أعلم وقوله تعالى (ولربك فاصبر) أي اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعي أصبر عطيتك لله عز وجل . وقوله تعالى (فإذا قر في الناقر فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وابن زيد (الناقر) الصور قال مجاهد وهو كهشة القرن . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أسباط بن محمد عن مطرف عن عطية العوفي عن ابن عباس (فإذا قر في الناقر) فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنتم وصاحب القرن قد انقضى القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفع ؟ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثأمرنا يا رسول الله ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به ، ورواه من طريق أخرى عن العوفي عن ابن عباس به . وقوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) أي شديد (على الكافرين غير يسير) أي غير سهل عليهم كما قال تعالى (يقول

الكافرون هذا يوم عسير) ، وقد روينا عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى (فإذا نقرى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) شفق شهقة ثم خر ميتاً رحمه الله تعالى

(ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَدْتُ لَهُ نَمِيمًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قَبَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأَصْلِيهِ سَعَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَعَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ)

يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرًا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى (ذرني ومن خلقت وحيداً) أى خرج من بطن أمه وحده لا مال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى (مالا ممدوداً) أى واسعا كثيراً قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له (بنين شهوداً) قال مجاهد لا يغيثون أى حضورا عنده لا يسافرون بالتجارات بل مواليتهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتتبع بهم ويتعلم بهم ، وكانوا فيما ذكره السدى وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده (ومهدت له نميمًا) أى مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك (ثم يطمع أن أزيد * كلاً) أى كان لا يتنا عنيداً (أى معانداً وهو الكفر على نعمه بعد العلم ، قال الله تعالى (سأرهقه صعوداً) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لميعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوى به كذلك فيه أبداً » وقد رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لا يعرفه إلا من حديث ابن لميعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونسكة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعطي بن عبد الرحمن المعروف ببلان المقرئ قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهني عن عطية العوفي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم (سأرهقه صعوداً) قال « هو جبل في النار من نار يكلف أن يصعد فإذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فإذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » ورواه البراء وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعوداً صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدى صعوداً صخرة ملساء في جهنم يكلف أن يصعد بها وقال مجاهد (سأرهقه صعوداً) أى مشقة من العذاب وقال قتادة عذاباً لا راحة فيه واختاره ابن جرير . وقوله تعالى (إنه فكر وقدر) أى إعماله أرهقناه صعوداً أى قربناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول في القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يحتاق من المكال (وقدر) أى تروى (فقتل كيف قدر * ثم قبل كيف قدر) دعاء عليه (ثم نظر) أى أعاد النظرة والتروى (ثم عبس) أى قبض بين عينيه وقطب (وبسر) أى كالجح وكره ومنه قول توبة بن حمير :

وقد رابى منها صدود رأيت وإعراضها عن حاجتى وبسورها

وقوله (ثم أدبر واستكبر) أى صرف عن الحق ورجع القهقري مستكبراً عن الانقياد للقرآن (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكى عنهم ولهذا قال (إن هذا إلا قول البشر) أى ليس بكلام الله وهذا المذكور في هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومي أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره في هذا ما رواه

العوفي عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال يا عجباً لما يقول ابن أبي كبشة فوالله ما هو بشعر ولا بسحر ولا بهنذي من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش اتهموا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبو جهل بن هشام قال أنا والله أكنفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال أأست أكثرهم مالا وولدا فقال له أبو جهل يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقصد تحدث به عشرين أو ثلاثين فلا والله لا أقرب ابن أبي قحافة ولا عمر ولا ابن أبي كبشة وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (ذرني ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - لا تبقى ولا تذر) وقال قتادة : زعموا أنه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فإذا هوليس بشعر وإن له لخلوة ، وإن عليه لطلوة ، وإنه ليعا وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله (فقل كيف قدر) الآية (ثم عبس وبسر) قبض ما بين عينيه وكبح ، وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رقله فبلغ ذلك أبا جهل بن هشام فأتاه فقال أي عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا . قال لم ، قال يعطونك فأنك أتيت محمداً تعرض لما قبله ، قال قد علمت قريش أني أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منك لم قال وإنك كاره له ، قال فإذا أقول فيه ، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذي يقوله لخلوة ، وإنه ليحطم ماتحته وإنه ليعا وما يعلى ، وقال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثر عن غيره فنزلت (ذرني ومن خلقت وحيدا - حتى بلغ - تسعة عشر) وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوه من هذا ، وقد زعم السدي أنهم لما اجتمعوا في دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضاوا فلا يستطيعون سبيلا) كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، قال الله تعالى (سأصليه سقر) أي سأعمره فيها من جميع جهاته ، ثم قال تعالى (وما أدراك ما سقر) وهذا تهويل لأمرها وتفخيم ، ثم فسر ذلك بقوله تعالى (لا تبقى ولا تذر) أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجاودهم ثم تبدل غير ذلك وهم في ذلك لا يعوتون ولا يحيون ، قاله ابن بريده وأبوسنان وغيرها

وقوله تعالى (لواحة للبشر) قال مجاهد أي للجلد ، وقال أبو رزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل ، وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة (لواحة للبشر) أي حراقة للجلد وقال ابن عباس : تحرق بشرة الانسان . وقوله تعالى (عليها تسعة عشر) أي من مقدمي الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم

وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبي زائدة أخبرني حارث عن عامر عن البراء في قوله تعالى (عليها تسعة عشر) قال إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه ساعته (عليها تسعة عشر) فأخبر أصحابه وقال « ادعهم أما إن سألهم عن تربة الجنة إن أتوني ، أما إنها درمكة بيضاء » فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الابهام في الثانية ثم قال « أخبروني عن تربة الجنة » فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة بيضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إن الخبز إنما يكون من السمك » هكذا وقع عند ابن أبي حاتم عن البراء وللشهور عن جابر بن عبد الله كالأحفظ أبو بكر البرزقي في مسنده حدثنا أحمد بن عبيدة أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي عن جابر ابن عبد الله رضي الله عنه قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد : غلب أصحابك اليوم فقال « بأي شيء »

قال سألتهم يهود هل أعلمتكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أغلب قوم يشاؤون عما لا يعملون فقالوا لا نعلم حتى نسأل نبينا ﷺ ؟ على بأعداء الله لسكنهم قدسألوا نبيهم أن يرهم الله جهرة » فأرسل إليهم فدعاهم فقالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال « هكذا » وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه « إن سئلتهم عن تربة الجنة فهي الدرمل » فلما سألوهم فأخبرهم بمدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ « مائتة الجنة » فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا خبزة يا أبا القاسم فقال « الخبر من الدرمل » وهكذا رواه الترمذي عن هذه الآية عن ابن أبي عمير عن شيبان به وقال هو والبرار لا يعرف إلا من حديث مجاهد وقد رواه الامام أحمد عن علي بن المديني عن سفيان بن فضال عن الدرمل فقط

﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَهْبَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَالْقَمَرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ * وَالصُّبْحِ إِذَا أَتَفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ * نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ * لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾

يقول تعالى (وما جعلنا أصحاب النار) أي خزائنها (إلا ملائكة) أي زبانية غلاظا شدادا ؛ وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل يامعشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتعلمونهم ، فقال الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أي شديدي الخلق لا يقاومون ولا يغالون ، وقد قيل إن أبا الأشدين واسمه كلبه بن أسيد بن خلف قال يامعشر قريش اكمفوني منهم اثنين وأنا أكمفيكم منهم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويحاذيه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزعزع عنه ، قال السهيلي وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارعة وقال إن صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن ، قال وقد نسب ابن إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطالب (قلت) ولا منافاة بين ما ذكرناه والله أعلم ، وقوله تعالى (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أي إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارا للملأنا (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أي يعلمون أن هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله ، وقوله تعالى (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) أي إلى إيمانهم بما يشهدون من صدق أخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض) أي من المنافقين (والكافرون ماذا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا) أي يقولون ما الحكمة في ذكر هذا ههنا ؟ قال الله تعالى (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) أي من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، وقوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى ثلاثا توهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فافهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقد ثبت في حديث الاسراء المروي في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة « فإذا هر

يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم»

وقال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إني أرى ملائكة ترون وأسمعون ملائكة تسمعون أطت السماء وحقق لها أن تثط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذثتم بالنساء على الفراش ولا خرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى » فقال أبو ذر والله لوددت أني شجرة تعضد ، ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث إسرائيل وقال الترمذي حديث حسن غريب ويروى عن أبي ذر موقوفا وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا حسين بن عرفة المصري حدثنا عروة بن مروان الرقي حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكم فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئا » . وقال محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شيء فقال رسول الله ﷺ « أسمع أطيع السماء وما تلام أن تثط . ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكم أو ساجد »

وقال أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن قهذاذ حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوي حدثنا عبيد بن سليمان الباهلي سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الأجدع عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم » وإنما لنحن الصافون » وإنما لنحن المسبحون) » وهذا مرفوع غريب جدا ثم رواه عن محمد بن آدم عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماء قائم ثم قرأ (وإنما لنحن الصافون » وإنما لنحن المسبحون)

ثم قال حدثنا أحمد بن سيار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقي المعروف بابن أمه حدثنا الليث بن سعد عن عطاء بن عوف عن حماد بن عوف حدثني سليمان بن أبيوب عن سالم بن عوف حدثني عطاء بن زيد بن مسعود عن أبي الجبلى حدثني سليمان بن عمرو بن الربيع عن أبي سالم حدثني عبد الرحمن بن العلاء عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبي ﷺ قال يوما لجلسائه « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا وما نسمع يا رسول الله ؟ قال « أطت السماء وحقق لها أن تثط إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكم أو ساجد وقالت الملائكة (وإنما لنحن الصافون » وإنما لنحن المسبحون) » وهذا إسناد غريب جدا

ثم قال حدثنا إسحاق بن محمد بن إسماعيل الفروي حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جاوس أحدهم أبو جحش الليثي فقال قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم وقال لأ أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين وأشد مني بطشا فيصرعني ثم يمس وجهي في التراب قال عمر فصرعته ودمست وجهه في التراب فأبى عثمان بن عفان فحجزني عنه فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم فقال « ما رأيك يا أبا حفص ؟ » فذكر له ما كان منه فقال رسول الله ﷺ « إن رضى عمر رحمه ، والله على ذلك لوددت أنك جثتي برأس الحيت » فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال « اجلس حتى أخبرك بغناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبي جحش إن لله تعالى في السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت رفعوا رؤوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجد لا يرفعون رؤوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رؤوسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادك » فقال له عمر وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال

« أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذي الملك والملكوت ، وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذي العزة والجلوت ، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحي الذي لا يموت ، فقلها يا عمر في صلاتك » فقال عمر يا رسول الله فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي ؟ فقال « قل هذا مرة وهذا مرة » وكان الذي أمره به أن يقوله « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك جل وجهك » هذا حديث غريب جدا بل منكر نسكارة شديدة ، وإسحق الفروي روى عنه البخاري ، وذكره ابن حبان في الثقات وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي والدارقطني ، وقال أبو حاتم الرازي كان صدوقا إلا أنه ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة ، وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي تسلم فيه أيضا ، والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عرف بحاله ، ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسل بنحوه ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسل قريبا منه ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن قهذاذ أخبرنا النضر أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عدي بن أرطاة وهو مخطئ على منبر الدائن قال سمعت رجلا من أصحاب النبي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي وإن منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وهذا إسناد لا بأس به

وقوله تعالى (وما هي إلا ذكري للبشر) قال مجاهد وغير واحد (وما هي) أي النار التي وصفت (إلا ذكري للبشر) ثم قال تعالى (كلا والقمر * والليل إذا دبر) أي ولي (والصبح إذا أسفر) أي أشرق (إنها لإحدى الكبر) أي العظام يعني النار ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف (نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أي لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدى للحق أو يتأخر عنها ويؤلى ويردها

(كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَدْخُلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ * وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ * كَانَتْهُمْ أَمْمُ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُفْحًا مُنْشَرَةً * كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ إِلَّا خِرَةً * كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ)

يقول تعالى مخبرا أن (كل نفس بما كسبت رهينة) أي معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره (إلا أصحاب اليمين) فاتهم (في جنات ينسألون عن المجرمين) أي يسألون المجرمين وهم في الرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم (ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) أي ما عبدنا ربنا ولا أحسننا إلى خلقه من جنسنا (وكنا نخوض مع الفاحشين) أي نتكلم فيما لا نعلم : وقال قتادة : كلما غوى غاوىنا معه (وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) يعني الموت كقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال رسول الله ﷺ « أما هو — يعني عثمان بن مظعون — فقد جاءه اليقين من ربه » قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أي من كان

متصفا بمثل هذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لأن الشفاعة إنما تنجح إذا كان المحل قابلاً فأما من وافى الله كافراً يوم القيامة فإنه له النار لا محالة خالداً فيها ، ثم قال تعالى (فإلهم عن التذكرة معرضين) أي فإلهم هؤلاء الكفرة الذين قبلتكم عما تدعوهم إليه وتذكركم به معرضين (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) أي كأنهم في قسورهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت بمن يريد صيدها من أسد ، قاله أبو هريرة وابن عباس في رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ، أو رام ، وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مالهك عن ابن عباس : الأسد بالعربية ويقال له بالجيشية قسورة وبالفارسية شسير وبالنبطية أوبا . وقوله تعالى (بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسورة) أي بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبي ﷺ قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية قالوا لنؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفي رواية عن قتادة يريدون أن يؤتوا برأى بغير عمل فقوله تعالى (كلا بل لا يخافون الآخرة) أي إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها

ثم قال تعالى (كلا إنه تذكرة) أي حقا إن القرآن تذكرة (فمن شاء ذكره وما يذكرون إلا أن يشاء الله) كقوله (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وقوله تعالى (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأتاب . قاله قتادة . وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرني سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) وقال « قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن يجعل معي إلهاً كان أهلاً أن يغفر له » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائي من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطامي به وقال الترمذي حسن غريب وسهيل ليس بالقوى ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن هدية بن خالد عن سهيل به وهكذا رواه أبو يعلى والبرزالي والبغوي وغيرهم من حديث سهيل القطامي به : آخر تفسير سورة المدثر والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة القيامة وهي مكية)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَدَرِين * كَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَمَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَقَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَاذِيرَهُ ﴾

قد تقدم غير مرة أن القسم عليه إذا كان متنياً جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي . والقسم عليه هنا هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجاهلة من العباد من عدم بعث الأجساد ، ولهذا قال تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، وقال قتادة بل أقسم بهما جميعاً ، هكذا حكاه ابن أبي حاتم وقد حكى ابن جرير عن الحسن والأعرج أنهما قرآ (لأقسم بيوم القيامة) وهذا الوجه قول الحسن لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة ، والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً معاً كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قرعة بن خالد عن الحسن البصري في هذه الآية إن المؤمن والله ما نراه إلا يوم نفسه : ما أردت بكافئ ، ما أردت بكافئ ، ما أردت

حدثني ، وإن الفجر نضى فرما هذا ما ماتت فيه ، قال جوير بن نفيع عن الحسن أنه قال في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوذ بنفسه يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن إسرائيل عن سمك أنه سأل عكرمة عن قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال يلوذ على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل بن جبر بن جبر بن محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبيرة في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال يلوذ على الخير والشر ، ثم روى من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي النفس اللوامة ، وقال علي بن أبي نعيم عن مجاهد تندم على ما فات وتلوذ عليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : اللوامة المذمومة ، وقال قتادة (اللوامة) الفاجرة . قال ابن جرير وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوذ صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات

وقوله تعالى (أيعجب الإنسان أن لن نجعل عظامه ؟) أي يوم القيامة أيظن أن لا تقدر على إعادة عظامه وجمعها من أظام كجمعها المتفرقة (بل قادرين على أن نسوي بنانه) قال سعيد بن جبيرة والعوفي عن ابن عباس أن جعله خفأ وخفراً وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا والظاهر من الآية أن قوله تعالى (قادرين) حال من قوله تعالى (نجعل) أي أيظن الإنسان أن لا نجعل عظامه ؟ بل سنجعلها قادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لبشناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية وهذا معنى قول ابن قتبية والزجاج ، وقوله (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) قال سعيد بن عباس يعني بعضي قداما ، وقال العوفي عن ابن عباس (ليفجر أمامه) يعني الأمل يقول الإنسان أشعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال هو الكفر بالحق بين يدي القيامة . وقال مجاهد (ليفجر أمامه) يعني أمامه راكبا رأسه ، وقال الحسن لا يلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى مغيصة الله قداما قداما إلا من عصمه الله تعالى ، وروى عن عكرمة وسعيد بن جبيرة والضحاك والسدي وغير واحد من السلف هو الذي يجعل الذنوب ويسوف التوبة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو الكافر يكذب بيوم الحساب ، وكذا قال ابن زيد وهذا هو الأظهر من الراد ولهذا قال بعده (يسأل أيان يوم القيامة ؟) أي يقول متى يكون يوم القيامة وإعنا سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) . وقال تعالى ههنا (فإذا برق البصر) قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار وهذا الذي قاله شيبه بقوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب ، وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب في المعنى من الأول : والقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأحوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور . وقوله تعالى (وخسف القمر) أي ذهب ضوءه (وجمع الشمس والقمر) قال مجاهد كورا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت) وروى عن ابن مسعود أنه قرأ (وجمع بين الشمس والقمر) . وقوله تعالى (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) أي إذا عاين ابن آدم هذه الأحوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفرو يقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل قال الله تعالى (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبيرة وغير واحد من السلف أي لا نجا وهذه الآية كقوله تعالى (مالكم من ملجأ يومئذ ومالك من نكير) أي ليس لكم مكان تتسكرون فيه ، وكذا قال ههنا (لا وزر) أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا قال (إلى ربك يومئذ المستقر) أي المرجع والمصير . ثم قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) وهكذا قال ههنا (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتسدر وأنكر كما قال تعالى (اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيب) . وقال علي

ابن أبي طلحة عن ابن عباس (بن الإنسان على نفسه بصيرة) يقول سمعته وبصره ويديه ورجليه وجوارحه . وقال قتادة شاهد على نفسه . وفي رواية قال إذا شئت والله رأيته بصيرا يعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه : وكان يقال إن في الأنجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القادة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره .
وقال مجاهد (ولو ألقى معاذيره) وأو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال قتادة (ولو ألقى معاذيره) ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه . وقال السدي (ولو ألقى معاذيره) حجة . وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) يقول لو ألقى ثيابه . وقال الضحاك ولو ألقى ستوره وأهل البين يسمون الستر العذار . والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وكقوله تعالى (يوم يمسهم الله جميعا فيحطون له كما يحطون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) وقال العوفي عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال (لا ينفع الظالمين معذرتهم) وقال (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) (فألقوا السلم ما كننا نعمل من سوء) وقوله (والله ربنا ما كنا مشركين)

﴿ لَا تَحْرُكَ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وَجُودَ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي لمن الملك فانه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه . وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالخاتمة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ولهذا قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي بالقرآن كما قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه) وقل رب زدني علما (ثم قال تعالى (إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي أن تقرأه (فإذا قرأناه) أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له ثم اقرأ كما أقرأك (ثم إن علينا بيانه) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفثيه قال فقال لي ابن عباس أنا أحرك شفثي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفثيه وقال لي سعيد وأنا أحرك شفثي كما رأيته ابن عباس يحرك شفثيه فأمر الله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وأنصت (ثم إن علينا بيانه) فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه . وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به . ولفظ البخاري فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعدة الله عز وجل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفثيه يتلقى أوله ويحرك به شفثيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأمر الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد إن هذه الآية نزلت في ذلك . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال كان لا يفتقر من القرآن مخافة أن ينساه فقال الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أن يجمعه لك (وقرآنه) أن تحرك فلا تنسى ، وقال ابن عباس وعطية العوفي (ثم إن علينا بيانه) تبين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة . وقوله تعالى (كلاً بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة

ما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم إنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة . ثم قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) من النضارة أي حسنة بهيمة مشرقة مسرورة (إلى ربها ناظرة) أي تراه عيانا كما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه « إنكم سترون ربكم عيانا » . وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها ، الحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين أن ناسا قالوا يا رسول الله هل يرى ربنا يوم القيامة فقال « هل تضارون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ » قالوا لا ، قال « إنكم ترون ربكم كذلك » . وفي الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فإن استطعتم أن لا تنابوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا » وفي الصحيحين عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء السكبرياء على وجهه في جنة عدن » . وفي أفراد مسلم عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة - قال - يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ! قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم وهي الزيادة » ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه « أن الله يتجلى للمؤمنين يضحك » يعني في عرصات القيامة وفي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات وفي روضات الجنات . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبجر حدثنا يزيد بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر إلى أزواجه وخدمه ، وإن أفضاهم منزلة لينظر في وجهه الله كل يوم مرتين » ورواه الترمذي عن عبيد بن حميد عن شعبة عن إسرائيل عن نوير قال سمعت ابن عمر فذكره ، قال : ورواه عبد الملك بن أبجر عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثوري عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه ، وأولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان واللسانيد والتابعين وسلف ذكرنا ذلك مفرقا في مواضع من هذا التفسير والله التوفيق ، وهذا بحمد الله تجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام . وهذه الأنام ، ومن تأول ذلك بأن المراد بالي مفرد الآلاء وهي النعم كما قال الثوري عن منصور عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ؟) قال الشافعي رحمه الله تعالى . ما حجب الفجار الا وقد علم أن الأبرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمداد عليه سياق الآية السكريمة وهي قوله تعالى (إلى ربها ناظرة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن (وجوه يومئذ ناضرة) قال حسنة (إلى ربها ناظرة) قال تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنظر وهي تنظر إلى الخالق وقوله تعالى (وجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة ، قال قتادة : كالحلة وقال السدي تعير ألوانها وقال ابن زيد (باسرة) أي عابسة (تظن) أي تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) قال مجاهد داهية ، وقال قتادة شر وقال السدي تستيقن أنها هالكة وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار ، وهذا المقام كقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . وجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها فترة أولئك هم الكفرة الفجرة) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصية * تسلى نارا حامية - إلى قوله - وجوه يومئذ ناعمة * لسيما راضية * في جنة عالية) في أشباه ذلك من الآيات والسياقات

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ

يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوَّلَى لَكَ
فَأَوَّلَى * ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى * أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنَى * ثُمَّ كَانَ
عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى *

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأحوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى (كلا إذا بلغت التراقي) إن جعلنا كلا رادعة فمعناها لست يا ابن آدم هنالك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا ، وإن جعلناها معنى حقا فظاهر أى حقا إذا بلغت التراقي أى انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك ، والتراقي جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى (فلو لا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلو لا إن كنتم غير مدينين ، ترجعونها إن كنتم صادقين) وهكذا قال ههنا (كلا إذا بلغت التراقي) ويذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذى تقدم فى سورة يس . والتراقي جمع ترقوة وهى قريية من الحلقوم (وقيل من راق) قال عكرمة عن ابن عباس أى من راق يرقى وكذا قال أبو قلابة (وقيل من راق) أى من طيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نصر بن على حدثنا روح بن السيب أبو رجاء السكاكى حدثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس (وقيل من راق) قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة ، وبهذا الإسناد عن ابن عباس فى قوله (والتفت الساق بالساق) قال التفت عليه الدنيا والآخرة ، وكذا قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (والتفت الساق بالساق) يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله . وقال عكرمة (والتفت الساق بالساق) الأمر العظيم بالأمر العظيم ، وقال مجاهد بلاء بلاء وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى (والتفت الساق بالساق) هما ساقاك إذا التفتا ، وفى رواية عنه مات رجله فلم تملاه وقد كان عليهما جوالا وكذا قال السدى عن أبى مالك وفى رواية عن الحسن : هو لفهما فى الكفن ، وقال الضحاك (والتفت الساق بالساق) اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه وقوله تعالى (إلى ربك يومئذ المساق) أى المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السموات فيقول الله عز وجل ردوا عبدى إلى الأرض فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى كما ورد فى حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله جل وعلا (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) هذا إخبار عن الكافر الذى كان فى الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقلبه فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى جذلان أشرا بطرا كسلانا لاهمة له ولا عمل كما قال تعالى (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكاهين) وقال تعالى (إنه كان فى أهله مسرورا أنه ظن أن لن يحور) أى يرجع (بلى إنه كان به بصيرا) وقال الضحاك عن ابن عباس (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتبختر قال الله تعالى (أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى * ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر فى مشيه أى يحق لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالك وبارئك كما يقال فى مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) وكقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) وكقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وكقوله جل جلاله (اعلموا ما شئتم) إلى غير ذلك . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن مسنان الواسطى حدثنا عبد الرحمن يعنى ابن مهيدي عن إسرائيل عن موسى بن أبى عائشة قال سألت سعيد بن جبير قلت (أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى * ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى) قال : قاله النبى ﷺ لأبى جهل ثم نزل به القرآن

وقال أبو عبد الرحمن النسائي حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة حدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى)؟ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي جهل ثم أنزله الله عز وجل، قال ابن أبي حاتم وحدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعيب عن إسحاق حدثنا سعيد عن قتادة قوله (أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى) وعيد على أن وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله أباهل أخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» فقال عدو الله أبو جهل أتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا وإنني لأعزم من مشي بين جبلتي وقوله تعالى (أيمسب الإنسان أن يترك سدى). قال السدي يعني لا يبعث وقال مجاهد والشافعي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني لا يؤمر ولا ينهى، والظاهر أن الآية تم الحسنيين أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منه في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والناد ولهمنا قال تعالى مستدلا على الإعادة بالبداة فقال تعالى (ألم يك نطفة من مني عني) أي أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يعني يراق من الأصلاب في الأرحام. (ثم كان علقة فخلق فسوى) أي فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الأعضاء ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره. ولهمنا قال تعالى (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) ثم قال تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) أي أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بده. وتناول القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداوة وإمامساوية على القولين في قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) والأول أشهر كما تقدم في سورة الروم بيانه وتقريره والله أعلم

قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شعبة عن شعبة عن موسى بن أبي عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فإذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) قال سبحانك اللهم فبلى فبلى عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك. وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن أبي عائشة قال كان رجل يصلي فوق بيته فكان إذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) قال سبحانك فبلى فسأله عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك وقال أبو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهري حدثنا سفيان حدثنا إسماعيل بن أمية سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «من قرأ منكم باليتين والزيوت فاتته إلى آخرها» (أليس الله بأحكم الحاكمين) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ (الأنعام يوم القيامة) فاتته إلى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) فليقل بلى، ومن قرأ (المرسلات) فبلغ (فبلى حديث بعده يؤمنون) فليقل آمنا بالله» ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذي عن ابن أبي عمر عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له من حديثك: قال رجل صدق عن أبي هريرة وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي) ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال «سبحانك وبلى». ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى؟) قال سبحانك فبلى. آخر تفسير سورة القيامة والله الحمد والمنة

﴿تفسير سورة الإنسان وهي مكية﴾

قد تقدم في صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة و(هل أتى على الإنسان؟) وقال عبد الله بن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ

قرأ هذه السورة (هل أتى على الإنسان حين من الدهر ؟) وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرج نفس صاحبكم - أو قال أخيك - الشوق إلى الجنة » مرسل غريب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحمارته وضعفه فقال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟) ثم بين ذلك فقال جل جلاله (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) أى أخلط ، والمشج والمشيح : الشيء المختلط بعضه في بعض ، قال ابن عباس في قوله تعالى (من نطفة أمشاج) يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والريبع بن أنس الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى (نبتيه) أى نخبره كقوله جل جلاله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (فجعلناه سميعا بصيرا) أى جعلناه له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمصيبة وقوله جل وعلا (إننا هديناه السبيل) أى بيناه له ووضعناه وبصرناه به كقوله جل وعلا (وأما نوح فهديناهم فاستجبوا لعملى الهدى) وكقوله جل وعلا (وهديناه النجدين) أى بينا له طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد في المشهور عنه والجمهور . وروى عن مجاهد وأبي صالح والضحاك والسدى أنهم قالوا في قوله تعالى (إننا هديناه السبيل) يعنى خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول . وقوله تعالى (إما شاكرا وإما كفورا) منصوب على الحال من الهاء في قوله (إننا هديناه السبيل) تقديره فهو في ذلك إما شقي وإما سعيد كما جاء في الحديث الذى رواه مسلم عن أبي مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الناس يغدو فبائع نفسه فوبقها أو ممتقها »

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسكعب بن عجرة « أعادك الله من إمارة السفهاء . » قال وما إمارة السفهاء ؟ قال « أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهدأى ، ولا يستنون بسنتى فمن صدقهم بكندهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضى ومن لم يصدقهم بكندهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وأنا منهم وسيردون على حوضى يا سكعب بن عجرة : الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة ، والصلاة قربات - أو قال برهان - يا سكعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به ، يا سكعب : الناس غاديان فبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فوبقها » ورواه عن عفان عن وهيب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقد تقدم في سورة الروم عند قوله جل جلاله (فطرة الله التى فطر الناس عليها) من رواية جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكرا وإما كفورا »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبرى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « مامن خارج يخرج إلا بياحه رايتان : راية بيدملك وراية بيدشيطان فإن خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ؛ وإن خرج لما يستخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته . »

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَيَخْفُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ
الطَّامِعَ عَلَى الْغَنَى * يَسْكِينُهُمْ وَيَكْنِيهِمْ * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا *
إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَّهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ
بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿

يُخْرِجُ تَعَالَى عَمَّا أَرْضَهُ لِلْكَافِرِينَ مِنْ خَلْقِهِ بِهِ مِنَ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ وَالسَّعِيرِ وَهُوَ اللَّهَبُ وَالْحَرِيقُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
كَأَنَّ تَعَالَى (إِذْ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْجَبُونَ * فِي الْحِمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ) وَلَمَّا ذَكَرَ مَا أَعَدَّ لَهُؤْلَاءِ
الْأَشْقِيَاءِ مِنَ السَّعِيرِ قَالَ بَعْدَهُ (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا) وَكَأْسُ مَا فِي الْكَافُورِ مِنَ التَّبَرِيدِ
وَالرَّائِحَةِ الطَّيِّبَةِ مَعَ مَا يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مِنَ اللَّذَاذَةِ فِي الْجَنَّةِ . قَالَ الْحَسَنُ : بَرَدُ الْكَافُورِ فِي طَبَقٍ مِنْ جَنِينٍ وَلِهَذَا قَالَ (عَيْنًا
يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) أَيْ هَذَا الَّذِي مِزَجَ لَهُؤْلَاءِ الْأَبْرَارَ مِنَ الْكَافُورِ هُوَ عَيْنٌ يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ
مِنْ عِبَادِ اللَّهِ صِرَافًا لَا مِزَجَ وَبُرُورًا بِهَا وَلِهَذَا ضَمِنَ يَشْرَبُ مَعْنَى يَرُدُّ حَتَّى عِدَاهُ بِالْبَاءِ وَنَسَبَ عَيْنًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، قَالَ
بَعْضُهُمْ هَذَا الشَّرَابُ فِي طَبَقِهِ كَالْكَافُورِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ هُوَ مِنْ عَيْنٍ كَافُورٍ وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَحْوِزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا يَشْرَبُ
حَسْبَى هَذِهِ الْأَقْوَالُ الثَّلَاثَةُ ابْنُ جَرِيرٍ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) أَيْ يَصْرِفُونَهَا فِيهَا حَيْثُ شَاءُوا وَأَيْنَ شَاءُوا مِنْ
قُصُورِهِمْ وَدُورِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ وَمَحَلِّهِمْ ، وَالتَّفْجِيرُ هُوَ الْإِبْرَاقُ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَجْهِنَ الْأَرْضَ
يَنْبُوعًا) وَقَالَ (وَفَجَّرْنَا خِلَافَهَا نَهْرًا) . وَقَالَ مُجَاهِدٌ (يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) يَقُودُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا وَكَذَلِكَ قَالَ عِكْرِمَةُ وَتَنَادَى ،
وَقَالَ الثَّوَالِي يَصْرِفُونَهَا حَيْثُ شَاءُوا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (يُوفُونَ بِالْغَدْرِ وَيَخْفُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا) أَيْ يَتَعَبَّدُونَ
لِلَّهِ فِيمَا أَوْجِبَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ الرَّاجِعَةِ بِأَصْلِ الشَّرْعِ وَمَا أَوْجَبَهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِطَرِيقِ النَّذْرِ . قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ
عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْأَيْلِيِّ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
« مَنْ نَذَرَ أَنْ يَطْعِمَ اللَّهَ فَلْيَطْعِمْهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلْيَعْصِهِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَالِكٍ . وَيَتَرَكُونَ الْحَرَمَاتِ
الَّتِي نَهَاها عَنْهَا خِيفَةً مِنْ سُوءِ الْحِسَابِ يَوْمَ الْمَعَادِ وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي شَرُّهُ مُسْتَطِيرٌ أَيْ مُنْتَشِرٌ عَامٌ عَلَى النَّاسِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
اللَّهُ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : فَاشِيًا ، وَقَالَ قَتَادَةُ اسْتَطَارَ وَاللَّهُ شَرُّ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَتَّى مَلَأَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ :
وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : اسْتَطَارَ الصَّدْعُ فِي الزَّجَاجَةِ وَاسْتَطَالَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْمَشِ :

فَبَانَتْ وَقَدْ أُمُتَتْ فِي الْفَوْا دَجْدَعًا عَلَى نَائِيهَا مُسْتَطِيرًا

يَعْنِي مَمْتَدًا فَاشِيًا . وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَيُطْعِمُونَ الطَّامِعَ عَلَى الْغَنَى) قِيلَ عَلَى حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَجَعَلُوا الضَّمِيرَ عَائِدًا إِلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ لِدَلَالَةِ السِّيَاقِ عَلَيْهِ ، وَالْأَظْهَرُ أَنَّ الضَّمِيرَ عَائِدٌ إِلَى الطَّامِعِ أَيْ وَيُطْعِمُونَ الطَّامِعَ فِي سَالِ مَحَبَّتِهِمْ وَشَهْوَتِهِمْ لَهُ قَالَ
مُجَاهِدٌ وَمَقَاتِلُ وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)
وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْمَشِ عَنْ نَافِعٍ قَالَ : مَرَضَ ابْنُ عُمَرَ فَاشْتَهَى عَنَابًا أَوَّلَ مَا جَاءَ الْعَنَبَ فَأَرْسَلَتْ صَفِيَّةُ يَعْنِي
امْرَأَتَهُ فَاشْتَرَتْ عَنْقُودًا بِدَرَاهِمَ فَاتَّبَعَ الرَّسُولُ سَائِلٌ فَلَمَّا دَخَلَ بِهِ قَالَ السَّائِلُ : السَّائِلُ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ أَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَأَعْطَوْهُ
إِيَّاهُ فَأَرْسَلَتْ بِدَرَاهِمَ آخَرَ فَاشْتَرَتْ عَنْقُودًا فَاتَّبَعَ الرَّسُولُ السَّائِلَ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ السَّائِلُ : السَّائِلُ فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ أَعْطَوْهُ إِيَّاهُ
فَأَعْطَوْهُ إِيَّاهُ فَأَرْسَلَتْ صَفِيَّةُ إِلَى السَّائِلِ فَقَالَتْ وَاللَّهِ إِنْ عَدْتُ لَا تُصِيبُ مِنْهُ خَيْرًا أَبَدًا ثُمَّ أَرْسَلَتْ بِدَرَاهِمَ آخَرَ فَاشْتَرَتْ
بِهِ وَفِي الصَّحِيحِ « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تُصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمَلُ الْغَنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ » أَيْ فِي حَالِ مَحَبَّتِكَ لِلْمَالِ وَحَرَصِكَ
عَلَيْهِ وَحَاجَتِكَ إِلَيْهِ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى (وَيُطْعِمُونَ الطَّامِعَ عَلَى حُبِّهِمْ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) أَمَّا الْمَسْكِينُ وَالْيَتِيمُ فَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُهُمَا
وَصِفَتُهُمَا ، وَأَمَّا الْأَسِيرُ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَالْحَسَنُ وَالضَّحَّاكُ : الْأَسِيرُ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كَانَ أَسْرَاؤُهُمْ

يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للتسليم والمشاركة ، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتى أنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال مجاهد هو المحبوس أى يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه فائنين بلسان الحال (إنما نطعمكم لوجه الله) أى رجاء ثواب الله ورضاه (لا يريد منكم جزاء ولا شكورا) أى لا نطلب منكم مجازاة تكافؤنا بها ولا أن تشكرونا عند الناس . قال مجاهد وسعيد ابن جبير أما والله ما قالوه بالسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب (إننا نخاف من ربنا يوما عبوسا قطيريا) أى إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتقانا بلطفه في اليوم العبوس القطير . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قطيريا طويلا ، وقال عكرمة وغيره عنه في قوله (يوما عبوسا قطيريا) قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد (عبوسا) العابس الشفتين (قطيريا) قال يقبض الوجه باليسور ، وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قطيريا تقلب الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها ، وأحلاها ، وأعلاها وأولاهها قول ابن عباس رضى الله عنه قال ابن جرير والقمطير هو الشديد يقال هو يوم قمطير ويوم قاطر ويوم عصب وعصب صب وقد اقمطر اليوم بقمطر اقمطارا وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم

بني عمناهل تذكرن بلاءنا ؟
عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الله تعالى (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) وهذا من باب التجانس البليغ (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى آمنهم بما خافوا منه (ولقاهم نضرة) أى في وجوههم (وسرورا) أى في قلوبهم ، قاله الحسن البصري وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة * صاكرة مستبشرة) وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقه قمر ، وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله ﷺ مسرورا تشرق أسارير وجهه . الحديث وقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) أى بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم الجنة وحريرا أى منزلا رحبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الداراني قال قرىء على أبي سليمان الداراني سورة (هل أتى على الإنسان ؟) فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم أنشد يقول :

كم قيل لشهوة وأسير أف من مشتهى خلاف الجليل
شهوة الإنسان تورثه الله وتلقيه في البلاء الطويل

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ أَيْدِيهِمْ فِيهَا تَبَاطُلًا * وَيَطَافُ عَلَيْهِمْ بِثَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا نَسَمَى سَسْبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْمُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا * عَلَيْهِمْ نِيَابٌ سُنْدُسُ خُضْرٍ وَإِسْتَبْرَقٌ وَخُلُوعٌ أُسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى (متكئين فيها على الأرائك) وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة الصافات وذكر الخلاف في الاتكاء هل هو الاضطجاع أو الترفق أو التربع أو التمسك في الجلوس وأن الأرائك هي السرر تحت الحبال وقوله تعالى (لا يرون فيها شمسا ولا ظهيرا) أي ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هي مزاج واحد دائم سرمدي لا ينفون عنها حولا (ودانية عليهم ظلالها) أي قريبة إليهم أغصانها (وذلت قطوفها تذليلا) أي متى تماطاه دنا القطف إليه وتدل من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى في الآية الأخرى (وجنى الجنة دان) وقال جل وعلا (قطوفها دانية) قال مجاهد (وذلت قطوفها تذليلا) إن قام ارتفعت معه بقدر، وإن قعد تذلت له حتى ينالها، وإن اضطجع تذلت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى (تذليلا) وقال قتادة لا يرد أيديهم عنها بشوك ولا بعد، وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وتراها المسك، وأصول شجرها من ذهب وفضة، وأنفانها من اللؤلؤ الرطب والبرجد والياقوت والورق والثر بين ذلك فمن أكل منها فأما لم تؤذه، ومن أكل منها فاعدا لم تؤذه، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه. وقوله جللت عظمتها (وبطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) أي يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام وهي من فضة وأكواب الشراب وهي السكبان التي لا عرى لها ولا خراطيم وقوله (قوارير قوارير من فضة) فالأول منصوب بخبر كان أي كانت قوارير، والثاني منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه يبينه بقوله جل وعلا (قوارير من فضة) قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وغير واحد بياض الفضة في صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج، فهذه الأكواب هي من فضة وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له في الدنيا. قال ابن المبارك عن إسماعيل عن رجل عن ابن عباس: ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة. رواه ابن أبي حاتم وقوله تعالى (مدروها) تقديرها (أي على قدر رهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هي معدة لكم مقدرة بحسب رى صاحبها، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح وقاتدة وابن أبيزى وعبد الله بن عبيد بن عمير وقاتدة والشعبي وابن زيد وقوله ابن جرير وغير واحد وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والسكرامة، وقال العوفي عن ابن عباس (قدروها تقديرًا) قسرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس، وقال الضحاك على قدر كلف الخادم وهذا لا ينافي القول الأول فانها مقدرة في القدر والرى

وقوله تعالى (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) أي ويسقون يعني الأبرار أيضا في هذه الأكواب (كأسا) أي خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، وأما المقربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدم قوله جل وعلا (عينا يشرب بها عباد الله) وقال ههنا (عينا فيها تسمى سلسيلا) أي الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسيلا قال عكرمة: اسم عين في الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جريها، وقال قتادة (عينا فيها تسمى سلسيلا) عين سلسة مستقيده مأوها وحكي ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الخلق وإخبارها أنها تعم ذلك كله وهو كما قال. وقوله تعالى (وطوف عليهم ولدان مخلدون) إذا رأيتهم حسبهم أولوا منشورا) أي يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) أي على حالة واحدة مخلدون عليها لا يغيرون عنها لا يزيد أعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بأنهم مخربون في آذانهم الأفرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير. وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبهم أولوا منشورا) أي إذا رأيتهم في انشادهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحلبهم حسبهم أولوا منشورا ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا ولا في النظر أحسن من الأولوا المنشور على السكان الحسن قال قتادة عن أبي أيوب عن عبد الله بن عمرو: ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه وقوله جل وعلا (وإذا رأيت) أي وإذا رأيت بأشعث (ثم) أي هناك يعني في الجنة ونعيمها

وسعتها وارتفاعها وما فيها من الجنة والسرور (رأيت نعيما وملكاً كبيراً) أى مملكة لله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً . وثبت في الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . وقد قدمنا في الحديث الروى من طريق ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفى سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى . وقد روى الطبراني ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلى حدثنا عتبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « سل واستفهم » فقال يا رسول الله فضلتهم علينا بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إني لكائن معك في الجنة قال « نعم والذى نفسى بيده إنه ليرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبجمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل كيف تم لك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأنقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتعمده الله برحمته » ونزلت هذه السورة (هل أتى على الإنسان حين من الدهر - إلى قوله - ملكا كبيرا) فقال الحبشى وإن عفى لترى ما ترى عينك في الجنة قال « نعم » فاستبكي حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله ﷺ يديه في حفرة يده

وقوله جل جلاله (عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق) أى لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم ، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلي الظاهر كما هو للمهود في الثياب (وحلوا أساور من فضة) وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال بعده (وسقاهم منهم شرابا طهورا) أى طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك ففسر بوا من أجداهما فأذهب الله ما فى بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن وقوله تعالى (إن هذا كان لَكُمْ جزاء وكان سعيكم مشكورا) أى يقال لهم ذلك تكريما لهم وإحسانا إليهم كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) وكقوله تعالى (ونودوا أن يلبسكم الجنة أو ثمنوها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (وكان سعيكم مشكورا) أى جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا * وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا * إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْكُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا * نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أُمُرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا * إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

يقول تعالى ممثنا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا (فاصبر لحكم ربك) أى

كما أكرمك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تديره (ولا تطع منهم آثما أو كفورا)
 أي لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فان
 الله يعصمك من الناس ، فالآثم هو الفاجر في أفعاله والكفور هو الكافر قلبه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أي
 أول النهار وآخره (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) كقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن
 يبعثك ربك مقاما محمودا) وكقوله تعالى (يا أيها الزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل
 القرآن ترتيلا) ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم في حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار
 الآخرة وراء ظهورهم (إن هؤلاء يحبون العاجلة وينفرون وراءهم يوما ثقيلا) يعني يوم القيامة ثم قال تعالى (نحن
 خلقناهم وشددناهم بأسرع) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعني خلقهم (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي وإذا
 شئنا بمثلهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا ، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة وقال ابن زيد وابن جرير
 (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) ثم قال تعالى
 بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) وكقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) ثم قال تعالى
 (إن هذه تذكرة) يعني هذه السورة تذكرة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي طريقها ومسلكا أي من شاء اهتدى
 بالقرآن كقوله تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية ، ثم قال تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) أي
 لا يقدر أحد أن يهدي نفسه ولا يدخل في الإيمان ولا يخرج لنفسه نفعا (إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيم) أي عليم
 عن يستحق الهداية فيسيرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى . وله الحكمة البالغة ، والحكمة
 السامعة ولهذا قال تعالى (إن الله كان عليما حكيم) ثم قال (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا ليما) أي
 يهدي من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له . آخر تفسير سورة الإنسان والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة المرسلات وهي مكية ﴾

قال البخاري ثنا أحمد ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن الأسود عن عبد الله - هو ابن مسعود - رضي الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار يعني إذ أنزلت عليه (والمرسلات) فانه ليتاوها وإنى لألقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبي ﷺ « اقتلوها » فابتدرناها فذهبت فقال النبي ﷺ « وقت شركم كما وقيتم شرها » وأخرجه مسلم أيضا من طريق الأعمش وقال الإمام أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا ، وفي رواية مالك عن الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ (والمرسلات عرفا) فقالت يا بني أذكرتني بقرائك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب . أخرجه في الصحيحين من طريق مالك به

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَأَلْصَقَتْ عَصْفًا * وَالنَّشْرِاتِ نَشْرًا * فَأَلْفَرَقَتْ فَرَقًا * فَأَلْمُقَلِّبَاتِ ذِكْرًا * عُدْرًا * أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تَوْعَدُونَ لَوَاقِعُ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْبَتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾
 قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا زكريا بن سهل الروزي ثنا علي بن الحسن بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة (والمرسلات عرفا) قال اللالكسي ، وروى عن مسروق وأبي الضحى ومجاهد في إحدى الروايات والسدى

والربيع بن أنس مثل ذلك وروى عن أبي صالح أنه قال هي الرسل وفي رواية عنه أنها الملائكة ، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات أنها الملائكة . وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفا قال الربيع ، وكذا قال في (العاصفات عصفاء والناشرات نشر) إنها الربيع وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في (والمرسلات عرفا) هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضا أو هي الرياح إذا هبت شيئا فشيئا ؟ وقطع بأن العاصفات عصفاء الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه ، ومن قال ذلك في العاصفات عصفاء أيضا على بن أبي طالب والسدي وتوقف في الناشرات نشر هل هي الملائكة أو الربيع كما تقدم ، وعن أبي صالح أن الناشرات نشر هي المطر ، والأظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وهكذا العاصفات هي الرياح ، يقال عصفت الرياح إذا هبت بتسوية ، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل . وقوله تعالى (فالنفارقات فرقا فالملقيات ذكرا ، عذرا أو نذرا) يعني الملائكة . قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف ههنا فانها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغي ، والحلال والحرام ، وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إنذار إلى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره . وقوله تعالى (إنما توعدون لواقع) هذا هو القسم عليه بهذه الأقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر إن هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة . ثم قال تعالى (فإذا النجوم طمست) أي ذهب ضوءها كقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) وكقوله تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) (وإذا السماء فرجت) أي انقطرت وانشقت وتبدلت أرجاؤها ووهت أطرافها (وإذا الجبال نسفت) أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) الآية وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرا ناهم فلم تغادر منهم أحدا) . وقوله تعالى (وإذا الرسل أقتت) قال العوفي عن ابن عباس جمعت . وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) وقال مجاهد (أقتت) أجلت وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (أقتت) أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى (وأشرق الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون) . ثم قال تعالى (لأي يوم أجلت ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجى أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) وهو يوم الفصل كما قال تعالى (ليوم الفصل) ثم قال تعالى معظما لشأنه (وما أدراك ما يوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم من عذاب الله غدا وقد قدمنا في الحديث أن ويل واد في جهنم ولا يصح

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نَنْبِئُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَعْمَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَجَاجَةٍ وَأَسْفِينًا كَسَمَاءٍ مُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى (ألم نهلك الأولين) يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءهم به (ثم تنبئهم الآخرين) أي ممن أشبههم ولهذا قال تعالى (كذلك نعمل بالمجرمين . ويل يومئذ للمكذبين) قاله ابن جرير . ثم قال تعالى مبتدئا على خلقه

ومحتاجا على الاعادة بالبداية (ألم تخلفكم من ماء مهين) أى ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة البارئ عز وجل كما تقدم في سورة يس في حديث بشر بن جحاش « ابن آدم أتى تعجزي وقد خلقتك من مثل هذه ؟ » (فجعلناه في قرار مكين) يعنى جعلناه في الرحم وهو قرار الماء من الرجل والرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء . وقوله تعالى (إلى قدر معلوم) يعنى إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى (فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (ألم يجعل الأرض كفنانا * أحياء وأمواتا) قال ابن عباس كفنانا كنا وقال مجاهد يكفنا الميت فلا يرى منه شيء وقال الشعبي بطنها أمواتكم وظمرها لأحيائكم وكذا قال مجاهد وقتادة (وجعلناها رواسى شامخات) يعنى الجبال راسى بها الأرض لثلاث عمد واضطرب (وأسقيناكم ماء فراتا) أى عذبا زلالا من السحاب أو ماء أنبعه من عيون الأرض (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره

﴿ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ * انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ * لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْهَبِّ * إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُ جُمَلَتْ صُفُرٌ * وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَدُونَ * وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى * فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) يعنى لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب (لا ظليل ولا يغنى من اللهب) أى ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه ولا يغنى من اللهب يعنى ولا يقمهم حر اللهب . وقوله تعالى (إنها ترمي بشرر كالقصر) أى يطير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالخضون ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعنى أصول الشجر (كأنه جمالة صفر) أى كالإبل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير ، وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير (جمالة صفر) يعنى جبال السفن ، وعنه أعنى ابن عباس (جمالة صفر) قطع نحاس وقال البخاري شاعرو ابن علي ثنا يحيى أنا سفيان عن عبد الرحمن بن عباس قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما (إنها ترمي بشرر كالقصر) قال كنا نعد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فزفره للبناء فسميه القصر (كأنه جمالة صفر) جبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (هذا يوم لا ينطقون) أى لا يشكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتدون) أى لا يقدر على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتدروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ، وعرضات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام (ويل يومئذ للمكذبين)

وقوله تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيديون) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) يعنى أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفخهم البصر . وقوله تعالى (فإن كان لكم كيد فكيديون) تهديد شديد ووعيد أكيد أى إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي وتنجوا من حكمي فافعلوا فإنكم لا تشدرون على ذلك كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد قال تعالى (ولا تضروني شيئا) وفي الحديث « يا عبادى إنكم لن تبلغوا نفعى فتنفعوني ولن تبلغوا ضرى فتضروني » .

وقد قال ابن أبي حاتم : ثنا علي بن المنذر الطريفي الأودي ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان

ابن أبي الخارق عن أبي عبد الله الجعدي قال : أتيت بيت المقدس فإذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعي ويقول الله (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فان كان لكم كيد فسيكيدون) اليوم لا ينجو مني جبار عنيد ، ولا شيطان مرید ، فقال عبد الله بن عمرو فانا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتتعلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادى : أيها الناس إني بشت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه لا يغيبهم عني وزر ولا تخفهم عني خافية ، الذي جعل مع الله إلها آخر ، وكل جبار عنيد ، وكل شيطان مرید ، فتطوى عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة .

﴿ إِنِّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ * وَفَوْكَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كَسَبْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَيَلْزَمُهُمُ يَوْمَئِذٍ الْمُسْكَدِينَ * كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ * وَيَلْزَمُهُمُ يَوْمَئِذٍ الْمُسْكَدِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ * وَيَلْزَمُهُمُ يَوْمَئِذٍ الْمُسْكَدِينَ * فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبادة المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون أي بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليجموم وهو الدخان الأسود اللزج ، وقوله (وفواكه مما يشتهون) أي ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً (إنا كذلك نجزي المحسنين) أي هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل (ويل يومئذ للمكذبين) . وقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون) خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى (كلوا وتمتعوا قليلاً) أي مدة قليلة قريبة قصيرة (إنكم مجرمون) أي ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها (ويل يومئذ للمكذبين) كما قال تعالى (نعتهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله تعالى (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أي إذا أمر هؤلاء الجبهة من الكفار أن يكونوا من الصلدين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (فبأي حديث بعده يؤمنون ؟) أي إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأي كلام يؤمنون به ؟ كقوله تعالى (فبأي حديث بعده يؤمنون ؟)

قال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا ابن عمر ثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية سمعت رجلاً أعرابياً يقول سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والرسالات عرفاً - فقرأ - فبأي حديث بعده يؤمنون ؟ فليقل آمنت بالله وبما أنزل . وقد تقدم هذا الحديث في سورة القيامة . آخر تفسير سورة الرسالات والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة النبأ وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاهُكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارا لوقوعها (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) أي عن أي شيء يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعني الخبر الهائل المقطع الباهر قال قتادة وابن زيد: النبأ العظيم السبت بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن. والأظهر الأول لقوله (الذي هم فيه مختلفون) يعني الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ثم قال تعالى متوعدا لمنكرى القيامة (كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد. ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر العباد وغيره فقال (ألم نجعل الأرض مهادا) أي مهيأة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال أوتادا) أي جعلها لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها. ثم قال تعالى (وخلقناكم أزواجا) يعني ذكرا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر يحصل التناسل بذلك كقوله (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتا) أي قطعنا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعي في المعاش في عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية في سورة الفرقان (وجعلنا الليل لباسا) أي يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال (والليل إذا يغشاها) وقال الشاعر:

فلما لبس الليل أوحين نصبت له من هذا آذانها وهو جانح

وقال قتادة في قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) أي سكنا وقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أي جعلناه مشرقا نيرا مضيئا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والحجى للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك وقوله تعالى (وبينا فوقكم سبعاً شدادا) يعني السموات السبع في إتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعني الشمس النيرة على جميع العالم التي تنور بها أهل الأرض كلهم. وقوله تعالى (وأنزّلنا من المصبرات ماء ثجاجا) قال العوفي عن ابن عباس: المصبرات الرياح وقال ابن أبي حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفري عن سفيان عن الأعمش عن النهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (وأنزّلنا من المصبرات) قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن إنها الرياح ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من المصبرات أي من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وأبو العباس والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري واختاره ابن جرير، وقال الفراء هي السحاب التي تتحلب بالمطر ولم تظطر بعد، كما يقال امرأة مصبرة إذا دنا حيضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المصبرات يعني السموات ولهذا قول غريب، والأظهر أن المراد بالمصبرات السحاب كما قال تعالى (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) أي من بينه، وقوله جل وعلا (ماء ثجاجا) قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس: ثجاجا منصبا وقال الثوري متتابعا وقال ابن زيد كثيرا، قال ابن جرير ولا يعرف في كلام العرب في صفة الكثرة الثج وإنما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم «أفضل الحجج العج والثج» يعني صب دماء البدن هكذا قال، قلت وفي حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنت لك الكرمسف» يعني أن تهتشي بالقطن فقالت يا رسول الله هو أكثر من ذلك إنما أئجئج، وهذا فيه دلالة على استعمال الثج في الصب المتتابع الكثير والله أعلم وقوله تعالى (لنخرج به حبا ونباتا وجنت ألقافا) أي لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حبا) يدخر للإناسي والأنعام (ونباتا) أي خضرا يؤكل رطبا (وجنت) أي بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعموم وروائح متفاوتة وإن كان ذلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ولهذا قال وجنت ألقافا قال ابن عباس وغيره ألقافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى (وفي الأرض قطع متجاورات وجنت من أعناب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان يسمى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)

﴿ إِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتَا * يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَنَابِتًا * لِيُنْشِئَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاءً * وَفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا قَلْبًا نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزداد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التبيين إلا الله عز وجل كما قال تعالى (وما تؤخره إلا لأجل معدود) (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) قال مجاهد: زمرا زمرا قال ابن جرير يعني تأتي كل أمة مع رسولها كقوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بأمامهم) وقال البخاري (يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا) حدثنا محمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون » قالوا أربعون يوما ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون شهرا ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون سنة ؟ قال « أبيت » قال « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلو الأعظماء واحدا وهو عجب اللذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة » (وفتحت السماء فكانت أبوابا) أى طرقا ومسالك لنزول الملائكة (وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) وكقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال ههنا (فكانت سرابا) أى ينحدر إلى الناظر أنها شيء وليست بشيء وبعد هذا تذهب بالسكية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعا صافيا * لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) ، وقال تعالى (ويوم نسف الجبال وترى الأرض بارزة) وقوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) أى مرصدة معدة (للطاغين) وهم للردة العصاة الخالفون للرسول (أى مرجما ومنقلباً ومصيرا) ونزلا وقال الحسن وقتادة في قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) يعنى أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فإن كان معه جواز نجا والا احتبس ؟ وقال سفيان الثوري عليها ثلاث قناطر

وقوله تعالى (لا بين فيها أحقابا) أى ما كثر فيها أحقابا وهى جمع حقب وهو الدرة من الزمان ، وقد اختلفوا فى مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال : قال علي بن أبي طالب لهلال الهجرى ما تجدون الحقب فى كتاب الله المنزل ؟ قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة ، وهكذا روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبيرة وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك ، وعن الحسن والسدى أيضا سبعون سنة كذلك ، وعن عبد الله بن عمرو : الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواها ابن أبي حاتم . وقال بشر بن كعب ذكر لى أن الحقب الواحد ثلثمائة سنة اثنا عشر شهرا كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كألف سنة رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، ثم قال ابن أبي حاتم ذكر عن عمرو بن علي بن أبي بكر الاسفیدی حدثنا مروان بن معاوية الزنارى عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ فى قوله تعالى (لا بين فيها أحقابا) قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو الراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك . وقال البراز حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال : سألت سليمان التيمي هل يخرج من النار أحد ؟ فقال حدثني نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا » قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بهرى مشهور

وقال السدي (لا يثين فيها أحقابا) سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون ، وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فتذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) وقال خالد ابن معدان هذه الآية وقوله تعالى (إلا ما شاء ربك) في أهل التوحيد رواها ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى (لا يثين فيها أحقابا) متعلقا بقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والريبع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثني محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى (لا يثين فيها أحقابا) قال أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود في النار ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون ، وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى (لا يثين فيها أحقابا) وهو مالا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده وقال الريبع بن أنس (لا يثين فيها أحقابا) لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله عز وجل ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواها أيضا ابن جرير ، وقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أي لا يجدون في جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا يطيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى (لا هم فيها يغساق) قال أبو العالية انتهى من البرد الخيم ومن الشراب الغساق وكذا قال الريبع بن أنس ، فأما الحميم فهو الحار الذي قد انتهى حره وحموه ، والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطيع من برده ولا يواجه من ثقله ، وقد قدمنا الكلام على الغساق في سورة ص بما أغنى عن إعادته - أجازنا الله من ذلك بمنه وكرمه - قال ابن جرير وقيل المراد بقوله (لا يذوقون فيها بردا) يعني النوم كما قال السكندی

بردت مرأشها على فصدني * عنها وعن قبلاتها البرد

يعني بالبرد العباس والنوم . هكذا ذكره ولم يعزه إلى أحد ، وقد رواه ابن أبي حاتم عن طريق السدي عن مرة الطيب ونقله عن مجاهد أيضا . وحكاه البغوي عن أبي عبيدة والكسائي أيضا : وقوله تعالى (جزاء أوفاقا) أي هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا : قاله مجاهد وفتادة وغير واحد . ثم قال تعالى (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) أي لم يكونوا يمتدنون أن ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون (وكذبوا بآياتنا كذبا) أي وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله صلى الله عليه وسلم فيقالبونها بالنكديب والمعادنة وقوله (كذبا) أي تكديبا ، وهو مصدر من غير الفعل ، قالوا وقد سمع أعرابي يستغنى الفراء على الرواة الخافى أحب إليكم أو القصار ؟ وأنشد بعضهم .

لقد طال ما ثبطتني عن صحابي * وعن حوج قصارها من شقائيا

وقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه كتابا) أي وقد علمنا أعمال العباد كلها وكتبناها عليهم وسنجزهم على ذلك إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وقوله تعالى (فتذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) أي يقال لأهل النار ذوقوا ما كنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج ، قال قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية (فتذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال فهم في مزيد من العذاب أبدا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصوري حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ (فتذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال « هلاك القوم بمعاصيهم الله عز وجل » جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأَنَّ دِهَاقًا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من السكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى (إن للمتقين مفازا)

قال ابن عباس والضحاك: متبرها. وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار. والأظهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده (حدثني) والحدثني البسائين من النخيل وغيرها (وأعنايا وكواعب أترابا) أي وحورا وكواعب، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كواعب) أي نواهد، يعنون أن يهديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب أي في سن واحد كما تقدم بيانه في سورة الواقعة. قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستقي حدثني أبي عن أبي سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تمحدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي عن أبي أمامة أنه سمعه يحدث عن النبي ﷺ أنه قال «إن قص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وإن السحابة لهم بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا تريدون أن أمطركم؟ حتى إنها لتطرهم الكواعب الأتراب» وقوله تعالى (وكناسا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة متتابعة. وقال عكرمة صافية، وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد (دهاقا) للملأى للترعة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير هي المتتابعة. وقوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) كقوله (لا لغوا فيها ولا تأثيم) أي ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب بل هي دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص. وقوله (جزاء من ربك عطاء حسابا) أي هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضلهم ومنه وإحسانه ورحمته. عطاء حسابا أي كافيا وافييا ما لكثيرا، تقول العرب أعطاني فأحسبني أي كفاني ومنه حسبي الله أي الله كافئ

﴿ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَلِكَ الْيَوْمُ الْخَلْقُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَثَابًا * إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا * يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرَابًا ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء، وقوله تعالى (لا يملكون منه خطابا) أي لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) وكقوله تعالى (يوم يأتي لا تكلم نفسه إلا بإذنه) وقوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا ما هو؟ على أقوال (أحدها) ما رواه العوفي عن ابن عباس أنهم أرواح بني آدم (الثاني) هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتبه (الثالث) أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا بملائكة ولا بشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش (الرابع) هو جبريل قاله الشعبي وسعيد بن جبير والضحاك، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل (نزل به الروح الأمين) على قلبك لتكون من المذنبين (وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب عز وجل وصاحب الوحي) (الخامس) أنه القرآن قاله ابن زيد كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الآية (والسادس) أنه ملك من الملائكة بدرجة جميع المخلوقات. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يقوم الروح) قال هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا. وقال ابن جرير حدثني محمد بن خلف العسقلاني حدثنا رواد بن الجراح عن أبي حمزة عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح في السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يحيى يوم القيامة صفا وحده. وهذا قول غريب جداً. وقد قال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عوس المصري حدثنا وهب الله بن روق ابن هيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعي حدثني عطاء عن عبيد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله ملكا لو قيل له اتقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل، تسبيحة سبحانك حيث كنت» وهذا حديث غريب جداً وفي رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم.

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها والأشبه عندي والله أعلم أنهم بنو آدم . وقوله تعالى (إلا من أذن له الرحمن) كقوله (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه) وكما ثبت في الصحيح « ولا يشككم يومئذ إلا الرسل » وقوله تعالى (وقال صوابا) أى حقاً ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة ، وقوله تعالى (ذلك اليوم الحق) أى السكائن لا بحالة (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً) أى مرجعاً وطريقاً يهتدى إليه ومنهجا يبره عليه وقوله تعالى (إنا أنذرناكم عذاباً قريباً) يعنى يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريباً لأن كل ما هو آت آت (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أى يعرض عليه جميع أعماله خيراً أو شراً ، قديمها وحديثها كقوله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضراً) وكقوله تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) (ويقول الكافر يا ليتنى كنت تراباً) أى يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود ، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة ، وقيل إما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التى كانت في الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يحور حتى إنه ليقصق للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها كوني تراباً فتصير تراباً فعند ذلك يقول الكافر (يا ليتنى كنت تراباً) أى كنت حيواناً فأرجع إلى التراب ، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما . آخر تفسير سورة النبأ والله الحمد للمنة . وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة النازعات وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَلُتَأْزِغَ غُرُقًا * وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا * وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا * فَالْمُدَبَّرَاتِ سَبْحًا * قَالَمْ دَبَّرْتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ * يَقُولُونَ أَعْنَا لِمَرْدُودُونَ فِي الْخَافِرَةِ * أَعَذَا كُنَّا عِظَمًا نَخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ * فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدى (النازعات غرقاً) الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بنى آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها ، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأما حالته من نشاط وهو قوله (والنشاطات نشطاً) قاله ابن عباس وعن ابن عباس (والنازعات) هى أنفس الكفار تنزع ثم تشط ثم تغرق في النار . رواه ابن أبي حاتم وقال مجاهد (والنازعات غرقاً) الموت ، وقال الحسن وقتادة (والنازعات غرقاً * والنشاطات نشطاً) هى النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالى (والنازعات والنشاطات) هى النفس في القتال والصحيح الأول وعليه الأكثر . وأما قوله تعالى (والسابحات سبحاً) فقال ابن مسعود هى الملائكة ، وروى عن علي ومجاهد وسعيد بن جبير وأبي صالح مثل ذلك ، وعن مجاهد (والسابحات سبحاً) الموت ، وقال قتادة هى النجوم ، وقال عطاء بن أبي رباح : هى السفن . وقوله تعالى (فالسابتات سبها) روى عن علي ومسروق ومجاهد وأبي صالح والحسن البصرى يعنى الملائكة ، قال الحسن سبقت إلى الإيمان والتصديق وعن مجاهد الموت وقال قتادة : هى النجوم ، وقال عطاء هى الخيل في سبيل الله . وقوله تعالى (فالمدبرات أمراً) قال علي ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى هى الملائكة زاد الحسن تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعنى بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا في هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك إلا أنه حكى في المدبرات أمراً أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفي . وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال ابن عباس هما النفتختان الأولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد أما الأولى وهى قوله جل وعلا (يوم ترجف الراجفة) فكقوله جللت عظمته (يوم ترجف الأرض والجبال) والثانية وهى الرادفة فهى

كقوله (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن أبي الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » فقال رجل يا رسول الله أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ، قال « إذا يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك » وقد روى الترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث سفيان الثوري بإسناده مثله ولفظ الترمذي وابن أبي حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . وقوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) قال ابن عباس يعني خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة (أبصارها خاشعة) أي أبصار أصحابها وإنما أضيفت إليها للملابسة أي ذليلة حقيرة مما عاينت من الأحوال . وقوله تعالى (يقولون أئنا لمرددون في الحافرة) يعني مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد الصير إلى الحافرة وهي القبور قاله مجاهد ، وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونحورها ولهذا قالوا (أئنا كنا عظاما نحرة) وقرئ ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة أي بالية قال ابن عباس وهو العظم إذا بلى ودخلت الريح فيه (قالوا تلك إذا كرة خاسرة) وعن ابن عباس ومحمد ابن كعب وعكرمة وسعيد بن جبيرة وأبي مالك والسدي وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار ، وما أكثر أسماءها هي النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة ، وأما قولهم (تلك إذا كرة خاسرة) فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن قال الله تعالى (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) أي فإنما هو أمر من الله لامتنوية فيه ولا تأكيد فإذا الناس قيام ينظرون وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ في الصور نفخة البعث فإذا الأولون والآخرون قيام بين يدي الرب عز وجل ينظرون كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كَلِمَ بالبصر) وقال تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) قال مجاهد (فإنما هي زجرة واحدة) صحيحة واحدة وقال إبراهيم التيمي أشد ما يكون الرب عز وجل غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصري زجرة من الغضب وقال أبو مالك والربيع بن أنس زجرة واحدة هي النفخة الآخرة وقوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) قال ابن عباس الساهرة الأرض كلها وكذا قال سعيد بن جبيرة وقتادة وأبو صالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الأرض ، وقال عثمان بن أبي العاتكة الساهرة أرض بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه الساهرة جبل إلى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم ، وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا حزن بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السري حدثنا مصعب ابن ثابت عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي (فإذا هم بالساهرة) قال أرض بيضاء عفراء خالية كالخبرة النقي ، وقال الربيع بن أنس (فإذا هم بالساهرة) يقول الله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) ويقول تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا * فيزورها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا) وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وبرزت الأرض التي عليها الجبال وهي لا تعد من هذه الأرض وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * إِذْ هَبَّ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَذْبَرَ يَمْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَسْكَالَ الْأَخْرَةِ وَالْأُولَى * إِنَّ فِي﴾

ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى

يخبر تعالى رسوله محمدًا ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما حُثَّ به ولهذا قال في آخر القصة (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) فقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) أي هل سمعت يخبره (إذ ناداه ربه) أي كلمه نداء (بالواد للقدس) أي المطهر (طوى) وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أي تجر وتمرد وعتا (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي قل له هل لك أن تحبب إلى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع (وأهديك إلى ربك) أي أدلك إلى عبادة ربك (فتخشى) أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان فاسيا خبيثا بعيدا من الخير (فأراه الآية الكبرى) يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ما جاء به من عند الله (فكذب وعصى) أي فكذب بالحق وخالف ما أمر به من الطاعة ، وحاصله أنه كفر قلبه فلم يفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ما جاء به حق لا يلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الاتقياد للحق والخضوع له . وقوله تعالى (ثم أدير يسمي) أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات (فحشر فنادى) أي في قومه (فقال أنا ربكم الأعلى) قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من إله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا (ويوم القيامة يئس الرفض للرفود) كما قال تعالى (وجعلناهم أئمة يذعنون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله (نكال الآخرة والأولى) أي الدنيا والآخرة ، وقيل المراد بذلك كتابه الأولى والثانية ، وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لا شك فيه الأول ، وقوله (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) أي لمن يتعظ وينتجر

﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا * مَتَعًا لَّكُمْ وَلِيَا لَعْنَتِكُمْ ﴾

يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدهم (أأنتم) أيها الناس (أشد خلقا أم السماء) يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) وقوله تعالى (بنائها) فسر به قوله (رفع سمكها فسواها) أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكلفة بالكواكب في الليلة الظلماء . وقوله تعالى (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) أي جعل ليلها مظلمة أسود حالكا ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا ، قال ابن عباس : أغطش ليلها أظلمه ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون (وأخرج ضحاها) أي أثار نهارها . وقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاه) فسر به قوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن النبال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (دحاه) ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله (والأرض بعد ذلك دحاه) وقد تقدم تقرير ذلك هنالك . وقوله تعالى (والجبال أرساها) أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم . الرؤوف بخلقه الرحيم . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب

عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تبيد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم : الحديد ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم : الماء ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال نعم : أشد من الحديد شيء أشد من الماء قال نعم : الريح ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال نعم : ابن آدم يتصدق يمينه يخفيها عن شماله » وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : لما خلق الله الأرض قصت وقالت تخلق على آدم وذريته يلقون على نبتهم ويعجلون على الخطايا ، فأرسلها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لاترون وكان أول قرار الأرض كلهم الجزور إذا نحر يمتلج لحمه . غريب جدا . وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي دحا الأرض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها ، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعا لخلقها ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركوبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل .

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبَرَزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى * فَأَمَّا مَن طَفَى * وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرِهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ نَّحْشِهَا * كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾

يقول تعالى (فإذا جاءت الطامة الكبرى) وهو يوم القيامة قاله ابن عباس سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفضح كما قال تعالى (والساعة أدهى وأمر) (يوم يتذكر الإنسان ما سعى) أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكري) (وبرزت الجحيم لمن يرى) أي أظهرت للناظرين فراها الناس عيانا (فأما من طفى) أي تمرد وعتا (وأثر الحياة الدنيا) أي قدمها على أمر دينه وأخراه (فإن الجحيم هي المأوى) أي فإن مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشر به من الجحيم (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها إلى طاعة مولاه (فإن الجنة هي المأوى) أي منقلبه ومصيره ومرجه إلى الجنة الفيحاء ثم قال تعالى (يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فِيمَ أَنْتَ مِن ذِكْرِهَا إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا) أي ليس علمها اليك ولا إلى أحد من الخلق بل مردها ومزجها إلى الله عز وجل فهو الذي يعلم وقتها على التعيين (ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك خفي عنها قل أعلمها عند الله) وقال ههنا (إلى ربك منتهاها) ولهذا لما سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وقوله تعالى (إنما أنت منذر من نحسها) أي إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفصح وأتبع والحياة والحسار على من كذبك وخالفك وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أي إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أوضحى من يوم ، قال جوير عن الضحاك عن ابن عباس (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أما غشية فما بين الظهر إلى غروب الشمس (أوضحاها) ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار وقال قتادة : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة . آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة عبس وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَّى * أَوْ يَذْكُرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِّكْرَى * أَمْ مَا مِنْ آسْتَفَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فِي صُحُفٍ مُسَكَّرَةٍ * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع في إسلامه فبينما هو يخاطبه ويتناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلج عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك لتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة في هدايته . وعبس في وجهه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزله الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى) أي يحصل له زكاة وطهارة في نفسه (أويذكر فتففعه الذكري) أي يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم (أما من استغنى فأنت له تصدى) أي أما الغني فأنت تتعرض له لعله يهتدى (وما عليك ألا يزكى) أي ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة (وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى) أي يقصدك ويؤمك ليهتدى بما تقول له (فأنت عنه تلهي) أي تشاغله ، ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يخص بالانذار أحدا بل يساوي فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغني والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة . قال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن مهدي حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه في قوله تعالى (عبس وتولى) جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبي بن خلف فأعرض عنه فأنزله الله عز وجل (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه . قال قتادة وأخبرني أنس بن مالك قال رأته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سواده يعني ابن أم مكتوم وقال أبو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى الأموي حدثني أبي قال هذا ما عرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت (عبس وتولى) في ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أرشدني قالت وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين قالت فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول « أترى بما أقول بأسا ؟ » فيقول لا ! في هذا أنزلت (عبس وتولى) . وقد روى الترمذي هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموي بأسناده مثله ، ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة ﴿ قلت ﴾ كذلك هو في الموطأ . ثم روى ابن جرير وابن أبي حاتم أيضا من طريق العوفي عن ابن عباس قوله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم عشى وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرئ النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن وقال يا رسول الله علمني بما علمك الله فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ يتقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أويذكر فتففعه الذكري) فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله

ﷺ وكلمه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ؟ - وإذا ذهب من عنده قال - هل لك حاجة في شيء ؟ » وذلك لما أنزل الله تعالى (أما من استغنى فأنْتَ له تصدى . وما عليك إلا زكى) فيه غرابة ونكارة وقد تسكلم في إسناده وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثني يونس عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » وهو الأعمى الذى أنزل الله تعالى فيه (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) وكان يؤذن مع بلال ، قال سالم وكان رجلاً ضريب البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر أذن . وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت في ابن أم مكتوم والمشهور أن اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم وقوله تعالى (كلا إنها تذكرة) أى هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم وقال قتادة والسدى (كلا إنها تذكرة) يعنى القرآن (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء ذكر الله تعالى في جميع أموره ويحتمل عود الضمير إلى الوحي لدلالة الكلام عليه

وقوله تعالى (في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة) أى هذه السورة أو المظلة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن في صحف مكرمة أى معظمة موقرة (مرفوعة) أى عالية القدر (مطهرة) أى من اللبس والزيادة والنقص وقوله تعالى (بأيدي سفرة) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد : هى الملائكة . وقال وهب بن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم القراء وقال ابن جريج عن عباس السفرة بالنبطية القراء ، وقال ابن جرير والصحيح أن السفرة الملائكة والسفرة يعنى بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذى يسعى بين الناس فى الصلح والخير كما قال الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومي وما أمشى بعش إن مشيت

وقال البخارى : سفرة الملائكة ، سمرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تعالى وتأديته كالسفير الذى يصلح بين القوم وقوله تعالى (كرام بررة) أى خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغى لحامل القرآن أن يكون فى أفعاله وأقواله على السداد والرشاد . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرار بن أوفى عن سعد بن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرؤه وهو عليه شاق ، له أجران » أخرجه الجماعة من طريق قتادة به

﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَيْنًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَيْكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنَامِكُمْ ﴾

يقول تعالى ذاماً لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم (قل الإنسان ما أكفره) قال الضحاك عن ابن عباس (قل الإنسان) لعن الإنسان ، وكذا قال أبو مالك وهذا الجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم ، قال ابن جريج (ما أكفره) أى ما أشد كفره ، وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد أى شئ جعله كافراً أى ما سمله على التكذيب بالعاد . وقد حكاه البغوى عن مقاتل والسكاكي وقال قتادة (ما أكفره) ما ألغى ، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشئ الحقير وأنه قادر على إحداثه كما بدأه فقال تعالى (من أى شئ خلقه ؟

من نطفة خلقه فقدره) أى قدر أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد (ثم السبيل يسره) قال العوفي عن ابن عباس ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه ، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدي واختاره ابن جرير . وقال مجاهد هذه كقوله تعالى (إنا هديناك السبيل إما شاكرا وإما كفورا) أى بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه ، وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) أى أنه بعد خلقه له أماته فأقبره أى جملة ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل إذا ولّى ذلك منه ، وأقبره الله ، وعصبت قرن الثور وأعصبه الله وبترت ذنب البعير وابتره الله ، وطردت عني فلانا وأطرده الله ، أى جملة طريدا ، قال الأعشى

لو أنشدت ميتا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقوله تعالى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه بعد موته وموته يقال البعث والنشور (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنثرون) ، (وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أسبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح أخبره عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « يا كل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه » قيل وما هو يا رسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تنشأون » وهذا الحديث ثابت في الصحيحين من رواية الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة بدون هذه الزيادة ونظيره « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » . وقوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه في نفسه وماله (لما يقض ما أمره) يقول لم يؤد ما فرض عليه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل . ثم روى هو وابن أبي حاتم عن طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال لا يقضى أحدا بك ما فرض عليه ، وحكاه البغوي عن الحسن البصري بنحو من هذا ، ولم أجد للمتقدمين فيه كلاما سوى هذا ، والذي يقع لي في معنى ذلك والله أعلم أن المعنى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه (كلا لما يقض ما أمره) أى لا يفعله الآن حتى تنقضى المدة ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدرنا فإذا تنهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم . وقد روى ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه قال : قال عزير عليه السلام قال الملك الذي جاءني فان القبور هي بطن الأرض ، وإن الأرض هي أم الخلق فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبور التي مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ونظمت الأرض ما في جوفها وأخرجت القبور ما فيها ، وهذا شبيه بما قلنا من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . وقوله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) فيه امتنان وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا (أنا صينا الماء صبا) أى أنزلنا من السماء على الأرض (ثم شققنا الأرض شقا) أى أسكنناه فيها فيدخل في نفوسها وتخلل في أجزاء الجبال الودع فيها فبقيت وارتفع وظهر على وجه الأرض (فأثبتنا فيها حبا وعبا وقضا) فالحب كل ما يذكر من الحبوب والحبوب معروف والقضب هو الفصصة التي تأكلها الدواب رطبة ويقال لها إلقت أيضا قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ، وقال الحسن البصري : القضب العلف (وزيتونا) وهو معروف وهو آدم وعصيره آدم ويستصبح به ويدهن به (ونخلا) يؤكل بلحا بسرور رطبا وعراوينا ومطبوخا ويمتصر منه رب وخل (وحدائق غلبا) : أى بساكن قال الحسن وقتادة : غلبا نخل غلاظ كرام ، وقال ابن عباس ومجاهد كل ما التفت واجتمع وقال ابن عباس أيضا غلبا الشجر الذي يستظل به ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وحدائق غلبا) أى طوال ، وقال عكرمة غلبا أى غلاظ الأوساط . وفي رواية غلاظ الرقاب ، ألم ترى إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل والله إياه لأغلب ، رواه ابن أبي حاتم وأشهد ابن جرير للفرزدق

عوى فائأر أغلب ضيعيا فويل ابن الراجعة ما استنار

وقوله تعالى (وفاكهة وأبا) أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكهة كل ما كل رطبا والأب ما أنبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ، وفي رواية عنه هو الحشيش للبهائم وقال مجاهد وسعيد بن جبیر

وأبو مالك : الأب السكلا وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد : الأب للنعام كالفأكة لبني آدم ، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب ، وقال الضحاك كل شيء أنبتته الأرض سوى الفأكة فهو الأب
وقال ابن إدريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس . ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قال حدثنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عد ابن عباس وقال : الأب : ما أنبتت الأرض للأنعام وهذا لفظ حديث أبي كريب . وقال أبو السائب في حديثه ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام ، وقال العوفي عن ابن عباس : الأب السكلا والرعى ، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد بن زيد حدثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمي قال سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى (وفأكة وأبأ) فقال : أي سماء تظلي وأي أرض تغلي إن قلت في كتاب الله ما أعلم ، وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق رضي الله عنه . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبي عدي حدثنا حميد عن أنس قال : قرأ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية (وفأكة وأبأ) قال قد عرفنا الفأكة فما الأب ؟ فقال لعمر يا ابن الخطاب إن هذا هو التكلف فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به ، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله (فأبنتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفأكة وأبأ) وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ السَّكَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾

قال ابن عباس : الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده . قال ابن جرير لعنه اسم للنفخة في الصور وقال البغوي : الصاخة يعني صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أي تبلغ في أسماعها حتى تتكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أي يراهم ويفر منهم ويتبعهم لأن الهول عظيم والخطب جليل قال عكرمة : يلقي الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أي بعل كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت وتثنى بخير ما استطاعت فيقول لها فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبها لي لعل أنجو مما نزين فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أخوف مثل الذي تخاف . قال وإن الرجل ليلقي ابنه فيمعلق به فيقول يا بني أي والد كنت لك ؟ فيثنى بخير . فيقول له يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعل أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكني أخوف مثل الذي تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا يقول الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي حتى إن عيسى بن مريم يقول لا أسأله اليوم إلا نفسي لا أسأله مريم التي ولدته ولهذا قال تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) قال قتادة الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم . وقوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أي هو في شغل شاغل عن غيره ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العباداني عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا » قال : فقالت زوجته يا رسول الله نظروا ويرى بضاعة عورة بعض ؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » أو قال : ما أشغله عن النظر -

وقد رواه النسائي منفرداً به عن أبي داود عن عارم عن ثابت بن يزيد وهو ابن زيد الأخول البصري أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وقد رواه الترمذي عن عبد الله بن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يحسرون حفاة عراة غرلاً » فقالت امرأة أبيصر أو يرى بعضاءورة بعض ؟ قال « يا فلانة لسكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ثم قال الترمذي وهذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال النسائي أخبرني عمرو بن عثمان حدثنا بقيق حدثنا الزبيدي أخبرني الزهري عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً » فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال « لسكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » انفرد به النسائي من هذا الوجه ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، إني سألتك عن حديث فتخبرني أنت به قال « إن كان عندي منه علم » قالت يابني الله كيف يحسرون الرجال ؟ قال « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة فقالت : يا رسول الله كيف يحسرون النساء ؟ قال « كذلك حفاة عراة » قالت : واسوأناه من يوم القيامة قال « وعن أي ذلك تسألين إنه قد نزل على آية لا يضررك كان عليك ثياب أولاً يكون » قالت آية آية هي يا بني الله قال (لسكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال البغوي في تفسيره أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبي أوفى حدثنا أبي عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلاً قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » فقلت يا رسول الله واسوأناه ينظر بعضنا إلى بعض . فقال « قد شغل الناس لسكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » هذا حديث غريب من هذا الوجه جداً وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عمار الحسين بن حريث الروزي عن الفضل بن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازي عائذ بن شريح ضعيف في حديثه ضعف ، وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) أي يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أي مستبشرة (ضاحكة مستبشرة) أي مسرورة فرحة من السرور في قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة (ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قفرة) أي يعلوها وتعشاها قفرة أي سواد ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سهل بن عثمان العسكري حدثنا أبو علي محمد بن محمد بن جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « يلجم السكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم » قال فهو قوله تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) وقال ابن عباس (ترهقها قفرة) أي يعشاها سواد الوجوه وقوله تعالى (أولئك هم السكفرة الفجرة) أي السكفرة قلوبهم الفجرة في أعمالهم كما قال تعالى (ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) . آخر تفسير سورة عبس والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة التكويد وهي مكية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبد الله بن بجير القاص أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعاني أخبره أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ (إذا الشمس كورت) و (إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت) وهكذا رواه الترمذي عن العباس بن عبيد العظيم العنبري عن عبد الرزاق به

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُتِّتْ * بَأْى ذَنْبٍ ﴾

قِيلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِرَتْ ﴿١﴾

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) يعني أظلمت وقال العوفي عنه : ذهبت وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خيثم كورت يعني رمى بها وقال أبو صالح كورت ألقيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع في الأرض قال ابن جرير والصواب من القول عندنا في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض فمعنى قوله تعالى (كورت) جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها وإذا فعل بهاذلك ذهب ضوءها وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودي حدثنا أبو أسامة عن مجاهد عن شيخ من بحيلة عن ابن عباس إذا الشمس كورت قال يكون الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ويبعث الله ريحا دهورا فتضرمها نارا وكذا قال عامر الشعبي ، ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال في قول الله (إذا الشمس كورت) قال « كور - في جهنم » ، وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حبان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد الرقاشي حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الشمس والقمر ثوران عقيران في النار » هذا حديث ضعيف لأن يزيد الرقاشي ضعيف ، والذي رواه البخاري في الصحيح بدون هذه الزيادة ثم قال البخاري حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز ابن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » انفرد به البخاري وهذا لفظه وإنما أخرجه في كتاب بدء الخلق وكان جديرا أن يذكره ههنا أو يكرره كما هي عادته في أمثاله وقد رواه البزار فوجود إيراده فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادي حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسري في هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبا ؟ فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول أحسبه قال وما ذنبا ثم قال لا يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبي سلمة سوى هذا الحديث وقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) أي انثرت كما قال تعالى (وإذا الكواكب انثرت) وأصل الانكدار الانصباب . قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فيبينهم كذلك إذ تنثرت النجوم فيبينهم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتركت واضطربت واختلطت ففرغت الجن إلى الإنس والانس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطيور والوحوش فمأجوا بعضهم في بعض (وإذا الوحوش حشرت) قال اختلطت (وإذا العشار عطلت) قال أهملها أهملها (وإذا البحار موجت) قال: قالت الجن نحن نأتيكم بالحسبر قال فانطلقوا إلى البحر فاذا هونار تتأجج ، قال فيبينهم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فيبينهم كذلك إذ جاءتهم الرياح فأماتهم . رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبي حاتم ببعضه وهكذا قال مجاهد والربيع بن خيثم والحسن البصري وأبو صالح وحماد بن أبي سليمان والضحاك في قوله جل وعلا (وإذا النجوم انكدرت) أي تنثرت ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإذا النجوم انكدرت) أي تغيرت . وقال يزيد بن أبي مريم عن النبي صلى الله عليه وسلم (وإذا النجوم انكدرت) قال « انكدرت في جهنم وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا أن يعبداه لخلها » رواه ابن أبي حاتم بالاسناد المتقدم ، وقوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) أي زالت عن أماكنها وانسفت فتركت الأرض قاعا صافصفا وقوله (وإذا العشار عطلت) قال عكرمة ومجاهد : عشار الإبل ، قال مجاهد :

عطلت تركت وسيمت وقال أبي بن كعب والضحاك أهلها أهلها وقال الربيع بن خيثم لم تحلب ولم تصر تحلب منها أربابها وقال الضحاك تركت لاراعى لها والمعنى في هذا كله متقارب ، والقصود أن العشار من الإبل وهي خيارها والحوامل منها التي قد وصلت في حملها إلى الشهر العاشر - وأحدثها عشاء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قد اشتغل الناس عنها وعن كفالها والاشتغال بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل وهو أمر يوم القيامة وانعتاد أساليبها ووقوع مقدماتها وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لا سبيل لهم إليها ، وقد قيل في العشار إنها السحاب تعطل عن السير بين السماء والأرض لحراب الدنيا وقيل إنها الأرض التي تفسر ، وقيل إنها الديار التي كانت تسكن تعطلت لنهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الإمام أبو عبد الله القرطبي في كتابه التذكرة ورجح أنها الإبل وعزاه إلى أكثر الناس (قلت) لا يعرف عن السلف والأئمة سواه والله أعلم وقوله تعالى (وإذا الوحوش حشرت) أي جمعت كما قال تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أعمالكم فاfrطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن عباس يحشر كل شيء حتى الباب رواه ابن أبي حاتم وكذا قال الربيع بن خيثم والسدي وغير واحد ، وكذا قال قتادة في تفسير هذه الآية إن هذه الخلائق موافقة فيبقى الله ما فيها ما يشاء ، وقال عكرمة حشرها موتها وقال ابن جرير حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وإذا الوحوش حشرت) قال حشر الهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فانهما يوقفان يوم القيامة حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبي يعلى عن الربيع بن خيثم (وإذا الوحوش حشرت) قال أتى عليها أمر الله ، قال سفيان قال أبي فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبي بن كعب أنه قال (وإذا الوحوش حشرت) اختلطت قال ابن جرير والأولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى (والطير محشورة) أي مجموعة ، وقوله تعالى (وإذا البحار سجرت) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال : قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم ؟ قال البحر فقال ما أراه إلا صادقا والبحر المسجور (وإذا البحار سجرت) وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير نارا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى (والبحر المسجور) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو طاهر حدثني عبد الجبار بن سليمان أبو سليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال إن هذا البحر بركة - يعني بحر الروم - وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فإذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب وفي سنن أبي داود « لا يركب البحر إلا حجاج أو معتمر أو غاز فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا » الحديث وقد تقدم الكلام عليه في سورة فاطر . وقال مجاهد والحسن بن مسلم : سجت أوقدت وقال الحسن : يبست وقال الضحاك وقتادة : غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة ، وقال الضحاك أيضا سجت فجرت ، وقال السدي فتحت وصيرت ، وقال الربيع بن خيثم سجت فاضت ، وقوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أي جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن الصباح البرازي حدثنا الوليد بن أبي ثور عن سفيان عن الثعلبي بن بشير أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (وإذا النفوس زوجت) - قال - الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » وذلك بأن الله عز وجل يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون) قال هم الضرباء ، ثم رواه ابن أبي حاتم من طرق أخر عن سفيان بن حرب عن الثعلبي بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرا (وإذا النفوس زوجت) فقال تزوجها أن تؤلف كل شعبة إلى شيعتهم ، وفي رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار وفي رواية عن الثعلبي قال سئل عمر عن قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار فذلك تزويج الأنفس . وفي رواية عن الثعلبي

أن عمر قال للناس : ما تقولون في تفسير هذه الآية (وإذا النفوس زوجت) ؟ فسكتوا . قال ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثاً وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد (وإذا النفوس زوجت) قال الأمثال من الناس جمع بينهم ؛ وكذا قال الربيع بن خيثم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح .

(قول آخر) في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجعيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن سرار عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : يسئل وادم من أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعون عاماً فينبت منه كل خاق بلى من الإنسان أو طير أو دابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الأرض قيد نبوتهم ثم توسل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله تعالى (وإذا النفوس زوجت) وكذا قال أبو العالية وعكرمة ومعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري أيضاً في قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أي زوجت بالأبدان . وقيل زوج المؤمنون بالحوار العين وزوج الكافرون بالشیاطين . حكاه القهطبي في التذكرة وقوله تعالى (وإذا اللوءودة سئلت * بأي ذنب قتلت) هكذا قراءة الجمهور سئلت . واللوءودة هي التي كان أهل الجاهلية يدسونها في التراب كراهية النبات ، فيوم القيامة تسئل اللوءودة على أي ذنب قتلت ليكون ذلك تهديداً لقاتلها فإنه إذا سئل المظالم فما ظن الظالم إذا أوقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس (وإذا اللوءودة سئلت) أي سألت . وكذا قال أبو الضحى سألت أي طالبت بدمها . وعن السدي وقتادة مثله . وقد وردت أحاديث تتعلق باللوءودة فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني أبو الأسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جذاعة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس وهو يقول « لقد هممت أن أنهي عن القيلة فنظرت في الروم وفارس فاذا هم يغيرون أولادهم ولا يضر أولادهم ذلك شيئاً » ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك الواد الحفي وهو اللوءودة سئلت » ورواه مسلم من حديث أبي عبد الرحمن المقرئ وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبي أيوب . ورواه أيضاً ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يحيى بن إسحاق السيلحي عن يحيى بن أيوب ، ورواه مسلم أيضاً وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك بن أنس ثلاثتهم عن أبي الأسود به .

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفي قال : انطلقت أنا وأخي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل ، هلكت في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً ؟ قال « لا » قلنا فاتها كانت وأدت أختنا لنا في الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئاً ؟ قال « الوائدة واللوءودة في النار إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها » ورواه النسائي من حديث داود بن أبي هند به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن علقمة وأبي الأحوص عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوائدة واللوءودة في النار » وقال أحمد أيضاً : حدثنا إسحاق الأزرق أخبرنا عوف حدثني خنساء ابنة معاوية الصريمية عن عمها قال : قلت يا رسول الله من في الجنة ؟ قال « النبي في الجنة والشهيد في الجنة والمولود في الجنة واللوءودة في الجنة »

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول : قيل يا رسول الله من في الجنة ؟ قال « اللوءودة في الجنة » هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله . وقال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحسين بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس أطفال المشركين في الجنة فمن زعم أنهم في النار فقد كذب يقول الله تعالى (وإذا اللوءودة سئلت * بأي ذنب قتلت) قال ابن عباس هي المدفونة . وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سمالك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب في قوله تعالى (وإذا

(المودة سثلث) قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى وأدت بنات لى فى الجاهلية قال «أعتق عن كل واحدة منهم رقبة» قال يا رسول الله انى صاحب إبل قال «فانحر عن كل واحدة منهم بدنة» قال الحافظ أبو بكر البراقونى فيه عبد الرزاق ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدي عنه ، وقدرناه ابن أبى حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الظهري فيما كتب إلى قال حدثنا عبد الرزاق فذكره بأسناده مثله ، إلا أنه قال: وأدت ثمان بنات لى فى الجاهلية وقال فى آخره «فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة» ثم قال حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انى وأدت اثنتى عشرة ابنة لى فى الجاهلية أو ثلاث عشرة قال «أعتق عددن نسما» قال فأعتق عددن نسما ، فلما كان فى العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يا رسول الله هذه صدقة قومي على أثر ما صنعت بالمسلمين قال على ابن أبى طالب فكنا نريها ونسميها القيسية ، وقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الضحاك أعطى كل إنسان صحيفته يومئذ أو بشماله وقال قتادة يا ابن آدم تملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا تملى فى صحيفته وقوله تعالى (وإذا السماء كسطط) قال مجاهد اجتذبت وقال السدى كشفت وقال الضحاك تنكشف فتذهب . وقوله تعالى (وإذا الجحيم سعرت) قال السدى أجمت وقال قتادة أوقدت قال وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بني آدم . وقوله تعالى (وإذا الجنة أزلقت) قال الضحاك وأبو مالك وقتادة والربيع بن خيثم أى قربت إلى أهلها ، وقوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) هذا هو الجواب أى إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى (يوم تجرد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) وقال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما نزلت (إذا الشمس كورت) قال عمر لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أجرى الحديث .

(فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ * الْجَوَارِ الْكُنَسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ تَقْوُلُ رَسُولِ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ * وَقَدْ رَءَاهُ بِالْأَفْقِ الْأَمِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)

روى مسلم فى صحيحه والنسائي فى تفسيره عند هذه الآية من حديث مسعر بن كدام عن الوليد بن سريع عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبي صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعته يقرأ (فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ * الْجَوَارِ الْكُنَسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ) ورواه النسائي عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبى الأسود عن عمرو بن حريث به نحوه قال ابن أبى حاتم وابن جرير من طريق الثوري عن أبى إسحاق عن رجل من مراد عن على (فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ ، الْجَوَارِ الْكُنَسِ) قال هى النجوم تخمس بالنهار وتظهر بالليل وقال ابن جرير حدثنا ابن المنذر حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت خالد بن عرعة سمعت علياً ومثلاً عن لاقسم بالخمس الجوار الكنس فقال هى النجوم تخمس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن خالد عن على قال هى النجوم وهذا إسناد جيد صحيح الى خالد بن عرعة وهو السهمى الكوفى قال أبو حاتم الرازى روى عن على وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيباني ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً فإله أعلم ، وروى يونس عن أبى إسحاق عن الحارث عن على أنها النجوم رواه ابن أبى حاتم وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة

والسدى وغيرهم أنها النجوم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوزة بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبد الله في قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) قال هي النجوم الدرازي التي تجري تستقبل المشرق وقال بعض الأئمة إنما قيل للنجوم الخنس أي في حال طلوعها ثم هي جوار في فلكها وفي حال غيوبها يقال لها كنس من قول العرب أي الظبي إلى كناسه إذا تعيب فيه وقال الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبد الله فلا أقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثوري عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عن عبد الله فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ما هي يا عمرو ؟ قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبي إسحاق عن أبيه وقال أبو داود الطيالسي عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس إلى الظل وكذا قال سعيد بن جبيرة ، وقال العوفي عن ابن عباس هي الظباء وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هي الظباء والبقر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) فقال إبراهيم لمجاهد قل فيها ما سمعت ، قال : فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون إنها النجوم قال فقال إبراهيم قل فيها ما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس في حجرتها ، قال فقال إبراهيم إنهم يكذبون على هذا كادوا عن علي أنه ضمن الأسفل الأعلى والأعلى الأسفل ، وتوقف ابن جرير في المراد بقوله (الخنس الجوار الكنس) هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مرادا ، وقوله تعالى (والليل إذا عسعس) فيه قولان (أحدهما) إقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبيرة إذا نشأ ، وقال الحسن البصري إذا غشى الناس ، وكذا قال عطية العوفي وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس (إذا عسعس) إذا أدبر ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (إذا عسعس) أي إذا ذهب فتولى وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري سمع أبا عبد الرحمن السلمي قال : خرج علينا على رضى الله عنه حين ثوب للثوب بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) ؟ هذا حين أدبر حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أدبر قال لقوله (والصبح إذا تنفس) أي أضاء واشتد به قول الشاعر أيضا : حتى إذا الصبح له تنفسا وانحجب عنها ليلها وعسعسا أي أدبر وعندى أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أقبل وإن كان يصح استعماله في الإدبار أيضا لكن الإقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضياؤه إذا أشرق كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (والضحى والليل إذا سجى) وقال تعالى (فائق الإصباح وجمل الليل سكنا) وغير ذلك من الآيات ، وقال كثير من علماء الأصول إن لفظة عسعس تستعمل في الإقبال والإدبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما والله أعلم . قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء كان أبو البلاد النجوى يشد نيتا : عسعس حتى لو يشأ أدنى كان له من ضوئه مقبس

يريد لو يشاء إذ دنا أدغم الدال في الدال ؟ قال الفراء وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع . وقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) قال الضحاك إذا طلع ، وقال قتادة إذا أضاء وأقبل . وقال سعيد بن جبيرة إذا نشأ وهو الروى عن علي رضى الله عنه . وقال ابن جرير يعني ضوء النهار إذا أقبل وتبين . وقوله تعالى (إنه لقول رسول كريم) يعني إن هذا القرآن لتبلغ رسول كريم أي ملك شريف حسن الخلق بهي النظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبي وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم (ذى قوة) كقوله تعالى (عليه شديد القوى * ذو مرة) أي شديد الخلق شديد البطش والعمل (عند ذى العرش مكين) أي له مكانة عند الله عز وجل ومترلة رفيعة ، قال أبو صالح في قوله تعالى (عند ذى العرش مكين) قال جبريل يدخل في سبعين حجبا من نور فيرئذ (مطاع ثم) أي له وجهة وهو مسموع القول مطاع في الملأ الأعلى قال قتادة (مطاع ثم) أي في السموات يعني ليس هو من أفناء الملائكة بل هو من السادة والأشراف معني به انتخاب لخدمته الرسالة العظيمة

وقوله تعالى (أمين) صفة لجبريل بالأمانة وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يركي عبده ورسوله الملك جبريل كما ركي عبده ورسوله البشري محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وما صاحبكم بمجنون) قال الشعبي وميمون ابن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله (وما صاحبكم بمجنون) يعني محمدا ﷺ ، وقوله تعالى (ولقد رآه بالأفق المبين) يعني ولقد رأى محمد جبريل الذي يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التي خلقه الله عليها له متانة جناح (بالأفق المبين) أي البين وهي الرؤية الأولى التي كانت بالبطحاء وهي المذكورة في قوله (علمه شديد القوى . ذومرمة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى) كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهي الأولى ، وأما الثانية وهي المذكورة في قوله تعالى (ولقد رآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ ينشئ السدرة ما يشئ) فذلك إنما ذكر في سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء . وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) أي وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين أي بجهل . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أي ببخيل بل يبدله لكل أحد . قال سفيان بن عيينة ظنين وضنين سواء أي ماهو بكاذب وما هو بفاجر . والظنين اللهم والضنين البخيل . وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراد ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد ﴿قلت﴾ وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم ، وقوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم) أي وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم أي لا يقدر على حمله ولا يريده ولا ينبغي له كما قال تعالى (وما تنزل به الشياطين . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) ، وقوله تعالى (فأين تذهبون ؟) أي فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضي الله عنه لو فدني حنيفة حين قدموا مسلمين وأمرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلة الكذاب الذي هو في غاية المذيان والركاكة فقال : ويحك أين تذهب عقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل ، أي من إله ، وقال قتادة (فأين تذهبون) أي عن كتاب الله وعن طاعته

وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون (لمن شاء منكم أن يستقيم) أي من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فإنه مناجاة له وهداية ، ولا هداية فيها سواه (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أي ليست المشيئة موكولة إليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين . قال سفيان الثوري عن سعيد بن عبد العزيز عن سلمان بن موسى لما نزلت هذه الآية (لمن شاء منكم أن يستقيم) قال أبو جهل : الأمر الينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) . آخر تفسير سورة التكويد لله الحمد والمنة .

﴿تفسير سورة الأنفطار وهي مكية﴾

قال النسائي أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال : قام معاذ ف صلى العشاء الآخرة فطول فقال النبي ﷺ «أفتان أنت يا معاذ ؟ أين كنت عن سبع اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انشطرت ؟» وأصل الحديث مخرج في الصحيحين ولكن ذكر (إذا السماء انشطرت) في أفراد النسائي . وقد تقدم من رواية عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال «من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انشطرت ، وإذا السماء انشقت»

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ *

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّنِّ * وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كَرَامًا كَتِيبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾

يقول تعالى (إذا السماء انفطرت) أي انشقت كما قال تعالى (السماء منفطر به) (وإذا السكواكب انتثرت) أي تساقطت (وإذا البحار فجرت) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فجر الله بعضهما في بعض وقال الحسن فجر الله بعضهما في بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة اختلط عندها بما لحها .

وقال السكابي ملئت (وإذا القبور بعثت) قال ابن عباس بحثت ، وقال السدي تبعثر تحرك فيخرج من فيها (علمت نفس ما قدمت وأخرت) أي إذا كان هناك حصل هذا ، وقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟) هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى في هذه الآية ما غرك يا ابن آدم بربك الكريم أي العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق . كما جاء في الحديث «يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرك بي ؟ يا ابن آدم ماذا أحببت المرسلين ؟»

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان أن عمر سمع رجلاً يقرأ (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) فقال عمر : الجهل . وقال أيضاً حدثنا عمر بن شبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) قال ابن عمر غره والله جهله قال وروى عن ابن عباس والربيع بن خيثم والحسن مثل ذلك . وقال قتادة (ما غرك بربك الكريم) شيء ، ما غرا ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال الفضيل ابن عياض لو قال لي ما غرك بي لقات ستورك المرخاة ، وقال أبو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم . وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون منائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الإجابة وهذا الذي تخيله هذا القائل ليس بباطل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغي أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور . وقد حكى البغوي عن السكابي ومقاتل أنهما قالوا نزلت هذه الآية في الأسود بن شريق ضرب النبي ﷺ ولم يساقب في الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى (ما غرك بربك الكريم ؟)

وقوله تعالى (الذي خلقتك فسواك فعدلك) أي جعلك سويًا مستقيمًا معتدل القامة منتصبها في أحسن الهيئات والأشكال ، قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا جرير حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جبراش القرشي أن رسول الله ﷺ بقى يوماً في كفة فوضع عليها أصبعه ثم قال «قال الله عز وجل : يا ابن آدم أتى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أصدق وأنى أوأن الصدقة ؟» وكذا رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان به قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) قال مجاهد في أي شبه أب أوأم أو خال أو عم . وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان الفزاري حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى بن علي بن رباح حدثني أبي عن جدي أن النبي ﷺ قال له «ما ولد لك» قال يا رسول الله ما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية . قال «فمن يشبه» قال يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه فقال النبي ﷺ عندها «مه لا تقولان هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ؟ أم أقرأت هذه الآية في كتاب الله تعالى في أي صورة ما شاء ركبك» قال شكاك

وهكذا رواه ابن أبي حاتم والطبراني من حديث مطهر بن الهيثم به وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا في هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث وقال ابن حبان :

يروى عن موسى بن علي وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات ولكن في الصحيحين عن أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إن امرأتى ولدت غلاما أسود ، قال « هل لك من إبل ؟ » قال نعم ، قال « فما ألوانها » قال حمر . قال « فهل فيها من أورك » قال نعم ، قال « فأني أراها ذلك » قال عسى أن يكون نزع عرق قال « وهذا عسى أن يكون نزع عرق » وقد قال عكرمة في قوله تعالى (في أي صورة ما شاء ركبك) إن شاء في صورة قرد وإن شاء في صورة خنزير ، وكذا قال أبو صالح (في أي صورة ما شاء ركبك) إن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة سمور وإن شاء في صورة خنزير وقال قتادة (في أي صورة ما شاء ركبك) قال قادر والله ربنا على ذلك ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلفه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن للنظر والهيئة . وقوله تعالى (كلا بل تكذبون بالدين) أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب ، وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون) يعني وإن عليكم ملائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقابض فانهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا وكيع حدثنا مكيان ومسرور عن علقمة ابن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا الكرام السكاكين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببيعه أو ليسرته أخوه » . وقد رواه الحافظ أبو بكر البرار فوصله باللفظ . آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمة بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ينهاكم عن التعري فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام السكاكين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل فإذا اغتسل أحدكم بالبراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببيعه » ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه . وقال الحافظ أبو بكر البرار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا ميسرة بن إسماعيل الحلي حدثنا تمام بن نجيع عن الحسن بن علي البصري عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا في يوم فيرى في أول الصحيفة وفي آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة » ثم قال تفرد به تمام بن نجيع وهو صالح الحديث . قالت وثقه ابن معين وضعفه البخاري وأبو زرعة وابن أبي حاتم والنسائي وابن عدي ورماء ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد لا أعرف حقيقة أمره . وقال الحافظ أبو بكر البرار حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالفاووسي حدثنا بيان بن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله ملائكة يعرفون بني آدم . أحسبه قال يعرفون أعمالهم . فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان . نجا الليلة فلان وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان » ثم قال البرار : سلام هذا ، أحسبه سلام المدائني وهو لين الحديث

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا * وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصي وقد روى ابن عساكر في ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبي إسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء » ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب اللقيم ولهذا قال (يصلونها يوم الدين) أي يوم الحساب والجزاء والقيامة (وما هم عنها بغائبين) أي

لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوما واحدا ، وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكد به بقوله تعالى (ثم ما أدراك ما يوم الدين) ثم فسره بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أى لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ونذكر ههنا حديث « يابى هاشم أنشدوا أنفسهم من النار لا أملك لكم من الله شيئا » وقد تقدم فى آخر تفسير سورة الشعراء ولهذا قال (والأمر يومئذ لله) كقوله (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق الرحمن) وكقوله (مالك يوم الدين) قال قتادة (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) والأمر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد . آخر تفسير سورة الانطار والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة المطففين وهى مدنية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ *

أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ *

قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاذ ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالوا : حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبى عن يزيد وهو ابن أبى سعيد النحوى مولى قرش عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحبب الناس كيلا فأنزل الله تعالى (ويل للمطففين) فحسبوا السكيل بعد ذلك . وقال ابن أبى حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن هلال بن طلق قال بينما أنا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة وأوقاهم كيلا أهل مكة وأهل المدينة قال حق لهم أما سمعت الله تعالى يقول (ويل للمطففين) وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله السكتب عن رجل عن عبد الله قال : قال له رجل يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون السكيل قال وما يمنعهم أن يوفوا السكيل وقد قال الله تعالى (ويل للمطففين - حتى بلغ - يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمراد بالتطفيف ههنا البخس فى السكيل والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس) أى من الناس (يستوفون) أى يأخذون حقهم بالوفاء والرائد (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أى ينقصون ، والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعبدا ويكون هم فى محل نصب ، ومنهم من يجعلهم ضمير ماؤ كدال المستتر فى قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لئلا يكثر الكلام عليه وكلاهما متقارب . وقد أمر الله تعالى بالوفاء فى السكيل والميزان فقال تعالى (وأوفوا السكيل إذا كالهم ووزنوا بالقسط المستقيم) ذلك خير وأحسن تأويلا وقال تعالى (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط لا تنكفوا نفسا إلا وسعها) وقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس فى الميزان والسكيل . ثم قال تعالى فتوعدهم لهم (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) ليوم عظيم ؟ أى ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر فى يوم عظيم الهول كثير القزع جليل الخطب من خسرفه أدخل نارا حامية ؟ وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أى يقومون حفاة عراة غرلا فى موقف صعب خرج ضيق ضحك على المجرم وبغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه

قال الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحته إلى أنصاف أذنيه » رواه البخارى من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا ، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمرو ومحمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر به ولفظ الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن إسحاق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوم يقوم الناس لرب العالمين لمظلة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إن العرق ليجمع الرجال إلى أنصاف

أداهم (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني مسلم بن عامر حدثني المقداد يعني ابن الأسود السكندی قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين - قال - فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما » رواه مسلم عن الحكم بن موسى عن يحيى بن حمزة والترمذي عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد في حرها كذا وكذا ، تعلو منها الدوام كما تعلو القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ إلى كعبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » انفرد به أحمد

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة عن بن يؤمن أنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الحاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا - ومنهم من يغطي عرقه » وضرب بيده إشارة ، انفرد به أحمد ، وفي حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يكلمون ، وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم في مقدار عشرة آلاف سنة كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو عون الزبدي أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد المدني عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كيف أت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة أرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيه بأمر ؟ » قال بشير : السمعان الله ، قال « فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به . وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة . وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعي رؤوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم ، وعن ابن عمر : يقومون مائة سنة رواها ابن جرير . وفي سنن أبي داود والنسائي وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرا ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ويستغفر عشرا ويقول « اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني » ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة

﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيُّومَ الَّذِينَ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُنْفَخَتِ الصُّورُ * إِذْ يَأْتِي الشُّرَكَاءَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَكْتُمُ * أَلَّا يَكْفُلُ الْوَيْلَ لِلْمُكَذِّبِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

يقول تعالى حقا (إن كتاب الفجار لفي سجين) أي إن مصيرهم وأوأهم لفي سجين فعيل من السجن وهو الذيق كما يقال فسيق وشريب وخير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى (وما أدراك ما سجين ؟) أي هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ، ثم قد قال قائلون : هي تحت الأرض السابعة ، وقد تقدم في حديث البراء بن عازب في حديثه

الطويل : يقول الله عز وجل في روح الكافرا كتبوا كتابه في سبعين. وسبعين هي تحت الأرض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء ، وقيل بر في جهنم ، وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصح فقال : حدثنا إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الواسطي عن شعيب ابن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الفلق جب في جهنم مغطى وأما سبعين ففتوح » والصحيح أن سبعينا مأخوذ من السجن وهو الضيق فإن الخلوقات كل ما تسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع فإن الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذي دونه وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التي دونها حتى ينتهي السفل الطلق والمحلل الأضيئ إلى المركز في وسط الأرض السابعة ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهي أسفل السافلين كما قال تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال ههنا (كلا إن كتاب الفجار لفي سبعين وما أدراك ما سبعين) وهو يجمع الضيق والسفل كما قال تعالى (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لقوله (وما أدراك ما سبعين) وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير إلى سبعين أي مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزداد فيه أحد ولا ينقص منه أحد . قاله محمد بن كعب القرظي ثم قال تعالى (ويل يومئذ للسكدين) أي إذا صاروا يوم القيامة إلى ما أوعدهم الله من السجن والعذاب اللعين ، وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن إعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء في المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له » ثم قال تعالى مفسرا للسكدين الفجار الكفرة (الذين يكذبون بيوم الدين) أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره ، قال الله تعالى (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والأثيم في أقواله إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر ، وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أي إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل كما قال تعالى (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) وقال تعالى (وقالوا أساطير الأولين ان كتبها فهي تعلى عليه بكرة وأصيلا) قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أي ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووجهه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذي قد لبس قلوبهم من كثرة اللذات والخطايا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) والرين يعترى قلوب الكافرين والغيم للأبرار والغين للتقربين وقد روى ابن جرير والترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق عن محمد بن عجلان عن القمقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب صقل قلبه وإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) » وقال الترمذي مسن صحيح ولفظ النسائي « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعاق قلبه فهو الران الذي قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وقال أحمد حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا ابن عجلان عن القمقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعاق قلبه وذلك الران الذي ذكر الله في القرآن (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . وقال الحسن البصري هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد بن جبر وقتادة وابن زيد وغيرهم . وقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أي لهم يوم القيامة منزل ونزل سبعين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم ، قال الإمام أبو عبد الله الشافعي وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل

يومئذ وهذا الذي قاله الإمام الشافعي رحمه الله في غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية . كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل في الدار الآخرة رؤية بالأبصار في عرصات القيامة وفي روضات الجنان الفاخرة . وقد قال ابن جرير حدثنا أبو معمر المقرئ حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن في قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ المحجوبون) قال يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر إليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلما هذا معناه ، وقوله تعالى (ثم إنهم لصالوا الجحيم) أي ثم هم مع هذا الحرمان من رؤية الرحمن من أهل النيران (ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون) أي يقال لهم ذلك على وجه التقرير والتوبيخ والتصغير والتحقيق

(كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّنْ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَمُهُمْ مِنْ مَسْكٍ * فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِنْ آجِهِمْ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ)

يقول تعالى حقا إن كتاب الأبرار لهم بخلاف الفجار لفي عليين أي مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين . قال الأعمش عن شهر بن عتيبة عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين قال هي الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار ، وسأله عن عليين فقال هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غيره واحد إنها السماء السابعة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين) يعني الجنة . وفي رواية العوفي عنه أجمعهم في السماء عند الله وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة عليون ساق العرش المني ، وقال غيره عليون عند مدرة النبي والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو ، وكما علا الشيء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفخما شأنه (وما أدراك ما عليون) ثم قال تعالى مؤكدا لما كتب لهم (كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهم الملائكة قاله قتادة ، وقال العوفي عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها . ثم قال تعالى (إن الأبرار لفي نعيم) أي يوم القيامة هم في نعيم مقيم وجنات فيها فضل عظيم (على الأرائك) وهي السرر تحت الجبال ينظرون قيل معناه ينظرون في ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذي لا ينقضي ولا يبئد وقيل معناه (على الأرائك) ينظرون إلى الله عز وجل ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ المحجوبون) فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سررهم وفرشهم كما تقدم في حديث ابن عمر « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عز وجل في اليوم مرتين » وقوله تعالى (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي تعرف إذا نظرت إليهم في وجوههم نضرة النعيم أي صفوة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم . وقوله تعالى (يسقون من رحيق مختوم) أي يسقون من خمر من الجنة والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقاتادة وابن زيد قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبي الحاضر الطائي عن عطية بن سعد العوفي عن أبي سعيد الخدري أراه قد رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال « أيامؤمن سقي مؤمنا شربة ماء على ظمأ سقاها الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة » وقال ابن مسعود في قوله (ختامهم مسك) أي خلطهم مسك ، وقال العوفي عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر فكان آخر شيء جعل فيها مسك ختم مسك ، وكذا قال قتادة والضحاك ، وقال إبراهيم والحسن ختامه مسك أي عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن أبي

الرداء (ختامه مسك) قال شراب أبيض مثل الفضة يهتمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجهما لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها وقال ابن أبي حبيش عن مجاهد (ختامه مسك) قال طيبه مسك ، وقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أى وفي مثل هذا الحال فليتنافس المتنافسون وليتباهى ويكاثروا يستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) ، وقوله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أى ومزاج هذا الرحيق الوصف من تسنيم أى من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه ، قاله أبو صالح والضحاك ولهذا قال (عينا يشرب بها المقربون) أى يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَسَكِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ * وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَفَظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أى يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أى يحتقرين لهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فسكين) أى وإذا انقلب أى رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فأكفين أى مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا باليوم المؤمنين يهتقرونهم ويحتقرونهم (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أى لكونهم على غير دينهم قال الله تعالى (وما أرسلاو عليهم حافظين) أى وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدرونهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كفواهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالى (اخشعوا فيها ولا تكلمون) * إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آتنا فاعفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكرى وكنتم منهم تضحكون إني حزتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) ولهذا قال ههنا (فالיום) يعنى يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أى فى مقابلة ما ضحك بهم أولئك (على الأرائك ينظرون) أى إلى الله عز وجل فى مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم فى داركرامته وقوله تعالى (هل توب الكفار ما كانوا يفعلون ؟) أى هل جوزى الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا ، يعنى قد جوزوا أو فر الجزاء وأتمه وأكمله . آخر تفسير سورة المطففين ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الانشقاق وهى مكية ﴾

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم (إذا السماء انشقت) فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها رواء مسلم والنسائي من طريق مالك به . وقال البخارى حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم عليه السلام فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمي عن بكر عن أبي رافع فذكره وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طريق عن سليمان بن طرخان التيمي به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة زاد النسائي ومفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا السماء انشقت) و (اقرأ باسم ربك الذى خلق)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ ﴾

لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ *
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ
يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ
بِهِ بَصِيرًا ﴿١٠﴾

يقول تعالى (إذا السماء انشقت) وذلك يوم القيامة (وأذنت لربها) أي استجعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها
به من الإنشاق وذلك يوم القيامة (وحقت) أي وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يعالج بل
قد قهر كل شيء وذلك له كل شيء ثم قال (وإذا الأرض مدت) أي بسطت وفرشت ووسعت
قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال « إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون
أول من يدعى وجبريل عن عيسى الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يا رب إن هذا أخبرني أنك أرسلته إلي فيقول الله
عز وجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض - قال - وهو المقام الحمود . وقوله تعالى
(وألق ما فيها) وتخلت أي ألق ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة (وأذنت لربها) وحقت
كما تقدم . وقوله (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا) أي إنك ساع إلى ربك سعيا وعامل عملا (فملاقية)
ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر . ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسي عن الحسن بن أبي جعفر عن أبي الزبير
عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « قال جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت ، وأحبب ما شئت فانك
مفارقة . واعمل ما شئت فانك ملاقيه » ومن الناس من يعيد الضمير على قوله ربك أي فلاق ربك ومعناه فيجازيك
بعمالك ويكلفك على سعيك ، وعلى هذا فكل القولين متلازم قال العوفي عن ابن عباس (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى
ربك كدحًا) يقول تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا . وقال قتادة (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحًا)
إن كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله . ثم قال تعالى (فأما من
أوتي كتابه يمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) أي سهلا بلا تفسير أي لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فان من حوسب
كذلك هلك لا محالة . وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب عن عبد الله بن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها
قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب » قالت فقلت : أفليس قال الله تعالى (فسوف
يحاسب حسابا يسيرا) قال « ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » وهكذا
رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير من حديث أيوب السخيتاني به

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي
الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبا » فقلت أليس الله يقول
(فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) قال « ذاك العرض إنه من نوقش الحساب عذب » وقال بيده على إصبعه كأنه يكت
وقد رواه أيضا عن عمرو بن علي عن ابن أبي عدي عن أبي يونس القشيري عن ابن أبي مليكة عن القاسم عن عائشة
فذكر الحديث أخرجه من طريق أبي يونس القشيري واسمه حاتم بن أبي صغيرة به قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن علي الجهضمي
حدثنا مسلم عن الجريش بن الحرث أخى الزبير عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب أو من حوسب
عذب . قال ثم قالت إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراه وقال أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا محمد بن إسحاق
حدثني عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ

عليه وسلم يقول في بعض صلواته « اللهم حاسبني حسابا يسيرا » فلما أنصرف قالت يارَسُولَ اللَّهِ ما الحاسب اليسير ؟ قال « أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه إنه من نوقض الحساب بإعاشة يومئذ هلك » صحيح على شرط مسلم ، وقوله تعالى (وينقلب إلى أهله مسرورا) أي ويرجع إلى أهله في الجنة ، قاله قتادة والضحاك : مسرورا أي فرحا معتظيا بما أعطاه الله عز وجل . وقد روى الطبراني عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال إنكم تعملون أعمالا لا تعرف ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله مسرورا أو مكظوم ، وقوله تعالى (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) أي بشماله من وراء ظهره ثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك (فسوف يدعو ثورا) أي خسارا وهلاكا (ويصلى سعيра) إنه كان في أهله مسرورا) أي فرحا لا يفكر في العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل (إنه ظن أن لن يمحر) أي كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يبعده بموته قاله ابن عباس وقاتدة وغيرهما ، والحر هو الرجوع قال الله (بلى إن ربه كان به بصيرا) يعني بلى سعيده الله كما بدأه ويحازيه على أعماله خيرا وشرها فإنه كان به بصيرا أي علما خيرا

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

روى عن علي وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد بن علي بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزني وبكير بن الأشج ومالك وابن أبي ذئب وعبد العزيز بن أبي سلمة اللجشون أنهم قالوا الشفق الحمرة وقال عبد الرزاق عن معمر بن خثيم عن ابن لبيبة عن أبي هريرة قال الشفق البياض ، فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة . قال الحليل بن أحمد : الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة فإذا ذهب قيل غاب الشفق . وقال الجوهري : الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها في أول الليل إلى قريب من العتمة وكذا قال عكرمة الشفق الذي يكون بين المغرب والعشاء وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « وقت المغرب مالم يغيب الشفق » ففي هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهري والحليل . ولكن صح عن مجاهد أنه قال في هذه الآية (فلا أقسم بالشفق) هو النهار كله وفي رواية عنه أيضا أنه قال الشفق الشمس رواها ابن أبي حاتم ، وأما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى (والليل وما وسق) أي جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مديرا وبالليل مقبلا . وقال ابن جرير : وقال آخرون الشفق اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الأضداد . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقاتدة (وما وسق) وما جمع قال قتادة وما جمع من نجم وذابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر :

* مستوسقات لو يجدن سائقا *

قد قال عكرمة (والليل وما وسق) يقول مساق من ظامة إذا كان الليل ذهب كل شيء إلى مأواه ، وقوله تعالى (والقمر إذا اتسق) قال ابن عباس إذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد (والقمر إذا اتسق) إذا استوى . وقال الحسن إذا اجتمع إذا امتلأ وقال قتادة إذا استدار ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جملة مقابلا لليل وما وسق ، وقوله تعالى (لتركن طبقا عن طبق) قال البخاري أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال : قال ابن عباس (لتركن طبقا عن طبق) حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ، هكذا رواه البخاري بهذا اللفظ . وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون

قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الأظهر والله أعلم كما قال أنس : لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ . وقال ابن جرير حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد أن ابن عباس كان يقول (لتركن طبقا عن طبق) قال يعني نبيكم ﷺ يقول حالا بعد حال ، هذا لفظه ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس طبقا عن طبق حالا بعد حال . وكذا قال عكرمة ومرة والطيب ومجاهد والحسن والضحاك وسروق وأبو صالح ويحتمل أن يكون المراد (لتركن طبقا عن طبق) حالا بعد حال ، قال هذا يعني المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعا على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبرا والله أعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال أبو داود الطيالسي وغندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لتركن طبقا عن طبق) قال : محمد ﷺ ، ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والسكوفة لتركن بفتح التاء والياء . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن الشعبي (لتركن طبقا عن طبق) قال : لتركن يا محمد ساء بعد ساء . وهكذا روى عن ابن مسعود وسروق وأبي العالية (طبقا عن طبق) ساء بعد ساء ﴿ قلت ﴾ يعنون ليلة الإسراء ؟ وقال أبو إسحاق والسدي عن رجل عن ابن عباس (طبقا عن طبق) منزلا على منزل ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس مثله وزاد وقال أمرا بمسند أمر وحالا بمسند حال ، وقال السدي نفسه (لتركن طبقا عن طبق) أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل ﴿ قلت ﴾ كأنه أراد معنى الحديث الصحيح « لتركن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لاختلتموه » قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى قال « فمن ؟ » وهذا محتمل

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولاً يقول في قول الله (لتركن طبقا عن طبق) قال في كل عشرين سنة تحدثون أمرا لم تكونوا عليه وقال الأعشى حدثنا إبراهيم قال : قال عبد الله (لتركن طبقا عن طبق) قال السماء تنشق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون . قال الثوري عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود (طبقا عن طبق) قال السماء مرة كالسهم مرة تنشق وروي البزار من طريق جابر الجعفي عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود (لتركن طبقا عن طبق) يا محمد يعني حالا بعد حال ، ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير (لتركن طبقا عن طبق) قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة ، وآخرون كانوا أشرفا في الدنيا فانشعوا في الآخرة ، وقال الحسن البصري (طبقا عن طبق) حالا بعد حال فطما بعد ما كان رضيعا ، وشيخا بعد ما كان شابا ، وقال الحسن البصري (طبقا عن طبق) يقول حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر . وقفا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شعبر عن جابر هو الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ابن آدم لفي غفلة بما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملاك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره . اكتب شقيأ أو سعيدا . ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فإذا حضره الموت ارتفع ذاك الملك وجاء ملك الموت فقبض روحه فإذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ملك القبر فامتحناه ثم يرتفعان فإذا قامت الساعة انشط عليه ملك الحسنة وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحدا مائتا وآخر شهيدا ثم قال الله تعالى (لقد كنت في غفلة من هذا) » قال رسول الله ﷺ (لتركن طبقا عن طبق) قال « حالا بعد حال » ثم قال النبي ﷺ « إن قد امكم لأمر عظما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم » هذا حديث منسك وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتركن أنت يا محمد حالا بعد حال وأمر بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجها إلى رسول الله

جميع الناس وأهم يلقون من شتائم يوم القيامة وأحواله أهوالا ، وقوله تعالى (فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أي فسادا بمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون اعظاما وأكراما واحتراما وقوله تعالى (بل الذين كفروا يكذبون) أي من سجيبتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق (والله أعلم بما يوعون) قال مجاهد وقناة يكتبون في صدورهم (فيشرهم بعذاب أليم) أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعبد لهم عذابا أليما وقوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) هذا استثناء منقطع يعني لكن الذين آمنوا أي بقولهم وعملوا الصالحات أي بجوارحهم (لهم أجر) أي في الدار الآخرة (غير ممنون) قال ابن عباس غير منقوص ، وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولهما أنه غير مقطوع كما قال تعالى (عطاء غير مجدود) وقال السدي قال بعضهم غير ممنون غير منقوص ، وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وأن لحظة وإنما دخالها بفضله ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمدا والحمد لله وحده أبدا ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ، آخر تفسير سورة الانشقاق والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

(تفسير سورة البروج وهي مكية)

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبي سلمة حدثنا أبو المهزم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسما ذات البروج والسما والطارق . وقال أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاتم حدثنا حماد بن عباد السدوسي سمعت أبا المهزم يحدث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات في العشاء ، تفرد به أحمد

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ * وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ مُّشْهُودٍ * قَتِيلَ أَهْبَابٍ الْأَخْدُودِ * الْأَنْصَارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُودٌ * وَمَا تَقَمَّوْا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ مُمْ لَمْ يَتَوَبُّوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾

يقسم تعالى بالسما وبروجها وهي النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك في قوله تعالى (تبارك الذي جعل في السما بروجاً وجعل فيها سراجاً وقنابلاً منيراً) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقناة والسدي : البروج النجوم وعن مجاهد أيضا البروج التي فيها الحرس وقال يحيى بن رافع : البروج قصور في السما ، وقال المنهال بن عمرو (والسما ذات البروج) الخلق الحسن واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجاً تدير الشمس في كل واحد منها شهراً ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلاثاً فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستمر ليلتين ، وقوله تعالى (واليوم الموعود وشاهد ومشهود) اختلف المفسرون في ذلك . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله بن محمد ابن عمرو الغزالي حدثنا عبيد الله يعني ابن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصاري عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد) يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ولا يستعبد فيها من شر إلا أعاده (ومشهود) يوم عرفة » وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الرندي وهو ضعيف الحديث وقد روى موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبهه

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن حنبل حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة أنما على فرغه إلى النبي ﷺ وأما يونس فلم يعد أبا هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال يعني الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمار مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة . وقد روى عن أبي هريرة أنه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك والله الحمد ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضمعن بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ « اليوم الموعود يوم القيامة وإن الشاهد يوم الجمعة وإن المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا » ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة » . وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ، ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف الليثي عن ابن عباس قال : الشاهد هو محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شريك قال سأل رجل الحسن بن علي عن (وشاهد ومشهود) قال سألت أحدا قبلي ؟ قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم الدين ويوم الجمعة ، فقال لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ ثم قرأ (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) والمشهود يوم القيامة ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب : ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضا الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم الجمعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) قال الشاهد الإنسان والمشهود يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة ، وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم قال يوم الدين ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهود قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عباد بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أذكروا على من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهد الملائكة » وعن سعيد بن جبير الشاهد الله وتلا (وكفى بالله شهيدا) والمشهود نحن ، حكاه البغوي ، وقال : الأذكرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة . وقوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) أي لعن أصحاب الأخدود وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل قهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدودا وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقودا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقتلهم فيها ولهذا قال تعالى (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود) إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين . قال الله تعالى (وما نعموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضاف من لاد بجانبه المنع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك . على كثير من الناس . ثم قال تعالى (الذي له ملك السموات والأرض) من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيها وما بينهما (والله على كل شيء شهيد) أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات

والأرض ولا تخفى عليه خافية . وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم ؟ فمن على أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج الحارم فامتنع عليه علماءهم فعمد إلى حفر أخدود فكدف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل الحارم إلى اليوم . وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخذوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها ، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحد منهم حبشي ، وقال العوفي عن ابن عباس (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود) قال ناس من بني إسرائيل خدوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء فعرضوا عليهم وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك وقد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلك ملك وكان له مباحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبر مني وحضر أجلي فادفع إلى غلاماً لأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى السلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك وإذا أتى أهله ضربه وقال ما حبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسني الساحر قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر ، قال فأخذ حجراً فقال اللهم إني كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقبل هذه الدابة حتى يجوز الناس وربما قتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبتي فإن ابتليت فلا تبدل علي ، فكان الغلام يريء الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك مجلس فعمى فسمع به فأنتاه بهدايا كثيرة فقال اشفي ولك ما ههنا أجمع فقال ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل فإن آمنت به دعوت الله فشفاك ، فآمن فدعا الله فشفاه ، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك ؟ فقال ربي ؟ فقال أنا ؟ قال لا ، ربي وربك الله ، قال ولك رب غيري ؟ قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على السلام فبعث إليه فقال أي بني بلغ من مسرك أن تبرىء الأكمة والأبرص وهذه الادواء ؟ قال ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل ، قال أنا ، قال لا . قال أولئك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله ، فأخذه أيضاً بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع النشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للأعمى : ارجع عن دينك فأبى فوضع النشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للغلام : ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدوه فدهبوا به فلما عاوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فدهدوها أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر في قرقر فقال إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا ففرقوه في البحر فلدججوا به البحر فقال الغلام : اللهم اكفنيهم بما شئت ففرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتني وإلا فانك لاستطيع قتلي ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصابني على جسدك وتأخذ مني كنانتي ثم قل باسم الله رب الغلام فانك إذا فعلت ذلك قتلتني . ففعل ووضع السهم في كبد قومه ثم رماه وقال باسم الله رب الغلام فوقع السهم في صيدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام . فقيل للملك أرايت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم ، فأمر بأفواه السمك فخذت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأفحموه فيها ، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فسكانها تنعاست اب تقع في النار فقال الصبي : اصبري يا أمه فانك على الحق .

وهكذا روى مسلم في آخر الصحيح عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة بنحوه ، ورواه النسائي عن أحمد بن سنان عن

عثمان بن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت بن واخترصروا أوله ، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذي فرواه في تفسير هذه الصورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد - المعنى واحد - قالوا: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر بن ثابت الثاني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر همس والهمس في بعض قولهم تحريك شفوية كأنه يتكلم فقل له إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست قال « إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمرته فقال من يقوم لهؤلاء - فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أتتهم منهم وبين أن أسلط عليهم عدوهم فاختاروا النعمة فسلط الله عليهم الموت فأت منهم في يوم سبعون ألفا » قال وكان إذا حدث بهذا الحديث ، حدث بهذا الحديث الآخر قال : كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يشكهن له فقال الكاهن انظروا لي غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمي هذا ، فذكر القصة بتامها وقال في آخره يقول الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود - حتى بلغ - العزيز الحميد) قال فأما الغلام فانه دفن فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، ثم قال الترمذي : حسن غريب ، وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم . وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثني يزيد بن زبيد عن محمد بن كعب القرظي وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية من قرى نجران قريبا من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيموت ولم يسموه إلى بالاسم الذي سماه ابن منبه قالوا نزلها رجل فأتى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبدته وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فسكنه إياه وقال له يا ابن أخي أنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف العلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضمه فيه عمد إلى أقذاح فجعلها ثم لم يبق لله اسم إلا كتبه في قذح لسكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أوقد نارهم جعل يندفها فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقذحه فوثب القذح حتى خرج منها لم يضره شيء فأخذته ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتبه فقال وما هو ؟ قال هو كذا وكذا ، قال وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع فقال أي ابن أخي قد أصبت فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضمر إلا قال له يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله لك فيعافيك بما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعوا الله له فشفي حتى لم يبق بنجران أحد به ضمر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأملأن بك ، قال لا تقدر على ذلك قال فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض مابه بأس وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر إنك والله لا تقدر على قتلي حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك إن فعلت سلطت على قتلتي قال فوحد الله ذلك الملك وشهد بشهادة عبد الله ابن التامر ثم ضربه بعضا في يده فشججه شجرة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله ابن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران . قال ابن إسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فانه أعلم أي ذلك كان ، قال فسار إليهم ذنوا وس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل فأخاروا القتل فخذ الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا فنفى ذى نواس وجنده

أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليهم قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما تقوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذونواس واسمه زرة ويسمى في زمان ملكة يوسف وهو ابن بيان أسعد أبي كريب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسى السكبة واستصحب معه جبرين من يهود المدينة فكان يهود من يهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطا فقتل ذونواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطردوا وراءه فلم يقدر وأعليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة فأرسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرباطا وبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود وذهب ذونواس هاربا فلجج في البحر فغرق واستمر ملك الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس فأرسل معه من في السجون فكانوا قريبا من سبع مائة ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير وسند كطرفا من ذلك إن شاء الله في تفسير سورة (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن الناصر تحت دفن فيها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخذت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمه وفي يده خاتم مكتوب فيه رب الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذي كان عليه ففعلوا . وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعري حدثنا إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فبناه رجلا صالحا فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائما معه سيف فيه مكتوب أنا الحارث بن مضاض نعمت على أصحاب الأخدود فاستخرجه أبو موسى وبني الحائط فنبت (قلت) هو الحارث بن مضاض ابن عمرو بن مضاض الجرهمي أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر السكبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام إنه أول شعر قالته العرب

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة مسامر
بلي نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العوائر

وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها . وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيرا كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو اليمان أخبرنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فانخذوا أثونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد ، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحبه عزريا وميشائيل فأوقد لهم أثونا وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهما بردا وسلاما وأتقدهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار . وقال أسباط عن السدي في قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال كانت الأخدود ثلاثة : خد بالعراق ، وخد بالشام ، وخد باليمن . رواه ابن أبي حاتم ، وعن مقاتل قال كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس حرقوا بالنار أما التي بالشام فهو انطنانوس والرومي وأما التي بفارس فهو بختنصر ، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذونواس فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل في التي كانت بنجران ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدثنا عبد الله بن

أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو ابن أنس في قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال سمعنا أنهم كانوا قوماني زمان الفترة فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنه والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون اعزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله محضين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلمهم وقالوا لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له فقال لهم إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فاني قاتلكم فأبوا عليه فخذ أخدودا من نار وقال لهم الجبار وقمهم عليها اختاروا هذه أو الذي نحن فيه فقالوا هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية ففرغت الدرية فقالوا لهم أي آثاؤهم لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسيهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها في ذلك أنزل الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود) النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما تصوموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) ورواه ابن جرير : حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه . وقوله تعالى (إن الدين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبي (ثم لم يتوبوا) أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق) وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ * هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ وَنِ وَرَأْيِهِمْ مَحِيطٌ * بَلْ هُوَ قَرِءٌ نَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾

ينبغي تعالى عن عباده المؤمنين أن (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار) بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال (ذلك الفوز الكبير) ثم قال تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إن بطشه واتقاه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوى فانه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب ولهذا قال تعالى (إنه هو يبدى ويعيد) أي من قوته وقدرته التامة يبدى الخلق ويعيده كما بدأه بالإنسان ولا مدافع (وهو الغفور الودود) أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان، والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب (ذو العرش) أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلق، والحجيد فيه قراءة ثان الرفع على أنه صفة للرب عز وجل والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح (فعال لما يريد) أي مهما أراد فعله لا منقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت هل نظر إليك الطبيب ؟ قال نعم . قالوا فما قال لك ؟ قال : قال لي إنني فعال لما أريد وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود) فرعون وثمود) أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من العقوبة التي لم يردعها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذا ألما شديدا أخذ عزيز مقتدر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الجنود) فقام يستمع فقال « نعم قد جاءني » وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) أي هم في شك وريب وكفر وعناد (والله من وراءهم محيط) أي هو قادر عليهم قاهر لا يفتونونه ولا يعجزونه (بل هو قرآن مجيد) أي عظيم كريم (في لوح محفوظ) أي هو في اللوح الأعلى محفوظ

من الزيادة والنقص والتخريف والتبديل . قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي حدثنا قرة بن سليمان حدثنا حرب بن شرح حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك في قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) قال إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) في جهة إسرائيل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو صالح ثناء معاوية بن صالح أن أبا الأعصب هو عبد الرحمن بن سليمان قال : ما من شيء قضى الله : القرآن ، فاقبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عيني إسرائيل لا يؤذن له بالنظر فيه ، وقال الحسن البصري إن هذا القرآن المجيد عبد الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه وقد روى البغوي من طريق إسحق بن بشر أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده . واتبع رسله أدخله الجنة قال : واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض . وعرضه ما بين الشرق والغرب ، وحافته من الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش وأصله في حجر ملك ، وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن عيني العرش وقال الطبراني حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويبرز ويذل ويفعل ما يشاء » . آخر تفسير سورة البروج والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الطارق وهي مكية ﴾

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله بن سمينة أنا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي حبل العدواني عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق تقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم ينتهي عندهم النصر فسمعتهم يقول « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها في الإسلام قال فدعيت تقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقراءتها عليهم فقال من منهم من قرئش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا تعلم ما يقول حقا لا تبعناه وقال النسائي حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم عن مسهر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبي ﷺ « أفتان أنت يا معاذ ! ما كان يكفيمك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟ »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ * إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى (والسماء والطارق) ثم قال (وما أدراك ما الطارق) ثم فسره بقوله (النجم الثاقب) قال قتادة وغيره إنما سمى النجم طارقا لأنه إنما يرى بالليل ويختفي بالنهار ويؤيده ما جاء في الحديث الصحيح أنه أن يطرق الرجل أهله طروقا أي يأتيهم فجأة بالليل ، وفي الحديث الآخر المشتمل على الدعاء « إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن » وقوله تعالى (الثاقب) قال ابن عباس الضى وقال السدي يقب الشياطين إذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضى ومحرق للشيطان وقوله تعالى (إن كل نفس لها عليها حافظ) أي كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى

(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) . وقوله تعالى (فليُنظر الإنسان مِمَّ خُلِقَ) تنبيه للإنسان على ضعف أصله الذي خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الإعادة بطريق الأولى كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) يعني المني يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل ولهذا قال (يخرج من بين الصلب والترائب) يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدي وغيرهم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هذه الترائب ووضع يده على صدره . وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس تربية المرأة موضع القعدة ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الترائب بين الثديين ، وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقي ، وقال سفيان الثوري فوق الثديين وعن سعيد بن جبير الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل . وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين ، وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبي حبيبة المدني أنه بلغه في قول الله عز وجل (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هو عصاراة القلب من هناك يكون الولد . وعن قتادة (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه ونحره وقوله تعالى (إنه على رجعه لقادر) فيه قولان أحدهما (على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذي خرج منه لقادر على ذلك) قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما (والقول الثاني) (إنه على رجع هذا الإنسان الخافق من ماء دافق أي إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر لأن من قدر على البداءة قدر على الإعادة ، وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل في القرآن في غير ما موضع ، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكتون مشهورا ، وقد ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يرفع لسكل غادر لواء عند استمته يقال هذه غدره فلان بن فلان » وقوله تعالى (فلما لا) أي الإنسان يوم القيامة (من قوة) أي في نفسه (ولا ناصر) أي من خارج منه أي لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلُ السَّكَفَرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُؤُودًا ﴾

قال ابن عباس : الرجع المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه (والسماء ذات الرجع) تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لما سكوا وهلكوا وما شيعهم ، وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا (والأرض ذات الصدع) قال ابن عباس هو انصداعها عن النبات وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدي وغير واحد ، وقوله تعالى (إنه لقول فصل) قال ابن عباس : حق ، وكذا قال قتادة وقال آخر : حكم عدل (وما هو بالهزل) أي بل هو جد حق ، ثم أخبر عن السكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال (إنهم يكيدون كيدا) أي يمكرون بالناس في دعوتهم إلى خلاف القرآن ، ثم قال تعالى (مهل السكافرين) أي أنظرهم ولا تستعجل لهم (أمهلهم رويدا) أي قليلا أي وصتري ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والمهلك كما قال تعالى (نعمهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) . آخر تفسير سورة الطارق والله الحمد والمنة

تفسير سورة نوح وهي مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخاري حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن أبي إسحق عن البراء بن عازب قال : أول

من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلنا يقرئنا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والضبيان يقولون ههنا رسول الله ﷺ قد جاء فلما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الأعلى) في سورة مثلها . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة (سبح اسم ربك الأعلى) تفرد به أحمد . وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « ههنا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى » . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أذاك حديث الغاشية وإن وافق يوم الجمعة قرأها جميعا . هكذا وقع في مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث ، وقد رواه مسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث أبي عوانة وجريير وشعبة ثلاثهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير ، قال الترمذي وكذا رواه الثوري ومسلم عن إبراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان به كإرواه الجماعة فالحمد لله أعلم ، ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ في العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم الأعلى وهل أذاك حديث الغاشية وربما اجتمعا في يوم واحد فقرأها . وقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبي ربيعة وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد زادت عائشة والموذنين . وهكذا روى هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدى بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، ولولا خشية الإطالة لأوردنا ما تيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن في الإرشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى * فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى * سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى * وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى * فَذَكَرْ إِن نَفَعْتَ اللَّهَ كَرَمًا * سَيَذَكِّرُكَ مِنْ يُخَشَى * وَيَتَجَبَّبُهَا الْأَشْقَى * الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى يعني ابن أيوب الغافقي حدثنا عمي إياس بن عامر سمعت عتبة ابن عامر الجهمي لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ « اجعلوها في ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها في سجودكم » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) قال « سبحان ربّي الأعلى » وهكذا رواه أبو داود عن زهير بن حرب عن وكيع به قال وخولف فيه وكيع رواه أبو وكيع وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا . وقال الثوري عن السدي عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) فقال: سبحان ربّي الأعلى . وقال ابن جبرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي إسحاق الهمداني أن ابن عباس كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) يقول سبحان ربّي الأعلى وإذا قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فأتى

على آخرها (ليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يقول سبحانه وبلى ، وقال قتادة (سبح اسم ربك الأعلى) ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال : سبحان ربى الأعلى ، وقوله تعالى (الذى خلق فسوى) أى خلق الخليقة وسوى كل مخلوق فى أحسن الهيئات . وقوله تعالى (والذى قدر فهدى) قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتها وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون (ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أى قدر قدرا وهدى الخلائق إليه كما ثبت فى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال «إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بمئتين ألف سنة وكان عرشه على الماء» وقوله تعالى (والذى أخرج الرعى) أى من جميع صنوف النباتات والزرورع (فجعل غثاء أحوى) قال ابن عباس هشيما غثا وحريرا وعن مجاهد وقاتدة وابن زيد نحوه . قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم يكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذى معناه التقديم وأن معنى الكلام والذى أخرج الرعى ، أحوى أخضر إلى السواد فجعله غثاء بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب لخالفته أقوال أهل التأويل . وقوله تعالى (سنقرئك) أى يا محمد (فلا تنسى) وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له . بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها (إلا ما شاء الله) وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة : كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله وقبل المراد بقوله (فلا تنسى) طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسيخ أى لا تنسى ما نقرئك إلا ما شاء الله رفقه فلا عليك أن تتركه . وقوله تعالى (انه يعلم الجهر وما يخفى) أى يعلم ما يجر به العباد وما يخافونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء وقوله تعالى (ونيسرك لايسرى) أى نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشر لك شريعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر . وقوله تعالى (فذكر إن نعمت الله كرى) أى ذكر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب فى نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين على رضى الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لاتبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم ، وقال : حدث الناس بما يعرفون أن يكذب الله ورسوله ، وقوله تعالى (سيدكر من يخشى) أى سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قابله يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه (ويتجنبها الأشقى) الذى يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى) أى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هى مضرة عليه لأن بسببها يشعر ما يعاقبه من أليم العذاب وأنواع النكال قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن سليمان بن يعقوب التيمي عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم فى النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم - أو قال - ينبتون فى نهر الحيا - أو قال الحياة - أو قال الحيوان - أو قال نهر الجنة فينبتون - نبات الحبة فى حميل السيل» قال وقال : النبى صلى الله عليه وسلم «أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء؟» قال : فقال بعضهم كأن النبى صلى الله عليه وسلم كان بالبادية . وقال أحمد أيضا حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد بن يزيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس - أو قال - تصيبهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن فى الشفاعة فجاء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل» قال : فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ، ورواه مسلم من حديث بشر بن الفضل وشعبة كلاهما عن أبى سامة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضا عن يزيد عن سعيد بن إياس الجري عن أبى نضرة عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال «إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فحما ثم يخرجون ضبائر فيأفون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل» . وقد قال الله تعالى إخبارا عن أهل النار (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) إلى غير ذلك من

الآيات في هذا المعنى

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿
إِنْ هَذَا إِلَّا فَنِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿

يقول تعالى (قد أفلح من تزكى) أى طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه (وذكر اسم ربه فصلى) أى أقام الصلاة فى أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتناعا لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العزرجي حدثنا عمى محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم (قد أفلح من تزكى) قال « من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنى رسول الله » (وذكر اسم ربه فصلى) قال « هى الصلوات الخمس والحفاظة عليها والاهتمام بها » ثم قال لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه وكذا قال ابن عباس أن المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير . وقال ابن جرير حدثنى عمرو بن عبد الحميد الألبى حدثنا مروان بن معاوية عن أبي خلدة قال دخلت على أبي العالقة فقال لى إذا غدوت غدا إلى العيد فربى قال فتررت به فقال هل طعمت شيئا ؟ قلت نعم قال أفضت على نفسك من الماء ؟ قلت نعم قال فأخبرنى ما فعلت زكأتك ! قلت قد وجهتها قال إنما أردت لك لهذا ثم قرأ (قد أفلح من تزكى ﴾ وذكر اسم ربه فصلى) وقال إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء ﴿ قلت ﴾ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية (قد أفلح من تزكى ﴾ وذكر اسم ربه فصلى) وقال أبو الأحوص إذا أتى أحدكم مسائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدى صلاته زكاة فان الله تعالى يقول (قد أفلح من تزكى ﴾ وذكر اسم ربه فصلى) وقال قتادة فى هذه الآية (قد أفلح من تزكى ﴾ وذكر اسم ربه فصلى) زكى ماله وأرضى خاله

ثم قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أى تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على ما فيه نفعكم وصالحكم فى معاشكم ومعادكم (والآخرة خير وأبقى) أى ثواب الله فى الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فان الدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد . قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن أبي إسحاق عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفة الثقفى قال : استقرأت ابن مسعود (سبح اسم ربك الأعلى) فلما بلغ - بل تؤثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لأننا رأينا زينها ونساءها وطعامها وشربها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل ، وهذا منه على وجه التواضع والمضم أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود الهاشمي حدثنا إسماعيل بن جعفر أخبرنى عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبي موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال « من أحب دنياه أضر آخرته ، ومن أحب آخرته أضر دنياه فأثروا ما يبقى على ما يفنى » تفرد به أحمد ، وقد رواه أيضا عن أبي سلمة الخزاز عن الدراوردي عن عمرو بن أبي عمرو به مثله سواء ، وقوله تعالى (إن هذا لى الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ صحف إبراهيم وموسى) قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا نصر بن علي حدثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إن هذا لى الصُّحُفِ الْأُولَى ﴾ صحف إبراهيم وموسى) قال النبي صلى الله عليه وسلم « كان كل هذا - أو كان هذا - فى صحف إبراهيم وموسى » ثم قال لأنهم أسند الثقات عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديث آخر رواه مثل هذا

وقال النسائي خبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن عيسى حدثنا الثعلبي بن - نعمان عن أبيه عن عطاء بن ناسب عن
عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال كلها في صحف إبراهيم وموسى ، ولما نزلت
(وإبراهيم الذي وفى) قال وفى إبراهيم (لا تزر وازرة وزر أخرى) يعنى أن هذا الآية كقوله تعالى في سورة النجم
(أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى
وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأنت إلى ربك المنتهى) الآيات إلى آخرهن ، وهكذا قال
عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة في قوله تعالى (إن هذا لى
الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) يقول الآيات التي في مسبح اسم ربك الأعلى ، وقال أبو العالية : قصة هذه
السورة في الصحف الأولى ، واختار ابن جرير أن المراد بقوله إن هذا إشارة إلى قوله (قد أفلح من تزكى * وذكر
اسم ربه فصلى * بل تؤثرن الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى) ثم قال تعالى (إن هذا) أى مضمون هذا الكلام
(لى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) وهذا الذى اختاره حسن قوى وقد روى عن قتادة وابن زيد نحوه
والله أعلم . آخر تفسير سورة سبح ، والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الغاشية وهى مكية ﴾

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية في صلاة
العيد ويوم الجمعة . وقال الإمام مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن
بشير كم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة مسح سورة الجمعة ؟ قال : هل أتاك حديث الغاشية . ورواه
أبو داود عن القعنبى والنسائي عن قتبية كلاهما عن مالك به ، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة
عن ضمرة بن سعيد به .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وَجُوهٌُ يُومَسَّدُ خُشْعَةً * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ
عَيْنٍ آيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴾

الغاشية من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لأنها تغمى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا
أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي ﷺ
على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الغاشية) فقام يستمع ويقول « نعم قد جاءنى » . وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة)
أى ذليلة قاله قتادة ، وقاله ابن عباس تخشع ولا ينفهم أعمالها وقوله تعالى (عاملة ناصبة) أى قد عملت عملاً كثيراً ونصبت
فيه أوصليت يوم القيامة ناراً حاميه . قال الحافظ أبو بكر البرقاني حدثنا إبراهيم بن محمد المزكى حدثنا محمد بن إسحاق
السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجوفى يقول مر عمر بن الخطاب رضى
الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه ياراهب فأشرف قال فجعل عمر ينظر إليه ويبكى فقل له ياأمير المؤمنين ما يبكيك
من هذا ؟ قال ذكرت قول الله عز وجل في كتابه (عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية) فذلك الذى أبكاني . وقال البخارى
قال ابن عباس (عاملة ناصبة) النصارى ، وعن عكرمة والسدى عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة فى النار بالمعذاب والاهلاك ،
قال ابن عباس والحسن وقتادة (تصلى ناراً حامية) أى حارة شديدة الحرق (تسقى من عين آية) أى قد اتى حرها وغلبها
قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدى . وقوله تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس شجر من النار وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه أنها الحجارة ، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو
الجوزاء وقتادة هو الشبرق ، قال قتادة : قريش تسميه فى الربيع الشبرق وفى الصيف الضريع ؛ قال عكرمة وهو شجرة
ذات شوك لا طعة بالأرض . وقال البخارى قال مجاهد الضريع نبات يقال له الشبرق يسميه أهل الحجارة الضريع

إذا يبس وهو سم ، وقال معمر عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو الشبرق إذا يبس سمى الضريع ، وقال سعيد عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) من شر الطعام وأبشعه وأخشيه ؛ وقوله تعالى (لا يسمن ولا ينفى من جوع) يعنى لا يحصل به مقصود ولا يندفع به مخدور .

﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَارٍ مَبْثُوثَةٌ ﴾

لما ذكر حال الأشقياء تى بذكر السعداء فقال (وجوه يومئذ) أى يوم القيامة (ناعمة) أى يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها ، وقال سفيان (لسعيها راضية) قد رضيت عملها . وقوله تعالى (فى الجنة عالية) أى رفيعة بهية فى العرفات آمنون (لا تسمع فيها لاغية) أى لا تسمع فى الجنة التى هم فيها أكلة لئو كما قال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما) وقال تعالى (لا لغو فيها ولا تأثيم) وقال تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) (فيها عين جارية) أى سارحة وهذه نكرة فى سياق الإثبات وليس المراد بها عينا واحدة وإنما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات . قال ابن أبى حاتم قرىء على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قره عن عبد الله بن ضميرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنها الجنة تفجر من تحت تلال - أو من تحت جبال - المسك » (فيها سرر مرفوعة) أى عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فإذا أرادولى الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعنى أوانى الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها (ونمارق مصفوفة) قال ابن عباس النمارق الوسائد وكذا قال عكرمة وقاتدة والضحاك والسدى والثورى وغيرهم ، وقوله تعالى (وزراري مبثوثة) قال ابن عباس الزراري البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ، ومعنى مبثوثة أى هبنا وهبنا لمن أراد الجاوس عليها ؛ ونذكر ههنا هذا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أى عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ « ألا هل من مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور تلالاً ، وريحانة تهنز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، ومرة فضيحة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبدى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، فى محلة عالية بهية ؟ » قالوا نعم يا رسول الله نحن المشمرون لها ، قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى عن الوليد بن مسلم بن محمد بن مهاجر به

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ * إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسَتْ عَلَيْهِمْ مِمْسِيحٌ * إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾

يقول تعالى أمرا عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) فأنها خلق عجيب وتركيبها غريب فأنها فى غاية القوة والشدة وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتتناقل للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها ، ونهبوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل وكان شريح القاضى يقول أخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ! أى كيف رفعها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (وإلى الجبال كيف نصبت) أى جعلت منصوبة فأنها ثابتة راسية لئلا تعيد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن (وإلى

الأرض كيف سطحت (أ) أي كيف بسطت ومدت ومهدت فبها البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعينه الذي هو رآك عليه والسماء التي فوق رأسه والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه ؛ وهكذا أقسم ضمام في سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فكان يعجبنا أن يحى الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ، قال « صدق » قال فمن خلق السماء ؟ قال « الله » قال فمن خلق الأرض ؟ قال « الله » قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل ؟ قال « الله » قال فبالذي خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال الله أرسلك ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات في يومنا وليلتنا ؟ قال « صدق » قال فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا زكاة في أموالنا ؟ قال « صدق » قال فبالذي أرسلك الله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا قال « صدق » قال ثم ولي فقال والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا فقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن صدق ليدخلن الجنة » وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبي النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخاري ورواه الترمذي والنسائي من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه الإمام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبري عن شريك بن عبد الله ابن أبي نمر عن أنس به بطوله ، وقال في آخره وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثني عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يحدث عن امرأة في الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترى غما فقال لها ابني يا أمه من خالقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبي ؟ قالت الله ، قال فمن خلقني قالت الله ، قال فمن خلق السماء ؟ قالت الله قال فمن خلق الأرض ؟ قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال فإني لأسمع الله شأننا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يحدثنا هذا ، قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا ما يحدثنا بهذا في إسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو الذي ضعفه ولده الإمام علي بن المديني وغيره ، وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) أي فذكر يا محمد الناس بما أرسلت به إليهم (فإنا عليك البلاغ وعلينا الحساب) ولهذا قال (لست عليهم بمسيطر) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (لست عليهم بجبار) أي لست تخلق الإيمان في قلوبهم ، وقال ابن زيد لست بالذي تكثرهم على الإيمان قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » ثم قرأ (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وهكذا رواه مسلم في كتاب الإيمان والترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثوري به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج في الصحيحين من رواية أبي هريرة بدون ذكر هذه الآية ، وقوله تعالى (إلا من تولى وكفر) أي تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجهنانه ولسانه وهذه كتوبه تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) ولهذا قال (فيعذبه الله المذاب الأكبر) قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبي هلال عن علي بن خالد عن أبي أمامة الباهلي مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن آيتين كلفهما من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا كل من يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله » تفرد بإخراجه الإمام أحمد وعلي بن خالد هذا ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يزد على ما هنا روى عن أبي أمامة وعنه سعيد بن أبي هلال ، وقوله تعالى (إن إلينا إيابهم) أي مرجعهم ومقلبهم (ثم إن علينا حسابهم) أي نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازهم بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر . آخر تفسير سورة الفاشية ، والله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الفجر وهي مكية)

قال النسائي أنا عبد الوهاب بن الحسن أخبرني يحيى بن سعيد عن سليمان بن مغارب بن دثار وأبي صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذ فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل النبي فقال يا رسول الله جئت أصلي معه فطول على فانصرفت وصلت في ناحية المسجد فعلمت ناقتي فقال رسول الله ﷺ « أفنان يا معاذ ؟ أين أنت من مسبح اسم ربك الأعلى - والشمس وضحاها - والفجر - والليل إذا يغشى »

• (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ * وَالْأَيْلِ إِذَا يَسِر * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ * وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِاْلْمُرْصَادِ ﴾

أما الفجر فهو معروف وهو الصبح قاله علي وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدي وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خامسة الليالي العشر ، وقيل المراد بذلك الصلاة التي تفعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس ، والليالي العشر المراد بها عشر ذي الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس مرفوعاً « ما من أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعني عشر ذي الحجة قالوا : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال « ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء » وقيل المراد بذلك العشر الأول من المحرم حسباً أبو جعفر ابن جرير ولم يمهز إلى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس (وليال عشر) قال هو العشر الأول من رمضان ، والصحيح القول الأول قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياض بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال « إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر » ورواه النسائي عن محمد بن رافع وعبد بن عبد الله وكل منهما عن زيد بن الحباب به ، ورواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندى أن المتن في رفعه نمكارة والله أعلم . وقوله تعالى (والشفع والوتر) قد تقدم في هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضاً (قول ثان) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثني عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى (والشفع والوتر) قلت صلاتنا وترنا هذا ؟ قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى (قول ثالث) قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد ابن عامر بن إبراهيم الأصبهاني حدثني أبي عن النعمان يعني ابن عبد السلام عن أبي سعيد بن عوف حدثني بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الشفع والوتر فقال الشفع قول الله تعالى (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) والوتر قوله تعالى (ومن تأخر فلا إثم عليه) وقال ابن جرير أخبرني محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق وفي الصحيحين من رواية أبي هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » (قول رابع) قال الحسن البصري وزيد بن أسلم : الحلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه

وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الأول وقال العوفي عن ابن عباس (والشفع والوتر) قال : الله وتر واحد وأتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب

(قول خامس) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد (والشفع والوتر) قال : الشفع الزوج ، والوتر : الله عز وجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد : الله الوتر وخلق الله الشفع الذكر والأنثى وقال ابن أبي يحيى عن مجاهد قوله (والشفع والوتر) كل شيء خلقه الله شفع . السماء والأرض والبحر والجن والإنس والشمس والقمر ونحو هذا ، ونحو مجاهد في هذا ما ذكروه في قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) أي لعلكم أن خلق الأزواج واحد (قول سادس) قال قتادة عن الحسن (والشفع والوتر) هو العدم منه شفع ومنه وتر . (قول سابع في الآية الكريمة) رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج ، ثم قال ابن جرير وروى عن النبي ﷺ خبر يؤيد القول الذي ذكرنا عن ابن الزبير حدثني عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا زيد بن الحباب أخبرني عياض بن عقبة حدثني خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « الشفع يومان والوتر اليوم الثالث » هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ في رواية أحمد والنسائي وابن أبي حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم . قال أبو العالية والريبع بن أنس وغيرهما : هي الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالغرب فانها ثلاث وهي وتر النهار وكذلك صلاة الوتر في آخر النهار من الليل . وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين (والشفع والوتر) قال هي الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر وهذا مقتطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روى متصلا مرفوعا إلى النبي ﷺ ولفظه عام . قال الإمام أحمد حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام أن شيخا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال « هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر » هكذا وقع في المسند ، وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن عفان وعن أبي كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ عن عمران بن حصين ، وكذا رواه أبو عيسى الترمذي عن عمرو ابن علي عن ابن مهدي وأبي داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن عصام عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روى عن عمران بن عصام عن عمران نفسه والله أعلم (قلت) ورواه ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن منان الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبي شيخ من أهل البصرة عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ فذكره هكذا رأيت في تفسيره فجعل الشيخ البصري هو عمران بن عصام . وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن علي حدثني أبي حدثني خالد بن قيس عن قتادة عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ في الشفع والوتر قال « هي الصلاة منها شفع ومنها وتر » فأسقط ذكر الشيخ البهم وتفرد به عمران بن عصام الضبي أبو عمار البصري إمام مسجد بني ضبيعة وهو والد أبي حمزة نصر بن عمران الضبي روى عنه قتادة وابنه أبو حمزة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وذكره خليفة بن خياط في التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلاً حظيا عند الحجاج بن يوسف ثم قتله يوم الرواية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث وليس له عند الترمذي سوى هذا الحديث الواحد ، وعندى أن وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم ولم يحزم ابن جرير بشيء من هذه الأقوال في الشفع والوتر وقوله تعالى (والليل إذا يسر) قال العوفي عن ابن عباس أي إذا ذهب ، وقال عبد الله بن الزبير (والليل إذا يسر) حتى يذهب بعضه بعضا ، وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (والليل إذا يسر) إذا سار وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس أي ذهب ويحتمل أن يكون المراد إذا سار أي أقبل وقد يقال إن هذا أنسب لأنه في مقابلة قوله (والفجر) فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل فإذا سار حمل قوله (والليل إذا يسر) على إقباله كان قسما بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) وكذا قال الفحاحك (والليل إذا يسر)

أى يجزى ، وقال عكرمة (والليل إذا يسر) يعنى ليلة جمع ليلة المزدلفة . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم
ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب
القرظى يقول فى قوله (والليل إذا يسر) قال : أسرى بأسا ولا تبتين إلا بجمع ، وقوله تعالى (هل فى ذلك قسم لى خسر)
أى لى عقل لب وجها ، وإنما سمي العقل حجرا لأنه يمنع الإنسان من تعاطى ما لا يليق به من الأفعال
والأقوال ، ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامى ، ومنه حجر الإمامة ، وحجر الحاكم على
فلان إذا منعه التصرف (ويقولون حجرا محجورا) كل هذا من قبيل واحد ، ومعنى متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات
العبادة وبفس العباد من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التى يتقرب بها إلى عبادته المتقون المطيعون له
الطائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكره هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده (ألم تر كيف
فعل ربك بآدم ؟) وهؤلاء كانوا متعبدين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسوله جا حدين لكتبه فذكر تعالى
كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال (ألم تر كيف فعل ربك بآدم ؟) إرم ذات العمد ؟) وهؤلاء عاد
الأولى وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن إسحق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا عليه
السلام فكذبوه وخالفوه فأبجأه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم
سبع ليال وثمانية أيام حسوما ففري القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ؟ وقد ذكر
الله قصتهم فى القرآن فى غير ما موضع ليحذرهم المؤمنون فقوله تعالى (إرم ذات العمد) عطف بيان زيادة
تعريف بهم وقوله تعالى (ذات العمد) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التى ترفع بالأعمدة الشداد وقد كانوا أشد
الناس فى زمانهم خلقا وأقوامهم بطشا ، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها فى طاعة ربهم الذى
خلقهم فقال (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسط فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى
الأرض مفسدين) وقال تعالى (فأبأ عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله
الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقال ههنا (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى القبيلة التى لم يخلق مثلها فى بلادهم لقوتهم
وشدتهم وعظم تركيبتهم ، قال مجاهد : إرم ، أمة قديمة يعنى عاد الأولى ، قال قتادة بن دعامه والسدى : إن إرم بيت مملكة
عاد ، وهذا قول حسن جيد قوى وقال مجاهد وقتادة والسكبي فى قوله (ذات العمد) كانوا أهل عمد لا يقيمون ، وقال
العوفى عن ابن عباس إنما قيل لهم ذات العمد لطولهم ، واختار الأول ابن جرير ورد الثانى فأصاب ، وقوله تعالى (التى
لم يخلق مثلها فى البلاد) أعاد ابن زيد الضمير على العمد لارتفاعها وقال بنو عمد بالأحفاف لم يخلق مثلها فى البلاد ،
وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة أى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى البلاد يعنى فى زمانهم ، وهذا القول هو
الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال التى لم يعمل مثلها فى البلاد وإنما
قال (لم يخلق مثلها فى البلاد) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عن
حدثه عن المقدم عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العمد فقال « كان الرجل منهم يأتى على الصخرة فيحملها
على الحى فيهلكهم » ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا طى بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عياض عن ثور بن زيد
الديلى قال قرأت كتابا قد سمي حيث قرأه أنا شداد بن عاد وأنا الذى رفعت العمد وأنا الذى شدت بذراعى نظرا واحدا
وأنا الذى كنزت كنزا على سبعة أذرع لا يخرج منه إلا أمة محمد ﷺ قلت فكل قول سواء كانت العمد أبنية بنوها
أو أعمدة بيوتهم لبدو أو سلاحا يقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون فى القرآن
فى غير ما موضع المقرونون بشمود كما ههنا والله أعلم

ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات العمد) مدينة إما دمشق كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية
كما روى عن القرظى أو غيرها ففيه نظر فانه كيف يلتصق الكلام على هذا (ألم تر كيف فعل ربك بآدم ؟) إرم ذات
العمد) إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ، فانه لا يتسق الكلام حينئذ ، ثم المراد إنما هو الاخبار عن إهلاك

القبيلة السبئية إمام وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد لأن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم ، وإنما نهيت على ذلك للتأثير بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عنده هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مدينة بلبان الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباءها لآلىء وجواهر وترايبها بذاق المسك وأنهارها سارحة وثمارها مساقطة ودورها لأنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها دافع ولا محجب ، وأنها تنقل فتارة تسكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فإن هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجاهلة من الناس أن تصدقهم في جميع ذلك . وذكر العلبي وغيره أن رجلا من الأعراب وهو عبد الله بن قلابة في زمان معاوية ذهب في طلب أباعر له شردت فيينا هويته في ابتغائها إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التي تقدم ذكرها وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذي قال فلم يروا شيئا . وقد ذكر ابن أبي حاتم قصة إرم ذات العماد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ولو صح إلى ذلك الأعرابي فقد يكون اختلاق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والجناب فاعتقد أن ذلك له حقيقة في الخارج وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجاهلة والطامعين والتحميل من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطر الذهب والفضة وألوان الجواهر والياقيات والآلىء والإكسير الكبير لسكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل في صرفها في بخاخير وعقاير ونحو ذلك من الهذيان ويطنزون بهم والذي يحزم به أن في الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزا كثيرة من ظفر بشيء منها أمكنه تحويله ، فأما على الصفة التي زعموها فكذب وافتراء وبهت ولم يصح في ذلك شيء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادي للصواب . وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله (إرم ذات العماد) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف ، فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الإخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده (وعمود الدين جابوا الصخر بالواد) يعني يقطعون الصخر بالوادى قال ابن عباس ينحتونها ويحرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ومنه يقال مجتنبى النار إذا خرقتها واجتنب الثوب إذا فتحه ومنه الجيب أيضا وقال الله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وأنشد ابن جرير وابن أبي حاتم ههنا قول الشاعر :

ألا كل شيء ما خلا الله بائد * كباد حتى من شنيف ومارد

هم ضربوا في كل صماء صعدة * بأيدي شداد أيدي السواعد

وقال ابن إسحق كانوا عربا وكان منزلهم بوادى القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة في سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى (وفرعون ذى الأوتاد) قال العوفي عن ابن عباس الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم في أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس بالأوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدي . قال السدي كان يربط الرجل كل قاعة من قوائمه في وتدشهم برسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا أنه كان له مظال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البناني عن أبي رافع قيل لفرعون ذى الأوتاد لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها راحى عظيمة حتى ماتت . وقوله تعالى (الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد) أى تمردوا وعتوا وعاثوا في الأرض بالافساد والأذية للناس (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أى أنزل عليهم رجزا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردوها عن القوم المخبرين

وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يسمع ويرى يعنى يرصد خلقه فيما يعملون ويجازى كل بعمله في الدنيا والآخرة وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو اللزوم عن الظلم والجور . وقد ذكر ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفي إسنادة نظر وفي صحته ، فقال حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا يونس الخذاء عن أبي حمزة اليبساني عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ إن المؤمن

لنبي الحق أسير ، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره ، يا معاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله عز وجل فالقرآن دليله ، والخوف محبته والشوق مطيته ، والصلاة كفه ، والصوم جنته ، والصدقة فسكاكه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، ورببه عز وجل من وراء ذلك كله بالمصاد « قال ابن أبي حاتم : يونس الحناء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنا أى لو كان من كلامه لكان حسنا ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أبيغ عن ابن عبد الكلاعى أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول إن لجهنم سبع قناطر قال والصراط عليهم قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول (قفوهم إنهم مسؤولون) قال فيحاسبون على الصلاة ويستألون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصاوها وكيف قطعوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، قال والرحم يومئذ متدلية إلى الهوى في جهنم تقول اللهم من وصاني فصله ، ومن قطعني فافطمه قال وهى التى يقول الله عز وجل (إن ربك لبالمرصاد) هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه

﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ * كَلَّا بَلْ لَا تُكْرُمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ أَنْثَرَاتِ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

يقول تعالى منكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى (أيعسبون أنما نمدحهم به من مال وبنين * ناسرع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحناه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله تعالى (كلا) أى ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطى المال من شيب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وإنما اللدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيرا بأن يصبر وقوله تعالى (بل لا تكرمون اليتيم) فيه أمر بالآ كرام له كما جاء في الحديث النبى رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي غياث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه - ثم قال بأصبعه - أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » . وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز بن عيسى بن أبي حازم حدثني أبي عن سهل بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين أصبعيه الوسطى والثى تلى الإبهام (ولا تحاضون على طعام المسكين) يعنى لا يأمرن بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك (وتأكلون الترات) يعنى الليرات (أكلالما) أى من أى جهة حصل لهم من حلال أو حرام (وتحبون المال حبا جما) أى كثيرا زاد بعضهم فاحشا

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا * وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدًا * يَأْتِيَنَّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ * أَرْجِعْنِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * ﴾

وَأَدْخِلِي جَنَّتِي

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال تعالى (كَلَّا) أي حقاً (إِذَا دَكَتِ الْأَرْضُ ذِكْدَا) أي وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال وقام الخلائق من فورهم لربهم (وجاء ربك) يعني لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الإطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعدما يسألون أولى العزم من الرسل واحدا بعد واحد فسلكهم يقول أنت بصاحب ذاكم حتى تنتهي النوبة إلى محمد ﷺ فيقول «أنا لما أنا لها» فيذهب فيشفع عنده الله تعالى في أن يأتي لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى في ذلك وهي أول الشفاعات وهي المقام المحمود كما تقدم بيانه في سورة سبحان فيجىء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفًا صفوفًا وقوله تعالى (وجيء يومئذ بجهنم) قال الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي عن العلاء بن خاله السكاهلي عن شقيق عن عبد الله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» وهكذا رواه الترمذي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبي عامر عن سفيان الثوري عن العلاء بن خاله عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزاري عن العلاء بن خاله عن شقيق عن عبد الله قوله . وقوله تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان) أي عمله وما كان أسلفه في قديم دهره وحديثه (وأنت له الكاري) أي وكيف تنفعه الكاري (يقول يا ليتني قدمت لحياتي) يعني يندم على ما كان سلف منه من المعاصي إن كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا كما قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن إسحق حدثنا عبد الله يعني ابن المبارك حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن محمد بن عمرو وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن عبداً خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت في طاعة الله لحقره يوم القيامة ولود أنه رد إلى الدنيا كما يزداد من الأجر والثواب . قال الله تعالى (فيومئذ لا يندب عذابه أحد) أي ليس أحد أشد عذاباً من عذيب الله من عصاه (ولا يوثق وثاقه أحد) أي وليس أحد أشد قبضاً ووثاقاً من الزانية لمن كفر بربه عز وجل وهذا في حق المجرمين من الخلائق والظالمين فأما النفس الزكية المظمنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها (يا أيها النفس المظمنة ارجعي إلى ربك) أي إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته (راضية) أي في نفسها (مرضية) أي قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاها (فادخلي في عبادي) أي في جملتهم (وادخلي جنتي) وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند استنظاره وعند قيامه من قبره فيكذلك ههنا

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت في عثمان بن عفان : وعن بريدة ابن الحصيب نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه . وقال الهوفي عن ابن عباس يقال للأرواح المظمنة يوم القيامة (يا أيها النفس المظمنة ارجعي إلى ربك) يعني صاحبك وهو بدنك الذي كانت تعمرك في الدنيا (راضية مرضية) وروى عنه أنه كان يقرؤها (فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) وكذا قال عكرمة والسكابي واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الأول لقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله ولا تملحوا الحق) (وأن مردنا إلى الله) أي إلى حكمه والوقوف بين يديه وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الششتكي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (يا أيها النفس المظمنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال «أما إنه سيقال لك هذا» ثم قال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبي صلى الله عليه وسلم (يا أيها النفس المظمنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية) فقال أبو بكر رضى الله عنه إن هذا لحسن ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «أما إن الملك

سَيُولُ لَكَ هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ » وَكَذَلِكَ رَوَاهُ ابْنُ جُرَيْرٍ عَنْ أَبِي كَرِيبٍ عَنْ ابْنِ يَمَانَ بِهِ وَهَذَا أَمْرٌ سَلِمَ .
 ثُمَّ قَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَحَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عُرْفَةَ حَدَّثَنَا مَرْوَانَ بْنَ شَجَاعٍ الْجَزْرِيَّ عَنْ سَالِمِ الْأَفْطَسِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ
 قَالَ : مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالطَّائِفِ فَبَجَّاءَ طَيْرٍ لَمْ يَرِ عَلَى خَلْقَتِهِ فَدْخَلَ نَعْشَهُ ثُمَّ لَمْ يَرِ خَارِجًا مِنْهُ فَلَمَّا دُفِنَ ثَلَيْتَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى شَفِيرِ
 الْقَبْرِ لَا يَدْرِي مِنْ تَلَاهَا (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) وَرَوَاهُ
 الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ شَجَاعٍ عَنْ سَالِمِ بْنِ عَجْلَانَ الْأَفْطَسِيِّ بِهِ فَذَكَرَهُ . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَافِظُ
 مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْمَرْوِيُّ الْمَعْرُوفُ بِشُكْرِ فِي كِتَابِ الْعَجَائِبِ بِسَنَدِهِ عَنْ قَبَاثِ بْنِ رَزِينَ أَبِي هَاشِمٍ قَالَ : أُسْرَتْ فِي بِلَادِ
 الرُّومِ فَجَمَعْنَا الْمَلِكَ وَعَرَضَ عَلَيْنَا دِينَهُ عَلَى أَنْ مَنْ امْتَنَعَ ضَرَبَتْ عُنُقُهُ فَارْتَدَّ ثَلَاثَةٌ وَجَاءَ الرَّابِعُ فَا مَتَنَعَ فَضَرَبَتْ عُنُقُهُ وَأَلْقَى
 رَأْسَهُ فِي نَهْرٍ هُنَاكَ فَرَسَبَ فِي الْمَاءِ ثُمَّ طَفَأَ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَنَظَرَ إِلَى أُولَئِكَ الثَّلَاثَةِ فَقَالَ : يَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ وَيَا فُلَانُ يَنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي) ثُمَّ غَاصَ
 فِي الْمَاءِ وَقَالَ فَكَادَتْ النَّصَارَى أَنْ يَسْلَمُوا وَوَقَعَ سِرِيرُ الْمَلِكِ وَرَجَعَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ قَالَ وَجَاءَ الْقَدَاءُ مِنْ
 عِنْدِ الْخَلِيفَةِ أَبِي جَعْفَرٍ لِلنَّصُورِ فَخَاصَنَا

وَرَوَى الْحَافِظُ ابْنَ عَسَاكَرٍ فِي تَرْجُمَةِ رَوَاحَةِ بِنْتِ أَبِي عَمْرٍو الْأَوْزَاعِيِّ عَنْ أَبِيهَا حَدَّثَنِي سَلِيمَانُ بْنُ حَبِيبٍ الْحَارِثِيُّ حَدَّثَنِي
 أَبُو أُمَامَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ « قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَفْسًا بِكَ مَطْمَئِنَّةٌ تَوْمِنُ بِمَقَائِكَ وَتَرْضَى بِقَضَائِكَ
 وَتَقْنَعُ بِعَطَائِكَ » ثُمَّ رَوَى عَنْ أَبِي سَلِيمَانَ بْنِ وَبَرَ أَنَّهُ قَالَ : حَدِيثُ رَوَاحَةَ هَذَا وَاحِدٌ أَمَّا آخِرُ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمَجِيدِ ، وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمُنَّةُ

﴿ تَفْسِيرُ سُورَةِ الْبَلَدِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ *
 أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولَ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا * أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ
 عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

هَذَا قِسْمٌ مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَكَّةَ أَمْ الْقَرَى فِي حَالِ كَوْنِ السَّاكِنِ فِيهَا حَالًا لَيْبَنَهُ عَلَى عِظَمَةِ قَدَرِهَا فِي حَالِ إِحْرَامِ
 أَهْلِهَا ، قَالَ خَصِيفٌ عَنْ مُجَاهِدٍ (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) لَارِدٌ عَلَيْهِمْ . أَقْسَمَ بِهَذَا الْبَلَدِ ، وَقَالَ شَيْبٌ بْنُ بَشْرٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ
 ابْنِ عَبَّاسٍ (لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ) يَعْنِي مَكَّةَ (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قَالَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حِلٌّ لَكَ أَنْ تَقَاتِلَ بِهِ ، وَكَذَلِكَ رَوَى
 عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَأَبِي صَالِحٍ وَعَطِيَّةُ وَالضَّحَّاكُ وَقَتَادَةُ وَالسَّديُّ وَابْنُ زَيْدٍ ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ مَا أَصَبَتْ فِيهِ فَمَوْ حَالِلٌ لَكَ ،
 وَقَالَ قَتَادَةُ (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) قَالَ أَنْتَ بِهِ مِنْ غَيْرِ حَرْجٍ وَلَا إِيْمٍ ، وَقَالَ الْحُسَيْنُ الْبَصْرِيُّ أَهْلُهَا اللَّهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ
 وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالُوهُ قَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ « إِنْ هَذَا الْبَلَدُ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 فَهُوَ حَرَامٌ بِحَرَمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَبْغُضُ شَجَرَهُ وَلَا يَخْتَلِي خِلَاهُ ، وَإِنَّمَا أَهْلَتْهُ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ وَقَدْ عَادَتْ حَرَمَتُهَا
 الْيَوْمَ كَحَرَمَتِهَا بِالْأَمْسِ أَلَا فَلْيَبْلُغِ الشَّاهِدُ الْعَائِبُ » وَفِي لَفْظٍ آخَرَ « فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ فَقُولُوا إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ
 لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذِنْ لَكُمْ » ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) قَالَ ابْنُ جُرَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبُو كَرِيبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ عَطِيَّةٍ عَنْ شُرَيْكٍ عَنْ
 خَصِيفٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ) الْوَالِدُ الَّذِي يُلِدُ وَمَا وَلَدَ الْعَاقِرُ الَّذِي لَا يُولِدُ لَهُ ، وَرَوَاهُ
 ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ شُرَيْكٍ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَاضِي بِهِ وَقَالَ عِكْرَمَةُ الْوَالِدُ الْعَاقِرُ وَمَا وَلَدَ الَّذِي يُلِدُ . رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .
 وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَأَبُو صَالِحٍ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَالسَّديُّ وَالْحُسَيْنُ الْبَصْرِيُّ وَخَصِيفٌ وَشُرَيْبُ بْنُ سَعْدٍ
 وَغَيْرُهُمْ يَعْنِي بِالْوَالِدِ آدَمَ وَمَا وَلَدَهُ وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَأَصْحَابُهُ حَسَنٌ قَوِيٌّ لِأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا أَقْسَمَ بِأَمِّ الْقَرَى وَهِيَ
 الْمَسَاكِنُ أَقْسَمَ بَعْدَهُ بِالْمَسَاكِنِ وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ وَلَدَهُ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو الْخُوْنِي هُوَ إِبْرَاهِيمُ وَذُرِّيَّتُهُ ، رَوَاهُ ابْنُ حَرِيرٍ وَابْنُ

أبي حاتم واختار ابن جرير أنه عام في كل والد وولده وهو محتمل أيضا ، وقوله تعالى (يا أيها الإنسان) في كبد (روى ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وخشمة والضحاك وغيرهم يعني منتصبا زادا بن عباس في رواية عنه منتصبا في بطن أمه والسكيد الاستواء والاستقامة ، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيما كقوله تعالى (يا أيها الإنسان) في ما غرك ربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك) وكقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان) في أحسن تقويم) وقال ابن أبي نجیح وجريج وعطاء عن ابن عباس في كبد قال في شدة خلق ألم تر إليه وذکر مولده ونبات أسنانه ، وقال مجاهد (في كبد) نطفة ثم علقه ثم مضغة يتكبد في الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبیر (لقد خلقنا الإنسان في كبد) في شدة وطالب معيشة وقال عكرمة في شدة وطول وقال قتادة في مشقة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن علي أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال في قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر ، وروى من طريق أبي مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال يكابد أمرا من أمر الدنيا وأمرا من أمر الآخرة وفي رواية يكابد مضائق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد (لقد خلقنا الإنسان في كبد) قال آدم خلق في السماء فسمى ذلك الكبد واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها ، وقوله تعالى (أيعسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الحسن البصري يعني (أيعسب أن لن يقدر عليه أحد) يأخذ ماله وقال قتادة (أيعسب أن لن يقدر عليه أحد) قال ابن آدم يظن أن لن يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وقال السدي (أيعسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الله عز وجل ، وقوله تعالى (يقول أهلك ما لا لبدا) أي يقول ابن آدم أنفقت ما لا لبدا أي كثيرا قاله مجاهد والحسن وقاتدة والسدي وغيرهم (أيعسب أن لن يره أحد) قال مجاهد أي أيعسب أن لم يره الله عز وجل وكذا قال غيره من السلف : وقوله تعالى (ألم نجعل له عينين) أي يبصر بهما (ولسانا) أي ينطق به فيعبر عما في ضميره (وشفتين) يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمال الوجه وفمه . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة أبي الربيع الدهشقي عن مكحول قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعمًا عظاما لا تحصى عددها ولا تطيق شكرها وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك وإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليها غطاءها وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرك وأحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجا وجعلت لك مستورا فأصب بفرجك ما أحللت لك فإن عرض عليك ما حرمت عليك فأرخ عليك سترك ، ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ولا تطيق انتقامي » (وهديناه النجدين) الطريقتين قال السفيناء الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله هو ابن مسعود (وهديناه النجدين) قال الخير والشر وكذا روى عن علي وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبي وائل وأبي صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراساني في آخرين وقال سديد الله بن وهب أخبرني ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « هما نجدان فاجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الامام أحمد والنسائي والجوزجاني منكر الحديث ، وقال أحمد ترك حديثه لا خطرا به وروى خمسة عشر حديثا منكرا كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن - يعني البصري - لا يشبه حديث أنس وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن يقول (وهديناه النجدين) قال ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول « يا أيها الناس إنهما النجدان نجد الخير ونجد الشر فاجعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » وكذا رواه حبيب بن الشهيد ومعمرو ويونس بن عبيد وأبو وهب عن الحسن مرسلًا وهكذا أرسله قتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصاري حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عيسى بن عفان عن أبيه عن ابن عباس في قوله تعالى (وهديناه النجدين) قال النجدين وروى عن الربيع بن خيثم وقاتدة وأبي حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن عيسى بن عقيل به ثم قال والحوادث القول الأول

رغم هذه الآية قوله تعالى (إنا خلفنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكْ رَقَبَةً * أَوْ إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسَعَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُؤْمِنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّأَيْنَا لَهُمْ أَصْحَابُ الشُّمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ﴾

قال ابن جرير حدثني عمر بن إسماعيل بن محالد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي عطية عن ابن عمر في قوله تعالى (فلا اقتحم) أى دخل (العقبه) قال جبل في جهنم وقال كتب الأخبار (فلا اقتحم العقبه) هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصري (فلا اقتحم العقبه) قال عقبه في جهنم وقال قتادة إنها عقبه قحمة شديدة فاقترحموها بطاعة الله تعالى وقال قتادة (وما أدراك ما العقبه ؟) ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال (فك رقبه أو إطعام) وقال ابن زيد (فلا اقتحم العقبه) أى أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى (وما أدراك ما العقبه * فك رقبه أو إطعام) قرىء فك رقبه بالإضافة وقرىء على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناها متقاربتان . قال الإمام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن إسماعيل بن أبي حكيم هولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب — أى عضوا — منها إربا منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج » فقال علي بن الحسين أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ فقال سعيد نعم فقال علي بن الحسين لعالم له أقره غلامه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فأنت حر لوجه الله ، وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانة به وعند مسلم أن هذا الغلام الذى أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيما مسلم أعتق رجلا مسلما فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظما من عظام محرره من النار وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فإن الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » رواه ابن جرير هكذا وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة السلمي رضى الله عنه

قال الإمام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقة حدثني بجير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال « من بنى مسجدا ليدكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة ، ومن أعتق نفسه مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شبية في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة »

﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا الحكم بن بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عامر أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو ابن عبسة حدثنا حديثا ليس فيه تزيد ولا نسيان قال عمرو : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاه من النار عضوا بعضوا ، ومن شاب شبية في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كعمتق رقبة من بنى إسماعيل » وروى أبو داود والنسائي بعضه *﴿ طريق أخرى ﴾* قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا لقمان عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة قال السلمي قالت له حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول « من ولد له ثلاثة أو لاد في الإسلام فأتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شبية في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله فإن للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أى باب شاء منها »

وهذه أسانيد جيدة قوية والله الحمد

(حديث آخر) قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عملة عن العريف بن عياش الديلمي قال أتينا وائلة بن الأسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال إن أحسنكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال «أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار» وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عملة عن العريف بن عياش الديلمي عن وائلة به . (حديث آخر) قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار» وحدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن قيسا الجذامي حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فسكاكه من النار» تفرد به أحمد من هذا الوجه . (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فقال «لئن كنت أنصرت الخطيئة لقد أعرضت المسئلة ، أعتق النسيئة وفك الرقبة» فقال يا رسول الله أوليست با واحدة ، قال «لا إن عتق النسيئة أن تنفرد بعنتها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها ، والنسيئة الكوف ، والفى على ذى الرحم الظالم فإن لم تطق ذلك فأطعم الجائع ، واسق الظمآن ونم بالمعروف وأنه عن النكر فإن لم تطق ذلك فسكف لسانك إلا من الخير» . وقوله تعالى (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) قال ابن عباس ذى مجاعة ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد والسغب هو الجوع ، وقال إبراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز ، وقال قتادة في يوم مشتهى فيه الطعام . وقوله تعالى (يتبها) أى أطعم في مثل هذا اليوم يتبها (ذا مقربة) أى ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدى كما جاء في الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم انتتان ، صدقة وصلة» وقد رواه الترمذى والنسائي وهذا إسناد صحيح وقوله تعالى (أومسكينا ذامترية) أى فقير امدقما لا صقا بالتراب وهو الدقما أيضا قال ابن عباس ذامترية هو المطروح فى الطريق الذى لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب وفى رواية هو الذى لصق بالدقما من الفقر والحاجة ليس له شيء ، وفى رواية عنه هو البعيد التربة ، قال ابن أبى حاتم معنى الغرب عن وطنه ، وقال عكرمة هو الفقير المديون المحتاج ، وقال سعيد بن جبيرة هو الذى لا أحمله وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال ، وكل هذه قرينة المعنى . وقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) أى ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبة محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) وقال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية . وقوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة) أى كان من المؤمنين العاملين صالحا «التواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء فى الحديث الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» وفى الحديث الآخر «لا يرحم الله من لا يرحم الناس» . وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبى نجیح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو يرويه قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وقوله تعالى (أولئك أصحاب الجنة) أى المتصفون بهذه الصفات من أصحاب الجنة . ثم قال (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب النار) أى أصحاب الشمال (عليهم نار مؤصدة) أى مطبقة عليهم فلا يهربون منها ولا خروج لهم منها اقال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبيرة ومجاهد ومحمد بن كعب القرظى وعطية العوفى والحسن وقتادة والسدى (مؤصدة) أى مطبقة قال ابن عباس مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد أصد الباب بالغة

قريش أى أغلقه وسبأى فى ذلك حديث فى سورة (ويل لكل همزة لمزة) . وقال الضحاك (مؤصدة) حيطلا باب له وقال قتادة (مؤصدة) مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد ، وقال أبو عمران الجوني إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فى الدنيا شمره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أو صدوها عليهم أى أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا . رواه ابن أبي حاتم . آخر تفسير سورة البلد والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية ﴾

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغتنى ؟ »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَاهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

قال مجاهد (والشمس وضحاها) أى وضوئها وقال قتادة (وضحاها) النهار كله . قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (والقمر إذا تلاها) قال مجاهد تبعها ، وقال العوفي عن ابن عباس (والقمر إذا تلاها) قال يتلو النهار ، وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤى الهلال ، وقال ابن زيد هو يتاوها فى النصف الأول من الشهر ثم هى تتاوه وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر . وقوله تعالى (والنهار إذا جلاها) قال مجاهد أضاء وقال قتادة (والنهار إذا جلاها) إذا غشيا النهار ، وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها ﴿ قلت ﴾ ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أى البسيطة لكان أولى ولصح تأويله فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاه) فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد (والنهار إذا جلاها) أنه كقوله تعالى (والنهار إذا تجلى) وأما ابن جرير فاختار عود الضمير فى ذلك كله على الشمس لجرى ذكرها وقالوا فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاه) يعنى إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق

وقال بقة بن الوليد عن صفوان حدثني زيد بن ذى حمامة قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادى خاقي العظيم فالليل يهابه والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبي حاتم ، وقوله تعالى (والسماء وما بناها) يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعنى والسماء وبنائها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى (والسماء بينيها بأيدي - أى بقوة - وإنالموسى) والأرض فرشناها فنعم الماهدون (وهكذا قوله تعالى (والأرض وما طحاها) قال مجاهد : طحاها دحاها ، قال العوفي عن ابن عباس (وما طحاها) أى خلق فيها وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : ضحاها قسمها . وقال مجاهد وقاتادة والضحاك والسدى والثورى وأبو صالح وابن زيد (طحاها) بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهري طحوته مثل دحوته أى بسطته ، وقوله تعالى (ونفس وما سواها) أى خلقها سوية مستقيمة على الفطرة القويمة كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه

أو ينصره أو يمجسه كما نزل البيعة ببيعة حمزة هل نعلم فيها من حديثه : أخرجه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد الجاشعي عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم » ، وقوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ما قدر لها . قال ابن عباس (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري وقال سعيد بن جبير : ألهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا حدثنا عزرة ابن ثابت حدثني يحيى بن عوف عن أبي بن كعب عن أبي الأسود الدبلي قال : قال لي عمران بن حصين أ رأيت ما يعمل الناس فيه ويشكادحون فيه شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت بل شيء قضى عليهم ، قال فهل يكون ذلك ظاهرا ؟ قال ففرغت منه فزعا شديدا قال : قلت له ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يستعمل عما يفعل وهم يشاؤون قال سددك الله إنا سألك لأخبر عقلت إن رجلا من مزينة أو جبهة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أ رأيت ما يعمل الناس فيه ويشكادحون شيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال « بل شيء قد قضى عليهم » قال ففهم نعم ؟ قال « من كان الله خافه لإحدى النزلتين يهتبه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) » رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به ، وقوله تعالى (قد أفلح من زكاها) وقد خاب من دساها) يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق السيئة والزياد ، ويروي نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) (وقد شاب من دساها) أي دسها أي أفسدها ووضع منها بخلافه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دس الله نفسه كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعني عمرو ابن الحارث عن عمرو بن هشام عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله عز وجل (قد أفلح من زكاها) قال النبي صلى الله عليه وسلم « أفلحت نفس زكاها الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجوير هذا هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس ، وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عثمان بن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهذه الآية (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) وقف ثم قال « اللهم أنت نفس تقواها ، أنت ولها ومولاها ، وخير من زكاها » (حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدني حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي حدثنا من بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ « (فألهمها فجورها وتقواها) » فقال اللهم أنت نفس تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت ولها ومولاها » لم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح ابن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فاستهت يدها فوقع عليه وهو ساجد وهو يقول « رب أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت ولها ، ولاها » فترد به

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والحرم والجبن والبخل وعذاب القبر . اللهم أنت نفس تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت ولها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشع ، ومن علم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم يملئناهم ونحن نملأهم ، رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث وأبي
عبان التهمدي عن زيد بن أرقم به

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ
فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَّوْهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن كعب (بطغواها) أي بأجمعها والأول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فأعقبهم ذلك تكديبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين (إذ انبعث أشقاها) أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى (فنادوا أصحابهم فتعاطى فمقر) الآية وكان هذا الرجل عزيزا فيهم شريفا في قومه نسيباً رئيساً مطاعاً كما قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زعنة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال «إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زعنة» ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننهم ما وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن طوق عن هشام بن عروة به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد عن عمار ابن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي «ألا أحدثك بأشقى الناس» قال بلى قال «رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى يتل منه هذه» يعني لحية . وقوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه السلام (ناقة الله) أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء (ومقياها) أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولحمت شرب يوم معاوم قال الله تعالى (فكذبوه فعقروها) أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم (فدمدم عليهم ربهم بذنوبهم) أي غضب عليهم فدمر عليهم (فسواها) أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكركم وأنثاهم فلما امترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنوبهم فسواها . وقوله تعالى (ولا يخاف) وقرئ فلا يخاف (عقباها) قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعه وكذا قال مجاهد والجنس وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي (ولا يخاف عقباها) أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم . آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الليل وهي مكية ﴾

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لماذ «فها صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى *
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن الغيرة عن إبراهيم عن علقمة أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ارزقني جلساً صالحاً : قال فجلس إلى أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء ممن أنت ؟ قال من أهل السكوفة ، قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى) قال علقمة (والذكر

(والأئمة) فقال أبو البرداء لقد سمعتهما من رسول الله ﷺ لما زال هؤلاء حتى شككوني ثم قال ألم يكن فيكم صاحب السواد وصاحب السر الذي لا يعلمه أحد غيره والذي أجير من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخاري ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبي البرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا كلنا ، قال أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ (والليل إذا يغشى - قال - والله كذا والأئمة) قال أشهد أنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهو لا يريدني على أن أقرأ (وما خلق الله كذا والأئمة) والله لا أتابعهم هذا لفظ البخاري . هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو البرداء ورفعه أبو البرداء وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت في المصحف الإمام العثماني في سائر الآفاق (وما خلق الله كذا والأئمة) فأنقسم تعالى (بالليل إذا يغشى) أي إذا غشى الحقيقة بظلامه (والنهار إذا تجلى) أي بضيائه وإشراقه (وما خلق الله كذا والأئمة) كقوله تعالى (وخلقناكم أزواجا) وكقوله (ومن كل شيء خلقنا زوجين) ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان القسم عليه أيضا متضادا ولهذا قال تعالى (إن سعيكم لشتى) أي أعمال العباد التي اكتسبوها متضادة أيضا ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) أي أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله في أموره (وصدق بالحسنى) أي بالمجازاة على ذلك فانه قناعة ، وقال خصيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) أي بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمي والضحالك (وصدق بالحسنى) أي بلائلا إلا الله وفي رواية عن عكرمة (وصدق بالحسنى) أي بما أنعم الله عليه ، وفي رواية عن زيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) قال الصلاة والزكاة والصوم وقال مرة وصدقة الفطر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح السهمي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثني من سمع أبا العالية الرباعي يحدث عن أبي بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال « الحسنى : الجنة »

وقوله تعالى (فسنبصره لليسرى) قال ابن عباس يعني للخير ، وقال زيد بن أسلم يعني للجنة وقال بعض السلف من ثواب الحسننة الحسننة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى (وأما من بخل) أي باعنده (واستغنى) قال عكرمة عن ابن عباس أي بخل بماله واستغنى عن ربه عز وجل . رواه ابن أبي حاتم (وكذب بالحسنى) أي بالجزاء في الدار الآخرة (فسنبصره لليسرى) أي لطريق السر كما قال تعالى (وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) والآيات في هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عز وجل يجازي من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة (رواية أبي بكر الصديق رضي الله عنه) قال الإمام أحمد حدثنا علي بن عياش حدثني العلاف بن خالد حدثني رجل من أهل البصرة عن طلحة ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبي يذكر أن أبا سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أنعم علي بما فرغ منه أو على أمر مؤتلف ؟ قال « بل على أمر قد فرغ منه » قال فقيم العمل يا رسول الله ؟ قال « كل ميسر لما خلق له » (رواية علي رضي الله عنه) قال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد في جنازة فقال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعه من النار » فقالوا يا رسول الله أفلا تتسكل ؟ فقال « اعلموا فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى - إلى قوله - لليسرى) وكذا رواه من طريق شعبة ووكيع عن الأعمش بنحوه . ثم رواه عن عثمان بن أبي شيبة عن جرير عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ فقمع وقعدنا حوله ومعه محضرة فنسكس فجعل ينسكت بمحضرتها ثم قال « ما منكم من أحد - أو ما من نفس منقوسة - إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » فقال رجل يا رسول الله أفلا تتسكل على كتابتنا ونسكس العمل ؟ فمن كان منا من

أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ومن كان منام أهل الشقاء فسيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال « أما أهل السعادة فيسيرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فيسيرون إلى عمل أهل الشقاء » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به **﴿ رواية عبد الله بن عمر ﴾** قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيد الله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال قال رسول الله رأيت ما نعمل فيه في أمر قد فرغ أو مبتدأ أو مبتدع ؟ قال « فيما قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلا ميسر ، أما من كان من أهل السعادة فانه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فانه يعمل للشقاء » ورواه الترمذي في القدر عن بندار عن ابن مهدي به وقال حسن صحيح **﴿ حديث آخر من رواية جابر ﴾** قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال قال رسول الله أنعمل لأمر قد فرغ منه أو لأمر نستأنفه ؟ فقال « لأمر قد فرغ منه » فقال سراقه فقيم العمل إذا ؟ فقال رسول الله **ﷺ** « كل عامل ميسر لعمله » ورواه مسلم عن أبي الطاهر عن أبي بن وهب به **﴿ حديث آخر ﴾** قال ابن جرير حدثني يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوي قال سألت غلامان شابان النبي **ﷺ** فقالا : يا رسول الله أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أو في شيء يستأنف ؟ فقال « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قالوا : فقيم العمل إذا ؟ قال « اعمأوا فكل عامل ميسر لعمله الذي خلق له » قالوا : نجد ونعمل **﴿ رواية أبي الدرداء ﴾** قال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبو الربيع سليمان ابن عتبة السلمي عن يونس بن ميسرة بن حابس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء قال : قالوا يا رسول الله رأيت ما نعمل أمر قد فرغ منه أم شيء نستأنفه ؟ قال « بل أمر قد فرغ منه » فقالوا فسكيف بالعمل يا رسول الله ؟ قال « كل امرئ مهياً لما خلق له » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثني الحسن بن سامة بن أبي كبشة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثني خالد العسري عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم ضربت فيه شمسه إلا وبجنتيها ملكان يناديان يسمعهما خالق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلقاً » وأنزل الله في ذلك القرآن (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى » وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن أبي كبشة بأسناده مثله **﴿ حديث آخر ﴾** قال ابن أبي حاتم حدثني أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني حدثنا الحسن بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلاً كان له نخيل ومنها نخلة فرعها في دار رجل صالح فقير ذي عيال فإذا جاء الرجل فدخل داره ف يأخذ الثمرة من نخلته فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع الثمرة من أيديهم وإن أدخل أحدهم الثمرة في فمها أدخل أصبعه في حلق السلام ونزع الثمرة من حلقه فشكا ذلك الرجل إلى النبي **ﷺ** وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبي **ﷺ** « اذهب » واتى النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له « أعطني نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة » فقال له لقد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها وإن لي لنخلاً كثيراً ما فيها نخلة أعجب إلى ثمرة من ثمرها فذهب النبي **ﷺ** فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة فقال الرجل يا رسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لي النخلة فأعطيتك إياها أعطيتني ما أعطيت بها نخلة في الجنة ؟ قال « نعم » ثم إن الرجل لقي صاحب النخلة ولسكلاهما نخل فقال له أخبرك أن محمداً أعطاني بنخلي المائة في دار فلان نخلة في الجنة فقلت له قد أعطيت ولكن يعجبني ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أراك إذا بهما قال لا إلا أن أعطى بها شيئاً ولا أظنني أعطاه قال : وما منك ؟ قال أربعون نخلة فقال الرجل : لقد جمعت بأمر عظيم نخلتك تطالب بها أربعين نخلة ، ثم سكنا وأنشأ في كلام آخر ثم قال أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال اشهد لي إن كنت صادقاً فأمر بأناس فدعاهم فقال اشهدوا أني قد أعطيت من نخلي أربعين نخلة بنخلته التي فرعها في دار فلان بن فلان ثم قال ما تقول

فقال صاحب النخلة قد رضيت ، ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم أفترق فقال له قد أقالك الله وأست بأحق من أعطيتك أربعمائة نخلة بخيلتك المائة فقال صاحب النخلة قد رضيت على أن تعطيني الأربعمائة على ما أريد قال تعطيتها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقفهم له شهوداً وعد له أربعمائة نخلة على ساق ففترقا فذهب الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن النخلة المائة في دار فلان قد ضاربتني فهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له « النخلة لك وإسالك » قال عكرمة قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (والليل إذا يغشى - إلى قوله - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فستيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فستيسره لليسرى) إلى آخر السورة ، هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً .

قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هارون بن إدريس الأصم حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحاربي حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق على الإسلام بمكة فسكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تعتق أناساً ضعفاء فأو أنك تعتق رجالاً جلداء يقيمون معك ويعينونك ويدفعون عنك فقال أي أبت إنما أريد - أظنه قال - ما عند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فستيسره لليسرى) ، وقوله تعالى (وما يعنى عنه ماله إذا تردى) قال مجاهد : أي إدامات . وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم إذا تردى في النار .

﴿ إِنَّا عَلِمْنَا لَهْدَىٰ * وَإِنَّا لَنَّا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ * فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾

قال قتادة (إن علينا للهدي) أي تبين الحلال والحرام ، وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله وجهه كقوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) حكاه ابن جرير ، وقوله تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) أي الجميع ملكنا وأنا للتصرف فيهما ، وقوله تعالى (فأندرتكم ناراً تالظي) قال مجاهد أي توهج . قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول « أنذرتكم النار » حتى لو أن رجلاً كان بالسوق لسمعته من مقامى هذا قال حتى وقعت خميسة كانت على عاتقه عند رجله . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو إسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أهول أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه » رواه البخاري ، وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهول أهل النار عذاباً من له نملان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي الرجل ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً وإنه لأهولهم عذاباً » ، وقوله تعالى (لا يصلها) إلا الأشقى (أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى ثم فسره فقال (الذي كذب) أي قلبه (وتولى) أي عن العمل بموارحه وأركانه

قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا بن لحيمة حدثنا عبد الله بن سعيد القهري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل النار إلا الشقى » قيل ومن الشقى قال « الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية »

وقال الإمام أحمد حدثنا يونس وشريح قالا حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل أمي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى » قالوا ومن يأبى يا رسول الله ؟

قال « من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى » ورواه البخاري عن محمد بن سنان عن فليح به
وقوله تعالى (وسيجزيها الأتقي) أي وسيزجج عن النار التي التي الأتقي ثم فسره بقوله (الذي يؤتي ماله يتزكى)
أي يصرف ماله في طاعة ربه ليتزكى نفسه وماله وما وهبه الله من دين ودنيا (وما لأحد عندهم من نعمة تجزي) أي ليس
بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً فهو يعطى في مقابلة ذلك وإيماء دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الأعلى)
أي طمعاً في أن يحصل له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات قال الله تعالى (ولسوف يرضى) أي واسوف
يرضى من اتصف بهذه الصفات ، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله
عنه حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فإن لفظها
لفظ العموم ، وهو قوله تعالى (وسيجزيها الأتقي الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزي) وليكنه مقسم
الأمة وسمايتهم في جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة فإنه كان صديقاً حقياً كريماً جواداً بذالاً لأمواله
في طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكيف من ذراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس
عنده منة يحتاج إلى أن يكفئه بها ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له
عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يدك عندى لم أجرك بها لأجبتك وكان الصديق
قد أغلظ له في المقالة فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ، ولهذا قال تعالى (وما لأحد
عنده من نعمة تجزي * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من
أنفق زوجين في سبيل الله دعت له خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير » فقال أبو بكر يا رسول الله ما على من يدعى منها
ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال « نعم وأرجو أن تكون منهم » ، آخر تفسير سورة الليل والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الضحى وهي مكية ﴾

روينا من طريق أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال: قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرني
أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قال لا : كبر حتى تختم مع خاتمة كل مسورة فإننا
قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك . وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره
بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبي بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبي أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأمره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البرزى من ولد القاسم بن أبي بزة وكان إماماً في
القرآن . فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلي قال هو منكر
الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في شرح الشاطبية عن الشافعى أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة
فقال : أحسنت وأصبحت السنة وهذا يقتضى صحة هذا الحديث . ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير وكيفية فقال
بعضهم يكبر من آخر الليل إذا يشئ ، وقال آخرون من آخر والضحى ، وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله
أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر . وذكر القراء في مناسبة التكبير من أول سورة
الضحى أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله ﷺ وقرت تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه (والضحى والليل إذا سجى)
السورة بتمامها كبر فرحاً وسروراً ، ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالضُّحَى ﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ وَمَا فَلَى * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ
يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى * فَأَمَّا
الْآيَتِمْ فَلَا تُفْهَرُ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرُ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿

قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأبنت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله عز وجل (والضحي والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم وابن جرير من طرق عن الأسود بن قيس عن جندب هو ابن عبد الله البجلي ثم الملقب به وفي رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس سمع جندبا قال أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال للشركون ودع محمدًا ربه فأنزل الله تعالى (والضحي والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمر بن عبد الله الأودي قالا حدثنا أبو أسامة حدثني سفيان حدثني الأسود بن قيس أنه سمع جندبا يقول روى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر في أصبعه فقال : « هل أنت إلا أصبح دميت * وفي سبيل الله ما لقيت ؟ »

قال فكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت (والضحي والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) والسياق لأبي سعيد قيل إن هذه المرأة هي أم جميل امرأة أبي لهب ، وذكر أن أصبعه عليه السلام دميت ، وقوله هذا الكلام الذي اتفق أنه موزون ثابت في الصحيحين ولسكن العرب ههنا جمل سببا لتركة القيام ونزول هذه السورة . فأما ما رواه ابن جرير حدثنا ابن أبي الشواب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيباني عن عبد الله بن مسعود أن خديجة قالت للنبي ﷺ ما أرى ربك إلا قد قلاك فأنزل الله (والضحي والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة إني أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك قال فنزلت (والضحي والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها فانه حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا أو قالته على وجه التأسف والتعجز والله أعلم

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن إسحق هذه السورة هي التي أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له في صورته التي خلقه الله عليها ودنا إليه وتدلى منه بطا عليه وهو بالأبطح (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال : قال له هذه السورة (والضحي والليل إذا سجى) قال العوفي عن ابن عباس لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقال للشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله (ما ودعك ربك وما قلى) وهذا قسم منه تعالى بالضحي وما جعل فيه من الضياء (والليل إذا سجى) أي سكن فأظلم وأدلمهم ؟ قاله مجاهد وقادة والنسائي وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (فائق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبنا ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (ما ودعك ربك) أي ما تركك (وما قلى) أي وما أبغضك (ولا آخرة خير لك من الأولى) أي وللدن الآخرة خير لك من هذه الدار ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس في الدنيا وأعظمهم لها اطراحا كما هو معاموم بالضرورة من سيرته ، ولما خير عليه السلام في آخر عمره بين الخلد في الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية ، قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا السعدي عن عمرو بن مرة عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : اضطلع جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر في جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث السعدي به وقال الترمذي حسن صحيح . وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أي في الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه في أمته وفيما أعد له من الكرامة ومن جملة نهر السكوة الذي حافتاه قباب الواو المحوف وطينه مسك أذفر كما سيأتي وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي عن إسماعيل بن عبد الله ابن أبي المهاجر الخزومي عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فأنزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فأعطاه في الجنة ألف ألف قصر

في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من طريقه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا ما يقال إلا عن توقيف وقال السدي عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وقال الحسن يعني بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر وقال أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن علي بن صالح عن يزيد بن أبي زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

ثم قال تعالى يعبد الله على عبده ورسوله محمد ﷺ ضلوات الله وسلامه عليه (ألم يجدك يتيما فآوى) وذلك أن أباه توفي وهو حمل في بطن أمه وقيل بعد أن ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان في كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفي وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفي أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهاهم فاختر الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل فلما وصل إليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلايته وعنايته به ، وقوله تعالى (ووجدك ضالاً فهدى) كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا) الآية ومنهم من قال إن المراد بهذا أن النبي صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه في طريق الشام وكان راكباً ناقة في الليل فجاء إبليس فسدل بها عن الطريق فجاء جبريل فنفض إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاهما البغوي ، وقوله تعالى (ووجدك عائلاً فأغنى) أى كنت فقيراً ذاعياً فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامى التقير الصابر والغنى الشاكر ضلوات الله وسلامه عليه . وقال قتادة في قوله (ألم يجدك يتيماً فآوى ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلاً فأغنى) قال كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وفي الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر بن وهام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ليس التنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وفتحه الله بما آناه » ثم قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) أى كما كنت يتيماً فآواك الله فلا تقهر اليتيم أى لاتذله وتهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به ، قال قتادة كن لليتيم كالأب الرحيم (وأما السائل فلا تنهر) أى وكما كنت ضالاً فهداك الله فلا تنهر السائل في العلم المسترشد قال ابن إسحاق (وأما السائل فلا تنهر) أى فلا تكن جباراً ولا متكبراً ولا فحاشاً ولا فظاً على الضعفاء من عباد الله ، وقال قتادة يعنى رد المسكين برحمة ولين (وأما بنعمة ربك فحدث) أى وكما كنت عائلاً فقيراً فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء في الدعاء المأثور النبوى « واجعلنا شاكرين لنعمتك مشينين بها عليك قابليهم وأتمهم علينا » وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن يونس الجريدي عن أبي نصره قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا منصور بن أبي مزاحم حدثنا الجراح بن فليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » وإسناده ضعيف وفي الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله قال « لا ما دعوتهم الله لهم وأنتم عليهم » . وقال أبو داود حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ورواه الترمذي عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم

وقال صحيح ، وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ قال « من أتى بلاء فذكره فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » تفرد به أبو داود . وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا بشر حدثنا عمار بن غزوة حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، فإن لم يجد فليئن به فمن أتى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره » قال أبو داود : ورواه يحيى بن أيوب عن عمار بن غزوة عن شريك عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به أبو داود ، وقال مجاهد يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن ، وقال ليث عن رجل عن الحسن بن علي (وأما نعمة ربك فحدث) قال ما عملت من خير فحدث إخوانك ، وقال محمد بن إسحق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا إلى من يطعن إليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصل . آخر تفسير سورة الضحى والله الحمد والمنة

(تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنَّا وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾

يقول تعالى (ألم نشرح لك صدرك) يعني أنا شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فيسبحا رحيا واسما كقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فيسبحا واسما لا يجرح فيه ولا يضر ولا يضيق . وقيل المراد بقوله (ألم نشرح لك صدرك) شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أوردته الترمذي ههنا وهذا وإن كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة وليسكن لا منافاة فإن جملة شرح صدره الذي فعل بصدرة ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فآله أعلم

قاله عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزار حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد ابن أبي بن كعب حدثني أبو محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريشا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال « لقد سألت يا أبا هريرة ، إني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبل إلى عشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجدهما معا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضججاني بلا قصر ولا همز فقال أحدهما لصاحبه افلق صدري ففوي أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلام ولا وجع فقال له أخرج القلب والجسد فأخرج شيئا كهية العاقمة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز إليهم رجلى النبي فقال أعدوا وسمعتم فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ، ورحمة الكبير » وقوله تعالى (ووضعتنا عنك وزرك) بمعنى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (الذي أنقض ظهرك) الانقراض الصوت وقال غير واحد من السلف في قوله (الذي أنقض ظهرك) أي انشاك حملة ، وقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال مجاهد لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الجارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتاني جبريل فقال إن ربك يقول كيف رفعت ذكرك : قال الله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج : وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الجوزي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « سألت ربي مسئلة ووددت أني لم أسأله قلت قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحيى الموتى، قال: يا محمد ألم أجعلك يتيماً فتأويته؟ قلت بلى يا رب قال ألم أجعلك ضالاً فهديتك قلت بلى يا رب قال ألم أجعلك عائلاً فأغنيته، قلت بلى يا رب قال ألم أشرح لك صدرك، ألم أرفع لك ذكرك، قلت بلى يا رب » وقال أبو نعيم في دلائل النبوة حدثنا أبو أحمد العطريق حدثنا موسى بن سهل الجوزي حدثنا أحمد بن القاسم بن بهزاذن الهيثقي حدثنا نصر بن حماد عن عثمان بن عطاء عن الزهري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « لما فرغت مما أمرني به من أمر السموات والأرض قلت يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته جعلت إبراهيم خليلاً وموسى كليمًا وسخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لقيسى الموتى فما جعلت لي قال أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله أني لا أذكر إلا ذكركت معي وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهراً ولم أعظم أمة وأعطيتك كنزاً من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أغر عليه للنبوة خاتم من الله من نور يابح ويشهد
إذا قال في المجلس المؤذن أشهد وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ اليثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمرُوا أئمتهم بالإيمان به ثم شمر ذكره في أئمة فلا يذكر الله إلا ذكر معه، وما أحسن ما قال الصرصري رحمه الله:

لا يصح الأذان في الفرض إلا باسمه العذب في الفهم المرضي

وقال أيضاً: ألم تر أنا لا يصح أذاننا ولا قرضنا إن لم نكرره فيها

وقوله تعالى (فان مع العسر يسراً) أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر.

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا حميد بن حماد بن أبي خواربوا الجهم حدثنا عائذ بن شريح قال سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي ﷺ جالساً وحيداً له حجر فقال « لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » فأُنزل الله عز وجل (فان مع العسر يسراً) وإن مع العسر يسراً ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر عن حميد بن حماد به ولفظه « لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه » ثم قال (فان مع العسر يسراً) إن مع العسر يسراً ثم قال البزار لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح (قلت) وقد قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعفه ولكن رواه مشبه عن معاوية بن قرة عن رجل عن عبد الله بن مسعود موقوفاً وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو قطن حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين. وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن نور عن معمر عن الحسن قال خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً قرحاً وهو يضحك وهو يقول « لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين » فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد عن الحسن مرملاً وقال سعيد بن قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال « لن يغلب عسر يسرين » ومعنى هذا أن العسر معروف في الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتمدد ولما قال (لن يغلب عسر يسرين) يعني قوله (فان مع العسر يسراً) إن مع العسر يسراً فالعسر الأول عين الثاني واليسر تعدد. وقال الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن عباد بن كثير عن أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل المنة من السماء على قدر المنة، ونزل العسر على قدر المصيبة » وما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبرا جميلاً ما أقرب الفرجا من راقب الله في الأمور نجبا
من صدق الله لم يشله أذى ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني

إذا شملت على اليأس القلوب
وأطأت المسكاره وأطأنت
ولم تر لانسكشاف الضر وجهها
أثراك على قنوط منك غوث
وكل الحاديات إذا تناهت
ولرب نازلة يضيق بها الفقى
كملت فلما استحكمت حلقاتها
وضاق لما به الصدر الرحيب
وأرست فى أما كتبها الخطوب
ولا أغنى بحيلته الأريب
يمن به اللطيف المستجيب
فوصول بها الفرج القريب
ذرعاً وعند الله منها المخرج
فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخره:

وقوله تعالى (فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب) أى إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علاقتها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة ، ومن هذا القيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته « لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخشان » وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعشاء » قال مجاهد فى هذه الآية إذا فرغت من أمر الدنيا فقمعت إلى الصلاة فانصب لربك وفى رواية عنه إذا قمت إلى الصلاة فانصب فى حاجتك وعن ابن مسعود إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل وعن ابن عباس نحوه وفى رواية عن ابن مسعود (فانصب * وإلى ربك فارغب) بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فإذا فرغت فانصب يعنى فى الدعاء ، وقال زيد بن أسلم والضحاك (فإذا فرغت) أى من الجهاد (فانصب) أى فى العبادة (وإلى ربك فارغب) قال الثورى اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل . آخر تفسير سورة ألم نشرح ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة والتين والزيتون وهى مكية ﴾

قال مالك وشعبة عن عدى بن ثابت عن البراء بن عازب كان النبى ﷺ يقرأ فى سفره فى إحدى الراكتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتاً أو قراءة منه ، أخرجه الجماعة فى كتبهم .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * هَذَا يَكْذِبُكَ بَعْدُ بِالْأَمِينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾

اختلف المفسرون هنا على أقوال كثيرة فتميل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هى نفسها وقيل الجبل الذى عندها وقال القرطبي هو مسجد أصحاب السكف وروى العوفى عن ابن عباس أنه مسجد نوح الذى على الجودى ، وقال مجاهد هو تينكم هذا (والزيتون) قال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم : هو مسجد بيت المقدس . وقال مجاهد وعكرمة هو هذا الزيتون الذى تعصرون (وطور سينين) قال كعب الأحبار وغير واحد هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الأمين) يعنى مكة . قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النخعي وابن زيد وكعب الأحبار ولا خلاف فى ذلك ، وقال بعض الأئمة هذه محال ثلاثة بعث الله فى كل واحد منها نبياً مرسلًا من أولى العزم أصحاب الشرائع الكبار (فالأول) محلة التين والزيتون وهى بيت المقدس التى بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام (والثانى) طور سينين وهو طور سيناء الذى كلم الله عليه موسى بن عمران (والثالث) مكة وهو البلد الأمين الذى من دخله كان آمناً وهو الذى أرسل فيه حمدا ﷺ قالوا وفى آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء - يعنى الذى كلم الله عليه موسى بن عمران - وأشرق من مساعير - يعنى جبل

بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى - واستعلن من جبال فاران - يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمدا ﷺ
فذكرهم غبرا عنهم على الترتيب الوجودي بحسب ترتيبهم في الزمان ولهذا أقسم بالأشرف ثم بالأشرف منه ثم بالأشرف منها
وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) هذا هو المقسم عليه وهو أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن
صورة وشكل منتصب القامة سوى الأعضاء حسنها (ثم رددناه أسفل سافلين) أي إلى النار قاله مجاهد وأبو العالية
والحسن وابن زيد وغيرهم ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ولهذا قال (إلا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال بعضهم (ثم رددناه أسفل سافلين) أي إلى أرض العمر ، وروى هذا عن ابن عباس
وعكرمة حتى قال عكرمة من جمع القرآن لم يرد إلى أرض العمر ، واختار ذلك ابن جرير ولو كان هذا هو المراد لما
حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الهرم قد يصيب بعضهم وإعيا المراد ما ذكرناه كقوله تعالى (والعصر إن الإنسان
إني خسر) إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقوله (فلم أجري بمنون) أي غير مقطوع كما تقدم ، ثم قال (فما
يكذبك) أي يا ابن آدم (بعد بالدين ؟) أي بالجزاء في المعاد ولقد علمت البدأة وعرفت أن من قدر على البدأة فهو قادر
على الرجعة بطريق الأولى فأى شيء يملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟ قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد
ابن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال : قلت لمجاهد (فما يكذبك بعد بالدين) عن به النبي ﷺ قال : معاذ
الله ، عن به الإنسان وهكذا قال عكرمة وغيره . وقوله تعالى (أليس الله بأحكم الحاكمين) أي أما هو أحكم الحاكمين
الذي لا يجوز ولا يظلم أحدا ومن عدله أن يقيم القيامة فينصف للظالم في الدنيا من ظلمه . وقد قدمنا في حديث أبي
هريرة مرفوعا « فإذا قرأ أحدكم التين والزيتون فأتى على آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين) فليقل بلى وأنا على ذلك من
الشاهدين » آخر تفسير سورة التين والزيتون ، والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة اقرأ - وهي أول شيء نزل من القرآن ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ *
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت : أول ما بدى به رسول الله
ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حُبب إليه الخلاء
فكان يأتي حراء فيتعش فيه - وهو التبعذ - إلى بلى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود
لثلمها حتى فجأه الوحي وهو في غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ ، قال رسول الله ﷺ « فقلت ما أنا بقارئ »
قال - فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم
أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق - حتى
بلغ - ما لم يعلم « قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال « زملوني زملوني » فرماوه حتى ذهب عنه
الروع فقال يا خديجة « مالي ؟ » وأخبرها الخبر وقال « قد خشيت على نفسي » فقالت له كلاً أبشر فوالله لا يخزيك الله
أبدا إنك لتصل الرحم وتصديق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة
حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة أخي أبيها وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية
وكان يكتب الكتاب العربي وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت
خديجة أي ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال
ورقة هذا الناموس الذي أنزل على موسى ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ
« أو مخرجي هم ؟ » فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصراً

مؤدرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنا غسدا منه مرارا كي يتبدى من ردوس شواهي العيال فكلما أوفى بدروة جبل لسكى يلقي نفسه منه يتبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن بذلك جأشيه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بدروة الجبل يتبدى له جبريل فقال له مثل ذلك . وهذا الحديث يخرج في الصحيحين من حديث الزهري وقد تكلفنا على هذا الحديث من جهة سنده ومعانيه في أول شرحنا للبخاري مستقصى فمن أراد أنه فهو هناك محرر والله الحمد واللذة فأول شيء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقه وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فصرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذي امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلو تارة يكون في الأذهان . وتارة يكون في اللسان وتارة يكون في الكتابة بالبيان ذهني ولفظي ورسمي . والرسمي يستلزم معان غير عكس فلهذا قال (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) وفي الأثر قيدوا العلم بالكتابة ، وفيه أيضا من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ * أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَى * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَى * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تَطْلَعُ الْإِبْرَاقُ ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأثر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال (إن إلى ربك الرجعى) أى إلى الله المصير والمرجع وسيجاسيك على مالك من أين جمعه وفيم صرفته . قال ابن أبي حاتم حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال : قال عبدالله : منهومان لا يشبعان العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتأذى في الطغيان ، قال ثم قرأ عبدالله (إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) وقال للآخر (إنما يحشى الله من عباده العلماء) وقد روى هذا مرفوعا إلى رسول الله ﷺ « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا » . ثم قال تعالى (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) نزلت في أبي جهل لعنه الله ، وتوعد النبي ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتي هي أحسن أولا فقال (أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى) أى لما ظنك إن كان هذا الذى تنهى على الطريق المستقيمة في فعله أو أمر بالتقوى بقوله وأنت تزجره وتوعده على صلاته ولهذا قال (أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ؟) أى أما علم هذا الناهى لهذا المتبدى أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء . ثم قال تعالى متوعدا ومنهددا (كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ) أى لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد (لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ) أى لنسحقها سواد يوم القيامة ثم قال (نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ) يعنى ناصية أبى جهل كاذبة في مقالها خاطئة في أفعالها (فليدع ناديه) أى قومه وعشيرته أى ليدعهم يستصبر بهم (سنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ) وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزنا أو حزبه ؟ قال البخاري حدثنا يحيى حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند السكبية لأطأن على عنقه فبلغ النبي ﷺ فقال « لئن فعل لأخذته للملائكة » ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم . وهكذا رواه الترمذي والنسائي في تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زكريا بن عدي عن عبيد الله بن عمرو به ، وروى

أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يصلي عند المقام فربه أبو جهل بن هشام فقال يا محمد ألم أنهلك عن هذا ؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وأبهره فقال يا محمد بأي شيء تهديني ؟ أما والله إني لأكثر هذا الوادي ناديا فأُنزل الله (فليدع ناديه * سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته . وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن رأيت رسول الله يصلي عند الكعبة لأتينه حتى أطأ على عنقه قال : فقال « لو فعل لأخذته للملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تنوا الموت لما تواروا وأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا » وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن عاد محمد يصلي عند المقام لأقتلنه فأُنزل الله عز وجل (اقرأ باسم ربك الذي خلق) حتى بلغ هذه الآية (لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية) فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فصلى فقبل ما عنك ؟ قال قد أسود ما بيني وبينه من الكتاب قال ابن عباس والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا نعيم بن أبي هند عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال أبو جهل هل يعرف محمد وجهه بين أظهركم . قالوا : نعم ، قال : فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلي كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه في التراب فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليظأ على رقبته قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه قال فقيل له مالك : فقال إن بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة قال : فقال رسول الله « لودنا في لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » قال وأنزل الله لأدرى في حديث أبي هريرة أم لا (كذا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة وقدرناه أحمد بن حنبل ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم من حديث معتمر بن سليمان به ، وقوله تعالى (كذا لا تطعه) يعني يا محمد لا تطعه فيما ينهك عنه من المداومة على العبادة وكثرة التأويل حيث شئت ولا تباله فإن الله حافظك وناصرك وهو يصمك من الناس (واسجدوا اقترب) كالتب في الصحيح عنده مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزوية عن سمى عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » وتقدم أيضا أن رسول الله ﷺ كان يسجد في (إذا السماء انشقت) و (اقرأ باسم ربك الذي خلق) . آخر تفسير سورة اقرأ لله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة القدر وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمُنشَاقَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر وهي الليلة المباركة التي قال الله عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) وهي ليلة القدر وهي من شهر رمضان كما قال تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس وغيره أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تعالى معظما شأن ليلة القدر التي اختصها بانزال القرآن العظيم فيها فقال (وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) . قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية : حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا القاسم بن الفضل الحداني عن يوسف بن محمد قال : قام رجل إلى الحسن ابن علي بن عبد مابيع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين أو يأسود وجوه المؤمنين فقال : لا تؤنني رحمك الله فإن النبي صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فسأه ذلك فنزلت (إنا أعطيناك الكوثر) يا محمد يعني نهرا في الجنة ونزلت (إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) يملكها بعدك بنو أمية

يا محمد ، قال القاسم فمددنا فاذهي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص . ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقة ويحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي قال وشيخه يوسف بن سعد قال يوسف بن مازن رجل مجحول ولا يعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه

وقد روى هذا الحديث الحاكم في مستدركه من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن به وقول الترمذي إن يوسف هذا مجحول فيه نظر فإنه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخاله الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور ، وفي رواية عن ابن معين قال : هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف ابن مازن كذا قال وهذا يقتضي اضطرابا في هذا الحديث والله أعلم . ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج الزبيدي هو حديث منكر (قلت) وقول القاسم بن الفضل الحديث إنه حسب مدة بن أمية فوجدتها ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح فإن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن علي الإمرة سنة أربعين واجتمعت البيعة معاوية وسمى ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير في الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريبا من تسع سنين لم تكن لم تزل يذهبهم عن الإمرة بالكلية بل عن بعض البلاد إلى أن استسلم بنو العباس الخلافة في سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك يزيد من ألف شهر فإن ألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر وكان القاسم ابن الفضل استقل من مدتهم أيام بن الزبير وعلى هذا فيقارب مقاله الصحة في الحساب والله أعلم ، ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لأم دولة بن أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم فإن ليلة القدر شريفة جدا والسورة الكريمة إنما جاءت لمح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بن أمية التي هي مذمومة بمقتضى هذا الحديث وهل هذا إلا كما قال القائل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وقال آخر : إذا أنت فضلت امرأة ذا براءة على ناقص كان المديح من النقص

ثم الذي يفهم من الآية أن ألف شهر المذكورة في الآية هي أيام بن أمية والسورة مكية فكيف يقال على ألف شهر هي دولة بن أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها والنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونسكاته والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا مسلم يعني ابن خالقه عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني إسرائيل ليس السلاح في سبيل الله ألف شهر قال فمحبب المسلمون من ذلك قال فأمر الله عز وجل (إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر) ليلة القدر خير من ألف شهر (التي لبس ذلك الرجل السلاح في سبيل الله ألف شهر وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن الثوري بن الصباح عن مجاهد قال كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي ففعل ذلك ألف شهر فأمر الله هذه الآية (ليلة القدر خير من ألف شهر) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل . وقال ابن أبي حاتم أخبرنا يونس أخبرنا ابن وهب حدثني مسامة بن علي عن علي بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أربعة من بني إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقييل بن العجوز ويوشع بن نون قال فمحبب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل فقال يا محمد : عجبت أمتك من عبادة هؤلاء الف ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فقد أنزل الله خيرا من ذلك فقرأ عليه (إنا أنزلناه في ليلة القدر) وما أدراك ما ليلة القدر (ليلة القدر خير من ألف شهر) هذا أفضل مما عجبت أمتك قال : فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس

معه وقال سفيان الثوري: بلغني عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير من ألف شهر رواه ابن جرير . وقال ابن حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر ليس في تلك الشهور ليلة القدر وهكذا قال قتادة بن دعامة والشافعي وغير واحد وقال عمرو بن قيس الملائي عمل فيها خير من عمل ألف شهر وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير وهو الصواب لإماده وهو كقوله عليه السلام « رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » رواه أحمد وكذا جاء في فاصدا للجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها إلى غير ذلك من المعاني المشابهة لذلك

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي هريرة رضى الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ « قد جاءكم شهر رمضان مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » ورواه النسائي من حديث أيوب به ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) أى يكثرت تنزل للملائكة في هذه الليلة لكثرة بركاتها والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الله كرو ويضعون أجنحتهم لطلاب العلم بصدق تعظيها له ، وأما الروح فقيل المراد به هبنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هو ضرب من الملائكة كما تقدم في سورة النبأ والله أعلم ، وقوله تعالى (من كل أمر) قال مجاهد: سلام هي من كل أمر وقال سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الأعمش عن مجاهد في قوله (سلام هي) قال هي سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى وقال قتادة وغيره تنقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) ، وقوله تعالى (سلام هي حتى مطلع الفجر) قال سعيد بن منصور حدثنا هشام عن أبي إسحاق عن الشعبي في قوله تعالى (من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) قال تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل الساجد حتى يطامع الفجر ، وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ (من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) وروى البيهقي في كتابه فضائل الأوقات عن علي أثرا غريبا في نزول الملائكة ومرورهم على الصليين ليلة القدر وحصول البركة للصليين ، وروى ابن أبي حاتم عن كعب الأحمري أثرا غريبا عجيبا مذكورا جدا في نزول الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام إلى الأرض ودعائهم للمؤمنين والؤمنات ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا عمران بن عيسى القطان عن قتادة عن أبي يعمونة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر « إنها ليلة سابعة أو ثامنة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى » وقال الأعمش عن التمهال عن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله (من كل أمر سلام) قال لا يحدث فيها أمر . وقال قتادة وابن زيد في قوله (سلام هي) يعنى هي خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر ، ويؤيد هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقة حدثني بجير بن سعيد عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليلة القدر في العشر الباقية ، من قامهن ابتغاء حسبتن فإن الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهي ليلة وتر : تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قنأ ساطعا ما كنه ساجية لا بارد فيها ولا حر ولا يجل لكونك يرمى به حتى يصبح ، وإن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شمع مثل القمر ليلة البدر ولا يجل للشيطان أن يخرج معها يومئذ » وهذا إسناد حسن وفي اللان غرابة وفي بعض ألفاظه نكارة وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زهدة عن سادة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : في ليلة القدر « ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء » وروى ابن أبي عاصم النبيل

بإسناده عن جابر بن عبد الله بن رسول بن جابر قال « رأيت ابن القدر فأنسيتها وهي في العشر الأواخر من
لئلا وهي طلقة نارية لاحارة ولا باردة كبأن فيها فمرا لا يخرج شيئاً منها حتى يصير فجرها »

(فصل) اختلاف العلماء هل كانت ليلة القدر في الأمم السالفة أو هي من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين . قال
أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك
فكانت تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر .
وقد أسند من وجه آخر ، وهذا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هذه الأمة باليلة القدر وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة
الشافعية عن جمهور العلماء قاله أعلم . وحكى الخطابي عليه الإجماع ونقله الرازي جازماً به عن الذهب ، والذي دل عليه
الحديث أنها كانت في الأمم للماضين كما هي في أمتنا .

قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثني أبو زميل سمالك الحنفي حدثني مالك بن مرند
ابن عبد الله حدثني مرند قال سألت أبا ذر قلت كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال أنا كنت
أسأل الناس عنها قلت يا رسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفي رمضان هي أو في غيره ؟ قال « بل هي في رمضان »
قلت تكون مع الأنبياء ما كانوا فاذا قبضوا رفعت أم هي إلى يوم القيامة ؟ قال « بل هي إلى يوم القيامة » قلت في أي
رمضان هي قال « التسووها في العشر الأول والعشر الآخر » ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتبلت غفلته قلت
في أي العشرين هي ؟ قال « اتفقوا في العشر الأواخر ، لا تسألي عن شيء بعدها » ثم حدث رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم
ثم اهتبلت غفلته فقالت يا رسول الله أقسمت عليك بحق عليك لما أخبرني في أي العشر هي ؟ فغضب على غضبي لم يغضب
مثله منذ صحبتته وقال « التسووها في السبع الأواخر ، لا تسألي عن شيء بعدها » ورواه النسائي عن التماس عن يحيى
ابن سعيد القطان به ، ففيه دلالة على ما ذكرناه وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة في كل سنة بعد النبي صلى الله
عليه وسلم لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالسكينة على ما فهموه من الحديث الذي سنورده بعد من
قوله عليه السلام « رفعت وعسى أن يكون خيراً لكم » لأن الراد رفع علم وقتها عنا . وفيه دلالة على أن ليلة القدر
يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما روى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل المكوفة من
أنها توجد في جميع السنة وترتجى في جميع الشهور على السواء .

وقد ترجم أبو داود في سننه على هذا فقال (باب بيان أن ليلة القدر في كل رمضان) حدثنا حميد بن زنجويه السامي
أخبرنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير حدثني موسى بن عقبة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن
عبد الله بن عمر قال سئل رسول الله ﷺ وأنا أجمع عن ليلة القدر فقال هي في كل رمضان وهذا إسناد رجاله ثقات
إلا أن أبا داود قال رواه شعبه وسفيان عن أبي إسحاق فأوثقاه وقد حكى عن أبي حنيفة رحمه الله رواية أنما ترتجى في كل
شهر رمضان وهو وجه حكاها الغزالي واستخرجه الرافعي جذا

(فصل) ثم قد قيل إنها تكون في أوله ليلة من شهر رمضان يحكى هذا عن أبي زرير وقيل إنها تقع ليلة تسع
عشرة وروى فيه أبو داود حديثاً مرفوعاً عن ابن مسعود وروى موقوفاً عليه وعلى زيد بن أرقم وعثمان بن أبي العاص
وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعي ، ويحكى عن الحسن البصري ، ووجهه بأنها ليلة بدر وكانت ليلة جمعة
هي السابعة عشرة من شهر رمضان وفي صحتها كانت وقعة بدر وهو اليوم الذي قال الله تعالى فيه (يوم الفرقان)
وقيل ليلة تمع عشرة يحكى عن علي وابن مسعود أيضاً رضى الله عنهما ، وقيل ليلة إحدى وعشرين لحديث أبي سعيد
الخدري قال اعتكف رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم في العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه فأنناه جبريل فقال:
إن الذي تطالب أمامك العشر الأوسط فاعتكفنا معه فأنناه جبريل فقال الذي تطالب أمامك ثم
قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً صبيحة عشرين من رمضان فقال « من كان اعتكف معي فليرجع فاني
رأيت ليلة القدر وإني أنسيتها وإنها في العشر الأواخر في وتر وإني رأيت كأنني أسجد في طين وماء » وكان سقف

للسجد جريدا من النخل وما نرى في السماء شيئا فجاءت قرعة فطرقنا فصرخ بنا النبي صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه وفي لفظ في صحيح إحدى وعشرين أخرجاه في الصحيحين قال الشافعي وهذا الحديث أصح الروايات ، وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبد الله بن أنيس في صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبي سعيد الله فأنه أعلم ، وقيل ليلة أربع وعشرين . قال أبو داود الطيالسي حدثنا حماد بن سلمة عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » إسناد رجاله ثقات وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن الصناجعي عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » ابن لهيعة ضعيف وقد خالفه ما رواه البخاري عن أصبغ عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي عبد الله الصناجعي قال أخبرني بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها أول السبع من العشر الأواخر فهذا الموقوف أصح والله أعلم . وهكذا روى عن ابن مسعود وابن عباس وجابر والحسن وقتادة وعبد الله بن وهب أنها ليلة أربع وعشرين وقد تقدم في سورة البقرة حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال « التمسوها في العشر الأواخر من رمضان في تسعة تبقى في سابعة تبقى في خامسة تبقى » فسره كثيرون بليالي الأوتار وهو أظهر وأشهر ، وحمله آخرون على الأشفاق كما رواه مسلم عن أبي سعيد أنه حملها على ذلك والله أعلم ، وقيل إنها تكون ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان سمعت عبدة وعاصما عن زر سأل أبي بن كعب قلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول من يتم الحول يصب ليلة القدر قال يرحمه الله لقد علم أنها في شهر رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك ؟ قال بالآية التي أخبرنا بها تطلع ذلك اليوم لاشعاع لها يعني الشمس وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعي عن عبدة عن زر عن أبي فذكره وفيه فقال : والله الذي لا إله إلا هو إنها في رمضان يخلف ما يستثنى والله إنى أعلم أي ليلة القدر هي التي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هي ليلة سبع وعشرين ، وأما أنها أن تطلع الشمس في صبيحتها بيناء لاشعاع لها ، وفي الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبي حنيفة أيضا وقد حكى عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله (هي) لأنها السابعة والعشرون من السورة فأنه أعلم وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم الدبري أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وعاصم أنهم سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنها في العشر الأواخر قال ابن عباس فقلت لعمر فبني لأعلم - أو إني لأظن - أي ليلة القدر هي فقال عمر : وأي ليلة هي ؟ فقلت سابعة تمضي - أو سابعة تبقى - من العشر الأواخر فقال عمر من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وإن الشهر يدور على سبع وخلق الإنسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمى الجمار سبع لأشياء ذكرها فقال عمر لقد فطنت لأمر ما فطنته ، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس في قوله ويأكل كل من سبع قال هو قول الله تعالى (فأنبثنا فيها حبا ونعنا) الآية وهذا إسناد جيد قوي ومأن غريب جدا فأنه أعلم وقيل إنها تكون في ليلة تسع وعشرين . وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن عمر بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « في رمضان فالتبها في العشر الأواخر فانها في وتر إحدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو في آخر ليلة » وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود وهو أبو داود الطيالسي حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبي ميمونة

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر «إنها في ليلة سابعة أو ثامنة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى» تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به ، وقيل إنها تسكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث أنها ولما رواه الترمذي والنسائي من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكر أن رسول الله ﷺ قال « في تسع يمين أو سبع يمين أو خمس يمين أو ثلاث أو آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر » وقال الترمذي حسن صحيح وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في ليلة القدر «إنها آخر ليلة» (فصل) قال الشافعي في هذه الروايات : صدرت من النبي ﷺ جوابا للسائل إذا قيل له ألتتمس ليلة القدر في الليلة القلانية؟ يقول « نعم » وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تتنقل . نقله الترمذي عنه بمعناه وروى عن أبي قلابة أنه قال : ليلة القدر تتنقل في العشر الأواخر وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك والثوري وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبو ثور والزنبي وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم وهو يحكى عن الشافعي نقله القاضي عنه وهو الأشبه والله أعلم . وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحريها في السبع الأواخر » وفيها أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان » ولعله للبخاري ويحتاج للشافعي أنه لا تتنقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال : خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بيلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال « خرجت لأخبركم بيلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعين لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة إذ لو كانت تتنقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط اللهم إلا أن يقال إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط وقوله « فتلاحى فلان وفلان فرفعت » فيه استئناس لما يقال إن الممارسة تقطع الفائدة والعلم النافع كما جاء في الحديث « إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه » وقوله « فرفعت » أي رفع علم تعيينها لكم لأنهم ارفعت بالسكينة من الوجود كما يقوله جهالة الشيعة لأنه قد قال بعد هذا « فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة » وقوله « وعسى أن يكون خيرا لكم » يعني عدم تعيينها لكم فإنها إذا كانت معينة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع شحال رجائها فكان أكثر العبادة بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت المهم تتقاصر على قيامها فقط وإنما اقتضت الحكمة إيهامها لتعم العبادة بجميع الشهر في ابتغائها ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده ، أخرجاه من حديث عائشة . ولها عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان ، وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المنزر أخرجاه ، ولمسلم عنها كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر مالا يجتهد في غيره ، وهذا معنى قولها وشد المنزر ، وقيل الراد بذلك اعتزال النساء ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين لما رواه الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقي عشر من رمضان شد منزره واعتزل نساءه انفرد به أحمد . وقد حكى عن مالك رحمه الله أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء لا يرجح منها ليلة على أخرى رأيت في شرح الرافعي رحمه الله والمستحب الأكثر من الدعاء في جميع الأوقات وفي شهر رمضان أكثر وفي العشر الأخير منه ثم في أواخره أكثر والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء : اللهم إني أعوذ بك عفو تحب العفو فاعف عني لما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد هو ابن هارون حدثنا الجويري وهو سعيد بن إياس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت يا رسول الله : إن وافقت ليلة القدر فمأ أدعو ؟ قال « قولي اللهم إني أعوذ بك عفو تحب العفو فاعف عني » وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريدة عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر

ما أقول فيها؟ قال « قولي اللهم إنك عفو رحيم فاعف عني » وهذا لفظ الترمذي ثم قال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ورواه النسائي أيضا من طريق سفيان الثوري عن علقمة ابن مرثد عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت: قالت يا رسول الله أ رأيت إن وافقت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال « قولي اللهم إنك عفو رحيم فاعف عني » ذكر أثر غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر في رواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني حدثنا سيار بن حاتم حدثنا موسى ابن سعيد يعني الراسبي عن هلال بن أبي جبلة عن أبي عبد السلام عن أبيه عن كعب أنه قال: إن سدرة المنتهى على سد السماء السابعة مما يلي الجنة فهي على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة علوها في الجنة وعروقها وأغصانها من تحت الكرسي فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل على أغصانها في كل موضع شجرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام في وسطها فينادي الله جبريل أن ينزل في كل ليلة القدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى وليس فيهم ملك إلا قد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين فينزلون على جبريل في ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة في ليلة القدر إلا وعليها ملك إما ساجد وإما قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت نار أو وثن أو بعض أما كنكم التي تفرحون فيها الحبث أو بيت فيه سكران أو بيت فيه مسكر أو بيت فيه وثن منصوب أو بيت فيه جرس معلق أو مبولة أو مكان فيه كساحة البيت فلا يزالون ليلتهم تلك يدعو للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع أحدا من المؤمنين إلا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فإن ذلك من مصافحة جبريل وذكر كعب أن من قال في ليلة القدر: لا إله إلا الله ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فقلنا لكعب الأحبار يا أبا إسحاق صادقاً فقال لكعب الأحبار وهل يقول لا إله إلا الله في ليلة القدر إلا كل صادق والذي نفسي بيده إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق حتى كأنها على ظهره جبل فلا تزال الملائكة يهكذا حتى يطالع الفجر فأول من يصعد جبريل حتى يكون في وجه الأفق الأعلى من الشمس فيسقط جناحيه وأجنحتهان أخضران لا ينشرهما إلا في تلك الساعة فتصير الشمس لاشعاع لها ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد فيجتمع نور الملائكة ونور جناحي جبريل فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك في دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ولما صام رمضان إيماناً واحتساباً ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله فإذا أمسوا دخلوا إلى السماء الدنيا فيجلسون حلقة حلقة فيجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة فيحدثونهم حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدته العام؟ فيقولون وجدنا فلانا عام أول في هذه الليلة متعبداً وجدناه العام مبتدداً ووجدنا فلانا مبتدداً ووجدناه العام عابداً قال فيكفون عن الاستغفار لذلك ويقولون على الاستغفار لهذا ويقولون وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ووجدنا فلانا راکما وفلانا ساجداً ووجدناه تالياً لكتاب الله قال فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدون إلى السماء الثانية ففى كل سماء يوم وليلة حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى فيقول لهم سدرة الغنم يأسكني حديثي عن الناس وسعوي فان لي عليكم حقاً وإنني أحب من أحب الله فذكر كعب الأحبار أنهم يمدون لها ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم تقبل الجنة على السدرة فيقول أخبرني بما أخبرك مكانك من الملائكة فتخبرها قال فتقول الجنة رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة اللهم عجلهم إلى فيباغ جبريل مكانه قبلهم فيلهم الله فيقول وجدت فلانا ساجداً فاعف له فيغفر له فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرتة لفلان، ويقول يارب وجدت عبدك فلانا الذي وجدته عام أول على السنة والعبادة ووجدته العام قد أحدث حديثاً وتولى عملاً أمر به فيقول الله: يا جبريل إن تاب فأعنتي قبل أن يموت ثلاث ساعات غفرت له. فيقول جبريل لك الحمد إلهي أنت أرحمهم من جميع خلائك وأنت أرحم عبادك من عبادك بأنفسهم، قال فيرتج العرش وما حوله والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله الرحيم . قال ورد كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أظفر رمضان أن لا يمضي الله دخل الجنة بغير مسألة ولا احتساب آخر تفسير سورة ليلة القدر، والله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة لم يكن وهي مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا علي هو ابن زيد عن عمار بن أبي عمار قال سمعت
أبا حبة البدرى وهو مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري قال لما نزلت (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب)
إلى آخرها قال جبريل : يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تقرعها أيسا . فقال النبي ﷺ لأبي « إن جبريل
أمرني أن أقرأك هذه السورة » قال أبي وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال « نعم » قال فبكن أبي (حديث آخر) وقال
الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لأبي بن كعب « إن الله أمرني أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) » قال وسألتك ؟
قال « نعم » فبكني ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا أسلم القرقي عن عبد الله بن عبد الرحمن بن
أبزي عن أبيه عن أبي بن كعب قال : قال لي رسول الله ﷺ « إني أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا »
قلت يا رسول الله وقد ذكرت هناك ؟ قال « نعم » فقلت له يا أبا المنذر ففرحت بذلك . قال وما يعني والله يقول (قل
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال مؤمل قلت لسفيان القراءة في الحديث ؟ قال نعم . تفرد
به من هذا الوجه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن
زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي « إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن
سألك فقرأ - (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) - قال فقرأ فيها - ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه
لسأل ثانيا ، ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا ولا يعلا جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإن
ذات الدين عند الله الحنيفية غير الشرك ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره » ورواه الترمذي
من حديث أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا
أحمد بن خالد الخطابي حدثنا محمد بن عيسى الطباع حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبي بن كعب عن أبيه عن جده عن
أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « يا أبا المنذر إني أمرت أن أعرض عليك القرآن » قال بالله آمنت
وعلى يدك أسلمت ومنك تعلمت ، قال فرد النبي ﷺ القول ، قال : فقال يا رسول الله وذكرت هناك ؟ قال :
« نعم باسمك ونسبك في الملأ الأعلى » قال فأقرأ إذا يا رسول الله ، هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم
وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تشبيها له وزيادة لإيمانه فانه كما رواه أحمد والنسائي من طريق أنس
عنه ، ورواه أحمد وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ، ورواه أحمد عن عفان عن حماد عن حميد
عن أنس عن عبادة بن الصامت عنه ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن
عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه - كان قد أنكر على إنسان وهو عبد الله بن مسعود قراءة من
القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأها وقال لسكل منهما
« أصبت » قال أبي فأخذني من الشك ولا إذ كنت في الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ في صدره قال أبي
ففضت عرقا وكأنا أنظر إلى الله فرقا وأخبره رسول الله ﷺ أنت جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن
تقرء أمتك القرآن على حرف فقلت أسأل الله معافاته ومغفرته فقال على حرفين فلم يزل حتى قال إن الله
يأمرك أن تقرء أمتك القرآن على سبعة أحرف كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطريقه وله في أول التفسير فلما نزلت
هذه السورة وفيها (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة) فيها كتب قيمة (قرأها عليه رسول الله ﷺ)
قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار لا قراءة تعلم واستدكار والله أعلم وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله
ﷺ يو الحديثية عن تلك الأسئلة وكان فيما قال أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتي البيت ونطوف به ، قال

« إلى أفأخبرتك أنك تأتية عامك هذا » قال : لا قال « فانك آتية ومطوف به » فلما رجعوا من الحديبية وأنزل الله على النبي ﷺ سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب فقرأها عليه وفيها قوله (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية كما تقدم

وروى الحافظ أبو نعيم في كتابه أسماء الصحابة من طريق محمد بن إسماعيل الجعفي المدني حدثنا عبد الله بن سلمة ابن أسلم عن ابن شهاب عن إسماعيل بن أبي حكيم المزني حدثني فضيل سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أشعر عبي فوعزني لأمكن لك في الجنة حتى ترضى » حديث غريب جدا ، وقد رواه الحافظ أبو موسى المديني وابن الأثير من طريق الزهري عن إسماعيل بن أبي كثر عن مطر المزني - أو المديني - عن النبي ﷺ « إن الله يسمع قراءة لم يكن الذين كفروا ويقول أشعر عبي فوعزني لأنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكن لك في الجنة حتى ترضى »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

(لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ * وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ * وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ)

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان والنيان من العرب ومن المجمع ، وقال مجاهد لم يكونوا (منفكين) يعني منتهين حتى يتبين لهم الحق وهكذا قال قتادة (حتى تأتيتهم البينة) أي هذا القرآن ولهذا قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيتهم البينة) . ثم فسر البينة بقوله (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) يعني محمدا ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتوب في الملائ الأعلى في صحف مطهرة كقوله (في صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدي سفرة * كرام بررة) ، وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) قال ابن جرير أرى في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل قال قتادة (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويثنى عليه بأحسن الثناء وقال ابن زيد (فيها كتب قيمة) مستقيمة معتدلة ، وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) كقوله (ولا تكفروا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني بذلك أهل الكتاب المنزلة على الأمم قبلنا بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبيانات تفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافًا كثيرًا كما جاء في الحديث المروي من طرق « إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة ومستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » قالوا : من هم يارسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابي »

وقوله تعالى (وما أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) كقوله (وما أُرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (حنفاء) أي متحنفين من الشرك إلى التوحيد كقوله (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقد تقدم تقرير الحنيف في سورة الأنعام بما أغشى عن إعادة ههنا (ويقيموا الصلاة) وهي أشرف عبادات البدن (ويؤتوا الزكاة) وهي الإحسان إلى الفقراء والمجاويع (وذلك دين القيمة) أي الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة ، وقد استدل كثير من الأئمة كالزهري والشافعي بهذه الآية السريعة على أن الأعمال داخلية في الإيمان ولهذا قال (وما أُمِرُوا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا

الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)

يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفر أهل الكتاب والمشركين الخالفين لكتب الله المنزل وأنبأ الله المرسل عنهم يوم القيامة في نار جهنم خالدين فيها أي ما كثين لا يحولون عنها ولا يزولون (أولئك هم شر البرية) أي شر الخليقة التي برأها الله وذراها . ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعموا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفصيل المؤمنين من البرية على ثلاثئة أقواله (أولئك هم خير البرية) ثم قال تعالى (جزاؤهم عندهم) أي يوم القيامة (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا) أي بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعم المقيم (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم . وقوله تعالى (ذلك لمن خشى ربه) أي هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه وعنده كأنه يراه وعلم أنه إن لم يره فانه يراه . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « رجل أخذ بعنان فرسه في سبيل الله كما كانت هيعة استوى عليه . ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « رجل في ثلثة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ألا أخبركم بشر البرية ؟ » قالوا بلى قال « الذي يسأل بالله ولا يعطى به » . آخر تفسير سورة لم يكن ، والله الحمد والمنة

(تفسير سورة إذا زلزلت ، وهي مكية)

قال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجوينى البصرى حدثنا الحسن بن مسلم العجلي حدثنا ثابت قال الإسلم أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا عياش بن عباس عن عيسى بن هلال السدقى عن عبد الله بن عمرو قال : أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئنى يا رسول الله قال له « اقرأ ثلاثا من ذوات الرأ » فقال له الرجل كبر سننى واشتد قلبي وغفلت لساني ، قال « فاقرا من ذوات سم » فقال مثل مقالته الأولى ، فقال « اقرأ ثلاثا من المسبحات » فقال مثل مقالته ، فقال الرجل ولم يكن أقرئنى يا رسول الله سورة جامعة فأقرأه (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى إذا فرغ منها قال الرجل والذي بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفلح الرويحل ، أفلح الرويحل - ثم قال - على به - فجاءه فقال له - أمرت بيوم الأنصحنى جعله الله عبدا لهذه الأمة » فقال له الرجل أرأيت إن لم أجد إلا منيحة أننى فأضحى بها ؟ قال « لا ولكنك تأخذ من شرك وتسلم أظفارك وتقص شاربك وتحلق عاتك فذاك تمام أضحتك عند الله عز وجل » وأخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبى عبد الرحمن المقرئ به . وقال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجوينى البصرى حدثنا الحسن بن مسلم بن صالح العجلي حدثنا ثابت البنانى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن مسلم ، وقد رواه البراز عن محمد بن موسى الجوينى عن الحسن بن مسلم عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن » هذا لفظه . وقال الترمذى أيضا : حدثنا على بن حجر حدثنا يزيد بن هارون حدثنا يمان بن المغيرة العنزى حدثنا عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا

زلزلات تعدل نصف القرآن ، وقال هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقال يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ، ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة . وقال أيضا حدثنا عقبه بن مكرم العمي البصري حدثني ابن أبي فديك أخبرني سلمة بن وردان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه « هل تزوجت يا فلان » قال لا والله يا رسول الله ولا عندي ما أتزوج ؟ قال « أليس معك قل هو الله أحد - قال بلى قال - ثلث القرآن - قال أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟ - قال بلى ، قال ربع القرآن - قال - أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ - قال بلى قال - ربع القرآن - قال - أليس معك إذا زلزلت الأرض - قال بلى ، قال - ربع القرآن ، تزوج » ثم قال هذا حديث حسن ، تفرد بهن ثلاثين الترمذي لم يروهن غيره من أصحاب الكتب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا * إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لَّيُرَوَّا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

قال ابن عباس (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أى تحركت من أسفلها (وأخرجت الأرض أثقالها) أى ألقت ما فيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم) وكقوله (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخت) وقال مسلم في صحيحه حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانات من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول في هذا قطعت رحى ويجىء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا » وقوله عز وجل (وقال الإنسان ما لها) أى استنكر أمرها بعدما كانت قارة بها كئنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعد لها من الزلزال الذى لا يحيد لها عنه ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسعوات وبرزوا لله الواحد القهار ، وقوله تعالى (يومئذ تحدث أخبارها) أى تحدث بما عمل العامون على ظهرها . قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم حدثنا ابن المبارك وقال الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي واللفظ له حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن أبي سليمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) قال « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها » ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب وفي معجم الطبرانى من حديث ابن لميعة حدثني الحارث بن يزيد مع ربيعة الحنظلي أن رسول الله ﷺ قال « تحفظوا من الأرض فانها أمم وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا إلا وهى مخبرة » . وقوله تعالى (بأن ربك أوحى لها) قال البخارى أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد وكذا قال ابن عباس أوحى لها أى أوحى إليها ، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يومئذ تحدث أخبارها) قال : قال لها ربها قولى فقالت ؟ وقال شهاب أوحى لها أى أمرها وقال القرطبي أمرها أن تشق عنهم . وقوله تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتاتا) أى يرجعون عن موقف الحساب أشتاتا أى أنواعا وأصنافا ما بين شقي وسعيد مأمور به إلى الجنة ومأمور به إلى النار ، قال ابن جرير يصعدون أشتاتا فلا يجتمعون آخر ما عليهم وقال السدي أشتاتا فرقا . وقوله تعالى (ليروا أعمالهم) أى ليعملوا ويحازوا بما عملوا فى الدنيا من خير وشر ولهذا قال (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) . قال البخارى حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثني مالك عن

زيد بن نعيم عن أبي صالح النخعي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الرجل ثلاثة أجزاؤه رجل ستر وطى رجل وزر. فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال طيلها في مرج أروضة لها أصابت في طيلها ذلك في الرج والروضة كان له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستقت شرفاً أو شرفين كانت آثارها وأرواؤها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فغسبت منه ولم يرد أن تسقى به كان ذلك حسنات له ، وفي ذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تمعياً وتعفاً ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر ، ورجل ربطها فخراً ورياء ونواء فهي على ذلك وزر» فسئل رسول الله ﷺ عن الجعر فقال « ما أنزل الله فيها شيئاً إلا هذه الآية الفاذة الجامعة (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره *) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » ورواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا الحسن بن صمصمة بن معاوية عم الفرزق أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقراً عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره *) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قال: حسبي لا أبالي أن لا أسمع غيرها. وهكذا رواه النسائي في التفسير عن إبراهيم بن محمد بن يونس المؤدب عن أبيه عن جرير بن حازم عن الحسن البصري قال حدثنا صمصمة عم الفرزق فذكره . وفي صحيح البخاري عن عدي مرفوعاً « اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة » وله أيضاً في الصحيح « لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تغرق من دلو في إماء المستسقى ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » وفي الصحيح أيضاً « يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتهما ولو فرسن شاة » يعني ظلفها وفي الحديث الآخر « ردوا السائل ولو بظلف عرق » وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا كثير بن زيد عن الطالب بن عبد الله عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « يا عائشة استري من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » تفرد به أحمد . وروى عن عائشة أنها تصدقت بعينة وقالت كم فيها من مثقال ذرة . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم سمعت عامر ابن عبد الله بن الزبير حدثني عوف بن الحارث بن الطفيل أن عائشة أخبرته أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول « يا عائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالباً » ورواه النسائي وابن ماجه من حديث سعيد بن مسلم بن بانك به وقال ابن جرير حدثني أبو الخطاب الحسائي حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنا مالك بن عديلة عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس قال كان أبو بكر يأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فزلت هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره *) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال « يا أبا بكر ما رأيت في الدنيا مما تذكره فبمعاقل ذر الشمر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة » ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه أبي الخطاب به ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب قال في كتاب أبي قلابة عن أبي إريس أن أبا بكر كان يأكل مع النبي ﷺ فذكره ورواه أيضاً عن يعقوب عن ابن عتبة عن أيوب عن أبي قلابة أن أبا بكر وذكره (طريق أخرى) قال ابن جرير : حدثني يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني حي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لما نزلت (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وأبو بكر الصديق رضي الله عنه قاعد فبكى حين أنزلت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما يبكيك يا أبا بكر » قال يبكي هذه السورة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أولا أنكم تمطئون وتذنبون فيغير الله لكم خلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغير لهم . » (حديث آخر) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة وعلي بن عبد الرحمن بن المغيرة المعروف بملان المصري قال حدثنا عمرو بن خالد الحراني حدثنا ابن لميعة أخبرني هشام بن سعيد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال لما أنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره *) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) قالت يا رسول الله إني لراء عملي ؟ قال « نعم » قلت تلك السكبار السكبار قال « نعم » قالت الصغار الصغار قال « نعم » قالت وانكسر أمي قال « أبشر يا أبا سعيد فان الحسنة بعشر أمثالها - يعني إلى مائة ضعف - وبضاعف الله لمن يشاء والسنة بمثلها أو يعفو الله وإن ينجو أحد منكم بعمله » قالت ولا أنت يا رسول الله ؟ قال « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منة

برحمته قال أبو زرعة لم يرو هذا غير ابن أبي شيبة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثني ابن أبي شيبة عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وذلك لما نزلت هذه الآية (ويضعون الطعام على حبه مسكينا ويتما وأسير) كان المساكون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه فيجئ المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا شيء إنما نؤجر على ما نعطي ونحن نخبه ، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير : الكذب والظن والغيبة وأشياء ذلك يقولون إنما وعد الله النار على الكبار فرغمهم في القليل من الخير أن يعملوا فإنه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر فإنه يوشك أن يكثر فنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة) يعني وزن أصغر النمل (خيرا يره) يعني في كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنة فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشرة ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة

وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « إياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » وإن رسول الله ﷺ ضرب لمن مثالا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجئ بالعود والرجل يجئ بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا وأنضجوا ما قدفوا فيها . آخر تفسير سورة إذا زلزلت ، والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة العاديات وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرُنَّ بِهِ نَقْعًا * فَوسْطَنَ بِهِ جَحْمًا *
إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ
مَنَاقِبُ الْقَبُورِ * وَخُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾

يقسم تعالى بالحيل إذا أجزبت في سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذي يسمع من اللرس حين تعدو (فالمرورات قدحا) يعني اصطكاكها نعالها للصخر فتقدح منه النار (فالمغيرات صبحا) يعني الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويستمتع الأذان فان سمع أذانا وإلا أغار . وقوله تعالى (فأثرن به نقعا) يعني غبارا في مكان معترك الخيول (فوسطن به جحما) أي وسطن ذلك المكان كلهن جمع . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبدة عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله (والعاديات ضبحا) قال : الإبل وقال على هي الإبل وقال ابن عباس هي الحيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس : إنما كان ذلك في سرية بعثت . قال ابن أبي حاتم وابن جرير وحدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن أبي معاوية العجلي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس حدثه قال بينا أنا في الحجز جالسا جاءني رجل فسألني عن (العاديات ضبحا) فقالت له الحيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانقلع عني فذهب إلى علي رضي الله عنه وهو عند سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلي ؟ قال نعم سألت ابن عباس فقال الحيل حين تغير في سبيل الله قال اذهب فادعه لي فلمسا وقف على رأسه قال أتفتي الناس بما لا علم لك ، والله لأن كان أول غزوة في الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا . إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى الزدلفة ومن الزدلفة إلى منى ، قال ابن عباس فترعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي رضي الله عنه ، وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال علي إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى الزدلفة فإذا أووا إلى الزدلفة

أوروا النيران ، وقال العوفي وغيره عن ابن عباس : هي الخيل . وقد قال بقول علي إنها الإبل جماعة منهم إبراهيم وعبيد ابن عمير وقال بقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب وقال ابن جرير عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح أحاح ، وقال أكثر هؤلاء في قوله (فالأوريات قدحا) يعني بحوافرها وقيل أسمرت الحرب بين ركبائهن قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد (فالأوريات قدحا) يعني مكر الرجال وقيل هو إيقاد النار إذا رجموا إلى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال من فسرهما بالخيل هو إيقاد النار بالمزدلفة . قال ابن جرير والصواب الأول : أنها الخيل حين تقدم بحوافرها

وقوله تعالى (فالغبرات) صبحا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني بإظرف الخيل صبحا في سبيل الله ، وقال من فسرهما بالإبل هو الدفع صبحا من المزدلفة إلى منى وقالوا كلهم في قوله (فأثرن به تقعا) هو المكان الذي حلت فيه أثارت به الغبار إما في حج أو غزو . وقوله تعالى (فوسطن به جمعا) قال العوفي عن ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك يعني جمع السكابر من العدو ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعين ويكون جمعا منصوبا على الحال المؤكدة ، وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا حفص بن جميع حدثنا سمالك عن عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأشهرت شهرها لا يأتيه منها خبر فنزلت (والعاديات صبحا) صبحت بأرجائها (فالأوريات قدحا) قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارا (فالغبرات صبحا) صبحت القوم بغارة (فأثرن به تقعا) أثارت بحوافرها التراب (فوسطن به جمعا) قال صبحت القوم جميعا . وقوله تعالى (إن الإنسان لربه لسكران) هذا هو المقسم عليه بمعنى أنه لنعم ربه لسكران وجود . قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو الجوزاء وأبو العالية وأبو الضحى وسعيد بن جبير ومحمد بن قيس والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد : السكران السكران قال الحسن : السكران هو الذي يعد المصائب وينسى نعم الله عليه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (إن الإنسان لربه لسكران) » قال السكران الذي يأكل وسدده ويضرب عبده ويمنع رفقته » ورواه ابن أبي حاتم من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا إسناد ضعيف ، وقد روى ابن جرير أيضا من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانئ عن أبي أمامة موقوفا وقوله تعالى (وإنه على ذلك لشهيد) قال قتادة وسفيان الثوري : وإن الله على ذلك لشهيد ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان قاله محمد بن كعب القرظي فيكون تقديره وإن الإنسان على كونه كسكران لشهيد أي بلسان حاله أي ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) . وقوله تعالى (وإنه لحب الخير لشديد) أي وإنه لحب الخير وهو المال لشديد ، وفيه مذهبان (أحدهما) أن المعنى وإنه لشديد المحبة للمال (والثاني) وإنه لحريص بخيل من عبدة المال وكلاهما صحيح . ثم قال تبارك وتعالى مزهدا في الدنيا ومرغبا في الآخرة ومنها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما يستقبله الإنسان من الأحوال (أفلا يعلم إذا بعثر في القبور ؟) أي أخرج ما فيها من الأموات (وحصل ما في الصدور) قال ابن عباس وغيره يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) أي لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ويجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة . آخر تفسير سورة العاديات والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة القارعة وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾

قَامُهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿

القارعة من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والناشئة وغير ذلك . ثم قال تعالى معظمها أمرها ومهولاً لشأنها (وما أدراك ما القارعة) ثم فسر ذلك بقوله (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) أى فى انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومحيثهم من حيثهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث كما قال تعالى فى الآية الأخرى (كأنهم جراد منتشر) وقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) يعنى قد صارت كأنها الصوف المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق . قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبيرة والحسن وقتادة وعطاء الخراساني والضحاك والسدى (العهن) الصوف ثم أخبر تعالى عما يؤول اليه عمل العاملين وما يصيرون اليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم فقال (فأما من ثقلت موازينه) أى رجحت حسناته على سيئاته (فهو فى عيشة راضية) يعنى فى الجنة (وأما من خفت موازينه) أى رجحت سيئاته على حسناته ، وقوله تعالى (قَامُهُ هَاوِيَةٌ) قيل معناه فهو ساقط هاوياً بأمر رأسه فى نار جهنم وعبر عنه بأمه يعنى دماغه روى نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبي صالح وقتادة ، قال : قتادة يهوى فى النار على رأسه وكذا قال أبو صالح يهوى فى النار على رأسه ، وقيل معناه قَامُهُ الذى يرجع اليها ويصير فى المعاد اليها هَاوِيَةٌ وهى اسم من أسماء النار قال ابن جرير وإنما قيل للهَاوِيَةٌ أمه لأنه لا مأوى له غيرها ، وقال ابن زيد : الهَاوِيَةُ النار هى أمه ومأواه التى يرجع اليها ويأوى اليها وقرأ (ومأواهم النار) قال ابن أبي حاتم وروى عن قتادة أنه قال هى النار وهى مأواهم ولهذا قال تعالى مفسراً للهَاوِيَةَ (وما أدراك ما هِيَةٌ * نَارٌ حَامِيَةٌ)

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيقولون روحوا أخاكم فإنه كان فى غم الدنيا قال ويسألونه ما فعل فلان ؟ فيقول : مات أو ما جاءكم فيقولون ذهب به إلى أمه الهَاوِيَةُ ، وقد رواه ابن مردويه من طريق أنس بن مالك مرفوعاً بأبسط من هذا وقد أوردناه فى كتاب صفة النار - أجازنا الله تعالى منها بمنه وكرمه - وقوله تعالى (نار حَامِيَةٌ) أى حارة شديدة الحرارة قوية الالهب والسمير . قال أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » قالوا يا رسول الله إن كانت لكافية ؟ فقال « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً » ورواه البخارى عن إسماعيل بن أبي أويس عن مالك ورواه مسلم عن قتبية عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد به ، وفى بعض ألفاظه « انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد وهو ابن سلمة عن محمد بن أبي زياد سمعت أبا هريرة يقول سمعت أبا القاسم عليه السلام يقول « نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم » فقال رجل إن كانت لكافية ؟ فقال « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً حراً فجراً » تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم وروى الإمام أحمد أيضاً حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعمره عن يحيى بن جعدة « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد » وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجه من هذا الوجه وقد رواه مسلم فى صحيحه من طريق (١)

ورواه البراز من حديث عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدرى « ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً »

وقد قال الإمام أحمد حدثنا قتبية حدثنا عبد العزيز هو ابن محمد الدراوردي عن سهل عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » تفرد به أيضاً من هذا الوجه وهو على شرط مسلم أيضاً وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن عمرو الجلال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا معن ابن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبي سهل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أتدرون

ما مثل ناركم هذه من نار جهنم لم ي أشد سوادا من دخان ناركم هذه سبعين ضعفا « وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه . وروى الترمذي وابن ماجه عن عباس البوري عن يحيى بن بكير حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أوقد على النار ألف سنة حتى احترت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة » وقد روي هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب وجاء في الحديث عند الإمام أحمد من طريق أبي عثمان النهدي عن أنس وأبي نضرة العبدى عن أبي سعيد وعجلان مولى الشمعل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان يغلى منها دماغه » وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعشي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون في الشتاء من بردها وأشد ما تجدون في الصيف من حرها » وفي الصحيحين « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم » . آخر تفسير سورة القارعة والله أعلم والمنة

﴿ تفسير سورة التكاثر وهي مكية ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اَلْهٰكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتّٰى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُوْنَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُوْنَ عِلْمَ الْيَقِيْنِ * لَذَرَوْنَ الْاٰخِرَةَ لَتَأْتِيَنَّهُمُ الْعِيْنُ الْيَقِيْنُ * ثُمَّ لَقَسْنَا لَن يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيْمِ ﴾

يقول تعالى أشعلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتعادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وذرتم المقابر وصرتم من أهلها

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا زكريا بن يحيى الوقاد المصري حدثني خالد بن عبد الله عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « أهلكم التكاثر - عن الطاعة - حتى زرتم المقابر - حتى يأتىكم الموت » وقال الحسن البصري (أهلكم التكاثر) في الأموال والأولاد ، وفي صحيح البخارى في الرقاق منه وقال أخبرنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت (أهلكم التكاثر) يعنى « لو كان لابن آدم واد من ذهب » . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعنى ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول « (أهلكم التكاثر) يقول ابن آدم مالى مالى ، وهل لك من ماله إلا ما أكلت فأفئيت أو لبست فألبيت أو تصدقت فأفئيت ؟ » ورواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق شعبة به ، وقال مسلم في صحيحه حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول العبد مالى مالى ، وإعما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفئى أو لبس فألبى أو تصدق فأفئى ، وما سوى ذلك فذهب وتاركه للناس » تفرد به مسلم

وقال البخارى حدثنا الحميد بن حدثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويتبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويتبقى عمله » وكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال « يهرم ابن آدم ويتبقى معه اثنان : الحرص والأمل » أخرجاه في الصحيحين وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة الأحنف بن قيس واسمه الضمك أنه رأى في يد رجل درهما فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل لى فقال إنما هو لك إذا أنقته في أجر أو ابتغاه شكر ثم أشد الأحنف متمثلا قول الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته * فإذا أنقته فالمال لك

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة قال صالح بن حبان حدثني عن ابن بريدة في قوله (أهلكم التكاثر) قال نزلت في قبياتين من قبائل الأنصار في بني حارثة وبني الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت إحدىاهما

فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجلست إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فأَنزل الله (أَلْهَاكُمْ التَّسْكَاتُ حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهَا آيَةٌ بَعْرَةٌ وَمُشْغَلٌ وَقَالَ قَتَادَةُ (أَلْهَاكُمْ التَّسْكَاتُ حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) كَانُوا يَقُولُونَ نَحْنُ أَكْثَرُ مِنْ بَنِي فَلَانٍ وَنَحْنُ أَعَدُّ مِنْ بَنِي فَلَانٍ وَهُمْ كُلُّ يَوْمٍ يَتَسَاقُطُونَ إِلَى آخِرِهِمْ وَاللَّهُ مَا زَالُوا كَذَلِكَ حَتَّى صَارُوا مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ كُلِّهِمْ وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ : زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ أَيْ صَرْتُمُ إِلَيْهَا وَدَفَنْتُمْ فِيهَا كَمَا جَاءَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يُعَوِّدُهُ فَقَالَ « لَا بَأْسَ طُغُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فَقَالَ : قُلْتُ طُغُورٌ بَلْ هِيَ حُمَى تَفُورٌ ، عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ ، تَزِيرُهُ الْقُبُورُ ، قَالَ « فَتَعْمُ إِذَنْ » . وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَيْعِدٍ الْأَصْبَهَانِيُّ أَخْبَرَنَا حَكَمُ بْنُ سَالِمٍ الرَّائِزِيُّ عَنْ عَمْرِو بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنِ الْحَبَّاجِ عَنِ الْمُهَالِ عَنْ زُرِّ بْنِ حَبِيشٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ مَا زَلْنَا نَشْكُ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ حَتَّى نَزَلَتْ (أَلْهَاكُمْ التَّسْكَاتُ حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي كَرِيبٍ عَنْ حَكَمِ بْنِ سَالِمٍ بِهِ وَقَالَ غَرِيبٌ ، وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ بْنُ دَاوُدَ الْعَرَضِيُّ حَدَّثَنَا أَبُو الْمَلِيحِ الرُّقِيُّ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَرَأَ (أَلْهَاكُمْ التَّسْكَاتُ حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) فَلَبِثَ هَنِيئَةً ثُمَّ قَالَ يَا مَيْمُونُ مَا أَرَى الْقَابِرَ إِلَّا زِيَارَةً وَمَا لِلزَّائِرِ بِدَمْعٍ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ . قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَنْبَغِي أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ أَيْ إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى نَارٍ وَهَكَذَا ذَكَرَ أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ هَذِهِ آيَةُ حَقَّ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ فَقَالَ بَعْثَ الْيَوْمِ وَرَبُّ السَّكْبَةِ أَيْ إِنْ الزَّائِرُ سِيرَ حُلَّ مِنْ مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ هَذَا وَعِيدٌ بَعْدَ وَعِيدٍ وَقَالَ الضَّحَّاكُ (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يَعْنِي أَيُّهَا السَّكَاتُ (ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) يَعْنِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) أَيْ لَوْ عَلِمْتُمْ حَقَّ الْعِلْمِ لَمَا أَلْهَاكُمْ التَّسْكَاتُ عَنْ طَلَبِ الدَّارِ الْآخِرَةِ حَتَّى صَرْتُمْ إِلَى الْقَابِرِ ثُمَّ قَالَ (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ) هَذَا تَفْسِيرُ الْوَعِيدِ الْمُتَقَدِّمِ وَهُوَ قَوْلُهُ (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (تَوَعَّدَهُمْ بِهَذَا الْحَالِ وَهُوَ رُؤْيَا أَهْلِ النَّارِ الَّتِي إِذَا زُفِرَتْ زُفْرَةٌ وَاحِدَةٌ خَرَّ كُلُّ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ وَنَبِيٍّ مُرْسَلٍ عَلَى رُكْبَتَيْهِ مِنَ الْمَهَابَةِ وَالْعِظَمَةِ وَمُعَانِيَةِ الْأَهْوَالِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الْأَثَرُ الْمُرَوِيُّ فِي ذَلِكَ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (ثُمَّ لَتَسْتَأْنِفَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) أَيْ ثُمَّ لَتَسْتَأْنِفَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنْ شُكْرِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّحَّةِ وَالْأَمْنِ وَالرِّزْقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا إِذَا قَابَلْتُمْ بِهِ نِعْمَهُ مِنْ شُكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ وَقَالَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ حَدَّثَنَا زَكْرِيَّا بْنُ يَحْيَى الْجَزَارِيُّ الْقُرَظِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَيْسَى أَبُو خَالِدٍ الْجَزَارِيُّ حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ عِكْرَمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الظَّهْرِ فَوَجَدَ أَبَا بَكْرٍ فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ « مَا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةُ ؟ » فَقَالَ أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ « مَا أَخْرَجَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ ؟ » قَالَ أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكَ قَالَ فَقَعْدَ عُمَرَ وَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْدِثُهُمَا ثُمَّ قَالَ « هَلْ بَكَا مِنْ قُوَّةٍ تَنْطَلِقَانِ إِلَى هَذَا النَّحْلِ فَتَصِيدَانِ طَعَامًا وَشَرَابًا وَظِلًّا ؟ » قَالَا نَعَمْ قَالَ « مَرُوا بِنَا إِلَى مَنْزِلِ ابْنِ التَّيْهَانِ أَبِي الْهَيْثَمِ الْأَنْصَارِيِّ » قَالَ فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَيْدِينَا فَسَلَّمَ وَاسْتَأْذَنَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَأَمَّ الْهَيْثَمُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ تَسْمَعُ الْكَلَامَ تَرِيدُ أَنْ يَزِيدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ السَّلَامِ فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَنْصَرِفَ خَرَجَتْ أُمُّ الْهَيْثَمِ تَسْعَى خَلْفَهُمْ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ وَاثَقْتُ تَسْلِيمَكَ وَلَكِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَزِيدَنِي مِنْ سَلَامِكَ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « خَيْرًا » ثُمَّ قَالَ « أَيْنَ أَبُو الْهَيْثَمِ لَا أَرَاهُ » قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ قَرِيبٌ ذَهَبَ يَسْتَمْدِبُ الْمَاءَ ادْخُلُوا فَانْهَ بِنَا السَّاعَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَسَجَلَتْ بِسَاطِئِهَا شَجَرَةً فَجَاءَ أَبُو الْهَيْثَمِ فَفَرَحَ بِهِمْ وَقَرَّتْ عَيْنَاهُ بِهِمْ فَصَعِدَ عَلَى نَخْلَةٍ فَصَرَمَ لِحْمَ أَغْذَاقِهَا فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « حَسْبُكَ يَا أَبَا الْهَيْثَمِ » فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْكُلُونَ مِنْ بَسْرِهِ وَمِنْ رَطْبِهِ وَمِنْ تَذَنُّوبِهِ ثُمَّ أَتَاهُمْ بِمَاءٍ فَشَرَبُوا عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « هَذَا مِنَ النَّعِيمِ الَّذِي تَسْأَلُونَ عَنْهُ » هَذَا غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الصَّدَائِيُّ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ يَزِيدَ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ بَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ جَالِسَانِ إِذْ جَاءَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ « مَا أَجْلَسَكُمَا هَهُنَا ؟ » قَالَا : وَالَّذِي

بمثاق بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع قال « والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى غيره » فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبي ﷺ « أين فلان ؟ » فقالت ذهب يستعذب لنا ماء فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال مرحبا ما زار العباد شيء أفضل من نبي زارنى اليوم فعلق قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بمذق فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ألا كنت اجتذيت » فقال أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم ثم أخذ الشفرة فقال له النبي ﷺ « إياك والحلوب » فذبح لهم يومئذ فأكلوا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « لتسئان عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا فهذا من النعم » ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجه من حديث السكاري عن يحيى بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة عن أبي بكر الصديق به ، وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه بنحو من هذا السياق وهذه القصة ، وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا حشرج عن أبي أنسرة عن أبي عسيب يعنى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بي فدعاني فخرجت اليه ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط « أطلعنا » فجاء بمذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال « لتسئان عن هذا يوم القيامة » قال : فأخذ عمر العذيق فضرب به الأرض حتى تثار البس قبل رسول الله ﷺ ثم قال يا رسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال « نعم إلا من ثلاثة : خرقه لبس بها الرجل عورته ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو جحر يدخل فيه من الحار والقر » تفرد به أحمد ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد الله يقول أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا من النعم الذى تسئلون عنه » ورواه النسائي من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبي عمار عن جابر به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن شهود بن الربيع قال لما نزلت (ألهاكم التكاثر) فقرأ حتى بلغ (لتسئان يومئذ عن النعم) قالوا يا رسول الله عن أى نعم نسئل ؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والمعدو حاضر فمن أى نعم نسئل ؟ قال « أما إن ذلك سيكون » وقال أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه عن عمه قال كنا في مجلس فطاح علينا النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه أثر ماء فقلنا يا رسول الله تراك طيب النفس قال « أجل » قال ثم خاض الناس في ذكر النعمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا بأس بالنعمي لمن اتقى الله والنسجة لمن اتقى الله خير من النعمي وطيب النفس من النعم » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن خالد بن مخلد عن عبد الله بن سليمان به وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا شبابة عن عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن ابن عرزم الأشعري قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال النبي ﷺ « إن أول ما يسئل عنه - يعنى يوم القيامة - العبد من النعم أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونورك من الماء البارد » تفرد به الترمذي ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبير به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن عمرو بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبيد الله بن الزبير قال : قال الزبير لما نزلت (ثم لتسئان يومئذ عن النعم) قالوا يا رسول الله لأى نعم نسئل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال « إن ذلك سيكون » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به ورواه أحمد عنه وقال الترمذي حسن وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهري حدثنا حفص بن عمر العدني عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال لما نزلت هذه الآية (ثم لتسئان يومئذ عن النعم) قالت الصحابة يا رسول الله : وأى نعم نحن فيه وإنما نأكل في أنصاف بطوننا خبز الشعير ؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ : قل لهم أليس تحتدون النعال وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصماني عن ابن أبي ليلى

أظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (ثم لتسئلن يومئذ عن النعم) قال « الأمن والصحة »
وقال زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم لتسئلن يومئذ عن النعم) يعني شبع البطون وبارد الشراب
وظلال المساكن واعتدال الخلق ولاءة النوم ، رواه ابن أبي شيبة بإسناده المتقدم عنه في أول السورة . وقال سعيد
ابن جبير حتى عن شربة غسل . وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا ، وقال الحسن البصري من النعم الغداء والعشاء
وقال أبو قلابة : من النعم أكل السمن والغسل بالخبر النقي وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال . وقال علي بن أبي طلحة عن
ابن عباس (ثم لتسئلن يومئذ عن النعم) قال النعم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استمتعوا بها
وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مشغولا) وثبت في صحيح البخاري
وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن معيذ بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال
رسول الله ﷺ « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين
النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا القاسم بن
محمد بن يحيى الروزي حدثنا علي بن الحسين بن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث عن أبي فزارة عن زيد بن الأصم
عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ما فوق الإزار وظل الحائط وجور ، يحاسب به العبد يوم القيامة أو يستل عنه »
ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد . وقال الإمام أحمد حدثنا بهز وعثمان قالا حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال إسحق
ابن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يقول الله عز وجل - قال عفان يوم القيامة - :
يا ابن آدم حملتك على الخيل والابل ووزجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟ » تفرد به من هذا
الوجه . آخر تفسير سورة النكاح والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة العصر وهي مكية ﴾

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يسلم عمرو
فقال له مسيلة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال لقد أنزل عليه سورة وحيزة بليغة فقال : وما هي ؟ فقال
(والعصر إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) فذكر مسيلة
هنيئة ثم قال وقد أنزل على مثلي ، فقال له عمرو وما هو ؟ فقال : يا وير يا وير وإنما أنت أذنان وصدر وسائر كحفر نقر ، ثم قال
كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو ، والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب . وقد رأيت أبا بكر الجرائطي أستاذي في كتابه
العروف (بمساوي الأخلاق) في الجزء الثاني منه شيئا من هذا أو قريبا منه . والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شيء فيه
أذنه وصدره وباقيه دميط فأراد مسيلة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن . فلم يرج ذلك على عابداً وأثن
في ذلك الزمان . وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حفص قال كان الرجلان من أصحاب
رسول الله إذا اتفقا لم يفتقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على
الآخر ، وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لو سعتهم .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا

بِالصَّبْرِ ﴾

العصر : الزمان الذي يتبع فيه حركات بني آدم من خير وشر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم : هو العصر ، والمشهور الأول
فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاستثنى
من جنس الإنسان الذين آمنوا بقاومهم وعملوا الصالحات بمجوارحهم (وتواصوا بالحق) وهو أداء

الطاعات ، وترك المحرمات (وتواصوا بالصبر) أى على الصواب والأقدار وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر . آخر تفسير سورة المصرولة الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة ، وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هَمْزَةٍ لَمَزَةٍ ﴾ الذى جمع مالا وعدده * يمسب أن ماله أخذه * كلا لا يذبذبن في الحطمة * وما أدرأك ما الحطمة * نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة * إنها عليهم مؤصدة * في عهد ممددة * الهماز بالقول والهاز بالفعل يعنى يزدري الناس ويتنقص بهم ، وقد تقدم بيان ذلك في قوله تعالى (هاز مشاء بنعم) قال ابن عباس : همزة لمزة ، طعان معياب . وقال الربيع بن أنس الهمزة بهمزة في وجهه والهمزة من خافه . وقال قتادة الهمزة والهمزة لسانه وعينه ويأكل لحوم الناس ويطلع عليهم . وقال مجاهد الهمزة باليد والعين والهمزة باللسان وهكذا قال ابن زيد . وقال مالك عن زيد بن أسلم همزة لحوم الناس ، ثم قال بعضهم المراد بذلك الأخنس بن شريق وقيل غيره . وقال مجاهد هى عامة . وقوله تعالى (الذى جمع مالا وعدده) أى جمعه بعينه على بعض وأخفى عدده كقوله تعالى (وجمع فأوعى) قاله السدى وابن جرير وقال محمد بن كعب في قوله (جمع مالا وعدده) الهاء ماله بالهـار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة . وقوله تعالى (يحسب أن ماله أخذه) أى يظن أن جمعه السال يخلده في هذه الدار (كلا) أى ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى (لا يذبذبن في الحطمة) أى لا يذبذبن هذا الذى جمع مالا وعدده في الحطمة وهى اسم صفة من أسماء النار لأنها تحطم من فيها ولهذا قال (وما أدرأك ما الحطمة) نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة قال ثابت البناني : تهرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكي وقال محمد بن كعب : تأكل كل شئ من جسده حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده ، وقوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة كما تقدم تفسيره في سورة البلد . وقال ابن مردويه حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا علي بن سراج حدثنا حماد بن سرزاد حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا شريك عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (إنها عليهم مؤصدة) قال : مطبقة . وقدرناه أبو بكر بن أبي شيبة عن عبد الله بن أسد عن إسماعيل ابن خاله عن أبي صالح قوله ولم يرفعه . وقوله تعالى (في عهد ممددة) قال عطية السوفى عهد من حديد ، وقال السدى من نار ، قال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (في عهد ممددة) يعنى الأبواب هى الممددة ، وقال قتادة في قراءة عبد الله بن مسعود إنها عليهم مؤصدة بعهد ممددة ، وقال السوفى عن ابن عباس أذخلمهم في عهد ممددة عليهم حماد في أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب ، وقال قتادة كنا نحدث أنهم يمدون بعهد في النار واختاره ابن جرير وقال أبو صالح (في عهد ممددة) يعنى القيود الثقال . آخر تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الفيل وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ ألم يجعل كيدهم في تضليل * وأرسل عليهم طيراً أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول ﴾

هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش فياصرف عنهم من أصناف الذيل الذين كانوا قد عزموها على هدم السكينة وعزو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آتافهم وخيب سعيهم وأذل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوماً نساى

وكان دينهم إذا ذلك أقرب حالا لما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فانه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدر يقول : لم تنصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم ولكن صيانه للبيت العتيق الذي سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء . وهذه قصة أصحاب القيل على وجه الإيجاز والاختصار والتقريب ، قد تقدم في قصة أصحاب الأخدود أن ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذي قتل أصحاب الأخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقصر ملك الشام وكان نصرايا فكتب له إلى النجاشي ملك الحبشة لكونه أقرب إليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم في جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريقا في البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران أرياط وأبرهة فاختلفا في أمرها وتصاولا وتقاتلا وتضافا قتال أحدهما للآخر إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيوشيين بيننا ولكن ابرز إلى وأبرز إليك فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك فأجابه إلى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة فحمل أرياط على أبرهة فضر به بالسيف فشرم أنفه وفمه وشرى وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحا فداوى جرحه فبرا واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن فكتب إليه النجاشي يولمه على ما كان منه ويتوعده ويخلف ليطأن بلاده ويحزن ناصيته فأرسل إليه أبرهة يترقى له ويسانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجواب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته فأرسلها معه ويقول في كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فير قسمه وهذه ناصيتي قد بعثت بها إليك فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ورضى عنه وأقره على عمله وأرسل أبرهة يقول للنجاشي إنى سأبنى لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع في بناء كنيسة هائلة بصنعاء رقيقة البناء عالية الفناء مزخرفة الأرجاء ستمها العرب القليس لا ارتفاعا لها لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بناءها ، وعزم أبرهة لأشهر على أن يصرف حجاج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا حتى قصدوا بعضهم وأوصل إلى أن دخلها لئلا فأحدث فيها وكر راجعا فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له إنما صنع هذا بعض قريش غضبا ليهتهم الذي ضاهيت هذا به فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخبرنه حجرا حجرا . وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارا وكان يوما فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت إلى الأرض فتأهب أبرهة لذلك وصار في جيش كثيف عزمم لثلا يصده أحسد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه إليه النجاشي ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضا ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر فيلا غيره قاله أعلم ، يعني ليهدم به الكعبة بأن يجعل السلاسل في الأركان وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر لياق الحائط جملة واحدة ، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدا ورأوا أن حقا عليهم الحاجة دون البيت ورد من أراده بكيد فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن ومالوكهم يقال له ذو نفر فعدا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريد من هدمه وخرابه فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريد الله عز وجل من كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذو نفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قومه شهران وناهس فقاتلوه فهزمهم أبرهة وأسر نفيل ابن حبيب فأراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله في بلاد الحجاز فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهام ثقيف وصانعه خيفة على يمينهم الذي عندهم الذي يسمونه اللات فأكرمهم وبشوا معه أبا رغال دليلا فلما انتهى أبرهة إلى اللخمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه وكان في السرح مائتا بعير لعبد المطلب ، وكان الذي أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة وكان يقال له الأسود ابن مازن فجهل بعض العرب فيما ذكره ابن إسحاق وبعث أبرهة حنظلة الحميري إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف

قريش وأن يحبره أن الملك لم يجيء لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت فجاء حنظلة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال : فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم فان يمنعه منه فهو بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حنظلة فاذهب معي إليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجله ، وكان عبد المطلب رجلاً جسيماً حسن النظر ، ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط ؟ وقال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال لترجمانه : إن حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتي حين رأيته ثم قد زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصابها لك وترك بيتنا هو دينك ودين آبائك قد جئت لخدمته لا تكلمني فيه ، فقال له عبد المطلب : إني أنا رب الإبل وإن لا بيت رباً سيمنعه . قال ما كان ليمنعني مني قال أنت وذلك ، ويقال إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشرف العرب فمرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبد المطلب إليه ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخرج من مكة والتحصن في رؤوس الجبال تخوفاً عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب وهو أخذ بحلقة باب الكعبة

لا هم إن المرء عب * منع رحله فامسح رحالك
لا يغلبن صليهم * ومسلمهم أبداً محالك

قال ابن إسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا إلى رؤوس الجبال ، وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئاً بغير حق فينتقم الله منهم فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيه وكان اسمه مخموداً وعباً جيشة فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نضيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال ابرك مخمود وارجع راشداً من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نضيل بن حبيب يشتد حتى أصعد في الجبل وضربوا الفيل ليقيم فأبى ففصر بواف رأسه بالظريز وأدخلوا اعطاجين لهم في مراقبه فزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعاً إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيراً من البعير أمثال الخلد لطيف والبسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا يصيب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يتدرون الدريق ويسألون عن نضيل ليدلهم على الدريق ، وهذا نضيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النعمة ، وجعل نضيل يقول :

أين الفر والإله الطالب * والأشرم المغلوب ليس الغالب
قال ابن إسحاق وقال نضيل في ذلك أيضاً :

ألا حيث عنايا ودنيا * نعمنا كم منع الاصباح عينا
ودينة لو رأيت ولا تربه * لاسى جنب الحصب ما رأينا
إذا لعذرتي وحمدت أمري * ولم تأسى على ما فات دينا
حمدت الله إذا أبصرت طيرا * وخفت سجارة تلقى علينا
فشكل القوم تسأل عن نضيل * كأنك على للجيشان دينا

وذكر الواقدي بأسناده أنهم لما تمنعوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل جمعوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها فإذا وجهوه إلى الحرم ربيع وصباح ، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم وطال الفصل في ذلك ، هذا وعبد المطلب وجماعة من أشرف مكة فيهم المطعم بن عدي وعمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفي على حراء ينظرون ما الحبيشة يصنعون وماذا ياتون من أمر الفيل

وهو العجب العجيب ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم طيرا أبابيل أى قطعها قطعا صفرا دون اللحم وأرجلها حمر ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلفت عليهم وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا . وقال محمد بن إسحاق جاءوا بأبيلين فأما محمود فربض وأما الآخر فشجع فحصب . وقال وهب بن منبه كان معهم فيلة فأما محمود وهو فيل الملك فربض ليقبض به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية الفيلة وقال عطاء بن يسار وغيره ليس كلامه أصابه العذاب في الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون وكان أبرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خثعم . وقال ابن إسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويمسكون على كل منهل وأصيب أبرهة في جسده وخرجوا به معهم يسقط أعملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فمات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون . وذكر مقاتل بن سليمان أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم وما كان معهم وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب مائلا حفرة قال ابن إسحاق وحدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحسبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام وأنه أول ما رؤى به مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعسر ذلك العام وهكذا روى عن عكرمة من طريق جيد . قال ابن إسحاق فلما بعث الله محمدا ﷺ كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وقضاه مارد عنهم من أمر الحسبة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال (ألم تركبوا فعل ربك بأصحاب الفيل) ألم يجعل كيدهم في تنليلهم * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف ما كول (لا يلاف قريش * إياهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) أى لئلا يغير شيئا من حالهم الذى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الأبابيل الجماعات ولم تنكأ العرب بواحدة قال وأما السجيل فأخبرني يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنما هو سنج وجل يعنى بالسنج الحجر والجل اللبن يقول الحجر من هذين الجنسيتين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذى لم يقضب واحده عصف انتهى ما ذكره ، وقد قال حماد بن سلمة عن عامر عن زر عن عبد الله وأبوسلمة بن عبد الرحمن (طيرا أبابيل) قال الفرق وقال ابن عباس والنجاحك أبابيل يتبع بعضها بعضا وقال الحسن البصرى وقناة الأبابيل السكينة وقال مجاهد أبابيل شتى متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الأبابيل المختلفة تأتى من ههنا ومن ههنا أتهم من كل مكان وقال الكسائى سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبابيل إيل

وقال ابن جرير حدثني عبد الأعلى حدثني داود عن إسحاق بن عبيد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال فى قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) هى الأفاطع كالإبل المؤبلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) قال لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وحدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله تعالى (طيرا أبابيل) قال كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رءوس كءوس السباع ، وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير (طيرا أبابيل) قال هى طيور سود بحرية فى مناقيرها وأظافيرها الحجارة وهذه أسانيد صحيحة وقال معبد بن جبير كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر تختلف عليهم وعن ابن عباس ومجاهد كانت الطير الأبابيل مثل التى يقال لها عقاء مغرب ورواه عنهم ابن أبي حاتم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشأت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار عجزة حجرجين فى رجليه وحجرا فى منقاره قال فجاءت حصى صفت على رؤوسهم ثم صاحت وألقت ما فى أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدة ففصرت الحجارة فزادت شدة فأهلكوا جميعا ، وقال السدى عن عكرمة عن ابن عباس : حجارة من سجيل ، قال طين فى حجارة

سنتك وكل وقد قدمنا بيان ذلك بما أغفى عن إعادته ههنا ، وقوله تعالى (فجعلهم كعصف ما كؤل) قال سعيد بن جبير
يعنى التبن الذى تسميه العامة هبور وفي رواية عن سعيد ورق الحنطة ، وعنه أيضا العصف التبن والمأكؤل القصيل يحز
للدواب وكذلك قال الحسن البصرى ، وعن ابن عباس العصف القشرة التى على الحبة كالغلاف على الحنطة
وقال ابن زيد العصف ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فرائته فصار درينا ، والمعنى أن الله سبحانه
وتعالى أهلكتهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما
جرى للملكهم أبرهة فانه الصديق صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بها جرى لهم ثم مات فلما
بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة . ثم خرج سيف بن ذى يزن الحميرى إلى كسرى فاستعانته على
الحبشة فأفقد معه من جيوشه ققاتلوا معه فرد الله الهم ملكهم وما كان فى آفاتهم من الملك وجأته وفود العرب
بالتهمنة . وقد قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة
قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقدمين يستطعمان . ورواه الواقدي عن عائشة مثله ، ورواه عن أسماء
بنت أبي بكر أنها قالت كانا مقدمين يستطعمان الناس عند أساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم (قلت) كان اسم
قائد الفيل أنيسا . وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد
عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن وإنما بحث على الجيش رجلا يقال له شمر بن مقسود
وكان الجيش عشرين ألفا وذكر أن الطير طرقتهم ليلا فأصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جدا وإن كان أبو نعيم قد فواه
ورجعه على غيره والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشى قدم مكة كجالد على ذلك السياقات والأشعار . وهكذا روى عن ابن لهيعة
عن الأسود عن عروة أن أبرهة بعث الأسود بن مقسود على كتبية معهم الفيل ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه ، والصحيح
قدومه ولعل ابن مقسود كان على مقدمة الجيش والله أعلم . ثم ذكر ابن إسحاق شيئا من أشعار العرب فيما كان من قصة
أصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبد الله بن الزبيرى :

تسكوا عن بطن مكة إنما	كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى لىالى حرمت	إذا عزيز من الأنام يروها
مائل أمير الجيش عنها مارأى	فلسوف ينس الجاهلين عليها
ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم	بل لم يش بسد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرم قبلهم	والله من فوق العباد يشيها

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى المدنى :

ومن صنعه يوم فيل الحبو	ش إذ كل ما بهشوه رزم	مخاجنهم تحت أقرابه
وقد شرموا أنه فانخرم	وقد جموا سوطه مغولا	إذا يعموه فقاء ككلم
فولى وأدبر أدرجه	وقد باء بالظلم من كان ثم	فأرسل من فوقهم حاسبها
يلفهم مثل لف القزم	يخص على الصبر أحبارهم	وقد تأجروا كشواج القزم

وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفى وروى لأمية بن أبى الصلت بن ربيعة :

إن آيات ربنا باقيات	ما يمارى فيهن إلا الكفور	خلق الليل والنهار فشكل
مستبين حسابه مقدور	ثم يحاو النهار رب رحيم	بمناه شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغس حتى	صار يحبو كأنه معفور	لارما حاقه الجران كما قطور
من ظهر كسكب محذور	حواله من مارك كندة أبطل	ملاويث فى الجروب صقور

خلفوه ثم ابذروا جميعا
كل دين يوم القيامة عند الله إلا دين الحنيفة بور

وقد قدمنا في تفسير سورة الفتح أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على النية التي تهبط به على قريش بركت ناقته فزجرها فألحت فقالوا خلأت القصواء أي حرنت فقال رسول الله ﷺ « ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل - ثم قال - والذي نفسي بيده لا يسألوني اليوم خطبة يعظمون فيها حرمت الله إلا أجبتهم إليها » ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخاري ، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة « إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فيبلغ الشاهد الغائب » . آخر تفسير سورة الفيل والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة لا يلاف قريش وهي مكة ﴾

ذكر حديث غريب في فضلها ﷻ قال البيهقي في كتاب الخلافات حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا بكر بن محمد ابن حمدان الصيرفي عمرو حدثنا أحمد بن عبد الله الزيني حدثنا يعقوب بن محمد الزهري حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت ابن شريك حدثنا عثمان بن عبد الله بن أبي عتيق عن سعيد بن عمرو بن جمعة بن هيرة عن أبيه عن جدته أم هانئ بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال « فضل الله قريشا بسبع خلال : إلى منهم وإن النبوة فيهم والحجابة والسقاية فيهم ، وإن الله نصرهم على الفيل وإنهم عبدوا الله عز وجل عشر سنين لا يعبده غيرهم وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن - ثم تلا رسول الله ﷺ - (بسم الله الرحمن الرحيم * لا يلاف قريش * لا يلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) »

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ لا يلاف قريش * إلههم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾

هذه السورة مفصلة عن التي قبلها في المصحف الامام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لأن المعنى عندها حبسنا عن مكة الفيل وأهلكتنا أهله لا يلاف قريش أي لا تتلافهم واجتماعهم في بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام في المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين في أسفارهم لعظمهم عند الناس لسكونهم مسكان حرم الله فن عرفهم احترامهم بل من صوفي الهم وسار معهم أمن بهم وهذا حالهم في أسفارهم ورحلتهم في شتائهم وصيفهم وأما في حال إقامتهم في البلد فكما قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) ولهذا قال تعالى (لا يلاف قريش * لا يلافهم) بدل من الأول ومفسر له ولهذا قال تعالى (لا يلافهم رحلة الشتاء والصيف) ، وقال ابن جرير : الصواب أن اللام التمتع كدأته يقول اعجبوا لا يلاف قريش ونعمت عليهم في ذلك ، قال وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان . ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال (فليعبدوا رب هذا البيت) أي فليوحده بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيننا محرما كما قال تعالى (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين) وقوله تعالى (الذي أطعمهم من جوع) أي هو رب البيت وهو الذي أطعمهم من جوع (وآمنهم من خوف) أي تفضل عليهم بالأمن والرخس فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبها منه كما قال تعالى (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون *) ولقد جاءهم رسول منهم فسكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) ، وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا عبد الله ابن عمرو الغزي حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله

عليه السلام يقول « ويل لكم قريش للثلاف قريش ثم قال حدثنا أبي حدثنا الثؤمل بن الفضل الحارثي حدثنا عيسى بن يونس عن عبد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يلاف قريش إلا لأفهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أمماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية رضي الله عنها فعله وقع غلط في النسخة أو في أصل الرواية والله أعلم . آخر تفسير سورة لا يلاف قريش ، والله الحمد والمنة

﴿ تفسير السورة التي يذكر فيها الماعون وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يُخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرْآَوْنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾

يقول تعالى أرايت يا محمد الذي يكذب بالدين وهو العاد والجزاء والثواب (فذلك الذي يدع اليتيم) أي هو الذي يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه (ولا يحض على طعام المسكين) كما قال تعالى (كلاب لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين) يعني الفقير الذي لا شيء له يقوم بأوده وكفايته ، ثم قال تعالى (فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ابن عباس وغيره يعني المتأقنين الذين يصلون في العافية ولا يصلون في السر ولهذا قال (الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالسكينة كما قاله ابن عباس وإما عن فعلها في الوقت للقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالسكينة كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذي قال (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل في صلاتهم ساهون ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ولكن من الصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتسفت بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلا » فهذا آخر صلاة العصر التي هي الوسطى كما ثبت به النص إلى آخر وقت كراهة ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب لم يطعمن ولا خشع فيها أينما ولهذا قال لا يذكر الله فيها إلا قليلا وإما حمله على القيام إليها مراعاة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما إذا لم يصل بالسكينة . قال الله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم) وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكر الله إلا قليلا (وقال تعالى ههنا (الذين هم يراءون) . وقال الطبراني حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبد ربه البغدادي حدثني أبي حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن بن ابن عباس رضي الله عنهما عن أنبي عليه السلام قال « إن في جهنم لواديا تستعبد جهنم من ذلك الوادي في كل يوم أربعين مرة أعد ذلك الوادي للرأين من أمة محمد لحامل كتاب الله والمصدق في غير ذات الله ولا حاج إلى بيت الله وللخارج في سبيل الله » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبي عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبي يزيد سمعت عبيد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ « من سمع الناس بعمله سمع الله به مسامح خلقه وحقره وصغره » ورواه أيضا عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبيد الله بن عمرو عن النبي ﷺ فذكره ، وبما يتعلق بقوله تعالى (الذين هم يراءون) أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجب به ذلك أن هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا هارون بن معروف حدثنا محمد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الأعمش

عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كتب لك أجران: أجر السر وأجر العلانية » قال أبو علي هارون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الأعمش عزيزة وقد رواه غيره عنه ، قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد بن المثنى بن موسى حدثنا أبو داود حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل يا رسول الله الرجل يعمل العمل يسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « له أجران: أجر السر وأجر العلانية » وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضرار بن مرة ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسلًا . وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني أبو كريب حدثنا معاوية ابن هشام عن شيبان النخعي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الأسدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون) : « الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه » فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه منهم لم يسم والله أعلم . وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكليّة ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا أو تأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن عكرمة بن إبراهيم ثم رواه عن أبي الربيع عن جابر عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفًا: سهوا عنها حتى ضاع الوقت وهذا أصبح إسنادًا وقد ضعف الباقى رفعه وصححه وقته وكذلك الحاكم

وقوله تعالى (ويمنعون الماعون) أى لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، فهو لا يمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى ، وقد قال ابن أبي نجيع عن مجاهد قال على الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي وكذا روى من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهرى والحسن وقتادة والفضحك وابن زيد قال الحسن البصري إن صلى رأى وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المانعون ظهرت الصلاة فصاوها ، وخفيت الزكاة فمنعوها . وقال الأعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الحرّاز أن أبا العبيد بن سالم عبد الله بن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتماوره الناس بينهم من الفأس والقدر وقال المسعودى عن سلمة بن كهيل عن أبي العبيد أنه سئل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتماواه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشبه ذلك . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحق عن أبي العبيد وسعد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهم وحدثنا خالد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثله . وقال الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد عن عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال ما يتماوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه . وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبيد الله قال كنا مع قيس بن عباد ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشبه ذلك . وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتبية عن أبي عوانة بإسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة، وكنا نمد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: الماعون العوارى القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد عن ابن عباس (ويمنعون الماعون) يعنى متاع البيت وكذا قال مجاهد

وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد أنها العارية للأمتعة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس
ويعنعون الماعون قال لم يحيى أهلها بعد وقال العوفي عن ابن عباس ويعنعون الماعون قال اختلاف الناس في ذلك فمنهم
من قال يعنعون الزكاة ومنهم من قال يعنعون الطاعة ومنهم من قال يعنعون العارية رواه ابن جرير ثم روى عن
يعقوب بن إبراهيم عن ابن علي عن ليث بن أبي سليم عن أبي إسحق عن الحارث عن علي : الماعون منع الناس القاس
والقدر والدلو ، وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبي حاتم وهذا الذي
قاله عكرمة حسن فإنه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد
ابن كعب ويعنعون الماعون قال المعروف . ولهذا جاء في الحديث « كل معروف صدقة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا
أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن ابن أبي ذئب عن الزهري (ويعنعون الماعون) قال بلسان قرشي المال . وروى
حدثنا غريبا عجبيا في إسناده ومثله فقال حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمي حدثنا دهم بن دهم
المجلى حدثنا عائذ بن ربيعة النخعي حدثني قرة بن دهموس النخعي أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله
ما تعهد إلينا قال « لا تمنعوا الماعون » قالوا يا رسول الله وما الماعون قال « في الحجر وفي الحديد وفي الماء » قالوا
فأى الحديد ؟ قال « قدوركم النحاس وحديد القاس الذي تعنعون به » قالوا ما الحجر قال « قدوركم الحجارة »
غريب جدا ورفع منه منكر وفي إسناده من لا يعرف والله أعلم . وقد ذكر ابن الأثير في الصحابة ترجمة علي النخعي فقال روى
ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة بن قيس النخعي عن علي بن فلان النخعي سمعت رسول الله ﷺ يقول « المسلم أخو
المسلم إذا لقيه جاء بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون » قلت يا رسول الله ما الماعون . قال « الحجر والحديد
وأشبه ذلك » والله أعلم . آخر تفسير السورة والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الكوثر وهي مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال أعطى رسول الله ﷺ إغفاءة
فرفع رأسه متبها إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكك فقال رسول الله ﷺ « إنه أنزلت علي آتينا سورة » فقرأ
(بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾) حتى ختمها فقال « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم
قال « هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمقي يوم القيامة آتيته عدد السكواكب فيخلق
العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمقي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك » هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد
الثلاثي وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك

وقد ورد في صفة الحوض يوم القيامة أنه يشعخف فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وأن آتيته عدد نجوم السماء
وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائي من طريق علي بن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل
عن أنس ، ولفظ مسلم قال : بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا في المسجد إذا أغنى إغفاءة ثم رفع رأسه متبها
قلنا ما أضحكك يا رسول الله . قال « لقد أنزلت علي آتينا سورة » فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾)
فصل لربك وانحر ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ ثم قال « أتدرون ما الكوثر . قلنا الله ورسوله أعلم قال فأنهر
وعنديه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمقي يوم القيامة آتيته عدد النجوم في السماء فيخلق
العبد منهم فأقول رب إنه من أمقي ، فيقول إنك لا تدري ما أحدث بعدك »

وقد استدلل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسطة من السورة وأنما منزلة
مها . فأما قوله تعالى (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) فقد تقدم في هذا الحديث أنه نهر في الجنة وقد رواه الإمام أحمد من
طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)

قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر فإذا هو نهر يجري ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب الأولو فضربت يدي في تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه الأولو » . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبي عدي عن حميد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام الأولو فضربت يدي إلى ما يجري فيه الماء فإذا مسك أذفر قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل » ورواه البخاري في صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال « أتيت على نهر حافتاه قباب الأولو الجوف قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر » وهو لفظ البخاري رحمه الله . وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسرى برسول الله ﷺ مضى به جبريل في السماء الدنيا فإذا هو بنهر عليه قصر من الأولو وزبرجد فذهب يشم ترابه فإذا هو مسك قال « يا جبريل ما هذا النهر ؟ قال هو الكوثر الذي خبأك ربك » وقد تقدم حديث الاسراء في سورة مباحن من طريق شريك عن أنس عن النبي ﷺ وهو يخرج في الصحيحين . وقال سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينما أنا أسير في الجنة إذ عرض لي نهر حافتاه قباب الأولو الجوف ، فقال الملك - الذي معه - أتدري ما هذا ؟ هذا الكوثر الذي أعطاك الله ، وضرب يديه إلى أرضه فأخرج من طينه المسك » وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهام وغيرهم عن قتادة به . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثني محمد بن عبد الوهاب ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال « هو نهر أعطانيه الله تعالى في الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجوز » قال أبو بكر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها »

وقال أحمد حدثنا أبو سلمة الخزازي حدثنا الأيث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أنس أن رجلا قال يارسول الله ما الكوثر ؟ قال « هو نهر في الجنة أعطانيه ربي لئلا أشد يابسا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجوز » قال عمر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها يا عمر » رواه ابن جرير من حديث الزهري عن أخيه عبد الله عن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء . وقال البخاري حدثنا خالد بن يزيد السكاهلي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آية كعدد النجوم ، ثم قال البخاري رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبي إسحاق ورواه أحمد والنسائي من طريق مطرف به .

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر في الجنة شاطئاه در مجوف ، وقال إسرائيل نهر في الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء . وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب الحمصي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق أومسروق قال : قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثيني عن الكوثر قالت : نهر في بطنان الجنة ، قلت وما بطنان الجنة ؟ قالت وسطها حافتاه قصور الأولو والياقوت ترابه المسك وحصباؤه الأولو والياقوت ، وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي جعفر الرازي عن ابن أبي نجيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : من أحب أن يسمع خير الكوثر فليجعل أصبعيه في أذنيه ، وهذا منقطع بين ابن أبي نجيح وعائشة وفي بعض الروايات عن رجل عنها ، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لأنه يسمعه بنفسه والله أعلم . قال السهيلي ورواه الدارقطني مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة عن النبي ﷺ . ثم قال البخاري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر هو الخير الذي أعداه الله إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير : فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة

فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه ، ورواه أيضا من حديث هشيم عن أبي بشر وعطاء ابن السائب عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال السكوتر الخير الكثير ، وقال الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السكوتر الخير الكثير وهذا التفسير بهم النهر وغيره لأن السكوتر من السكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومخارب بن دنار والحسن بن أبي الحسن البصري حتى قال مجاهد هو الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، وقال عكرمة هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضا فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال السكوتر نهر في الجنة حافته ذهب وفضة يجري على اليافوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل ، وروى العوفي عن ابن عباس نحوه ذلك ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء ابن السائب عن مخارب بن دنار عن ابن عمر أنه قال السكوتر نهر في الجنة حافته ذهب وفضة يجري على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وكذا رواه الترمذي عن ابن سعيد عن جرير عن عطاء ابن السائب به مثله موقوفا ، وقد روى مرفوعا فقال الإمام أحمد حدثنا علي بن حفص حدثنا ورقاء قال : وقال عطاء عن مخارب بن دنار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « السكوتر نهر في الجنة حافته من ذهب والماء يجري على الأولاد وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي حاتم وابن جرير من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به مرفوعا . وقال الترمذي حسن صحيح

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لي مخارب بن دنار ما قال سعيد ابن جبير في السكوتر ؟ قلت حدثنا عن ابن عباس أنه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله إنه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت (إنا أعطيناك السكوتر) قال رسول الله ﷺ « السكوتر نهر في الجنة حافته من ذهب يجري على الدر والياقوت » . وقال ابن جرير حدثني ابن البرقي حدثنا ابن مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما فلم يجده فسال عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت خرج يابني الله أتقا عابدا نعوذك فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار ، أولا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل فقدمت إليه حبيسا فأكل منه فقالت يا رسول الله هنيئا لك ومريئا لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك أخبرني أبو عمارة أنك أهديت نهرنا في الجنة يدعى السكوتر فقال « أجل وعرضه يعني أرضه - ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ » حرام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القلح عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض ، وهكذا روى عن أنس وأبي المليحة ومجاهد وغير واحد من السلف أن السكوتر نهر في الجنة ، وقال عطاء هو حوض في الجنة ، وقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أي كما أعطيناك الخير الكثير في الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذي تقدم صفته فأخلص لربك صلواتك للكتابة والنافلة ونحرك فاعبده وحده لا شريك له وانحر على اسمه وحده لا شريك له كما قال تعالى (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعني بذلك نحر البدن ونحوها ، وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والربيع وعطاء الخراساني والحكم وسعيد بن أبي خالده وغير واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه للمشركون من السجود لغير الله والتدبج على غير اسمه كما قال تعالى (ولأنك كانوا لما لم يذكر اسم عليه وإنه لفسق) الآية ، وقيل المراد بقوله (وانحر) وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر يروي هذا عن علي ولا يصح ، وعن الشعبي مثله وعن أبي جعفر الباقر (وانحر) يعني رفع اليدين عند افتتاح الصلاة وقيل (وانحر) أي استقبل بنحرك القبلة ، ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقد روى ابن أبي حاتم ههنا حديثا منكرا جدا فقال حدثنا وهب بن إبراهيم القاضي سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزي حدثنا

مقاتل بن حيان عن الأصمغ بن نباتة عن علي بن أبي طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم (إنا أعطيناك الكوثر) فصل لربك وانحر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا جبريل ما هذه النجيرة التي أمرني بها ربي؟» فقال: ليست بنجيرة ولكنه يأمرك إذا تحركت للصلاة أرفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فاتها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين في السموات السبع وإن اسكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة. وهكذا رواه الحاكم في المستدرک من حديث إسرائيل بن حاتم به، وعن عطاء الخراساني (وانحر) أي أرفع صلبك بعد الركوع واعتدل وأبرز نحرک یعنی به الاعتدال رواه ابن أبي حاتم وكل هذه الأقوال غريبة جداً، والصحيح القول الأول أن المراد بالنحر ذبح الناسك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العبد ثم ينحر نسكه ويقول «من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب الناسك، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له» فقام أبو بردة بن نيار فقال يا رسول الله إني نسكت شأني قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم يشتهي فيه اللحم قال «شأنك شاة لحم» قال فان عندى عناقا هي أحب إلي من شاتين أفتجزىء عني؟ قال «تجزئك ولا تجزىء أحداً بعدك» قال أبو جعفر بن جرير والصواب قول من قال إن معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصاً دون ما سواه من الأنداد والآلهة وكذلك نحرک اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذي لا كفاء له وخصاك به، وهذا الذي قاله في غاية الحسن، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظي وعطاء. وقوله تعالى (إن شأنك هو الأبر) أي إن مبعضك يا محمد ومبعض ما جئت به من المسمى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبر الأقل الأذل المنقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقادة نزلت في العاص بن وائل وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان: قال كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دعوه فانه رجل أبترا لعقب له فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة، وقال شهر بن عطية نزلت في عقبة بن أبي معيط، وقال ابن عباس أيضاً وعكرمة نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش، وقال البرار حدثنا زياد بن يحيى الحساني حدثنا ابن أبي عدي عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبر للنبير من قومه؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أنهم خير منه قال فنزلت (إن شأنك هو الأبر) هكذا رواه البرار وهو إسناد صحيح، وعن عطاء نزلت في أبي لهب وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين فقال بتر محمد الآية فأنزل الله في ذلك (إن شأنك هو الأبر)

وعن ابن عباس نزلت في أبي جهل وعنه إن شأنك يعني عدوك وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم وقال عكرمة: الأبر الفرد، وقال السدي كانوا إذا مات ذكرور الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا بتر محمد فأنزل الله (إن شأنك هو الأبر) وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبر الذي إدامات انقطع ذكره وهو محمداً لجهلهم أنه إدامات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقي الله ذكره على رؤوس الأشهاد، وأوجب شرعه على رقاب العباد، مستمرا على دوام الآباد، إلى يوم الحشر والمعاد، صوات الله وسلامه عليه دائماً إلى يوم التناد. آخر تفسير سورة الكوثر، والله الحمد والمنة.

﴿تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهي مكية﴾

ثبت في صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد في ركعتي الطواف وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما في ركعتي الفجر. وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحمد أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال: رقت

كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) انتهى ما ذكره ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله (فإن مع العسر يسراً) وإن مع العسر يسراً) وكقوله (لترون الجحيم) ثم لترونها عين اليقين) وحكاها بعضهم كابن الجوزي وغيره عن ابن قتبية قاله أعلم . فهذه ثلاثة أقوال (أولها) ما ذكرناه أولاً (الثاني) ما حكاها البخاري وغيره من المفسرين أن المراد (لا أعبد ما تعبدون) ولا أتم عابدون ما أعبد) في الماضي (ولا أنا عابد ما عبدتم) ولا أتم عابدون ما أعبد) في المستقبل (الثالث) أن ذلك تأكيد محض (وتم قول رابع) نصره أبو العباس بن تيمية في بعض كتبه . وهو أن المراد بقوله (لا أعبد ما تعبدون) نفى الفعل لأنها جملة فعلية (ولا أنا عابد ما عبدتم) نفى قبوله لذلك بالسكينة لأن النفي بالجملة الاسمية أكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلاً لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الامكان الشرعي أيضاً وهو قول حسن أيضاً والله أعلم . وقد استبدل الإمام أبو عبد الله الشافعي وغيره بهذه الآية الكريمة (لكن دينكم ولى دين) على أن الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشيء الواحد في البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم تورث النصارى من اليهود وبالعكس . الحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لا يتوارث أهل ملتين شقي » . آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

﴿ تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح وهي مدنية ﴾

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال النسائي أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا جعفر عن أبي العباس ح وأخبرنا أحمد بن سليمان حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العباس عن عبد المجيد بن سهل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لي ابن عباس يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت نعم : (إذا جاء نصر الله والفتح) قال صدقت . وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقي من حديث موسى بن عبيدة البريدي عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال أنزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) على رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعد أيام التشريق فمرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة . وقال الحافظ البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا الاسقاطي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال « إنه قد نعت إلى نفسي » فبكيت ثم ضحكك وقالت أخبرني أنه نعت إليه نفسه فبكيت ثم قال « اسبرى فانك أول أهلي لحاقاً بي » فضحكت وقد رواه النسائي كما سيأتي بدون ذكر فاطمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره

إنه كان تواباً

قال البخاري حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم لما رأيت أنه دعاني فيهم يومئذ إلا ليربهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً فقال لي أكن ذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعده له قال (إذا جاء نصر الله والفتح) فذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها إلا ما تقول . تهرد به البخاري . وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثوري عن عاصم

عن أبي رزين عن ابن عباس فذكر مثل هذه القصة أو نحوها . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعت إلى نفسي » فانه مقبوض في تلك السنة نفرد به أحمد . وروى العوفي عن ابن عباس مثله وهكذا قال جاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد إنها أجل رسول الله ﷺ نعى إليه . وقال ابن جرير حدثني إسماعيل بن موسى حدثنا الحسن بن عيسى الحنفي عن معمر بن الزهري عن أبي حازم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة إذ قال « الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن - قيل يا رسول الله وما أهل اليمن ؟ قال - قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحسكة يمانية » ثم رواه ابن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن عكرمة مرسل . وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) حتى ختم السورة قال نعت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت قال فأخذ بأشد ما كان قط اجتهدا في أمر الآخرة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن » فقال رجل يا رسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس قال : لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قد نعت إليه نفسه فقيل إذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها ، حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية (إذا جاء نصر الله والفتح) قال لما نزلت نعت إلى رسول الله ﷺ نفسه

وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن عون عن أبي العباس عن أبي بكر ابن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا (إذا جاء نصر الله والفتح) وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البخري الطائي عن أبي سعيد الجحدري أنه قال لما نزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها فقال « الناس خير وأنا وأصحابي خير - وقال - لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير فقال أبو سعيد لو شاء هذان لحدثاك ولكن هسنا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليشربه فلما رأى ذلك قال : صدق . نفرد به أحمد وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح « لاهجرة ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استغفرتم فأنفروا » أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما قال الذي فسر به بعض الصحابة من جلس له عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره . معنى ما صح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثمان ركعات فقال قائلون هي صلاة الضحى وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريبا من تسعة عشرة يوما يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحوا من عشرة آلاف قال هؤلاء وإنما كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب لأمر الجيش إذا فتح أبدا أن يصلي فيه أول ما يدخله ثمان ركعات وهكذا فعل مسعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ثم قال بعضهم يصلونها كلها بتسليمة واحدة ، والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين كما ورد في سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين وأما ما فسر به ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من أن هذه السورة نعى فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريم وأعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد فرغ شغلا بأك في الدنيا قريبا للتدوم علينا والوفود إلينا فالآخرة خير لك من الدنيا ، وسوف يعطيك ربك فترضى ، ولهذا قال (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان

(توابا) قال السائي أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس : قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة قال نعت لرسول صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت فأخذ في أشد ما كان اجتهدا في أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم ، الإيمان يمان والحكمة يمانية والفتنة يمان » وقال البخاري حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي » يثأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذي من حديث منصور به . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال : قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر في آخر أمره من قول « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » وقال : « إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمي وأمري إذا رأيتهما أن أصبح بحمده واستغفره إنه كان توابا فقد رأيتهما (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فصبح بحمد ربك وأستغفره إنه كان توابا) » ورواه مسلم من طريق داود بن أبي هند به . وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبي عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجيء إلا قال « سبحان الله وبحمده » فقلت يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا يجيء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده قال « إني أمرت بهما فقال - إذا جاء نصر الله والفتح » إلى آخر السورة ، غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة الجباس من جميع طرقه وألفاظه في جزء مفرد فيكتب ههنا

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا جاء نصر الله والفتح) كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم » ثلاثا تفرد به أحمد . ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبي إسحاق به والراد بالفتح ههنا فتح مكة قولاً واحداً فإن أحياء العرب كانت تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون إن ظهر على قومه فهو نبي فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيماناً ولم يق في سائر قبائل العرب إلا مظهر للإسلام ولله الحمد والمنة ، وقد روى البخاري في صحيحه عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فإن ظهر عليهم فهو نبي الحديث وقد حررنا غزوة الفتح في كتابنا (السيرة) فمن أراد فليراجعه هناك والله الحمد والمنة . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي حدثني أبو عمار حدثني جابر الجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله فسلم علي فجعلت أحدثه عن اقتراق الناس وما أحدثوا فجعل جابر ييكبي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الناس دخلوا في دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا » . آخر تفسير سورة النصر ، والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة تبت وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

قال البخاري حدثنا محمد بن سلام حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ خرج إلى البليحاء فصعد الجبل فنادى « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقال « أرايتم إن

حدثكم أن العدو مضجعكم أو ممسككم أكنتم تصدقوني ؟ قالوا نعم ، قال سفاي نذير لسكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب ألهذا جئتمنا ، تبالك فأنزل الله (ثبت يدا أبي لهب وثب) إلى آخرها . وفي رواية فقام ينفض يديه وهو يقول تبالك سائر اليوم ألهذا جئتمنا ؟ فأنزل الله (ثبت يدا أبي لهب وثب) الأول دعاء عليه . والثاني حبر عنه فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتيبة وإنما سمي بألهب لاشراق وجهه وكان كثير الأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له والا زدرأ به والنقص له ولدينه . قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبي العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال أخبرني رجل يقال له ربيعة بن عباد من بني السيل وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله فتلحقوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضى الوجه أحول ذو غدير بين يقول إنه صابئ كاذب ، يتهمه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه عن شرح عن ابن أبي الزناد عن أبيه فذكره قال أبو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيرا ؟ قال لا والله إني يومئذ لأعقل أني أرفق القرية تفرد به أحد . وقال محمد بن إسحاق حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلي يقول إني لمع أبي رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضى الوجه زوجة يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول « يا بني فلان إني رسول الله إليكم أمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا وأن تصدقوني وتمنوني حتى أخذ عن الله ما بعثني به » وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بني فلان هذا يريد منكم أن تسلبوا الآلات والعزى وخلفاءكم من الجن من بني مالك بن أفيش إلى ماجاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لأبي من هذا ؟ قال عمه أبو لهب رواه أحمد أيضا والطبراني بهذا اللفظ ، فقوله تعالى (ثبت يدا أبي لهب) أي خسرت وخابت وضل عمله وسعيه (وثب) أي وقد تب تحقق خسارته وهلاكه . وقوله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسبه) قال ابن عباس وغيره (وما كسبه) يعني ولده ، وروى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله ، وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخي شيئا فاني أفندي نفسي يوم القيامة من العذاب بمالي وولدي فأنزل الله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسبه) . وقوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب) أي ذات شرر ولهب وإحراق شديد (وأمرأته حمالة الحطب) وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهي أم جميل واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلها تكون يوم القيامة عونا عليه في عذابه في نار جهنم ، ولهذا قال تعالى (حمالة الحطب في جهنم حمل من مسد) يعني تحمل الحطب فتلقى على زوجها إزداد على ما هو فيه وهي مهيأة لذلك مستعدة له (في جهنم حمل من مسد) قال مجاهد وعروة : من مسد النار ، وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقنادة والثوري والسدي (حمالة الحطب) كانت تمشي بالخمسة واختاره ابن جرير . وقال العوفي عن ابن عباس وعطية الجدي والضحالك وابن زيد كانت تنزع المشوك في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقيل كانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وكانت عذاب فعمرت بذلك كذا حكاه ولم يمهز إلى أحد والصحيح الأول والله أعلم قال سعيد بن المسيب كانت لمسا قلادة فاخرة فقامت لألقنها في عداوة محمد يعني فأعقبها الله منها حبلا في جهنم من مسد النار . وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبي عن الشعبي قال المسد الألف وقال عروة بن الزبير للمسد : سلسلة ذرعتها سبعون ذراعا ، وعن الثوري هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعا ، وقال الجوهري : المسد ، الألف ، والمسد أيضا جبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ومسدت الجبل أمسه مسدا إذا أجدت قتله

وقال مجاهد (في جهنم حمل من مسد) أي طوق من حديد ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسدا ؟ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدي حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن أبي بدر عن عن أسماء بنت أبي بكر قالت لما نزلت (ثبت يدا أبي لهب) أقبلت العوداء أم جميل بنت حرب ولها ولوة في يدها فغير

وهي تقول : مدينا أئينا ودينه قلنا * وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك فقال رسول الله ﷺ « إني سألت الله أن يراني » وقرا قرآنا اعتجم به كما قال تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا) فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر إني أخبرت أن صاحبك هجاني قال لا ورب هذا البيت ما هجأك فقلت وهي تقول قد علمت قريش أني ابنة سيدها قال : وقال الوليد في حديثه أو غيره فعترت أم جميل في مرطها وهي تطوف بالبيت فقالت تس مديم فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب إني لحسان فساأ كلم ، وتفاف فما أعلم ، وكلتانا من بني العم ، وقريش بعد أعلم ، وقال الحافظ أبو بكر البرار حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحق قالا حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (تمت يد أبي لب) جاءت امرأة أبي لب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر فقال له أبو بكر أو تنحي لا تؤذي بك بشيء فقال رسول الله ﷺ « إني سيحالي بيني وبينها » فأقبلت حتى وقفت على أبي بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت إنك لمصدق فلما قال أبو بكر ما رأيتك ؟ قال « لا ، ما زال ملك يسترني حتى ولت » ثم قال البرار لا نعلمه يروي بأحسن من هذا الإسناد عن أبي بكر رضى الله عنه . وقد قال بعض أهل العلم في قوله تعالى (في جديها جبل من مسد) أي في عنقها جبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائما ، قال أبو الخطاب بن دحية في كتابه التنوير وقد روى ذلك وغيره بالمسد عن جبل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات كل مسد رشاء وأنشد في ذلك :

وبصكرة ومخورا صرارا * ومسدا من أبق منارا

قال والأبق القنب . وقال آخر : يا مسد الخوص تعوذ مني * إن لك لنا لينا فاني * ما شئت من أقمط مقسنان قال العلماء وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى (سيصلي ناراً ذات لب وامرأته حمالة الحطب * في جديها جبل من مسد) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقبض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطلا ولا ظاهرا ، لا مسرا ولا معسرا فكان هذان من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة . آخر تفسير السورة ، والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الاخلاص وهي مكية ﴾

﴿ ذكر سبب نزولها وفنائها ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد محمد بن ميسر الصاغاني حدثنا أبو جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لاني ﷺ يا محمد : السب لنا وبك فأنزل الله تعالى (قل هو الله هو أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) وكذا رواه الترمذي وابن جرير عن أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود بن خداح عن أبي سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذي قال (الصمد) الذي لم يلد ولم يولد لأنه ليس شيء يولد إلا مبعوث وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثل شيء . ورواه ابن أبي حاتم عن حديث أبي سعيد محمد بن ميسر به ، ثم رواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية فذكره مرسل ولم يذكروا حدثنا ثم قال الترمذي وهذا أصح من حديث أبي سعيد

﴿ حديث آخر في معناه ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا سريج بن يونس حدثنا إسماعيل بن مجاهد عن مجاهد عن الشعبي عن جابر رضى الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ فقال انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد) إلى آخرها إسناد متقارب ، وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن سريج فذكره وقد أرسله غير

واحد من السلف وروى عبيد بن مسحق الطبراني عن نيس بن زريع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالت قرينة رسول الله ﷺ انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة (قل هو الله أحد) قال الطبراني ورواه القزويني وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلا ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطبراني عن الوازع بن مالمع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد، الله الصمد، والصمد ليس بأجوف

(حديث آخر في فضلها) قال البخاري حدثنا محمد بن وهب أخبرنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال «سلوه لأي شيء يصنع ذلك» فسألوه فقال لأنهم يصفون الرحمن وأنا أحب أن أقرأها فقال النبي ﷺ «أخبروه أن الله تعالى يحب» هكذا رواه في كتاب التوحيد ومنهم من يسقط ذكر محمد بن وهب ومنهم من رواه عن أبي هلال به من روايته عن أحمد بن صالح، وقد رواه مسلم والنسائي أيضا من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال به (حديث آخر) قال البخاري في كتاب الصلاة وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة كما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكانوا يصفون أصحابه فقالوا إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالآخرى فأما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بآخرى، فقال ما أنا ببارككم إن أحببت أن أؤمكم بذلك فقلت وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فأسألتهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال يا فلان «ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة» قال إني أحبها، قال «حبك إياها أدخلك الجنة» هكذا رواه البخاري تعليقا مجزوما به. وقد رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه عن البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس عن عبيد العزيز بن محمد السراوردي عن عبيد الله بن عمر فذكر بإسناده مثله سواء ثم قال الترمذي غريب من حديث عبيد الله عن ثابت. قال وروى مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قال «إن حبك إياها أدخلك الجنة» وهذا الذي عاينه الترمذي قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلا فقال حدثنا أبو النضر حدثنا مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حبك إياها أدخلك الجنة». (حديث في كونها تعدل ثلث القرآن) قال البخاري حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددناها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقاهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم «والذي نفسي بيده إنما تعدل ثلث القرآن» زاد إسماعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن يوسف والقعني، ورواه أبو داود عن القعني والنسائي عن قتبية كلهم عن مالك به وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين عن إسماعيل بن جعفر عن مالك به. (حديث آخر) قال البخاري حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا إبراهيم والشحاذ المشرقي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه «أعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة» فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله. فقال «الله الواحد الصمد ثلث القرآن» تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والضعفاء بن شرحبيل الميماني المشرقي كلاهما عن أبي سعيد، قال الثوري: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق

أبي عبد الله قال : قال أبو عبد الله البخاري عن إبراهيم مرسل وعن الضحاك مسند .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « والذي نفسي بيده إنها لتعدل نصف القرآن - أو ثلثه - » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلاث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال فان (قل هو الله أحد) ثلث القرآن قال فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب فقال « صدق أبو أيوب »

(حديث آخر) قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان أخبرني أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « احشدوا فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » فحشد من حشد ثم خرج النبي ﷺ فقرأ (قل هو الله أحد) ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله ﷺ « فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » إني لأرى هذا خيرا جاء من السماء ، ثم خرج النبي ﷺ فقال « إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن بشار به . وقال الترمذي حسن صحيح غريب واسم أبي حازم سلمان

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خثيم عن عمرو بن ميمون عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن امرأة من الأنصار عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فانه من قرأ (قل هو الله أحد) في ليلة فقد قرأ ثلث القرآن » هذا حديث تساعي الاسناد للإمام أحمد ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن محمد بن بشار بن دارزاد الترمذي وقتيبة كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به فصار لهما عشاريا ، وفي رواية الترمذي عن امرأة أبي أيوب عن أبي أيوب به وحسنه ثم قال وفي الباب عن أبي الدرداء وأبي سعيد وقاتدة بن النعمان وأبي هريرة وأنس وابن عمرو أبي مسعود ، وهذا حديث حسن ولا نعلم أحدا روى هذا الحديث أحسن من رواية زائدة وتابعه علي روايته إسرائيل والفضيل بن عياض . وقد روى شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطر بوافيه .

(حديث آخر) قال أحمد حدثنا هشيم عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أو رجل من الأنصار قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بقل هو الله أحد فسكنا ما قرأ بثلاث القرآن » ورواه النسائي في اليوم واليلة من حديث هشيم عن حصين عن ابن أبي ليلى به . ولم يقع في روايته هلال بن يساف (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي قيس عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه ابن ماجه عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به . ورواه النسائي في اليوم واليلة من طرق أخر عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا بهز حدثنا بكير بن أبي السميطة حدثنا قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا نعم يا رسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز ، قال « فإن الله جزء القرآن ثلاثة أجزاء فقل هو الله أحد ثلث القرآن » ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخى ابن شهاب عن عمه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد ، تعدل ثلث القرآن » وكذا رواه النسائي في اليوم واليلة عن عمرو بن علي عن أمية بن خالد به ثم رواه من طريق مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قوله . ورواه النسائي أيضا في اليوم واليلة من

حديث محمد بن يحيى عن الخضر بن الفضل بن زياد عن أنس عن حميد بن عبد الرحمن أن نورا من أصحاب محمد عليه السلام حدثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها » .

(حديث آخر في كون قراءتها توجب الجنة) قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن مسكين قال سمعت أبا هريرة يقول : أقيمت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وجبت - قلت وما وجبت قال - الجنة » ورواه الترمذي والنسائي من حديث مالك وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا يعرفه إلا من حديث مالك وتقدم حديث « حيك إياها أدخلك الجنة » (حديث في تكرار قراءتها) قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا قطر بن بشير حدثنا عيسى بن ميمون القرشي حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ قل هو الله أحد ثلاث مررات في ليلة فإنها تعدل ثلث القرآن » هذا إسناد ضعيف وأجود منه

(حديث آخر) قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المديني حدثنا الضحاك بن شاذل حدثنا ابن أبي ذئب عن أسيد بن أبي أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم يصلي بنا فخرج فأخذ بيدي فقال « قل » فسكت قال « قل » قلت ما أقول ؟ قال « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمشي وحين تصبح ثلاثا » ، تسكيت كل يوم مرتين » ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من حديث ابن أبي ذئب به . وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه النسائي من طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه عن عقبة بن عامر فذكره ولفظه « تسكيت كل شيء » (حديث آخر في ذلك) قال الامام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني ليث بن سعد حدثني الحليل بن مرة عن الأزهري عن عبد الله عن عيم الدار عن أبيه عن عبد الله بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يمت حتى يبعث الله له كنفوا أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف حسنة » تفرد به أحمد والحليل بن مرة ضعفه البخاري وغيره مرة (حديث آخر) قال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن طهية حدثنا زبان بن قائد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة » فقال عمر إذا نستكثر يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أكثر وأطيب » تفرد به أحمد ورواه أبو محمد الدارمي في مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا أبو عوف وهو ابن معبد قال الدارمي وكان من الأبدال أنه سمع سعيد بن المسيب يقول إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا في الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين في الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور في الجنة » فقال عمر بن الخطاب إذا نسكركم قصورنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الله أوسع من ذلك » وهذا مرسل جيد (حديث آخر) قال الحافظ أبو يعلى اللؤلؤي حدثنا نصر بن علي حدثني نوح بن قيس أخبرني محمد العطار أخبرني أم كثير الأنصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » إسناده ضعيف (حديث آخر) قال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم « من قرأ قل هو الله أحد في يوم مائتي مرة كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » إسناده ضعيف ، حاتم بن ميمون ضعفه البخاري وغيره ورواه الترمذي عن محمد بن مرزوق البصري عن حاتم بن ميمون به ولفظه « من قرأ كل يوم مائتي مرة قل هو الله أحد غفر الله له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين »

قال الترمذي وهذا الإسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فإذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل : يا عبد ادخل على يمينك الجنة » ثم قال غريب من حديث ثابت ، وقد روى من غير هذا الوجه عنه ، وقال أبو بكر البرزاني حدثنا سهل بن بشر حدثنا حبان بن أسلم حدثنا

أبي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة » ثم قال لا أعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر والأغلب بن تميم وهما متقاربان في سبوه الحفظ (حديث آخر) في الدعاء بمسا تفضله من الأسماء قال القسائي عند تفسيرها حدثنا عبد الرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول اللهم إني أسألك بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال « والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب » وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق عن مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به ، وقال الترمذي حسن غريب (حديث آخر) في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة قال الحافظ أبو يعلى الوصلي حدثنا عبد الأعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن شيبان عن أبي شداد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخلن من أى أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينه خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد » قال : فقال أبو بكر أو إحداهن يارسول الله قال « أو إحداهن » (حديث) في قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن الزبرقان عن مروان بن سالم عن أبي زرعة عن عمرو ابن جرير عن جرير بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نقت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران » إسناده ضعيف (حديث) في الاكثار من قراءتها في سائر الأحوال قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي حدثنا يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد الثقفي قال سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فأتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال « يا جبريل ما لي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثله فيما مضى ؟ » قال إن ذلك دعاوية بن معاوية اللذي مات بالمدينة اليوم فبعث الله إليه سبعين ألف ملك يسألون عليه قال : « وفيم ذلك ؟ » قال كان يكثر قراءة قل هو الله أحد في الليل وفي النهار وفي عشاء وقيامه وقعوده فملاك يارسول الله أن أقبض الأرض فتصلى عليه : قال « نعم » فصلى عليه ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر البهيقي في كتاب دلائل النبوة من طريق يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد وهو متهم بالوضع والله أعلم . (طريق أخرى) قال أبو يعلى حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبد الله حدثنا عثمان بن الليث مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي عن محمود أبي عبد الله عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال : نزل جبريل على النبي ﷺ فقال مات معاوية بن معاوية اللذي فتعجب أن تسمى عليه ؟ قال « نعم » فضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا انقضت فرفع سريره فنظر إليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك فقال النبي ﷺ « يا جبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى » قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته إياها ذاهبا وجائيا قائما وقاعدا وعلى كل حال . ورواه البهيقي من رواية عثمان بن الليث المؤذن عن محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس فذكره وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي ليس بالمشهور ، وقد روى هذا من طرق آخر تركناها اختصارا وكلها ضعيفة (حديث آخر) في فضلها مع العوذتين قال الإمام أحمد حدثنا أبو الفيرة حدثنا معاذ بن رفاعه حدثني علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال أقيمت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله بهم نجاة المؤمن ؟ قال : « يا عقبة أحرص لسانك وليس عليك بيتك وابك على خديك » قال ثم أقيمت رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأني فأخذ بيدي فقال « يا عقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم » قال : قلت بلى جعلني الله فداك قال : فأقرأني (قل هو الله أحد - - - - - وقل أعوذ برب الفلق - - - - - وقل أعوذ برب الناس) ثم قال « يا عقبة لا تنسهن ولا تنسهن ليلة حتى تقرأهن » قال فما نسيتن من ذلك ليلة قط حتى أقرأهن قال عقبة ثم أقيمت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرني بفوائد الأعمال فقال : « يا عقبة صل من قطعك وأعط من حرملك وأعرض عمن ظلمك » روى الترمذي عنه في الزهد من حديث عبد الله بن زحر عن علي بن زيد فقال هذا حديث حسن وقد رواه أحمد من طريق

آخر حديثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عباس عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد الخثعمي عن عتبة بن عامر عن النبي ﷺ أنه قال: «مما أتى به أحمد (حديث آخر) في الاستشفاء بهن قال البخاري حديثنا قتيبة حدثنا الفضل عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات» وهكذا رواه أهل السنن من حديث عقيل به

(بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) قد تقدم ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزيز بن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ (قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عدل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الالهيات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقوله تعالى (الله الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصعد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كل في مؤدده، والشريف الذي قد كل في شرفه، والعظيم الذي قد كل في عظمته، والحليم الذي قد كل في حلمه، والعليم الذي قد كل في علمه، والحكيم الذي قد كل في حكمته. وهو الذي قد كل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثل شيء سبحانه الله الواحد القهار، وقال الأعمش عن شقيق عن أبي وائل (الصمد) السيد الذي قد انتهى مؤدده ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله

وقال مالك عن زيد بن أسلم (الصمد) السيد، وقال الحسن وقادة هو الباقي بعد خلقه، وقال الحسن أيضا (الصمد) الحى القيوم الذي لا زوال له، وقال عكرمة (الصمد) الذي لم يخرج منه شيء، ولا يطعم، وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيراً له وهو قوله (لم يلد ولم يولد) وهو تفسير جيد وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبي بن كعب في ذلك وهو صريح فيه، وقال ابن مسعود وابن عباس ومعيد بن السيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضا وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والزهري والسدي (الصمد) الذي لا جوف له. قاله سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) الصمت الذي لا جوف له، وقال الشعبي هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب. وقال عبد الله بن بريدة أيضا (الصمد) نور يتلأأ، روى ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني وكذلك أبو جعفر بن جرير سابقاً أكثر ذلك بأسانيد، وقال حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومي عن عبيد الله بن سعيد قاتل الأعمش حدثنا صالح بن حي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لا أعلم إلا قد رفعه قال (الصمد الذي لا جوف له) وهذا غير جدد والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيراً من هذه الأقوال في تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصعد إليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى مؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك. وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة. قال مجاهد (ولم يكن له كفوا أحد) يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى (بديع السموات والأرض أي يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخالق كل شيء) أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السموات يتفطرن منه وتخشى الأرض وتخر الجبال هداه * أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً * لقبحاً عبادهم وعدهم يهديهم * وكانهم آتاه يوم القيامة فرداً) وقال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) ولقد علمت الجنة إنهم لمخضرون سبحانه الله عما يشكون) وفي الصحيح صحيح البخاري (لا أحد أصبر على أذى سمعته من الله إنهم يسمعون له ولدا وهو يرزقهم ويعافهم) وقال البخاري حدثنا أبو الهيثم حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل

كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي بقوله إن سيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي بقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد» ورواه أيضاً من حديث عبد الرزاق عن معمر بن همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعاً بمثله تفرد بهما من هذين الوجهين . آخر تفسير سورة الاخلاص، والله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورتي المعوذتين وهما مدينتان ﴾

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبیش قال : قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال : أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له قل أعوذ برب الفلق فقلتها ، قال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبي ﷺ . ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان ابن عيينة حدثنا عبدة بن أبي لبابة وعاصم بن بهدلة أنهما سمعا زر بن حبیش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت يا أبا النضر إن أخاك ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف فقال إني سألت رسول الله ﷺ فقال « قيل لي قل فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ . وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال سألت ابن مسعود عن المعوذتين فقال سألت النبي ﷺ عنهما فقال « قيل لي فقلت لكم فقولوا » قال أبي فقال لنا النبي ﷺ فنحن نقول ، وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبیش ، وحدثنا عاصم عن زر قال سألت أبي بن كعب فقلت أبا النضر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال إني سألت النبي ﷺ فقال « قيل لي فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ورواه البخاري أيضاً والنسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب به . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الأزرق بن علي حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا الصلت بن بهرام عن إبراهيم عن علقمة قال كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما ولم يكن عبد الله يقرأ بهما ، ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن زيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله قال الأعمش وحدثنا عاصم عن زر بن حبیش عن أبي بن كعب قال سألتناهما رسول الله ﷺ قال « قيل لي فقلت » وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلما لم يسمع بهما من النبي ﷺ ولم يواتر عنده ثم علمه فرجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك والله الحمد والمنة . وقد روى مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا جبرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم يرمثلهن قط (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) » ورواه أحمد ومسلم أيضاً والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عقبة به وقال الترمذي حسن صحيح .

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال بينما أنا أقود برسول الله ﷺ في ثقب من تلك الثقب إذ قال لي « يا عقبة ألا تركب » قال فأشقت أن تكون معصية قال فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنية ثم ركب ثم قال « يا عقبة ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس » قالت بلى يا رسول الله فأقرأني (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ثم مضى فقال « كيف رأيتم يا عقبة اقرأ بهما كلانمت وكلاقت » ورواه النسائي من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن جابر به ورواه أبو داود والنسائي أيضاً من حديث ابن وهب عن ميمون بن صالح عن العلاء بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن عقبة به ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا معبد بن أبي أيوب حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعي وأبو مسرحوم عن يزيد بن محمد القرشي عن علي بن رياح عن عقبة بن عامر قال : أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن علي بن أبي رياح وقال الترمذي غريب ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن مشرح بن عاهان عن عقبة بن عامر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ بالمعوذتين فانك لن تقر أبغثهما » تفرد به أحمد ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا

حياة بن شريح حدثنا بقية حدثنا بحجر بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر أنه قال: إن رسول الله ﷺ أهدى له نعمة شفاء فركبها فأخذ عقبة يفوذها له فقال رسول الله ﷺ «اقرأ قل أعوذ برب الفلق» فأعادها له حتى ثراها فعرف أني لم أفرج بها جدا فقال «لعلك تماوت بها؟ فما كنت تصلي بشي مثلها» . ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان عن بقية به ، ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن نفير عن أبيه عن عقبة بن عامر أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذين فذكر نحوه (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر سمعت النعمان عن زيد بن الأسد عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال «إن الناس لم يعوذوا بمثل هذين (قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس)» (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن أبي عجلان عن سعيد القبري عن عقبة بن عامر قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال «يا عقبة قل» قلنا ماذا أقول؟ فسكت عني ثم قال «قل» قلت ماذا أقول يا رسول الله؟ قال «قل أعوذ برب الفلق» فقرأتها حتى أثبتت على آخرها ، ثم قال «قل» قلت ما ذا أقول يا رسول الله؟ قال «قل أعوذ برب الناس» فقرأتها ثم أثبتت على آخرها ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك «ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعدين بمثلها» (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا محمد بن يسار حدثنا عبد الرحمن حدثنا معاوية عن العلاء بن الحارث عن مكحول عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قرأها في صلاة السج (طريق أخرى) قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي عمران أسلم عن عقبة بن عامر قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدميه فقلت : أقرئني سورة هود أو سورة يوسف فقال «لن تقرأ شيئا أنفع عبد الله من قل أعوذ برب الفلق» (حديث آخر) قال النسائي أخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو الأوزاعي عن يحيى بن عن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي عبد الله بن عباس الجعفي أن النبي ﷺ قال له «يا ابن عباس ألا أدلك - أو ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به للمعوذين» قال بلى يا رسول الله قال «قل أعوذ برب الفلق» - وقل أعوذ برب الناس هاتان السورتان» فهذه طرق عن عقبة كالتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث

وقد تقدم في رواية صدى بن عجلان وفروة بن عباد عنه «الأعلاك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن (قل هو الله أحد - وقل أعوذ برب الفلق - وقل أعوذ برب الناس)» .

(حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا الجريري عن أبي العلاء قال : قال رجل كنا مع رسول الله ﷺ في سفر والناس يهتفون وفي الظهر قلة فجات نزلة رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم ونزلت فالتفتي فضربت منكبي فقال «قل أعوذ برب الفلق» فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه ثم قال (قل أعوذ برب الناس) فقرأها رسول الله ﷺ فقرأتها معه فقال «إذا صليت فاقرأهما» الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم . ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن عليه به (حديث آخر) قال النسائي أخبرنا محمد بن المنذر حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله بن سعيد حدثني يزيد بن رومان عن عقبة بن عامر عن عبد الله الأسدي هو ابن أنيس أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال «قل» فلم أدر ما أقول ثم قال لي «قل» قلت (هو الله أحد) ثم قال لي قل قلت (أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) حتى فرغت منها ثم قال لي «قل» قلت (أعوذ برب الناس) حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هكذا فتعوذوا تعوذوا للمعوذين بمثلين قط» (حديث آخر) قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو حفص حدثنا بدل حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ «اقرأ يا جابر» قلت وما أقرأ بأبي أنت وأمي؟ قال «اقرأ قل أعوذ برب الفلق» - وقل أعوذ برب الناس» فقرأتها فقال «اقرأهما وان تقرأ بمثلهما» وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن وينت في كفيه ويضع بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، وقال الإمام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذين وينت فلما اشتد وجهه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القسبي والنسائي عن قتيبة ، ومن حديث ابن القاسم وعيسى بن يونس وابن ماجه من حديث من وبشر بن عمر ثمانية عن مالك به . وتقدم في آخر

سورة (ن) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت
المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما : رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح
بسم الله الرحمن الرحيم * قل أعوذ برب الفلق * من شر ما خلق * ومن شر غاسق إذا وقب *
ومن شر النفثات في العقد * ومن شر حاسد إذا حسد *

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عسامة حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا حسن بن صالح عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال : الفلق
الصباح وقال العوفي عن ابن عباس (الفلق) الصبح ، وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله بن محمد بن عقيل والحسن وقتادة
ومحمد بن كعب القرظي وابن زيد ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا قال القرظي وابن زيد وابن جرير وهب كقوله تعالى (فلق)
الاصباح وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الفلق) الخلق ، وكذا قال الضحاك أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله ،
وقال كعب الأحبار (الفلق) بيت في جهنم إذا فتق صاح جميع أهل النار من شدة حره ورواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا ابن
حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل سمع عن السدي عن زيد بن علي عن آبائه أنهم قالوا (الفلق) جب في قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف
عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه . وكذا روى عن عمرو بن عنبسة والسدي وغيرهم .
وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر فقال ابن جرير حدثني إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان
الواسطي حدثنا نصر بن خزيمه الخراساني عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «الفلق»
جب في جهنم مغطى ، إسناده غريب ولا يصح رفعه . وقال أبو عبد الرحمن الحلي (الفلق) من أسماء جهنم قال ابن جرير والصواب
القول الأول إنه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى وقوله تعالى (من شر ما خلق)
أي من شر جميع المخلوقات ، وقال ثابت البناني والحسن البصري جهنم وإبليس وذريته ما خلق (ومن شر غاسق إذا وقب) قال
مجاهد غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخاري عنه وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه وكذا قال ابن عباس ومحمد بن
كعب القرظي والضحاك وخفيف والحسن وقتادة إنه الليل إذا قبل بظلامه وقال الزهري (ومن شر غاسق إذا وقب) الشمس إذا
غربت ، وعن عطية وقتادة إذا وقب الليل ذهب وقال أبو الهيثم عن أبي هريرة (ومن شر غاسق إذا وقب) الكوكب وقال ابن
زيد : كانت العرب تقول الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والدوا عين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها

قال ابن جرير وهو لاء من الآثار ما حدثني نصر بن علي حدثني بكاء عن عبد الله بن أخي هام حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر
عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «ومن شر غاسق إذا وقب - النجم الغاسق» (قلت)
وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ قال ابن جرير وقال آخرون هو القمَر (قلت) وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد
حدثنا أبو داود الحفري عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن أبي سادة قال قالت عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر
حين طلع وقال «تعوذ بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهم هام من حديث محمد
ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحارث بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظه «تعوذ بالله
من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب» ولفظ النسائي «تعوذ بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب» قال أصحاب
القول الأول وهو آية الليل إذا ولج هذا لا ينافي قولنا لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وكذلك النجوم
لا تضيء إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه والله أعلم . وقوله تعالى (ومن شر النفثات في العقد) قال مجاهد وعكرمة والحسن
وقتادة والضحاك . يعني السواحر قال مجاهد إذا رقيت وثبتت في العقد وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر
عن ابن طاووس عن أبيه قال ما من شيء أقرب من الشر من رقية الحية والحجابين وفي الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال
اشتكت يا محمد ؟ فقال «نعم» فقال باسم الله أريك من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ، الله يشفيك ولعل هذا كان من شكواه
ﷺ حين سحرتم غافه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليه وفي رؤوسهم وجعل تدميرهم في تدميرهم وفضحهم وانكسر مع
هذا المعانيه رسول الله ﷺ يوم ما من الدهر بل كفى الله وشقي وعافي . وقال الإمام أحمد حدثنا أم معاوية حدثنا الأعمش عن يزيد بن

حيان عن زيد بن أرقم قال سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشكى إلى أبيه ما قال فبما جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحر لك
وعقد لك عقدا في بركك أو كذا فأرسل إليهم من بني قيس فبعث رسول الله ﷺ فاستخرجهم فجاءهم ففعلهم قال فقال رسول الله ﷺ
كأنما شط من عقلي فاذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات، ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية عن محمد بن حازم الضرير
وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد قال سمعت ثقيان بن عيينة يقول أول من حدثنا
به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة نسأت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله
ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال ربيعة عائشة سلمت
أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ أتاني رجلان ففقد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الله عندي لأخر ما بال
الرجل ؟ قال طوبى ، قال ومن طبه ، قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف لليهود كان منافقا ، قال وفيه ؟ قال في مشط
ومشاة ، قال وأين ؟ قال في جنب طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان « قالت فأني البئر حتى استخرجته فقال « هذه بئر التي أرى فيها
وكان ماءها نقاعة الحناء وكان نخلها رءوس الشياطين » قال فاستخرج فقات أظنا ففقدت ؟ فقال « أما الله فقد شفياني
وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا » وأسند من حميش عيسى بن يونس وأبي ضمرة أنس بن عياض وأبي أسامة وبجي القطان
وفيه قالت حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعل ، وعنده فأمر بالبرق فدفنت وذكر أنه رواه عن هشام أيضا ابن أبي الزناد
واليث بن سعد ، وقد رواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن عمرو رواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به
ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : أبت النبي ﷺ ستة أشهر يرى
أنه يأتي ولا يأتي فأثناه ملك كان فجاس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما باله ؟ قال مطلوب ،
قال ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم وذكر تمام الحديث وقال الأستاذ الفير المصلي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة
رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفنت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاة
رأس النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه فأعطاهم اليهود فسجروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم قال له ابن
أعصم ثم دسها في بئر لبي زريق يقال له ذروان ففرض رسول الله ﷺ وأبشر شهر رأسه ولبث ستة أشهر يرى
أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يندوب ولا يدرى ما عراه فبينما هو نائم إذ أتاه ملكا ففجس أحدهما عند
رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه الذي عند رأسه ما بال الرجل ؟ قال طوبى ، قال وما طوبى قال سحر
قال ومن سحره ؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي قال ومن طبه قال بمشط ومشاة قال وأين هو قال في جنب طلعة ذكر
تحت راعوفة في بئر ذروان والجف قشر الطاح والراعوفة حجر في أسفل البئر تأتي يقوم عليه المانع ، فأنشده رسول الله
صلى الله عليه وسلم مدعورا وقال « يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي » ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير
وعمار بن ياسر فزجوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاة رأسه وأسنان
من مشطه وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مفروزة بالإبر ، فأنزل الله تعالى السورتين فجعل كلامه أقر الآية انخلت
عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انخلت العقدة الأخيرة فقام كأنما شط من عقله وجعل جبريل
عليه السلام يقول باسم الله أرقبك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين ، الله يشفيك ، فقالوا يا رسول الله أفلا تأخذ
الحديث فتلقه فقال رسول الله ﷺ « أما أنا فقد شفياني الله وأكره أن يثير على الناس شرا » هكذا أورده بلا إسناد وفيه
غرابة وفي بعضه نكارة شديدة وبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْمَوْءُودِ وَالْمَوْءُودِ * الَّذِي يُؤَسِّسُ
فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾

هذه ثلاث صفة من صفات الرب عز وجل الروبوبة والملك والإلمية فهو رب كل شيء ومالكه والله فجميع الأشياء
مخاوقه له مما وكه عبيده فأمر للسعية أن يتعوذ بالتمتع بهذه الصفات من شر الماوس والجناس وهو الشيطان الموكل
بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواشس ولا يألو جهنما في الجبال ، والمعوذ من عصمه الله

وقد ثبت في الصحيح أنه « مامنكم من أحد إلا قد وكل به قرينه » قالوا وأنت يا رسول الله قال « نعم إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير » وثبت في الصحيحين عن أنس في قصة زيارة ضفية للنبي ﷺ وهو متكف وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها فلقبه رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال رسول الله « على رسلكما إنها ضفية بنت حبي » فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال « إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا - أو قال شرا - » . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدي بن أبي عمارة حدثنا يزيد النخعي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وإن نسي التقم قلبه فذاك الوسواس الخناس » غريب وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تيمية يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال عثر بالنبي ﷺ حمارة فقلت تمس الشيطان فقال النبي ﷺ « لا تقل تمس الشيطان فانك إذ قلت تمس الشيطان تعظم وقال بقوتي صرخته وإذا قلت باسم الله تصغر حتى يصير مثل الباب » تفرد به أحمد إسناده جيد قوى وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصغر الشيطان وغلب وإن لم يذكر الله تعظم وغلب . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر الحنفي حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا كان في المسجد جاء الشيطان فأبس به كما يبس الرجل بدايته فإذا سكن له زنته أو ألجمه » قال أبو هريرة رضي الله عنه وأتم ترون ذلك أما الزنوق فتراها مائلا كذا لا يذكر الله ، وأما اللجم ففألمح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به أحمد وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (الوسواس الخناس) قال الشيطان جائم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله خنس ، وكذلك قال مجاهد وقنادة وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه ذكر لي أن الشيطان الوسواس ينقث في قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فإذا ذكر الله خنس وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (الوسواس) قال هو الشيطان يأمر فإذا أطيع خنس

وقوله تعالى (الذي يوسوس في صدور الناس) هل يختص هذا ببني آدم كاهو الظاهر أو يعم بني آدم والجن ؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا في لفظ الناس تعليليا وقال ابن جرير وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع في إطلاق الناس عليهم وقوله تعالى (من الجنة والناس) هل هو تفصيل لقوله (الذي يوسوس في صدور الناس) ثم يبينهم فقال (من الجنة والناس) وهذا بقوى القول الثاني وقيل قوله (من الجنة والناس) تفسير للذي يوسوس في صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن) يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودي حدثنا أبو عمر والدمشقي حدثنا عبيد بن الحنفية عن أبي ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو في المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت ؟ » قلت لا قال « قم فصل » قال فقممت فصليت ثم جالست فقال « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال : فقلت يا رسول الله ولا انس شياطين ؟ قال « نعم » قال : فقلت يا رسول الله الصلاة ؟ قال « خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر » قلت يا رسول الله فالصوم ؟ قال « فرض محض ، وعنده الله مزيد » قلت يا رسول الله فالصدقة ؟ قال « أضعاف مضاعفة » قلت يا رسول الله أيها أفضل ، قال « جهد من مقل أو سر إلى فقير » قلت يا رسول الله أي الأنبياء كان أول ، قال « آدم » قلت يا رسول الله ونبياء كان قال « نعم نبي مكالم » قلت يا رسول الله كم للرسولون ؟ قال « ثلثمائة وبضعة عشر جمعا غفيرا » وقال مرة « خمسة عشر » قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك عليك أعظم ، قال « آية السكسرى (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) » ورواه النسائي من حديث أبي عمر الدمشقي به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جدا أبو حاتم بن حبان في صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جدا فانه أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمداني عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال : جاز رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالنبي لأن آخر من السماء أحب إلي من أن أتسلكم به قال : فقال النبي ﷺ « الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة » ورواه أبو داود والنسائي من حديث منصور زاد النسائي والأعمش كلاهما عن ذر به .

(آخر التفسير ، والله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين)

(ويتاوه فضائل القرآن لهؤلاء أيضا وبه يتم الكتاب إن شاء الله والله الحمد والمنة على التمام ، إنه ولي الانعام)

(فهرس الجزء الرابع من تفسير ابن كثير)

صفحة	صفحة	صفحة
٤٧٤ تفسير سورة التكاوير	٢٠٥ تفسير سورة الحجرات	٢ تفسير سورة الصفات
٤٨٠ تفسير سورة الانطار	٢٢٠ تفسير سورة ق	١٣ تحطيم الأصنام
٤٨٣ تفسير سورة المطففين	٢٣١ تفسير سورة الناريات	١٤ التوسيع إسماعيل عليه السلام
٤٨٧ تفسير سورة الانشقاق	٢٣٨ تفسير سورة الطور	٢٦ تفسير سورة ص
٤٩١ تفسير سورة البروج	٢٤٦ تفسير سورة النجم	٢٩ تسمية الجبال والطيور مع سيدنا داود
٤٩٧ تفسير سورة الطارق	٢٦٠ تفسير سورة اقتربت الساعة	٤٤ تفسير سورة الرمز
٤٩٨ تفسير سورة الأعلى	٢٦٩ تفسير سورة الرحمن	٥١ ضرب الأمثال في القرآن
٥٠١ تفسير سورة الناهية	٢٨١ تفسير سورة الواقعة	٥٧ الحث على التوبة
٥٠٥ تفسير سورة الفجر	٣٠٢ تفسير سورة الحديد	٦٢ تفسير قوله تعالى وما قدرنا
٥١١ تفسير سورة الباد	٣١٨ تفسير سورة الجادلة	الله حق قدره
٥١٥ تفسير سورة الشمس	٣٣٠ تفسير سورة الحشر	٦٣ النفخ في الصور
٥١٧ تفسير سورة الليل	٣٤٢ أسماء الله الحسنى	٦٤ دخول الأشقياء النار
٥٢١ تفسير سورة الضحى	٣٤٤ تفسير سورة الممتحنة	٦٥ دخول النقيين الجنة
٥٢٤ تفسير سورة ألم نشرح	٣٥٢ مباينة النساء	٦٧ ذكر سعة أبواب الجنة
٥٢٦ تفسير سورة التين	٣٥٦ تفسير سورة الصف	٦٩ تفسير سورة المؤمن
٥٢٧ تفسير سورة العاق	٣٦٢ تفسير سورة الجمعة	٧١ استجواب الدعاء للمؤمنين السابقين
٥٢٩ تفسير سورة القدر	٣٦٨ تفسير سورة المنافقين	٧٢ الأمر بإخلاص الدعاء لله وحده
٥٣٦ تفسير سورة البينة	٣٧٣ تفسير سورة التغابن	٧٨ إرسال سيدنا يوسف إلى أهل مصر
٥٣٨ تفسير سورة الزلزلة	٣٧٧ تفسير سورة الطلاق	٨٠ نصيحة مؤمن آل فرعون
٥٤١ تفسير سورة العاديات	٣٨٥ تفسير سورة التجرىم	٩٠ تفسير سورة فصلت
٥٤٢ تفسير سورة القارعة	٣٩٤ تفسير سورة الملك	٩٥ شهادة الجوارح على الإنسان
٥٤٤ تفسير سورة التكاثر	٤٠٠ تفسير سورة ن	١٠٠ فضل الداعي إلى الله
٥٤٧ تفسير سورة العنكب	٤١٢ تفسير سورة الحاقة	١٠٥ تفسير سورة الشورى
٥٤٨ تفسير سورة المعزة	٤١٨ تفسير سورة المعارج	١٢٢ تفسير سورة الزخرف
٥٥٣ تفسير سورة القيل	٤٢٤ تفسير سورة نوح	١٣٧ تفسير سورة الدخان
٥٥٣ تفسير سورة قريش	٤٢٨ تفسير سورة الجن	١٤٧ تفسير سورة الجاثية
٥٥٤ تفسير سورة الماعون	٤٣٤ تفسير سورة الزمل	١٥٣ تفسير سورة الأحقاف
٥٥٦ تفسير سورة التكاثر	٤٤٠ تفسير سورة النذر	١٦٢ وفد الجن الذين استمعوا القرآن
٥٥٩ تفسير سورة السجدة	٤٤٧ تفسير سورة القيامة	١٧٢ تفسير سورة محمد ﷺ
٥٦١ تفسير سورة النصر	٤٥٢ تفسير سورة الإنسان	١٨٢ تفسير سورة الفتح
٥٦٣ تفسير سورة المسد	٤٥٨ تفسير سورة المرسلات	١٨٦ ذكر سبب البعثة
٥٦٥ تفسير سورة الإخلاص	٤٦١ تفسير سورة النبأ	١٩٣ فضل أصحاب رسول الله ﷺ
٥٧٣ تفسير سورة الفلق	٤٦٦ تفسير سورة النازعات	١٩٤ قصة صلاح الجديدة
٥٧٤ تفسير سورة الناس	٤٧٠ تفسير سورة عبس	

فضائل القرآن

وهو ذيل

تفسير الخافظ بن كثير

وضعه في آخر التفسير وجعله متمما له

وجدناه في آخر المتن المكية الوحيدة المقابلة على نسخة المؤلف
ولكنه غير موجود في النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق

القاهرة

[١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م]

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(كتاب فضائل القرآن)

قال البخاري رحمه الله^(١) (كيف ينزل الوحي ؟ وأول ما نزل) قال ابن عباس : المهيمن الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله . حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سارة ، قال أخبرني عائشة ، وابن عباس ، قالوا : لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشرًا . اهـ

ذكر البخاري رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسير أهم فلم بدأ به ، فجزينا على منواله وسننه مقتدين به . وقول ابن عباس في تفسير المهيمن إنما يريد به البخاري قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل (وأزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : ثنا المثنى ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية عن علي - يعني ابن أبي طلحة - عن ابن عباس قوله (ومهيمناً عليه) قال المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ، وفي رواية شهيداً عليه . وقال سفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عن أبي إسحاق السبيعي عن التميمي عن ابن عباس (مهيمناً عليه) قال مؤمننا ، وبنيو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف . وأصل المهيمنة الحفظ والارتقاء يقال إذا رقب الرجل الشيء وحفظه وشهده قد هيم فلان عليه فهو مهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن . وفي أساء الله تعالى (المهيمن) وهو الشهيد على كل شيء الرقيب الحفيظ بكل شيء^(٢) .

وأما الحديث الذي أسنده البخاري أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرًا فهو مما انفرد به البخاري دون مسلم وإماما رواه النسائي من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن عن يحيى وهو ابن كثير عن أبي سارة عنهما . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا يزيد عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ (وقرآنًا فرقناه لقراءه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) هذا إسناد صحيح .

أما إقامته بالمدينة عشرًا فهذا مما لا خلاف فيه . وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة لأنه عليه السلام أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح . ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشر اختصاراً في الكلام لأن العرب كثيراً ما يحدفون السكسور في كلامهم أو أنهما إنما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام ، فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به عليه السلام ميكائيل في ابتداء الأمر ياتي إليه السكامة والشيء ثم قرن

(١) أي في كتاب فضائل القرآن في أول باب منه ولم يذكر المؤلف لفظ باب .

(٢) هذا تفسير اللفظ ، والمعنى أن شهادة القرآن لكتب الأنبياء أو عليها هي الحق ومن شهادته أن أهل الكتاب حرفوا ونسوا حظاً مما ذكروا به وأنهم أوتوا نصيباً منه ، وجملة ذلك أنهم لم يحفظوا جميع كتبهم وأنهم حرفوا بعض ما حفظوه وكل هذا حق تؤيده الشواهد منها .

به جبريل . ووجه مناسبة هذا الحديث بفصائل القرآن أنه ابتدئ بنزوله في مكان شريف وهو البلد الحرام ، كما أنه في زمن شريف ، وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان .

ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن في شهر رمضان ، لأنه ابتدئ بنزوله . ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله في كل سنة في شهر رمضان فلما كانت السنة التي توفي فيها عارضه مرتين تأكيذاً وتثبيتاً . وأيضاً ففي الحديث بيان أنه (١) من القرآن مكي ، ومنه مدني . فالمكي ما نزل قبل الهجرة ، والمدني ما نزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو غيرها من أي البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة .

وقد أجمعوا على سور أنها من المكي ، وآخر أنها من المدني ، واختلفوا في آخر . وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط في تقييدها عسر ونظر . ولكن قال بعضهم كل سورة في أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكية ، إلا البقرة وآل عمران كما أن كل سورة فيها (يأيها الذين آمنوا) فهي مدنية ، وما فيه (يأيها الناس) فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكي . وقد يكون مدنياً كما في البقرة (يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون - يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) .

قال أبو عبيد ثنا أبو معاوية ثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم عن علقمة : كل شيء في القرآن (يأيها الذين آمنوا) فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان منها (يأيها الناس) فإنه أنزل بمكة . ثم قال ثنا علي بن معبد عن أبي المليح عن ميمون بن مهران ، قال ما كان في القرآن (يأيها الناس - و - يأيها آدم) فإنه مكي . وما كان (يأيها الذين آمنوا) فإنه مدني .

وممنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين مرة بالمدينة ومرة بمكة والله أعلم . ومنهم من يستثنى من المكي آيات ، يدعى أنها من المدني ، كما في سورة الحج وغيرها . والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح فالحق أعلم .

وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و (يأيها النبي إذا طلقتم النساء) ، و (يأيها النبي لم تحرم) ، والفجر ، (والليل إذا يغشى) ، و (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ولم يكن و (إذا زلزلت) و (إذا جاء نصر الله) . وسائر ذلك بمكة هذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رواوا عنه التفسير .

وقد ذكر في المدني سوراً في كونها مدنية نظر . وما به الحجرات والعودات .

﴿ الحديث الثاني (٢) ﴾

وقال البخاري ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا معتمر ، قال سمعت أبي ، عن أبي عثمان ، قال أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ، فقال النبي ﷺ « من هذا ؟ » (٣) أو كما قال ، قالت هذا

(١) كذا في الأصل والمراد أن الشأن وإلا لقال : أن من القرآن مكيّاً إلخ أو : أن القرآن منه مكي الخ .
(٢) الحديث الأول هو الذي بدأ به الكتاب ولم يضع له عنواناً (٣) عبارة البخاري : فقال لأم سلمة الخ ولم يذكر القائل ﷺ والمراد أنه ﷺ سألها ليعلم هل لكونه جبريل أو لكونه ملكاً تمثل بصورة دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه

دحية ، فلما قام قالت (١) والله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بجبريل عليه السلام . قال أمي (٢) .
فقلت لأبي عثمان : ممن سمعت هذا ؟ قال من أسامة بن زيد رضي الله عنه .

وهكذا رواه أيضاً في غلامات النبوة عن عباس بن الوليد النخعي ، ومسلم في فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به .

والغرض من إيراد هذا الحديث ههنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام ، وهو ملك كريم ، ذو وجهة وجلالة ومكانة ، كما قال تعالى (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون) الآيات .

فمدح الرب تبارك وتعالى عبده ورسوله جبريل ومحمد ﷺ صلى الله وسلم عليهما ، ومناسبة صلى السلام على تفسير هذا المكان في موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سامة رضي الله عنها كما بينه مسلم رحمه الله لرؤيتها هذا الملك العظيم وفضيلة أيضاً لدحية بن خليفة المكابي ، وذلك أن جبريل عليه السلام كان كثيراً ما يأتي إلى رسول الله ﷺ على صورة دحية ، وكان جميل الصورة رضي الله عنه وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة السكابي كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة ، وهم قبيلة من قضاعة وقضاعة قيل إنهم من عدنان وقيل من قحطان وقيل بطن مستقل بنفسه والله أعلم .

﴿ الحديث الثالث ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، ثنا سعيد المقبري عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال قال : النبي ﷺ « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى مأملاً آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

ورواه أيضاً في الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله ، ومسلم والنسائي عن قتيبة جميعاً عن الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه واسمه كيسان المقبري به .

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطى نبي من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزل ، وذلك أن معنى الحديث : ما من نبي إلا أعطى - أي من المعجزات - ما آمن عليه البشر ، أي ما كان دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من أتباعه من البشر ، ثم لما مات الأنبياء لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهدوه في زمانه وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنه كان معظم ما آتاه الله وحياً منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر ، ففي كل حين هو كما أنزل . فلهمنا قال « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً » وكذلك وقع . فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ، ودوامها إلى قيام الساعة واستمرار معجزته . ولهذا قال الله تعالى (تبارك الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً) وقال تعالى (قل لأن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله منتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فمعجزوا فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) وقصر التحدي على هذا المقام في السور

(١) أي فلما قام النبي ﷺ من عندها أي وذهب إلى المسجد كما قالوا
(٢) القائل هو معتمر

النسكية . كما ذكرنا في المدنية أيضا كما في سورة البقرة حيث يقول تعالى (وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وأخبر أنهم عاجزون عن معارضة مثله وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضا . هذا وهم أفصح الحلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشر به من الكلام القصيح البليغ الوجيز المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة ، والأخبار الصادقة ، عن الغيوب الماضية والآتية ، والأحكام العادلة المحسنة ، كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي ثنا محمد بن إسحاق قال ذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال قلت : لآتين أمير المؤمنين فلا سأله عما سمعت المشية ، قال فجثته بيد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث . قال ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أتاني جبريل فقال يا محمد أمتك مختلفة بعدك » قال - فقلت له فأين المخرج يا جبريل ؟ قال - فقال في كتاب الله ، به يقسم الله كل جبار ، من اعتصم به نجاة ومن تركه هلك - مرتين - قول فضل ، وليس بالهزل ، لا تخلفه الألسن ، ولا تنفي عجائبه ، فيه نأ ما كان قبلكم ، وفصل ما بينكم ، وخبر ما هو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد

وقد قال أبو عيسى الترمذي : ثنا عبد بن حميد ، ثنا حسين بن علي الجعفي ، ثنا حمزة الزيات عن أبي الحارث الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث فقال أوقد فعلوها ؟ قلت نعم ، قال أما إنني قد سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنها ستكون فتنة » فقلت فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . هو الذي لا ترفع به الأهواء . ولا تنفخ به الأناسة . ولا يشبع منه العلماء . ولا يخلق عن كثرة الرد . ولا تنقضي عجائبه . هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشاد فآمنا به) من قال به صدق . ومن عمل به أجر . ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » خذها إليك يا أعور ، ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول ، وفي حديث الحارث مقال (قلت) لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي عن الحارث الأعور قبيح حمزة من عهده . على أنه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة . والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل قد كذب به بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما أنه اتهم بالكذب في الحديث فلا ، والله أعلم .

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على رضي الله عنه وقد وهم بعضهم في رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ثنا أبو اليعقوب ثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن إسحاق المجرى عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « إن هذا القرآن مادة الله فتعلوا من مأثبه ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يوجع فيقوّم ، ولا يزيغ فيستعيب ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما إنني لأقول : ألم حرف ، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر »

وهذا غريب من هذا الوجه ورواه محمد بن فضيل عن أبي إسحاق المجرى ، واسمه إبراهيم بن مسلم وهو أحد

التابعين ولكن تكلموا فيه كثيرا ، وقال أبو حاتم الرازي : ليس بالقوى وقال أبو الفتح الأزدى : رفاع كثير الوهم . (قلت) فيجتمعل والله أعلم أن يكون وهم في رفع هذا الحديث وإنما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر والله أعلم

وقال أبو عبيد أيضاً ثنا حجاج عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال : لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله

﴿ الحديث الرابع ﴾

قال البخاري : ثنا عمرو بن محمد ثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك أن الله تابع الوحي على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ثم توفي رسول الله ﷺ بعد وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقذ - وحسن الحلواني وعبد بن حميد والنسائي عن إسحاق ابن منصور السكوسج أربعة عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري به

ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحي على رسوله ﷺ شيئا بعد شيء كل وقت بما يحتاج إليه ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك) فإنه استأنب الوحي بعدها حينما يقال قريبا من سنتين أو أكثر ثم حى الوحي وتتابع وكان أول شيء نزل بعد تلك الفترة (يا أيها المدثر) ثم فأنذر

﴿ الحديث الخامس ﴾

حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأنته امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل الله تعالى (والنحنى) والليل إذا نحنى ما ودناك ربك وما قلى) وقد رواه البخاري في غير موضع أيضا ومسلم والترمذي والنسائي من طرق أخر عن سفيان وهو الثوري وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدى عن جندب بن عبد الله البجلي به . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في تفسير سورة الضحى

والمناسبة في ذكر هذا الحديث والتي قبله في فضائل القرآن أن الله تعالى له رسوله عناية عظيمة وعجبة شديدة حيث جعل الوحي متتابعاً عليه ولم يقطعه عنه ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرداً ليسكون ذلك أبلغ في العناية والأكرام قال البخاري رحمه الله (١) : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، قرأنا عربياً بلسان عربى مبين ، حدثنا أبو الجمان ثنا شعيب عن الزهري أخبرني أنس بن مالك قال : فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المساحف وقال لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا

هذا الحديث قطعة من حديث سياتى قريبا الكلام عليه ، ومقصود البخارى منه ظاهر وهو أن القرآن نزل بلغة قريش وقريش خلاصة العرب ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خالد ثنا يزيد بن شيدان ابن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : لا يعلين في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا إسناد صحيح .

(١) في البخارى هنا كلمة ﴿ باب ﴾ والمؤلف لا يذكر الأبواب فيما ينقله هنا عن البخارى كما تقدم مثله .

وقال أيضا حدثنا إسماعيل بن أسد ثنا هودثة ثنا عوف عن عبد الله بن فضالة قال : لما أراد عمر أن يكتب الإمام
أحمد له تقرأ من أصحابه وقال إذا اختلفتم في اللغة فكتبوها بلغة مضر فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر عليه السلام
وقد قال الله تعالى (قرآنًا عربيًّا غير ذي عوج لعلمهم يتقون) وقال تعالى (وإِنَّهٗ لَنَزْلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ
الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ النَّذِيرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) وقال تعالى (وهذا لسان عربي مبين) وقال تعالى
(ولو جعلناه قرآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِي وَعَرَبِي) الآية إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك
ثم ذكر البخاري رحمه الله حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول : لئن أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي
فذكر الحديث في الذي سألت عن أحرم بعمره وهو متضمخ بطيب وعليه جبة قال فنظر رسول الله ساعة ثم فجأه
الوحي فأشار عمر إلى يعلى أي تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال
« أين الذي سألتني عن العمرة آنفا ؟ » فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب
وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة والكلام عليه في كتاب الحج ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه
الترجمة ولا يكاد ولو ذكر في الترجمة التي قبلها لكان أظهر وأبين والله أعلم .

(جمع القرآن)

قال البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن جبير بن سبيك أن زيد بن ثابت قال أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر إن عمر بن الخطاب أتاني فقال: إن القتل قد استبحر (١) بقرآن القرآن ، وإني أخشى أن يستبحر القتل بالفراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر ، قال زيد : قال أبو بكر إنك رجل شهاب عاقل لا تهماك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، والله لو كفوني نيل جبل من الجبال ما كان على أثقل مما أمرني به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير . ولم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى الذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتبعت القرآن أجمعه من العصب والاعخاف (٢) وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره (٣) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) حتى خاتمة براءة .

فسكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم . وقد روى البخارى هذا في غير موضع من كتابه . ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى من طريق من الزهري وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق رضي الله عنه فإنه أقامه الله تعالى بعد النبي ﷺ مسامحا لا يبرئ لأحد من بعده : قاتل الأعداء من مانعي الزكاة والمرتدين والفرس والروم ، ونفذ الجيوش ، وبعث البعث والسر الأبور داد إلى نصابه ، بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن الفارى من حمله فانه وكان هذا من سر قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

فجمع الصديق الخير وكف الشور ، رضي الله عنه وأرضاه ، ولهذا روى عن غير واحد من الأنعم منهم وكريم وابن زيد وقبيصة عن سفيان الثوري عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي السكيني عن عبد الله بن عبد الله بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : أعظم الناس أجرا في الصحاح أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين . هذا إسناد صحيح .

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب الصحاح : حدثنا هارون بن إسحاق ثنا عبدة عن هشام عن أبيه أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي جمع القرآن بعد النبي ﷺ يقول : سخرته صحيحا أيضا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي تنبه لذلك لما استبحر القتل بالفراء ، أي اشتد القتل وكثر في قراء القرآن يوم اليمامة . ومن يوم مال مسيكة السكذاب وأصحابه بنى حنيفة ، بأرض اليمامة في حديقة الوت

وذلك أن مسيكة التف مع من المرتدين قريب من مائة ألف . فجهر الصديق لقتاله خالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفا ، فالتقوا معهم ، فأنكشف الجيش الإسلامي لكثرة من فيه من الأعراب . فسادى القراء من كبار الصحابة يا خالد خلصنا . يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب . فتميزوا منهم وانفردوا فكانوا قريباً من ثلاثة آلاف . ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالا شديداً ، وجماعوا يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم ، حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فاراً ، وأتبعهم السيوف المسلة في أقبسهم قتلاً وأسراً ، وقتل الله مسيكة وفرق شمل أصحابه ثم رجعوا إلى الإسلام .

(١) استبحر اشتد (٢) الاخفاف بكسر اللام جمع الحفة وهي صفائح الحجارة الرقاق ، وتجمع على الحفب بشمسين كما في رواية أخرى (٣) يعني أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ممن كانوا يكتبون الوحي لا أنه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون ويتأونها في الصلاة وغيرها .

وانسكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم . فلم نأشأ عمر على الصديق ، بأن يجمع القرآن ثلاثا يذهب منه بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في موطن القتال ، فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظا ، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته . فراجع الصديق قليلا ليستثبت الأمر ، ثم وافقه ، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت في ذلك . ثم صار إلى ما رأياه رضى الله عنهم أجمعين . وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصاري . ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود : ثنا عبد الله بن محمد بن خالد ، ثنا زيد بن مبارك ، عن فضالة عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم البعثة ، فقال إنا لله ، ثم أمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في الصحف . وهذا منقطع فان الحسن لم يدرك عمر . ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع ، ولهذا كان مهمنا على حفظه وجمعه ، كما رواه ابن أبي داود حيث قال : ثنا أبو الطاهر ، ثنا ابن وهب ، ثنا عمرو بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو ، عن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عمر لما جمع القرآن ، كان لا يقبل من أحد شيئا ، حتى يشهد شاهدان ، وذلك عن أمر الصديق له في ذلك كما قال أبو بكر بن أبي داود . ثنا أبو الطاهر . أنا ابن وهب أخبرني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما استجر القتل بالقراء يومئذ فرق (١) أبو بكر رضى الله عنه أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه (٢) منقطع حسن

ولهذا قال زيد بن ثابت ووجدت آخر سورة التوبة - يعني قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر الآيتين - مع أبي خزعة الأنصاري ، وفي رواية مع خزعة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره (٣) فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين في قصة الفرس التي ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابي فأنكر الأعرابي البيع ، فشهد خزعة هذا بتصديق رسول الله ﷺ فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابي . والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور .

وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع . عن أبي العالية أن أبي بن كعب أملاها عليهم مع خزعة بن ثابت . وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . أن عثمان شهد بذلك أيضا

وأما قول زيد بن ثابت : فتثبت القرآن أجمعه من العصب واللاخاف وصدور الرجال . وفي رواية من العصب والرقاع والاضلاع . وفي رواية من الاكتاف والاقناب وصدور الرجال . أما العصب فجمع عسيب ، قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري : وهو من السعف فوق السكرب ، لم ينبت عليه الخوص ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف . واللاخاف جمع لحفة وهي القطعة من الحجارة مستدقة ، كانوا يكتبون عليها وعلى العصب وغير ذلك مما يمكنهم الكتابة عليها بما يناسب ما يسمونه من القرآن من رسول الله ﷺ .

ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه فكان يحفظه ، فتلقاه زيد ، هذا من عسيبه ، وهذا من لحافه ، ومن صدر هذا ، أي من حفظه وكانوا أحرس شيء على أداء الأمانات . وهذا من أعظم الأمانة ، لأن الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليأمنوه إلى من بعده ، كما قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) فعمل صوات الله وسلامه عليه

(١) فرق كتعب خاف أي خاف أن يضيع منه شيء - كما في الروايات الأخرى - إذ مات جميع حفاظه قبل أن يكتب (٢) اعمل المراد الشهادة على المكتوب وقد كان زيد ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ وكذلك عمر كان يحفظه (٣) أي لم يجدوها مكتوبة مع غيره على ما كان من بحث زيد عن كتبها وتقديم في حاشية قبل هذه أنها كانت محفوظات وأن زيدا كان يسأل عن شيء يحفظه ويعرفه .

ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الأشهاد ، والصحابة أوفروا ما كانوا مجتمعين فقال « إنكم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك بلغت وأدبت ونصحت ، فجعل يشير بأصبعه إلى السماء قائلاً ويقول « الله اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد » رواه مسلم عن جابر وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال « بلغوا عني ولو آية » يعني ولو لم يكن مع أحد سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه فبلغوا عنه ما أمرهم به ، فأدوا القرآن قرأتاً ، والسنة سنة ، يلبسوا هذا بهذا

ولهذا قال عليه السلام « من كتب عني سوى القرآن فليمحجه » أي لكلا خطاط بالقرآن ، وليس معناه أن لا يخطو السنة ويرووها والله أعلم ، فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن عما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد يأموه إلينا والله الحمد والمنة

فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما من أكبر الصالح الدينية وأعظمها من حفظهما كتاب الله في الصحف لكلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ثم كانت تلك الصحف عند السديق أيام حياته ، ثم أخذها عمر بعده ، فكانت عنده مخروسة مظلمة مكرومة ، فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين ، لأنها كانت وصية من أولاده على أوقافه وتركته . وكانت عند أم المؤمنين حتى أخذها أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه فاستدكره إن شاء الله .

﴿ كتابة عثمان رضي الله عنه للمصاحف ﴾ (١)

قال البخاري رحمه الله : ثنا موسى بن إسماعيل ، ثنا إبراهيم ، ثنا ابن شهاب ، أن أنس بن مالك حدثه ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، وكان يغارز أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق . فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة ، قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف فننسخها ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن (٢) فاكتبوه بلسان قريش فانما أنزل بلسانهم ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفه أو مصحف أن يحرق (٣)

قال ابن شهاب الزهري فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ، سمع زيد بن ثابت فقال ، ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها ، فالتسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري

(١) هذا العنوان من وضع المطبعة لامن وضع المؤلف

(٢) أي إذا اختلفتم في رسم كتابته فاكتبوه بالرسم الذي يوافق لغة قريش وطبقها من نحو عمر وغيره فإنه نزل بها لأنها لغة الرسول ﷺ وأفصح لغات العرب وإنما أقرأ جبريل الذي ﷺ بغيرها من لغات العرب ولهم جسيم رخصة ليسهل عليهم ترتيبه بغير تكاف يشغل عن تدبره

(٣) حكمة ذلك أن مصحف حفصة هو الذي نسخت عنه المصاحف الرسمية التي نزلت في جميعها ونسخها فبخشي من إباحة وجود غيرها أن يكون في بعضها غلط أو أن تكون سبباً للكذب والاختلاف

(من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) فألقناها في سورتها بالمصحف . وهذا أيضا من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

فان الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء . وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا في القرآن ، ووافقه على ذلك جميع الصحابة . وإتباعا روى عن عبد الله بن مسعود شيء من التخصب بسبب انه لم يكن ممن كتب المصحف ، وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرق ما عسدا المصحف الامام . ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق . حتى قال علي بن أبي طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا ، فانفق الأئمة الأربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي على أن ذلك من مصالح الدين . وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » وكان السبب في هذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، فانه لما كان غازيا في فتح أرمينية وأذربيجان وكان قد اجتمع هناك أهل الشام والعراق ، وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى ، ورأى منهم اختلافا واقترافا ، فلما رجع إلى عثمان أعلمه ، وقال لعثمان أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى

وذلك ان اليهود والنصارى يختلفون فيما بأيديهم من الكتب ، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعاني أيضا ، وليس في توراة السامرة حروف المهززة ، ولا حروف الهاء ولا الياء ، والنصارى أيضا بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسخة اليهود والسامرة .

وأما الأنجيل التي بأيدي النصارى فأربعة : انجيل مرقس ، وانجيل لوقا ، وانجيل متى ، وانجيل يوحنا ، وهي مختلفة أيضا اختلافا كثيرا . وهذه الأنجيل الأربعة كل منها لطيف الحجج . منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط . ومنها ما هو أكثر من ذلك ، إما بالنصف أو الضعف . ومضمونها سيرة عيسى عليه السلام ، وأيامه ، وأحكامه ، وكلامه ، ومعه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله ، وهي مع هذا مختلفة كما قلنا . وكذلك التوراة مع ما فيها من التحريف والتبديل ، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفرعه ، وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل اليه بالمصحف التي عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك في مصحف واحد ، وينفذه إلى الآفاق ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه ، ففعلت حفصة . وأمر عثمان هؤلاء الأربعة ، وهم زيد بن ثابت الأنصاري ، وأحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ وعبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الاسدي ، وأحد فقهاء الصحابة ونبيائهم علما وعملا ، وأصلا وفضلا . وسعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي وكان كريما جوادا محمدا ، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي

فجلس هؤلاء نفر الأربعة يكتبون بالقرآن نسخا . وإذا اختلفوا في موضع الكتابة على أي لغة رجعوا إلى عثمان ، كما اختلفوا في التابوت ، أي كتبونه بالناء أو الهاء ؟ فقال زيد بن ثابت إنما هو التابوت ، وقال الثلاثة القرشيون إنما هو التابوت ، فراجعوا إلى عثمان فقال اكتبوه بلغة قريش فإن القرآن نزل بلغتهم . وكان عثمان رضي الله عنه والله أعلم رتب السور في المصحف ، وقدم السبع الطول وثني بالمئين (١)

ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذي والنسائي ، من حديث غير واحد من الأئمة الكتاب ، عن عوف الاعرابي عن يزيد الفارسي ، عن ابن عباس قال : قالت لعثمان بن عفان ما حملكم على أن محمدتم إلى الأتقاله ، وهي من المائتين ، وإلى برائة وهي من المئين ، فقرتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتوها في السبع الطول ، ما حملكم على ذلك ؟ فقال عثمان كان رسول الله ﷺ مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد ، فكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول « ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا »

وكانت الأنفال من أول ما نزلت بالمدينة ، وكانت براءة من آخر القرآن ، وكانت قصتها شديدة بقصتها ، وحسبت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها ، فمن أجل ذلك قرئت بينهما ، ولم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم فوضعتها في السبع الطول .

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات في السور أمر توقيفي متلقى عن النبي ﷺ وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (١) ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتباً آياته . فإن نكسه خطأ كثيراً . وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء عثمان رضي الله عنه . والأولى إذا قرأ أن يقرأ متوالياً ، كما قرأ عليه السلام في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والنافقين ، ونارة بسج وهل أناك حديث العاشية . فإن فرق جاز ، كما صح أن رسول الله ﷺ قرأ في العيد بقال واقتربت الساعة ، ورواه مسلم عن أبي قتادة وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (الم) السجدة وهل أتى على الإنسان . وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضاً ، فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، أخرجه مسلم وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم يوسف

ثم إن عثمان رضي الله عنه رد الصحف إلى حفصة رضي الله عنها فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى مات ، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف للصحف الأشعة (٢)

(١) قال صاحب النار: هذا خطأ لا يصح في جميع السور بل هو باطل واعتمده بعضهم في هاتين السورتين عملاً بهذه الرواية وهو مردود أيضاً وقد انتقدته في تفسير النار بقولي بعد نقله عن الأولي ما نصه : وأقول إن جواب عثمان لابن عباس (رضي الله عنهم) هو كإرواه أحمد وأصحاب السنن الثلاثة وابن حبان والحاكم: كان رسول الله ﷺ يزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا من كان يكتب يقول «ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا» وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شديدة بقصتها ، فظننت أنها منها ، فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها . فمن أجل ذلك قرئت بينهما ، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، ووضعتها في السبع الطول اهـ ولأجل هذه الرواية ذهب البيهقي إلى أن ترتيب جميع السور توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا الأنفال وبراءة وواقعه السيوطي . ورد عليه أنه لا يعقل أن يرتب النبي صلى الله عليه وسلم جميع السور إلا الأنفال وبراءة ، وقد صح أنه ﷺ كان يتلو القرآن كله في رمضان على جبريل عليه السلام مرة واحدة من كل عام فلما كان العام الذي توفي فيه عارضه القرآن مرتين ، فأين كان يشح هاتين السورتين في قراءته ؟ التحقيق أن وضعهما في موضعهما توقيفي وإن فات عثمان أو نسيه ولولا ذلك لعارضة الجمهور أو ناقشوه فيه عند كتابة القرآن كما روى عن ابن عباس بعد سنين من جمعه ونشره في الأقطار

وهذا الحديث قال الترمذي حسن لأنه رفته إلا من حديث عوف (بن أبي جميلة) عن يزيد الفارسي عن ابن عباس اهـ ويزيد الفارسي هذا غير مشهور اختلفوا فيه هل هو يزيد بن هرمز أو غيره والصحيح أنه غيره روى عن ابن عباس وحكى عن عبد الله بن زياد وكان كاتبه وعن الحجاج بن يوسف في أمر الصحف . ومثل عنه يحيى بن معين فلم يعرفه ، وقال أبو حاتم لأبأس به . اهـ ملخصاً من تهذيب التهذيب ، فثل هذا الرجل لا يصح أن تكون روايته التي انفرد بها بما يؤخذ به في ترتيب القرآن المتواتر

(٢) الأولى بل التمين أن يقال لئلا يدعى أحد بعد ذلك أن فيها ما يخالف هذه الصحف فإنها كانت مستقلة بسورة يظهر أنها لم تكن قوية بشكل واحد وقياس واحد فتتخذ مصحفاً إماماً يصاح للبقاء كالصحف التي نسخت لهذا الغرض وجمعت رسمية بالاجماع . وقد نقلت صحف الأخبار العامة أن أحدها وهو الذي كان محفوظاً عند جسر الرومية وهي خاتم الشيوعيون لا يمر بخاري بعد أن أخذوا صورته بالآلة الحسية (الفوتوغرافية) ويقال إن الأصل قد فُقد فلم يسلم إلى الآن

التي نهبها عثمان إلى الآفاق، مصحفاً إلى مكة، ومصحفاً إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين، وترك عند أهل المدينة مصحفاً. رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني، عنه يقول: وصحح القرطبي أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف - وهذا غريب - وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لئلا يختلف قراءات الناس في الآفاق. وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم. وإنما نقم عليه ذلك الرهط الذين تمالؤا عليه وقتلوه - قاتلهم الله - وذلك في جملة ما أنكروا مما لا أصل له. وأما مبادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين فكلمهم وافقوه.

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغندر عن شعبة عن علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة قال: على حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنع هو لصنعت. وقال أبو بكر بن أبي داود ثنا أحمد بن سنان ثنا عبد الرحمن ثنا شعبة عن أبي إسحق عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد، وهذا إسناد صحيح، وقال أيضاً حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ثنا يحيى بن كثير ثنا ثابت بن عمارة الحنفي قال سمعت غنيم بن قيس المازني قال قرأت القرآن على الحرفين جميعاً، والله ما يسرني أن عثمان لم يكتب المصحف وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام فأصبح له مثل ماله. قال قلنا له يا أبا العبر لم؟ قال لو لم يكتب عثمان المصحف لخلق الناس يقرءون الشعر. وحدثنا يعقوب بن مهران حدثنا محمد بن عبد الله حدثني عمران بن حدير عن أبي مجلز قال: أولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرءون الشعر. وحدثنا أحمد بن سنان سمعت ابن مهدي يقول: خصلتان لعثمان بن عفان ليستأني بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلوماً. وجمعه الناس على المصحف وأما عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقد قال إسرائيل عن أبي إسحاق عن حمير بن مالك قال لما أمر بالمصاحف إحدى بتسريقها ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال: من استطاع منكم أن يغسل مصحفاً فليغسل فإنه من غل شيئاً جاء بما غل يوم القيامة ثم قال عبد الله لقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي أفأترك ما أخذت من في رسول الله ﷺ؟

وقال أبو بكر ثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن النضر ثنا سعيد بن سليمان ثنا ابن شهاب عن الأعمش عن أبي وائل قال: خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال: من يغسل يأت بما غل يوم القيامة، غلوا مصاحفكم، وكيف تأمروني أن أفرا على قراءة زيد بن ثابت وقد قرأت القرآن من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة (١) وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذواتان والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني، وما أنا خيركم، ولو أعلم مكانا تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته. قال أبو وائل فلما نزل عن المنبر جلست في الخلق فما أحد ينكر ما قال. أصل هذا مخرج في الصحيحين وعندهما: ولقد علم أصحاب محمد ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله وقول أبي وائل فما أحد ينكر ما قال يعني من فضله وحفظه وعلمه والله أعلم. وأما أمره بغل المصاحف وكتابتها فقد أنكره عليه ثلث واحد. قال الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء فقال كنا نعد عبد الله حينما لما باله بوائب الأمراء؟

وقال أبو بكر بن أبي داود: باب رضي عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك: حدثنا عبد الله بن سعيد وثبت بن عثمان العجلي قال ثنا أبو أسامة حدثني زهير حدثني الوليد بن قيس عن عثمان بن حسان العامري عن ناذلة الجعفي قال فرغت فيمن فرغ إلى عبد الله في المصاحف فدخلنا عليه فقال رجل من القوم إنا لم نأتك زائرين ولسنا جئنا حين راعنا هذا الخبر. فقال إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب على سبعة أحرف... أو حروف. وإن الكتاب قبلكم كان ينزل أو ينزل من باب واحد على حرف واحد. وهذا الذي استدل به أبو بكر رحمه الله على رجوع ابن مسعود فيه نظر من جهة أنه لا تظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه والله أعلم.

(١) القول: السرقة من الغنائم مراده أن حفظ هذا العدد من السور في مكة وفي أوائل الهجرة قبل أن يرشد زيد ويذهب القرآن وإلا فهو قد كان يحفظ القرآن كله وكتبه ويجوز أن يكون أصله سبعين مرة.

وقال أبو بكر أيضا حدثني يحيى بن أبي ربيعة أنا إسرائيل عن أبي إسحق عن مصعب بن سعد قال قام عثمان فخطب الناس فقال : أيها الناس عهد نبيكم منذ ثلاث عشرة وأتم تملكون في القرآن وتقولون قراءة أبي وقراءة عبد الله ، يقول الرجل والله ما يقيم قراءتك وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شيء لما جاء به (١) فكان الرجل يحییء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى يجمع من ذلك شيء كثير ، ثم يدخل عثمان فدعاهم رجالا رجلا فناداهم : لسمعت (٢) رسول الله ﷺ وهو أملاء عليك ؟ فيقول نعم فلما فرغ من ذلك عثمان قال من أكتب الناس ؟ قالوا كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت ، قال فأى الناس أعرب ؟ قالوا سعيد بن العاص ؟ قال عثمان فليمل سعيد واكتب زيد . فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس فسمعت بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون قد أحسن ! إسناد صحيح .

وقال أيضا ثنا إسحق بن إبراهيم بن زيد ثنا أبو بكر بن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال : لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلا من قريش والأنصار فهم أبي بن كعب وزيد بن ثابت ؟ قال فبعثوا إلى الرقة التي في بيت عمر فجيء بها قال وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارعوا في شيء أخرجه قال محمد فقلت لكثير وكان فيهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال لا قال محمد فقلت فلما إنسا كانوا يؤخرونها لينظروا أحدتهم عهدا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله . صحيح أيضا (قلت) الرقة هي الكتب المجمعة وكانت عند حفصة رضي الله عنها ؛ فلما جمعها عثمان رضي الله عنه في المصحف ردها إليها ولم يبق فيها جملة ما حرقه مما سواها لأنها هي بعينها التي كتبها وإنما رتبته (٣) ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها فلما زالت عندها سبي ماتت ؛ ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتناول في ذلك ما تناول عثمان كما رواه أبو بكر بن أبي داود : حدثنا محمد بن عوف ثنا أبو الهيثم ثنا شعيب عن الزهري أخبرني سالم بن عبد الله أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها عن المصحف التي كتبت معها القرآن فتأني حفصة أن تعطيه إياها قال سالم فلما توفيت حفصة ورجعوا من دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك المصحف فأرسلن بها إليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فحفظت .

وقال مروان إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف فخشيت إن طالع بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه المصحف يرتاب أو يقول إنه قد كان شيء منها لم يكتب (٤) إسناد صحيح .

وأما ما رواه الزهري عن خارجة عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها في سورتها فقد ذكرنا أنها من جمع عثمان فيه نظر وإنما هذا كان حال جمع الصديق المصحف كما جاء مصرحا به في غير هذه الرواية عن الزهري عن عبيد بن السباق عن زيد بن ثابت ، والله ليل على ذلك أنه قال فألقناها في سورتها من المصحف وأيسر الله الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية .

فهذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حفظا على الناس القرآن وجمعاه لئلا يذهب منه شيء ؛ وعثمان رضي الله عنه جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضع على العروة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره عليه السلام فإنه عارضه به عامه مرتين ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض « وما أرى ذلك إلا لا قرب أجلى » أخرجاه في الصحيحين .

وقد روى أن عليا رضي الله عنه أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتبا بحسب نزوله أولا فأولا كما رواه ابن أبي داود رحمه الله حيث قال ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي ثنا ابن فضيل عن أشعث عن محمد بن سيرين قال لما توفي النبي ﷺ أقسم على أن لا يرتدي برداء إلا الجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل فأرسل إليه أبو بكر رضي الله عنه بعد أياما كرهت إمارتي يا أبا الحسن ؟ فقال : لا والله إلا إنني أقسمت أن لا ارتدي برداء إلا الجمعة ؛ فبإيهامهم ربيع . هكذا رواه وفيه انقطاع .

(١) أي ما وجد معه شيء منه إلا جاء به (٢) أي تقسم إنك سمعت الخ

(٣) الصواب أنه جمعها في مصاحف متينة تجلد وتبقى وأما ترتيبها فقد كان توقيفيا كاه على العروة الأخيرة تراه

في رواية الصحيحين هنا . وما سبق من استثناء الأنفال والتوبة ضعيف كما سبق

(٤) هذا هو الحق المعقول فالمراد من اتلافها سد ذريعة القول والتشكيك كما قلنا

ثم قال لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث وهو لين الحديث وإنما زووا : حتى أجمع القرآن . يعني أنهم أحفظه فإنه يقال للذي يجمع (١) القرآن قد جمع القرآن ﴿قلت﴾ وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر والله أعلم فإن عليا لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك (٢) ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني يقال إنها بخط علي رضي الله عنه وفي ذلك نظر فإن في بعضها [كتبه علي بن أبوطالب] (٣) وهذا لمن من السكلام وعلى رضي الله عنه من أبعد الناس عن ذلك فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو فيأرواه عنه الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي وأنه قسم السكلام إلى اسم وفعل وحرف وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده ثم أخذ الناس عن أبي الأسود فوسعوه ووضحوه وصار علمهم مستقلا وأما المصاحف العثمانية الأتمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرق القصور المعمورة بذكر الله ، وقد كان قديما بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمسمائة ، وقد رأيت كتابا عزيزا جديلا عظيما ضخما بخط حسن مبین قوى بغير محكم في رفق أظنه من جلود الإبل والله أعلم ، زاد الله تشريفا وتعظيما ونسكرا بما فأما عثمان رضي الله عنه فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف وإنما كتبها زيد بن ثابت في أيامه وغيره فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان ثم نفذت إلى الأفاق رضي الله عنه

وقد قال أبو بكر بن أبي داود ثنا علي بن حرب الطائي ثنا قريش بن أنس ثنا سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد مولى بني أسيد قال لما دخل المصريون على عثمان ضربه بالسيف على يده فوقع على (فسيفكفكم الله وهو السميع العليم) فمديده وقال والله إنها لأول يد خطت المفضل . وقال أيضا ثنا أبو الطاهر ثنا ابن وهب قال سألت مالكاً عن مصحف عثمان فقال لي ذهب ، يحتمل أنه سأله عن المصحف الذي كتبه بيده (٤) ويحتمل أن يكون سأله عن المصحف الذي تركه في المدينة والله أعلم .

﴿قلت﴾ وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جداً ، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلابي وغيره أن بشر بن عبد الملك أخا أ كيدر دومة تعلم الخط من الأنبار ، ثم قدم مكة فزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ، فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان ، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية ، وتعلمه معاوية من عمر سفيان بن حرب ، وقيل إن أول من تعلمه من الأنبار قوم من طيء من قرية هناك يقال لها بقة ، ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود ثنا عبدالله بن محمد الزهري ثنا سفيان عن شهاب عن الشعبي قال سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا من أهل الأنبار

﴿قلت﴾ والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المتكوفة ثم هذبها أبو علي بن مقلة الوزير وصار له في ذلك نهج وأساوب في الكتابة ، ثم قررها على بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب وسلك الناس ورائه ، وطريقته في ذلك واضحة جيدة . والغرض أن الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيداً وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى وصنف الناس في ذلك . واعتنى بذلك الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه فضائل القرآن ، والحافظ أبو بكر بن أبي داود رحمه الله فبوا على ذلك وذكرنا قطعة صالحة هي من صناعة القرآن ليست مقصدنا هنا

ولهذا نص الإمام مالك على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الإمام . ورخص غيره في ذلك . واختلفوا في الشكل والنقط ، فمن رخص ومن مانع

- (١) أصل الذي يحفظ (٢) هذه الاشاعات من وضع الروافض الفترين ومن غلاتهم من زعم أن في مصحفه عليه السلام زيادات وخلافات وأن المهدي سيظهره ، وهي كاذيب تتضمن مطاعن شديدة في علي وآل بيته من كتمان ما أنزل الله واستحقاق لعن الله للكافرين ما أنزل الله ، برأ الله آل بيت رسوله من متهرباتهم ولعن الله مفتريها
- (٣) هذا القاطع يدل على أن السكاتب له أعجمي فالظاهر أنه من زنادقة الفرس كما نراه في حاشية أخرى
- (٤) أي كتبه لنفسه فإن المصاحف التي كتبها الجماعة وقرئت على علماء الصحابة قد وزعت على الأمصار

فأما كتابة السورة وتبويبها والتفسير وأجزاء والأحزاب فكثير في مصاحف زماننا . والأولى اتباع السلف الصالح . ثم قال البخاري :

﴿ ذكر كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ (١)

وأورد فيه من حديث الزهري ، عن ابن السبكي عن زيد بن ثابت أن أبا بكر الصديق قال له : وكنت تسكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر نحو ما تقدم في جمعه القرآن وقد تقدم ، وأورد حديث زيد بن ثابت في نزول (لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر) ولم يذكر البخاري أحدا من الكتاب في هذا الباب سوى زيد بن ثابت ، وهذا عجب ، وكأنه لم يقع له حديث يورده سوى هذا والله أعلم . وموضع هذا في كتاب السيرة عند ذكر كتابه عليه الصلاة والسلام

ثم قال البخاري رحمه الله ﴿ أنزل القرآن على سبعة أحرف ﴾ حدثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عباس حدثني أن رسول الله ﷺ قال « أقرأت جبريل عليه السلام على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » وقد رواه أيضا في بدء الخلق ، ومسلم من حديث يونس ومسلم أيضا عن معمر كلاهما عن الزهري بنحوه ورواه ابن جرير من حديث الزهري به ، ثم قال الزهري بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا في حرام وهذا مبسوط في الحديث الذي رواه الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام حيث قال حدثنا زيد ويحيى بن سعيد كلاهما عن حميد الطويل عن أنس بن مالك عن أبي بن كعب قال : ما حكت في صدرى شيء منذ أسلمت إلا أننى قرأت آية وقرأها آخر غير قراءتى فقلت أقرأتها رسول الله ﷺ فقال أقرأتها رسول الله ﷺ فأتينا رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله أقرأتني آية كذا وكذا ؟ قال « نعم » وقال الآخر أليس تقرأني آية كذا وكذا ؟ قال « نعم » فقال « إن جبريل وميكائيل أتاني فقرأ عليهما جبريل عن يميني وميكائيل عن يساري فقال جبريل : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده حتى بلغ سبعة أحرف وكل حرف كاف شاف »

وقد رواه النسائي من حديث يزيد - وهو ابن هارون - ويحيى بن سعيد القائلان كلاهما عن حميد الطويل عن أنس عن أبي بن كعب بنحوه . وكذا رواه ابن أبي عدي وشمود بن ميمون الزعفراني ويحيى بن أيوب كلهم عن حميد به

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مرزوق ثنا أبو الوليد ثنا حماد بن سلمة عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل القرآن على سبعة أحرف » فأدخل بينهما عبادة بن الصامت .

(١) كتاب جمع كاتب والذي في نسخ البخاري ﴿ باب كتاب النبي ﷺ ﴾ ويعني به زيد بن ثابت . قال الحافظ ابن حجر في الفتح قال ابن كثير : ترجم كتاب النبي ﷺ ولم يذكر سوى حديث زيد بن ثابت . . . الخ ثم قال الحافظ إنه لم يقف عليه في شيء من نسخ البخاري إلا بالفظ كاتب وهو مغلق الحديث الباب اه يعني أن البخاري قصد بهذا الباب ذكر زيد بن ثابت وحده [لأنه كان أكثر ما يكتب وللكثرة تعاطيه الكتابة أطلق عليه اسم (الكتاب)] بلام المهد [يريد أن ابن كثير اشتبه كل ذكره زيدا وحده لأنه أي ابن كثير نقل ترجمة الباب بالجمع كتاب وهو ما لم يعرف في نسخ الصحيح . وذكر الحافظ كتاب الوحي بمكة والمدنية ومنه قوله : وعن كتبته في الجلة الحنفية الأربعة والزبير بن العوام وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص بن أمية وحظالة بن الربيع الأسدي ومعتيق بن أبي فاطمة وسيد الله ابن الأرقم الزهري وشرجيل بن حسنة وعبد الله بن رواحة في آخرين اه

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله : ثنا يحيى بن سعيد عن إسماعيل بن أبي خالد حدثني عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب قال : كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها عليه ، ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى قراءة صاحبه فقمنا جميعا فدخلنا على رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله إن ههنا قراة أنكرتها عليه ثم دخل ههنا فقرأ سوى قراءة صاحبه ، فقال لهما النبي ﷺ « اقرأوا - فقرأوا فقال - أصبنا » فلما قال لهما النبي ﷺ الذي قال كبر على ولا إذا كنت في الجاهلية فلما رأى الذي غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا . وكأنا أنظر إلى الله فرقا ، فقال « يا أبي إن الله أرسل إلي أن أقرأ القرآن على حرف ، فرددت إليه أن هون على أمي ، فأرسل إلي أن أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمي ، فأرسل إلي أن أقرأه على سبعة أحرف ، ولك بكل ردة مسألة تسألنيها - قال - قلت اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي ، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلى فيه الخلق حتى إبراهيم عليه السلام » وهكذا رواه مسلم من حديث إسماعيل بن أبي خالد به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب ثنا محمد بن فضيل عن إسماعيل بن أبي خالد عن عبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن جده عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله أمرني أن أقرأ القرآن على حرف واحد فقلت خفف عن أمي ، فقال أقرأه على حرفين فقلت رب خفف عن أمي ، فأمرني أن أقرأه على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة ، كلها شاف كاف »

وقال ابن جرير حدثني يونس عن ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن عبيد الله بن عمر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أنه قال : سمعت رجلا يقرأ في سورة النحل قراءة يخالف قراءتي ثم سمعت آخر يقرأها بخلاف ذلك فأنطقت بهما إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذين يقرآن في سورة النحل فسألت من أقرأهما ؟ فقالا : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالت لأذهبن بكما إلى رسول الله ﷺ إذ خالفتما ما أقرأني رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ لأحدهما « اقرأ - فقرأ فقال - أحسنت - ثم قال للآخر - اقرأ - فقرأ - فقال - أحسنت » قال أبي فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمر وجهي ، فعرف ذلك رسول الله ﷺ في وجهي فصر به في صدري ثم قال « اللهم أخشى ، الشيطان عنه ، يا أيُّ اتاني آت من ربي فقال : إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرف واحد ، فقالت رب خفف عن أمي ، ثم اتاني الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على حرفين ، فقلت رب خفف عن أمي ، ثم اتاني الثالثة فقال مثل ذلك ، ثم اتاني الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف ولك بكل ردة مسألة - فقال - يا رب اللهم اغفر لأمتي يا رب اغفر لأمتي واختبأت الثالثة شفاعة لأمتي يوم القيامة » إسناد صحيح (قلت) وهذا الشك الذي حصل لأبي في تلك الساعة هو والله أعلم السبب الذي لأجله قرأ عليه رسول الله ﷺ قراءة اعلام وابلغ ودواء لما كان حصل له سورة (لم يكن) إلى آخرها لا شغلها على قوله تعالى (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) وهذا نظير تلاوته سورة الفتح حين أنزلت مرجعه من الحديبية على عمر بن الخطاب وذلك لما كان تقدم له من الأسئلة لرسول الله ﷺ ولأبي بكر الصديق ، وفيها قوله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين)

وقال ابن جرير ثنا محمد بن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن الحسن بن محمد عن ابن أبي ليلى عن أبي بن كعب أن رسول الله كان عند إصاه بن غفار فأثاه جبريل فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمي لا تطيق ذلك » قال ثم أثاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف قال « أسأل الله معافاته ومغفرته إن أمي لا تطيق ذلك » ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأثاه حرف فقرأوا عليه فقد أصابوا . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من رواية شعبة به

وفي نسخة لأبي داود عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « إن أدرت القرآن قيل لي على حرف أو حرفين ؟ فقال الملك الذي معي قل على حرفين أو ثلاثة ؟ فقال الملك الذي معي قل على ثلاثة حتى بلغ سبعة أحرف ثم قال ليس منها إلا شفاف كاف إن قلت سمعنا علياً عزيراً حكماً ما لم نعلم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب » وقد روى ثابت بن قاسم نحوه من هذا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ومن كلام ابن مسعود نحوه ذلك

وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن عاصم عن زر عن أبي قال لقي رسول الله ﷺ جبريل عند أحجار المراء فقال رسول الله ﷺ لجبريل « إن بعثت إلى أمة أميين ، فهم الشيخ العاصي والعجوز الكبيرة والعلام ، فقال مرهم فليقرءوا القرآن على سبعة أحرف » وأخرجه الترمذي من حديث عاصم بن أبي النجود عن زر عن حذيفة أن رسول الله ﷺ لقي جبريل عند أحجار المراء فذكر الحديث والله أعلم . وهكذا رواه الإمام أحمد عن خالد عن حماد عن عاصم عن زر عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال « أقيت جبريل عند أحجار المراء فقلت يا جبريل إني أرسلت إلى أمة أمية ، الرجل والرأة والعلام والجارية والشيخ العاصي الذي لم يقرأ كتاباً قط ، فقال إن القرآن أتزل على سبعة أحرف » وقال أحمد أيضاً وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن ربيع بن خراش قال حدثني من لم يكذبني - حذيفة - قال لقي النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عند أحجار المراء فقال إن أمتك يقرءون القرآن على سبعة أحرف . فمن قرأ منهم فليقرأ كما علم ولا يرجع عنه . وقال عبد الرحمن إن من أمتك الضعيف فمن قرأ على حرف فلا يتحول عنه إلى غيره رغبة عنه . هذا إسناد صحيح ولم يخرجه

حديث آخر في معناه عن سليمان بن صرد ، قال ابن جرير ثنا إسماعيل بن موسى السدي ثنا شريك عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد يرفعه قال « أناني ما كان فقال أحدهما اقرأ ، قال على كم ؟ قال على حرف ، قال زده حتى انتهى إلى سبعة أحرف »

ورواه النسائي في اليوم والليلة عن عبد الرحمن بن محمد بن سلام عن إسحاق الأزرق عن العوام بن حوشب عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد قال أني أبي بن كعب رسول الله ﷺ برجلين اختلافاً في القراءة فذكر الحديث ، وهكذا رواه أحمد بن منيع عن يزيد بن هارون عن العوام عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد عن أبي أنه أني النبي ﷺ برجلين فذكره

وقال ابن جرير ثنا أبو كريب ثنا يحيى بن آدم ثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن فلان العبدي - قال ابن جرير ذهب عن اسمه - عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب ، قال رحت إلى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ ، فقلت من أقرأك ؟ قال رسول الله ﷺ فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت استقرئ هذا ، قال فقرأ فقال « أحسنت » قال قلت إنك أقرأتني كذا وكذا فقال « وأنت قد أحسنت قد أحسنت قد أحسنت » قال فضرب بيده على صدرى ثم قال « اللهم أذهب عن أبي الشك » قال ففقت عرقاً ، وامتلاًجوني فرقاً ، قال : ثم قال « إن اللكين أتاني ، فقال أحدهما اقرأ القرآن على حرف ، وقال الآخر زده ، قال قلت زدني فقال اقرأه على حرفين حتى بلغ سبعة أحرف اقرأه على سبعة أحرف »

وقد رواه أبو عبيد عن حجاج عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سدير العبدي عن سليمان بن صرد ، عن أبي عن النبي ﷺ بنحو ذلك . ورواه أبو داود عن الوليد الطيالسي عن هام عن قتادة عن يحيى بن يعمر عن سليمان بن صرد عن أبي بن كعب بنحوه . فهذا الحديث محفوظ من حيث الجملة عن أبي بن كعب ، والظاهر أن سليمان بن صرد الحزاعي شاهد ذلك والله أعلم .

في حديث آخر عن أبي بكرة في أن الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهزي عن حماد بن سلمة عن ثعلبي بن زيد عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه عن النبي ﷺ قال « أتاني جبريل وميكائيل عليهما السلام فقال جبريل اقرأ القرآن على حرف واحد فقال ميكائيل استزده قال اقرأ القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف ما لم تحتم آية رحمة بآية عذاب أو آية عذاب برحمة » وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن زيد بن الحباب عن حماد بن سلمة به وزاد في آخره « كقولك هلم وتعال »

في حديث آخر عن سمرة في أن الإمام أحمد ثنا بهز وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة أنا قتادة عن الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف » إسناد صحيح ولم يخرجوه.

في حديث آخر عن أبي هريرة في أن الإمام أحمد ثنا أنس بن عياض حدثني أبو حازم عن أبي سلمة لا أعلمه إلا عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل القرآن على سبعة أحرف ، وراء في القرآن كفر - ثلاث مرات - فما علمتم منه فاعلموا ، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه » ورواه النسائي عن قتبية عن أبي سلمة عن أنس بن عياض به.

في حديث آخر عن أم أيوب في أن الإمام أحمد حدثنا صفوان عن عبيد الله - هو ابن أبي يزيد - عن أبيه عن أم أيوب - يعني امرأة أبي أيوب - الأنصارية أن رسول الله ﷺ قال « أنزل القرآن على سبعة أحرف أيها قرأت أجزاءك » وهذا إسناد صحيح ولم يخرجوه أحد من أصحاب الكتب الستة.

في حديث آخر عن أبي جهم في أن أبو عبيد : ثنا إسماعيل بن جعفر عن يزيد بن خصيفة عن مسلم بن سعيد مولى الحضرمي - وقال غيره عن بسر بن سعيد - عن أبي جهم الأنصاري أن رجلاين اختلفا في آية من القرآن كلاهما يزعم أنه نازلها من رسول الله ﷺ فشيئا جميعاً حتى أتيا رسول الله ﷺ فذكر أبو جهم أن رسول الله ﷺ قال « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فلا تماروا فإن وراء فيه كفر » وهكذا رواه أبو عبيد عن الشافعي ، وقد رواه الإمام أحمد على الصواب فقال حدثنا أبو سلمة الخزازي ثنا سليمان بن بلال حدثني يزيد بن خصيفة أخبرني بسر بن سعيد حدثني أبو جهم أن رجلاين اختلفا في آية من القرآن قال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ وقال هذا تلقيتها من رسول الله ﷺ فسألا النبي ﷺ فقال « القرآن يقرأ على سبعة أحرف فلا تماروا في القرآن ، فإن وراء في القرآن كفر » وهذا إسناد صحيح أيضاً ولم يخرجوه.

ثم قال أبو عبيد : ثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يزيد بن المهدي عن محمد بن إبراهيم عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص أن رجلاً قرأ آية من القرآن فقال عمرو - يعني ابن العاص - إنما هي كذا وكذا غير ما قرأ الرجل فقال الرجل هكذا أقرأها رسول الله ﷺ فخرجا إلى رسول الله ﷺ حتى أتياه فذكر ذلك له فقال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف ، فأبى ذلك قرأتهم أصبتم ، فلا تماروا في القرآن فإن وراء فيه كفر » ورواه الإمام أحمد عن أبي سلمة الخزازي عن عبيد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن المهدي عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص به نحوه وفيه « فإن وراء فيه كفر إنه الكفر به » وهذا أيضاً جيد.

في حديث آخر عن ابن مسعود في أن ابن جرير ثنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال « كان الكتاب الأول نزل من باب واحد وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف . زاجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، واتقوا عما نهىتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمناً به ، كل من عند ربنا » ثم رواه عن أبي كريب عن الحارثي عن ضمرة بن حبيب عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن مسعود من كلامه وهو أشبه والله أعلم.

في حديث آخر في أن أبو عبيد قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة إلا ما حدثني عفان عن حماد

ابن مسلمة عن قتادة عن الحسن بن مبره عن جندب بن أبي ربيعة قال : نزل القرآن على سبعة أحرف . قال أبو عبيد ولا ترى المفوظ إلا السبعة لأنها المشهورة ، وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه وهذا شيء غير موجود ، ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة والثاني بلغة أخرى سوى الأولى والثالث بلغة أخرى سواها كذلك إلى السبعة وبعض الأحياء أسعد بها وأكثر حظاً فيها من بعض وذلك بين في أحاديث تترى

قال وقد روى السكاكي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجم من هوازن ، قال أبو عبيد والعجم هم بنو أسعد بن بكر وخيثم بن بكر ونضر بن معاوية وثقيف وهم علياء هوازن الذين قال أبو عمرو بن العلاء أفصح العرب علياء هوازن ويهمل يميم يعني بني دارم ، ولهذا قال عمر : لا يعلى في مصابنا إلا غلمان قریش أو ثقيف قال ابن جرير والامتنان الآخرتان قریش وخزاعة رواه قتادة عن ابن عباس ولكن لم يلقه

قال أبو عبيد ثنا هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس أنه كان يسئل عن القرآن فينشده فيه الشعر قال أبو عبيد يعني أنه كان يستشهد به على التفسير ، وحدثنا هشيم عن أبي بشر عن سعيد أو مجاهد عن ابن عباس في قوله (والليل وما وسق) قال وما جمع وأنشد

* قد استغن لو يجدن سائقاً *

حدثنا هشيم أنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (فإذا هم بالساهرة) قال الأرض قال وقال ابن عباس قال أمية بن أبي الصلت : (1)

* عندهم لخم بحر ولخم ساهرة *

حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن إبراهيم بن مهاجر عن ابن عباس قال : كانت لا أدرى ما فطر السموات والأرض ؟ حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بش فقال أحدهما أنا فطرتهما ، أنا ابتدأتهما ، إسناد جيد أيضاً

وقال الامام أبو جعفر بن جرير الطبري رحمه الله بعد ما أورد طرفاً مما تقدم : وضح وتبين أن الذي نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجمع إذ كان معارفاً أن ألسنتها ولغاتها أكثر من سبع بما يعجز عن إحسانه ، ثم قال وما برهانك على ما قلته دون أن يكون معناه ما قاله مخالفوك من أنه نزل بأمر وزجر وترغيب وترهيب وهشم ومثل ، ونحو ذلك من الأقوال فقد علمت فاعلم ذلك عن سلف الأمة وخيار الأمة ؟ قيل له إن الذين قالوا ذلك لم يدعوا أن تأويل الأخبار التي تقدم ذكرها هو ما زعمت أنهم قالوه في الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن دون غيره فيكون ذلك أقولنا مخالفاً ، وأما أخبروا أن القرآن نزل على سبعة أحرف يعنون بذلك أنه نزل على سبعة أوجه ، والذي قالوا من ذلك كما قالوا وقد رويتم مثل الذي قالوا من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جماعة من الصحابة من أنه نزل من سبعة أبواب الجنة كما تقدم . يعني كما تقدم في رواية أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود أن القرآن نزل من سبعة أبواب الجنة

قال ابن جرير : والأبواب السبعة من الجنة هي المعاني التي فيها من الأمر والهي ، والترغيب والترهيب ، والقصص والمثل ، التي إذا عمل بها العامل وانتهى إلى حدودها انتهى استوجب به الجنة . ثم بسط القول في هذا بما حاصله أن الشارع رخص للأمة التلاوة على سبعة أحرف .

ثم لما رأى الإمام أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اختلاف الناس في القراءة ، وخاف من تفرق كلمتهم . جمعهم على حرف واحد وهو هذا المصحف الإمام . قال واستوفقت له الأمة على ذلك ؟ بل أطاعت ورايت أن فما فيه الرش والهداية ، وتركتم القراءة بالأحرف الستة . التي عزم عليها إمامنا العادل في تركها طاعة منها له ،

(1) الشاهد الذي هنا ليس مدبراً وزونا . وفي لسان العرب أنه فسر الساهرة بالأرض وأنشد :

وفها لخم ساهرة وبئر * وما فاهوا به أبداً مقم

ونظراً منها لأنفسها ولين بعدها من سائر أهل ملتها ، حتى درست من الأمة معرفتها ، وانعتقت آثارها . فلا سبيل اليوم لأحد إلى القراءة بها ؛ لدثورها وغفوا آثارها . إلى أن قال : فإن قال من ضعفت معرفته وكيف جازلهم ترك قراءة أقرأ ههنا رسول الله ﷺ وأمرهم بقراءتها ؟ قيل إن أمره إياهم بذلك لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة ، لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العمل ^(١) بكل حرف من تلك الأحرف السبعة عند من تقوم بنقله الحجة ، ويقطع خبره البذر ويزيل الشك من قراءة الأمة . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين . إلى أن قال : فأما ما كان من اختلاف القراءة في رفع حرف ونسبه وحزه ، وتسكين حرف ونحريكه ، ونقل حرف إلى آخر مع اتفاق الصورة ، فمن معنى قول النبي ﷺ « أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف » بعزله ، لأن المرأ في مثل هذا ليس بكفر في قول أحد من علماء الأمة . وقد أوجب ﷺ بالمرأ في الأحرف السبعة الكفر كما تقدم ^(٢)

﴿ الحديث الثاني ﴾

قال البخارى رحمه الله ثنا سعيد بن عفير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير أن السور بن شزمة وعبد الرحمن بن عبد القارى حدثاه أنهما سمعا عمر بن الخطاب يقول سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة النبي ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأها رسول الله ﷺ فكنت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فليته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فان رسول الله ﷺ قد أقرأها على غير ما قرأت فانطلقت به أفوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إنى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرأها ، فقال رسول الله ﷺ « اقرأ يا هشام » فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال ﷺ « كذلك أنزلت » ثم قال « اقرأ يا عمر » فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كذلك أنزلت ، إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه »

وقد رواه الإمام أحمد والبخارى أيضاً ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من طرق عن الزهري ، ورواه الإمام أحمد أيضاً عن ابن مهدي عن مالك عن الزهري عن عروة عن عبد الرحمن بن عبد (القارى) عن عمر فذكر الحديث بنحوه

وقد قال الإمام أحمد ثنا عبد الصمد ثنا حرب بن ثابت ثنا إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن جده قال : قرأ رجل عند عمر فغير عليه ، فقال قرأت على رسول الله ﷺ فلم يغير على ، قال فاجتمعا عند النبي ﷺ فقرأ الرجل على النبي ﷺ فقال له « قد أحسنت » قال فكأن عمر وجد من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ « يا عمر إن القرآن كله صواب ما لم يجعل عذاب مغفرة ، ومغفرة عذاب » ^(٣) وهذا إسناد حسن . وحرب بن ثابت هذا يكتفى بأبي ثابت لا يعرف أحداً جرحه

﴿ أقوال العلماء في معنى السبعة الأحرف ^(٤) ﴾

وقد اختلف العلماء في معنى هذه السبعة الأحرف وما أريد منها على أقوال ؟ قال أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن فرج الأنصارى القرطبي المالكي في مقدمات تفسيره : وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة

(١) في نسخة طبعة الخشاب لتفسيره : العلم (٢) اختصر هذا الجواب وأورده بالمعنى لا بلفظه .

(٣) كذلك في الأصل (٤) العنوان ليس من الأصل

(القول الرابع) وحكامه الباقلاني عن بعض العلماء أن وجوه القراءات ترجع إلى سبعة أشياء . منها ما لا تتغير حركته ولا تتغير صورته ولا معناه ، مثل (ويضيق صدرى) ويضيق (١) ومنها ما لا تتغير صورته ويختلف معناه ، مثل (فقالوا ربنا باعد - وباعد - (٢) بين أسفارنا) وقد يكون الاختلاف في الصورة والمعنى بالحرف ، مثل نشرها ونشرها (٣) أو بالكلمة مع بقاء المعنى مثل (كالمهين النفوش - أو - كالصوف النفوش (٤)) أو باختلاف الكلمة واختلاف المعنى ، مثل (وطالع منضود - وطالع منضود (٥)) أو بالتأخر ، مثل (وجاءت سكرة الموت بالحق - أو - سكرة الحق بالموت (٦)) أو بالزيادة ، مثل (تسع وتسعون نعمة - أي (٧) - وأما الغلام فكان كافراً أو كان أبواه مؤمنين - فإن الله من بعد إكرامهن لهن غفور رحيم)

(القول الخامس) أن المراد بالأحرف السبعة معاني القرآن ، وهي أمر ، ونهى ووعد ، ووعد ، وقصص ، ومجادلة ، وأمثال ، قال ابن عطية وهذا ضعيف ، لأن هذه لا تسمى حروفاً وأيضاً فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحليل حلال ، ولا في تغيير شيء من المعاني ، وقد أورد القاضي الباقلاني في هذا حديثاً ، ثم قال : وليست هذه هي التي أجاز لهم القراءة بها

(فصل)

قال القرطبي : قال كثير من علمائنا كالمداوني وابن أبي صفرة وغيرهما : هذه القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءة بها وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصحف ، ذكره ابن النحاس وغيره ، قال القرطبي وقد سوغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها . وإنما اختار القراءة المنسوبة إليه لأنه رآها أحسن وأولى عنده ، قال وقد أجمع المسلمون في هذه الأمصار على الاعتداد على ما صح عن هؤلاء الأئمة فيما رووه ورأوه من القراءات ، وكتبوا في ذلك مصنفات ، واستمر الإجماع على الصواب ، وحصل ما وعد الله من حفظه الكتاب . قال البخاري رحمه الله :

(تأليف القرآن) (٨)

حدثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال وأخبرني (٩) يوسف بن ماهك قال إني عند شاذة أم المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقي فقال : أي الكهن خير ؟ قالت : ويحك ما يضرك ؟ قال يا أم المؤمنين أرى مصحفك ، قتالت ؟ قال لعلى أولف القرآن عليه فانه يقرأ غير مؤلف ، قالت : وما يضرك أيه قرأت قبل ؟ إنما

- (١) ويضيق بالرفع قراءة الجمهور وبالنصب قراءة يعقوب على أنه عطف على « يكذبون » قبله
- (٢) باعد بصيغة المبالغة والدعاء قراءة الجمهور ، وباعد بالفعل الماضي قراءة يعقوب وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام (بعد) من التبديد والسكدة في المصحف بغير ألف فتحتمل القراءتين المشهورتين
- (٣) الأولى بالزاي والثانية بالراء وهما قراءتان سبعيتان
- (٤) المعين هو السوف ، ذلكم أول السبوح والقراءة به غير متواترة والأرجح في مثلها أنها تفسير .
- (٥) قراءة (طالع) بالمعين شاذة لا يثبت بها القرآن وتحالف رسم المصحف الإمام (٦) الثانية شاذة فهي كالتى قبلها
- (٧) زيادة أي شاذة فهي تفسير لبيان الواقع فإن النعمة أي الضأن ويقال مثله في اللذان بعده
- (٨) حالف لفظ باب كعادته (٩) في البخاري « وأخبرني » قال الحافظ في الفتح : كذا عندهم (أي رواية البخاري) وما عرفت ماذا عطف عليه ثم رأيت الواو ساقطة في رواية النسفي وكذا ما وقعت عليه من طرق هذا الحديث اهـ يعني أنها ذكرت عند سائر الرواة سراً .

نزل أول ما نزل منه سورة من الفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الطلح والطرار ، ولو نزل أول شيء نزل : لا تسربوا الحجر لقالوا لا ندع الحجر أبداً ، ولو نزل لا تزونا لقالوا لا ندع الزنا أبداً . لقد نزل بحكمة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأسر) وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده قال فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور

والمراد من التأليف ههنا (١) ترتيب سورته ، وهذا العراقي سأل أولاً عن أي السكتين خير أو أفضل فأخبر بمعاذة رضي الله عنها أن هذا مما لا ينبغي أن يعتنى بالسؤال عنه ولا القصد له ولا الاستعداد ، فإن في هذا تركاً لا طائل تحته ، وكانوا في ذلك الزمان يصفون أهل العراق بالتمعن في الأسئلة ، كما سأل بعضهم عبد الله بن عمر عن دم البعوض يصيب الثوب فقال ابن عمر انظروا إلى أهل العراق يسألون عن دم البعوض وقد قتلتوا ابن بنت رسول الله ﷺ !! ولهذا لم تبلغ منه عائشة رضي الله عنها في السلام لا يظن أن ذلك أمر مهم ، وإلا فقد روى أحمد وأهل السنن من حديث سمرة وابن عباس عن رسول الله ﷺ قال « البسوا من ثيابكم البياض وكفوا فيها موتاكم فانها أطهر وأطيب » وصححه الترمذي من الوجهين ، وفي الصحيحين عن عائشة أنها قالت كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أبواب بيض مسحولة ليس فيها قميص ولا عمامة ، وهذا محرر في باب السكتين من كتاب الجنايز . ثم سألت عن ترتيب القرآن ، فانتقل إلى سؤال كبير وأخبرها أنه يقرأ غير مؤلف أي مرتب السور ، وكان هذا قبل أن يبعث أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه إلى الآفاق بالمصاحف الأئمة المؤلفة على هذا الترتيب المشهور اليوم وقبل الإلزام به والله أعلم . ولهذا أخبرته إنه لا يضرك بأى سورة بدأت وإن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار وهذه إن لم تسكن (اقرأ) فقد يحتمل أنها أرادت اسم جنس لسور الفصل التي فيها الوعد والوعيد (٢) ثم لما اشاد الناس إلى التصديق أمروا ونهوا بالتدريج أولاً فأولاً ، وهذا من حكمة الله ورحمته ، ومعنى هذا الكلام أن هذه السورة أو السور التي فيها ذكر الجنة والنار ليست البداية بها في أوائل المصاحف مع أنها من أول ما نزلت ، وهذه البقرة والنساء من أوائل ما في المصحف وقد نزلت عليه في المدينة وأنا عنده

فأما ترتيب الآيات في السور فليس في ذلك رخصة بل هو أمر توقيفي عن رسول الله ﷺ كما تقدم شرح ذلك ، ولهذا لم ترخص له في ذلك ، بل أخرجت له مصحفها فأملت عليه آي السور والله أعلم ، وقول عائشة لا يضرك بأى سورة بدأت يدل على أنه لو قدم بعض السور أو آخر (٣) كما دل عليه حديث حذيفة وهو في الصحيح أنه عليه السلام قرأ في يوم الليل البقرة ثم النساء ثم آل عمران

وقد سئى القرطبي عن أبي بكر بن الأنباري في كتاب الرد أنه قال : فن آخر سورة مقدمة أو قدم أخرى مؤخرة كمن أفسد نظم الآيات ، وغير الخروف والآيات ، وكان مستنده اتباع مصحف عثمان رضي الله عنه فإنه مرتب على هذا النحو المشهور والظاهر أن ترتيب السور منه ما هو راجع إلى رأى عثمان رضي الله عنه وذلك ظاهر في سؤال ابن عباس له عن ترك البسملة في أول براءة وذكره الأئمة من الأول ، والجسد في الترمذي وغيره بإسناد جيد قوي (٤)

- (١) هذا كلام المؤلف ابن كثير في بيان معنى رواية البخاري هذه
- (٢) الأولى أن يكون مرادها سورة المدثر فإنها أول سورة أنزلت بالأمر بالتبليغ وفيها ذكر الجنة والنار وإنما كان نزل قبها خمس آيات من سورة الملق لا كلها وليس فيها أمر بالتبليغ
- (٣) كذا في الأصل وقد منقطع منه جواب لو والمراد أنه لو قدم أو آخر في الصلاة لا يكره
- (٤) الدواب ما قدمنا في حاشية أخرى (ص ١٨) من أنه لا يحتاج به ولا سيما في مثل موضوعه وأن ترتيب السور توقيفي في المصحف ولسكنه لا يجب في الصلاة

وقد ذكرنا عن علي أنه كان قد عزم على ترتيب القرآن بحسب نزوله (١) ولهذا حكى القاضي الباقلاني أن أول مصحفه كان (اقرأ باسم ربك الأكرم) وأول مصحف ابن مسعود (مالك يوم الدين) ثم البقرة ثم النساء على ترتيب مختلف ، وأول مصحف أبي (الحمد لله) ثم النساء ثم آل عمران ثم الأنعام ثم المائدة ثم كذا على اختلاف شديد (٢) ثم قال القاضي ويشتمل أن ترتيب السور في المصحف على ما هو عليه اليوم من اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم وكذا ذكر مكي في تفسير سورة براءة ، قال : فأما ترتيب الآيات والبسملة في الأوائل فهو من النبي ﷺ . وقال ابن وهب في طائفة : سمعت سليمان بن بلال يقول مثل ربيعة لم قدمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وعشرون سورة ؟ فقال تده تاولسا القرآن على علم بمن آلفه ، وقد اجتمعوا على العلم بذلك فمدا يمتد إلى يوم لا يسئل عنه ، قال ابن وهب وسمعت مالكاً يقول إنما ألفت القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ قال أبو الحسن بن بطال إنا نجد تأليف سور في الرسم والخط خاصة ولا نعلم أن أحداً قال إن ترتيب ذلك واجب في الصلاة وفي القرآن ودرسه وإنه لا يحل لأحد أن يتلقن السكف قبل البقرة ولا الحج بعد السكف ، ألا ترى إلى قول عائشة لا يضررك أية قرأت قبل ؟ وقد كان النبي ﷺ يقرأ في الصلاة السورة في ركعة ثم يقرأ في الركعة الأخرى بغير السورة التي تليها ، قال : وأما ما روى عن ابن مسعود وابن عمر أنهما كرها أن يقرأ القرآن منكوساً قال إنما ذلك منكوس القلب ، فإنما عنياً بذلك من يقرأ السورة منكوسة فيبتدئ بها بخبرها إلى أولها فإن ذلك حرام محظور (٣)

(ثم قال البخاري) : ثنا آدم عن شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود يقول في بني إسرائيل والسكف ومريم وطه والأنبياء إنهم من العتاق الأول وهن من تلادي .

انفرد بإخراجه البخاري ، والمراد منه ذكر ترتيب هذه السور في مصحف ابن مسعود كالمصاحف العثمانية ، وقوله من العتاق الأول أي من قديم ما نزل ، وقوله وهن من تلادي أي من قديم ما كتبت وحفظت ، والتالذ في لغتهم قديم الال والتاع ، والعارف حديثه وحديثه ، والله أعلم

حدثنا أبو الوليد ثنا شعبة أنا أبو إسحاق سمع البراء بن عازب رضي الله عنه يقول : تعلمت (سبح اسم ربك الأعلى) قبل أن يقدم النبي ﷺ وهذا منفق عليه وهو قطعة من حديث الهجرة . والمراد منه أن (سبح اسم ربك الأعلى) سورة مكينة نزلت قبل الهجرة والله أعلم

(ثم قال) : ثنا عبدان عن أبي حمزة عن الأعمش عن شقيق قال : قال عبد الله : لقد علمت النظائر (٤) التي كان النبي ﷺ يقرأهن اثنين اثنين في كل ركعة فقام عبد الله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسأله فقال : عشرون سورة من أول الفصل على تأليف ابن مسعود ، آخرهن من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون (٥)

(١) إن صح هذا وما أراد به صريح عنه فالمراد به ترتيب السور بعد تمام كل منها من مكى ومدنى لا الآيات قبل تمام سورها (٢) المراد من قوله في أول مصحف ابن مسعود وأبي واحد وهو سورة الفاتحة فذكر كل راو آية منها وإلا كان قولاً باطلاً بدليل الإجماع على أن الفاتحة هي التي ابتدوا بها جميع المصاحف وهو المراد من اسمها ، وأما اختلافهم في ترتيب السور في مصاحفهم الشخصية فقد يكون بعض الروايات فيه من اللسائس ، وقد يكون سببه أن بعضهم يكمل عندهم جميع سورة مما كانت متفرقة فيه من عظام الأكتاف واللاخاف وغيرها قبل كمال سورة أخرى يعلم أنها نزلت قبلها فيقدمها كتقديم أبي لآل عمران المدنية بالإجماع على الأنعام المسكية بالإجماع (٣) ومثله قراءة الحنيفة منكوسة وإنما تقرأ بترتيب المصحف لمن يريد قراءته كله ، وفرق بينه وبين قراءة بعضه في الصلاة أو الوعد فإنه يتخير فيه

(٤) وفي رواية أعلست . والمراد بالنظائر السور المتشابهة في معانيها كالحواميم والفصل

(٥) هذه رواية أبي ذر للمصحف وسقط من غيرها ذكر حم الدخان وعم يتساءلون

هذا ما نسب إلى عن ابن مسعود غريب عطفه لا يثبت شيئاً رضى الله عنه ، فإن المنقول في مفسرنا أن رضى الله عنه من سورة الحجرات إلى آخره وسورة الدخان لا تدخل فيه بوجه ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن مهدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي عن جده أوس بن حذيفة قال كنت في الوفد الذين أتوا النبي ﷺ فذكر حديثاً فيه أن النبي ﷺ كان يمر معهم بعد العشاء فكثرت علينا ليلة لم يأتنا حتى طال ذلك علينا بعد العشاء قال: قلنا ما أمكنك عنا يا رسول الله ؟ قال « حاراً على حزب من القرآن فأردت أن لا أخرج حتى أقضيه » قال فسلنا أصحاب رسول الله ﷺ حين أصبحنا ، قال قلنا كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا تحزبه ثلاث سور وخمس سور وسبع سور وتسع سور وإحدى عشرة سورة وثلاث عشرة سورة ، وحزب الله من (ق) حتى يختم . ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي به وهذا إسناد حسن

(فضل)

فأما نقط المصحف وشكله فيقال إن أول من أمر به عبد الملك بن مروان فتصدي لذلك الحجاج وهو بواسط ، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يعمر ففعلوا ذلك ، ويقال إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدؤلي ، وذكروا أنه كان لحمد ابن سيرين مصحف قد نقطه له يحيى بن يعمر والله أعلم وأما كتابة الأعشار على الجواشي ، فينسب إلى الحجاج أيضاً وقيل بل أول من فعله للأموون ، وحكى أبو عمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف وكان يحكمه وكره مجاهد ذلك أيضاً وقال مالك لا بأس به بالحبر . فأما بالألوان المصبغة فلا . وأكره تعداد آي السور في أولها في المصاحف الأمهات فأما ما يتعلم فيه العلمان فلا أرى به بأساً (١) وقال قتادة : بدأوا فنقطوا ثم خمسوا ثم عشروا

وقال يحيى بن كثير أول ما أحدثوا النقط وقال هو نور له ثم أحدثوا النقط عند آخر الآي ثم أحدثوا الفواحي والجواشي ، ورأى إبراهيم النخعي فاتحة سورة كذا فأمر بمحوها وقال : قال ابن مسعود لا تخطوا بكتاب الله ما ليس فيه . قال أبو عمرو : الداني : ثم قد أطلق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها .

(معارضة جبريل النبي ﷺ القرآن (٢))

ثم قال البخاري رحمه الله : كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ، قال مسروق عن فاطمة عن عائشة أُنسرت إلى رسول الله ﷺ « إن جبريل كان يعرضني بالقرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حاضراً بي » هكذا ذكره معاً ، وقد أسنده في مواضع أخر ، ثم قال ثنا يحيى بن قزعة ثنا إبراهيم بن سعد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : كان النبي ﷺ أجود الناس بالحبر وأجود ما يكون في رمضان ، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسأخ ، يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالحبر من الريح المرسلة . وهذا الحديث متفق عليه وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحسن والقوائد والله أعلم ثم قال ثنا خاله بن يزيد ثنا أبو بكر عن أبي حسين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال كان يعرض على النبي ﷺ القرآن كل عام مرة ، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان يعتكف كل عام عشر أفاعتكف عشرين في العام الذي قبض

(١) ومثل هذا قوله بوجوب اتباع رسم الصحابة في المصاحف التي تكتب للتلاوة وإباحة الرسم المستحدث في مصاحف التعليم فقط لتسهيله . وغرضه أن مصاحف التلاوة يجب أن تكون كالمصحف الإمام الذي أجمع عليه الصحابة حفظاً للأصل . وكلامه هنا يدل على أن التابعين ومن بعدهم اعتبروا عدداً من الآيات بالرقام في مصاحفهم لأنها لا تتلف استماعاً في اللفظ ولا في المعنى ، ووضعها في كتب التفسير أولى لأنه يساعد على المراجعة والفهم

(٢) في البخاري : باب كان جبريل الخ فترك المصنف كلمة باب حفظه أدته

ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه من غير وجه عن أبي بكر - وهو ابن عباس - عن أبي حصين واسمه عثمان بن عاصم به ، والرادم من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى لينقى ما بقي ويذهب ما استخس أو كيداً واستثباتاً وحفظاً . ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين وعارضه به جبريل كذلك ولهذا فهم عليه السلام اقتراب أجله .

وعثمان رضي الله عنه جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة رضي الله عنه وأرضاه وخص بذلك رمضان من بين الشهور لأن ابتداء الإجماع كان فيه . ولهذا يستحب دراسة القرآن وتكراره فيه ، ومن ثم كثرة إجماع الأئمة في تلاوة القرآن ، كما تقدم ذكرنا لذلك .

﴿ القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ (١)

حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبه عن عمرو عن إبراهيم عن مسروق ذكر عبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود فقال لا أزال أحبه سمعت النبي ﷺ يقول « خذوا القرآن من أربعة : عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب رضي الله عنهم »

وقد أخرجه البخاري في الناقب في غير موضع ومسلم والنسائي من حديث الأعمش عن أبي وائل عن مسروق به . فهو لأربعة : اثنان من المهاجرين الأولين : عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يوم الناس قبل مقدم النبي ﷺ للمدينة ، واثنان من الأنصار معاذ بن جبل وأبي بن كعب وهما سيدان كبيران رضي الله عنهم أجمعين .

ثم قال : حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا شقيق بن سلمة قال خطبنا عبد الله فقال : والله لقد أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم بضاً ومبغين مسورة (٢) والله لقد علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أني من أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم . قال شقيق فجاءت في الحلق أسبح ما يقولون فما سمعت رداً يقول غير ذلك .

حدثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل ما هكذا أنزلت ، فقال قرأت على رسول الله ﷺ (٣) فقال « أحسنت » ووجد منه ريح الخمر فقال اتجترى أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر ؟ فجلبده الحد .

حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا مسلم عن مسروق قال : قال عبد الله : والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ؟ ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ؟ ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله ببلغه إلا بل لركبت إليه .

وهذا كله حق وصدق (٤) وهو من أخبار الرجل عما يعلم من نفسه مما قد يحمله غيره فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لما قال لصاحب مصر (اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم) ويكفيه مدحاً وثناء قول رسول الله ﷺ « استقرئوا القرآن من أربعة » فبدأ به . وقال أبو عبيد ثنا مصعب بن المقدام عن سفيان عن

(١) الذي في صحيح البخاري : باب القراء من أصحاب النبي ﷺ

(٢) قال الحافظ في شرحه من الفتح : زاد عاصم عن بدر عن عبد الله . وأخذت بقية المصحف عن أصحابه

(٣) وفي رواية مسلم . والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ ، وفيها فيينا أنا أكلعه إذ وجدت منه ريح الخمر الخ

(٤) قوله : وهذا الخ من كلام ابن كثير لا البخاري .

الأعمش عن إبراهيم عن عمر عن النبي ﷺ « من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي معاوية عن الأعمش به مطولاً وفيه قصة ، وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به وصححه الدارقطني وقد ذكرته في مسند عمر ، وفي مسند الإمام أحمد أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من أحب أن يقرأ القرآن غصاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد » وابن أم عبد هو عبد الله بن مسعود كان يعرف بذلك .

ثم قال البخاري : ثنا حفص بن عمر ثنا همام ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك : من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ؟ قال أربعة كلهم من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد ، ورواه مسلم من حديث همام . ثم قال البخاري تابعه الفضل عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس بن مالك حدثنا معلى بن أسد ثنا عبد الله بن المثنى ثنا ثابت بن ثمامة عن أنس بن مالك قال : مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قال ونحن ورثناه .

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط وليس هذا هكذا بل الذي لا يشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضاً ولعل مراده لم يجمع القرآن من الأنصار ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار وهم أبي بن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها وفي الثانية من أفراد البخاري أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد وكلهم مشهورون ، إلا أبا زيد هذا فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث وقد اختلف في اسمه فقال الرافضي واسمه قيس بن السكن بن قيس بن ذعورا بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار ، وقال ابن غير اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس ، وقيل هما اثنان جمعا القرآن حكاه أبو عمر بن عبد البر وهذا بعيد ، وقول الواقدي أصح لأنه خزرجي لأن أنسا قال نحن ورثناه وهم من الخزرج وفي بعض الألفاظ : وكان أحد عمومي ، وقال قتادة عن أنس قال : افتخروا الحيات الأوس والخزرج فقالت الأوس منا غسيل الملايكة حنظلة بن أبي عامر ، ومنا الذي حمله الدبر عاصم بن ثابت ، ومنا الذي اهتز لموته العرش سعد بن معاذ ، ومنا من أجزت شهادته بشهادة رجلين خزعة بن ثابت ، فقالت الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي ، وقد شهد أبو زيد هذا بديراً فيما ذكره غير واحد ، وقال موسى بن عقبة عن الزهري : قيل أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة .

والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق رضي الله عنه قدمه رسول الله ﷺ في مرضه إماماً على المهاجرين والأنصار مع أنه قال « يوم القوم أقرؤهم لكتاب الله » فالأول أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدمه عليهم . هذا مضمون ما قرره الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، وهذا التقرير لا يدفع ولا يشك فيه ، وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءاً ، وقد بسطت تقرير ذلك في مسند الشيخين رضي الله عنهما .

ومنهم عثمان بن عفان قد قرأه في ركعة كما سنذكره ، وعلى بن أبي طالب يقال إنه جمعه على ترتيب ما أنزل وقد قدمنا هذا .

ومنهم عبد الله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما أنزلت ، ولو علمت أحداً أعلمني بكتاب الله تبلغه المظلي لذهبته إليه .

ومنهم سالم مولى أبي حذيفة كان من السادات النجباء ، والأئمة النجباء ، وقد قيل يوم الجامعة شهيداً .

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم الرسول ورضي الله عنه ، قد تقدم عن جهده أنه قال عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أفقاه عن كل آية وأسأله عنها .

ومنه عبد الله بن عمرو كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة ، عن يحيى ابن حكيم بن صفوان ، عن عبد الله بن عمرو قال : جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة قبل ذلك رسول الله ﷺ قال : « اقرأه في شهر » وذكر تمام الحديث (١) .

(١) الحصر المذكور خطأ قطعاً يجوز من أحد الرواة ولكنهم عنوا بالتماس وجه لصحته تبعاً للصحة سنداً وقد استوفى الحافظ ابن حجر في الفتح مقاله المحققون من الأجوبة عن قول أنس قال بعد إيراد الاحتمالات مانصه :

وقد أجاب القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره عن حديث أنس هذا بأجوبة (١) أحدها (٢) أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه (٣) ثانيها (٤) المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك (٥) ثالثها (٦) لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته ولم ينسخ إلا أولئك وهو قريب من الثاني (٧) رابعها (٨) أن المراد بجمعه تلقينه من في رسول الله ﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة (٩) خامسها (١٠) أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به وخفي حال غيرهم عن عرف حاطم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه وليس الأمر في نفس الأمر كذلك أو يكون السبب في خفتهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب وأمن ذلك من أظهره (١١) سادسها (١٢) المراد بالجمع الكتابة فلا ينبغي أن يكون غيرهم جمعه حفظاً عن ظهر قلب ، وأما هؤلاء فجمعه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب (١٣) سابعها (١٤) المراد أن أحداً لم يفسح بأنه جمعه بمعنى أكل حفظه في عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفسح بذلك لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية منه فاعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة عن جمع جميع القرآن قبلها ، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين (١٥) ثامنها (١٦) أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه . وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهد به أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال إن ابني جمع القرآن فقال اللهم اغفر لي ما جمع القرآن من سمعه وأطاع ، وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر وهو أن المراد إثبات ذلك لا خزرج دون الأوس فقط فلا ينبغي ذلك عن غير القبياتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم ، ويعمل أن يقال إنما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم ولا ينبغي بعده

والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ فقد تقدم في المبحث أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو يحمى على ما كان نزل منه إذ ذاك وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تاتي القرآن من النبي ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما الآخر حتى قالت عائشة كما تقدم في المجرة إنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشية ، وقد صحح مسلم حديث يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وتقدمت الإشارة إليه وتقدم أنه ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم في مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقرؤهم وتقدم عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ

وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فيبلغ النبي ﷺ فقال « اقرأه في شهر » الحديث وأصله في الصحيح وتقدم في الحديث الذي مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين ، وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبي ﷺ فبعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطائفة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالم وأبا هريرة وعبد الله بن السائب والعبادة ، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة والسكن بعض هؤلاء إنما أكله بعد النبي ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس وعبد ابن أبي داود في كتاب الشريعة من المهاجرين أيضاً عيم بن أوس الداري وعتبة بن عامر ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذ الذي يكنى أبا حذيفة ويجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلعة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبي صلى الله عليه وسلم ومن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعري ذكره أبو عمرو الداني وعبد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة اهـ .

ثم قال البخاري حدثنا صدقة بن الفضل ، أنا يحيى عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر : على أقداننا ، وأبى أفرؤنا ، وإنا لنبع من لحن أبى . وأبى يقول أخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشيء ، قال الله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) وهذا يدل على أن الرجل الكبير قد يقول الشيء بظنه صوابا وهو خطأ في نفس الأمر ولهذا قال الإمام مالك : ما من أحد إلا يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر . أى فشكله مقبول صلوات الله وسلامه عليه . ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها وذكرنا في تفسيرها فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب . ثم قال

﴿ نزول السكينة والملائكة عند القراءة ﴾ (١)

وقال الألبان حديثي زيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أسيد بن الحضير قال : بينا هو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت ، فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت ، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن يصيبه ، فلما اجتريه (٢) رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها (٣) فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال « اقرأ يا ابن حضير ، اقرأ يا ابن حضير » قال فأشفقت أن أتأذى يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي وانصرفت إليه فرفعت رأسي إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال الصاييح فخرجت حتى لأراها ، قال « وتدرى ماذا ؟ » قال لا ، قال « ثلاث الملائكة دنت لصوتك ، لو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم » قال ابن الهاد وحديثي هذا الحديث عبد الله بن خباب عن أبي سعيد الخدري عن أسيد بن الحضير (٤)

هكذا أورد البخاري هذا الحديث معلقا وفيه انقطاع في الرواية الأولى فإن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعي صغير لم يدرك أسيدا لأنه مات سنة عشرين وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ثم فيه غرابة من حيث إنه قال : وقال الألبان حديثي زيد بن الهاد ، ولم أره بسند متصل عن الألبان بذلك إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في الأطراف أن يحيى بن عبد الله بن بكير رواه عن الألبان كذلك

وقد رواه الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن فقال : وحدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير عن الألبان عن زيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أسيد بن حضير فذكر الحديث إلى آخره ، ثم قال : قال ابن الهاد وحدثني عبيد الله بن خباب عن أبي سعيد عن أسيد بن حضير بهذا

وقد رواه النسائي في فضائل القرآن عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكي عن شعيب بن الألبان وعن علي بن محمد بن علي عن داود بن منصور كلاهما عن الألبان عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن عبيد الله وهو ابن الهاد - عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد عن أسيد به ورواه يحيى بن بكير عن الألبان كذلك أيضا فجمع بين الإسنادين ، ورواه في المناقب عن أحمد بن سعيد الرباطي عن يعقوب بن إبراهيم عن أبيه عن زيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد عن أسيد بن حضير بينا هو ليلى يقرأ في ربه الحديث ولم يقل عن أسيد ولا عن ظاهره والله أعلم وقال أبو عبيد حدثني عبد الله بن صالح عن الألبان عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن أسيد بن حضير أنه كان يقرأ على ظهر بيته ، يقرأ القرآن وهو حسن الصوت . ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه

(١) في البخاري باب نزول الخ

(٢) أى فلما جر أسيد ابنه يحيى من ذلك المكان وفي رواية أخرى

- (٣) ذكر الحافظ أن فيه اختصارا أصله كما رواه أبو عبيد . رفع رأسه إلى السماء فإذا هو مثل الظلة فيها أمثال الصاييح عرجت إلى السماء حتى ما يراها وفي صحيح البخاري أشبه لهذا الخلف سببه أن بعض الرواة يفسر الرواية لعدم ما تركه منها فيقتصر البخاري على لفظه وإن لم يفهمه من لم يعرف أصله كما لا وفي نسخة هذه الرواية هنا مثل الخلف منها (٤) جاء في نسخة هذا الكتاب اسم حضير في أول هذا الحديث وآخره مثل الخلف واللام تلاما لما في صحيح البخاري

وحدثنا فيبصة عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أسيد بن حضير قال : قلت يا رسول الله بينا أنا أقرأ البارحة بسورة فلما انتهيت إلى آخرها سمعت وجبة من خلفي حتى ظننت أن فرسي تطلق فقال رسول الله « اقرأ أبا عتيك » مرتين قال فالتفت فرأيت إلى أمثال المصاييح ما بين السماء والأرض فقال رسول الله « اقرأ أبا عتيك » فقال والله ما استطعت أن أمضي فقال « تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، أما إنك لو مضيت لرأيت الأعاجيب » وقال أبو داود الطيالسي : ثنا شعبه عن أبي إسحق سمع البراء يقول : بينا رجل يقرأ سورة السكينة ليلة إذ رأى دابته تركض - أو قال فرسه يركض - فنظر فإذا مثل الصبابة أو مثل الغمامة ، فذكر ذلك لرسول الله فقال « تلك السكينة تنزلت للقرآن - أو تنزلت على القرآن - » وقد أخرجه صاحبنا الصحيح من حديث شعبه والظاهر أن هذا هو أسيد بن الحضير رضي الله عنه فهذا مما يتعلق بصناعة الإسناد وهذا من أغرب تعليقات البخاري رحمه الله ، ثم مياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نؤول السكينة والملائكة عند القراءة ، وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عبيد ثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد أن أشياخ أهل المدينة حدثوه أن رسول الله قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس ؟ لم تنزل داره البارحة تزهر مصاييح قال « فله قرأ سورة البقرة » قال فسئل ثابت . فقال قرأت سورة البقرة وفي الحديث المشهور الصحيح « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم عن أبي هريرة ولهذا قال الله تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) جاء في بعض التفسير أن الملائكة تشهده وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيعرج إليهم الذين نزلوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصابون وتركناهم وهم يصابون »

﴿ من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين (١) ﴾

حدثنا قتبية بن معبد ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رفيع قال دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس فقال له شداد بن معقل أترك النبي ﷺ من متى ؟ قال ما ترك إلا ما بين الدفتين . قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسأله فقال ما ترك إلا ما بين الدفتين تفرد به البخاري ومعناه أنه عليه السلام ما ترك ما لا ولا شيئا يورث عنه كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا وفي حديث أبي الدرداء « إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر » ولهذا قال ابن عباس وإنما ترك ما بين الدفتين يعني القرآن ، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة أي تابعة له والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية فالأنبياء عليهم السلام لم يخلقوا الدنيا يجمعونها ويورثونها وإنما خلقوا للآخرة يدعون إليها ويرغبون فيها ، ولهذا قال رسول الله ﷺ « ما تركنا فهو صدقة » وكان أول من أظهر هذه الحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سئل ميراث رسول الله ﷺ فأخبر عنه بذلك ووافقه على نقله عنه عليه السلام غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي والعباس وطاعة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم وهذا ابن عباس يقول أيضا عنه عليه السلام رضي الله عنهم أجمعين

(١) في صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في نظائره . والدفتان بالتشديد الواحان والمراد ما بين جانبي المصحف

﴿ فضل القرآن على سائر الكلام ﴾

حدثنا هدية بن خالد أبو خالد ثنا همام ثنا أنس بن مالك عن أبي موسى رضي الله عنهما عن النبي ﷺ « مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن كالمرة طعمها طيب ولا ربح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنطة طعمها مر ولا ربح لها » وهكذا رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به ، ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجوداً وعدماً فدل على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والناس .
 (ثم قال) ثنا مسدد ثنا يحيى عن سفيان حدثني عبد الله بن دينار قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس ، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عملاً فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود ، فقال من يعمل لي من نصف النهار إلى العصر ؟ فعملت النصارى ، ثم أنتم تعملون من العصر إلى المغرب قيراطين ، قيراطين ، قالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء ، قال هل ظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا لا ، قال فذلك فضل أوتيته من شئت »
 تفرد به من هذا الوجه ومناسبته للترجمة أن هذه الأمة مع قصر مدتها فضلت الأمم الماضية مع طول مدتها كما قال تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

وفي المسند والسنن عن حماد بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « أنتم توفون سبعين أمة ، أنتم خيرها وأكرمها على الله »

وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب أنزله وجعله مهيمناً عليه وناسخاً له وخاتماً له ، لأن كل الكتب المنقذة نزلت إلى الأرض جملة واحدة وهذا القرآن نزل منجماً بحسب الوقائع لشدة الاعتناء به وعن أنزل عليه فشكل مرة كنزول كتاب من الكتب المنقذة (٢)

وأعظم الأمم للتقدمة هم اليهود والنصارى فاليهود استعملهم الله من لدن موسى إلى زمان عيسى ، والنصارى من ثم إلى أن بعث محمداً ﷺ ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة وهو المشبه بآخر النهار ، وأعطى للأمم قيراطاً قيراطاً ، وأعطي هؤلاء قيراطين قيراطين ضعفي ما أعطى أولئك فقالوا أي ربنا ما لنا أكثر عملاً وأقل أجراً ؟ فقال هل ظلمتكم من أجركم شيئاً ؟ قالوا لا قال فذلك فضل على ما أعطيتكم أوتيته من أشاء ، كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفاين من رحمته ويجعل لكم بوراً تشون به ويفسر لكم والله غفور رحيم) لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (

(١) في أصل صحيح البخاري زيادة باب كما تقسم في أمثاله وإنما نريد ذكره لتبنيته الجمهور إلى النقل عن البخاري .

(٢) هذا التعليل لتفضيل القرآن عليها غير ظاهر بل فانه على ما ذكرناه لا يخلو عن وجهه وقد كان بهامه معجزاً لا يناق ومكمل للدين الالهى فهم وبغير ذلك من خصائصه . وأهل الكتاب لا يسلطون أن التوراة نزلت على موسى جملة واحدة وإنما تلك الوصايا التي كتبها الله له في الألواح ، وأما سائر خطابه له بشأن التبليغ لقرعون وجهه موزعاً إسرائيل فكان تدريجياً

﴿ الوصاة بكتاب الله ﴾^(١)

حدثنا محمد بن يوسف ثنا مالك بن معول ثنا طلحة هو ابن مصرف سألت عبد الله بن أبي أوفى : أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا قال قلت فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص ؟ قال أوصى بكتاب الله عز وجل .

وقد رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق عن مالك بن معول به ، وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس أنه ماترك لإمامين الدين . وذلك إن الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للأولاد والأقربين) وأما هو عليه السلام فلم يترك شيئاً يورث عنه ، وأما ترك ماله صدقة جارية من بعده فلم يخرج إلى وصية في ذلك ، ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيب لأن الأمر كان ظاهراً من إشاراته وإيماءاته إلى الصديق ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك قال « يا بني الله والمؤمنون إلا أبا بكر » وكان كذلك وإنما أوصى الناس باتباع كلام الله ^(٢)

﴿ من لم يتغن بالقرآن ﴾^(٣)

وقول الله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)

حدثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب ، قال أخبرني أبو سعدة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يأذن الله لشئ ما أذن لنبي يتغن بالقرآن » وقال صاحب له يريد بجمهر به فرد من هذا الوجه ، ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري به قال سفيان : تفسيره يستغنى به

وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة به ، ومعناه أن الله تعالى ما استمع لشئ كاستماعه لقراءة نبي يجمهر بقراءته ويحسنها وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لسكال خلفهم وتمام الحشية وذلك هو الغاية في ذلك ، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كما هم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة رضي الله عنها : سبحان الذي ومع سمعه الأصوات . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) الآية ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كإدله عليه هذا الحديث العظيم ^(٤) ومنهم من فسر الأذن همنا بالأمر والأول أولى لقوله « ما أذن الله لشئ ما أذن لنبي يتغن بالقرآن » أي يجهر به والأذن الاستماع لدلالة السياق عليه وكما قال تعالى (إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت ماقبها وتخلت * وأذنت لربها وحقت) أي استمعت لربها وحقت أي وحق لها أن تستمع أمره وأطيعه ، والأذن همنا هو الاستماع . ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ « أشد أذننا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته »

وقول سفيان بن عيينة إن المراد بالتغن يستغنى به ، فإن أراد أنه يستغنى به عن الدنيا وهو الظاهر من كلامه الذي

(١) أي باب الوصاة وفي نسخة من البخاري الوصية

(٢) وأوصى ﷺ أيضاً بالنساء والرقيق وبإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها دينان

(٣) حذف منه كلمة باب (٤) المراد بالأذن أي السمع في الحديث سماع الرضاء والقبول ومثله في ذكر الاعتدال

من الركوع [سمع الله من حمده] وفعله من باب تعب وفرح

تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره ، فبخلاف الظاهر من مراد الحديث لأنه قد فسره بعض رواة بالجمهور وهو تحسين القراءة والتجزي بها قال جرمله سمعت ابن عيينة يقول معناه يستغنى به فقال لي الشافعي ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتفاني ، إنما هو يتجزئ ويترنم به . قال جرمله وسمعت ابن وهب يقول يترنم به ، وهكذا نقل الزبي والزيغ عن الشافعي رحمه الله

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) فيه نظر لأن هذه الآية السكرية ذكرت ردأ على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال (ويقولون لولا أنزل عليه آيات من ربه قل قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الآية ، ومعنى ذلك أولم يكفهم آية دالة على صدقك أنزلنا القرآن عليك وأنت رجل أمي ؟ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون) أي وقد جئت فيسه بخبر الأولين والآخرين فأين هذا من النفي بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر (١)

(فصل)

(في إيراد أحاديث في معنى الباب وذكر أحكام التلاوة بالأصوات)

قال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن قباث بن رزين عن علي بن رباح اللخمي عن عقبة بن عامر قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن في المسجد نتدارس القرآن قال « تعلموا كتاب الله واقتنوه - قال وحسبت أنه قال وتغنوا به - فوالذي نفسي بيده لو أشد تفلتنا من الخفاض من العقل »

وحدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن علي عن أبيه عن عقبة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك إلا أنه قال « واقتنوه وتغنوا به » ولم يشك . وهكذا رواه النسائي في كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن علي عن أبيه به ، ومن حديث عبد الله بن المبارك عن قباث بن رزين عن علي بن رباح عن عقبة ، وفي بعض ألفاظه خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث فيه دالة على السلام على القارئ

وقال أبو عبيد ثنا أبو أيمن عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن المهاجر بن حبيب قال : قال رسول الله ﷺ « يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حتى تلاوته آتاء الليل والنهار وتغنوه وتغنوه واذكروا ما فيه لعالم متفهمون » وهذا مرسل ، ثم قال أبو عبيد : قوله « تغنوه » أي اجعلوا غناءكم من الفقر ولا تعسدوا الأقاليل معه فقرأ : وقوله « وتغنوه » يقول اقتنوه كما تقتنوا الأموال اجعلوا ما لكم

وقال أبو عبيد حدثني هشام بن عمار عن علي بن حمزة عن الأوزاعي قال حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال « الله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » قال أبو عبيد هذا الحديث بعضهم يزيد في إسناده يقول عن إسماعيل بن عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة . وهكذا رواه ابن ماجه عن راشد بن سعيد بن أبي راشد عن الوليد عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن ميمونة مولى فضالة عن فضالة عن النبي ﷺ « الله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » قال أبو عبيد يعني الاستماع ، وقوله في الحديث الآخر « ما أذن الله شيء » أي ما استمع

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا محمد بن حميد ثنا سلمة بن الفضل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي مليكة حدثنا

(١) لتصدير الباب بالآية على التصدير الثاني وجه ظاهر اعتمد عليه شراح البخاري وهو الاستغناء بالقرآن عن غيره بإطلاق يدخل فيه كل ما يناسبه ، وذكرنا من أسباب نزول الآية ما أخرجه الديلمي من مجيء ناس من المسلمين يكتبون قد كتبوا فيها بعض ما سمعوا من أهل الكتاب فقال النبي صلى الله عليه وسلم « كفى ب قوم ضلالة أن يترسلوا عما جاء به نبيهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم » فنزات الآية

القاسم بن محمد حدثني السائب قال : قال لي سعد بن أبي أخشي هل قرأت القرآن ؟ قلت نعم ، قال غن به فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « غنوا بالقرآن ، ليس منا من لم يغن بالقرآن ، وابكوا فان لم تقدرُوا على البكاء فتنبا كوا »

وقد روى أبو داود من حديث الليث عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتنبا كوا ، وتغنوا به فن لم يغن به فليس منا » وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هنا موضعه والله أعلم

وقال أبو داود ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد الجبار بن الورد قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبيد الله بن أبي زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه فاذا رجل رث البيت رث الهيئة فالتفتنا له فقال : تجار كسبة فسمعت يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليس منا من لم يغن بالقرآن » قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرايت إذا لم يكن حسن الصوت ، قال يحسنه ما استطاع . فتردبه أبو داود ، فقد فهم من هذا أن السلف رضى الله عنهم إغماهموا من التغنى بالقرآن إغماهمو تحسين الصوت به وتخزينه كما قاله الأئمة رحمهم الله

ويدل على ذلك أيضا ما رواه أبو داود حيث قال ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الأعمش عن طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » وأخبره النسائي وابن ماجه من حديث شعبة عن طلحة وهذا إسناد جيد . وقد وثق النسائي وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا . ونقل الأزدى عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال سألت عنه بالمدينة فلم أرهم يحمده

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة قال : نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » قال أبو عبيد وإنما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في الألقان المبتدعة ، فلهذا نهى أن يحدث به . قلت ثم إن شعبة رحمه الله ، روى الحديث متوكلا على الله كما روى له ، وأو ترك كل حديث يتأوله لم يطل لترك من السنة شيء كثير بل قد تطرقوا إلى تأويل آيات كثيرة من القرآن وسماها على غير محامها الشرعية الرادة وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتخزينه والتخفيف به كما رواه الحافظ الكبير تقي بن محمد رحمه الله حيث قال : ثنا أحمد بن إبراهيم عن أبي موسى عن أبيه قال : قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم « يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة » قلت أما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبستها لك تحييرا .

ورواه مسلم من حديث طلحة به . وزاد « لقد أوتيت زمرا من زمير آل داود » وسيأتي هذا في باب حيث يذكره البخاري . والغرض أن أبا موسى قال : لو أعلم أنك تسمعه لحبسته لك تحييرا ، فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام قد أعطى صوتا حسنا كما سأذكره إن شاء الله مع خشية تامة ورقة أهل اليمن ، فدل على أن هذا من الأمور الشرعية .

قال أبو عبيد وحدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده

قال أبو عبيد : ثنا ساجان التيمي أو ثبت عنه ثنا أبو عثمان النهدي قال كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت إني لم أسمع صوت صاحب قط ولا يربط قط ولا شيئاً قط أحسن من صوته . وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال « أين كنت ؟ » قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت فقام فقامت معه حتى أستمع له ثم التفت إلي فقال « هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمي مثل هذا » إسناد جيد .

وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور لما سمعت أبا عبد الله أحسن صوتاً أو قراءة منه ، وفي بعض أساطيره فلما سمعه قرأ : (أَمْ خُلِدُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ أَنْتُمْ نَجَاتُونَ) خلت من قواذي فنادى صبيحاً (١) وكان جابر لما سمع هذا بعد مشركاً على دين قومه وإعما كان قدّم في فداء الأسارى بعد بدر ، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك الضّر على الكفر ، فيكان هذا سبب هدايته ، ولهذا كان أحسن القراءات ما كان عن خشوع من القلب كما قال أبو عبيد شاذان بن إسماعيل بن إبراهيم عن ليث عن طاوس قال : أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله . وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قال : أحسن الناس صوتاً بالقرآن أخشاهم لله ، وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه ، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال سئل رسول الله ﷺ أي الناس أحسن صوتاً بالقرآن ؟ فقال « الذي إذا سمعته رؤيته يخشى الله » (٢)

وقد روى هذا متصلاً من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضريري ثنا عبد الله بن جعفر المديني ثنا إبراهيم بن إسماعيل عن مجمع عن أبي الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ «ان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبهتموه يخشى الله » وليكن عبد الله بن جعفر هذا - وهو والد علي بن المديني - وشيخه ضعيفان والله أعلم والغرض أن المطاوع شرعاً إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطلاعة فأما الأصوات بالنعمة المحدثه المركبة على الأوزان والاضاع الملمية والقانون الوسيقاني فالقرآن ينزه عن هذا ويحل ويعظم أن يسلك في أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله حدثنا نعم بن حماد عن بقية بن الوليد عن حصين بن مالك الفزاري قال سمعت شيخنا يحيى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجيء قوم من يدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لا يجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الدين يمجهم شأنهم » وحدثنا يزيد بن شريك عن أبي القزحان عثمان بن عمير عن زاذان أبي عمر عن علي بن علقم قال : كنا على سطح ومنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد لا أعلمه إلا قال قال عابس الفزاري فرأى الناس يخرجون في الطلوع قال ما هؤلاء ؟ قال يفرون من الطلوع فقال يا طالعون خذني فقالوا أنت من الموت وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا تشبهن أحدكم لوت » فقال إني أبادر خصالاً سمعت رسول الله ﷺ يشكو من على أمته - بيع الحكم والا (٣) - بالسم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزاهير ، يقدمون أحدهم ليس بأفقههم ولا أفضلهم إلا لينهم به غناء ، وذكر خاتمتين آخرتين

وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس الفزاري عن النبي ﷺ مثل في ذلك أو نحوه ، وحدثنا يعقوب بن إبراهيم عن الأعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلاً يقرأ القرآن بهذه الألحان التي أحدث الناس فأنكر ذلك ونهى عنه . وهذه طرق حسنة في باب الترهيب (٤)

(١) في تفسير سورة الطور من البخاري أنه قال : كاد قلبي أن يظير ، وفيه أنه ذكر ثلاث آيات من السورة أولها ما هنا

(٢) كذا في الأصل ويوضح معناه الرواية الأخرى بعده

(٣) موضع البياض مقطوع من الأصل

(٤) معنى هذه الروايات صحيح ولكن لا يصح منه شيء منها وحسنها المؤلف بتأييد بعضها لبعض على القاعدة عند الحديثين . والمعنى الجامع أن قراءة القرآن بالنغم الحمودة شرعاً هي ما تكون به القراءة أشد تأثيراً في النفس وخشوعاً في القلب واعتباراً في العقل ، وأن المخطور منها التطريب المتكافئ الذي يشغل السامع بلذّة الصوت وحسن النظم عن المعنى المراد والخشوع للمطالع ، وما من أحد سمع قراءة الجودين أولى الأصوات الحسنة إلا وشعر بالإنابة العظمى في قلبه بقرائهم

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء ، وقد نص الأئمة

والسبب في تأويل التنغي للقرآن وكرهه بعض العلماء له أن الغناء صار شعار أهل اللهو والمسرورين في السموات ، ولذلك حرم التشددون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقاً مع العلم بأن مزامير نبي الله داود أنزلت لأجل التزم بها وكانت الطير تحشر وتجتمع لصوته ترجع ترنيمة بتسبيح الله تعالى كما قال تعالى (والطير محشورة كل له أواب) وقد عهد إقبال الطير على سماع الغنين الحسن الصوت كالبلبل والحزار في كل عصر بل نقل علماء الحيوان والتجارب أن بعض الحشرات كالنحل ترقص لسماع الصوت الحسن ، وأن بعضهم رأى حية ترقص عند سماع الغناء . وكان داود عليه السلام يسبح الله ويتزم له بزوره على آلات الطرب والمعازف الوترية وغيرها ، ولا يوجد في كتب أنبياء بني إسرائيل شيء من الصاوات والتسبيح للرب والثناء عليه كزمير داود التي لم يطرأ عليها من التحريف مثل الذي طرأ على غيرها وجاء في آخرها الأمر بذلك وإننا كثيراً ما رأينا بعض أدباء النصارى يرغبون في سماع القرآن من القراء اليهوديين ويمترفون بقوة تأثيره في القلوب ، وفي الصحيح أن المشركين كانوا يؤذون أبا بكر رضي الله عنه ويمنعونه من الصلاة في المسجد الحرام ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن في بيته لما رأوا من إقبال الناس ولا سيما النساء والأولاد المدركين عليه وتأثير قراءته في أنفسهم .

وقد أدرك بعض علماء الأفرنج ما كان لتلاوة رسول الله ﷺ للقرآن من التأثير العظيم في جذب العرب إلى الإسلام واعترف بأنه كان أشد تأثيراً من جميع معجزات الأنبياء في هداية الناس

وإننا لاستيفاء مباحث هذه المسألة التي تتم بها فائدة هذا الكتاب نذكر هنا ما أورده الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث من فتح الباري فقد جمع ما قاله جميع العلماء في تأويل التنغي في بيتين من نظمه ثم قفى عليها بخلاصة أقوال أشهر فقهاء المذاهب أما البيتان فهما قوله :

تغن بالقرآن حسن به الصوت حزينا جاهزاً زم
واستن عن كتب الألى طالباً غنى يد والنفس ثم الزم

[ثم قال] وسأني ما يتعلق بحسن الصوت بالقرآن في ترجمة مفردة ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان

أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك ، فحكى عبد الوهاب المالكي عن مالك تحريم القراءة بالألحان ، وحكاه أبو الطيب الطبري والماوردي وابن حمدان الحنبلي عن جماعة من أهل العلم وحكى ابن بطال وعياض والقرطبي من المالكية والماوردي والبندنجي والغزالي من الشافعية وصاحب السخيرة من الحنفية السكراهة واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة

وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز وهو النصوص للشافعي ونقله الطحاوي عن الحنفية ، وقال الفوراني من الشافعية في الإبانة يجوز بل يستحب ومحل هذا الاختلاف إذا لم تختل بشيء من الحروف عن مخرجه فلو تغيرت النوى في التبيان أجمعوا على تحريمه ، ولفظه أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالتدليط فإن خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم قال وأما القراءة بالألحان فقد نص الشافعي في موضع على كراهته وقال في موضع آخر لا بأس به ، فقال أصحابه : ليس على اختلاف قولين بل على اختلاف حالين فإن لم يخرج بالألحان عن النهج القويم جاز وإلا حرم

وحكى الماوردي عن الشافعي أن القراءة بالألحان إذا انتهت إلى إخراج بعض الألفاظ عن مخرجها حرم ، وكذا =

رحمهم الله على انتهى عنه ، فمن إن خرج به إلى التخليط القحش الذي يزيد بسببه حرقاً أو ينقص حرقاً فقد اتفق العلماء على تحريره والله أعلم

وقال الحافظ أبو بكر البرقاني ثنا محمد بن معمر ثنا روح ثنا عبيد الله بن الأخنس عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ليس منا من لم يثخن بالقرآن » ثم قال ولنا ما ذكرناه لأنهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه عن ابن أبي مليكة عن أبي لبابة ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن ابن أبي نهيك عن سعد ، ورواه عسل بن مفيان عنه عن عائشة ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير

﴿ اغتباط صاحب القرآن ﴾

حدثنا أبو الحسن أنا شعيب عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار »

أشدد به البخاري من هذا الوجه واتفقا على إخراجه من رواية مفيان عن الزهري ثم قال البخاري ثنا علي بن إبراهيم ثنا روح ثنا شعيب عن سليمان قال سمعت ذكوان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا حسد إلا في اثنين : رجس علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جاره له فقال ليتني أوتيت ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل ، ورجل آتاه الله مالا فهو يمسكه في الحلق فقال ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل »

ومظمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة وهي حسن الحال فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه ، ويستحب تعيظه بذلك ، يقال غبطة يغبطه بالكسر غبطاً إذا تمنى مثل ما هو فيه من النعمة ، وهذا بخلاف الحسد المذموم ، وهو تمنى زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحسد أولاً ، وهكذا مذموم شرعاً مهلك ، وهو أول معاصي إبليس حين حسد آدم ما منحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والاعظام . والحسد الشرعي المذموم هو تمنى حال مثل ذلك الذي هو على حالة سارة ، ولهذا قال عليه السلام « لا حسد إلا في اثنين » فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار والنعمة المتعدية وهي اتفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى (إن الدين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وألقوا زكواتهم سرّاً وعلاوية يرجون تجارة لن تبور)

حكى ابن حمدان الحنبلي في الرعاية وقال الغزالي والبندنجي وصاحب التلخيص من الحنفية : إن لم يفرط في التخليط الذي يشوش النظم استحب وإلا فلا .

وأغرب الرافعي فحكى عن أمالي السرخسي أنه لا يضر التخليط مطلقاً وحكاه ابن حمدان رواية عن الحنابلة وهذا شذوذ لا يرجح عليه ، والذي يحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن مطلوب فإن لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث

وقد أخرج ذلك عنه أبو داود بإسناد صحيح ، ومن جملة تحسينه أن تراعى فيه قوانين النغم فإن الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك ، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه ، وغير الحسن ربما انحصر بمزاجاتها فلم يخرج عن شرط الأداء المعتبر عند أهل القراءات ، فلين خرج عنها لم يفد تحسين الصوت ببيع الأداء ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام لأن الغالب على من راعى الأنغام أن لا يراعى الأداء فإن وجد من راعىها معاً فلا شك في أنه أخرج من غيره لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويحجب للمنع من حرمة الأداء والله أعلم ، اهـ

(١) في البخاري زيادة باب كما سبق في أمثاله .

وقد روي نحو هذا من وجه آخر فقال عبد الله بن الإمام أحمد وجدت في كتاب أبي بخط يده : كتب إلى أبو توبة الربيع بن نافع فسكان في كتابه حدثنا الطيم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليم بن موسى عن كثير ابن مرة عن يزيد بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال « لا تنافس بينكم إلا في اثنتين : رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والآناء ، ويتبع ما فيه فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأقوم به كما يقوم به ورجل أعطاه الله مالا فهو يتفق ويتصدق فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأصدق به » وقريب من هذا ما قال الإمام أحمد : ثنا عبد الله بن غير ثنا عبادة بن مسلم وحدثني يونس بن حباب عن سعيد أبي البختري الطائي عن أبي كبشة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، فاما الثلاث التي أقسم عليهن فانه ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم أحد مظلمة فيصبر عليها إلا زاده الله بها عزاء ، ولا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر - وأما الذي أحدثكم حديثا فاحفظوه فانه قال - إنما الدنيا لأربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل رحمه ويعلم فيه حقه - قال - فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول لو كان لي مال عملت بعمل فلان - قال - فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يحبط في ماله بغير علم ، لا يتقى فيه ربه ، ولا يصل رحمه ، ولا يعلم الله فيه حقه ، فهنا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مال لعملت بعمل فلان - قال - هي نيته فوزرها فيه سواء »

وقال أيضا حدثنا وكيع ثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي كبشة الأماري قال : قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الأمة مثل أربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله يتفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال - قال رسول الله - فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يحبط فيه يتفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل - قال : قال رسول الله - فهما في الوزر سواء » إسناده صحيح وثقه الجماعة والمثني .

﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾ (١)

حدثنا حجاج بن مهال ثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد سمعت سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان رضي الله عنه حتى كان الحجاج ، قال وذلك الذي أفتدني مقصدي هذا .

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن وهو عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله

وحدثنا أبو نعم ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ « إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان عن علقمة عن أبي عبد الرحمن من غير ذكر سعد بن عبيدة ، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه ، وهذا المقام مما حكم سفيان الثوري فيه على شعبة . وخطأ بئدار يحيى بن سعيد في روايته ذلك عن سفيان عن علقمة عن سعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرحمن ، وقال رواء الجماعة من أصحاب سفيان عنه باسقاط سعد بن عبيدة ورواية سفيان أن أصبح . وفي هذا المقام المتعلق بصناعة الإسناد طول لولا الملافة له كرهناه . وفيما ذكر كفاية وإرشاد إلى ما تركه ، والله أعلم .

ويفرض أنه عليه الصلاة والسلام بأن «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسول وهم
الذين لا يتبعون ولا يتروكون أحداً ممن أمكنهم أن يتفجع كما قال تعالى (الذين كفروا وصودوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً
فوق العذاب) وكما قال تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) في أصح قول التفسيرين في هذا هو أنهم ينهون الناس عن
اتباع القرآن مع نأيههم وبعدهم عنه أيضاً فجمعوا بين التكذيب والصد كما قال تعالى (من أظلم ممن كذب بآيات الله
وصدف عنها) فهذا شأن شرار الكفار، كما أن شأن الأخبار الأبرار أن يتكلم في نفسه وأن يسعى في تكميل غيره
كما قال عليه السلام «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وكما قال تعالى (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً
وقال إني من المسلمين) فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالأذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعلم
القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يتبع به وجه الله، وعمل هو في نفسه صالحاً وقال قولاً صالحاً فلا أحد أحسن
حالا من هذا. وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الإسلام ومشايخهم من رغب في
هذا المقام فقدم يعلم الناس من إمارة عثمان إلى أيام الحجاج. قالوا وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة
رحمه الله وأثابه، وآتاه ما طلبه ورأاه آمين

قال البخاري حدثنا عمرو بن عون ثنا حماد بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : أتت النبي ﷺ امرأة فقالت انما قد وهبت نفسي لله ولرسوله فقال « مالي في النساء من حاجة » فقال رجل زوجها ؟ قال « أعطينا ثوبا » قال لا أبدا ، قال « أعطينا ولو خاتما من جديد » فاعتلله فقال « ما معك من القرآن ؟ » قال كذا وكذا فقال « قد زوجتكم إمامكم من القرآن » وهذا الحديث متفق على صحة إخرجه من طرق عديدة ، والقرض منه الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن وأمره النبي ﷺ أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقا لها على ذلك ، وهذا فيه نزاع بين العلماء هل يجوز أن يحصل صداقا ؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟ وهل هذا كان خاصا بذلك الرجل ؟ وما معنى قوله عليه السلام « زوجتكم بما معكم من القرآن » أي بسبب ما معكم كما قاله أحمد بن حنبل : نسكركم بذلك أو بعوض ما معكم ، وهذا أقوى لقوله في صحيح مسلم « فاعلمها » وهذا هو الذي أراده البخاري ههنا وتقريرا بقاى الخلاف المذكور في باب النكاح والاجارات وبالله المستعان

(١) (القراءة عن ظهر قلب)

إنما أورد البخاري في هذه الترجمة حديث أبي جازم بن سهل بن سعد الحديث الذي تقدم الآن وفيه أنه عليه السلام قال للرجل « فما معك من القرآن ؟ » قال معي سورة كذا وسورة كذا لسور عدها قال « أنقرأهن عن ظهر قلب ؟ » قال نعم قال « اذهب فقد ملكتكنها بما معك من القرآن » وهذه الترجمة من البخاري رحمه الله مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل والله أعلم . ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل لأنه يشمل على التلاوة والنظر في المصحف وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف وذكره أبو عبد الله رحمه الله في كتابه (فضائل القرآن) حديثنا وأستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الإمام العلم أبو سعيد رحمه الله في كتابه (فضائل القرآن) حديثنا نعيم بن حماد عن بقة بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليمان بن مسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن بعض أصحاب النبي عليه السلام قال : قال النبي عليه السلام « فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظاهراً كفضل الصلاة على النافلة » وهذا الإيتماد فيه ضعيف فإن معاوية بن يحيى هذا هو الصدوق أو الأطرب الملقب وأياً ما كان فهو ضعيف . وقال الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال أديعوا النظر في المصحف . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس عن عمر أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه . وقال حماد أيضاً عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى

(١) في البخاري زيادة كلمة باب كذا نظائره ولا نعيد التنبيه لهذا بعد ٤٤٥ دارم أو ما ياتراد

عن ابن مسعود أنه كان إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأ أو فسر لهم . إسناده صحيح ، وقال حماد بن سلمة عن حجاج بن أرطاة عن نويرة بن أبي فاختة عن ابن عمر قال إذا رجع أحدكم من سوقه فليشر المصحف وليقرأ . وقال الأعمش عن خزيمة دخت علي بن عمر وهو يقرأ في المصحف فقال هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة . فمذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه (١) وأعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكروا منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فلا يستثبت أولى والرجوع إلى المصحف أثبت من أفواه الرجال . فأما تأمين القرآن فمن فهم الملقن أحسن لأن المكتوبة لا تدل على الأداء كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من المكتوبة فقط يكثر تصحيحه وغلطه وإذا أدى الحال إلى هذا منع منه إذا وجد شيخا يوقفه على ألفاظ القرآن . فأما عند العجز عما ياقن فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فيجوز عند الضرورة ما لا يجوز عند الرفاهية ، فإذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لفظه ، فقد قال الإمام أبو عبيد حدثني هشام بن إسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن الأوزاعي أن رجلا صحبه في سفر قال فحدثنا حديثا ما أعلمه إلا رفعه إلى رسول الله ﷺ قال « إن العبد إذا قرأ فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل » وحدثنا حفص بن أبي غياث عن الشيباني عن بكير بن الأخنس قال كان يقال إذا قرأ الأعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل . وقال بعض العلماء المدار في هذه المسئلة على الخشوع فإن كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل . فإن استويا فالقراءة نظراً أولى لأنها أثبت وتمتاز بالنظر إلى المصحف . قال الشيخ أبو زكريا النووي رحمه الله في التبيان : والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل

﴿ تنبيه ﴾

إن كان البخاري رحمه الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على أن تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ففيه نظر (٢) لانها قضية عين فيجتمل أن ذلك الرجل كان لا يحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله ﷺ منه فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقاً في حق من يحسن ومن لا يحسن إذ لو دل على هذا لكان ذكر رسول الله ﷺ وتلاوته عن ظهر قلب - لأنه أمي لا يدري الكتابة - أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده . الثاني أن سياق الحديث إنما هو لأجل استثبت أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ليتمكن تعليمها لزوجته ، وليس المراد ههنا أن هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عدمه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ استذكر القرآن وتعااهده ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف أنا مالك عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل العقلة . إن عاهد عليها أمسكها . وإن أطلقها ذهبت » هكنا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به . وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل القرآن إذا عاهد عليه صاحبه قراءه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فان عقلمها حفظها وإن أطلق عقلمها ذهبت فكذاك صاحب القرآن » أخرجه ، قاله ابن الجوزي في جامع المسانيد وإنما هو من أفراد مسلم من حديث عبد الرزاق به

(١) وتدل أيضاً على ما كان من كثرة المصاحف عند الصحابة رضي الله عنهم وهو ما يجهله كثير من الناس

(٢) هذه الشرطية لا وجه لها فموضوع الحديث الحفظ التام لما معه من القرآن بحيث يستطيع قراءته عن ظهر قلب وليس فيه أدنى إشارة إلى تفضيل هذه القراءة على غيرها ولا إلى مقابله . وحفظ القرآن أمر عظيم وله مزايا من تأملها فائدة تمكن الحافظ من التلاوة في الأوقات والحالات التي لا يتمكن فيها من نظر المصحف أو لا يجده فيها وهي كثيرة

حدثنا محمد بن عرعر (١) ثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « بئس ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نسي ، واستذكروا القرآن فإنه أشد نصيباً من مسند الرجل من النعم »

تابعه بشر هو ابن محمد السخيتي عن ابن المبارك عن شعبة وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح

وأخرجه النسائي من رواية شعبة وحدثنا عثمان بن جرير عن منصور مثله . وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير ابن حرب وإسحاق بن إبراهيم عن جرير به ، وسنأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم عن مسفيان الثوري عن منصور به ، والنسائي من رواية ابن عيينة عن منصور به فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعاً في رواية هؤلاء . وفي كلهم وقد رواه النسائي عن قتبية عن حماد بن زيد عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله موقوفاً وهذا غريب . وفي مسند أبي يعلى « فأما هو نسي » بالتخفيف وتابعه ابن جرير عن عبدة عن شقيق قال سمعت عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ، وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جرير به . ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث محمد بن جحادة عن يونس بن أبي لبابة به حدثنا محمد بن الملاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لمو أشد نصيباً من الإبل في عقابها »

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب محمد بن الملاء وعبد الله بن براد الأشعري كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به وقال الإمام أحمد ثنا علي بن إسحاق أنا عبد الله بن المبارك أنا موسى بن علي سمعت أبي يقول سمعت عقبة بن عامر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعاهدوا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به ، فو الذي نفسي بيده لمو أشد نصيباً من الخاض في القمل »

ومضمون هذه الأحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فإن ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه ، فإنه قال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد ثنا خالد بن يزيد بن أبي زياد عن عيسى ابن فايد عن رجل عن سعد بن عباد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفسكه من ذلك القمل إلا العسل » وهكذا رواه جرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد كما رواه خالد بن عبد الله ، وقد أخرجه أبو داود عن محمد بن الملاء عن ابن إدريس عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن سعد بن عباد عن النبي ﷺ بقصة نسيان القرآن ولم يذكر الرجل الميم ، وهكذا رواه أبو بكر ابن عباس عن يزيد بن أبي زياد ، وقد رواه شعيب عن زيد ووهب في إسناده ، ورواه وكيع عن أصحابه عن زيد بن عيسى بن فايد عن النبي ﷺ . ورواه الإمام أحمد في مسند عبادة بن الصامت فقال : ثنا عبد السمك ثنا عبد العزيز بن مسلم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفسكه منها إلا عسله ، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا أتى الله يوم القيامة أجفم » وهكذا رواه أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد فقيه اختلاف لكن هذا في باب الترهيب مقبول والله أعلم ، لاسيما إن كان له شاهد من وجه آخر كما قال أبو عبيد ثنا حجاج عن ابن جرير قال حدثت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « عرضت على أنجور أمي حتى القادة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنباً أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتها رجل فنسها » قال ابن جرير وحدثت عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « من أكبر ذنوب نوافي به أمي يوم القيامة سورة من كتاب الله كتابت

(١) هذا هو الحديث الثاني في الباب عند البخاري . ولولا وضعنا له في أول السطر لظلم الحكم ون أنه لم يذكر

مع أحدهم فليسمها . وقد روى أبو داود والترمذي وأبو يعلى والبخاري وغيرهم من حديث ابن أبي داود عن ابن جريج عن
الطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « عرضت على أجور أمي حتى أعتقتها »
يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت على ذنوب أمي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أو فيها رجل ثم
ليسمها . قال الترمذي غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه وهذا كرت به البخاري فاستغربه

وحكى الوابي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أنه أنكر سماع الطلب من أنس بن مالك (قلت) وقد رواه
محمد بن يزيد الأدمي عن ابن أبي داود عن ابن جريج عن الزهري عن أنس عن النبي ﷺ به فالحق أعلم .

وقد أدخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة أعمى) قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى)
وهذا الذي قاله هذا وإن لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه ، فإن الإعراض عن تلاوة القرآن وتعرضه للنسيان وعدم
الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفریط شديد نعوذ بالله منه ، ولهذا قال عليه السلام « تعاهدوا القرآن » وفي لفظ
« استذكروا القرآن فإنه أشد نقصاً من صدور الرجال من النعم » التفصي التخاص يقال تفصى فلان من البلية إذا
تخاص منها ، ومنه تفصى النوى من الخمرة إذا تخاص منها أى إن القرآن أشد تفلتاً من الصلوة من النعم إذا أرسلت
من غير عقال .

وقال أبو عبيد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبد الله - يعنى ابن مسعود - إني لأميت القارىء
إن أراه سميتاً نسياً للقرآن . وحديث عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز بن أبي داود قال سمعت الضحاك بن مزاحم
يقول ما من أحد تعلم القرآن فتمسيه إلا يذنب يحدته لأن الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)
وإن نسيان القرآن من أعظم المصائب . ولهذا قال إسحاق بن راهويه وغيره يكره للرجل أن يمر عليه أربعون يوماً
لا يقرأ فيها القرآن كما أنه يكره له أن يقرأه في أقل من ثلاثة أيام كما سيأتى هذا حيث يذكره البخاري بعد هذا وكان
الأليق أن يتبعه هذا الباب ولكن ذكر بعد هذا قوله

﴿ القراءة على الدابة ﴾

حدثنا حجاج أنا أبو شعبة أنا أبو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال رأيت رسول الله ﷺ يوم
فتح مكة وهو يقرأ على راسه سورة الفتح .

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة عن أبي إياس وهو معاوية بن قرة به ، وهذا
أيضاً له اتفاق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سقراً وحضراً ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء إذا لم يلبثه القارىء
في الطريق ، وقد نقله ابن أبي داود عن أبي الدرداء أنه كان يقرأ في الطريق ، وقد روى عن عمر بن عبد العزيز أنه
أذن في ذلك ، وعن الامام مالك أنه كره ذلك كما قال ابن أبي داود حدثني أبو الربيع أنا ابن وهب قال سألت مالكا
عن الرجل يسلى من آخر الليل فيخرج إلى المسجد وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء فقال ما أعلم القراءة
تسألون في الطريق ، وقال الشعبي تسكره قراءة القرآن في ثلاثة مواضع في الحمام وفي الحشوش وفي بيت الرحى وهي
تدور ، وسأله في القراءة في الحمام كثير من السلف أنها لا تسكره وهو مذهب مالك والشافعي وإبراهيم النخعي
 وغيرهم ، وروى ابن أبي داود عن علي بن أبي طالب أنه كره ذلك ونقله ابن المنذر عن أبي وائل شقيق بن سلمة والشعبي
والحسن البصري ومكحول وقيصة بن ذؤيب وهو رواية عن إبراهيم النخعي .

ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله أن القراءة في الحمام تسكره ، وأما القراءة في الحش فكرهتها ظاهرة ولو قيل
بمنع ذلك جبانة لشرف القرآن مكان مذهبها . وأما القراءة في بيت الرحى وهي تدور فثلاثا يعاو غير القرآن عليه
والحق يعاو ولا يعلى والله أعلم

﴿ تعلم الصبيان القرآن ﴾

حدثنا موسى بن إسحاق بن عمار عن أبي بصير عن سعيد بن جبير قال إن النبي ﷺ تدعونه للفصل هو المحكم قال وقال ابن عباس توفي رسول الله ﷺ وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم ، حدثنا يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم أنا أبو بصير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جمعت المحكم في عهد النبي ﷺ فقلت له وما المحكم ؟ قال للفصل انفراد بأخراجه البخاري ، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن لأن ابن عباس أخبر عن سنة حين موت رسول الله ﷺ وقد كان جمع الفصل وهو من الحجرات كما تقدم ذلك وعمره إذ ذاك عشر سنين

وقد روى البخاري أنه قال توفي رسول الله ﷺ وأنا مخطون وكانوا لا يخطون حتى يحتمل فيحتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعا بين هذه الرواية وتلك ويحتمل أنه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر وترك ما زاد عليها من الكسر والله أعلم

وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصبا وهو ظاهر بل قد يكون مستحبا أو واجبا لأن النبي إذا تعلم القرآن بلغ وهو يرتفع ما يصل به ، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرا وأشد عافا بخاداره وأرسخ وأثبت كما هو المأمور من حال الناس .

وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلا للعب ثم توفر همته على القراءة اثلا يازم أو لا بالقراءة فيعلمها ويسئل عنها إلى اللعب ، وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل ما يقال له واسكن يترك حتى إذا عقل وعين علم قليلا قليلا بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه . واستحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلقن خمس آيات خمس آيات رويناه عنه بسند جيد

﴿ نسيان القرآن وهل يقول نسييت آية كذا وكذا ؟ ﴾

وقول الله (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله)

حدثنا الربيع بن يحيى ثنا زائدة ثنا هشام بن عروة عن عائشة قالت لقد سمع النبي ﷺ رجلا يقرأ في المسجد فقال « رحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا » انفراد به ، وحدثنا محمد بن عبيد بن معيرون ثنا عيسى ابن يونس عن هشام وقال « اسقطتم من سورة كذا وكذا » انفراد به أيضا ، تابعه علي بن مسهر وعبد بن هشام وقد أمتد بها البخاري في موضع آخر ومسلم معه في عبادة .

حدثنا أحمد بن أبي رجاء ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال « رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيها من سورة كذا وكذا » ورواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة (١)

(١) تستدل النظماء بمثل هذا على جواز النسيان على النبي ﷺ ولكن قدوة إجماعنا بما ليس عليه التبايع فلا يجوز نسيانه كما لا يجوز كتابته وتلخيصهما واحدة وإن كان حكمهما في الناس مختلفا من حيث يكون النسيان عن غير قصد أمرا طبيعيا لا يؤخذ صاحبه عليه . ولكن الله عزم رسوله من نسيان ما أمرهم به من الله تعالى به سكة الرسالة فيه ، والراجح في قوله تعالى (فلا تنسى إلا ما شاء الله) أن الاستثناء فيه منطوق لما أكد النبي ﷺ بمعنى أن الله يأن أن تنسى ما لا يمكن وقوعه منك بمقتضى الطبع كغيرك ولا في شيء من الأسوال لكنك إذا أراد الله

(الحديث الثاني) حدثنا أبو نعيم ثنا برفين عن منصور عن أبي واثل عن عبد الله بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « شس ما لأحدهم أن يقول نسيت كيت وكيت بل هو نسي »
ورواه مسلم والنسائي من حديث منصور به وقد تقدم . وفي مسند أبي يعلى إسناده هو نسي » بالتحقيق هذا لفظه . وفي هذا الحديث والذي قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له إذا كان بعد الاجتهاد والحرص

وفي حديث ابن مسعود أدب في التعبير عن حصول ذلك فلا يقول نسيت كذا فإن النسيان ليس من فعل العبد ، وقد تصدر عنه أسبابه من التناسي والتغافل والتهاون المفضي إلى ذلك ، فأما النسيان نفسه فليس بفعله ، ولهذا قال بل هو نسي بمعنى لما لم يسم فاعله ، وأدب أيضا في ترك إضافة ذلك إلى الله تعالى وقد أسند النسيان إلى العبد في قوله تعالى (واذكر ربك إذا نسيت) وهو والله أعلم من باب المجاز الشائع بذكر المسبب وإرادة السبب لأن النسيان إنما يكون عن سبب قد يكون ذنبا كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند انداء بالأذان ، والحسنة تذهب السيئة ، فإذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل الذكر لشيء بسبب ذكر الله تعالى والله علم

« من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وكذا وكذا »

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني إبراهيم عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفاه »

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن بن يزيد وصاحبا الصحيح والنسائي وابن ماجه من حديث علقمة كلاهما عن أبي مسعود عتبة بن عمرو الأنصاري البصري

(الحديث الثاني) ما رواه من حديث الزهري عن عروة عن المسور وعبد الرحمن بن عبد القاري كلاهما عن عمر قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان وذكر الحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتي (١)

(الحديث الثالث) ما رواه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة سمع رسول الله ﷺ قارئاً يقرأ من الليل في المسجد فقال « رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطهن من سورة كذا وكذا »

وهكذا في الصحيحين عن ابن مسعود أنه كان يرمي الجمرة من الوادي ويقول هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقر .

وحده أن ينسيك شيئا فلا راد لمشيئته . وهذا لا يدل على وقوع هذه الشيئة فهو كقوله تعالى حكاية عن خليله إبراهيم ﷺ في خطاب قوميه للمشركين (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا) الآية وفي معناه قول القراء هو لا يترك وليس هنالك شيء استثنى . وقيل المراد بالنسيان المنفي العمل به وهو مجاز مستعمل فصيح والنسيان المذكور في الحديث موضوعه شيء كان وقع التبليغ به ، والذي أراه أنه كان نسياناً عارضاً بحيث لو قرأ ﷺ السورة بعده لقرأها تامة ، والإكاثات الرواية مردودة وإن صح سندها عند البخاري فإنه كغيره لم يكن يعلم من حال الرواة إلا الظاهر وهو كاف في قبول روايتهم إلا إذا عارضها مثل هذا المانع ، وهو قد انفرد برواية هذا الحديث كما رأيت . ونسيان القرآن من الكبائر لما ورد فيه

(١) قوله : وذكر الحديث الخ من كلام المؤلف يعني وذكر البخاري الحديث بطوله

وكره بعض السلف ذلك ولم يروا أن يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا وكذا كما جاء وتقدم من رواية يزيد القارسي عن ابن عباس عن عثمان أنه قال إذا نزل من القرآن شيء يقول رسول الله ﷺ « اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » ولا شك أن هذا أحوط وأولى ، ولكن قد صححت الأحاديث بالرجعة في الآخر وعليه عمل الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم وبالله التوفيق

(الترتيل في القراءة)

وقوله عز وجل (ورتل القرآن ترتيلاً) وقوله (وقرآنًا فرقناه لقراءه على الناس على مكث) وما يذكره أن يهتد بهذا الشعر . (يفرق فيها) يفصل ، قال ابن عباس (فوقفه) فصلناه . حدثنا أبو النعمان ثنا مهيدي بن ميعون ثنا واصل عن أبي وائل عن عبد الله قال غدونا على عبد الله فقال رجل قرأت المفصل البارحة فقال : هذا كنه الشعر إنا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرآن الالقي كان يقرأ بهن النبي ﷺ ثمانى عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم (١)

ورواه مسلم عن شبان بن فروخ عن مهيدي بن ميعون عن واصل وهو ابن حبان الأحمد عن أبي وائل شقيق ابن سالم عن ابن مسعود به

وقال الإمام أحمد ثنا قتيبة ثنا ابن لمية عن الحارث بن يزيد عن زياد بن أنعم عن مسلم بن عمار عن عائشة أنه ذكر لها أن ناساً يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين ، فقالت أولئك قرأوا ولم يقرأوا : كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة الحام فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها خوف إلا دعا الله واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه .

(الحديث الثاني) ثنا قتيبة ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (لا تحرك به لسانك أن يجعل به) كان رسول الله ﷺ إذا نزل جيل بالرحمن كان كما يحرك به لسانه ويشفيه فيه تعالى ، وذكر تمام الحديث كما سيأتي وهو متفق عليه ، وفيه وفي الحديث قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترتيل فيها من غير هذبة ولا بسرعة مفردة بل بتأمل وتذكر فإن الله تعالى (مستجاب أنواته إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)

وقال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أبو عبيد ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال : قرأ عاتكة على عبد الله فكانت تجل فقال عبد الله فذاك أبي وأمي ، رتل فانه زين القرآن . قال ونان عاتكة حسن الصوت القرآن . وحدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أيوب عن أبي حمزة قال : قالت لابن عباس إنى سريع القراءة وإنى أقرأ القرآن في ثلاث . فقال لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرسلها أحب إلى من أن أقرأ كما تقول . وحدثنا حجاج عن شعبة وحماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس نحو ذلك إلا أن في حديث حماد نسب إلى من أن أقرأ القرآن أربع هذبة ثم قال البخاري رحمه الله :

(١) ويرسمها بعضهم هنا « حاتم » ويعني بالسورتين السافتين إلى الفصل هنا والحيان والحيان . وقال ابن كثير كذلك في مصحف ابن مسعود والحديث تقدم

﴿مدالقرأة﴾

حدثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم الأزدي ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي ﷺ فقال كان يمد مدأ . وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به حدثنا عمرو بن عاصم ثنا همام عن قتادة قال سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة النبي ﷺ ؟ فقال كانت مدأ ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بيسم الله (١) ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم

انفرد به البخاري من هذا الوجه . وفي معناه الحديث النسخ رواه الإمام أبو عبيد ثنا أحمد بن عثمان عن عبد الله بن المبارك عن الأيث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملوك عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ مفسرة حرفاً حرفاً . وهكذا رواه الإمام أحمد بن حنبل عن يحيى بن إسحاق وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملي والترمذي والنسائي كلاهما عن قتبية كاهم عن الأيث بن سعد به وقال الترمذي حسن صحيح

ثم قال أبو عبيد حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ يمد مدأ (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وهكذا رواه أبو داود من حديث ابن جريج وقال الترمذي غريب وليس بإسناده يمتثل يعني أن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة لم يسمعه من أم سلمة إنما رواه عن يعلى بن مملوك كما تقدم والله تعالى أعلم

﴿الترجيع﴾

حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة حدثنا أبو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل قال رأيت النبي ﷺ وهو على ناقته أو جملة تدبر به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة وهو يرجع . وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على اللابة وأنه من اللفق عليه ، وفيه أن ذلك كان يوم الفتح ، وأما الترجيع فهو التردد في الصوت كما جاء أيضاً في البخاري أنه جعل يقول لا وكان ذلك صدر من حركة اللابة تحته فدل على جواز التلاوة عليه وإن أفضى إلى ذلك . ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف بل ذلك معتبر بالحاجة كما يصل على اللابة حيث توجهت به مع إمكان تأخير ذلك والصلاة إلى القبلة والله أعلم

﴿حسن الصوت بالقراءة﴾

حدثنا محمد بن خلف أبو بكر حدثنا يحيى الخثاني ثنا يزيد بن عبد الله بن أبي بردة عن جده أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال « يا أبا موسى لقد أوتيت مزامراً من مزامير آل داود » وهكذا رواه الترمذي عن موسى بن عبد الرحمن السكندري عن أبي يحيى الخثاني واسمه عبد الحميد بن عبد الرحمن وقال حسن صحيح . وقد رواه مسلم من حديث طاحنة بن يحيى بن طاحنة عن أبي بردة عن أبي موسى وفيه قصة ، وقد تقدم الكلام على تحسين الصوت عند قول البخاري من لم يتغن بالقرآن وذكرت هناك أحكاماً أغنى عن إعادتها هنا والله تعالى أعلم

(١) أي لا يمد المد في أسماء البسملة هو الذي يسميه القراء المد الطبيعي الذي لا يتحقق حرف المد بدونه وهو في المد الذي ألفه والواو والياء الساكنة

﴿ من أحب أن يسمع القراءة من غيره ﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال لي النبي ﷺ « اقرأ على القرآن » قلت اقرأ عليك وعليك أنزل . قال « إني أحب أن أسمع من غيري » وقد رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن الأعمش ، وله طرق يطول بسطها ، وقد تقدم فيها رواه مسلم من حديث طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبي بردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال له « يا أبا موسى لو رأيته لو رأيته وأنا أستمع لقراءتك البارحة » فقال أما والله لو أعلم أنك تستمع قراءتي لحبستها لاني خيرا . وقال الزهري عن أبي سيدة كان عمر إذا رأى أبا موسى قال : ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده ، وقال أبو عثمان النهدي كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت إني لم أسمع صوت صنع قط ولا يربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته .

﴿ قول المقرئ للقارئ حسبك ﴾

حدثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ على » فقلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « نعم » فقرأت عليه سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) قال « حسبك الآن » فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان . أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من رواية الأعمش به ، ووجه الدلالة ظاهر وكذا الحديث الآخر « اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فقوموا »

﴿ في كم يقرأ القرآن ﴾

وقول الله تعالى (فاقربوا ما تبسر منه)

حدثنا علي حدثنا سفيان قال : قال لي ابن شبرمة نظرت كم يسكن في الرجل من القرآن ؟ فلم أجده سورة أقل من ثلاث آيات ، فقلت لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات . قال سفيان (١) أخبرنا منصور عن إبراهيم عن عبد الرحمن بن يزيد أخبره عاقمة عن أبي مسعود قال (٢) وهو يملأوف بالبيت فذكر النبي ﷺ أن « من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتهم »

وقد تقدم أن هذا الحديث متفق عليه وقد جمع البخاري فيما بين عبد الرحمن بن يزيد وعاقمة عن أبي مسعود وهو صحيح لأن عبد الرحمن سمعه أولا من عاقمة ثم أتى أبا مسعود وهو يملأوف فسمعه منه وعلى هذا هو ابن الدين وشيخه سفيان بن عيينة وما قاله عبد الله ابن السكوفة فقيه السكوفة في زمانه استنباط حسن وقد جاء في حديث في السنن « لا صلاة إلا بكثرة السكابة وثلاث آيات » ولكن هذا الحديث أعني حديث أبي مسعود أصبح وأشهر وأخصر وأسكن وجه مناسبه للترجمة التي ذكرها البخاري فيه نظر . والله أعلم (٣) والحديث الثاني أظهر في الناسبة وهو قوله :

- (١) هذا لفظ رواية أبي ذر لأبي بصير وفيها الخصار وسائر الروايات : قال علي حدثنا سفيان الخ
- (٢) في نسخة البخاري التي شرح عليها الحافظ والتميم اللاني : وأقرب الخ . يعني أن عبد الرحمن كان يسمع هذا الحديث من عاقمة بن قيس عن أبي مسعود البصري رضي الله عنه ثم أتى أبا مسعود وهو يملأوف فأخبره به
- (٣) قال الحافظ في الرد على المؤلف في رواية هذا : وقد تقدم في نسخة حديث أبي مسعود في نسخة علي ابن أبي

حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا أبو عوانة عن مغيرة عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال : أنبأني أبي امرأة ذات حسنة فكان يصليها كنيته فيسألها عن بعلمها فتقول : نعم الرجل من رجل لم يعط لنا فراشاً ولم يقتل لنا كنفاً (١) منذ أتيناها . فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي ﷺ فقال « الفتي به » فلقيته بعد فقال « كيف تصوم ؟ » قال كل يوم قال « كيف تختم ؟ » قال كل ليلة ، قال « صم كل شهر ثلاثة ، واقرأ القرآن في كل شهر » قال قلت إني أطيق أكثر من ذلك قال « صم ثلاثة أيام في الجمعة » قلت أطيق أكثر من ذلك قال « أفطر يومين وصم يوماً » قلت أطيق أكثر من ذلك قال « صم ، أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وافتطار يوم ، واقرأ في كل سبع ليال مرة » فلقيتي قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أني كبرت وضعفت ، فكان يقرأ علي بعض أمهله السبع من القرآن بالنهار والذي يسراً يرضه بالنهار ليسكون أخف عليه بالليل ، وإذا أراد أن يتقوى أفطر أياماً وأحصى وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبي ﷺ وقال بعضهم في ثلاث وفي خمس وأكثرهم على سبع وقد رواه في الصوم والنسائي أيضاً عن بندار عن غندر عن شعبة عن مغيرة ، والنسائي من حديث حصين كلاهما عن مجاهد به .

ثم روى البخاري ومسلم وأبو داود من حديث يحيى بن أبي كثير عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي هريرة عن أبي سلمة قال وأخبرني سمعت أنا من أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبي ﷺ « اقرأ القرآن في شهر » قلت إني أجهد قوة قال « فاقراه في سبع ولا ترد على ذلك » فهذا السياق ظاهره يقتضي المنع من قراءة القرآن في أقل من سبع . وهكذا الحديث الذي رواه أبو عبيد : ثنا حجاج وعمر بن طارق ويحيى بن بكير كلهم عن ابن لهيعة عن حبان بن واسع عن أبيه عن قيس بن صعبة أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله في كم أقرأ القرآن ؟ قال « في كل خمس عشرة » قال إني أجهد أقوى من ذلك قال « ففي كل جمعة »

وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان رجل من أهل الكوفة قال سمعت عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود يقول كان عبد الله بن مسعود يقرأ القرآن في غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة . وعن حجاج عن شعبة عن أيوب سمعت أبا قلابة عن أبي الهيثم قال كان أبي بن كعب يختم القرآن في كل ثمان وكان يقيم الدراي يختمه في كل سبع وحدثنا هشيم عن الأعمش عن إبراهيم قال كان الأسود يختم القرآن في كل ست وكان علقمة يختمه في كل خمس ، فلو تركنا وبجرد هذا لكان الأمر في ذلك جلياً ، ولكن ذلك أحاديث أخر على جواز قراءته فيما دون ذلك كما رواه الإمام أحمد في مسنده . حدثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثنا حبان بن واسع عن أبيه عن سعد بن النذر الأنصاري أنه قال يا رسول الله أقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم » قال فكان يقرؤه حتى توفي . وهذا إسناد جيد قوى حسن فإن حسن بن موسى الأشيب ثقة متفق على جلالته روى له الجماعة وابن لهيعة ، إنما يخشى من تدليس أو سوء حفظه ، وقد صرح ههنا بالسمع ، وهو من أئمة العاصم بالنيار المصرية في زمانه ، وشيخه حبان بن واسع ابن حبان وأبوه كلاهما من رجال مسلم والصحابي لم يخرج له أحد ممن أهل الكتب الستة وهذا على شرط كثير منهم والله أعلم .

ثبت والذي يظهر أنها من جهة أن الآية للترجم بها تناسب ما استدلل به ابن عيينة من حديث أبي مسعود ، والجامع بينهما أن كلا من الآية والحديث يدل على الاكتفاء بخلاف ما قال ابن شبرمة اه .
وقول محمد رشيد رضا صاحب هذه التعليقات يريد البخاري أن آية الزمل ترد على ابن شبرمة في قوله : لا ينبغي لأحد أن يقرأ أقل من ثلاث آيات يعني في الصلاة أو في قيام الليل ، وكذا حديث أبي مسعود المرفوع الصريح في الاكتفاء بآيتين وهما آخر سورة البقرة .

(١) وفي رواية ولم يقتل من العتيان . وهو كناية عن عدم مضاجعتها . والسكنف : الستر والجانب

وقد رواه أبو عبيد رحمه الله عن ابن بكير عن ابن لمية عن جابر بن واسع عن أبيه عن سعد بن خالد
الأنصاري أنه قال يا رسول الله اقرأ القرآن في ثلاث ؟ قال « نعم إن استطعت » قال فسيكون يقرأه كذلك حتى توفي
(حديث آخر) قال أبو عبيد ثنا يزيد بن همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبد الله بن
عمر قال : قال رسول الله ﷺ « لا تفقه في قراءة في أقل من ثلاث » وهكذا أخرجه أحمد وأصحاب السنن الأربعة
من حديث قتادة به وقال الترمذي حسن صحيح

(حديث آخر) قال أبو عبيد ثنا يوسف بن العرف عن الطيب بن سليمان قال حدثنا عمرة بنت عبد الرحمن أنها
سمعت عائشة تقول : كان رسول الله ﷺ لا يحتم القرآن في أقل من ثلاث . هذا حديث غريب جدا وفيه ضعف لأن
الطيب بن سليمان هذا بصري ضعفه الدارقطني وليس هو بذلك المشهور والله أعلم .
وقد كره غير واحد من السلف قراءة القرآن في أقل من ثلاث كما هو مذهب أبي عبيد وإسحاق بن راهويه
وغيرهما من الخلف أيضا

قال أبو عبيد ثنا يزيد بن هشام بن حسان عن حفصة عن أبي العالية عن معاذ بن جبل أنه كان يكره أن يقرأ
القرآن في أقل من ثلاث ، صحيح
وحدثنا يزيد بن مغيان عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة قال عبد الله : من قرأ القرآن في أقل من ثلاث فهو راجز
وحدثنا حجاج عن شعبة عن علي بن بذيمة عن أبي عبيدة عن عبد الله مثله ، وحدثنا حجاج عن شعبة عن محمد بن ذكوان
عن عبد الله بن مسعود عن أبيه أنه كان يقرأ القرآن في رمضان في ثلاث . إسناده صحيح

(فصل)

وقد ترخص جماعات من السلف في تلاوة القرآن في أقل من ذلك ، منهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
قال أبو عبيد رحمه الله حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن خضيفة عن السائب بن يزيد أن رجلا سأل عبد الرحمن
ابن عثمان التيمي عن صلاة طلحة بن عبيد الله فقال إن شئت أخبرتك عن صلاة عثمان رضي الله عنه فقال نعم قال : مات
لأغلب الليلة على الحجر فقامت فلما قمت إذا أنا برجل مقنع يزحمي فنظرت فإذا عثمان بن عفان رضي الله عنه فتأخرت
عنه فصلى فإذا هو يسجد سجود القرآن حتى إذا قلت هذه هوادي الفجر أوتر بركعة لم يصل غيرها . وهذا إسناده صحيح
ثم قال ثنا هشيم أنا منصور عن ابن سيرين قال : قالت نائلة بنت الفرافصة السكاكية حيث دخلوا على عثمان أيقنوه : إن
تقلوه أوتدعوه فقد كان يحيي الليل كله بركعة يجمع فيها القرآن . وهذا حسن

وقال أيضا حدثنا أبو معاوية عاصم عن ابن سليمان عن ابن سيرين أن عليا الدارقي قرأ القرآن في ركعة . حدثنا حجاج
عن شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير أنه قال : قرأت القرآن في ركعة في البيت ، يعني السكبة .
وحدثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن عاقبة أنه قرأ القرآن في ليلة : طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنه .
فقرأ بالمئين ، ثم طاف أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنه فقرأ بالمئتين ، ثم طاف بالبيت أسبوعا ثم أتى المقام فصلى عنه فقرأ
بقية القرآن . وهذه كلها أسانيد صحيحة .

ومن أغرب ماها ما رواه أبو عبيد رحمه الله حدثنا سعيد بن عفير عن بكر بن مضر أن سلمة بن عبد الحميد كان
يقرأ القرآن في ليلة ثلاث مرات وبجميع ثلاث مرات ، قال فلما مات قالت امرأته رحمتك الله إن كنت ارضى ربك
وترضى أهلك ، قالوا وكيف ذلك ؟ قالت كان يقوم من الليل فينظم بالقرآن ثم يلم بأهله ، ثم يقبل ويعود فيقرأ حتى
ينظم ثم يلم بأهله ، ثم يقبل ويعود فيقرأ حتى ينظم ، ثم يلم بأهله ثم يقبل ويخرج إلى صلاة المسبح .
قالت كان سلمة بن عبد الحميد جليلا ثقة نبلا وكان قاضيا بمصر أيام معاوية وأصحابها ، قال أبو سلمة روى عن أبي الدرداء
وعنه ابن زحر ثم قال حدثني محمد بن عون عن أبي صالح كاتب الليث سمعت جرادة بن عمران عن كعب بن عازقة قال
كان سلمة بن عبد الحميد من غير التائبين . وذكره ابن يونس في تاريخ مصر . وقد روى ابن أبي داود عن مجاهد أنه قال

يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء ، وعن منصور قال كان علي بن النضر يخطم فيها بين المغرب والعشاء كل ليلة من رمضان (١)
وعن إبراهيم بن سعيد قال كان أبي يخطي فمائل حبوته حتى يخطم القرآن .
قلت وروى عن منصور بن زاذان أنه كان يخطم فيما بين الظهر والعصر ويخطم أخرى فيما بين المغرب والعشاء وكانوا يؤخرونها قليلا ، وعن الإمام الشافعي رحمه الله أنه كان يخطم في اليوم واليلة من شهر رمضان ختمتين وفي غيره ختمة .
وعن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح أنه كان يخطم في اليلة ويومها من رمضان ختمة .

ومن غريب هذا وديعه ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي قال سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول كان ابن السكائب يخطم بالنهار أربع ختمات ، وبالليل أربع ختمات وهذا نادر جدا ، فهذا وأمثاله من الصحيح عن السلف محمول إما على أنهم ما بلغهم في ذلك حديث مما تقدم أو أنهم كانوا يفهمون ويتفكرون فيما يقرأونه مع هذه السرعة والله سبحانه وتعالى أعلم .

قال الشيخ أبو زكريا النواوي في كتابه (البيان) (٢) بعد ذكر طرف مما تقدم ، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان له بديق الفكر اطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرأه وكذلك من كان مشغولا بشغل العلم وغيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصده له ، وإن لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى هدر المال والهدرمة . ثم قال البخاري رحمه الله

﴿البكاء عند قراءة القرآن﴾

وأورد فيه من رواية الأعمش عن إبراهيم بن عبيدة عن عبد الله - هو ابن مسعود - قال : قال رسول الله ﷺ « اقرأ على » قالت اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال « إني أشتهي أن أسمعه من غيري » قال فقراءت النساء حتى إذا بلغت (فأبغض إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ؟) قال لي « كف أو أمسك » فإذا عيناه تذرفان وهذا من اللطف عليه كما تقدم وكما سيأتي إن شاء الله

﴿من رآه يقرأ القرآن أو تأكل به أو فخر به﴾

حدثنا محمد بن كثير أنا مسفيان ثنا الأعمش عن خثيمة عن سويد بن غفلة عن علي رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية ، يرقون من الإسلام كما يرق السهم من الرمية ، لا يجاوز إيمانهم سنابجرهم ، فأينا لقيتموه فاقبلوه ، فإن قتلهم أجرتهم يوم القيامة » وقد روى في وصفين آخرين ومسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن الأعمش به

حدثنا عبد الله بن يوسف ثنا مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يرقون من الدين كما يرق السهم من

(١) هذا محمول على أنه كان يقرأ آخر القرآن في هذا الوقت فيتم به ما بدأه في عامة يومه وليلته السابقة ، فمن المعلوم بالضرورة أن ما بين المغرب والعشاء لا يفي لقراءة ربع ختمة إلا بالهدرمة التي عنها لما قلنا التدبر كما تقدم في موضعه .
إلا أن تكون القراءة روحية لالسانية والاصوفية غرائب يتناقضونها في هذه الكرامات الروحية حتى ذكر الشمراني عن بعضهم قراءة القرآن مثبات الألوف وألوف الألوف ، وأكثر ما تيسر لكاتب هذه التعليقات في أيام تراجيعهم أن يقرأ في بعض أيام رمضان ختمة كاملة والتي تربينا عليه منذ سن التمييز أننا كنا نتدارس القرآن مع كبار أهل بيتنا السيد أحمد أبو السكال عم والدي فنقرأ معه كل يوم من أيام رمضان نصف ختمة كل واحد منا يقرأ ربع حبيب بالتهويد المعتدل

(٢) هذا وتقدم في بعض القراءة في الصحيح أنه البيان

الرمية ، ينظر في البصل فلا يرى شيئاً ، وينظر في القسح فلا يرى شيئاً ، وينظر في الريش فلا يرى شيئاً ، ويتأذى في الفون »

ورواه في موضع آخر ومسلم أيضاً والنسائي من طرق عن الزهري عن أبي سلمة به وابن ماجه من رواية محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة به .

حدثنا مسدد بن مسرهد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبي موسى رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال « المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأرجحة طعمها طيب وريحها طيب ، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمر طعمها طيب ولا ریح لها ، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالخنطة طعمها مر وأو خبيث - وريحها مر »

ورواه في مواضع آخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به .

ومضمون هذه الأحاديث التحذير من الرأفة بتلاوة القرآن التي هي من أعظم القرب كما جاء في الحديث « واعلم أنك لن تقرب إلى الله بأعظم مما خرج منه » يعني القرآن . والذكورون في حديث علي وأبي سعيد الخوارج وهم الذين لا يجاوز إيمانهم حناجرهم وقد قال في الرواية الأخرى « يحقر أحدكم قراءته مع قراءتهم وصلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم » ومع هذا أمر بقتلهم لأنهم مراؤون في أعمالهم في نفس الأمر وإن كان بعضهم قد لا يقصد ذلك إلا أنهم أسسوا أعمالهم على اعتقاد غير صالح فسكانوا في ذلك كالذمومين في قوله (أفن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين) وقد اختلف العلماء في تكفير الخوارج وتفسيقهم ورد رواياتهم كما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى .

والناقق المشبه بالريحانة التي لها ريح ظاهر وطعمها مر هو الرائي بتلاوته كما قال تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) ثم قال البخاري

﴿ اقرءوا القرآن ما أثقلت عليه قلوبكم ﴾

حدثنا أبو النعمان محمد بن الفضل عازم (١) ثنا حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « اقرءوا القرآن ما أثقلت قلوبكم فإذا أثقلت قلوبكم فقوموا عنه » حدثنا عمرو بن علي بن بحر الفلاس ثنا عبد الرحمن بن ميمون ثنا سلام بن أبي مطيع عن أبي عمران الجوني عن جندب قال قال رسول الله ﷺ « اقرءوا القرآن ما أثقلت عليه قلوبكم فإذا أثقلت قلوبكم فقوموا » تابعه الحارث بن عبيد وسعيد بن زيد عن أبي عمران ولم يرفعه حماد بن سلمة وأبان . وقال غندر عن شعبة عن أبي عمران قال سمعت جندباً قوله (٢) وقال ابن عون عن أبي عمران عن عبد الله بن الصامت عن عمر قوله ، وجندب أكثر وأصح .

وقد رواه في مواضع آخر ومسلم كلاهما عن إسحاق بن منصور عن عبد الصمد عن همام عن أبي عمران به ، ومسلم أيضاً عن يحيى بن يحيى عن الحارث بن عبيد أبي قتادة عن أبي عمران ورواه مسلم أيضاً عن أحمد بن محمد بن سعد بن حبان ابن هلال عن أبان العطار عن أبي عمران به مرفوعاً ، وقد حكى البخاري أن أباناً وساماً بن سلمة لم يرفعاها فأنشأنا . ورواه النسائي والطبراني من حديث مسلم بن إبراهيم عن هارون بن موسى الأعور النخعي عن أبي عمران به .

(١) كذا في النسخة وفي نسخة ابن حجر والقسطلاني وشرحها ذكر أبي النعمان بكيفية ثقل وابعده محمد بن الفضل السديسي وواقب عازم ولم يكن عازماً . وابن كثير أكثر في قوله من صحيح البخاري في هذا الكتاب من مثل هذه الزيادة للإيضاح ويحتمل أن يكون أصلها رواية عنه .

(٢) قوله : قوله يعني به حديثاً وقع أنه من قوله : مرفوع إلى النبي ﷺ .

ورواه النسائي أيضا من طريق عن سفيان عن الحجاج بن قرافة عن أبي عمران به مرفوعا ، وفي رواية عن هارون بن زيد بن أبي الزرقان عن أبيه عن سفيان عن حجاج عن أبي عمران عن جندب موقوفا . ورواه عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم عن إسحق بن الأزرق عن عبيد الله بن عون عن أبي عمران عن عبيد الله بن الصامت عن عمر قوله . قال أبو بكر بن أبي داود لم يخطئ ابن عون في حديث قط إلا في هذا ، والصواب عن جندب . ورواه الطبراني عن علي بن عبد العزيز عن مسلم بن إبراهيم وسعيد بن منصور قالوا : ثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران عن جندب مرفوعا . فهذا ما تيسر من ذكر طرق هذا الحديث على سبيل الاختصار . والصحيح منها ما أُرشد إليه شيخ هذه الصناعة أبو عبد الله البخاري من الأكثر والأصح أنه عن جندب بن عبد الله مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الحديث أنه عليه السلام أُرشد وحض أمته على تلاوة القرآن إذا كانت القلوب مجتمعة على تلاوته متفكرة متدبرة لا في حال شغايا وملايسا فإنه لا يحصل القصور من التلاوة بذلك كما ثبت في الحديث أنه قال عليه السلام « اكثروا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملاوا » وقال « أحب الأعمال إلى الله ما دام عليه صاحبه » وفي اللفظ الآخر « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »

ثم قال البخاري : ثنا إسماعيل بن حرب ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن أنزال بن مسرة عن عبد الله بن مسعود . أنه سمع رجلا يقرأ آية سمع من النبي ﷺ خلفها ، فأخذت بيده فانطأقت إلى النبي ﷺ فقال « كلا كما تحسن فافترأ - أكبر علي قال - فإن من قبلكم اختلفوا فيه فأهلكهم الله عز وجل » (١) وأخرجه النسائي من رواية شعبة به . وهذا في معنى الحديث الذي تقدمه وأنه ينهى عن الاختلاف في القراءة والاداعة في ذلك والراء فيه كما تقدم في النبي عن ذلك والله أعلم .

وقريب من هذا ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه ثنا أبو محمد سعيد بن محمد الجرمي ثنا يحيى بن سعيد التميمي عن الأعمش عن عاصم عن زر بن حبیش قال : قال عبد الله بن مسعود : تمارينا في سورة من القرآن مثلنا نفسنا ونشئون آية ، سمعنا والآثون آية ، قال فانطلقنا إلى رسول الله ﷺ فوجدنا عليا يناجيهم فقلنا له اختلفنا في القراءة فاستمعوا رسول الله ﷺ فقال علي : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرأوا كما علمتم . وهذا (٢) آخر ما أورده البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن والله الحمد والمنة

﴿ كتاب الجامع لأحاديث شتى ﴾

﴿ تتعلق بتلاوة القرآن وفضائله وفضل أهله ﴾

﴿ قيل ﴾ قال أحمد ثنا معاوية بن هشام ثنا شيان عن فراس عن عطية عن أبي سعيد قال : قال نبي الله ﷺ « يقال أصحاب القرآن إذا دخل الجنة أقرأ وأرق وأصعد ، فيقرأ ويضعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء منه » وقال أحمد ثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة حدثني بشر بن أبي عمرو الحولاني أن الوليد بن قيس التميمي حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون خلف من بعد الستين سنة ، أضاءوا الصلاة وأجمعوا المذاهب فسوف يلقون غيا ، ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يحدو تراقيمهم ، ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ومسلم وهاجر » قال بشر فقات الوليد ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال المنافق كافر به ، والفاجر يتأكل كل به ، والمؤمن يؤمن به

(١) انتهى في شيخ البخاري ، فإن من كان قبلكم اختلفوا فأهلكهم الله ، أي فأهلكهم الله ، كما قال القسطلاني أو بمن فأنكسركم الاختلاف . قال الحافظ في شرحه من الفتح وفي رواية المستمل « فأهلكوا » بضم أوله ولم يذكر

ما أورده أبو أحمد هنا

(٢) أي هذا الباب الذي وثقنا الحديث الأولي هنا لآخر كلمة منه

وقال أحمد ثنا حجاج ثنا ليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن أبي الخطاب عن أبي سعيد أنه قال إن رسول الله عام تبوك خطب الناس وهو مسند ظهره إلى نخلة فقال « ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس ؟ إن خير الناس رجل عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت ، وإن من شر الناس رجلاً فاجراً يقرأ كتاب الله لا يرجع إلى شيء منه »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن عمرو بن هياج السكوني ثنا الحسين بن عبد الأعلى ثنا محمد بن الحسن الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين » وقال رسول الله ﷺ « إن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » ثم قال تفرد به محمد بن الحسن ولم يتابع عليه .

وقال الإمام أحمد ثنا أبو عبيدة الحداد حدثني عبد الرحمن بن بديل بن ميسرة حدثني أبي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن لله أهلين من الناس » قيل من هم يا رسول الله ؟ قال « أهل القرآن هم أهل الله وخاصته »

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن علي بن شعيب السمسار ثنا خالد بن خديش ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس بن مالك رضي الله عنه كان إذا ختم القرآن جمع أهله وولده فدعا لهم . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا محمد بن عباد المسكي ثنا خاتم بن إسماعيل عن شريك عن الأعمش عن زيد ابن أبان عن الحسن بن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « القرآن غني لا فقر بعده ولا غنى دونه »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا سلمة بن شبيب ثنا عبد الرزاق ثنا عبد الله بن الحر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن » ابن الحر ضعيف .

وقال الإمام أحمد حدثنا حسن ثنا ابن لمية ثنا بكر بن سواد عن وفاة الخولاني عن أنس بن مالك قال : بينما نحن نقرأ فينا العري والعجى والأسود والأبيض إذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أنتم في خير تقرأون كتاب الله وفيكم رسول الله وسأني على الناس زمان ينفقونه كما ينفق الفرس يتعبون أجورهم ولا يتأجلونها »

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا يوسف بن موسى ثنا عبد الله بن الجهم ثنا عمرو بن أبي قيس عن عبد ربه ابن عبد الله عن عمر بن زهران عن الحسن بن أنس أن النبي ﷺ قال « إن البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن يقل خيره »

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الفضل بن الصباح حدثنا أبو عبيدة حدثني يزيد الرقاشي عن أنس قال قدم أبو موسى في بيت واجتمع إليه ناس فأشأ يقرأ عليهم القرآن قال فأتى رسول الله ﷺ ورجل فقال يا رسول الله ألا أعجبك من أبي موسى أنه قدم في بيت واجتمع إليه ناس فأشأ يقرأ عليهم القرآن قال : فقال رسول الله ﷺ « أنت تبيع أن تبعني حيث لا يراني منهم أحد ؟ » قال نعم قال فخرج رسول الله ﷺ فدعاه الرجل حيث لا يراه منهم أحد فسمع قراءة أبي موسى فقال « إنه ليقرأ على زممار من مزمار داود عليه السلام » هذا حديث غريب وزيد الرقاشي ضعيف .

وقال الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام ثنا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جابر ابن عبد الله قال خطبنا رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفنل الحديث محمد ومصر الأمور عندنا » قال يروى هذا الحديث في نسخة أخرى « ثم رفع صوته وكبر »

وجنتاه ويشدد غضبه إذا ذكر الساعة كأنه منذر جيش قال ثم يقول « أتتكم الساعة بعثت أنا والساعة كهكنا - وأشار بالسبابة والوسطى - مستبشرين الساعة ومستبكم - من ترك ما لا فلاهله ومن ترك ديننا أو ضياعا فإلى ولى » .

وقال الإمام أحمد ثنا عبد الوهاب بن يحيى بن عطاء - أنا أسامة بن زيد الليثي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا قوم يقرءون القرآن قال « اقرءوا القرآن واستمعوا به الله عز وجل من قبل أن يأتي قوم يقيمونه إقامة القدرح يبعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أحمد أيضا ثنا خالف بن الوليد ثنا خالد بن حميد الأعرج عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نقرأ القرآن وفيما العجمي والأعرابي قال فاستمع قال : فقال « اقرءوا فكل من وسأني قوم يقيمونه تأتيا القدرح يبعجلونه ولا يتأجلونه »

وقال أبو بكر البرزاني ثنا أبو كريب محمد بن العلاء ثنا عبد الله بن الأجلح عن الأعمش عن علي السكندی عن عبد الله بن مسعود قال : إن هذا القرآن شافع مشفع من أتبعه فاده إلى الجنة ومن تركه أو أعرض عنه - أو كلفه نحوها - دح (١) في قتله إلى النار . وحدثننا أبو كريب ثنا عبد الله بن الأجلح عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن عبد الله بن النضر بنحوه .

وقال الطائفة أبو يعلى : ثنا أحمد بن عبد العزيز بن مروان أبو صخر حدثني بكير بن يونس عن موسى بن علي عن أبيه عن يحيى بن كثير (٢) النخعي عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من قرأ ألف آية كتب له قطارا ، والقطار مائة رطل والرطل ثمانية عشرة أوقية والأوقية ستة دنائير والدنائر أربعة وعشرون قيراطا والقيراط مثل أحد ، ومن قرأ ثلاثمائة قال الله ملائكتنا نصب عبيدكم كي أشهدكم يا ملائكتي إنني قد غفرت له ، ومن بلغه عن الله فضيلة فعله بها إيمانا به ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وإن لم يكن ذلك كذلك »

وقال أحمد ثنا سيرير عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل ليس في خوفه شيء من التراكب كالكبوت الحزب » قال البرزاني لا نعلمه يروي عن ابن عباس إلا من هذا الوجه

وقال البرزاني ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثني أبي قال وجدت في كتاب أبي بخطه عن عمران بن سعيد بن جابر عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ووقاه سواء الحساب يوم القيامة وذلك أن الله عز وجل يقول (فمن أتبع هداى فلا يضل ولا يشقى) »

وقال الطائفة أبي ثعلبة بن عثمان بن صالح ثنا أبي ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن أحسن الناس قراءة من قرأ القرآن يتحزن به » .

وقال أيضا حدثنا أبو يزيد القزويني ثنا نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن سليمان عن سعيد أبي سعد البقال عن الضحاك عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أحسنوا الأصوات بالقرآن » وروى أيضا بسنده إلى الضحاك عن ابن عباس مرأوا « أشرف أمتي حملة القرآن » .

وقال الطائفة أبي ثعلبة بن عثمان ثنا إبراهيم بن أبي سويد الدارع ثنا صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال سئل رجل رسول الله ﷺ فقال أى الأعمال أحب إلى الله ؟ فقال « الحلال المرحل » قال يا رسول الله ما الحلال المرحل ؟ قال « صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره وفي آخره حتى يبلغ أوله »

﴿ ذكر الدعاء المأثور لحفظ القرآن وطرد النسيان ﴾

قال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا الحسين بن اسحاق التستري ثنا هشام بن عمار ثنا محمد بن ابراهيم القرشي حدثني أبو صالح وعكرمة عن ابن عباس قال : قال علي بن أبي طالب يا رسول الله القرآن تنفست من صدري فقال النبي ﷺ « أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وينفع من علمته ؟ » قال نعم بأبي أنت وأمي قال - صل إلى الجنة أربع ركعات تقرأ في الركعة الأولى بفاتحة الكتاب ويس ، وفي الثانية بفاتحة الكتاب وبهم السجدة ، وفي الثالثة بفاتحة الكتاب وبهم تنزيل السجدة ، وفي الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفضل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأثن عليه وصل على النبيين واستغفر للمؤمنين ثم قل اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمني من أن أتكلف مالا يعني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام ، والعزة التي لا ترام أسألك يا الله يا الرحمن بجلالك ونور وجهك أن تلزم قلبي حب كتابك كما علمتني ، وارزقني أن أتأوه على النحو الذي يرضيك عني ، وأسألك أن تدور بالكتاب بصري ، وتطلق به لساني ، وتفرج به عن قلبي ، وتشرح به صدري ، وتسهل به بدني ، وتيسرني على ذلك وتعينني عليه ، فإنه لا يعني على الخير غيرك ولا موفق له إلا أنت ، فافعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو مبععا يحفظه باذن الله وما أخطأ مؤمنا قط » قال النبي ﷺ بعد ذلك بسبع جمع فأنزله بحفظ القرآن والحديث فقال النبي ﷺ « مؤمن ورب السكينة ، علم أبا الحسن علم أبا الحسن » هذا سياق الطبراني .

وقال أبو عيسى الترمذي في كتاب الدعوات من جامعه : حدثنا أحمد بن الحسن ثنا سليمان بن عبد الرحمن السهري ثنا الوليد بن مسلم ثنا ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح وعكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أنه قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علي بن أبي طالب فقال بأبي أنت وأمي تنفست هذا القرآن من صدري فما أجبتني أقدر عليه فقال له رسول الله ﷺ « يا أبا الحسن أنلا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن وتنفع من علمته ويثبت ما تعلمت في صدرك ؟ » قال أجل يا رسول الله فعلمني قال - إذا كانت ليلة الجمعة فإن استطعت أن تقوم في تلك الليل الأخيرة فافعل ساعة مشهودة والدعاء فيها مستجاب ، وقال أخى يعقوب بن عبد (سوف استغفر لكم ربي) يقول النبي ﷺ ثلثي ليلة الجمعة فإن لم تستطع فقم في وسطها فإن لم تستطع فقم في أولها فصل أربع ركعات تقرأ في الأولى بفاتحة الكتاب وسورة يس ، وفي الركعة الثانية بفاتحة الكتاب وبهم السجدة ، وفي الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب وبهم السجدة ، وفي الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب وتبارك المفضل ، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله وأحسن الثناء على الله وصل على وأحسن وعلى سائر النبيين ، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات والخوانك الذين سبقوك بالإيمان ، ثم قل في آخر ذلك اللهم ارحمني بترك المعاصي أبدا ما أبقيتني ، وارحمني من أن أتكلف مالا يعني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام ، والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا الرحمن بجلالك ونور وجهك أن تدور بالكتاب بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تسهل به بدني ، فإنه لا يعني على الخير غيرك ولا يؤتيه إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، يا أبا الحسن فاعمل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو مبععا يحجب باذن الله ، والذي يعني بالحق ما أخطأ مؤمنا قط » قال ابن عباس فوالله ما أبش على إلا خمسا أو مبععا حق جاء رسول الله ﷺ في ذلك المجلس فقال يا رسول الله والله إنني كنت فيما خلا لا أجد إلا أربع آيات أو نحوها فإذا قرأتها على نفسي فسكنت كتاب الله بين يدي وإذا كنت أسمع الحديث فإذا رددته فقلت وأنا اليوم أسمع الأحاديث فإذا تحدثت بها لم أخرج منها حرفا . فقال له رسول الله ﷺ عند ذلك « مؤمن ورب السكينة أبا الحسن » ثم قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا يرفقه إلا من حديث الوليد بن مسلم . كذا قال وقد تقدم من غير طريقه . ورواه الحاكم في مستدركه من طريق الوليد ثم قال علي

عمره الشيخين ولا شك أن سنده من الوليد على شرط الشيخين حيث صرح الوليد بالسباع من ابن جريج فإنه أعلم
فإنه من الذين غرابته بل نسكاته (١) والله أعلم .

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع ثنا العمري عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مثل القرآن مثل
الأبل العذبة إن تعاهدها صاحبها أمسكها وإن تركها ذهبت » ورواه أيضا عن محمد بن عبيد ويحيى بن سعيد عن عبيد الله
العمري به ، ورواه أيضا عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر مرفوعا بنحوه .

وقال البزار ثنا محمد بن معمر ثنا حميد بن حماد بن أبي الخوار ثنا مسعر عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال :
سأل رسول الله أي الناس أحسن قراءة ؟ قال « من إذا سمعته يقرأ رؤيت أنه يخشى الله عز وجل »

قال الإمام أحمد ثنا عبد الرحمن بن عوف عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « يقال
لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة حدثني يحيى بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحلي عن عبد الله بن عمرو قال
جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني أقرأ القرآن فلا أجد قلبى يتقبل عليه فقال رسول الله ﷺ « ان
فياك حتى لا ياتك وإن العبد يعلى الأيمان قبل القرآن » وبهذا الإسناد أن رجلا جاء بأبن له فقال يا رسول الله
إن أبى يقرأ الصلح بالنهار ويبيت بالليل فقال رسول الله ﷺ « ما تنقم ؟ إن ابنك يظل ذا كرا ويبيت سائلا » .

وقال أحمد ثنا موسى بن داود ثنا ابن لهيعة عن يحيى عن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ
قال « الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام أى رب منعتك الطعام والشهوة بالنهار فشفعنى فيه ،
ويقول القرآن منعتك النوم بالليل فشفعنى فيه » قال - فيشفعان -

وقال أحمد ثنا حسن ثنا ابن لهيعة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبيد الله بن عمرو سمعت رسول الله ﷺ يقول
« أكثر من ألقى ألقى قرأها »

وقال أحمد ثنا وكيع حدثني همام عن قتادة عن يزيد بن عبد الله بن الشخير عن عبيد الله بن عمرو قال : قال
رسول الله ﷺ « من قرأ القرآن في أول من ثلاث لم يفقهم » ورواه أيضا عن غندر عن شعبة عن قتادة به وقال
الترمذي حسن صحيح

وقال أبو القاسم الطبراني ثنا محمد بن اسحاق بن راهويه ثنا أبي ثنا عيسى بن يونس ويحيى بن أبي حجاج التميمي
عن اسمعيل بن رافع عن اسمعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ
القرآن فأنقذت استدرجت النوبة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه . ومن قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما
أعطى فقد عظم ما عظم الله وصغر ما عظم الله ، وليس ينبغي لحامش القرآن أن يسفه فيمن يسفه أو يفض به فيمن
يفض به أو يخذل فيمن يخذل ولا يكن يغتر ويصفح لشغل القرآن » .

وقال الإمام أحمد ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ثنا عباد بن ميسرة عن الحسن عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ
قال « من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة »

وقال البزار ثنا محمد بن حرب ثنا يحيى بن النوكل ثنا عنبسة بن مهران عن الزهري عن شعبة وأبي سلمة عن
أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مرأى في القرآن كفر » ثم قال عنبسة هذا ليس بالقوى وعنده فيه إسناد آخر .

وقال الطبراني أبو يعلى ثنا أبو بكر بن أبي أدريس ثنا القهري عن جده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ
قال « أريدوا القرآن والتفكروا غرابته »

(١) بل أسلوبه الموضوعات لا أسلوب أدبى البشر محمد ﷺ وطى رضى الله عنه ولا أسلوب عصرها .

وقال الطبراني ثنا موسى بن حازم الاسدي ثنا محمد بن بكير الحضرمي ثنا اسماعيل ابن عباس عن يحيى بن الحارث
الدماري عن القاسم أبي عبد الرحمن عن فضالة بن عبيد وتميم الداري عن النبي ﷺ قال « من قرأ عشر آيات في ليلة
كتب له فطران والفطران خير من الدنيا وما فيها ، فإذا كان يوم القيامة يقول ربك عز وجل اقرأ وارق بكل آية درجة
حتى ينتهي إلى آخر آية معه يقول ربك اقض قيعول العبد بيده يارب أنت أعلم فبقول بهذه الجلالة وهذه النعم » أخر
فضائل القرآن وبه تم التفسير .

للمحافظ العلامة الرحلة الجليل مفيد الطالبين الشيخ عماد الدين اسماعيل الشافعي

بإذن كثير كثير الله فوائده ، على يد أفقر العباد إلى الله العلي محمد بن

محمدر المقيء البغدادي عفا الله عنه ونفعه بالعلم ووفقه للعمل

به آمين ، وحرس الله مجد ماله آمين --- بتاريخ

يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة من سنة تسع وخمسين

وسبعمائة هلالية هجرية صلوات الله وسلامه

على مشرفنا ، والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً

وظاهراً وصلى الله على سيدنا محمد

النبي الأُمي وعلى آله وصحبه

وسلم تسليماً كثيراً

﴿ تم طبع الكتاب والحمد لله ﴾

تَفْصِيلُ الْإِسْلَامِ الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ

ترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي

عضو اللجنة الاستشارية للجامع العالمية المستشرقين

قسمه مؤلفه المستشرق الكبير (جول لايوم الفرنسى) إلى ١٨ باباً وهى :
التاريخ . محمد ﷺ . النبأ . بنو إسرائيل . التوراة . الانصارى . ما بعد
الطبيعة . التوحيد . القرآن . الدين . العقائد . العبادات . الشريعة . النظام
الاجتماعى . العلوم والفنون . التجارة . علم تهذيب الأخلاق . النجاح . وتحت
كل باب منها فروع تبلغ عدة جميعها ٣٥٠ فرعاً ، وتحت كل فرع جميع ما ورد
فيه من آيات التنزيل ، مما لم يسبق جمعه وتنسيقه فى كتاب ، وهو مرجع
لكل كاتب ومنهل لكل باحث . والكتاب مطبوع طبعاً أنيقاً على ورق
جيد بالشكل الكامل . ويطلب من :

دار الخفاء الكتب العربية

عيسى البلبى الجبلى وشركاه

صندوق بريد القومية رقم ٢٦ - القاهرة